صفوة الاعتبار

بمستودع الأمصار والأقطار

تأليف

محمد بيرم الخامس التونسي

دار صادر
بيروت

١

صفوة الاعتبار

بمستودع الأمصار والأقطار

١ - ٢ - ٣

تأليف

محمد بيرم الخامس التونسي

دار صادر

بيروت

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

﴿تمت الفهرست﴾

هذا كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

تأليف الفاضل المحقق والاستاذ المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء وحيد عصره وفريد دهره الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي نفعنا الله به وبعلومه آمين

﴿الجزء الاول﴾

﴿طبعة أولى﴾
﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾

ما شاء الله كان

بسم الله الرحمن الرحيم

❊ الحمد لله مالك الملك والممالك ❊ خالق النور والظلمة والضلال والهدى الى أقوم المسالك ❊ سبحانه الخالق الحكيم ❊ المبدع للكون ومافيه من حقير وعظيم ❊ رسم عليه دلائل وحدانيته لتدبر المتبصرين ❊ ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ❊ والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على تاج العالم المصون ❊ ومظهر الكمالات المسرى به الى المسجد الاقصى والمقام المكنون ❊ سيدنا ومولانا محمد رسول الله ❊ المطهر عنصره الجثماني ❊ والمنزه جوهره الروحاني ❊ من الكدر والاشتباه ❊ وعلى آله الطاهرين ❊ وأصحابه الذين جابوا الارض في هداية المخلوقين ❊ (أما بعد) ❊ فان الله جلت عظمته اقتضت حكمته الباهرة ❊ ان ربط في هاته الدار الاسباب بالمسببات خفية كانت أو ظاهرة ❊ وأخفى مراده في التكوين ❊ فكان مدار تكاليف الشرع هو اعتبار الاسباب رحمة بالمؤمنين ❊ وتفويض ماوراء ذلك الى خالق السبب يجري على مقتضى تقديره في الازل ومايدرك أسرار حكمته الا قليل من الكاملين ❊ وكان مما عرض للعبد

الحقير

الحقير ❊ ان بليت بمرض اعيى علاجه أطباء قطرنا الشهير ❊ وأشير على بالسفر لاجل ذلك الغرض ❊ فاستخرت الله تعالى واستشرت الاصدقاء لتحصيل ذلك الحق المفترض ❊ فجبت بحارا وقفارا ❊ ومدنا وامصارا على حسب ما يسره المقدور ❊ وساعفت الوسائل على الوصول الى مشاهدته من المعمور ❊ ورأيت بعيني البصر والبصيرة ❊ أمورا عجيبة خطيرة ❊ أحببت نظمها في مجالة حفظا لها من الاهمال ❊ وتطفلا على منح العلماء أولي الكمال ❊ كل سر جاوز الاثنين شاع ❊ كل علم ليس في القرطاس ضاع ❊ وهي وان كانت بالنسبة لمعارف الكاملين والفحول ❊ ليست مما يلتفت اليه أو يلاحظ بالقبول ❊ لكنها على كل حال بضاعة من علم ❊ تلاحظها بالاغضاء أعين أهل الحلم ❊ فلعل الله بفضله يفيد بها أهل وطننا واخواننا المسلمين ❊ ويهديناالى احياء معالم ديننا المتين ❊ (وسميتها) صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ❊ معتمدا على فضل المانح الجليل ❊ وهو حسبي ونعم الوكيل ❊ فنقول ان هاته الرحلة مرتبة على مقدمة ومقصد وخاتمة فالمقدمة فيها (ثلاثة) أبواب (الباب الاول) في السفر من حيث هو ويشتمل على ثلاثة فصول (الباب الثاني) في السفر لغير أرض الاسلام وفيه فصلان (الباب الثالث) في تقسيم أحوال أهل الارض وفيه خمسة أقسام وستة وثمانون فصلا والمقصد فيه ثلاثة عشر بابا (الاول) في سبب سفري (الثاني) في مملكة تونس (الثالث) في مملكة ايطاليا (الرابع) في مملكة فرنسا (الخامس) في قطر الجزائر (السادس) في مملكة انكلتره (السابع) في جزيرة مالطه (الثامن) في قطر مصر (التاسع) في الحجاز وجزيرة العرب (العاشر) في بقية الممالك العثمانية (الحادي عشر) في مملكة اسفيره (الثاني عشر) في مملكة النمسا (الثالث عشر) في مملكة الرومانيا وكل باب يشتمل على فصول حسبما فيه من الفروع (الخاتمة) فيما ينبغي للامة الاسلامية اتخاذه من زيادة بث المعارف وما ثمره من الخيرات

❊

❊ المقدمة وفيها ثلاثة أبواب ❊

❊

الباب ❊ الاول

❊ في السفر من حيث هو ❊

الفصل * الاول

﴿ فيما جاء فى ذلك من الكتاب العزيز ﴾

(اعلم) ان الله تعالى قد أمر فى كتابه العزيز بالسير فى الارض للاعتبار والاستدلال على وجوده ووحدانيته فقال تعالى قل سيروا فى الارض فى آيات من الكتاب المجيد وفى بعضها قال ثم انظروا وفى أخر قال فانظروا فكان العطف تارة بالفاء وتارة بثم اشارة الى ان النظر والاعتبار كما يلزم فى حالة السير يلزم بعده حتى لا يكون الزمن والعمل خاليا عن فائدة صحيحة فى نظر الشرع فأوّلا يحصل النظر الاجمالى فى حالة السير ثم يحصل النظر التفصيلى بالاعتبار عند الانفصال منه حتى يستقرّ فى النفس بغاية التروّى ولا يخفى ان القاعدة الاصولية عندنا هى ان الامر (للوجوب) وهو حقيقته ولا يصرف الى غيره الا عند القرينة الصارفة وقد اشتملت الآيات المذكورة على أمرين وهما الامر بالسير والامر بالنظر فكلاهما واجب غير ان الاول واجب لكونه وسيلة للثانى والثانى واجب مقصود لذاته وافادة ترتبه على سابقه تحصل بكل من (الفاء) و (ثم) بيد انه تحصل بكل واحدة فائدة خاصة (فالفاء) تفيد ترتب النظر على السير بغير مهلة (وثم) تفيد ترتبه عليه بعده حتى يكمل رسوخه وبهذا تبين الوجه فى العطف بهما ولا نحتاج الى ان الاتيان (بثم) لافادة التفاوت بين مراتب الواجبين حيث ان أحدهما مقصود لذاته والآخر مقصود لكونه وسيلة كما ذهب اليه أبو السعود والقونوى لأنّ هذا لا يكون فائدة يستدعيها المقام بخلاف ما ذكرناه ثم ان كون السير واجبا لما ذكر هو ما عليه المحققون وان سبق قلم الزمخشرى وتبعه القاضى البيضاوى الى ان الامر بالسير للاباحة والامر بالنظر للوجوب فقد قال غيرهم ان ذلك ينبو عنه المقام اما أوّلا فلأنه اخراج للأمر عن حقيقته وأما ثانيا فلا وجه لذكر اباحة السير للتجارة وغيرها فى سياق الافحام للجاحدين ثم يعطف عليه ما هو واجب ولا يتم الا بسابقه وأما ثالثا فقد تقرّر فى الاصول أن ما لا يتم الواجب الا به يكون واجبا فكيف يكون النظر فى آثار المكذبين واجبا بدون سير فان قيل انا لم نر فى دواوين أصول الدين ان من واجبات الديانة السفر كما ذكر فالجواب ان معنى الوجوب معلق بما اذا لم يحصل الاعتبار المفضى للاعتقاد الا بالسفر لانه يؤدى الى رؤية الآيات بالمشاهدة التى

لها من التأثير ما ليس لغيرها أما إذا حصل الاعتقاد فلا داعى حينئذ لوجوب السفر وإنما هو مباح ولهذا كانت الآيات المذكورة فى سياق الحجاج للمعاندين ✽ وكأن ماذكر هو الذى أدى بعض المفسرين للقول بأن الأمر للإباحة وقد ذكر الغزالى فى الإحياء أن السفر تعتريه الأحكام الخمسة من الوجوب والندب والإباحة والكراهة والحرمة لأنه من الوسائل فيأخذ حكم ما قصد به وأبان ذلك بيانا شافيا وإذا ✽ تقرر أن السير واجب لأجل الاعتبار فنقول إن المعتبر به أشياء منها مادلت عليه الآيات المذكورة من الاعتبار بعاقبة المكذبين للرسل ومنها مادل عليه قوله تعالى ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم فإن المسافر يرى من عجائب قدرة الخالق جل وعلا من اختلاف الطباع واختلاف الأشكال والهيئات واللغات والبشرة ما يقضى بوجوب وجود صانع ذلك المختار فى أفعاله إذ لو كان الأمر مستندا للطبيعة لجاءت الخلق على هيئة واحدة فى جميع ما تقدم مع أنا نرى الاختلاف والتباين تارة مع قرب المناخ وتارة مع بعده مع أن الأرض واحدة وعناصرها واحدة وأصل البشر واحد ومزيد ✽ البسط لهذا فى كتب الكلام (ومنها) مادل عليه قوله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والأرض الآية فأمر تعالى بالاعتبار بما خلق من الأجرام العلوية وكيفية وضعها وحركاتها كما أمر تعالى بالاعتبار بما خلق فى الأرض من الجماد والنبات والحيوان وفى هاته الآية أجل المنظور فيه وقد فصله فى آيات كثيرة من كتابه العزيز للاستدلال على وجوده ووحدانيته فقال فى سورة الرعد الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى (الآية) فذكر أن الأجرام العظيمة الهائلة قد بقى كل منها فى مركز مخصوص من الجو وله حيز يمتاز به عن غيره من غير اضطراب ولا تلاطم وليس لكل منها ما يعتمد عليه من الأجرام المرئية مع أن أجرامها هى فى نفسها مرئية على خلاف المعهود فلابد أن يكون جميع ذلك لموجب أوجبه فإن قيل إن موجبه هو وجود أعيانها وذواتها فهذا مردود لوجهين (الأول) أن الأجسام متساوية فى تمام الماهية ولو وجب حصول جسم فى حيز معين لوجب حصول كل جسم فى ذلك الحيز (والثانى) أن الخلاء لانهاية له والأحياز المعترضة فى ذلك الخلاء الصرف غير المتناهية وهى بأسرها متساوية ولو وجب حصول جسم معين فى حيز لوجب حصوله فى جميع الأحياز ضرورة أن الأحياز متساوية فثبت بهذا أن وجود الأجرام الفلكية فى أحيازها ليس هو لذاتها وإنما هو لمدبر حكيم قادر خص كلا منها

بما شاء (ثم ان) كمال الاعتبار بترتيب تلك الاجرام العلوية وكيفية أوضاعها وأشكالها انما يتم على أكمل وجه بالسير فى الارض فما يرى منها فى جهة القطبين لا يرى من المناطق المعتدلة وكذلك ما يرى فى أحد نصفى الكرة لا يرى من النصف الآخر (ثم قال تعالى) عقب الآية السابقة وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قال المفسرون انه تعالى لما قرر الدلائل العلوية أردفها بالدلائل الارضية بالاعتبار بذات الارض وما احتوت عليه من عجائب قدرة الخالق الحكيم القاضية بوجوب وجود صانعها فان حكماء المتأخرين الذين وصلوا بالمعارف والتحاليل والآلات الى ما لم تبلغه فلاسفة الاقدمين حتى زيفوا لهم كثيرا من خرافاتهم وبينوا اخطاءهم فهؤلاء حذاقهم قد أقروا بانه لا بد من خالق لما هو موجود اذ ما يعللون به كثيرا من الاشياء من قولهم الجاذبية والنواميس الطبيعية وغير ذلك قد صرحوا بانها عبارات اصطلاحية والا فحقائقها أمور مجهولة تلتزم متبعها بالاعتراف بالصانع فمن هؤلاء الحكيم المتبحر فيلكس لامروس وهو من مشاهير فحول علمائهم فى القرن التاسع عشر المسيحى حتى ان كتابه فى الجغرافية الطبيعية الموسوم بالدراسة الاولية عليه مدار تعليمهم فى المدارس وأختير للتعريب ليعلم ويعمل به فى المدارس المصرية وقد صرح هذا فى كتابه المذكور فى مبحث الجو وكرة الهواء بقوله واذا فرض زوال التثاقل العمومى من الهواء فانه يتشتت فى الفضاء الى ان قال لكن الحكمة الالهية اقتضت الآن حفظ الاشياء وضبطها فى مواضعها الشاغلة هى لها بموجب قوة مجهولة ذاتها الا فعلها تسمى بالجذب وهى كلمة يعلم منها الفعل لا السبب اذ هذا الاخير مع كثرة بحث الطبيعيين عنه وتفتيشهم عليه لم يزل مجهولا الى الآن وعلى المتولع بدراسة العلوم ان لا يأخذ بظواهر مثل هاته الكلمات العلمية التى يوضح بها سبب أو أسباب طبيعية مجهولة لحادث من الحوادث فاذا قيل هنا مثلا ان الاجرام تزن أو تثقل لانها مجذوبة لغيرها أو انها جارية على مقتضى نواميس الجذب كان ذلك الدور المعيب (الخ كلامه) ثم ان الاعتبار باحوال الارض المشار اليها فى الآية الكريمة هى من جهات أولها هيئة الارض وهى كونها جرما عظيما حتى ان مقدار ما يصل اليه بصر الانسان منها يراه مبسوطا مع انها هى كرة قال العلامة الرازى ما معناه انه لا ينازع فى كونها كرة الا من لا تدبر له (وقد) ألف الشيخ محمد بيرم الثالث قدس سره رسالة فى ذلك استدل على تكويرها بكلام الحكماء والفقهاء

واهل

وأهل الباطن وها نحن نسرد هنا نبذة من ذلك مع اختصار وزيادة فأما كلام الحكماء فنـه ظهورا عالى الاشباح من بعد ومنـه ارتفاع الشمس والكواكب فى جهات من الارض بخلاف جهات أخرى حسبما مر وذلك بموازين أخذ الارتفاع وأما كلام الفقهاء فقد ذكروا فى كثير من المسائل انه لا عبرة باختلاف المطالع فى الصوم فيجب على أهل المشرق برؤية أهل المغرب للهلال لان الوجوب معلق بشهود الشهر لطائفة من الناس بخلاف الامساك والفطر فانه يكون لكل أهل قطر بحسب ما عندهم لان الوجوب معلق بدخول الوقت للمكلف وذكروا فى الصلاة ان بعض الجهات تطول فيها الاوقات و بعضها تقصر حتى يفقد بعض الاوقات كالعشاء فى بعض الجهات الضاربة الى أقاصى أحد القطبين وذكروا فى المواريث اذا مات متوارثان فى يوم واحد وزمن واحد منه لكن أحدهما فى المشرق والآخر فى المغرب فان المغربى يرث المشرقى لان وقت المشرقى متقدم فى الوجود على وقت المغربى كالزوال مثلا وأما كلام أهل الباطن فقد نقل عن سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه ان ساعة الاجابة من يوم الجمعة الوارد فيها الحديث بانها من عند جلوس الامام على المنبر الى انقضاء الصلاة قال ان ذلك خاص بوقت صعود امام المدينة المنورة ولما كان ذلك الوقت لا يتحد فى جميع البلاد من الله بساعة النبى صلى الله عليه وسلم وجعلها تختلف باختلاف صعود الائمة على المنابر من ذلك اليوم وجميع ما تقدم انما يتأتى على القول بان الارض كروية ولو كانت بسيطة لما تأتى شئ من ذلك اذ الشمس اذا ظهرت تظهر على الجميع فى آن واحد ومن كلام القطب سيدى أحمد بن عروس رضى الله عنه الصريح فيما نحن بصدده وهو من أنواع النظم المسمى بالملحون قوله

واديا مثلتها دلاعا ❁ تتكركب فى جملة أدلاع
ماذ لحقوها من طماعا ❁ ورماتهم فى بير مالوقاع

وهو صريح فى تكويرها ودورانها على ما سيأتى وليس فى القرآن ما يعارض ذلك اذ مساق الآيات لما يشاهد والمشاهد البسط فى نظر العين ولما كان خطاب التكليف بهاته الشريعة المطهرة عاما لجميع طبقات الناس كان خطابهم على أسلوب يقتدر به كل على التوصل الى قدر مدركاته هذا فى مسائل التكاليف العامة كالاستدلال على وجود الخالق وصحة الرسالة والعلم بدخول أوقات الصلاة والصوم واشباه ذلك أما ما يكتفى فيه بالاستفتاء من الغير فقد خص الله به الفقهاء (فقال تعالى) فاسئلوا أهل الذكر

ان كنتم لا تعلمون وهذا أصل نافع يجرى فى كثير من الاشياء وقد بسطه الشاطبى فى موافقاته (وثانى) الجهات المشار اليها فى الآية الاستدلال بالجبال المعنون عنها بالرواسى فان عظم خلقتها واختلاف أوضاعها واختصاص كل بحد محدود قاض بوجود مدبر خصها بتلك الحالات ولو كانت بمجرد الطبيعة التى هى اسم بلا مسمى لتساوت فى جميع الحالات مع ان المشاهد هو اختلافها هذا بحسب الظاهر وأما اذا دق النظر فيما تختلف به مما تشتمل عليه من أنواع الصخور والتراب والطين والمعادن فذلك أمر يبهر العقول ويوقف الاذهان ومن أراد الاطلاع على أسرار ذلك فليراجع كتب الطبيعيات والكيمياء (وثالث) الجهات المشار اليها فى الآية الاعتبار بالانهر واختصاصها بأحوالها التى هى علم اما يقتضى وجود مخصص لها والاغلب فى نظم القرآن قران الانهر بالجبال اشارة الى أن تكون الانهر بسبب الجبال اما من الثلوج المذابة منها أو من منابع العيون المنفجرة فيها وكأن سبب كثرة هاته المنابع فى الجبال هو ان الجبال من أسباب جذب الابخرة والامطار وعلى قدر تشرب سطح الارض للمياه يكثر فى باطنها اجتماعها ففى الاراضى البسيطة تتصاعد تلك المياه ابخرة لسهولة نفوذ البخار فى أجسام الارض المتخلخلة بخلاف الاراضى ذوات الجبال فانها لا يتأتى نفوذ الماء بخارا كما تحميه من تأثير حرارة الشمس فلا يزال الماء يجتمع فى طبقات الجبال الى ان يتكون منه مقدار عظيم فينفذ بقوة لانه أعلى مما حوله من الارض فتتكون منه الينابيع والعيون وتسيل جداول ونهيرات فاذا اجتمعت فى حوض تكون منها انهر و يعظم و يصغر بحسب ما يلتقى فيه من الانهر والينابيع (ورابع) الجهات المشار اليها فى الآية الاعتبار بما فى الارض من الثمرات وانها كلها مثل الحيوان ذكر وأنثى وهذا التفسير المبين المحمولة فيه الآية على حقيقة اللفظ من (قوله تعالى) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين انما اطلعنا عليه من ترقى العلوم الطبيعية والفلاحية فقد تبين بالتجربة والمشاهدة وقرره جميع فلاسفة المتأخرين فى كتبهم ان جميع أنواع الثمرات بل حتى الزهور أيضا تشتمل على ذكر وأنثى واذا افرد أحدهما عن الآخر لا تتولد الثمرة غير ان بعض الانواع تكون فيه الشجرة الواحدة مشتملة على البزر الذكر وعلى البزر الانثى وتتلاقح مع بعضها بالريح وهو المشار اليه (بقوله تعالى) وأرسلنا الرياح لواقح وبعض الانواع تكون فيه شجرة الذكر منفردة عن شجرة الانثى وهذا النوع الاخير كان معلوما منه سابقا بعض افراد كالنخل والتين لكن الآن قد تحقق ان جميع الانواع لا تثمر الا

بالتلاقح

بالتلاقح بين الذكر والانثى حتى اذا تتبع قطع أحد الصنفين من شجرة نشأ لهما وأبقى نور الآخر بحاله ولم يكن فى ذلك الموضع شجرة اخرى مثلها فان ما بقى فيها من النور لا يثمر وقد حرر ذلك وعلمت علامات الذكر وعلامات الانثى فى كل نوع بحسبه فسبحان القادر الحكيم الذى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حقا وصدقا بأوضح المعجزات فقد أنبأ بهذا منذ أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة عند ما لم يكن هناك حكيم يختلج هذا بفكره فضلا عن الامة الامية وهو أحدها لا يقرأ ولا يكتب فلا شك أن هذا انما هو بوحى من الخالق الذى يعلم ما خلق سبحانه وتعالى ولدقة هذا الامر وغرابته قد اعترف منصفوا أهل هذا العصر بأن الحكمة قد فازت بها الامة العربية منذ بعث فيها رسولها واستندوا لما اشتمل عليه القرآن من بديع الحكم فان معرفة كون الريح تلقح الاشجار لم تعلم عند الحكماء الا فى آخر هذا القرن والقرآن الكريم ناطق بها ولهذا قال مستراجنيرى (حرف ج ينطق به بين التاء والشين) الانكليزى معلم اللغة العربية فى مدرسة عامة الفنون فى بلد أكسفورد الكائنة جنوبى لندرة ان أصحاب الابل قد عرفوا أن الريح تلقح الاشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوروبا بثلاثة عشر قرنا أقول وكذلك كون الثمار تشتمل على الزوجين وما ذلك الا بتعليم الخالق لا بواسطات ولا تعلمات ولا تجربات وتحليلات كيماوية وبذلك يعلم حقية قول من قال ان القرآن لم يفسر على حقيقته وانما كانوا يبينونه على قدر ما تصل اليه العقول وعلى قدر الحاجة فى الاحكام وبما تقدم يظهر أنه لا حاجة الى تأويلات المفسرين فى قوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين حيث حملوا الزوجية على معان أخر كاختلاف الطعوم والطبائع مما ينبو عنه التأكيد باثنين فان ما ذكروه لا ينحصر فى اثنين الا بالنظر للمقابل وحيث تبينت الحقيقة فلا داعى الى التأويل ويخالف ما قالوه من التأويل ويؤيد ما حررناه من الحمل على الحقيقة أن ما أولوا به لا يستقيم على نمط واحد فى آيات القرآن العظيم الواردة فى هذا المقصد كقوله تعالى فى سورة الحج وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج فان ما قالوه من اختلاف الطعوم أو الطبائع لا يطرد فى جميع ما تنبته الارض بل فيها المتوافق فى ذلك وان كان بحسب التشخيص مختلف الانواع بخلاف ما قلناه فانه مع الحمل على الحقيقة هو مطرد أيضا (وبما تقدم) يعلم وجه طلب العلوم الرياضية على ما يأتى فى محله ان شاء الله تعالى حيث ان التفسير المتقدم فى الجملة الشريفة انما تبين بها كما أن تمام الآية اشتمل على اشارة غريبة من ذلك القبيل وهو الجهة (الخامسة) من

* جهات الاعتبار المشار اليها بقوله تعالى يغشى الليل النهار فقد تقدم أنه تعالى بعد أن ذكر في الآية السابقة الدلائل العلوية ذكر بعدها الدلائل الارضية ونسق فيها تعاقب الليل والنهار فجعله من الحوادث الارضية فقال المفسرون لظهوره فيها وان كان هو من
* متعلقات العلويات وهو الشمس واعلم أن مسئلة حركة الارض أى هل هى التى تدور أو أن الشمس هى التى تدور هى من المسائل الظنية أعنى ان أدلتها ظنية وكثير من مسائل علم الهيئة هو على هذا النحو الى الآن كمسائل الابعاد بين الكواكب ومقادير اجرامها وطبائعها وما تشتمل عليه وعلماء هذا الفن مقرون بذلك كما يأتى ويشهد له أنهم كانوا مطبقين على أن بعد الزهراء من الشمس مقادير معلومة ففى سنة (١٢٩٣) كان اقتران الشمس بالزهراء يعنى أن الزهراء تمر حائلة بين الارض والشمس فاعتنوا لذلك من قبل وأرسلوا العارفين الى الجهات التى يمكن منها رؤيته ذلك لتحرير الرصد بالآلات فحرروا ذلك ووجدوا أن جميع حسابات السابقين خطأ فان البعد الذى حرروه أقل مما كانوا يحسبون وكذلك مقدار جرم الزهراء ومن الجائز أيضا ظهور الغلط فى هذا
* التحرير فى وقت آخر وحيث كانت المسائل فى هذا الفن ظنية اختلف علماؤه فى أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد بعد الاجماع على أن ذلك من آثار تقابل الشمس والارض فقدماء الفلاسفة ذهبوا الى أن الارض هى التى تدور والذين بعدهم ذهبوا الى أن الارض مركز للفلك وبدوران الفلك يحدث الليل والنهار وأن الشمس هى التى تدور معه ولها سير خاص بها يحدث منه الصيف والشتاء واشتهر هذا المذهب وزاد انتشارا عندما انتشر هذا العلم وتهذب فى الامة الاسلامية لما استفحل فيها العلم وكان ذلك المذهب هو المشتهر ممن أخذوا عنه العلوم الرياضية ثم أحيى المذهب الاول وتأكد الآن عند علماء العصر بهذا الفن وأنكره المنتسبون للعلم من المسلمين ظنا منهم أن المذهب الآخر هو من عقائد الاسلام أو أن المذهب الآخر مصادم للنصوص والحق أن ليس شئ من هذا ولا من ذلك هو مما يجب اعتقاده عندنا وانما المدار عندنا على الاعتبار بالآثار المشاهدة من الليل والنهار وأشباه ذلك واثبات جريان للشمس وأما كيفيته فلا تعلق لها بالعقائد وسير الشمس ثابت على كلا المذهبين لان المتأخرين يثبتون لها حركة رحوية على نفسها وحركة ثانية على منطقة لها أيضا ثم حركة ثالثة لها مع جميع ما يتبعها من الكواكب حول شئ مجهول كما أن هاته الدورة مجهولة المستقر أيضا وكأنها هى المشار اليها بقوله (تعالى) والشمس تجرى لمستقر لها

ذلك

ذلك تقدير العزيز العليم وذلك أن المستقر أوتى بلفظه منكرا للابهام فيفيد أنه غير معلوم للخلق ولهذا أوتى به مضافا الى الشمس باللام فكان منكرا ولم يقل مستقرها بالاضافة المفيدة للتعريف لان ذلك المستقر غير معروف وعلماء هذا الفن الآن من غير المسلمين مقرون بذلك فهو (حينئذ) اجماعى بيننا وبينهم ثم ان كون حدوث الليل والنهار هو من آثار دوران الارض ربما كانت آيات عزيزة تشير اليه فمنها الآية المتقدمة فانه (تعالى) بعد أن ذكر الدلائل على وجوده من السماء ذكر الدلائل الارضية وخلط فيها الليل والنهار فيشير ذلك الى انهما من آثار الارض لان وجودهما وان كان يستلزم الشمس والارض معا لكن تخصيصه بالانخراط فى الدلائل الارضية يدل على تعلق خاص وهو كون دورانها هو السبب على أن منطوق الآية فيه تدعيم هذا حيث قال يغشى الليل النهار فجعل الليل الذى هو ظلمة الارض يغشى به النهار الذى هو ضوء الشمس ففيه تلميحة الى أن الارض هى التى تحدث ذلك بفعل الله ومن الآيات المشيرة الى ذلك أيضا (قوله تعالى) والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشيها فجعل النهار الذى هو مقابلة وجه الارض للشمس مجليا لها والليل الذى هو الظلمة الاصلية للارض مغشيا لها فأسند فاعلية ذلك لغير الشمس بل لفاعل آخر وهو الليل والنهار الذى هو من آثار الارض واذا كان هذا ثابتا فما يدل من الآيات على طلوع الشمس وغروبها وغير ذلك يمكن تأويله باعتبار الابصار والعرف الجارى فى اللسان (ثم اعلم) انه لا يلزم من دوران الارض نفى السماء على ما يتوهمه غير العارف لان السموات لا شك فى وجودها للنصوص القطعية عليها غير أن جرمها غير معلوم لنا وانما نعتقد أنها اجرام شداد هى بالنسبة لكل من على الارض فوقه كما هو المفهوم اللغوى للفظ سماء وأما ماهية اجرامها فالله أعلم بها ونعتقد أنها سبع طبقات شداد ثم طبقة أخرى تسمى بالكرسى ثم طبقة أخرى تسمى بالعرش ولا يلزم من كونها شدادا أن لا تخترقها الكواكب بسيرها فان ذلك مشاهد لنا كما انه لا يلزم من سير الكواكب انعدامها حتى يقولون ان الكواكب ملقاة فى الفضاء لان ذلك متوقف على معرفة كنهها وهو فوق عقولنا لان العقول انما تتوصل الى المعهودات للحواس وما لا تعهده الحواس يعسر ادراكه على حقيقته ولهذا كان علينا ان نصدق الصادق ونكل معرفة ذلك الى خالقها فقد قال سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه عند قراءته (لقوله تعالى) واكواب كانت قواريرا قوارير من فضة ما معناه ان القوارير الزجاج الذى لا يحجب ماوراءه

والفضة اذا مارققت ماءساها ان تطرق لاتكون الا كثيفة فهاته الفضة هى نوع آخر لانعلمه ونكل علمه الى الله بل الاغرب أن مثل هاته المسائل أقر بها الحكماء الذين لا يعتقدون الشرع * فقد قال أحد حكماء الفرنسا وبين المتأخرين ماترجمته ان للعقل حدا محدودا لايتجاوزه كما أن للبصر حدا محدودا لايتجاوزه فاتعاب العقل فى التوصل الى معرفة كنه الاجرام العلوية وماهيتها كاتعاب البصر فى أن يرى مافوق السقف من أسفله فهب أنك أعنته بأعظم المرايا المكبرة فانه لايمكن أن يخترق السقف حتى يرى مافوقه (اه) ويمكن لنا أن نقرب لاولئك المنكرين للسماء فهم وجودها على مقتضى علم الهيئة الذى هم عليه الآن بأنهم يسلمون وجود كرة الهواء محيطة بالارض وأنها عظيمة شديدة حتى قرروا أن ذات الانسان المتوسط مضغوطة وحاملة لاكثر من ثلاثة وثلاثين ألف رطل من الهواء ومع ذلك فان هاته الكرة العظيمة الشديدة تخترق كيفما اراد المخترق لها فلم لايجوز ان تخترق الكواكب السيارة السموات على هذا النحو ثم ان هاته الكرة الهوائية نهاية ارتفاع سطحها الاعلا عن سطح الارض نحو ستة عشر فرسخا وهى فى ذاتها تختلف طبقاتها اومافوقها اليس بخلو لانه لايوجد فى الكون خلو مطلق كما هو رأى قدماء الفلاسفة ومتأخريهم كما قرره الحكيم لامروس فى كتابه السابق ذكره فلم لايجوز أن يسمى الشئ المعبر بحد محدود من الفضاء بالسماء ومافوقه من حد آخر بسماء آخر وهكذا وان كنا نجهل حقائقها لكنا نقول انها لاتمنع من سير الكواكب فى مناطقها ومن ذلك الارض فالارض التى يقع بها الاعتبار بالاوجه المتقدمة لايكمل مزيد الاعتبار بما فيها من اختلاف أقطارها حرا وبردا وثمارا وأنهارا وجبالا وسكانا الا بالسفر ومشاهدة عجائب خلق الله فيها

الفصل * الثانى

فيما ورد فى السفر من السنة روى السيوطى فى الجامع الصغير عن ابن السنى وأبى نعيم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم) أنه قال سافروا تصحوا وتغنموا فأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن فى السفر ثمرتين راجعتين الى الجسم زيادة على ماتقدم من الثمرات الروحية (الاولى) هى الصحة لما يشتمل عليه السفر من الرياضات البدنية اذ لايخلو غالبا عن مشقة ولهذا رخص فيه من الرخص ماهو معلوم

فى

في الفروع بقطع النظر عن العلة الباعثة عليه كما هو المذهب الحنفي واتعاب البدن يضر
صحته وأيضا الاستنشاق المسافر الهواء السليم الذى هو أنفع للجسم من الاكل والشرب
لان الانسان لاغنى له عن التنفس فى كل لحظة بخلاف الاكل والشرب لامكان الصبر
عليهما مدة ما (و بيان وجه احتياج الانسان الى الهواء فى كل لحظة للتنفس) هو أن الله *
قدر بحكمته تركب الجسم الانسانى على أبدع وجه وجعل سبب قوامه هو الدم المصفى
من الغذاء فبعد هضم الغذاء فى المعدة تمتص صفوه فى قناتين توصلانه الى القلب بعد
اجتماعهما فى قناة واحدة وهو اذ ذاك فى لون البياض وقبيل الوصول الى القلب يصب
ذلك فى قناة دم الدورة الراجع الى القلب أيضا وللقلب شكل صنوبرى منقسم داخله الى
قسمين يمين وشمال وكل منهما منقسم الى قسم علوى وقسم سفلى و بينهما حاجز فيه منفذ
يوصل بينهما له غطاء ينفتح و ينطبق فالقناة المتقدمة تصب فى الطبقة العليا من القسم
الايسر ومن هناك ينفتح له الغطاء فيصب نقطة فى الطبقة السفلى ثم ينقبض الغطاء
بسرعة ثم نقطة أخرى وهكذا وكلما انطبق الغطاء اضطربت جميع الانباض التى فى البدن
فحركتها تابعة لحركة الغطاء قوة وضعفا سرعة وبطأ ثم يخرج الدم من القسم الايسر
السفلى فى عرق عظيم هو مجتمع عروق الانباض فيصعد الى أعلا ثم يتفرع منه فروع
وهاتيك الفروع تتفرع منها فروع أخر أقل منها حجما وهكذا الى أن يعم جميع أجزاء
البدن وهى عروق الانباض وكلما انتهى نبض الى حده يتلقى الدم منه عرق من عروق
الشرايين التى لا تتحرك وهاته وظيفتها ارجاع الدم الى القلب فتكون عند اتصالها
بالانباض صغيرة الحجم ثم لا تزال تجتمع فتعظم الى أن تصير عرقا واحدا فيصب فى القسم
الايمن من القلب الذى هو مقسوم أيضا مثل الايسر وحركته مثل حركته غير أن الدم يخرج
من الطبقة السفلى منه فى عرقين يوصلانه الى الرئة ولا يخفى أنه أى الدم اذ ذاك قد دار فى
جميع البدن ونقص من أصل كميته بما ترشحه العروق الى اللحم والعظم وقد تغيرت
عناصره فقل منه الاكسوجين وزاد فيه الحامض الفحمى حتى يتغير لونه فيصير مسودا
بعد أن كان أحمر فلو بقى على حالته لضر بقاؤه فى البدن لكن حكمة الله تداركت هذا
الالم بالالطف فجعلت الرئة تجذب الهواء الذى هو مركب فى حالة سلامته الاصلية من
الازوت وهو أكثر اجزائه ولا يضر ولا ينفع الحيوان ذا الدم اذا كان مخلوطا مع بقية
الاجزاء ومن الاكسوجين الذى هو الجزء النافع للحيوان ذى الدم وأقل منه كمية
الحامض الفحمى الضار للحيوان المذكور ومن شئ يسير من الماء حالة كونه بخارا فاذا

دخل الهواء الرئة استرجع الدم منه الاكسوجين الذى فقده ودفع فيه ما عنده من الحامض الفحمى المضر ثم أخرجته الرئة بالتنفس وأخذت هواآ آخر لما ورد اليها من الدم أيضا وهكذا فى كل لحظة وعندما يصفو الدم فى الرئة برجوعه الى اعتداله ينبعث منها فى عرق عظيم ويرجع الى القلب من الجهة اليسرى على نحو ما قدمناه وهكذا (فسبحان القادر الحكيم اللطيف) وبهذا البيان ظهر وجه احتياج الانسان للهواء أكثر من الغذاء واذا علم ذلك علم وجه كون السفر مثمرا للصحة لان الهواء فى الاماكن المسكونة يكثر فيه الجزء الحامض الفحمى المدفوع بتنفس السكان بخلاف الاماكن الغير المسكونة فان هواءها يكون أصفى وانقى من غيرها والمسافر لا بد له من قطع مفاوز وبحار فيستنشق ذلك الهواء الحسن فيصفو دمه ويصح بسببه بدنه كما قال (عليه الصلاة والسلام) وبما قررناه فى التنفس والهواء يعلم وجه كراهة النفخ على الماء والطعام شرعا لان الهواء المنفوخ به يكون حاملا لجزء كثير من الحامض الفحمى الذى هو مضر بالصحة واعلم أن ما قررناه فى حسن الهواء وسلامته للمسافر هو بالنظر الى الغالب الكثير فلا يعترض عليه بأن هنالك اماكن خالية عن السكان ومع ذلك هى وخمة لما يعرض لها من تعفن أو غيره فلا يكون هواؤها سليما لان ذلك قليل والحكم على الغالب (وهكذا) القول فى الغنيمة أى الربح المالى اذ شأن المسافر الاطلاع على أحوال التجارة والسعى فيها فيربح اذا سعى لها ولا يعترض بكون المسافر لا يربح اذا سافر لقصد سياسى أو تنزهى أو بدنى أو غير ذلك اذ مدار حصول الشئ على السعى فى اسبابه

الفصل * الثالث

فيما ورد فى السفر من كلام الحكماء والادباء اعلم أنه قد ورد فى مدح السفر كثير من كلام البلغاء والحكماء فلا نطيل بجلبه هنا ونقتصر على كلام الامام الشافعى رضى الله عنه حيث قال

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد

فقد جمع من فوائد السفر ما تتشوق النفوس الى اكتسابه

الباب ✻ الثانى

﴿فى السفر لغير أرض الاسلام وفيه فصلان﴾

الفصل ✻ الاول

﴿فى النصوص الدالة على الجواز﴾

لاخفاء أن الاعمال بمقاصدها فاما أن يكون السفر لقصد صحيح شرعا كقصد مصلحة عامة أو مصلحة خاصة لامندوحة عنها او يكون لمجرد توسع فى المال وتنزه وعلى كلا الوجهين فالسفر جائز غير انه يختلف حكمه بالنسبة للمروءة وحفظها حتى تبقى العدالة أولا تبقى بانعدام المروءة وها نحن ننقل ما اطلعنا عليه فى المسئلة ففى الفتاوى البيرمية نقلا عن خط الشيخ محمد بيرم الرابع ما نصه سئل جدى رحمه الله عن ركوب البحر والذهاب لدار الحرب هل يسقطان العدالة أم لا فأجاب بما نصه أما نفس ركوب البحر فانه لا يمنع قبول الشهادة الا عند ظن الهلاك وأما الذهاب الى دار الكفر فينظر فيه للسبب الحامل عليه فان كان مصلحة اما عامة للمسلمين أو خاصة بالذاهب كما اذا كان به مرض يحتاج علاجه هنا فهذا لا بأس به ولا تسقط العدالة بسببه واذا كان لغرض التجارة والاستكثار من حطام الدنيا فهذا هو الذى تسقط به العدالة هذا ملخص ما فهم من كلام أصحابنا كما فى الوهبانية وشروحها والله تعالى أعلم انتهى وفى الفتاوى الهندية من كتاب السير بعد أن ذكر أن الرجل لا يخرج للجهاد الا اذا رضى أبواه أو من يقوم مقامهما على التفصيل المقرر هنالك قال وان أراد الخروج للتجارة الى أرض العدو وكرها خروجه (أى الابوان) فاذا كان أميرا لا يخاف عليه منه أو كانوا قوما يوفون بالعهد يعرفون بذلك وله فى ذلك منفعة فلا بأس بان يعصاهما ثم ذكر مسائل تحوم على أن المدار فى الجواز وعدمه على غلبة الظن بالامن فاذا حصل ذلك جاز له السفر ولو بغير رضى الوالدين فتلخص مما تقدم أن السفر الى أرض غير المسلمين جائز كيفما كان القصد على شرط الامن وانما يختلف الحكم بالنسبة للعدالة ولا يخفى أن العدالة مدارها على حفظ المروءة والتنزه عن الرذائل وسفاسف الامور فاذا كان يقتحم الاخطار من السفر المذكور لمجرد الزيادة فى التحسينات كالتنعم بالنظر أو بزيادة المال كان ذلك قادحا فى العدالة وان لم يكن محرما وأما اذا كان

السفر المذكور لغرض صحيح ولو لتجارة محتاج اليها له خاصة أوله ولغيره فهو مع كونه مباحا لا يسقط العدالة أيضا بل له الاجر الاخروى إذا صحح النية وأخلصها التى هى أساس العبادة وقد علم مما مر أن شرط الجواز هو الامن وهذا الشرط لا يختص بأرض غير الاسلام بل هو شرط أيضا فى أى أرض كانت كما فى حواشى الشيخ عبارة على لامية الزقاق حيث قال أثناء الكلام على الامامة ما يفاده أن الانسان ان لم يستطع كف الظلم والمعاصى تجب عليه الهجرة فاذا كانت تجب الهجرة منها فكيف يجوز الاقدام على الدخول اليها والله تعالى يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ثم ان الامن يعلم حصوله وعدمه من الباب الآتى اذ أهل الارض الآن مختلفوا الصفات والاحوال

الفصل * الثانى

فى تطبيق الحكم على سفر العبد الضعيف الى ممالك أوروبا سيعلم من المقصد الوجه الحامل لى على السفر الى ممالك أوروبا وهو اما التداوى بعد العجز عن علاج المرض فى بلادنا أو مصلحة أو ضرورة وكل الوجوه الثلاثة مما يسوغ السفر بلا سقوط العدالة واذا اعتبرنا ما حصل من ثمراته وأقله الحمل على جمع هاته الخلاصة فانى أرجو من كرم الله تعالى أن يعفو عن زلاتى ويعاملنى بمحض جوده وفضله سيما والبلاد التى قصدناها من بلاد الاجانب هى تامة الامن كما يعلم من الباب الآتى

القسم الثاني من
الجزء الاول
من صفوة
الاعتبار

ما شاء الله كان

بسم الله الرحمن الرحيم

❋(الباب * الثالث)❋

﴿ فى تقسيم أحوال أهل الارض الآن ﴾
﴿ وفيه سبعة وثمانون فصلا ﴾

اعلم ان الله جلت قدرته قد قسم الخلائق فى هاته الارض وخالف بين عوائدهم واصطلاحاتهم ولغاتهم وان اتحد الجميع فى أصول الاحتياجات كالطعام والملبس والوازع وقد قرب الجغرافيون سكان كرة الارض من اثنى عشرة مائة مليون الى ثلاثة عشرة مائة مليون وقسموا الارض الى أقسام خمسة وهى (آسيا) و (أوروبا) و (أفريقيا) و (أمريكا) و (استراليا) وهى أقسام اعتبارية اذ الارض واحدة ومافيها متقارب متماثل

﴿ القسم

﴿ القسم الاول آسيا ﴾

اعلم ان القسم الاقدم عمرانا والاكثر سكانا والاشرف معنى لما حواه من كونه مصدرا للديانات الالهية ودارا للرسل (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ومنبع سطوع النور العظيم الحاوى للذات الشريفة المحمدية (عليها أفضل الصلاة وأزكى التحية) هو قسم (آسيا) الشامل لمكة والمدينة والقدس وهو يحده شرقا خليج برنغ والمحيط الشرقى وجنوبا بالمحيط الهندى وخليج فارس والبحر الاحمر وغربا البحر الاحمر والبحر الابيض وبحر مرمرا والبحر الاسود ونهر ردون وجبال أورال وشمالا المجمد الشمالى وهذا القسم يشتمل على عشرين مملكة

الفصل * الاول

﴿ فى المملكة العثمانية ﴾

اعلم ان أعظم الممالك الاسلامية فى هذا القسم هو المملكة العثمانية لاستيلائها على أغلب الممالك الاسلامية التى كانت تقسمت واتحادها تحت سلطنتها ولاشتمالها على الحرمين الشريفين ولان سلطانها هو صاحب الحرمين الشريفين ولامتدادها على ممالك وسيعة اسلامية فى أفريقية كما ان لها فى أوروبا ممالك واسعة فتألف من المجموع مملكة عظيمة تختها القسطنطينية وتسمى فاروقا لفرقها بين أرض آسيا وأرض أوروبا ولفرقها بين البحر الابيض والبحر الاسود فكان لها بهذا الموقع عظيم الاعتبار وسكان هاته القاعدة نحو مليون ونصف وأقسام هاته المملكة هى الاناضولى وفيه آسيا الصغرى والشام والعراق وديار بكر وأرمينية والجزيرة والحجاز واليمن ولها فى أوروبا قسم الروملى ولها فيه ولايات ممتازة وهى ايالة البلغار والروملى الشرقية وفيه جزائر البحر الابيض التى منها ساماله امتياز بجزيرة كريد وسيواس ولها فى أفريقيا ممالك أيضا وهى طرابلس ومصر وتونس وهاتان الاخيرتان لهما امتيازات خاصة فى الادارة وتشتمل المملكة الآن فى الاقسام الثلاثة من الارض على نحو اثنين وعشرين مليونا عدا الممالك التى لها امتيازات فاذا انضم ذلك كان الجميع يناهز الاربعين مليونا والذى يخص قسم آسيا فقط من السكان نحو ستة عشر مليونا وقد ابتدأ تأليف هاته المملكة من سنة ٦٩٩ تحت سلطنة السلطان عثمان فى أرمينية ولا

زالت تعظم الى ان بلغت نهاية السطوة على جميع ممالك المعمور ثم ابتدأت الروسيا في حروبها وتداخلت الدول الاوروباوية تارة بالدفاع عنها وأخرى للرجح منها ولازالت بين الدول لها اعتبار وحكومتها شوروية في الرسم لكنها الآن تحت الحكم العرفي ولم تزل سلاطينها يحضون على الامن في جميع انحاء المملكة وفي جميع انواع السكان الذين أغلبهم مسلمون وهم نحو ستة عشر مليونا وباقيهم أغلبهم نصارى على مذاهب شتى والباقي من ديانات مختلفة ولزيادة توطيد الامن واجراء العدل أسس المقدس السلطان عبد المجيد التنظيمات الخيريه في سنة ١٢٥٧ ثم أكدها ولده السلطان المعظم عبد الحميد بالقانون الاساسي الذي أصدره في سنة ١٢٩٣ وفقه الله لما يرضاه وبقية التفاصيل المتعلقة بهذه المملكة تأتي ان شاء الله تعالى في المقصد وقوتها المالية والحربية تأتي في آخر المقدمة في جدول قوات الدول بحول الله وارادته

الفصل * الثاني

﴿ المملكة الثانية هي مملكة فارس ﴾

وهي مملكة اسلامية قاعدتها ايران وعدد سكانها من الخمسة ملايين الى سبعة ما بين سنيه وشيعيه ولها تقدم في الحضارة وبعض رجال دولتها مهذبون لهم معارف كافية في السياسة ورئيس الدولة يلقب بالشاه وهو الآن الشاه ناصر الدين من آل البيت المطهر وقد التفت الى الاصلاحات التي يقتضيها الحال لما شاهده في أوروبا وغيرها عند أسفاره لها منذ استدعته الدولة النمساويه (في سنة ١٢٩٠) للحضور للمعرض الذي فتحته فأجاب دعوتها كما أجاب السلطان عبد العزيز العثماني دعوة دولة فرانسا لمعرضها (في سنة ١٢٨٧) والشاه المشار اليه زار في سفرته المذكورة الدولة العلية فانه بعد ان وصل الى لندره على طريق الروسيا والمانيا رجع على طريق فرانسا ثم النمسا المدعو اليها ومن هنالك توجه للاستانة ولما علم السلطان بقصده لزيارته أرسل له بابورة جليلة سلطانية لركوبه وجفنين مدرعين بحفانه وأرسل له فيها وزير البحر فركب الشاه البابورة من احدى فرض ايطاليا بعد زيارته لملكها فوصل الى جناق قلعة في يوم الاحد (٢٢) من جمادى الثانية (سنة ١٢٩٠) فأطلقت له المدافع من القلعة واصطفت له العساكر واقتبله هنالك الصدر رشيد باشا في بابورة سلطانية ومعه سفير الشاه في الاستانة والي جزائر البحر

الابيض

الابيض وفي يوم الاثنين لاقاه في بحر مرمرا سفراء الدول في بواخرهم الرسمية ووجوه تجار الفرس في سفينة بواخر أخر ولاقاه هنالك أيضا فرقة من الاسطول العثماني فوصل في موكبه البهي الى الاستانة من يومه وأرسى قبالة قصر بكار بيك المعد لنزوله فأطلقت له المدافع وتوجه السلطان للقائه في الباخرة ورحب به وآنسه وابتدأ مليا والمترجم بينهما ميرزا حسين خان صدر دولة الشاه ثم نزلا معا الى القصر وأطلقت المدافع من جميع الاسطول العثماني ثم رجع السلطان الى قصره بباشكطاش ثم زاره الشاه بعد الاستراحة وآنسه وكان كل منهما متقلدا بنيشان صاحبه وزينت له سائر الدواوين الملكية ومنازل تجار الفرس وحصل له من العناية ما أكد له مزيد الالفة بين السلطنتين ثم عاد الى بلاده وأخذ في فتح الطرق للتقدم لكن السير فيه بطيء ثم عاد الى أوروبا سنة (١٢٩٥) لزيارة معرض باريس على وجه غير رسمي وزاد استبصارا فيما ينبغي اتخاذه وشرع في شيء من التنظيم سنة (١٢٩٦) تداركا لما يحيط به سياج الحفظ لامته ومملكته التي أخذت منها الروسيا اقسما عظيما في أواسط القرن الحالي وهاته المملكة حكمها الآن استبدادي مطلق غيران مالاباعث عليه من الجزئيات يجري فيه الحكم الشرعي الاسلامي والغرباء لهم الامن من جهة الحكم اذا دخلوا المدن العظيمة منها وحلوا فيها ﴿أما غيرها﴾ فلا اطمئنان فيها الا اذا أخذ المسافر وصيات من رؤساء الحكام أو خفراء له ودخل هاته الدولة وخروجها يأتي ان شاء الله تعالى

الفصل * الثالث

﴿ المملكة الثالثة هي مملكة أفغانستان ﴾

وموقعها شرقي فارس وقاعدتها كابل وقد كانت هاته المملكة مقر المملكة الغزنوية ثم السلجوقية ثم استقلت بولاية أحمد شاه في القرن الثاني عشر ثم دخلت تحت السابقة الذكر ثم استقلت في عشرة السبعين بعد الالف والمائتين باعانة الانكليز وسكانها نحو الستة ملايين وقيل ثمانية والاول أقرب أكثرهم أهل بادية وسكان جبال والديانة العامة هي الاسلامية السنية والحكم استبدادي مطلق ولا راحة تستقر فيها لكثرة الثورات وعدم انقياد القبائل ثم تعارض سياستي الروسيا والانكليز فيها حتى اغتر أميرها وحارب الانكليز فوقعت المملكة في قبضتهم وخذلته الروسيا حيث تم لها جل

قصدها من حرب سنة ١٢٩٤ بتسليم الانكليز لها ومن عادات هاته المملكة أن يكون نحو عشر السكان عساكر دفاعية عن الوطن وفيهم المشاة والخيالة وهم غير منتظمين ولا يبقون فى الخدمة العسكرية الا نوبا والاهالى تقوم بهم فان كل مقاطعة أو ولاية عليها مقدار معلوم من العساكر بما يلزمهم ثم هم يقسمون اللوازم على ما يقتضيه الحال فأصحاب الاملاك يقومون بالخيالة وغيرهم يقومون بالمشاة ﴿وأما الطوبجية﴾ فمنهم خيالة ومنهم مشاة وكلهم ملازمون للخدمة والدولة تقوم بهم وتجرى لهم مرتبات وحدث فى جندهم بعض تنظيم على النوع الجديد منذ مدة قريبة وتقدير دخلها مجهول

الفصل * الرابع

﴿المملكة الرابعة هى مملكة بلوجستان﴾

وتسمى سابقا بالسند أى داخلة فيه وموقعها جنوبى المملكة السابقة وعدد سكانها نحو المليونين وهم متفرقون تحت رؤساء شتى وأعظمهم الآن خان كيلات والديانة الغالبة هى الاسلام على مذهب أهل السنة لكن كأنها بالنظر للغالب اسم بلا مسمى حيث كانت الغارات مستمرة بينهم وسفك الدماء يفتخر به سيما فى الاقوام المشركين الذين بقوا فى الجبال فهم لا يبقون هذا للمسلمين وحيث كانت أراضى هاته المملكة رديئة وهواؤها ردىء وتجارتها قليلة لم يرغب فيها الانكليز ورضوا باستمالة رؤساء القبائل اليهم بعضهم بالارهاب وبعضهم بالارغاب وبما تقدم يعلم حال هاته المملكة

الفصل * الخامس

﴿المملكة الخامسة هى مملكة الهند الانكليزية﴾

وموقعها على شاطئ البحر المحيط الجنوبى الهندى وتتوغل فى داخل القارة الى جبال هملاى وهى محاذية للمملكتين الاخيرتين فى الذكر من شرقيهما وهى مملكة عظيمة جدا تشتمل على مايتوف عن المائة والتسعين مليونا من النفوس منهم مسلمون نحو أربعين مليونا وازدادوا فى السنين الاخيرة نحو خمسة عشر مليونا بدخول الاهالى فى دين الاسلام طوعا عند وقوع المناظرات الآتى ذكرها والجميع تحت الاستيلاء الانكليزى غير ان بعضهم لهم استقلال فى ادارتهم الداخلية وهم عدة ملوك وأمراء وعدد هاته الممالك

الممتازه

الممتازة ثمانية عشرة مملكة وسبب استيلاء الانكليز على هاتيك الممالك الرحيبة على وجه الاجمال ان هاتيك الممالك كانت في القرون الاخيرة انقسمت الى امارات وملوك طوائف يتناصرون على مدى الزمان سيما بعد ضعف المملكة الاسلامية هنالك عند انقراض دولة السلطان محمد شاه في أواسط المائة الثامنة هجرية الموافقة للمائة الرابعة عشر مسيحية فمن ذلك الوقت تزايدت المناقشات بين ملوك تلك الاقطار وزاد انقسامهم الى طوائف صغار مع ان نفس أجسامهم وخلقتهم ليست بمستعدة للحروب والاتعاب لانهم أناس نحاف الاجسام فيميلون الى الراحة والتنعم بالملابس الرائقة والمآكل الخفيفة والاستكثار من المال والجوهرات لاسيما أهل الاقطار الجنوبية لحرارة أقاليمهم بقربها من خط الاستواء ولهذا من قديم كانت سلطة الافغانستان متوالية عليهم من غربيهم وشمالهم فداموا على تلك الحالات التي سئمت منها نفوسهم وضجروا أشد الضجر لمباينتها لطباعهم وقد كان أهل البرتغال من الاوروباويين فتحوا السير على طريق رأس الرجاء الصالح من أوروبا الى الهند وتملكوا بعض مراكز في تلك الجهات سنة (٩٠٣ ﻫ و ١٤٩٧ م) ثم قلدهم في التجارة غيرهم من الاوروباويين حتى عقدت شركة انكليزيه للتجارة في الهند وعينت أولا سفينتين عظيمتين شراعيتين ومحتويتين على قوات دفاعية للخوف مما عساه يطرأ عليهما من تجري أهل تلك الاقطار الذين كانوا يجهلون تفصيل أحوالهم لبعد المسافة وطول الطريق الذي هو رأس الرجاء الصالح وكان هذا في سنة (١٠٥٣ ﻫ و ١٦٤٠ م) فنفقت التجارة الانكليزيه هنالك وكثرة خلطة الانكليز بالاهالي وتعرفوا أحوالهم بما سهل لهم التداخل في سياستهم وتداخلوا فيها واليد لتلك الجمعية التجارية الى أن وقعت الحرب بين فرنسا وانكلترا في سنة (١١٥٩ ﻫ و ١٧٤٦ م) فحينئذ ابتدأ النفوذ السياسي وأبطلت الشركة وتسلط الانكليز على بعض الشطوط الهندية مع النفوذ والوجاهة في غيرها حتى ان بنباي أعطيت من الهنود مهر الكاترينه زوجة كارلوا الثاني ملك الانكليز في عشرة الستين وسبعمائة وألف أي حدود سنة ١١٧٥ والممالك التي استولت عليها دولة الانكليز بدون واسطة الشركة التجارية هي الممالك المعروفة بحكومة الخلجان ومنها جزيرة سيلان التي هي في الجنوب الغربي من الهند وسكانها نحو ٢٣٧٥٠٠٠ وكذلك جهات الخلجان فالجميع استولت عليها دولة الانكليز بلا واسطة ولهذا كانت ادارتها هنالك مخالفة لبقية ممالك الهند فلحكومة الخلجان ادارة منفردة تحت حاكم عام له

مجالس شورى ومجالس نواب للنظر فى مصالحهم وتأليف ما يصلح بهم من القوانين وأعضاؤه هم كل ذى وظيفة فى تلك الحكومة من الاهالى وأعضاء أخر من الانكليز يين توظفهم الدولة ثم الرئيس العام هناك يرجع نظره لوزير المستعمرات لا لوزير الهند ويخاطبه بدون واسطة الحاكم العام فى الهند (وأما بقية) الممالك الاخر فقد أخذتها الدولة من الشركة المبارزكرها ولم تزل سلطة الانكليز تتقدم هناك حتى استولوا على بنغالة فى سنة (١٢٧١ ﻫ و ١٨٥٧ م) وازدادت حينئذ السلطة تقويا ونفوذا وامتدت فى تلك الممالك حتى دخلت فى حوزتها جميعها من غير كبير مشقة الى أن حدثت ثورة عامة شديدة هائلة من الاهالى وأوقعوا بالانكليز يين الذين هناك أشد وقعة فى سنة (١٢٧٤ ﻫ و ١٨٥٧ م) حتى آيس الانكليز من تلك المملكة وأيقنوا بتقاص ظلهم منها لولا اغترار الافغانستان ومعاضدتهم للانكليز على قهر الهنود فقهروهم وقتلوا منهم خلائق لا تحصى ومثلوا بهم شر مثلة وعادت السلطة الانكليزية سلطة تامة ولم يحصل للافغانستان الا التسلط على سياسته وممالكته بما لم يستقر معه قرار الى الآن ثم ان الانكليز لقبوا ملكة انكلترا بامبراطورية الهند فى سنة (١٢٩٣ ﻫ و ١٨٧٦ م) وعقدوا له فى الهند موكبا حافلا لم يسمع بنظيره وحضره كل ملوك الهند الذين تحت ولاية الانكليز وحيث كان من العجائب بمكان رأينا أن نثبت هنا ما ذكره أحد مراسلى الصحف العربية فى شأن ذلك الموكب ونصه بينما الناس فى فترة واذا بالانكليز اخترعوا طريقة أنتجت جملة فوائدهم ورعيتهم وهاك بيانها تفصيلا وهى تلقيب ملكة الانكليز بامبراطورة الهند فلهذا أجمعت جمعية عمومية من ملوك الهند ومن أمرائها فى بلدة دهلى التى كانت قبلا تخت ملك ملوك الهند فبعد ان حضر جميع هؤلاء الملوك والامراء وأهل الثروة العظمى ونصبوا خيامهم الفاخرة خارج البلدة كرت الناس من كل فج عميق الى دهلى ما بين متفرج وتابع وما بين تاجر وصانع وعامل الى أن غصت المدينة بالناس وصار المحل الذى أجرته عادة فى الشهر خمس روبيات مائة روبية والعجلة التى تكرى عادة بربع روبية بعشرة روبيات فكأن السماء أمطرت والارض أنبتت بنى آدم فان شارع دهلى عرضه أربعين مترا وكان المار فيه يخشى على نفسه من شدة الازدحام وجل هؤلاء الناس وصل الى دهلى بواسطة سكة الحديد فانها متشعبة فى جميع أقطار الهند كتشعب عروق الجسد وهذه الجمعية الكبرى تسمى بلغة أهل الهند بالدربار فجميع ما شاهدته فى هذا الدربار يعجز لسانى عن بيانه وقلمى عن حسابه

وانما أشرح لك فصلين (أحدهما) فى كيفية دخول حكمدار الهند الى دهلى وكيف
استقبلته ملوك الهند وأمراؤها وكيف مشوا فى صحبته وانقادوا فى موكبه وخلف ركابه
﴿والفصل الثانى﴾ فى صورة الجلسة أى هيئة اجتماع الملوك وكيف ألقى عليهم
خطاب امبراطورتهم وكيف تلقوه بالاحتفال والقبول ﴿أما الفصل الاول﴾ فهو أنه
فى السادس من ذى الحجة سنة (١٢٩٣) بعد الظهر بساعتين اصطفت العساكر
الانكليزية البيض وهم فى أحسن الملابس وبغاية النظام فى الطول والاستواء من
محطة سكة الحديد الى محل قيام الحكمدار وهو مسافة ثمانية أميال وارتصوا من طرفى
السوق الكبير من الجانبين فبعد الساعة الثامنة سمعنا صوت المدافع ايذانا بوصول
الحكمدار وشرع أول الموكب فى المرور وكان أولهم فرقة من خيالة على خيل حمر بغاية
الجسامة على لون واحد وسروج بلون واحد ولباس فرسانها بلون واحد وعددهم نحو
الخمسمائة ثم تلتها فرقة أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل بيض جسام كنظام ماقبلها
ثم تبعتها فرقة أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل شهب فى غاية الضخامة كنظام
ماقبلها ثم أعقبتها سرية أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل بلق كنظام ماقبلها ثم جاءت
أخرى على خيل شقر ثم أخرى على خيل صفر ثم وثم وثم الى أن مر نحو خمسة آلاف خيال
جميعهم بغاية الأبهة ثم أقبلت الطوبجية ومعهم مائة مدفع خلف بعضها فى غاية الضخامة
وحسن النظام وحسن الآلات والعدد مع كبر الخيل وحسن هيئتها ثم أقبلت سرية
الفيلة وأولها فيل عجيب الشكل أظنه أعلا فيل فى أرض الهند ونابا بارزان من شدقيه
نحو ذراعين وعليهما أطواق من الذهب حلية له وعليه تخت جسيم جميعه من الفضة
الخالصة ورخت طويل الى الارض مرصع وعلى ذلك التخت اللورد ليتون حكمدار
الهند وهو رجل ضخم الجسم أحمر اللحية وكان على يساره زوجته وخلفه فيل مثله
فى الحلية عليه بنتان صغيرتان وخلفهم نحو عشرة أفيال أقل من الفيل الاول فى الحلية
وعليهم أتباع ذلك الحكمدار وخدامه ثم أقبلت أفيال أخر نحو العشرة وجميعها بالحلى
الفاخر وعليهم حكمدار مدراس وأتباعه ثم جاءت أفيال أخر نحو العشرة وعليهم
حكمدار بمباى وأتباعه ثم سرب أفيال أخر نحو العشرة عليهم حكمدار لاهور ثم
أفيال أخر عليهم حكمدار السند ثم فرقة أفيال أخر نحو العشرين وهى مركوب
سلطان حيدر آباد وأتباعه ورخت الفيل الاول منها مرصع بالجواهر ثم فرقة أفيال أخر
نحو العشرة عليها راجا جيت برا وزراؤه (وهكذا) ثم أقبلت أفيال خلف أخر عليها

ملوك الهند والراجات وعددهم نحو التسعين وكانوا كلهم خلف الحكمدار بغاية الوقار والرزانة والخضوع والتؤدة ويقال ان عدد الافيال فى ذلك الموكب نحو ألف ومائتى فيل وليس فيها كلها أعلا من فيل الحكمدار (وهكذا) انتهى الموكب الذى لم يسمع بمثله منذ نزل (آدم عليه السلام) على جبل سرنديب ولا أظن أنه سيحصل مثله وكان مبدؤ مروره من الساعة الثانية افرنجية الى الساعة الرابعة واغاقلت ان هذا الموكب لم يسمع بمثله لانا ما سمعنا أن ملكا من ملوك الهند المتقدمين أطاعه جميع النوّاب وجميع الراجات بدون توقف ولا مخالفة ولا توان أو أنهم مشوا خلفه فى موكبه وتحت ركابه وهو جالس بالتعاظم على فيل أعلا من جميع أفيال الدنيا وجميع الملوك ينقادون خلفه مع الادب والتؤدة واذا أمكن لاحد قياصرة أوروبا العظام وملوكها الفخام أن يحشر اليوم عسكرا مثل هذا العسكر ومدافع مثل هاته المدافع فمن أين له ألف ومائتا فيل تنقاد خلفه وعليها تسعون ملكا فوالله لو لم يكن للانكليز فى الشرق فخر الا هذا الموكب لكفاهم (الفصل الثانى) فى صورة الجلسة أى كيفية اجتماع الملوك وكيف ألقى عليهم الحكمدار خطاب امبراطورتهم وكيف تلقوه بالقبول والاحترام وكان ذلك يوم (١٤) ذى الحجة سنة (١٢٩٣) وهيئته نصف دائرة جنوبى ونصف دائرة شمالى وجميعه مسقف بالقماش وبين الشطرين طريق فاصل للمرور فالنصف الجنوبى عليه ملوك الهند أرباب التيجان وهو عبارة عن دكة مرتفعة بدرجتين عرضها نحو أربعة أذرع وطولها نحو مائة ذراع وعليها كراسى الملوك مصطفة بحسب رتبتهم والنصف الشمالى هو قسمان بينهما طريق فاصل وارتفاع الربعين نحو أربعة أذرع وله درجات للجلوس وفى وسط الدائرة دكة مرتفعة نحو أربعة أذرع مساحتها خمسة فى خمسة ولها مرقاة للصعود عليها فهذه الدكة الوسطى جلس عليها حكمدار الهند ووجهه الى جهة الجنوب جهة الملوك والربع الذى على يمينه جلس عليه الانكليز المتفرجون أرباب المناصب والربع الذى على يساره جلس عليه أعيان أهل الهند وأمراؤها غير أرباب التيجان وهم المدعون للحضور وقطر هذه الدائرة نحو مائة ذراع وحولها دائرة أخرى كبيرة خالية عن الناس لها حاجز من درابزين خشب فاصل بين المتفرجين العوام وبين مجلس الامراء والمسافة بين الدائرة الداخلة والدائرة الخارجة نحو مائة ذراع ومن حول الدائرة الخارجة عسكر الانكليز نظاما وخيالة مرتصين فى ذلك الفضاء وعددهم بالتقريب نحو العشرين ألفا وأكثرهم من الانكليز البيض ومسافة ما بين المجلس

وما

وما بين دهلى ستة أميال فى صحراء واسعة بقرب جبل صغير يسمى جبل الفتح فاز الانكليز فتحوا دهلى من هذا الجبل سنة (١٢٧٤) ثم اجتمع الناس المتفرجون من كل فج عميق ما بين ماش وراكب حتى ملؤا ذلك الفضاء فصار من بيده تذكرة العزيمة يدخل فى الدائرة الداخلية ومن ليس بيده تذكرة يقف خارج الدرابزين الخشب ففى الساعة الثانية عشرة أقبل حكمدار الهند وهو لابس من فوق السترة والبنطلون جبة واسعة الاكمام وطويلة الذيل وهى أشبه بالفرجية التى تلبسها كبار العلماء بمصر ولونها رمادى وجميع أطرافها مطرزة بالذهب ومع الحكمدار زوجته ومن خلفهما ابن السلطان لكهنؤ وابن أخى سلطان بنبال فى صورة خادمين فلما صعد على درج التخت رفع الغلامان أذيال جبته عن التراب الى أن استقر فوق التخت فأجلساهما على كرسيين صغيرين خلفه وجلس هو على كرسى مذهب وزوجته على يساره ثم أخرج الحكمدار من جيبه ورقتين أعطاهما لرجل انكليزى جهورى الصوت فقرأ الاولى وهى باللغة الانكليزية ومضمونها ان الملكة لقبت بامبراطورة لهند وان جميع الامم ارتضوا بذلك ثم قرأ الورقة الثانية وهى باللغة الهندية ومضمونها مثل الاولى فعند ختامها قام جميع ملوك الهند وصاحوا بارك الله لها فى هذا اللقب ونحن أيضا جميعا راضون بذلك فأطلقت المدافع من طرف عساكر الانكليز ومن طرف ملوك الهند واشتغلت آلات الموسيقى بأحسن الالحان وانفض المجلس فى الساعة الواحدة فكانت مدة جلوس الملوك نحو ساعة ومدة جلوس الحكمدار وقراءة الورقة نحو ربع ساعة ثم نورت جميع البلدة ليلتين جرى فيهما من ألعاب البارود ما يعجز عن تصوره وكيفية وصول ملوك الهند *
الى الدربار أن كل ملك قدم بعساكره من أبناء جنسه وبمدافعه فلما وصلوا الى محل الجلوس دخلت الملوك وجلسوا على كراسيهم تجاه الحكمدار ووقفت عساكرهم وأفيالهم خارج الدائرة وعددهم نحو التسعين ملكا وهم مرتبون بحسب العدد (وهكذا) المدافع التى كانت تقابلهم بالسلام عند قدومهم أعنى انه عند قدوم ملك حيدر أباد على قلاع الانكليز أطلقوا له واحدا وعشرين مدفعا ولراجا برودة كذلك ومثلها لراجا جيبور وتسعة عشر لراجا كشمير وثلاثة عشر لنواب رامبور غالب على خان لان رتبته بالنسبة لاقرانه هى العدد الثانى والخمسون (وهكذا) يتقهقر العدد فى مدافعهم الى آخرهم وهم نواب دجانة اذ لم يطلق له سوى ستة مدافع فكانت كثرة الاطلاق باعتبار كبر دولتهم وكثرة ايرادهم واتساع دائرتهم بالحرية والتصرف المطلق

❋ وأكثر ملوك الهند من الوثنيين أما المسلمون فلهم خمسة عشر ملكا ثم ان الانكليز
❋ استفادوا من هذا الدربار ثلاث فوائد (احداها) انهم جعلوا أهل الهند وملوكها
رعية لهم برضاهم واختيارهم لا بالسيف وطريق التغلب كما مر فى الازمان السابقة
(الفائدة الثانية) انهم جمعوهم ليختبروا حالهم من جهة المال والقوة العسكرية وهل
عندهم أسلحة جديدة يخشى بأسها أولا فوجدوهم على الحالة الهمجية القديمة
فى الاسلحة وآلات الحرب حتى ان بعضهم كان لعساكرهم البنادق والفتيلى أى المشادلى
وبعضهم يحمل القوس والنشاب والرمح وبعضهم يلبسون الدروع والخود على العادة
الجاهلية فاطمأنوا على قوتهم وعرفوا انهم ماداموا يجهلون الاسلحة الاوروباوية
فلا يمكن للخناس الذى وسوس للصرب ان يوسوس لهم (الفائدة الثالثة) أن تجار
الانكليز ربحوا من هذا الدربار عشرة ملايين ليرة لما حصل عنه من رواج التجارة
ونفاق السلع حتى فاق على معرض باريس فى زمن نابليون حيث جلب اليه من كل
غريبة ونادرة وعجيبة فان عدد تذاكر سكة الحديد التى بيعت الى السفر الى دهلى بلغت
نحو مليون تذاكرة وبعض الوفود رحل من محل بعيد عن دهلى مثل أهل كلكوته
وأهل مدراس وأهل السند وأهل بمباى وأهل بشاور وكان بعضهم يركب فى الدرجة
(الاولى) وبعضهم (فى الثانية) وبعضهم (فى الثالثة) فالدرجة (الاولى) أجرتها نحو
(عشرين) جنيها والدرجة (الثانية) أجرتها نحو (عشرة) جنيهات والدرجة (الثالثة)
نحو (ثلاثة) فاذا ضربت القليل فى الكثير والقريب فى البعيد كان المدفوع من
مليون نفس ثمانية ملايين ليرة وجميع ملوك الهند حضروا ذلك الدربار امتثالا الاوامر
الحكمدار ما عدى ملكة تجاور فاتها اعتذرت بأنها فى حالة الولادة ونواب وأمير
وغالب على خان فانه تعلل بأنه مريض بداء البرص وأنه لا يمكنه الحضور فى مجمع الملوك
لئلا تنفر طباعهم منه (انتهى) ثم زار تلك الممالك ولى عهد مملكة انكلترا واحتفلوا به
❋ وهادوه بهدايا نفيسة ملوكية يأتى الكلام عليها فى الكلام على معرض باريس من
المقصد ثم ان استيلاء الانكليز كما تقدم كان شيئا فشيئا فبعض الملوك والامراء سلموا اليه
السيادة وابقاهم على ولايتهم عند قصده لهم بالحرب وأبقى لهم ما يملكون من المال
والمجوهرات فى خاصة ذاتهم وبعض التصرفات والتصرف الحقيقى بيد الانكليز سواء
كان فى الادارة المالية أو السياسية (وأما العسكرية فالكل صار تحت أمره وكثيرا ما تأتى

العساكر

العساكر الانكليزية لارهاب الولاة والملوك واخضاعهم فالتصرف حقيقة للانكليز
لكن للملوك الأبهة والاسم بحيث ان التصرفات تنسب اليهم بالاسم كما ان بعض
الملوك والامراء طلب الدخول لما رأى العواقب آيلة اليه فلذلك لم تزل الى الآن
ممالك مستقلة بارادتها تحت ولايتهم فمنها ما يؤدي له خراجا ومنها ما يأخذ الملك وحكومته
مقدار ما يكفي للقيام بمصالحهم وما بقي يرجع الى حكومة الهند العامة وتصرفهم على نحو
ما سبق وقد قسم الانكليز الممالك الهندية عدى حكومة الحطان المتقدمة الى
(ثلاثة) أقسام كبيرة فالقسم (الاول) مملكة بنغالة وقاعدتها كالكوته وهي مقر
الحاكم العام ويتبع هذا القسم من الممالك الممتازة بالادارة (احدى عشرة مملكة
فأولها) مملكة نيزام وهي واقعة في وسط أرض دكين بين مملكة بنباي من غربها وبين
مملكة مدراس من شرقها وتخت هاته المملكة مدينة حيدر اباد التي سكانها نحو
أربعمائة ألف نفس والانكليز ساكنون في بلدة صغيرة من غربها تسمى سكندر أباد
وبهاته المملكة بلد تسمى أهور بها معابد عجيبة تحت الارض دالة على مهارة مهندسي
ذلك العصر عندهم وسكان هاته المملكة نحو عشرة ملايين وملكها من الهنود وله
زيادة استقلال في ادارته على ما للممالك التابعة للانكليز ويؤدي لهم خراجا معينا سنويا
وهي مملكة اسلامية (وثانيها) بوندلكند وبها عدة خانات كل خان يحكم على
قبائل وجهات خاصة وعدد سكان هاته المملكة الموزعة على الخانات نحو ستة ملايين
ولكل خان مركزه وتخت حكومته (وثالثها) مملكة بوبول ولها مالك أيضا وسكانها نحو
ستمائة ألف وسبعين ألفا وتختها بوبول (ورابعها) مملكة شنديا ولها مالك أيضا وسكانها
نحو مليونين ونصف وفي هاته المملكة بلدة أوجين التي تعتبرها الهنود مبدأ خط الطول
وتختها كواليور (وخامسها) مملكة هلكار ولها مالك أيضا وسكانها نحو ستمائة
ألف وتختها اندور وهاته الممالك الاربعة الاخيرة في الذكر كانت هي مملكة
المهرجات سابقا (وسادسها) مملكة راجابوتان ولها مالك وسكانها نحو سبعة ملايين
وتختها أوديبور (وسابعها) مملكة بهوبال ولها سلطانة اسلامية بالوارثة للملك من
آبائها وزوجها مباشر للتصرفات بالنيابة عنها وهو رجل عالم كما ذكرنا في غير هذا
المحل وسكانها نحو ستمائة ألف وتختها بهوبال (وثامنها) مملكة لادك ولها أمير
وسكانها نحو مائة ألف وسبعين ألفا من الانفس وتختها لادك (وتاسعها) مملكة
بدستان ولها مالك له زيادة امتياز في الادارة وسكانها من المسلمين وقاعدتها على نهر

السند تسمى اسكر ودو وتسمى هاته المملكة أيضا ببلاد البلتسى (وعاشرها) مملكة كاو ودو وهى صغيرة وعدد سكانها قليل ولها أمير (وحادى عشرها) مملكة سيرمور مثل المتقدمة عليها وتختها نحمين (والقسم الثانى) من الاقسام الكبرى هو ممالك بونباى ويتبعه من الممالك الممتازة خمس ممالك (فأولها) مملكة كاش وتختها بوهج (وثانيها) مملكة كانبى وتختها كانباى (وثالثها) مملكة كوى كووا وسكانها نحو مليون وثمانمائة ألف نسمة وتختها باردوه (واربعها) مملكة ساوندوارى وتختها ساوندوارى (وخامسها) مملكة كولابور وتختها مدينة كولابور (والقسم الثالث) من الاقسام الكبرى هو ممالك مدراس ويتبعه من الممالك الممتازة اثنان (فأولها) ميسورا وتختها ميسورا وسكانها نحو ثلاثة ملايين (وثانيها) مملكة اتراونكور وعدد سكان هاته المملكة مليون وثلاثمائة ألف نسمة وتختها بالداتر يفان ديرام ولكل حاكم مستقل بامتياز فى الادارة على نحو ما تقدم ذكره فما تقدم هى الاقسام الكبرى التى لكل منها أقسام صغرى تحتها وممالك ممتازة ترجع اليها كما انه يوجد أربعة أقسام صغرى ليست داخلة تحت الاقسام الاولى وانما لها ادارة منفردة تحت نظر الحاكم العام الانكليزى وهى أقسام أربعة داخلة بتا تحت الانكليز وادارتها بيدهم مثل الاقسام الكبرى وهاته الاربعة أقسام (أولها) المسماة بولاية الشمال الغربى (وثانيها) المسماة اود (وثالثها) المسماة بنجاب (ورابعها) المسماة بالولاية الوسطى كما تتبع ممالك الهند الانكليزى مملكة كشمير لكنها لما كان لها زيادة امتياز ذكرناها منفردة وسيأتى الكلام عليها والممالك الممتازة ان كانت اسلامية فرئيسها يلقب بنائب لانهم فى السابق كانوا نوابا السلطان المسلمين الذى تخته بالدهلى وان كانت الممالك غير اسلامية فرئيسها يلقب براجا هذا (واما كيفية الادارة السياسية والعسكرية فى جميع الممالك الهندية فان جميع الاقسام ترجع الى حاكم عام انكليزى يرتبط مع دولة انكلترا بواسطة وزارة الهند فى لوندره ثم هو فى نفسه قد وظفته دولته بهذا الاسم فى (سنة ١٢٧٥) ﻫ و (١٨٥٨ م) ورتبت للهند قانونا خاصا فن مهمات كلياته أن الحاكم العام له النظر العمومى على أقسام المملكة كلها وما يتبعها وتصرفه مقيد بمجلس شورى مركب من أعيان الانكليز المقيمين فى الهند ومن أحد كبراء الاهالى وهذا المجلس والرئيس عليه الذى هو الحاكم العام تحت احتساب مجلس الندوة فى لندرة ومسؤل له والواسطة بين الدولة والحاكم العام هو وزير الهند

فى

❊ فى اندره وله فى الوزارة مجلس عدد أعضائه خمسة عشر وكاتبان ومن حقوق مجلس الهند المذكور انشاء القوانين العامة فى الهند وتنظيم الادارة السياسية والعسكرية وانشاء الاحكام العامة وما ينشؤه هذا المجلس اذا وافق عليه مجلس الندوة فى لندره يصير معمولا به فى ممالك الهند ثم لكل من الاقسام الثلاثة الكبرى المذكورة حاكم خاص ومجلس شورى مركب من أعيان الاهالى وأعيان الانكليز تحت رياسة الحاكم ومن وظائف هاته المجالس انشاء قوانين الاحكام الخاصة بقسمهم وعرضها على الحاكم العام وبعد نظره هو ومجلسه فيها والتصديق عليها يرفعها الى الندوة بلندره كما تقدم كما ان للمجالس الثلاثة المذكورة الاحتساب على سيرة الحكام فى قسمهم والنظر على الضابطية المكلفة بالامور السياسية والاحوال العرفية ولهم النظر على الملوك والامراء الراجعين الى قسمهم كما ان لحكام هاته الاقسام المقيد تصرفهم بالمجالس قوة على التنفيذ بواسطة القوة العسكرية ثم لكل قسم ولايات فرعية ومنها الممالك والامارات المستقلة وكل من هاته الولايات لها مجالس ادارة تحت رياسة الوالى أو الامير أو الملك ويتصرف بمشاركة نظر المجلس فى الادارة السياسية والمالية والعسكرية والمتوظفون يكونون بحسب أهالى الولاية اما من مسلمين فقط أو هنديين فقط أو مختلطين والتصرفات الصادرة من هؤلاء سواء كانت حكمية أو سياسية أو مالية يمكن رفعها لمجلس القسم الراجعة الولاية اليه وله تحقيق النظر فى النازلة على قواعد عندهم فى ذلك وهكذا الاحكام الشخصية فى كل ولاية لها مجلس وقوانين يتصرفون بمقتضاها وهاته القوانين قواعدها الكلية هى قواعد احكام الانكليز غير أن لكل ولاية قوانين خاصة مطابقة للعوائد والعرف المتعارف فيها أما ما يرجع الى الزواج والارث والملك فان الاهالى تجرى عليهم أحكام ديانتهم بواسطة مجالس من أهل الديانة ويمكن رفع أحكامهم الى مجلس الولاية ومنه الى غيره الى ان ينتهى الى المجلس العام والديانات التى لها متوظفون هنالك من الدولة هى الديانة الاسلامية والبرهمية وما أشبهها من الديانات المجوسية والوثنية ولهم

❊ خرافات مبسوطة فى كتب الكلام والسكان الآن مختلطون من عرب وفرس وأوروباويين وهنود أصليين والمعارف عندهم الآن فى تقدم سيما العلوم الكيماوية والحكمية لفتح الانكليز هنالك المدارس مشتملة على ما فى أوروبا من المعارف واقتدت بهم الاهالى حتى ضعفت تجارة الانكليز بما ينتج من مصنوعات البلاد والعلوم

❊ الاسلامية نافقة السوق ولها فحول مؤلفون منهم سلطان جهوبال الذى طبع الآن

من تأليفه فى مطبعته ومطابع الممالك العثمانية كثير من تآليفه فمنها تفسير للقرآن سماه فتح البيان فى مقاصد القرآن نحا فيه التوسط بين المنقول والمعقول ومنها المحصول فى علم الاصول ومنها القطة العجلان فيما تمس الى معرفته حاجة الانسان وهو كتاب بديع فيه تحرير كثير من المسائل الاصولية والكلامية والفرعية وله عدة تآليف أخرى وهذا العالم الملك هو من نوادر هذا العصر فانه مع اشتغاله بمهام السياسة التى تقلدها بالنيابة عن زوجته سلطانة تلك المملكة قد تبحر فى الفنون العلمية سيما الشرعية وآلاتها وفصاحته فى نسج تآليفه يحمده عليها أهل اللغة العربية وعلى الخصوص فى هذا الزمن الذى كادت أن تتلاشى فيه اللغة والعلوم من الامة الاسلامية ومن فحول علمائهم فى هذا العصر الشيخ العلامة رحمة الله صاحب تأليف اظهار الحق الذى ألفه بسبب مجادلات دينية فتح بابها قسيسو البروتستانت راغبين دعوة أهل الهند المسلمين الى ديانتهم فأفضى الحال الى مناظرتهم مع الشيخ المذكور وآل الحال الى مناظرتهم بالتآليف فأفحمهم بتأليفه المذكور مستندا فى الرد الى كتبهم وأقوال علمائهم بما ينبئ عن اتساع باعه واطلاعه وهذا التأليف قد ترجم الى الفرنساوية وغيرها من اللغات وهو بديع فى بابه وقد صار الآن عزيز الوجود مع انه طبع مرتين وشاعت منه آلاف من النسخ وفى هاته المملكة علماء أخر (ولله الحمد) كما أن لاهاليها تقدما فى الحذق والصناعات سيما النقش والترصيع فى الخشب والعاج من قديم الزمان ومنسوجاتها وطرازها شائع فى أغلب الاقطار كما أن أهاليها هم الذين اخترعوا الارقام الحسابية ولذلك تسمى بالارقام الهندية الى الآن وهو اختراع عجيب تمل جميع الاعداد فى تسعة أشكال ويكفى دلالة على ما كان عندهم من الحذق فى الصنائع المعابد التى فى جزيرتى الفيلة وسالسيت الكائنتين قرب بنباى فان تلك المعابد منحوتة فى الصخر نحتا عجيبا فى الصناعة والاتقان كما أنه فى ايالة بجابور فى جبل نحات مدينة فيزيابور التى كانت تختا لملك المسلمين هنالك وفيها بناآت بديعة والآن خربت وهاته المملكة لما كانت متسعة جدا فهواؤها مختلف ولكن تغلب فيها أمراض تقل فى غيرها وتشتمل على أغلب النباتات المعروفة فى غيرها ولها نباتات تختص بها كالقمارى والجوز الطيبى وغيرها وقد امتدت فيها الآن طرق الحديد تخترقها فى أغلب الجهات كما أن المواصلات فى أنهرها العظيمة متوفرة بالسفن كما أن الطريق الحديدى اخترق أهم جهاتها ودونك أهم ما وصل اليه فرع من كلكوته الى دكة ومنها الى ميرزابول ومنها أيضا الى دهلى ومنه الى أبادالى

بنباى

بنباى ومنها الى كوراتشى ومنها أيضا الى مدراس ومن هاته الى بيبول ومنها الى نيفاباتام ومن مدراس الى كالكوته ومن كوراتشى الى حيدرأباد ومن ملتان الى لاهور ومنها الى بيشاور ولازالوا يمدونها فى أغلب الجهات حتى قربت الى حدود الافغانستان ويمكن ان تصل الى الصين والممالك العثمانية اذ التفكر فى ذلك مستقر بحيث ان السفر الآن فى الهند مع الامن فى غاية سهولة الموصلة بالطرق الحديدية والعادية والانهر والترع كما ان السلك الكهربائى واصل بعضها ببعض كما وصلها بأوروبا بحيث ان انكلترا تصل لها الاخبار من الهند على ثلاثة طرق (فاولها) من الهند الى خليج فارس الى الممالك العثمانية الى بقية أوروبا (والثانى) من لندره الى جبل طارق الى مالطه الى السويس الى عدن الى الهند (والثالث) من لندره الى فرنسا الى الجزائر الى مالطه الى البقية مما تقدم ولا يبعد أنه يصل أيضا على طريق رأس الرجاء الصالح فانه وصل من لندره الى هنالك ومنه الى زنجبار فلم يبق الا منها الى الهند ومن أخشابها المنفردة بها عود القمارى وأما قوة هاته المملكة الحربية والمالية فستأتى ان شاء الله فى جدول الدول

الفصل * السادس

﴿المملكة السادسة﴾

هى مملكة بورما وهى الى الشمال الشرقى من المملكة السابقة وعدد أهلها نحو ثلاثة ملايين ونصف وديانتهم بوذية مشركون وحكمهم استبدادى مطلق وهم أهل مكر وخديعة وليس لهم ولوع الا بعلم النجوم والارصاد والسحر وأكثرهم يعلم القراءة والكتابة ولاراضيهم نتج حسنة وتجارة واسعة مع مجاوريهم من الهند والصين وقاعدة المملكة مدينة آفا فى القديم والان مدينة مندلاى والداخل اليهم يكون فى قبضة البخت من حكامهم وان كان الانكليز فى هاته الازمنة مرشدا اليهم بعد أن أخذ منهم قسما فى سنة (١٨٢٥) وقد صار يأمرهم بالعدل حتى انكر على ملكهم فى سنة (١٢٩٦) قتله لثمانين نفسا من الرجال والنساء والاطفال شرقتلة وهم من عائلات الملك وكان ان يعقد معه حربا لاجل استتباب الامن جوار الهند ودخل هاته الدولة ونحوها مجهول وقوتها من النوع المعى وكأنها لا تلبث ان تدخل فى حكم الانكليز

الفصل السابع

﴿المملكة السابعة﴾

مملكة سيام اوصيام وهى جنوبى المملكة السابقة وشرقى بقية المملكة الهندية الانكليزية وعدد أهلها مع ما يتبعها فى جزيرة ماقاو وغيرها نحو ستة ملايين ونصف ودياناتهم وحكمهم مثل المملكة السابقة ومعارفهم أقل من سابقيهم لكنهم يوصفون بالامانة وتجارتهم من معادن بلادهم الغنية مع الهند والصين والاوروباويين وقاعدة المملكة صيام فى القديم والآن مدينة بان جوك والدخل والخرج والقوة كلها مجهولة وهى فى القوة على غير نظام

الفصل الثامن

﴿المملكة الثامنة﴾

هى مملكة كوشين الصين أو أنام وهى شرقى المملكة السابقة وعدد أهلها قبل استيلاء الفرنسيس على قسم منها ما بين اثنى عشر مليونا الى ستة عشر مليونا لكنها الآن نحو تسعة ملايين وقاعدتها مدينة اووى و باسان الهنود فوشواش وقيل وهو الاصل مدينة هو يفوو وهى مربعة الشكل يحيط بها نهر وهو من جانبين وترعة من الجانبين الآخرين عرض هذه الترعة سبعون ذراعا وكل ذكر عندهم ملزوم بالدفاع عن الوطن من سن العشرين الى الستين ولهم خلق بشوش ولبس النساء والرجال سواء وهو سراويل وجبة الى الكعب والرجال لا يزيلون شيأ من شعورهم واغايربطونها ومن عاداتهم اباحة السكر ولا ديانة عندهم وانما يعتقدون خرافات كثيرة والنسوة لا يحتجبن و يتعاطين الاشغال مثل الرجال وملكهم له اعتناء بتعليم الاهالى العلوم الرياضية و يرسل خمسة عشر تلميذا من أبناء أعيانهم الى فرانسا للتعلم فى مدارسها وعند رجوعهم يعوضهم بغيرهم وهم يبثون علومهم فى الاهالى و بعد استيلاء الفرنسيس على قسم من مملكته صار محافظا على موالاتهم وحفظ عهودهم حتى ارسل سفيرا مخصوصا لباريس مدة ولاية الرجل الشهير تيارس رياسة الجمهورية الفرانساوية كما رتب هذا الملك جيوشه

على

على الطراز الاوروباوي وستأتي قوته العسكرية في جدول الدول وأما المالية فمجهولة ❀ وأما العادات الحكمية فلا تخرج عن عادات الممالك السابقة

الفصل ❀ التاسع ❀

❀(المملكة التاسعة)❀

مملكة كمبوديا وهي غربي بعض المملكة السابقة وجنوبي بعض صيام وعدد أهاليها نحو ❀ مليون وقاعدتها مدينة سايكون في القديم والآن مدينة بنومبنه ويقال في ديانتهم وحكمهم وقوتهم ماهو واقع في الممالك المجاورة لهم وقد استولى الفرنسيس على قسم من هاته المملكة عند مصب نهر كمبوديا وقد صارت هاته المملكة تحت حماية فرانسا منذ سنة (١٢٨٠ هـ و ١٨٦٣ م)

الفصل ❀ العاشر ❀

❀(المملكة العاشرة)❀

هي مملكة ملقا وهي شبه جزيرة الى الجنوب من مملكة صيام ويحيط بها البحر من جميع بقية الجهات وعدد أهاليها نحو ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألف نسمة والديانة الغالبة فيها ❀ هي الاسلام وحكمهم الصوري ملك مستقل مستبد لكنه قليل النفوذ وأغلب القبائل تعيش بحريتها تحت رياسة كبرائها وكل قبيلة تدافع عن نفسها ولذلك يعدها الجغرافيون منقسمة الى أربعة قواعد (الاولى) براك (والثانية) سلانكور والثالثة) جوهر (والرابعة) باهنك وأراضيهم غير مخصبة لكنها ذات معادن غنية وأشجار الافيون كثيرة فتجارتهم فيه مع الصين واسعة وقد استولى الانكليز على جهات من هاته المملكة منها مدينة ملقا

الفصل ❀ الحادي عشر ❀

❀(المملكة الحادية عشرة)❀

هي مملكة الصين وهاته المملكة هي أكثر ممالك العالم سكانا وأغناهم لاحتوائها

على أقاليم مختلفة ففيها جميع أنواع النبات والمعادن وتجارتها متسعة مع جميع الاقطار
ولاهلها شهرة قديمة فى الصنائع وأهمها صناعة الخزف فانها اشتهرت باتقانه على
جميع النواحى فيتنافس الناس فى اقتناء أوانى الخزف الصينى تنافسا كليا وبعضهم
يبلغ به درجة خارقة للعادة وللاعتدال سيما فى أوروبا حتى تجد الواحد منهم يزين بيته
بترصيف تلك الاوانى التى تتكلف عليه بمئات الالوف وكذلك ملوك الهند وماوالاه
يتنافسون فى اقتناء الرفيع من أوانى ذلك الخزف وقد يبلغ ببعض الناس اشتراء صحن
واحد بالف فرنك فما فوق وعلى وجه العموم كل الناس يرون رقته وحسنه غير أن هاته
الصناعة الآن انحطت فى هاته المملكة عما كانت عليه بكثير لعدم الاتقان السابق
فالتنافس والتغالى انما هو فى الخزف القديم وله صفات كثيرة تميزه عن غيره فمنها انه هو
وان كان كثيفا لكن النور يظهر من ورائه ومنها أنه اذا ضرب عليه يكون حسن
طنينه كانه طنين معدن مطرق من المعادن العزيزة ومنها حسن الالوان فيه كما انهم
لهم اتقان فى صناعة النقش والتصوير فى سن الفيل وغيره (واما المعارف والعلوم)
فالظن انهم كانت لهم فى القديم فنون كثيرة وبقيت فيهم الدعوى فقط بحيث يرون
انفسهم أعلم أهل الارض لكن فى الواقع ليس لهم الا شئ من الحكميات والنجوم
مغرمون باستخدامه فى علم الغيب وأشباهه مما لا طائل تحته وحدث فيهم أخذ
بعض الطبيعيات من الاوروباويين واستخدموها فى منافعهم كالبخار والكهربا لكن
لم يتجاوزوا الى الآن المقدار الذى أخذوه ولم يخترعوا شيأ فيه وقد كانوا اكتشفوا
بيت الابرة وقد أثبت بعض المؤرخين أنها من اختراع العرب كما أن أهل
الصين اخترعوا البارود ولم يعرف انهم استعملوه فى حرب قبل استعماله فيها عند غيرهم
وانما كانوا يستعملونه للاصلاح كدك التلال وغيره وان وجد من آثار سلاحهم
قديما ما يدل على انهم كانوا يستعملونه فيه واول ما عرف البارود فى جهاتنا من
العرب سنة (٧٣٧) هجرية وموقع هاته المملكة من مبدأ الشطوط الشرقية من آسيا على
المحيط الشرقى الى ان تتصل باملاك الروسيا ومن الجهة الجنوبية تبتدئ من جبال
همالاى الى سيبريا من جهة الشمال فهى حينئذ تحاد الهند من شماليه وماوالاه
من الممالك الشرقية منه وعدد سكان هاته المملكة نحو الثلث من سكان العالم كله وهم
على ماتحرر فى سنة (١٢٨٦ هـ و ١٨٦٩ م) قريبا من خمسمائة وسبعة وثلاثين مليونا
من النفوس وهذا المقدار يساوى نحو الضعف من سكان أوروبا كلها ومع هاته الكثرة التى

هم عليها كانوا فى السالف لا تكاد تجد منهم خارج مملكتهم الا النادر القليل لاعجابهم بأنفسهم ولان اصطلاحات أحكامهم تمنع الخروج من الوطن الا باذن خصوصى مع التشدد فيه حتى يتبين وجه أكيد لمريد السفر ثم مع ذلك اذا غاب المسافر عن وطنه مدة ثلاث سنين يمنع من العود اليه والدخول فيه كما ان من احكامهم منع دخول أجنبى الى أرضهم الا برخصة مخصوصة فاذا نالها كان أينما حل مكرما محروسا (وأما) اذا دخل بغير رخصة فلا يأمن على نفسه سيما من الحكم وقد بقوا على هاته العوائد الى أواسط هذا القرن ثم اطلق الاذن لمن يريد السفر فصار يخرج منهم الكثير الى الهند وجزائره والى امريكا والخارجون لهم براعة فى التجارة وتكاثر الخارجون لضيق الارض بهم حتى انهم فى وطنهم يضطرون الى السكنى على الالواح فى الشطوط بل انهم يجعلون على الالواح بساتين لان الارض لا تكفيهم لكثرتهم واتقانهم لتعميرها بالفلاحة حتى انهم يعملون من أنواع السرقين ما لا يعلمه غيرهم الى الآن وهذه المملكة تنقسم الى ثمانى عشرة ولاية تسمى كل واحدة منها بلغتهم سنفا (وأولها) المحتوية على تخت السلطنة تسمى باكنغ أو باأوتاشى أوبى ويبلغ عدد سكانها اربعين مليونا ثم ان كل ولاية تنقسم الى أوطان يقال للواحد منها بلغتهم فو وكل وطن من هاته ينقسم الى أجزاء يسمى كل واحد منها تشيو ثم كل جزء ينقسم الى اقسام متعددة صغار تسمى هيان وكانوا يمنعون اقامة نواب الدول الاجانب فى مملكتهم فضلا عن قاعدتها وحيث كانت دول أوربا فى هاته القرون الاخيرة لهم مزيد الاعتناء باتساع تجارتهم طلبوا من تلك الدولة الاذن لتجارهم بالاشتغال فى المملكة والاقامة بها كما يقيمون سفراءهم عندها وبعد مشقات شديدة حصلوا على الرخصة فى وفود تجارهم لكن بخصوص مراسى معلومة على البحر وكذلك السفراء على شرط أن لا يبيت أحد منهم فى البلد أو فى البر وانما يبيتون فى سفن حول الشاطئ ثم فى أواسط هذا القرن أرادت الدول زيادة اتساع المخالطة والتقدم فى الالتحام بأن يكون لتجارهم الدخول الى دواخل المملكة مع التعهد من الدولة بحمايتهم وان يكون سفراؤهم يقيمون فى قاعدة المملكة وحيث كان أهل الصين أشد الناس محافظا على عوائدهم امتنعوا من ذلك وجرت من تجاسر الاوروباويين مهاوش قتل فيها منهم كثير ممن وجد فى مراسى المملكة مخالفا لما أذن له فيه فتعصبت حينئذ دولتا انكلترا وفرنسا على محاربة الصين وحاربوهم فما كانت بضع أشهر حتى وصلت عساكر أوروبا الى قاعدة المملكة وعقدوا صلحا على نحو ما طلبوا وبهذا يتبين للمطالع حالة أهل المملكة فى

الشجاعة والفنون الحربية لانهم مع كثرتهم المفرطة قهرتهم دولة الانكليز والفرنسيس بعساكر قليلة لما لايخفى من كثرة البعد بين أوروبا والصين سيما وقد كان ذلك قبل فتح خليج السويس الذى سيأتى الكلام عليه فى المقصد ان شاء الله تعالى فكان طريق الوصول انما هو رأس الرجاء الصالح نعم ان لكل من الدولتين مراكز حربية فى الهند لاسيما دولة الانكليز التى مملكتها فى الهند أعظم من مملكتها فى أوروبا لكن هى لم بلغوا ما بلغوا فلو كانت دولة الصين على كثرة سكانها لها الاستعداد الحربى مع الرجولية فى السكان لامكن لهم الفيضان على جميع العالم فضلا عن المدافعة عن نفسها وكان السبب فى عدم اقتدارهم كثرة استعمال الافيون الذى هو مصيبة عامة فيهم وتبالغ بعضهم مبالغ نسئل الله تعالى منها اللطف والحماية غير ان هاتيك الخلة لا تعم جميع

* أقسام المملكة وذلك ان هاته المملكة الرحيبة تنقسم الى ثلاثة أقسام كبرى (الاول) منشوريه وهو الجهة الشمالية الشرقية من المملكة (الثانى) المقاطعات الثمانى عشرة وهو الجهة الشرقية والوسطى من المملكة وهو الصين الاصلية وتغلب عليه أهل القسم الاول ثم تغلبوا على القسم (الثالث) وهو الاملاك الاضافية مثل المنغول والتبت وغيرها وصارا لجميع مملكة واحدة معروفة بالصين فأهالى الصين الاصليون هم الذى تغلب فيهم الصفة المتقدم ذكرها وأما المنشوريه والمنغول وغيرهم فانهم اقوياء واشداء لاسيما التتر المنغولى (ولهذا) كانت السلطنة لغير الصينيين الاصليين ولما تفطنوا فى السنين الاخيرة لما لحقهم من قهر الاوروباويين لهم مثل ما تقدم من جهة انكلترا وفرنسا ومن جهة أخرى قهر الروسيا لهم من جهة الغرب الشمالى وحمايتها لبعض ممالك التتر المنغول منهم جدوا الآن فى الاستحضارات الحربية حتى روى بعض الاوروباويين عنهم انهم احدثوا ترتيبا فى القوات الحربية يمكنهم من احضار خمسة ملايين من العساكر تحت السلاح وشرعوا فى الاستكثار من الآلات الحربية وجلبوا من أوروبا على الطراز الجديد كما فتحوا معامل فى ممالكهم لاجل ذلك وكذلك القوات البحرية استحضروا منها فى ممالكهم معامل لاجل السفن والمدرعات والتروبيد واستصنعوا فى أوروبا كثيرا منها فان تم استحضارهم على نحو ما تقدم يمكن ان يصيروا

* على حالة الهجوم بقوات مجمعة (واما الديانة) فانهم ليسوا على دين واحد بل على (ثلاثة أقسام) كبرى ﴿أولها﴾ واقدمها الدين الذى أسسه حكيمهم المسمى عندهم بو وقيل انه كان أول سلطان فى عائلة هيا وذلك قبل هذا التاريخ بنحو أربعة

آلاف

آلاف سنة وعقائد هذا القسم وفروع عباداته لهم فيها تآليف يعتبرونها كأنها كتب سماوية وفي القرن السادس عشر قبل التاريخ المسيحي هذب لهم تلك الديانة حكيمهم المسمى كنفوتسي ومضمون هاته العقائد الاقرار بالخالق سبحانه وتعالى وبالحشر ومن أخلاقهم السماحة ولا يغصبون على ديانتهم أحدا ولا يحتقرون ديانة من خالفهم ﴿القسم الثاني﴾ هو الدين الذي أسسه حكيمهم لاوتسو ومضمون عقائدهم القول بالتناسخ وعدد أتباع هذا الدين نحو مائة مليون ﴿القسم الثالث﴾ الدين الذي أسسه حكيمهم المسمى فواوصا كيا أو بدهة ويعرف بالمذهب البدهي وكان أول ظهوره أواسط القرن السابع قبل الميلاد وعندهم من الكتب تآليف عديدة منقسمة الى مجموعين (احدهما) يقال له عندجور وهو مائة وثمانية مجلدات والثاني يسمى دندجور وهو مائتان وأربعون مجلدا ويوجد من كل منها نسخة تامة بمكتبة باريس الكبرى قيل ان المجموع (الثاني) اشترته دولة الفرنسيس بأربعين ألف فرنك كما انه يوجد أقسام أخرى من الديانات كالبراهمة وغيرهم من عبدة الاصنام أو النصارى واليهود والديانة الغالبة فيهم هي البوذية وهي نوع من الوثنيين كما أن فيهم معظما من المسلمين يبلغ الى ما ينيف عن الستين مليونا فمن هؤلاء نحو أربعين مليونا متفرقين في الممالك أصلهم من الاهالي ومن العساكر المسلمين الذين جاءهم ملك الصين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حيث ثارت عليه رعاياه فاستنجد بالخليفة على ان يؤدي اليه معلوما اذا أنجده فأرسل له أربعة آلاف من صناديد المسلمين وقهر بهم رعاياه وجازاهم عن ذلك بجواز الاقامة في مملكته مع جواز التزوج ببنات الاهالي ومصاهرة الاعيان واعطائهم ما يحتاجون اليه فأقاموا على شروط وهي استقلالهم في ادارتهم الخصوصية وعباداتهم واشهارها فأجازهم مطالبهم لكن فرقهم على المدن العظيمة في مملكته وصار في كل مدينة مدينة مستقلة بالمسلمين على حسب كثرتهم وقلتهم مستقلين في أحكامهم الخصوصية مشهرين لشعائر الدين ولهم قضاة وأئمة بحيث لا يتداخل فيهم الحكم الصيني الا في عموم السياسة ومنهم في مدينة باكين قاعدة المملكة نحو عشرين ألفا ولهم جامع ضخم قديم حسن جدا ويسمونه بلغتهم هوي هوي ومساجد أخرى نحو العشرين منها اثنان لاهل الشيعة حيث حدث فيهم هذا المذهب في القرون الاخيرة وأغلبهم أهل سنة على مذهب أبي حنيفة وكذلك بقية المسلمين في الصين مثل ما ذكر من القسمين ومن عادات هؤلاء المسلمين أن ينشروا في رأس كل سنة تقارير تشتمل على بيان أوقات الصلاة مكتوبا

بأعلاها من أركان الاسلام الخمس كلمة الشهادة والصلاة والزكاة والصوم ولا يذكرون الركن الخامس وهو الحج قال بعضهم ان علماءهم أسقطوا ذلك لعدم تحمل مشقة الطريق لبعد مسافة الحج عندهم وأظن ان علة منع الخروج من ممالكهم هي الباعث على ذلك والا فليست مملكة الصين بأشق في السفر من أهالي سمطرا وأقصى الغرب ودواخل السودان فجرت على ذلك عادتهم ولو بعد انتفاء المانع وسهولة السفر بحرا في البواخر ومن عاداتهم أيضا أن يكتبوا على أبواب الجوامع خواى خوى ثانغ أى محل الجماعة الاسلامية وأن يكتبوا تسين جسن سواى معبد الاله الحقيقى ويسمون علماءهم لاوجوفو أى المعلم الاكبر وأما أهل الصين فيسمون جوامع المسلمين ليطاسواى محل العبادة الاسبوعية وحيث كان الدين الاسلامى لا يجوز مناكحة المشركين أسلم كثير من نسائهم بل وعائلات النساء وتزوج بهن المسلمون وتناسلوا الى ان بلغ عددهم نحو الاربعين مليونا في هذا العصر ولم يزالوا على الاستقلال الادارى حتى حكى طرفا منه ابن بطوطه وهم عليه الى الآن ومن المسلمين أيضا أقسام في الجهة الغربية والغربية الشمالية من المملكة فهم المجتمع والمفترق وتسلطت على ممالكهم دولة الصين ولا يزالون ينتهزون الفرص للخروج عنها فتارة يتمكنون من ذلك وتارة تعود للاستيلاء عليهم مثل مملكة كاشغار في الجهة الشمالية الغربية فقد استقلت تحت ملك في عشرة الثمانين ومائتين وألف وهو الامير يعقوب خان الذى ولد في جوار تشقند وحصل العلوم في سمرقند واشتهر في أعظم مدارس بخارى مع مهارة في السياسة أهلته لان يكون مشيرا مطاعا عند أمير خوقند وأرسله حاميا لهاجمات الروس على قلعة أكمشيت ثم توجه الى كاشغار للحرب مع الصينيين وحصل على انتصار عظيم أورثه شهرة وثقة من المسلمين به هنالك وطمع في تعويض مملكة سلطنة الصين بمملكة اسلامية وكسرهم جيشا فيه أزيد من مائة ألف مقاتل واستولى على جهات معتبرة حتى ارتعدت منه مملكة الصين في سنة (١٢٩٣) وحيث كان بين عدوين مال الى مسالمة الروسيا وعقد معها معاهدة تجارية ورام احكام وحدة الاسلام فبايع بالخلافة للسلطان العثمانى وتلقبه الدولة العثمانية بالامير أدبامع الخليفة وجلب هو من قاعدة الخلافة معلمين للفنون الحربية والصناعات الهندسية ونظام الجيوش فاخترمته المنية قبل رسوخ المملكة وتناحر بنوه وقسموا المملكة فانتهزت دولة الصين الفرصة واستولت على الجميع والى الآن أحوالها مضطربة (وهكذا) أنشأت دولة اسلامية في أواسط الصين بميل الى الغرب تحت

سلطنة

سلطنة رجل يسمى السلطان سليمان فى حدود السنين المذكورة وجعل قاعدة مملكته مدينة طليفة وانشاء السلاح فى ممالكه وطلب التعرف به من الدول وانه متسلطن على نحو الستين مليونا من مسلمين وغيرهم فلم يكن الا حلما وانتزعت منه السلطنة (ومن عجائب) مملكة الصين السور العظيم الذى يبتدئ من الشطوط الشرقية ويمتد بوسط المملكة الى حيث العرض اربعين درجة شمالية والطول تسعة وتسعين شرقيا فمجموع طوله نحو ألف ومائتين وخمسين ميلا وسمكه من الاسفل نحو خمسة وعشرين قدما ومن أعلا نحو خمسة عشر قدما وارتفاعه ما بين خمسة عشر الى عشرين قدما وفى أماكن منه حصون يبلغ ارتفاع بعضها الى اربعين قدما وهو مبنى بالحجارة والآجر والقرميد وبعض أماكن طين فقط بناه بعض ملوكهم قبل التاريخ المسيحى بنحو مائتى سنة وعشرين سنة قاصدا به رد المهاجمات على المملكة الصينية الاصلية من المغول والقبائل الشمالية ولم يجده نفعا اذهم الذين تسلطوا على المملكة والسور الآن خراب فى جهات كثيرة وقد غلط من توهمه السد الذى بناه ذو القرنين لمنع فساد يأجوج ومأجوج محتجا على ما يقول بان ليس فى الارض سور ذو عظمة غير ذلك ورد قوله ظاهر لان الصفات المذكورة فى القرآن للسد غير الصفات التى عليها ذلك السور ثم ان صفات يأجوج ومأجوج المذكورة فى النصوص المروية غير موجودة فى أولئك الاقوام ودلت النصوص أيضا على ان ذلك السد يدك قرب الساعة وتحدث منهم حوادث لم تظهر الى الآن فلا يكون حينئذ ذلك السور هو السد ولا يخفى ان بعض الاروباويين الآن لهم دعوى مثل بقية البشر الغير متبصرين من العجائب بما هو عليه وادعاء بلوغ النهاية فى العلوم حتى انهم انكروا وجود السد لدعواهم ان كرة الارض صارت الآن معلومة ولم يجدوا فيها السد فهاته الدعوى هى فى الواقع مبالغة منهم وانما يقال ان اكتشافهم الآن للكرة أكثر من اكتشاف الامم السابقين الذى وصلت الينا مؤلفاتهم وان احتمل اطلاع غيرهم على ما اطلع عليه الآن أو اكثر لكن لم نجد لذلك أثرا ولا يلزم من عدم وجود الدليل انعدام المدلول أما الاحاطة بجميع كرة الارض وعلم جميع ما فيها فهو غير مسلم لوجوه منها ان جميع علماء الجغرافية نصوا فى تآليفهم أن جهة القطبين لم يمكن الاكتشاف عليها الى الآن وان المجهول جهة القطب الجنوبى أكثر من المجهول جهة الشمالى لانه اى الجنوبى أشد انحرافا عن وصول الاشعة الشمسية اليه مستقيمة ومنها ان الاكتشافات لازالت تنمو اشيأ فشيأ فانه منذ أربعمائة سنة لم تكن أمريكا معروفة وكان علماء ذلك

العصريون أن ماوراء شطوط القارات القديمة انما هو بحر صرف حتى ان من ضمن
في وجود عمران وراء ذلك سخر وامنه تارة واضطهده جهلاء علماء الديانة تارة أخرى كما
يأتي الكلام عليه في أحوال أمريكا ثم تبين بالواقع وجود ذلك العمران الذي يحسب
﴿القسم الثاني﴾ من أقسام الارض ثم منذ سنين سنة اكتشفت استراليا التي هي
القسم الخامس من القارات ولازالت الاكتشافات متتابعة الى الآن في أمريكا وفي
غيرها ومنذ اربع سنين فقط اكتشف سواح الانكليز جزيرة صغيرة جهة الشمال
معمورة بخلق صغار الجثث فطس الانوف كبار الاذان يأكلون نوعا من السمك ويلبسون
جلده ويوقدون عظامه وكذلك اكتشف منذ قريب قوم من البشر على نحو تلك الصفة
في شمالي أمريكا الشمالية ينحتون من جبال الثلج بيوتا ويجعلون للطواقي المنفذة للضوء
قطعا من الثلج الصفيق لكي لا تمنع الضوء وتقيهم مرور الارياح (وهكذا) لازال
الاكتشاف يتتابع وما يعلم جنود ربك الا هو ومن تأمل سياق الآية الكريمة في حكاية
حال ذي القرنين الى بلوغه الى ياجوج ومأجوج ظهر له من السياق انهم جهة أحد
القطبين (اذ قال تعالى فأتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما
من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء
الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى
اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين
ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم
سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد
حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا
فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي
جعله دكاء وكان وعد ربي حقا الآية) فذكر أن ذا القرنين اتخذ أولا طريقا الى أن بلغ
منتهى الارض من جهة الغرب فوجد الشمس هنالك تغرب في ماء أسود كأنما هو
بالحمئة أي الطينة السوداء وهو والله أعلم البحر المحيط الغربي لشدة عمقه يتراآى انه
أسود وسمي عينا نظرا الى سياق عظمة قدرة الخالق وما اطلع عليه ذو القرنين الذي البحر
المذكور بالنسبة اليه ما هو الا كالعين الى آخر الآية ثم ذكر اتباعه لطريق آخر وصل

به

به الى منتهى مطلع الشمس من الارض وقص ماوقع هنالك أيضا ثم ذكر اتباعه لطريق آخر فظاهر السياق أنه لغير المشرق ولغير المغرب فهو حينئذ الى أحد القطبين وهو الذى ذكر فيه قصة يأجوج ومأجوج وعلى ذلك فذو القرنين سافر الى أقاصى ثلاث جهات من الارض والله أعلم أى القطبين الذى هو الجهة الشمالية ويؤيد هذا الفهم المأخوذ من السياق ماروى من أن سيدنا الخضر كان وزيرا لذى القرنين وانه اجتاز معه أرض الظلمة حتى وجد بها عين الحياة الخ وأرض الظلمة لا تكون الا فى أحد القطبين أوماقاربه لانه هو الذى يطول مغيب الشمس عنه كما هو معروف عند الحكماء والفقهاء وبنى عليه هؤلاء أحكاما فى الصوم والصلاة مقررة فى دواوين الفقه وليست هى أرضا غير المعروفة وانما أتتها الظلمة مما أشرنا اليه ثم ان قارات الارض ان كانت اذ ذاك على حالتها الآن ربما تقتضى ان القطب الذى وصل اليه هو الشمالى هذا اذا كانت هيئة الارض اذ ذاك هى على نحو ما عليه الآن أما اذا كانت على شكل آخر فيمكن أن يكون القطب هو الجنوبى أيضا وانما قلنا هذا لان الارض تتغير أشكالها على طول الزمان بما يحدث فيها من الزلازل العظيمة وانخفاض جهات من اليابسة وارتفاعات فى جهات من البحر (وهكذا) فان امريكا على ما سيأتى كانت متصلة بقارة آسيا من جهة بوغاز برنبل ان جهة من مملكة تونس الشرقية تسمى برج بو الشاطر فى عمل بنزرت كانت قديما مرسى السفن فى دولة القرطاجنيين والآن صارت محترثات خصبة والبحر يبعد عنها نحو خمسين ميلا وكذلك فى الجهة الجنوبية جنوبى الجريد كان فيها بحر يدخل الى دواخل القارة الافريقية والآن صار صحراء وهى المسماة بالصحراء الكبيرة وسيأتى بقية الكلام عليه فى الكلام على تونس وكذلك خليج السويس كان بحرا موصلا بين البحر الابيض والبحر الاحمر ثم سد ثم فتح الآن على ماسيأتى فى الكلام عليه أيضا فى محله (ان شاء الله تعالى) فقد قال المفسرون فى قصة سيدنا (موسى) وسيدنا (الخضر) عند (قوله تعالى) حتى أبلغ مجمع البحرين الآية ان المراد بمجمع البحرين هو محل اتصال بحر الروم ببحر فارس وهل ذلك الا من السويس أو من مكان آخر من آسيا اليابسة وهو أيضا يفيد المطلوب فتقلب حالات الارض لا تبعد أن يكون سد يأجوج ومأجوج جهة القطب الجنوبى الذى هو وماقاربه أكثر مجهولية من الشمالى سيما وآثار سلسلة الجزائر الى استراليا كالآثار الدالة على الاتصال ويؤيد أنه فى أحد القطبين الصفات التى ذكرت ليأجوج ومأجوج فى خلقتهم فى الاحاديث الصحيحة كما فى البخارى وغيره من الصحاح

وهي صفات تقرب كثيرا من الصفات التي وجد عليها أهالي الجزيرة التي ذكرناها قريبا جهة الشمال واكتشفها الانكليز وشاع أمرها وذكرها في صحف الاخبار ورسمت في خارطات الجغرافيين ووصول ذي القرنين الى هاتيك الجهات وما وراءها ليس بغريب أما أولا فلأن حرارة الارض اذ ذاك ليست هي التي عليه الآن بجهات القطبين لم تكن على هاته الدرجة من البرودة ولذلك أدلة مسلمة في كتب الجغرافية الطبيعية خلاصتها على مذهب المتأخرين الذي لا يخالف الشرع ان هاته الارض كانت كوكبا ناريا ثم انطفت طبقتها العليا ولا تزال تثخن تلك الطبقة وعلى قدر ثخنها تبرد وتنحصر الحرارة في جوف الارض ومركزها ومهما وصلت الطبقة الى درجة من الاعتدال الصالح لخلق من مخلوقات الله يخلقه الله فيها (وهكذا) على التدريج الى أن تم ما أوجده الله فيها واضمحل منها من أنواع الحيوان ما لم تبق صالحة له كنوع يشبه الفيل وهو أضخم منه وأنيابه مرتفعة الى فوق فانه الآن انعدم مما هو معروف من الارض واكتشف على عظامه في طبقات سفلى من الارض بالحفر جهة سيبريا ويشهد بصحة هذا القول الاحاديث الواردة في التكوين وأن (آدم عليه السلام) خلق بعد الارض بمدة طويلة وأن الخيل خلقت قبل (آدم عليه السلام) بكثير الى غير ذلك من الصفات الواردة عن الشارع في كيفية التكوين وقد وجد في سيبريا من عظام الحيوانات التي لا تعيش الا في الارض الحارة كالفيل وغيره بكثرة مما يدل على أنه ليس بمجلوب وانما هو حيوان أصلي هنالك ما يقضي بأن تلك الجهة كانت حارة ليست على ما هي عليه الآن من شدة البرد فيحتمل أن زمن ذي القرنين كانت الحرارة معتدلة هنالك حتى يمكن الوصول الى تلك الجهة بلا مشقة ولا يقال ان التاريخ من زمن ذي القرنين الى الآن لا يقتضي هذا التغير الكثير لانا نقول ان ذا القرنين هذا هو عربي كثر ذكره في أشعار العرب واسمه الصعب ملك من ملوك العرب العرباء معاصر (لابراهيم عليه السلام) أو يقرب منه هذا هو الصحيح وان غلط الرازي وغيره في توهمه انه اسكندر المقدوني ومقدار زمنه لا يمكن الوقوف على تحقيقه وذلك ان ذا القرنين كان قبل (موسى عليه السلام) بكثير حسبما تقدم في كون (الخضر عليه السلام) وزيره وهو الذي عاش وتعلم منه (موسى عليه السلام) وجميع التواريخ القديمة يعتمد فيها المؤرخون على التوراة وهي قد وقع فيها التحريف قطعا في كثير من الآيات لا سيما ما يتعلق بالتاريخ بحسب ما حققناه ولا يلتفت لغلط ابن خلدون في دعواه عدم التحريف بعد اثباته بالعيان بحسبما نبه الشيخ رحمه الله

الله قدس سره فى كتاب اظهار الحق من الاختلاف الكثير فى التاريخ بين نسخ التوراة القاضى بعضها باجتماع (نوح وابراهيم) وبعضها بالبعد الكثير بينهما وحرره مؤرخوهم أنه سنة (٣٥٢) مع ان العبرانية تقتضى باجتماعهما لان نوحا مات بعد ولادة (ابراهيم) ٥٨ سنة والسامرية تقتضى أن (ابراهيم) ولد بعد موت (نوح) ٥٩٢ سنة واليونانية تقتضى انه بعده (٧٢٢) سنة والاولى يخالفها الاجماع والأخريين بينهما التناقض التام وغاية المحقق أن (ابراهيم) لم يجتمع (بنوح) فى عصر (عليهما السلام) والاختلافات على هذا النمط وعدم التحرير فى التواريخ كثير جدا فلا اعتماد حينئذ على ماهو موجود من التوراة نعم أن متأخرى المؤرخين قد اعتنوا بهذا الفن وحرروه باستدلالات من الآثار القديمة والاطلاع على لغات قديمة لكن لم نطلع الى الآن على أدلة وجدوها تثبت مدة زمن ذى القرنين على فرض تعينه وكم عدد السنين بيننا وبينه وأما ثانيا فلا يبعد أن يكون لذى القرنين اذذاك من آلات حمل الاثقال وتيسير السفر مالا يعلم الآن ويدل عليه (قوله تعالى) فى حقه (انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا) مما يقتضى اتساع اقتداره وتهيء الاسباب لمقاصده كعلم جر الاثقال مثلا الذى شوهدت الآن آثاره مما لم يقدر عليه متأخروا هذا العصر وكذلك النحت للقطع الهائلة التى لم تعلم كيفية قطعها ونقلها سيما وقد وجد فى مصر من صورة المسلة الكهربائى والرتل مايقتضى علمه سابقا مع صور آلات أخرى غير معلومة كما سيأتى الكلام عليه فى أحوال مصر فيمكن أن تكون حالة الارض على هيئتها اهاته ولذى القرنين وعلمائه وجنوده من المعارف والآلات ماتيسر لهم به الوصول الى الاماكن الصعبة مما لم نعلمه الآن وأما قول بعض المؤرخين ان الواثق من بنى العباس أرسل معتمدين الى السد وقاسوا ابابه وقفله الى غير ذلك من الصفات التى ذكرت له فانا لم نكن على ثقة منه ولم نعتمد عليه سيما ولم يعين أولئك المؤرخون مكانه وانما يقتضى كلامهم انه فى الجهة الشمالية الشرقية من آسيا فلا يبعد أن يكون ماوصلوا اليه هو سور الصين واذا فرضنا انه هو المراد بالسد فى النصوص الواردة يلزم حمل الصفات المذكورة فيها على بقاع من ذلك السور ككونه من زبر الحديد ومفرغ عليه النحاس والصدفان (حينئذ) طرفان من ذلك السور كما تأول صفات يأجوج ومأجوج الى مايصح اطلاقها به على التتر والمنشورية ويكون وعد الله الذى يدك فيه السد هو قرب الساعة ولا شك أن الساعة قربت كما أعلم به

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى قوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة
والوسطى كناية عن مزيد القرب وكما (قال تعالى) اقتربت الساعة وانشق القمر الآية
فما بقى من الدنيا بالنسبة الى ما مضى شئ قليل جدا والطبيعيون أنفسهم مقرون بذلك
لما يستدلون به من كيفية تكوين الارض وارتباطها بالاجرام العلوية (وحينئذ)
يكون الفساد الموعود به فى النصوص من أولئك القوم هو ما وقع من التترا المغول من
الفساد فى الممالك وكفى بوقائع جنكس خان وما عثاه هو وأصحابه فى الدنيا مصداقا
لذلك فان من له المام بتاريخه يرى فيه العجب العجاب وهى مصيبة عظمى لم تحدث على
المسلمين مثلها وانما تطاول الزمان وعدم علم الجمهور بها هو الذى لم يصير لها اعتبارا
الآن وكل هذا الاخير مستبعد وانما يلزم المآل اليه اذا فرضنا الاحاطة حقيقة بجميع
أطراف الارض والحاصل انه مهما وجدنا نصا عن الصادق يلزم التسليم اليه والتصديق
به فان وجدنا ما يخالف فهمه فى الوجود وجب فهمه على مقتضى الوجود اذ يستحيل
مخالفة خبره للواقع وقد نص على هذا العلماء الراسخون ومنهم سعد الدين التفتازانى
فى التلويح (ثم ان) لمملكة الصين من الانهر العظيمة الحاملة للسفن الشراعية والبخارية *
ما أغناهم عن تكثير الطرق الصناعية فى الارض (وأما الجهات) التى لا تصل اليها الانهر
فانهم يصنعون فيها ترعا متصلة بالانهر مديمرة للسير وحمل الاثقال حتى ان منها ترعة هى
من عجائب الدنيا طولها نحو سبعمائة وخمسين ميلا وصنعت فى عدة أجيال من الجيل
السابع من تاريخ المسيح أى القرن الثانى الهجرى الى القرن الثامن من الهجرة ولم
تحدث فيها الطرق الحديدية الى الآن (وأما المعادن) فعندهم أغلب المعادن *
المعروفة ولكنهم لقلة مهارتهم فى استخراجها وتصفيتها يحتاجون الى جلبها من خارج
(وهكذا) نباتات هاته المملكة فيها أغلب نبات المعمور لاتساعها واختلاف أقاليمها *
وكذلك الحيوانات والهواء وقاعدة المملكة هى مدينة باكين التى هى من أعظم مدن العالم
سكانها أزيد من ثلاثة ملايين ولها سور يحيط بها وأغلب أبنيتهم طبقة واحدة مقسمة
الى عدة أقسام الا قصور الملوك ففيها طبقات والاهالى يتزوجون امرأة واحدة شرعية
ويتخذون غيرها كالسرارى على انهن خديمات لها ولهم شارات فى التفاخر والدلالة على
البيتوتية والغنا منها ان الاغنياء والاكابر يخلدون الى الراحة حتى لا يكادون يتحركون
وتغلب هاته الصفة فى نسائهم فكان من عجائب عاداتهم فيهن ان بنت الاعيان اذا ولدت
يجعلون لها حذاء من حديد أو ما أشبهه من الاشياء الصلبة ويلبسونه لها فى سن المهد

ونترك

وتترك كذلك الى انتهاء شبابها فتكون أقدامها صغيرة جدًّا بحيث لا تستطيع المشى وكذلك كفوف يديها حتى لا تقدر ان تشتغل ولا ترفع شيأ مع الاعتناء بتنعيمها فتصير ذاتها ضخمة وكفها وقدماها فى غاية الصغر دلالة على انها لا تحتاج لعمل شئ بنفسها وكل الضروريات وغيرها تفعلها لها الخوادم فيصنعون مساطب يحملونها على الاعناق عندما تريد المشى لاى جهة كانت وهكذا جميع الحركات ويتكثرون من الخدم على قدر البسطة فى المال والجاه وعادة الحمل على الاعناق عامة حتى فى الرجال الكبراء والاغنياء وهاته الحالة جارية أيضا فى أهالى الهند (وأما حكم) هاته المملكة المتسعة فهو يرجع الى عامل واحد ذى حكم استبدادى مطلق وله وزراء يديرون ويجرون أمر المملكة على ارادته ثم فى الجهات أمراء مستبدون فى التصرف فى اماراتهم تحت أوامر السلطان العام الذى يقلد ويعزل منهم حسب ارادته ومع ذلك الاستبداد فانهم لتحفظهم على العوائد القديمة تجد كأن أحكامهم قانونية لاجرائهم الحوادث شبه بعضها ولا يتجاسرون على خرق العادات القديمة فى جميع تصرفاتهم الا فى أمر أكيد عظيم وقلما يقع ولهم اعتقادات فى ملكهم ربما أدتهم الى اعتقاد الوهيته ولهم أيضا دواوين يضبطون بها ادارات التصرف والاموال وأرزاق العساكر فمن نظر الى مجموع تصرفات المملكة يجدها مشابهة أعظم مشابهة الى الدول القانونية وكان ذلك هو سبب قدم هذه الدولة وعدم تلاشيها الآن السلطان عندهم وان كان له ان يفعل ما يشاء الا أنه لا يفعل شيأ الا بمشاورة رجال دولته وأرباب مجالسه فى جميع الامور وكل من أمرائه لا يتصرف الا بمشاورة رجال مجالسهم ولا يتوظف أحد فى خطة أيا كانت الا أن يكون من أصحاب العلوم والمعارف الذين هم وجهاء الامة كما يشترط فى كل موظف أن يكون متأهلا وجديرا بالخطة التى يتقلدها ومن عاداتهم الشبيهة بالقانونية ان المتوظف اذا ظلم أحد الرعايا ولو فى أقل الاشياء يعاقب أشد العقاب بل انهم مطلوبون كل على حسب خطته بما يطرء على الاهالى من المصائب السماوية التى يكون فى وسع البشر تداركها كفيضان الانهر وسقوط الجدران وما شاكل ذلك ويعاقبون عليه بالعزل ولهم صحيفة رسمية قديمة قبل أن تعرف الصحف فى اوروبا بقرون ولها ضوستين صحيفة تنشرها يوميا ولا تحتوى الا على الحوادث الخاصة بدولتهم وتصرفاتها وحيث كانت الكتابة عندهم صعبة جدًّا (لانها فيها) علامات عوضا عن الحروف منها أصلية ومنها فرعية تدل على الكلمات فكانت نحو الفين وخمسمائة علامة وهى المستعملة الآن (أما)

العلامات القديمة التى لم يبق استعمالها الا نادرا فهى نحو أربعة وأربعين ألفا وأربعمائة وتسعة وأربعين شكلا فلذلك كانت معرفة الكتابة عندهم قليلة جدا وقد تعارفوا صناعة الطبع قبل معرفتها فى أوروبا بكثير وهى على غير الصورة المعروفة الآن فانهم كانوا ينقشون الكتابة فى ألواح بحيث تكون على عدد صفحات الكتاب الذى يريدون طبعه وان شئت قلت ينسخون الكتاب أو الكتابة بالنقش فى ألواح ويطبعون بها ما شاؤا ثم يدخرونها الى وقت الحاجة فيعيدون الطبع متى أرادوا (وأما) الغناء فى المملكة فهو كثير لكثرة موارد الثروة وكثرة السكان ومع ذلك هو بالنسبة لغنى الممالك المتمدنة ذات الصنائع المخترعة قليل نظرا لعظم المملكة وما فيها وقد تقدم ما فى عزم دولتها وما شرعت فيه من القوة الحربية (وأما القوة المالية) فهى غير معروفة لاختلاف أنواع الاداء وتفرقه على أنواع المتوظفين كل منهم له كيفية فى الاستخلاص على وظيفته من الاهالى

الفصل * الثانى عشر

﴿المملكة الثانية عشر مملكة الروسيا فى آسيا﴾

هاته المملكة تبتدئ من الشمال الأقصى من القارة ثم تنعطف مع حدود الصين الغربية وتصل الى مملكة ايران من شمالها والى المملكة العثمانية من شرقيها فهى متسعة جدا ولا تزال تتوسع فى الممالك الصغيرة بأواسط آسيا حيث تفرقوا شيعا فصارت تتغلب عليهم بتسليط بعضهم على بعض وانتصارها لبعضهم حتى تبتلعهم شيأ فشيأ بحيث لم يبق منهم الا القليل كما سيأتى الكلام عليه بعد وحكمها فى هاته المملكة سيبين فى الكلام على هاته الدولة فى ممالك أوروبا وكذلك بقية التصرفات السياسية وانما نقول هنا أن فيها قسما يسمى سيبريا هو شمالى الصين فى نهاية شدة البرد وهو قليل السكان والحيوانات الا بعض الحيوانات المتجلدة على البرد كالدب الابيض والذئب الكبير وقد اطلع علماء الطبيعة على ان تلك الجهة كانت عامرة بانواع من الحيوانات التى تألف الجهات الحارة كالفيل وبعض أنواع من الحيوانات فقدت الآن مثل حيوان أكبر من الفيل ويشبهه فى الخلقة وله شعر صلب مستطيل يمتد من مبتدا رأسه الى مغرس ذيله يكون مرتفعا مفروزا من بقية شعر بدنه وله أنياب طوال متجاوزة اشفتيه مثل أنياب الفيل غير أنها مرتفعة الى فوق واطلعوا على وجود هاته الانواع هنالك بكثرة عظامها فى طبقات

سفلى

سفلى من الارض تدل على أن تلك الجهة كانت حارة كما تقدم وهى الآن من شدة بردها اتخذتها الروسيا منفى لاصحاب الجرائم الشديدة فما يصلون اليها الا بعد فقدان أكثرهم فى الطريق ومن وصل منهم لا يبقى سالما وتحدث لهم وللسكان الاصليين أمراض فى الاعين من شدة الضوء المنبعث من سطوع الاشعة الشمسية فى بياض الثلج المتكاثر الدائم ويوجد فى هاته المملكة أعنى بقية مملكة الروسيا فى آسيا أنواع شتى من الفراء العالى وفيها أنواع النبات المختلف الذى يوجد فى أغلب الاقطار الباردة والمعتدلة وتجارتها متصلة مع جميع الاقطار لكنها ليست متسعة لصعوبة النقل حيث لم تتم الطرق الكافية الموصلة لشواسع هاته المملكة المتسعة ولاجل انحطاط درجة المعارف والصنائع التى يمكن بها منافسة الاوروباويين فى هذا العصر ولا يخفى أن مملكة متسعة مثل هاته تشمل أصنافا من البشر لابد أن يكون أهلها مختلفى الطبائع والعادات فالمسلمون كالجركس والكرج هم أهل شجاعة وتجلد وصبر على اقتحام المشاق مع تعصب لبعضهم وغيرهم من المسلمين وغيرهم كأهل خيوا والقريم والداغستان هم أيضا فيهم تلك الصفات غير أنها أقل من سابقيهم ودونهم أيضا فى التعصب وقد استولت الروسيا على هاته الممالك تدريجا فمنذ نحو ثلاثمائة سنة وهى تتملكهم شيأ فشيأ ومع كون الروسيا استبدادية فالمسلمون الذين طال استيلاؤها عليهم وتناسوا العداوة تعاملهم الآن بالرفق وحرية الديانة بحيث يكون الاذان والصلوات فى المساجد وعقد الانكحة كلها قائمة وكذلك تعلم العلوم الدينية ولسانهم هو أيضا مباح ولا يتعرض لهم بشئ وتجرى عليهم بقية الاحكام الشخصية والسياسية مثل بقية الروسيين حتى فى اتخاذ العساكر منهم لكن أكثر العساكر منهم هم على غير نظام مما يسمى قزاق نوع من الخيالة الغير النظامية وأما المسلمون الذين تسلطت عليهم من قريب فتجرى فيهم أنواع القهر والغلظة من الحكم العسكرى البحت ما تنفر منه الطباع وذلك للتحرس من ثورتهم وتربية الجيل الناشئ على الذلة والخضوع الى حكمها ولله الامر من قبل ومن بعد

الفصل * الثالث عشر

﴿ المملكة الثالثة عشر مملكة هرات ﴾

هاته المملكة موقعها شرقى ايران وغربى بعض الصين والهند وجنوب الروسيا وشمال

أفغانستان وكانت تابعة الايران ثم استقلت عند استقلال الافغانستان وأهلها مسلمون سنيون والظن أنها لا تلبث أن تلتهمها بعض الدول المجاورة لها لصغرها بالنسبة اليهم والاقرب رجوعها الايران باعانة الانكليز فى هاته المدة لاتمام مأربه هو فى الافغان حيث انهم موافقون لهم فى المذهب ويعدونهم بالاعانة على حرب الانكليز فلذلك أغرى ايران بالحرب لهم والاستيلاء عليهم بيد أن سياسة الروسيا عطلت ذلك وعدد الاهالى مجهول الحقيقة وعلى التخمين انهم نحو مليونين تحت ملك مسلم استبدادى مطلق من ذرية أحمد شاه الذى أنشأ فى أفغانستان وما والاها مملكة ذات شأن والاحكام الشخصية شرعية ولهم أيضا فيها احكام سياسية لكن النفوذ قليل لان أغلب السكان قبائل رحالة فيهم حرية البداوة وهم من أصل التركمان وكانت فى المملكة مدن عظيمة فى أودية بين الجبال التى على جنوبى صحراء خوارزم هدمت كلها بتخريب جنكس خان التترى وقاعدة المملكة مدينة هرات وهى مدينة عظيمة تسقى بنهر يتشعب فى شوارعها ودورها ولها تجارة حسنة فى نتائج أراضيها الخصبة مع الممالك المجاورة وفيها من النباتات كل نبات الاراضى المعتدلة لاعتدال هوائها وسلامته وكانت مناخا للعلوم ومنبتا للعلماء الافاضل حتى قال ياقوت فى المشترك ان علماءها لا يحصى كثرتهم الا الله وهى الآن دون ذلك وانما فيها من العلماء حسب الحال ولاهلها من الصنائع الجيدة السيوف وآلات القطع لان تيمورلنك نقل اليها ماهرى هاته الصناعة من دمشق فبقيت فيهم الى الآن ولهم مهارة فى صناعة البسط والاقمشة الحريرية ويقال فى قوتها الحربية والمالية ماقيل فى أفغانستان على نسبة عدد سكانها

الفصل ❋ الرابع عشر

﴿المملكة الرابعة عشر هى أمارات التتر المستقلين﴾

هاته الامارات موقعها غربى الصين وشرقى وجنوبى بعض الروسيا وشمالى وشرقى هرات وبعض ايران وجميع السكان مسلمون سنيون وحقيقة عددهم مجهول وانما يقال على التقريب انهم نحو سبعة أو ثمانية ملايين وقد كانت الممالك منقسمة الى (خمسة) أقسام كل قسم مستقل تحت حاكم يلقب بالخان (وهى) خيوه وبخارى وتشقند وخوقند وقبائل التركمان الرحالة المعروفة بتيكى (وأما الآن) فان خيوا دخلت فى حوزة الروسيا

وصارت

وصارت جزأ من ممالكها وان أبقيت لها بعض امتيازات ظاهرية كابقاء خانها ولقبه غير أنها فى الواقع هى من مستملكاتها الداخلة فى حكمها وتحت أمرها (وأما بخارى) فهى أيضا مثل خيوا غير أن امتيازاتها أكثر منها وعلى كل حال فكلاهما يصح أن يقال انهما مستقلتان بالادارة الداخلية تحت الامرا الروسى ويؤديان له الخراج السنوى ولهما عساكر بقدر ما تسمح لهما به الروسيا للتحفظ على الراحة فى المملكة أو لاعانة الروسيا فيما تأمرهما به (وأما تشقند) فقد صارت ولاية روسية تحت حكم جنرال روسى فهى حينئذ مشمولة بالكلام الذى سبق فى أحوال مملكة الروسيا (وأما خوقند) فلا زالت مستقلة تحت أمارة خانها وحكمها استبدادى وعدد سكانها نحو مليونين (وأما قبائل التركمان) فقاعدة مملكتهم هى (مرو) وموقعها جهة الشرق الجنوبى من بحر قزبين المستملكة جميع شطوطه الروسيا وعدد السكان نحو مليونين ونصف لكنهم ليسوا خاضعين حقيقة للخان واغا هم قبائل لكل منها رئيس وكانها مع أختها الاتلبثان أن تلحقا اخوانهما اذ الحرب الآن قائمة على ساق بين الروسيا وقبيلة تيكى وقد كسروا الروسيا فى هذا العام وهو سنة (١٢٩٧) مرتين انكسارا هائلا ولا زالت تستعد لحربهم واخوانهم ممن استولت الروسيا عليهم وغيرهم ينظرون اليهم كما كانوا هم ينظرون الى حربهم معها الى أن ينفذ حكم الله الذى لا معقب لحكمه وتكون له الحجة البالغة (سبحانه وتعالى) حيث تفرق المسلمون شيعا للاغراض والاهواء النفسانية ولم يجروا الشرع فى الاحكام الكلية والجزئية واخلدوا الى الجهل والتنعمات الزائلة حتى تمكن العدو منهم وصارت بلدان الاسلام ومناخ العلوم لعبة بأيدى الاعداء وأصحاب الاهواء (ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم) فوا أسفاه على بخارى وسمرقند وغيرهما من مدارس الدنيا فى الفنون والعلوم الدينية والرياضية وواها على تلك الدقائق والاستنباطات والاختراعات لتأسيس العلوم وتهذيبها واتقانها ورحم الله أولئك الرجال الذين عمروا الارض وحموا الدين ولم تزل الأمم تستنفع بمعارفهم الى الآن ولم يعملوا بها بل ولم يتعلموها حق علمها حتى كادت أن تصير فى خبر كان والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الفصل ❋ الخامس عشر

﴿المملكة الخامسة عشر هى ممالك الائمة فى جزيرة العرب﴾

هاته الممالك يحيط بها البحر من جهتين فمن الشرق خليج فارس ومن الجنوب المحيط الشرقي ويحدها غربا الحجاز واليمن من توابع الممالك العثمانية وعدن التابعة للانكليز ومن الشمال العراق العربي للدولة العثمانية وهاته الممالك هي المعروفة سابقا بنجد وتهامة واليمامة وأخلاقهم هي أخلاق العرب في هذا العصر من التجرد عن
❋ أغلب الصفات التي كانت للعرب السابقين وأما الديانة في الجميع فهي الاسلام وأما المعارف والعلوم فيكاد أن لا يعرف عندهم منها اسم ولا مسمى الا قليلا منهم في قليل من
❋ علوم الدين والحاصل أنهم أمم يقدرهم الجغرافيون بستة ملايين من النفوس على البداوة وأغلبهم رحالة ينقسمون في الاحكام الى شيع كثيرة يلقب كل رئيس منهم بالامام كامام مسقط وامام رياض بنجد من الوهابيين أعني أتباع عبد الوهاب الذين ظهروا في أوائل القرن الثالث عشر ناشرين دعوة شيخهم محمد بن عبد الوهاب حيث كان مدعيا بحفظ السنة وابطال البدعة فتجاوزا الحدود حتى منع المباح وقويت شوكته وكثرت أتباعه حتى تسلط على الحرمين الشريفين وقطعة من العراق الى كربلا ومسجد علي وخربه وهدم البناآت على القبور وأزال الكتابات التي عليها وأراد أن يحمل الناس على الاتباع حتى في العادات والاحوال الدنيوية وان اختلف الاعصار ولم يتقيد بمذهب خاص بل انه يدعي العمل بالحديث على مقتضى ما يفهمه وسيأتي ما يتعلق بهاته المسئلة في فصل من
❋ المقصد عند الكلام على رجوعي من السفر الاول الى باريس وملخص الكلام أن هاته الفرقة تجاوزت المقصد الصحيح في الدين الذي ينبغي التيقظ اليه وان كانت تدعيه كما أن بعض الرادين عليها تجاوز واحد ما ينبغي وخرجوا أعمالها كلها عن حدود الشرع بل كادوا أن ينسبوها الى الكفر وقد ألفت تآليف كثيرة في الرد على مذهبهم من علماء مصر وتونس وغيرهم لما استفحل أمر هاته القبيلة واستولت على الحرمين الشريفين ونشرت دعواها في تأليف خاص وبقيت على ذلك الى ان تجرد لها ابراهيم باشا من أمراء مصر وقهرها وأسر رئيسها سعود بن عبد العزيز العنزي من ربيعة الفرس حيث كان هذا من أعظم أنصار الوهابي والقائمين بدعته وانتشار مذهبه الى ان مات في ضراعة وتلاشت من ذلك الوقت تلك الدعوة والدولة ولم يبق لها اعتبار الا في نجد وامامها الآن احد نسل سعود المذكور وهو في التصرف أشبه بشيخ قبيلة بعيد عن الملك وانتظامه وشارته وهكذا سائر الائمة المتقاسمين بتلك الجهات والاحق أن لا يعتبر واممالكة مستقلة وانما يعتبرون كأنهم قبائل في أطراف الممالك العثمانية غير خاضعين اليها ولو أنها أخذت

التصرف

التصرف بالدين والسياسة فانها بارادة الله تضمهم الى ممالكها وتنظم أمرهم على أحسن ترتيب فينصلح حالهم وتتقوى بهم الدولة الاسلامية لان فى أراضيهم أودية فسيحة خصبة وجبالا غنية بالاشجار والمعادن لاسيما فى نجد مع كرامة خيلها فى الدنيا والرغبة فيها من جميع أهل العالم العارفين بالخيل وكذلك عندهم من الحيوانات الانسية والوحشية ماهو مورد للثروة فكما امتدت الدولة العلية بالولاية على اليمن شيأ فشيأ الى العهد القريب كذلك ان شاء الله تجمع كلمة الاسلام هنالك على خليفة واحد وكان سبب بقائهم الى الآن لم تستول عليهم احدى الدول هو اتساع أراضيهم وكون أغلبها صحارى وقفارا وأكثرهم قوم رحل فلا يضبطون بسهولة لانهم يلتجؤن الى الدواخل والدولة العلية يسهل عليها ذلك لاتحاد الدين والاستيلاء على أغلب حدودهم فلا يصعب عليها المدد والاستعانة ممن جاورهم وبالعلماء فى هدايتهم حتى تجرى فيهم التراتيب الشرعية وتنتفع بهم الامة كما ينتفعون هم بالعدل والتمدن والمعارف ولا شك أن لاتحادهم اعتبارا عظيما عندما يتقدمون لاسيما وأصل الغريزة العربية سليمة ولله الحمد أصفى قابلية للتقدم من غيرها وشاهده ما حصل من العرب بعد غرس الحكمة فيهم بالدين الاسلامى وأهم هؤلاء القبائل وأعظمها الآن هى قبيلة مسقط ولها امام وقد أدخل تحته طوعا قبيلة ظفار فى هاته السنة وهى (سنة ١٢٩٧) وله نوع احتماء بالانكليز كما سيأتى فى الكلام على زنجبار من أفريقية

الفصل ❋ السادس عشر

❋ المملكة السادسة عشر ❋

هى مملكة نيبول وموقعها بين جبال هملاى الوسطى وترای و بين سكين من شرقيها وكماوون من غربيها فهى واقعة بين الصين والهند الانكليزى فلها الصين من الشمال والشرق الشمالى والهند من الجنوب والغرب والشرق وعدد سكانها نحو مليونين ونصف وعوائدهم مثل أو قريب من الهمج من الدول الشرقية مع شجاعة وكذلك أحوال دياناتهم

الفصل * السابع عشر

﴿المملكة السابعة عشر﴾

هى مملكة بوتان أو بهتان وهى أرض بين جبال همالاى وأسام وهى شرقى المملكة السابقة وتفصل بينهما قطعة من ممالك الهند الانكليزى فيحدها جنوبا الهند الانكليزى وكذلك شرقا وغربا ويحدها الصين شمالا وسكانها نحو مليون من النفوس وديانتهم وثنية ولهم ملكان أحدهما دينى ويعتقدون حلول الاله المسمى عندهم بودا فيه ويلقبون هذا الملك دورمه رجا والثانى هو الملك السياسى وبيده القوة الحربية والحكمية ويلقبونه دبررجا ويتصرف فى العسكرية بواسطة أميرين أحدهما فى مشرق المملكة والثانى فى مغربها وهم فى الحقيقة همج اذ القبائل غير خاضعين للحكام

الفصل * الثامن عشر

﴿المملكة الثامنة عشر﴾

هى مملكة كشمير الشهيرة بما لها من المنسوجات الرفيعة وتختها مدينة كشمير وقد صارت دولة مستقلة من سنة (١٢٦٣ ﻫ) و(١٨٤٦ م) غير أنها تؤدى خراجا سنويا الى الانكليز وموقعها فى الشمال الغربى من ممالك الهند الانكليزية فيحدها جنوبا ماذكر وشرقا الصين وشمالا التتر المستقلين وغربا افغانستان وأهلها نحو سبعمائة ألف لكنها زادت اتساعا بما استولت عليه من قبائل الجبال التى فوق التتر وأهاليها مسلمون ولها ملك بادارة استبدادية شبه القانونية وعليه نظر الحاكم العام الانكليزى فى الهند لكن لكثرة امتيازاته ذكرناه مستقلا وكذلك يرسم فى الخرايط

الفصل * التاسع عشر

﴿المملكة التاسعة عشر مملكة الجابون﴾

هاته المملكة هى أول ممالك الجزر التابعة لآسيا وهى متكونة من عدة جزر شرقى مملكة الصين وكانت فى القديم تابعة للصين وأهلها مثل أهل الصين فى الشكل

والعادات

والعادات والحذق بالصنائع وعددهم نحو ثلاثة وثلاثين مليونا وثلاثمائة ألف وستمائة وخمسة وسبعين نفسا ثم استقلوا في أحكامهم وملكهم وفي أواخر هذا القرن أعني منذ نحو عشرين سنة استولى ملكهم رجل عاقل من عائلة الملك وشمر عن ساعد الجد في احداث عصر جديد للمملكة حتى خرجت عن أن تشبه الممالك الشرقية وصارت كأنها دولة ومملكة أوروباوية تعتبر بينة من أعظم الممالك ذات السطوة والشأن والتمدن والتقدم والمعارف والصنائع وذلك انه تولى ملكهم المسمى الميكادو وكان حدث السن ذا أخلاق حسنة وتربية صالحة وكان معجبا بأحوال الاوروباويين القادمين الى دولته للسياحة والتجارة وكان سمع من أحوال أوروباو تقدمها ما هو معروف ورأى من تقهقر مملكته وما جاورها ما أوجب له العزم على تغيير حالتها ولكنه خشى من تمسك قومه بالعادات القديمة التي يحافظون عليها كأهالي الصين لكنه استعان بالحالة المخصوصة بها امته وهو اعجابهم بالحوادث الجديدة فابتدأ بتغيير زى المتوظفين ورؤساء الدولة وجعله على النحو الاوروباوى وبقي هو في ذاته على الزى القديم مختبرا لافكار القوم بذلك فلم ير منهم الا الاسراع والاستحسان لما أمر به فلم يلبث أن غير زيه في نفسه وأرسل سفراء الى اوروبا لاستقراء ما فيها من أصول المنافع والصنائع وآلات الحرب وحركاته وجلب المبادى المحتاج اليها في مملكته من علماء وآلات وغير ذلك ثم ألزم أمته باعطاء الحرية العمومية حيث كانوا تحت حكم الاشراف بمعنى أن كل عائلة شريفة تملك قسما من الاراضى بمن فيها من الناس يكونون تحت عبوديتهم وامتثال أوامرهم فأبطل هاته العادات وانتخب من قوانين ممالك أوروبا ما صلح في نظره وصححه على مقتضيات عادات بلاده وأمر بالعمل به كما ألزم العمل بالطريقة العسكرية في حركات الحرب المعمول بها في أوروبا وألزم كل ذكر يبلغ سن العشرين بالانتظام في سلك العسكرية للدفاع عن الوطن على قانون معروف وفتح المكاتب والمدارس في العلوم الرياضية وغيرها وكثر منها التكثير اللازم وألزم الاهالي بعقد الشركات للبريد وأنواع التجارة والفلاحة وفتح الطرق الحديدية واستخراج المعادن وزيادة مما جلبه من السلاح الاوروباوى من الطراز الجديد أحدث معامل في مملكته وأنشأ السفن حتى كانت عنده احدى عشرة مدرعة وبالجملة فان انقياد الامة الجابونية الى هذا الملك وتقدم هاته المملكة في أسرع وقت من عجائب هذا القرن التي تخلد في التواريخ وستأتى قوتها الحربية والمالية في جدول الدول وعلى ما تقدم فتعتبر كاحدى الدول

الاوروباوية الاول المتقدمة وفيها من الثروة والتمدن والغناء مافى ممالك أوروبا ومافى مملكة الصين وقاعدة هاته المملكة مدينة جدو فى جزيرة نيفون التى بها جبال بالكان كثيرة ولاجلها يكثر فيها الزلزال ومعادنها غنية وأصل دياناتهم كديانة أهل الصين

الفصل * العشرون

﴿المملكة العشرون مملكة اتشين﴾

وهى قاعدة جزيرة سومطرى وهاته الجزيرة خصبة جدا وفيها معادن جيدة ومغاص على اللؤلؤ ويقسمها خط الاستواء الى قسمين وهواؤها على العموم جيد فى الجبال ردىء فى الاودية وسكانها نحو ثلاثة ملايين وكان من الحق ذكرها فى اتباع الدولة العثمانية لكن التغافل من بعض المتوظفين أوجب اهمال الدولة لحقوقها فيها على ماسيأتى وأوجب التكلم عليها باستقلالها وذلك أن هاته المملكة كانت فى الزمن القديم تحت رؤساء من المجوس الى أن فتحها السلطان (جودشاه) من أمراء الهند فى ٤ رمضان (سنة ٦١١) وأسلم كل أهلها وتمذهبوا بمذهب الشافعى وفى (سنة ٩٢٣) فى ولاية سلطانها (فرمامشاه) بايعت بالخلافة للسلطان (سليم خان) وحصلت منه على فرمان متضمن لقبول حمايتها وابقاء سلاطينها على يد الوزير سنان باشا ثم جدد ذلك السلطان عبد المجيد (سنة ١٢٦٧) وأرسل الى سلطانها (علاء الدين منصورشاه) فرمان التبعية ونيشانا مرصعا ونشرت على قلعها وسفنها الراية العثمانية وعدة سلاطين تلك العائلة الى (سنة ١٢٩٣) ستة وثلاثون سلطانا و بمقتضى مالهم من الرخصة فى ادارة المملكة مع تكاثر الاجانب وحبهم التسلط فى جهات الهند وجزره عقد أحد سلاطينهم المسمى علاء الدين محمود شاه سنة (١١٥٥) معاهدات مع الهلانديين على أحوال التجارة والسياسة ومنها أن لا يقع منهم التعدى على أحد رعايا اتشين ولا التعدى على حقوقها وممالكها ثم معاهدة أخرى مع الانكليز سنة (١٢٤١) أيام السلطان جوهر العالم شاه وبموجب ذلك سوغ للمملكتين المتاجرة فى مملكة اتشين فاما الانكليز فبازالوا قائمين بعهدهم الى الآن وأما الهلانديون فأخلوا بالعهد منذ سنة (١١٨٠) فاستولوا على بعض جوانب من المملكة لكن لما كان أهلها نافرين من سلاطينهم و بينهم عداوة سكتت دولة اتشين على الاستيلاء عليهم كما هى المصيبة فى هذا الزمن بالمسلمين من الشماتة ببعضهم بدخول الاجانب بينهم حتى يتمكنوا منهم

جميعا

جميع الاقدار الله ثم لازالت هولانده تقتح فى أبواب التسلط على المملكة الى ان فتحت عليهم حربا فجأة سنة ١٢٩٣ وكان سلطانها اذ ذاك حديث السن وهو (محمود شاه علاء) وعند غيبة الناظر عليه ومدبر أمور مملكته الامير عبد الرحمن الزاهر حيث توجه الى الاستانة لاستنجاد الدولة العلية أيام السلطان عبد العزيز فلم يساعد واشتد الحرب بينهم ولازال الهلانديون يفتحون فى تلك المملكة الى الآن وان وجدوا من الحمية والشجاعة ما عاقهم عن انفاذ غرضهم عن عجل لكن اعانهم خذلان بعضهم لبعض مع عدم آلات الحرب وعدم معرفة آلاته الجديدة وأما قوة هاته الدولة المالية والحربية فغير معلومة وكانها لا تلبث ان تصير من أتباع هلاند كما وقع فى جزيرة جاوة وجزاير واقواق وغيرها مما استولى عليها الفرنسيس والهلانديون وغيرهم من الدول الاوروباوية فان لكل من هاته الدول مستعمرات فى هاته القارة فى شطوط الهند وفى شرقيه وجزره وتجرى فيهم أحكام الدول المتغلبين لكنها ليست كأحكام ممالكهم وانما هى أحكام استبدادية عسكرية بمراعاة العوائد للاهالى ولما كانت هاته المستعمرات لا تبلغ الى مستعمرات الانكليز لم نذكرها على حدتها مثل ماذكرنا الهند الانكليزية ولله ميراث السموات والارض

﴿القسم الثانى من الارض﴾

هو قارة أوروبا هاته القارة يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا الجهة الشرقية فتتصل بقارة آسيا المار ذكرها والحد بينهما هو جبال ارال ونهر دون الذى مصبه فى البحر الاسود ثم يحدها جنوبا البحر الاسود وبحر مرمرا والبحر الابيض وبغاز طارق وغربا المحيط الغربى والمانش وشمالا المحيط الشمالى والمنش والبلتيك والمتجمد القطبى وهاته القارة الآن رمقها السعد بألحاظه وحط لديها ركابه فكما تسعد أفراد الانسان وتنحس كذلك بقاع الارض حاشا البقاع المكرمة بالانوار الالهية وانما نعنى البخت الدنيوى فان هاته القارة كانت قد لبثت مدة وهى فى الحضيض الاسفل ما بين خلاء وخراب ودثار وتوحش فيما سلف من العصور الى أن حدثت فيها دولة الرومان واليونان وتشعشعت فيها المعارف وارتقى فيها التمدن والصنائع لكنها لم تلبث ان عادت كما كانت عليه من التوحش والبربرية لاقتصار تلك المبادى الحسنة على افراد وان كانوا كثيرين فى مراكز مخصوصة وانحصار السلطة القهرية فى تلك المراكز فزال التقدم بتقهقر تلك السلطة غير انها حدث فيها تمدن آخر فى مدة الامبراطور شارلمان المعاصر للخليفة هارون

الرشيد الذى أكب على المعارف وملازمة أهلها وبث منها فى ممالكه ماوسعه الامكان غير انها تقهقرت بعده أيضا وشرع فيها التمدن منذ خمسمائة سنة على خلاف المعهود سابقا وامتد فيها تدريجا الى أن بلغت فى هذا العصر الى الدرجة القصوى من التهذيب والتمدن والمعارف الدنيوية حتى صار لاهلها الوجاهة والنفوذ على جميع أقسام الارض

ودونك انموذجا الاخبار ذلك الترقى وحاصله ان أهالى اوروبا استفادوا من العلوم التى باللسان اللاتينى واليونانى اللذين تحفظت عليهما الكنيسة وكان أهلها فى مدة الجهل العام يبذلون أقصى الجهد فى التحفظ على تعلم ذينك اللسانين وترقى تلامذتهم فى العلوم الموروثة من الرومان واليونان كما استفادوا من الامة العربية فى المغرب بمجاورتها فى الاندلس فأخذوا عنها العلوم الرياضية وتهذيب الاخلاق والجغرافيا التى علمها المسلمون بالاسفار للعجم من الاقطار القاصية والفتوحات الممتدة شرقا وغربا والاعتناء بالتجارة حتى ان ملك صقلية دعا اليه العلامة الادريسى وألف عنده كتابه الغريب المسمى نزهة المشتاق فى الجغرافيا واستفادوا أيضا من الاسلام فى المشرق فى مدة حروب الصليب نفائس علومهم وتعلموا منهم مسالك الترقى والقوة وفنون المعارف فانبثت فيهم فى جهات عديدة فى وقت واحد فكانت فى القرن الثالث عشر المسيحى الموافق للقرن الخامس والسادس الهجرى علماء فى الفلسفة وغيرها فى كل من فرانسا وايطاليا والمانيا واجتهدت من ذلك الوقت كل جهة فى ترقية نفسها والتشبث بالوسائل التى لاتحوجها الى غيرها وأعظم الوسائل التى أعانتهم على بلوغ المعارف صناعة طبع الكتب التى كثرت بها الكتب ورخصت حتى تيسر الاطلاع عليها حتى لغير ذى الثروة

ولما انفتحت بصائرهم وعلموا ان العوائق عن بلوغ المقصود منحصرة فى عدم انسجام الادارة والاحكام على مقتضى المصلحة وعدم صرف النظر الى منافع الامة حيث لم تكن لهم شريعة تضبطهم وانما الملوك المستبدون هم الذين يتصرفون كما أرادوا وجذبوا اليهم العلماء بالترغيب والترهيب فأعانوهم على العامة الى ان وصلوا الى درجة الاضمحلال فلما انفتحت بصائر الامم تحزبوا فى جهات الى تقييد التصرف من الملوك بمشاورة رؤساء الامم ووجهائهم وان تكون الادارة على قانون معلوم موافق لعادات الامة وما يقتضيه حالها وان يستوى الشريف والمشروف فى الحقوق الشخصية وان لايمتاز قسم من الناس بالاشياء الضرورية كالعلوم والاراضى والتجارة وغيرها فحصل هذا المقصود فى بعض تلك الممالك باراقة الدماء الغزيرة بين الملوك المستبدين وبين الامة

وفى

وفى بعض الممالك تفطن عقلاء ملوكها الى وجوب العمل بذلك الوجه اما لحذقهم وايثارهم للمصلحة العامّة على الخاصة بهم حيث علموا انها أى الخاصة لا تدوم الا بدوام الامّة فآثروا مصلحة الامّة أو اتقاء من ايلولة أمر المملكة الى ما آل اليه غيرها مما الا ثمرة لهم فى الاصرار على منعه فسارعوا الى منح الاهالى القوانين والحرية ممنة منهم وما حصل فى احدى الممالك أجراء القوانين على أى وجه من الوجوه المتقدمة الا اخذت فى الترقى والثروة لانكفاف الظلم المؤذن بالخراب فتحسنت أحوالها ونمت سكانها وعمرت أرضها وكثرت صنائعها وانتشرت فيها المعارف وزادت اتقانا واختراعا وامتدت تلك المملكة بسطوتها على من لم يجاريها فيما هى عليه وسرى العمل على ذلك النحو فى جميع ممالك أوروبا تدريجا الى ان عم جميعها ولم يبق منها الآن مخالفا لبقيتها الا مملكة الروسيا بحيث يصح ان يقال ان جميع أوروبا كانها مملكة واحدة على نمط واحد وغاية الاختلاف بينها انما هو بزيادة الثروة والقوة والحضارة أما أصول هاته الاشياء فهى موجودة فى الجميع ولذلك نتكلم على هاته القارة كلاما عاما ونذكر أسماء ممالكها وقواها اذ هذا كاف فى المقصود من هذا التأليف حيث ان المقصود هو معرفة الممالك الآمنة من غيرها اسما ونحن سنذكر ان شاء الله تعالى فى المقصد تفاصيل ممالك مهمة منها فيقاس عليها غيرها اذ هى متشابهة على التقريب وانما نفرد دولة الروسيا المخالفة سيرتها لبقية وأما الدولة العلية فقد تقدم الكلام عليها فى قسم آسيا فاحكامها جارية فى الجميع على السواء غير انها لما كانت لها فى قسم أوروبا ولايات ممتازة وولايات غير ممتازة فنعيد ذكرها هنا أيضا وعلى ذلك فنقول ان أوروبا تنقسم الى دول جنوبية ودول وسطى ودول شمالية وجميعها ثمانية عشرة مملكة كلها نصرانية الا الدولة العلية كل منها مستقل عن الآخر وان كان بعضها يتألف من أكثر من مملكة واحدة فالدول الجنوبية ستة وهى الدولة العلية والجبل الاسود واليونان وايطاليا واسبانيا والبرتقال والوسطى ستة أيضا وهى فرانسا واسفيسرا والبلجيك وأوستريا والصرب والرومانيا والشمالية ستة أيضا وهى الروسيا والسويد والدانيمرك وهلاندة والمانيا وانكلتيرة

الفصل * الحادى والعشرون

فاما الدولة الاولى فهى الدولة العلية وتختها القسطنطينية فالتها العامّة تقدم الكلام

عليها وأما الخاص منها بهاته القارة فان لها ممالك رحيبة فمنها ما هو ممتاز ويؤدّى
اداء سنويا معلوما وادارته فى نفسه مستقلة كولاية البلغار التى قاعدتها صوفية فانها
بعد معاهدة برلين الناتجة من حرب سنة ١٢٩٤ التى سيأتى تفصيلها فى المقصد ان شاء
الله تعالى صارت هاته الولاية أمارة نصرانية مستقلة وادارتها على نحو الايدارات العامّة
فى ممالك أوربا ذات القوانين التى يرد الكلام عليها عن قريب ان شاء الله تعالى
وأغلب سكانها بلغاريون وبقية سكان الامارة من المسلمين واليونان وكل منهما فى أشد ❀
الضنك لاسيما المسلمين من قساوة القسم الغالب الذى صارت له السيادة على الجميع لانهم
ولان كانوا ظاهرا ادارتهم حرة قانونية لكن الباطن استبدادية تحت اشارة الروسيا ❀
المستمدة المرادة للامارة المذكورة وهاته الامارة ليس لها حق فى انشاء حصون على
حدودها والحصون التى كانت فيها للدولة تهدم بمقتضى معاهدة برلين وعساكر الامارة
يكونون من الاهالى وأغلب رؤسائهم الآن من الروس والى الآن لم يتعين مقدار الاداء ❀
السنوى الذى يلزمها اداؤه للدولة العلية بسبب التراخى عن اجراء جميع فصول معاهدة
برلين وكذلك للدولة العلية فى هاته القارة ولايات أخر مستقلة فى الادارة وما زاد من
دخلها عن مصارف مصالحها الذاتية يؤدّى الى خزنة الدولة الا الكمرك والدخان
فهما راجعان للدولة وهاته الولايات نصرانية وشروط واليها أن يكون نصرانيا يولى ❀
من الدولة بعد موافقة الدول عليه ولا يعزل قبل اتمامه لخمس سنين وأما العساكر فليس
لها ان تنظم جيشا وانما تحدث حرسا أهليا لانفاذ الاحكام وحفظ الراحة المعتادة وان
أحوج الحال الى قوة عسكرية فان الدولة ترسل للوالى مقدار ما يطلبه لذلك وللدولة
أن تقيم فى الحصون والحدود عساكر على حسب ما يظهر لها بشرط أن لا يكون على
الاهالى منهم أدنى كلفة أو تعلق وهاته الولايات هى الرميلى الشرقية واكريت والسوسام
والاحكام الجارية فيها قانونية بواسطة مجالس من الاهليين كما ان للدولة ولايات أخر ❀
فى هاته القارة ليس لها امتياز عن غيرها من بقية الممالك وهى ولايات الرميلى كادرنة
وشقودرة وسلانيك وجزائر البحر الابيض وأما بوسنة وهرسك فكلاهما تحت تصرف
النمسا وهما من حقوق الدولة ولذلك كان لها فيهما العلم بحيث ينشر كل من علم أوستريا
وعلم الدولة معا والخطبة باسم السلطان العثمانى والموظفون العثمانيون ان صلحوا
فى نظر الوالى الاوستورياوى يبقون كما ان أوستريا أدخلت عساكرها مشاركة للعساكر
العثمانية فى صنجق نوفى بازار مع بقاء الادارة بيد الدولة وكل ذلك بموجب معاهدة

برلين

براين فيحد أملاك الدولة فى أوروبا الآن شمالا نهر والطونة وغربا النمسا والصرب والجبل الاسود وبحر البنادقة ويحدها جنوبا بوغاز القسطنطينيه وبحر مرمرا وبوغاز جناق قلعة وبحر الجزر والبحر الابيض واليونان وشرقا البحر الاسود وبحر الجزر

الفصل * الثانى والعشرون *

وأما الدولة الثانية وهى الجبل الاسود فانها استقلت بعد الحروب الواقعة سنة ١٢٩٢ وكانت تابعة للدولة العلية ولازالت تلقب بالاماوة ثم ضم اليها قطع من ممالك الدولة العلية وصار الآن سكانها نحو ثلاثمائة ألف ويحدها تلك المملكة شمالا فى البعض * أوستريا وغربا بحر البنادقة ومن بقية الجهات الدولة العلية وقاعدة المملكة ستنين

الفصل * الثالث والعشرون *

وأما الدولة الثالثة وهى اليونان فانها كانت تابعة للدولة العلية أيضا واستقلت فى سنة ١٢٤٦ وكان اذ ذاك عدد سكانها نحو ثمانمائة ألف فتكاثروا الى ان بلغوا الآن الى * ما يزيد على المليون ونصف وهذا الجنس الشهرة التامة فى التقدم وفنون العرفان فى * الاعصر السابقة الا انهم لم يبقوا على ما كانوا عليه والى الآن لهم اعتناء زائد بالاسفار وقوة البحر وهذه المملكة شبه جزيرة فى البحر الابيض فيحيط بها من جميع الجهات الا الجهة الشمالية فيحدها الدولة العلية ولها جزائر أخر بقربها تابعة لها وقاعدتها اتينا

الفصل * الرابع والعشرون

وأما الدولة الرابعة وهى ايطاليا فقد كانت منقسمة الى عدة امارات وممالك ثم فى أواسط هذا القرن أخذت فى الاتحاد الى ان تم اتحادها بجعل مدينة رومة تختا لها فى سنة ١٢٨٧ وصارت دولة من الدول العظام سكانها نحو سبعة وعشرين مليونا ويحدها * البحر الابيض من الغرب فى البعض وفى الباقى فرانسا ويحدها جنوبا البحر المذكور ويحدها من الشرق بحر البنادقة فى الجل وفى البعض أوستريا ويحدها شمالا أوستريا فى البعض وفى الباقى سفيسرة وفرانسا وسيأتى مزيد الكلام عليها بانفرادها فى المقصد ان شاء الله تعالى

الفصل * الخامس والعشرون

وأما الدولة الخامسة فهى دولة اسبانيا وقد كانت متلاشية فى شمال الاندلس ولما أكب المسلمون هنالك على شهواتهم وعملوا بالظلم بعد ان بلغوا الدرجة القصوى من العدل والمعارف والقوة حتى فتحوا قسما عظيما من فرانسا ثم تركوا ما كانوا عليه وانقسموا ملوك طوائف كما قال شاعرهم

مما يزهدنى فى أرض أندلس * ألقاب معتضد فيها ومعتمد

ألقاب سلطنة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

فحينئذ استعانت دولة الاسبنيول بذلك الانقسام والظلم واعانت بعضهم على بعض وتستبد هى بالفائدة الى أن تسلطت على الجميع وفعلت من التوحش والقسوة ما تنفر عن سماعه الآذان حيث ألزمت المسلمين اما تبديل دينهم أو القتل فهرب من قدر منهم على النجاة أفواجا أفواجا حفاة عراة وتشتتوا فى المغرب والجزاير وتونس ايدى سبا ثم استفحل أمر تلك الدولة أى الاسبنيولية الى أن كانت هى وحدها اذ ذاك ذات التقدم على سائر الدول الاورباوية لما فازت به من ثمرات فنون المسلمين وصنائعهم وكانت وحيدة فى القوة البحرية حتى ان أول من اكتشف أمريكا كان من اسطولها كما سيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى وعمرت مستعمرات فى أمريكا والبحر الهندى وأفريقية غيرانها فيما بعد اثخن فيها الاستبداد جراحه سنة الله فى أرضه فتقهقرت الى ان كادت أن تتلاشى وخرج عنها كثير من مستعمراتها وخربها الظلم ونقصت فيها الانفس والاموال والثمرات الى أن استفاقت الامة من غفلتها وثاروا ثورة واحدة حتى حصلوا على ترتيب دولة قانونية وامتد أمرهم فى تحصيل مقصودهم بضع سنين وهى من سنة ١٢٨٦ الى سنة ١٢٩٣ فاستقر حالهم على حكومة حرة وملكوا عليهم ابن ملكتهم السابقة التى ثاروا عليها بعد ان سيروا الحكومة الجمهورية ثم عدلوا عنها واردوا أحد عائلات ملوك أوروبا فملكوا عليهم ابن ملك ايطاليا ثم بدا له منهم النفرة فخلع نفسه وأوصلوه الى بلاده محروسا مكرما وعادوا الى الجمهورية فأنف منها اشرافهم وأغلب الاهالى فاستقر أمرهم على ابن ملكتهم المذكورة على ان يكون تحت القوانين المرتبة وخاضعا لها فاستقام حالهم بذلك واقبلوا على اصلاح شؤونهم بيد ان ذلك لما كان حاصلا من عهد قريب وبعد

حروب

حروب أهلية لم تتراجع دولتهم الى ان تعد من الدول الاولية وسكان هاته المملكة عدى ما بقى لها من المستعمرات سبعة عشر مليونا ولها مستعمرات فى أمريكا وفى شطوط أفريقيا وآسيا وجزر الاقيانوس يبلغ عدد سكانها نحو تسعة ملايين وهاته المملكة يحدها جنوبا بوغاز طارق والبحر الابيض وشرقا البحر الابيض فى البعض وفرانسا فى الباقى وشمالا المحيط الشمالى وغربا المحيط المذكور ومملكة البرتقال وقاعدتها مدريد

الفصل * السادس والعشرون

وأما المملكة السادسة وهى مملكة البرتقال فقد كانت قسما من الاندلس ثم اسبانيا وعند تقهقر هاته استقلت عليها واجرت القوانين فكانت مستقيمة السيرة على قدرحجمها وسكانها نحو أربعة ملايين ونصف ولها مستعمرات فى شطوط افريقية والصين والهند يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثة ملايين ونصف ويحدها هاته المملكة غربا المحيط الغربى ومن بقية جهاتها اسبانيا وقاعدتها اشبونة بالتسمية العربية وحرفوها الآن فصارت لزبون

الفصل * السابع والعشرون

وأما الدول الوسطى فاولها دولة فرانسا ذات النخوة والشأن المتقدمة فى التمدن والسطوة والعرفان وسيأتى تفصيل الكلام عليها ان شاء الله تعالى وانما نقول هنا ان هاته المملكة حوت من المحاسن والصفات ما أقر لها به معاصروها ومنا كبوها ولولا تقسيم أهلها الاحزاب مع سرعة العمل بينهم لما جارتها دولة وهى تشتمل على نحو ستة وثلاثين مليونا من النفوس ولها مستعمرات فى جميع القارات يبلغ عدد سكانها نحو خمسة ملايين واستقلالها قديم وتختها مدينة باريس ويحدها جنوبا البحر الابيض وايطاليا واسبانيا وشرقا ايطاليا وسفيسرة وجرمانيا والبلجيك وشمالا البلجيك والمانش والمحيط الشمالى وغربا المحيط المذكور وهى من اقدم الدول القانونية وان طرأ عليها فى الوسط شئ من الاستبداد لكنها ازاحته وحكومتها جمهورية وقاعدتها باريس

الفصل * الثامن والعشرون

وثانيها دولة سفيسرا ويحدها جنوبا ايطاليا وشرقا أوستريا وشمالا المانيا وغربا فرانسا

وقد كانت تداولها كل من فرنسا والمانيا مدة قرون وفى خلالها يحصل لها فى بعض الاحيان استقلال الى أن تم استقلالها باعتراف جميع الدول الكبيرة وضمانتهم لاستقلالها وذلك (سنة ١٠٤٨) أى أواسط القرن الحادى عشر الهجرى ولازالت على ذلك وسكانها نحو مليونين ونصف وحكومتها جمهورية خالصة بمعنى ان المجالس العليا ينتخب أعضاؤها من أنفسهم سبعة أشخاص لمدة ثلاث سنين يكونون بمثابة الوزراء فى ادارة الامور على نحو ما تتفق عليه المجالس وينتخب هؤلاء السبعة رئيس لمدة عام واحد يكون هو رئيس الدولة العام وتخت المملكة مدينة بارن

الفصل * التاسع والعشرون

وتليها دولة البلجيك فيحدها جنوبا وغربا فرنسا وشمالا بحر المانش والمحيط الشمالى وشرقا المحيط الشمالى وهولانده والمانيا وعدد سكانها نحو خمسة ملايين وتخت المملكة مدينة بروكسل وكانت من ملحقات فرنسا ثم استقلت بأمرها مع اتحادها بهولانده بعد سقوط نابليون الاول ثم استقلت بتا (سنة ١٨٣٠) مسيحية الموافقة (سنة ١٢٤٦) هجرية فسبقت أيضا فى العمران والثروة

الفصل * الثلاثون

ورابعها مملكة دولة النمسا المتركبة من دولتين مستقلتين وهما أوستريا وهنكاريا وكل منهما لها ادارة خاصة بجميع داخليتها ووزراء يباشرون الادارة فى كل منهما ولها ملك واحد يلقب بامبراطور أوستريا وملك هنكاريا ولهما قانون معلوم فى كيفية الاتحاد والانفراد وحدود كل منهما ومنها أن يكون وزير الخارجية وعلائقه متحدا فى كل من المملكتين ودولة أوستريا من أقدم دول أوروبا وكانت فى مبدئها صغيرة ثم تعاظمت ودخلت فى العصبة الالمانية حيث ان من أهاليها قسما عظيما من الجنس الالمانى وصارت لها الرياسة على العصبة مدة الى ان انتزعتها منها دولة بروسيا (سنة ١٢٨٤) فى حرب عاضدتها فيها ايطاليا واستقرت الآن منفردة عن العصبة الالمانية وصار عدد أهالى هاته الدولة نحو سبعة وثلاثين مليونا ويحدها جنوبا الرومانيا والصرب والدولة العلية وبحر البنادقة وايطاليا وغربا سفيسرة والمانيا وشمالا المانيا والروسيا وشرقا

الروسيا ورومانيا وقاعدة المملكة الاولى هى مدينة فينا وقاعدة الثانية هى مدينة بست وتحت تصرفها بوسنة وهرسك

الفصل * الحادى والثلاثون

وخامسها دولة الصرب وانما صارت دولة مستقلة بعد حرب سنة ١٢٩٣ وكانت أمارة مستقلة بالادارة تابعة للدولة العلية وتؤدى لها الخراج وبمقتضى معاهدة برلين صارت دولة مستقلة يحدها جنوبا الدولة العلية بامارة البلغار وغربها وشرقا هى أيضا ونهر الطونة وشمالا النهر المذكور والنمسا وغربا ولاية بوسنة وهرسك الراجعة للدولة العلية وتصرفها بيد النمسا وعدد سكان هاته الدولة مع ما أضيف اليها بمقتضى المعاهدة المذكورة نحو المليونين وقاعدتها بلغراد

الفصل * الثانى والثلاثون

وسادسها دولة الرومانيا يحدها جنوبا الدولة العلية بولاية البلغار فى البعض وفى الباقى نهر الطونة ويحدها شرقا البحر الاسود والروسيا وشمالا الروسيا والنمسا وغربا النمسا وقاعدتها بخارست وعدد سكانها نحو خمسة ملايين وبقية أحوالها مثل الدولة المتقدمة عليها فى الذكر لكنها متقدمة فى التمدن والمعارف والقوة وعندما كانت تابعة للدولة العلية كانت تسمى بالولايتين أى الافلاق والبغدان حيث كانت منقسمة اليهما ثم اتحدتا فى عشرة السبعين والمائتين وألف تحت أمير واحد ثم استقلت بمقتضى معاهدة برلين بعد ان دخلت فى اعانة الروسيا على كره من الاهالى ولا زالوا محبين للترك الى الآن

الفصل * الثالث والثلاثون

وأما الدول الشمالية فالدولة الاولى منها دولة انكلاتيرة السابقة فى الحرية والثروة وهى جزيرتان منقطعتان فى المحيط الشمالى يحيط بهما البحر من جميع الجهات وأقرب جهة من القارة اليها هى مملكة فرانسا ويفصل بينهما بحر المنش واضيق جهة منه بينهما نحو عشرين ميلا وسكانها نحو الاثنين ملونا وقاعدتها مدينة لندرة ولها مستعمرات فى جميع أقسام الكرة فمنها الهند وجزره وعدن فى آسيا كما تقدم الكلام على ذلك

ومنها رأس الرجا الصالح وغيره فى أفريقيا ومنها آيالات فى أمريكا الشمالية وأخرى فى الجنوبية وأعظم جزائر أوستراليا وعدد جميع من يتبعها فى المستعمرات نحو مائة وتسعين مليونا وسيأتى الكلام على هاته المملكة مفصلا فى باب خاص من المقصد ان شاء الله تعالى

الفصل * الرابع

(والثلاثون)

والثانية منها دولة هلاندة ويحدها شمالا وغربا المحيط الشمالى ويحدها جنوبا البلجيك وشرقا المانيا وقد كانت تداولتها دول جرمانيا وفرانسا واسبانيا الى أن استقلت مع البلجيك بعد سقوط نابليون الاول ثم انفصلت عنها البلجيك سنة ١٨٣٠ م و ١٢٤٨ هـ وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف نفس ولها مستعمرات فى جزائر الهند وجاوا وسمطرا وأمريكا وأفريقيا عدد سكانها نحو عشرين مليونا من الانفس وقاعدة المملكة مدينة هاك

الفصل * الخامس

(والثلاثون)

والثالثة منها دولة المانيا المتؤلفة من ستة وعشرين دولة كل منها مستقل بادارته الداخلية ولهم قانون فى الوحدة ومجلس يشترك فيه الجميع عدد أعضائه على قدر مناسبة سكان الممالك المشتركة فيه والرياسة على جميع هاته الدول الآن لدولة بروسيا وملكها ملقب بامبراطور المانيا ويحد جميع المملكة شرقا الروسيا والنمسا وبحر البالتيك وشمالا البحر المذكور والدانيمرك وغربا هلاندة والبلجيك وفرانسا وجنوبا سفيسرة وايطاليا والنمسا وعدد سكان الممالك احد وأربعون مليونا والقاعدة الكبرى للجميع هى برلين وهذه أسماء الدول المتألفة منها العصبة مع عدد السكان وأسماء القواعد

عدد سكان الممالك	أسماء القواعد	أسماء الممالك
٢٥ و ١٧١ و ٠٠٠	برلين	بروسيا
٠٤ و ٨٦٤ و ٠٠٠	مونيخ	بافير
٠١ و ٨١٨ و ٠٠٠	استوتكادر	فورتنبرغ
٠١ و ٤٦١ و ٠٠٠	كارلس	بادن الكبرى
٠٢ و ٥٦٠ و ٠٠٠	درازد	الساكس
٠٠ و ٠٩٧ و ٠٠٠	نيوستراتس	مكلنبورغ ستراتس
٠٠ و ٣١٦ و ٠٠٠	أولدنبورغ	أولدن بورغ
٠٠ و ٢٨٦ و ٠٠٠	ويمير	الساكس ويمر
٠٠ و ١٨٨ و ٠٠٠	مينجن	الساكس مينجن
٠٠ و ١٧٤ و ٠٠٠	غوطا	الساكس كوبرى غوطا
٠٠ و ١٤١ و ٠٠٠	التنبورغ	الساكس التين بورغ
٠٠ و ٠٧٥ و ٠٠٠	رودولاستاد	اشفارزبورغ
٠٠ و ٠٦٨ و ٠٠٠	سوندرسوزن	شوراشبورغ سوندرسوزن
٠٠ و ٠٨٩ و ٠٠٠	شلايز	أدليس شلايز
٠٠ و ٠٤٥ و ٠٠٠	غرايز	أوليس غرايز
٠٠ و ٢٠٣ و ٠٠٠	ديسو	أنحات
٠٠ و ٣١٢ و ٠٠٠	ابرونزويك	ابرونزويك
٠٠ و ١١١ و ٠٠٠	ديتمولد	ليب ديتمولد
٠٠ و ٠٣٢ و ٠٠٠	بوكبورغ	ليبشاومبورغ
٠٠ و ٠٥٦ و ٠٠٠	ادرسن	فالديك
٠٠ و ٨٥٣ و ٠٠٠	دارمستاد	ايس دارمستاد
٠١ و ٥٤٨ و ٠٠٠	(كولمار)	(استرسبورغ) (ميتس) للباس واللورين
٠٠ و ٣٦٠ و ٠٠٠	هانبورغ	بلدة هامبورغ
٠٠ و ٠٥٢ و ٠٠٠	لونك	بلدة لنك
٠٠ و ١٢٣ و ٠٠٠	بريم	بلدة بريم
٤١ و ٠٠٣ و ٠٠٠		

وكلها ذات قوانين والسياسة الخارجية متكفلة بها الدولة الرئيسة

الفصل * السادس

﴿ والثلاثون ﴾

والرابعة منها دولة السويد المتألفة من دولتي السويد والنورويج وكل منهما مختصة بادارتها الداخلية والوزارة واللسان والعساكر بحيث لا يجمع بينهما الا كون الملك واحدا والسياسة الخارجية أيضا لحكومة السويد وكانت المملكة قديما ذات عظمة فاستقلت عنها الدانمرك وأخذت قسما عظيما منها الروسيا واستقرت على الحالة التي هي عليها الآن منذ سقوط نابليون الاول فمجموع سكان المملكتين نحو خمسة ملايين ونصف يخص السويد نحو أربعة ملايين ويخص النورويج نحو مليون ونصف وقاعدة الاولى استكهولم وقاعدة الثانية كريستيانية وحد المملكتين اللتين هما شبه جزيرة تمتد الى نهاية القطب الشمالي فمن الجنوب بحر البالتيك وخليج بوتنيا وشمالا المتجمد الشمالي فى القطب وغربا خليج الصوند والبحر الشمالي وبحر الاسكندنافيا اللذان هما من المحيط الشمالي وشرقا الروسية فى البعض وفى الباقى الخليج الفاصل بينهما

الفصل * السابع

﴿ والثلاثون ﴾

والخامسة منها دولة الدانمرك وانفردت عن السويد والنورويج فى أواسط القرن الثالث عشر من الهجرة ثم فى أوائل عشرة الثمانين ومائتين وألف هجرية حاربتها كل من بروسيا والنمسا وامتلكتا منها ولايتى الشلسويغ وهولستين التى هى أول شرارة القيت لانقلاب الموازنة السياسية فى هذا القرن كما يأتى تفصيله فى المقصد عند ذكر ايطاليا ان شاء الله تعالى فاستقرت المملكة شبه جزيرة ممتدة من الجنوب الى الشمال ويحدها جنوبا حيث تتصل بالقارة المانيا البروسيانية وشرقا خليج الصوند وبحر البالتيك الفصلان بينها وبين السويد وشمالا خليج سكاريج راك الفاصل بينهما أيضا وغربا البحر المحيط الشمالي وسكانها نحو مليون وستمائة ألف ولها مستعمرات فى جزائر البحر الشمالي من أوروبا ولها فى أمريكا أيضا مستعمرات ومجموع سكان مستعمراتها نحو مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا وقاعدتها كوبنهاغ

الفصل * الثامن

﴿ والثلاثون ﴾

والسادسة منها دولة الروسيا ومملكتها بالنظر لسطح الارض هي اكبر الممالك وقد تقدم الكلام على قسميها من آسيا واما في اوروبا فيحدها شمالا المحيط الشمالي وشرقا جبال اورال ونهر دون الفاصل بين آسيا واوروبا وجنوبا البحر الاسود والرومانيا والنمسا وغربا المانيا والسويد وعدد جميع سكان المملكة بين آسيا واوروبا نحو نيف وثمانين مليونا من النفوس منهم نحو ستين مليونا من المذهب المسمى ارتيدوكس وهو مذهب اليونان من المسيحيين وكلهم من نوع البشر المسمى بالسلاف وبقية العدد منه نحو ثمانية ملايين مسلمون والباقي من مذاهب شتى من الديانة المسيحية وغيرها والدولة على المذهب الارتيدوكس وهي وان لم تجبر غير اهل ذلك المذهب على تبديل دياناتهم او مذاهبهم تسعى في انهم يتبعونهم من سرية المذهب واشهار تعاليمه بل تجبرهم على تعليم أبنائهم في مكاتبها وتجبرهم ايضا على ترك لغاتهم ولا يخفى ان اهل مملكة مثل تلك في الاتساع وكثرة الاجناس لابد ان يكون لهم لغات شتى حتى قيل ان اللغات الاصلية فيهم تتجاوز الخمس عشرة لغة وهاته الدولة تكونت على الصفة المار ذكرها في مدة قليلة فان هاته المملكة قديما لا يعرف منها الا اهل الجنوب باسم قبائل الى القرن الثالث المسيحي فتألفت في روسية اوروبا سلطنة عظيمة من امة الغوت ثم تلاشت بالحروب الاهلية وبهجمات الامم الشرقية على اوروبا وتمادت على ذلك الى ان استولى على اغلبها التتر مدة تومان ابن جنكزخان ثم ابتدأ تأسيس المملكة سنة ١٤٨١ م و٨٨٦ ﻫ على يد ايوان الملقب بالامير الكبير وخضعت له ولذريته القبائل المتكونة منها روسية الاصلية ثم انقطعت عائلته وحدث في المملكة تشويش اشرف بها على الاضمحلال الى ان تولاها ميشال رومانوف وهو الذي اسس الدولة الموجودة الآن وذلك سنة ١٦١٣ م و١٠٢٢ ﻫ فأخذت في الراحة الاهلية وضم ما كان خرج عنها الى ان تولاها بطرس الاكبر محيي تلك الدولة فهو الذي اسس اسمها بين الدول المعتبرة واجتهد في ترقيها وكان مع مزيد اعتنائه بالسياسة ومباشرتها بنفسه يتحمل اعباء السفر الشاق في ذلك الوقت لتعلم الصنائع بنفسه حثا للامة على الاقتداء به وبقي مدة في ترسخانة هولاندة لتعلم صناعة التجارة حتى اتقن تعلمها وجلب للمملكة معلمين من مدة صنائع واخذت من ذلك الوقت في الترقي والاتساع مع حزمه هو ومن

خلفه ومهارتهم فى الفنون الحربية والمكايد السياسية الى ان بلغت الآن الى ماهى عليه من مزيد القوة والاتساع ولوانها كانت فى المعارف والحرية مثل بقية ممالك أوروبا

❁ لما كادت ان تسلم منها دولة بعد ان بقاءها على اصول الاستبداد أوجب فيها قلة الثروة والمعارف فلم تقدر على انجاز كل ما تضمره وان كان القيصر الموجود الآن وهو الاسكندر الثانى قد حرر الفلاحين من ملاك الاعيان لهم حيث كان سابقا ان قسم الاعيان من المملكة من ملاك منهم أرضا يملكها من فيها من البشر ويستعملهم استعمال العبيد بحيث يتصرف فيهم تصرفه فى المتاع كما كانت تلك العادة جارية فى أوروبا حتى ان الفلاح اذا أراد التزوج بعد الاذن له من سيده يأتى بعروسه ليلة عرسه الى سيده ولا يمكن له أن يدخل بها قبل أن يشاركه فيها سيده وان أراد الاختلاء بها فله حق ذلك وقس على ذلك من أنواع الشناعة ما شئت ففى سنة ١٨٦٧ م و١٢٨٤ هـ أبطل القيصر اسكندر الثانى ذلك الحكم وحرر الفلاحين وأما ادارة هاته المملكة فهى من قبيل الاستبداد

❁ المطلق يعنى ان رئيس المملكة ويلقب عندهم باكزار بمعنى قيصر أو امبراطور مع انضمام معنى الرياسة الدينية فهو الذى يتصرف فى الكليات والجزئيات على حسب ارادته واختياره ومن ينوب به فى الوظائف يتصرف مثل ذلك التصرف باسم الاكزار وللاكزار رياسة التصرف فى الديانة وفى الملك وفى العسكر وفى الشخصيات ومع ذلك لهم تراتيب

❁ ومجالس لتدبير الملك وادارة الولايات فأول هاته المجالس المجلس المسمى بمجلس السلطنة وهو مجلس تشريع وادارة وحكم فيستشار فى جميع الامور المهمة غير السياسة الخارجية فانها مختصة بالملك ويستعين بوزرائه فيها ولهذا المجلس النظر فى احداث القوانين واجرائها وتعيين المداخيل والمصاريف وتدقيق النظر فى محاسبات الوزراء وترفع اليه الاحكام الشخصية الثقيلة ويتركب من الوزراء واعضاء العائلة الملكية واعضاء ينتخبهم الامبراطور لمدة حياتهم وحضور الاعضاء فيه على نوعين فالاول لازم الحضور والثانى يحضر بالاستدعاء لداع يقتضيه وله تقاسيم فى الادارة كل قسم مناط به شئ مما يتعلق بالوظيفة المجلس الثانى هو مجلس السناتو الذى أسسه بطرس الاول ووظيفته حراسة القوانين والمراقبة على سيرة كبار المتوظفين والولاة والحكم النهائى فى الجنايات السياسية الاخصوص نوازل يختص بها الامبراطور وهو ينقسم الى أقسام مراكزها فى عدة جهات من المملكة فى المدن الكبيرة ويجتمع فى أوقات الاجتماعات العامة المجلس الثالث مجلس ينظر فى خصوص المعاريض المقدمة للامبراطور وهل للشتكين

من

من الحكام عرض نوازلهم على أحد المجلسين المذكورين سابقا المجلس الرابع المجلس الديني المركب من اساقفة الايالات الكبيرة ووظيفته تسمية كبار الكنائس والنظر في ادارتها اذا أمضاه الامبراطور والمجلس الخامس مجلس الوزراء المؤتلف من تسعة وزراء فأ كثر على ما يقسم الامبراطور ادارة الوزراء اليه والمجلس السادس مجلس الرقيب العام أعضاؤه مثل الوزراء ثم ان المملكة تنقسم الى أقسام وهي أيضا تنقسم الى أصغر منها الى ❋ آخره سواء كانت في المدن أو في البوادي فالاقسام الكبار المتصرف فيها هو الوالي العام البلدي وهو المطالب للامبراطور بجميع ما يحدث في ولايته ولذلك كان له الاطلاق أيضا في امضاء ما يراه مجلس الولاية أو دحضه وهكذا كل رئيس في قسم أصغر منه هو مطالب لمن فوقه فلا جدوى في ان كان لكل منهم مجلس مركب من أعضاء من أهل المكان وفي كل قسم كبير جمعية تسمى جمعية الاعيان عدد أعضائها على حسب الدوائر والمشيخات الراجعة لذلك القسم ورئيسها يلقب بماريشال الاعيان ووظيفتها تعيين غالب المتوظفين في كل ثلاث سنين اذا امضاه الوالي أو الامبراطور وفي كل مدينة أوقرية مجلس بلدي تحت رياسة أحد أعيانهم والذي ينتخب أعضاء المجلس والرئيس هو المادية من البلدان ومعنى المادية هو الاعيان والاواسط من الناس وأما أصحاب الخدم المدنية فليس لهم هذا المقام ووظيفة المجالس البلدية ادارة الاشغال العامة ومصالح البلدان والحكم فيما يحدث بين المادية في التجارة كما انه يوجد في هاته الاقسام مجالس للحكم في الجنايات ومجالس للحكم في الامور العرفية وامضاء الحكم مناط برئيس القسم كما تقدم كما ان لكل مشيخة بالبادية جمعية من كبار عائلاتهم لفصل نوازلهم وتقسيم ❋ الاداء اللازم للدولة وتعين من يدخل للعسكر ورؤساء هاته الجمعيات هم أقدمهم في المشيخة ولهم الخيار أيضا في تنفيذ رأي الجمعيات ومن مجالسهم مجلس الصلح وهو الذي يوبخ المتوظفين عن تجاوز مأمورياتهم والحكم في الجنايات الخفيفة والماليات التي لا تبلغ أربعمائة فرنك ومن قواعدهم ان الخصمين اذا حكما أحدا مضى حكمه على شرط تقييده في دفتر مخصوص لذلك أما أحكام الحكام فهي شفاهية ويشترط في المتوظفين ان يكون أصحاب عرض وان لا ينقص سن أحدهم عن الخمس والعشرين سنة وفي خصوص الولايات التي في حدود المملكة يوجد حاكم عسكري مع الحاكم المدني وله الرياسة عليه وبخصوص ولاية فلاندا وزارة خاصة في قاعدة المملكة ومجلس سناتو اسميه الامبراطور في كل ثلاث سنين وتخت جميع المملكة هي صان بطرسبوغ فادارة هاته المملكة وان

كانت لها مجالس وقوانين وكثير من موظفيها تنتخبهم الاهالى لكنها فى الواقع استبدادية حيث ان اجراء كل شئ وتنفيذه منوط بالامبراطور ثم بخلفائه ولهم الخيار فى التنفيذ وعدمه من غير تقييد بمرجع ولا يخفى ان ذلك الرئيس وان كانت أغراضه لا تعم جميع الجزئيات لكنه له حواشى وأتباع فيراعى لكل منهم بعض الوجوه ولكل منهم علائق وأغراض فيتسع الخرق فى المراعاة والمداراة وتجرى الامور على الشهوات ولهذا لما كثرت الصحف الخبرية فى نفس المملكة وكثرت فيها الصحف الاجنبية وكثرت المدارس التى تعلم اصول التهذيب وكثرت المواصلة ببقية ممالك أوروبا بالطرق الحديدية انفتحت بصائر أهالى المدن الكبيرة فى الروسيا وسرى الامر منهم للمدن ثوانى فى جهات من المملكة فحصل منهم سنة ١٢٩٦ ثورات عديدة ولا زالت مستمرة الى الآن لكن تارة تشتد وتارة تخف فى طلب اجراء الحرية والقوانين مثل بقية أوروبا وزادهم جلاء على ذلك ما رأوه من دولتهم عند اعلانها الحرب على الدولة العلية سنة ١٢٩٤ الآتى خبرها فى المقصد ان شاء الله تعالى حيث حررت أهل البلغار مع انهم أحسن ادارة منهم وجعلت لهم ولاية ممتازة ادارتها قانونية فقالوا ما لنا نحكم على جيراننا وننفع غيرنا ونهرق لاجلهم دماءنا وأموالنا ونحن فى حالة اتعس منهم فكأن لسان حالهم يقول

يا أيها الشيخ المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم

فالحاصل ان مملكة الروسيا انما تقدمت بالسطوة والقوة بمجرد حذق أمرائها فان القيصر وان كان له التصرف المطلق لكنه دائما يراعى مصلحة المملكة ويقدمها على حظوظه الخاصة ولا يصرف من أموال الدولة الا فى مصالحها وهو فى حد ذاته فى غاية الاقتصاد ثم انه يستعين بالرجال العارفين الحازمين الصادقين ولا يغير أحدا من الكبراء من منصبه الا لمصلحة مهمة أو ذنب ثابت حتى ان وزيره الاكبر الآن وهو غرتشقوف له فى الوزارة سبع وعشرون سنة مع كبر سنه الذى بلغ الثمانين ولم يغيره بل انه مرض مرضا شديدا فى هاته السنة وهى سنة ١٢٩٧ واضطر للاستعفاء فلم يعفه وجعل له نائبا عنه لمباشرة الاشغال الى ان يتيسر له مباشرة الاحوال وعاده بنفسه فى مرضه كما انه استعفى مرارا ولم يجبه الى ذلك وهو أى القيصر منقاد لتدابير وزرائه والناصحين العارفين وهكذا أسلافه فان الوزير نسلرود الذى كان قبل غرتشقوف مكث فى الوزارة ثلاثين سنة وبذلك حصل التقدم للدولة وصارت مدنها الكبيرة لا يفرق بينها وبين

مدن

مدن أوروبا القانونية لا في الادارة الحكمية ولا السياسية ولا التحسين التشخيصي اما غيرها من بقية المملكة فكأنما الناس عبيد مستعملون للرعاة حتى حكى لي أحد السواح الثقات ان مشايخ القرى يضربون الرعية بالسياط وهم مارون بالطريق ولا يأمر الشيخ أحدا بشئ الا ويتبعه السوط ضربا لاجل ضيافة السائح فتعجب السائح من ذلك وقال له يا أيها الشيخ لا لزوم لهذا الاكرام حيث ان الواقعة هي ان السائح لما قدم لقرية وبيده توصيات من الحكومة في الالتفات اليه من الرعاة واكرامه عمل شيخ القرية بذلك وأمر في الحال أحد الاهالي بالاتيان بعلف الدواب من عنده وأمر آخر بالاتيان بالاكل الطيب من عنده أيضا وأتبع الامر بالضرب والشتم فقال له السائح المقالة المار ذكرها فأجابه بدع عنك هذا الكلام ان هؤلاء الكلاب لا يصلح فيهم الا هذا العمل فلو اني طلبت منهم ما طلبت باعلا ما يكون من الثمن عن طيب نفس لما أجابوا الشئ وكلام هذا الشيخ وان أمكن ان يكون فيه مبالغة لكنه لا يخلو عن الصحة لان الاهالي أعني أغلبهم تربوا على السذاجة الحيوانية ولم تتهذب أخلاقهم مع النشأة على الذل والهوان والتحكم الشديد فلو طلب منهم الحاكم شيأ اعتادوا على اعطائه مجانا بالوعد بالثمن لما صدقوا بذلك ورأوا ان رزقهم يؤخذ منهم قهرا وحب المال مجبولة عليه الطباع فيتكاسلون عند اعطائه الا بالغصب فيصنع الحكام معهم ذلك الصنيع ولو انهم عودوهم من الصغر والنشأة على مكارم الاخلاق واكرام الضيف ورأوا منهم مرارا اعطاء الحقوق والثمن لما خالفوا طبع سائر البشر واعلم ان في أقسام هاته المملكة أقواما كثيرين من المسلمين منهم أهالي ولاية قازان الذين أسلموا منذ العصر الاول اذ قيل انهم أسلموا في عصر بني مروان في كبد القرن الاول من الهجرة وقيل في خلافة المأمون وقيل في خلافة الواثق ابن أخيه وانتشر فيهم الاسلام باسلام ملك بلغار الماس خان بن سلكي خان في خلافة المقتدر فتسمى بالامير جعفر وقاعدة هاته الولاية مدينة بلغار المذكورة في كتب الفقه للاختلاف في وجوب العشاء على أهلها في مدة الصيف حيث لا يغرب فيها الشفق وانما أفردت بالذكر مع شمول الحكم لكل ما قرب الى أحد القطبين لانها هي التي كانت اذ ذاك معروفة باسلام أهلها ولم يحدث الخلاف في الوجوب الا في المائة السادسة اذ لا نص عن المتقدمين وقد أفرد المسئلة بتأليف بديع أحد علماء هاته البلدة في هذا العصر وهو العلامة هارون ابن بهاء الدين المرجاني ابن شهاب الدين البلغاري أيد القول بالوجوب وله نفس بديع وقول مصيب اختصره ملك بهوبال السيد محمد

صديق خان فى لقطة العجلان فلله الحمد على وجود أمثالهم فى هذا العصر الذى تغرب فيه الدين فضلا عن العلم وتلك المدينة واقعة على عرض خمس وخمسين درجة شمالا ونحو سبع وار بعين درجة طولا شرقيا من باريس وهى على نهر الفالكى الشهير

* الفصل * التاسع والثلاثون

وخلاصة الكلام على جميع قسم أوروبا هو ان يقال ان جميع الممالك المار ذكرها الا ما استثنى كلها ممالك قانونية يعنى ان ادارتها منضبطة فى السياسات بأمور محدودة مكتوبة يعلمها الخاص والعام ولا يجوز للتصرف مجاوزتها والمباشر لاجرائها هم الوزراء باذن رئيس الدولة على اختلاف لقبه من امبراطور أو ملك أو رئيس جمهورية وعدد هؤلاء الوزراء يختلف بحسب كبر الممالك وصغرها حتى تحتاج الادارة الى زيادة الفروع أولا وأصول الادارات التى لابد منها فى كل مملكة هى ادارة الداخلية ثم الخارجية ثم المالية ثم الحربية وقد يتفرع عن هاته فروع على حسب الحاجة ولاهميتها تنفرد بوزارة مثل غيرها من الاحوال فمن هاته وزارة الاحكام والبحر والمعارف والاشغال العامة والديانة ويجعل لهؤلاء رئيس فى الاغلب يكون هو احدهم وتارة يكون منفردا ليرأسهم عند الاجتماع وينفذ ما يتوقف على جمعهم ورئيس المملكة ينتخب هذا الرئيس وهو يعين لصاحب المملكة بقية اقرانه فيوظفهم وليس له بعد ذلك الا امضاء تصرفاتهم أو تبديلهم ان وافقه القانون وما يراه من التصرف انما يتصرف فيه بواسطتهم ثم يحتسب على الوزراء مجلسان أحدهما مجلس الاعيان من الامة واختيار أعضائه بيد صاحب المملكة او بواسطة وراثة تتوارثها بعض العائلات وقد تنتخب الاهالى بعض الاعضاء من بعض المملكة والثانى مجلس النواب أى نواب الامة تنتخبهم الاهالى لمدة معلومة بغاية الحرية فى الاختيار على شروط فى المنتخب والمنتخب تؤول الى صفات تثبت حق الغيرة على الوطن ومعرفة مصالحه والاهلية لنجحه ومجموع المجلسين يصح ان يسمى مجلس الامة أو المملكة فاذا رأى هذا المجلس فسادا فى تصرف أحد الوزراء أو مجموعهم وأصر المعترض عليه على رأيه لزمه الاستعفاء لانه يتصرف على خلاف ارادة الامة وهنا يكون لصاحب المملكة الحق فى قبول اعتراض المجلس وابدال المعترض عليه أو يأذن الامة بانتخاب مجلس آخر بعد حله للاول فان وقع انتخاب الامة على أناس

موافقين

موافقين للمعترض عليه بقى الامر على ما هو وان انتخبوا أهل المجلس الاول انفسهم أوغيرهم ممن يوافقهم فى الرأى لم يبق لصاحب المملكة حينئذ الا ابدال الوزراء المعترض عليهم وتوظيف غيرهم ممن يوافق رأى الامة هذا زيادة عما لهذا المجلس من حفظ جميع القوانين ومراعاة مصالح المملكة فى المال والسياسة والاحكام وعقاب المذنبين من المتوظفين ولو من الوزراء غير ان مباشرة العمل ليست بيده وانما هى لمن تعود اليه من وزير او مجلس حكم او صاحب المملكة فهذا هو أصل ادارتهم السياسية وأما أصل الادارة الحكمية الشخصية فهى منفردة عن السياسة ولا تسلط للسياسة على الحكام الشخصيين وهم يوظفون لمدة حياتهم او انتقال لدرجة أعلى وتصرفهم مناط بمجالس متعددة الاعضاء ووراءها مجالس أخر لرفع المحكوم عليه اشكواه من المجلس الحاكم اليها ووراء ذلك احتساب مجلس الامة والاحكام يستندون فيها القوانين مرتبة برضاء مجلس الامة وتكون الاحكام علانية الى غير ذلك من الاوجه المقربة لجهة الانصاف ودفع الظلم فهاته هى الاصول المعمول بها وتختلف فروعها بحسب الممالك وعاداتها فليس قانون الاحكام متحدا فى جميع الممالك بل انما يتحد الجميع على أصل الجنايات كالقتل مثلا هو ممنوع فى الجميع ومرتكبه معاقب فى الجميع وان اختلف عقابه بحسب العادات كما ان من الاحوال المتفق عليها ان يكون معظم ما تدفعه الاهالى الى دولتهم يصرف فى تحسين المملكة وثروتها واصلاحها كمد الجسور والطرق الحديدية وتنظيف الطرق زيادة على انشائها وكذلك كل ما يؤول لتوسيع التجارة والمعارف والفلاحة وغير ذلك مما يعود على المملكة بالتحسين والتحصين

﴿القسم الثالث من الارض﴾

هو قارة أفريقيا هاته القارة صارت الآن جزيرة عظيمة حيث يحيط بها البحر من جميع جهاتها فيحدها شرقا المحيط الشرقى والبحر الاحمر وخليج السويس والبحر الابيض ويحدها شمالا البحر الابيض وبوغاز طارق والمحيط الغربى ويحدها غربا المحيط الغربى ويحدها جنوبا المحيط الجنوبى وقد عرفت جميع شطوطها وما قاربها على التحقيق وبقيت دواخلها غير معمورة على التحقيق الى الآن لشدة حرها حيث كان خط الاستواء قاسما لها ولصعوبة السفر من توحش أهلها وقلة الماء والطرق وتشتمل هاته القارة على ستة وأربعين مملكة ما بين مستقل وتابع لغيره فأما الجهة الشمالية من القارة

فانها لها الشهرة التامة وتاكمت بتقدمها غيرها من القارات فى العصور السابقة ولازالت الى الآن مرعية الاعتبار

الفصل * الاربعون

فاول دولها سلطنة مراكش ويحدها غربا بالمحيط الغربى وجنوبا الصحراء الكبيرة وشرقا ولاية الجزائر والصحراء المذكورة وشمالا البحر الابيض وبوغاز طارق وهى مملكة متسعة اختلف الجغرافيون فى عدد سكانها من خمسة ملايين الى ثلاثة عشر مليونا والاقرب للصحة على حسب ما يسمع من أهلها الذين لهم خبرة بأحوالها ان السكان المطيعين للحكم نحو سبعة ملايين ومبتدأ الحكم النافذ من الشطوط الشمالية الى بلدة رودانة فى الجنوب وهى تبعد عن مراكش من جنوبها نحو مسيرة ستة أيام وموقعها جهة السوس الاقصى وهنالك أمم تابعون بالاسم وهم أكثر من الخاضعين للحكم وليس فيهم من أمارات الخضوع الا الخطبة باسم سلطان المغرب وهم على نوع من الهمجية وتناصر الجاهلية وجميع السكان مسلمون الا نحو ثلاثمائة ألف من اليهود وبعض الغرباء من الافرنج فى المراسى وحكمهم استبدادى فى السياسة وأغلب الاحكام الشخصية يحكم فيها بالشرع والمباشر للحكم هو قاض يختاره من اعلم الموجودين والمذهب العام هو المذهب المالكى ولهم مفتون يوليهم القاضى وبعضهم يوليه السلطان وهؤلاء المولون من السلطان يستشيرهم القاضى عند طلب الخصم للشورى فى حكمه أو عند توقف القاضى فى وجه الحكم وهكذا فى كل مدينة أو قبيلة قاض وجميع ما يرجع الى تلك المدينة من الايالة يرجع الى ذلك القاضى وله نواب فى القرى الصغيرة وفوق الكل قاضى فاس وهو قاضى القضاة وفى فاس قاضيان بهاته الصفة كل منهما مستبد بجهة من المدينة وما يتبعها لانها تنقسم الى فاس القديمة وفاس الجديدة ثم فى هاته المدة زيد قاض ثالث دون الآخرين فى الرتبة وانما هو بصفة نائب عن قاضى فاس القديمة لان هذا مع كبر علمه ومزيد فضله استعفى مرارا معتذرا بكبر السن وضعف البدن فلم يساعفه السلطان لذلك ووظف له ذلك النائب وهذا القاضى هو الذى يولى جميع القضاة الا قضاة مراكش فلا دخل له فيهم اللهم الا اذا أراد السلطان أن يولى أحد علماء فاس قاضيا بمراكش فحينئذ يستشير قاضى فاس فى تعيين القاضى وكل مكان يشتمل

على قاض له وال يسمى فى عرفهم قائدا له فصل النوازل العادية والسياسية وبعض الشخصيات والدولة مركبة من السلطان والوزير والحاجب ووزير القضايا وكتبة ورؤساء للجند ولجهات سياسية فأما السلطان فان له عائلة شريفة ثابتة النسب برسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل اليها بعض أهل المملكة واتوا بجدهم من ينبع النخل من المدينة المنورة منذ نحو ستمائة سنة للتبرك بهم فى صلاح ثمار نخلهم حيث بانت بركات آل البيت فى جهات أخرى من المملكة ثم عند وقوع حروب أهلية وانقسام المملكة الى طوائف نادى بجدهم مولاى محمد قسم من المملكة وبايعوه فى الثلاثين بعد الالف ثم اجتمعت بقية المملكة على ولده من بعده ولم يزل الملك فيهم لكن المتولى لا يعهد الى معين من عائلته وانما له ان يوظف منهم من رآه أهلا فى كبار الاعمال وعند فقد السلطان تجتمع أعيان المتوظفين والعلماء وأعيان الاهالى وينتخبون أحد أعضاء العائلة ويبايعونه بالسلطنة وبقية أعضاء العائلة يجب عليهم قراءة العلم ومن يوظفه منهم السلطان يشتغل بوظيفته ومن لا وظيفة له يشتغل بصناعة يتعيش منها وهى لا تكون الا عالية كالتجارة والتدريس والفلاحة ومع ذلك يجعل لهم من بيت المال شئ لا يكاد يسد من عوز وأما الوزير فينتخبه السلطان ولا يكون الا عالما اذا وجاهة من الاهالى وهو وزير القلم على الطريقة القديمة فى دول العرب من أن يكون الوزير هو وزير الانشا ولذلك يجب ان يكون ماهرا فى فنون الادب مع مشاركة حسنة فى غيرها ولعمرى ان صناعة الانشاء فى الدول باللغة العربية كادت الآن أن تكون مقصورة على دولة مراكش وأما غيرها من الدول العربية فقد تذبذبوا وكادت كتابهم أن تخرج عن الاسلوب العربى بل صاروا لا يتحاشون عن اللحن والكلمات البربرية بخلاف كتاب المغرب وهذا ديدنهم من قديم ومما يحسن ذكره هنا ان حموده باشا رحمه الله الرجل الشهير من أمراء العائلة الحسينية بتونس المتولى فى أوائل هذا القرن كان وقع فى أثناء ولايته قحط شديد اضطر بسببه لطلب الميرة والحبوب من سلطنة المغرب لان أرضها كانت خصبة فى ذلك العام ولم تكن المواصلة فى أوروبا وغيرها من الاقطار سهلة فى ذلك الوقت وكان من عادة سلطنة المغرب ان تمنع خروج الحبوب من مملكتها فارسل حموده باشا العالم المقدس سيدى ابراهيم الرياحى لطلب ذلك المهم ووجه معه مكتوبا كان من جملة عباراته تبق تأذن بخروج القمح الخ فقوله تبق عبارة بربرية اعتادها كتاب التونسيين فى الاوامر الرسمية ولما قرأ ذلك الكتاب تعجب وزير القلم بدولة المغرب من

تلك العبارة واستمدحققه منها كيف يخاطب السلطان بها ولولا تبحر سيدى ابراهيم
فى العلوم لخاب المسعى فقال لهم انها عبارة عربية وهى جملة دعائية فى صورة الخبر ايذانا
بتحقيق الاجابة ببقاء السلطان ومابعدها جملة حالية ايذانا بأن بقاءه يكون دائما مشمولا
بعلو الكعب الذى تحتاج اليه المسلمون من الاقطار وهو دايم الاذن بما ينفعهم ثم قال
لهم وعلى فرض لحن العبارة هل يسوغ لسلطان من المسلمين ان لايرحم عصابة اسلامية
ويتركهم يأكلون جوعا لسوء عبارة من جهل الكاتب وقرائن الحال حافة بحسن
القصد على انها محل وجيه الخ فنجح سعيه رحمه الله وأما بقية الموظفين فيتخذهم
السلطان ايضا على حسب ارادته والسلطان يجلس يوميا صباحا ومساء لقبول المشتكين
كيفما كانت الدعوى و يكون قبل جلوسه قد هيأ له وزير القضايا تقريرا فى جميع من
ورد ذلك الوقت مع بيان دعوى كل واحد ثم ينتظم مجلس السلطان بوقوف وزيره
والحاجب وكبار الاعوان ويمكن وزير القضايا التقرير من السلطان فيقرأه و يأذن
بادخال المشتكين على حسب ترتيبهم فى كتاب التقرير و يسمع من المشتكى دعواه
و يطابقها على التقرير وعند ذلك لهم طريقتان الغالبة هى أن السلطان يجيب
المشتكى بما يراه فى فصل نازلته اويحو يلها الى الشرع ثم ينفذ وزير القضايا ما أمر
السلطان به والطريقة الثانية هى انه بعد فراغ جميع المشتكين وتطبيق شكواهم
على التقرير يوقع السلطان على التقرير فى كل نازلة بما يراه ويدفع التقرير الى ذلك
الوزير وهو يخرج من بين يديه و ينفذ ما امر به السلطان وسيرة عموم الدولة على السنن
القديم فى الامم التى لم يتسع نطاقها فى التمدن وفى الاغلب محافظون على الشعائر الدينية
وسوق العلوم الدينية رائجة جدا بحيث لا تخلو المملكة من فحول فى كل وقت ومن أهم
صفات سلاطينهم العلم وأما العلوم الرياضية فاما أن يقال انها منقطعة عندهم بالمرة
أو أن بعض فروعها لم يزل فيه رمق على النمط القديم وذلك مثل علم الاسطرلاب
والهندسة كما ان لبعضهم ولوع ودعوى فى علم الطلسمات وسر الحرف وكذلك علم
الكيمياء بمعنى قلب بعض المعادن الى الذهب الذى ضاعت فى البحث عنه رجال وأموال
من غير طائل وأغلب السكان غليظوا الطباع على السذاجة البربرية أهالى شجاعة
واقتحام للشاق و رضاء بشظف العيش ولاهل المدن اخلاق جيدة وصفات جيدة
متمسكين بالديانة ومتحاشين عن المعاصى وكل قادح فى العدالة ولهم اليد الطولى
فى التجارة بحيث إن تجارة داخل المملكة اعنى غير المراسى التى على البحر هى بيد الاهالى

ويرسلون

ويرسلون منهم الى اقاصى الممالك لمعاطاة الاشغال التجارية ووصلها بممالكهم حتى لا تكاد تجد مدينة شهيرة للتجارة فى احدى قارات اوروبا وآسيا وافريقيا الا وفيها من تجارهم من له مزيد الرواج والثروة ولهم براعة فى ادارة التجارة يناكبون بها الاوروباويين ولا زالوا يحترسون من تداخل الاجانب فى أحوال مملكتهم حتى انهم يمنعونهم من السكنى فى غير المراسى التى على البحر وسفراء الدول يسكنون فى مرسى طانجه ومن أراد منهم مواجهة السلطان يرسل اليه يطلب ذلك فيرسل له السلطان خفراء مخصوصين ويتقدمون به من هناك الى تخت المملكة فينزل فى احدى القصور الملكية ويعين له يوما للمواجهة فيخرج فيه ويقف فى ساحة او طريق رحيبة معلومة وتقف العساكر والمتوظفون يمينا وشمالا ثم يأتى السلطان راكبا فى خاصته وحاشيته وهم مشاة الى أن يقرب من السفير فيتعرض له وعند الوصول اليه يوقف السلطان سير جواده ويسلم على السفير ويلقى اليه السفير الكلام الرسمى المعهود للاقبال فيجيبه السلطان بمثل ذلك ويعلمه انه اذن وزيره باقباله والتفاوض معه فى مأموريته ويستمر فى سيره وينفصل الموكب وبعد ذلك يقع التفاوض بين الوزير والسفير الى أن يستقر القرار على شئ فيعود السفير الى البلد المتقربة محفوفا بالخفر ومن عوائدهم فى أمن الطرق ان كل قبيلة حول احدى الطرق تكون كفيلة بمن يمر فى ذلك الطريق على حدود معلومة ثم يدخل المسافر فى كفالة غيرها وهكذا على شرط ان لا يسافر ليلا وان يعطى على كل دابة اجرا مخصوصا لتلك القبيلة وهذا الاجر لا يجحف بالمارين فاذا حصلت مضرة لاحد المسافرين تغرمها القبيلة التى وقع فى حدودها ذلك الحادث واذا دخل وقت الغروب فيجب على المسافر المبادرة الى أحد المنازل القائمة على الطريق لتلك القبائل وهم يرحبون به ولهم منازل كثيرة حول الطريق وكذلك البريد له فى كل بلد شيخ وله اتباع يسمون المكاتيب ويأخذ عليها اجرا زهيدا ويسافر به الحامل ومعه رفيق لكى لا يقع التعطيل بمرض او غيره ويمشون راجلين ويمكثون المكاتيب فى كل بلدة بيد شيخ بريدها وهو يوزعها مالم يعرض امر خاص فلصاحبه ارسال بريد خاص بأجر وافر على على حسب بعد المكان ولاصحاب البريد سرعة فى السير اما بريد الدولة فهو فى عهدة القواد يرسلونه من واحد الى آخر الى أن يصل لمقره واصحابه ركاب ولا يسمح لاجنبى مطلقا أن يقيم بداخل المملكة واليهود يسكنون فى المدن وغيرها على صفة اهل الذمة غير ان عوائدهم القديمة معهم تجاوزوا فيها حد الشرع فى اهانتهم واذايتهم حتى فقهوا

عليهم بابا المداخلة الدول بواسطة الجمعيات اليهودية فى ممالك أوروبا وكانت أرسلت فى أواسط هذا القرن دولة الانكلاتيرة طالبة من السلطان تغيير تلك العوائد فأجابهم لطلبهم قائلا ان الحكومة تسلك معهم هذا المسلك وأما الاهالى فحيث كانوا غير منقادين لجميع الاوامر فعلى الحكومة مراقبتهم بقدر الاستطاعة ولما علم اليهود بذلك امتنعوا من قبول تلك المنح وارسلوا الى أوروبا قائلين دعونا على عادتنا المألوفة ولا تتداخلوا فينا واعلنوا للحكومة والاهالى بذلك طالبين التألف بهم والامان على أنفسهم فأمنوهم واستقروا على ما كانوا عليه ووجه سلوكهم ذلك المسلك أمران أحدهما ظاهرى وهو ان ديانتهم قاضية عليهم بتحمل الهوان والمشاق الى خروج المسيح لكى ينقذهم على دعواهم وثانيهما وهو الباطنى انهم يعلمون تسلط الاهالى عليهم وعدم معارضة الحكومة لهم أما عجزا أو تعاجزا فيقعون فى الهلاك وعلى فرض أخذ الدول لثارهم فما فائدتهم بعد انقراضهم وصرح بذلك بعض رؤسائهم لانهم أحرص الناس على حياة وفى هاته السنة وهى سنة ١٢٩٧ أحرق الاهالى يهوديا فعادت الكرة من الجمعيات المذكورة ❋
آنفا ووجدت دولة اسبانيا الفرصة للتداخل تعاميا عما فعلته هى مع اليهود مما هو من ذلك القبيل أو أشد وما بالعهد من قدم كانت تمنع دخولهم الى مملكتها ولم يزل ذلك الا عند اعطاء الحرية العامة فى اسبانيا منذ عهد قريب ولكن مريد التداخل يفتش على ما يوافق قصده فلذلك دعت دولة اسبانيا جميع دول أوروبا لعقد مؤتمر للنظر فى أحوال اليهود ورعايا الاجانب فى مملكة المغرب لان اليهود أكثروا بالرحيل الى بعض الممالك الافرنجية ويحصلون منها على الحماية ثم يعودون الى المملكة المغربية ويسكنون باماكنهم الاصلية وعند اجراء الاحكام والعادات عليهم يتجاسرون باظهار الحماية الاجنبية فلم تعترف لهم الدولة المغربية بذلك وتقول اما أن تكونوا أجنبيا فلا تدخل للمملكة واما أن تكون أهليا فتجرى عليك الاحكام هذا على تسليم الحماية ودولة اسبانيا تريد الانتصار للمحتمين وأن يكون لهم السكنى فى دواخل المملكة بدعوة تعميم التجارة وبعض الدول يوافقها لكى يتسع باب التداخل فى المملكة حتى يتسلط عليها والدولة المغربية مصرة على الامتناع والتمسك بالمعاهدات والعادات المألوفة فعقدوا لذلك مؤتمرا فى مدريد فى شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٧ وكانت كل من دولتى فرنسا وانكلاتيره مساعدة لدولة المغرب أما فرنسا فلمجاورتها لها فى الجزائر وهى قد رأت من أهالى الجزائر متاعب شديدة فانها استولت عليهم منذ خمسين سنة وهم لا زالوا يحدثون

الثورة

الثورة عليها مهما سنحت لهم الفرصة مع قلة الفائدة بالنسبة للخسارة وتريد توكيد
المودة مع دولة المغرب لكي لا يحدث لها بمشاحنتها هيجان في الجزائر سيما وهي تعلم ان
الاستيلاء على المغرب غير متيسر لمعارضة دول اوروباوية قوية في ذلك وأما انكلترة
فتريد استجلاب دولة المغرب وبقاؤها لكي لا يتسلط على خليج طارق دولة قوية يمكن
أن تمنع الانكليز من المرور به الى البحر الابيض كما تخشى أيضا من انها اذا أظهرت لها
التشدد عليها ربما تميل الى دولة أخرى ذات اقتدار وتحالفها ويصير الجميع ضدا
للانكليز في وقت الحاجة ومثل هاتين دولة المانيا فكثيرا ما تظهر المودة لدولة المغرب
رجاء أن تمكنها بمرسى على احد شطوطها ولا أقل من ان تكون مجرد حليفة لها حتى
يخشى الفرانساويون عند عقدهم الحرب مع المانيا من هجوم المغرب على الجزائر وبقية
الدول لا أرب لهم هنالك ولذلك يظن ان لا يحصل ضرر على هاته الدولة من ذلك المؤتمر
لان اسبانيا وحدها لا تقدر على جلب مساعدة الدول اليها وهي بنفسها ولان كانت قادرة
على التسلط على المغرب لكن الدول السابق الذكر الاتي لها منافع هنالك تعارض
اسبانيا في قصدها ومع هذا كله فانهم لا بد ان يظهروا شيأ لتلك المملكة حتى تراعي
الاتحاد الاوروباوى ويا ليتهم يتجنبوا ما نهى عنه الشرع ولم يعاملوا مع أهل الذمة الا
ما أمر به الشرع لان مجاوزة الحدود تقضي بالانقلاب ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ان صناعة
النقش في الجص على ظواهر الحيطان المسمات في العرف بنقش حديدة لها اتقان عظيم
بهاته المملكة وكذلك دبغ الجلود واما القوة الحربية فان لهم قبائل مخصوصين معفون
من جميع الاداء للدولة وهم القائمون بحمايتها مع اعطاء الدولة اليهم المعاشات والسلاح
والخيل وعلى بقية القبائل زيادة على الزكاة والعشر ان يدفعوا للدولة مقادير معينة من
الخيل اما عند حدوث الحرب فيلزم جميع المملكة أداء ما يحتاج اليه من الكراع والذخيرة
ولا زال سلاحهم على الطرز القديم وكذلك حركاتهم العسكرية لكن منذ نحو ثلاثين
سنة ابتدؤا بتنظيم العسكر على الطرز الجديد والفوا جيشا يحتوي على ستة عشر ألفا
وعلموه من عساكر تونس ولكنه انخرم وهرب أغلبه ولكن قد أخذ السلطان المتولي
الآن وهو مولاى حسن في تنظيم الجيوش على مقتضى الطرز الجديد وأرسل تلامذة الى
مدارس فرانسا والمانيا لتعلم الفنون الرياضية والله ينجح سعيه ويحرس المملكة

الفصل * الحادى والاربعون

﴿ المملكة الثانية ﴾

هى مملكة الجزائر وهى شرقى السابقة ويحدها شرقا تونس وجنوبا الصحراء وغربا المغرب وشمالا البحر الابيض وهى تابعة لفرانسا منذ سنة ١٢٣٧ وسيأتى تفصيل الكلام عليها فى المقصد وانما نقول هنا ان عدد سكانها نحو مليونين ونصف وأكثرهم مسلمون وقاعدة المملكة هى بلد الجزائر والاحكام السياسية والضبط مثل فرانسا والاحكام الشخصية بين شرعية اسلامية وبين قانونية فرانساوية

الفصل * الثانى والاربعون

﴿ المملكة الثالثة ﴾

هى مملكة تونس ويأتى تفصيل الكلام عليها فى المقصد ان شاء الله تعالى والاجمال انها مملكة اسلامية تابعة للدولة العثمانية مستقلة بالادارة وحكمها استبدادى محض وسكانها نحو مليون ونصف وقاعدتها مدينة تونس ويحدها شرقا وشمالا البحر الابيض وغربا الجزائر وجنوبا الصحراء الكبيرة وطرابلس

الفصل * الثالث والاربعون

﴿ المملكة الرابعة هى طرابلس الغرب ﴾

وهى مملكة اسلامية من عهد سيدنا عمر رضى الله عنه وكانت فى أيام دولة الرومان والقرطاجنيين فى غاية العمران والخصب وان كانت المياه بها قليلة لكن الآثار القديمة دالة على اخراج منابع الماء بها من العيون والآبار وحفظ ماء المطر غير انها الآن قليلة الخصب والسكان فسكانها لا يتجاوزون المليون والمعمور منها أودية خاصة وقاعدتها طرابلس ويتبعها ولايات مثل برقه وغدامس وفزان وبنغازى وهاته الاخيرة تارة تفرد بالادارة وتارة تتبع طرابلس وقد استولت الدولة العثمانية على هاته المملكة فى المائة العاشرة من الهجرة سنة ٩٥٨ وذلك ان الدولة الحفصية التى قاعدتها تونس لما ضعف

امرها

أمرها واستبدّ عليها الولاة فى الاطراف كان من جملة من عصى عليها والى طرابلس التى كانت تابعة لها وجار فى الاهالى فجهز اليه السلطان الناصر الحفصى وغلبه وولى على طرابلس أبا محمد عبد الواحد ابن حفص فقبل الولاية بعد امتناع طويل على شروط أوّلها ابقاؤه واليا الى أن يعيد البلاد الى أعز ما كانت عليه من الغناء والراحة الثانى أن يستقل بالادارة مدة ولايته بحيث لا يعارض ولا يرد أمره فى شئ الثالث أن ينتخب مقدارا من العساكر حسب ارادته لابقائهم فى اعانته فأجيز له ذلك وبقى فى الولاية الى أن مات وولى ابنه الذى هو على شاكلته فاستقرّ العدل والغناء فى المملكة حتى بلغ النهاية واخلدت الاهالى الى الراحة وترك السلاح لما ضجروا منه سابقا حتى كان ذلك سببا لطمع العدوّ فيهم وذلك انه قدمت الى ثغر طرابلس سفينتان مشحونتان تجارة فاشترى جميع ما فيها رجل واحد ونقد الثمن حالا واستدعى من فيهما الوليمة أعدّها لهم وبعد احضار الطعام أخذ لؤلؤة فاخرة ذات قيمة عظيمة ودقها فى الهاون بمرأى منهم وذرها على الطعام قائلا هذا الكم مقام الفلفل ثم أحضر بطيخة خضراء وأراد قطعها فلم يجد سكينا فسأل منهم سكينا ولما سئل عن سبب عدم السكين عنده قال ان الاهالى كانوا ضجروا من حمل السلاح ليلا ونهارا أيام الظلم والعدوان ولما استقرّ الامن والعدل صار السلاح بيننا حمله معيبا ومن حمله أهين بين الاهالى فتعجب المدعوون الذين هم من الاسبنيول القائم فى ذلك الوقت كما يرد خبره فى تاريخ تونس فأخبر اصحاب السفن دولتهم بما رأوا فطمعت فى طرابلس وكان عندها ابن السلطان الحفصى مستنجدا بها على أبيه فمدّت بجيش قليل على طرابلس وامتلكتها باسم أحمد الحفصى الابن المذكور وجار فى البلاد أشدّ الجور هو والاسبنيول ولما رأى ذلك الناباطان الذى هو أحد ممالك ايطاليا تداخل بين الاهالى بالافساد ووعدهم بالحماية من الظلم وانهم اذا أطاعوه حماهم من المظالم ولا يتداخل فى أمورهم وانما يستولى على الحصون فقط فكان ما كان واجرى فيهم الامر أوّلا على نحو ما وعد ثم ابتدأ بالتداخل فى أمرهم فامتنع بعض أعيان الاهالى وتحصنوا فى (تاجورى) وكانت الحرب بينهم قائمة غير انهم علموا ضعفهم عن امتداد المقاومة فارسلوا وفدا منهم الى الاستانة مستنجدين بالدولة العثمانية فى انقاذهم ودعوها للاستيلاء على جميع البلاد حيث كانت هى اذ ذاك أقوى دول الاسلام وجمعت تحت رايتها أغلب الممالك الاسلامية كمصر والشام والعراقين ولما وصل الوفد الى الاستانة تعجب من شكلهم كل من رآهم ولم يجدوا أحدا يفهم لغتهم حتى صادف أحد

الطواشيين فى القصر السلطانى الجمع المحتبك للتفرج فيهم وكان عالما باللغة العربية فعلم القصد وكان هو الواسطة فى ابلاغ مطالبهم للدولة فاولته هو على تلك البلدة وأرسلته معهم مع حامية ضعيفة لانهم مهملوا الامر على الدولة لكنه لما ان وصل ذلك الوالى وعلم حقيقة الامر أرسل بتفصيل الاخبار الى الدولة وكان اذ ذاك اسطولها المتوجه الى الاستيلاء على تونس على أهبة السفر تحت رياسة سنان باشا فأمر بالتعريج على طرابلس أولا فافتكها من أيدى القابلطان وبقيت مستقلة بالادارة وليس للدولة عليها الا الهدايا واعانات فى وقت الحرب الى ان عصى يوسف باشا قرهمنلى وحاربته الدولة فى أواسط هذا القرن أى سنة ١٢٥١ واستولت استيلاء باتا على المملكة وصارت ادارتها مثل ادارة سائر الولايات العثمانية ومركز الولاية مدينة طرابلس الغرب وسكان نهايعلون للبداوة ولو أهل المدن ويحدها شرقا مصر وشمالا البحر الابيض وتونس وغربا تونس وجنوبا الصحراء الكبيرة

الفصل * الرابع والاربعون

المملكة الخامسة هى مصر واجمال الكلام عليها انها مملكة اسلامية مستقلة بالادارة تابعة للدولة العثمانية وقاعدتها مصر ويتبعها ممالك مثل النوبة ودارفور وكردفان وزيلع وغيرها من ممالك السودان وجميع سكانها مختلف فى عددهم من الثلاثة عشر مليونا الى الستة عشر مليونا والاخير باعتبار الاضافات اللاحقة بها أقرب وحكمها ظاهرا قانونى بين شرعى وسياسى ويحدها شمالا البحر الابيض والصحراء وغربا طرابلس وشرقا الشأم وجزيرة العرب والبحر الاحمر وجنوبا الحبش والسودان والصحراء الكبيرة وتفصيل الكلام عليها يأتى فى المقصد ان شاء الله تعالى

الفصل * الخامس والاربعون

المملكة السادسة هى الحبشة ويحدها من جميع جهاتها السودان المصرى وعدد أهلها نحو خمسة ملايين على التوحش والبربرية والديانة عندهم الغالبة نوع بين النصرانية واليهودية والوثنية أعنى انها كانت نصرانية ثم امتزجت بفروع من تلك والحكم استبدادى متوحش ولا يعرفون حقائق العلوم ولا التمدن ولذا لا يعلم كم دخلها

ولا

ولانخرجها وهى لاتزال فى ضعف من الحروب الاهلية وبين أهلها كثير من المسلمين دخلهم الاسلام من عهد البعثة

الفصل * السادس والاربعون

المملكة السابعة هى مملكة الزنجبار وموقعها على شطوط افريقية الشرقية على المحيط الشرقى وقاعدتها فى جزيرة امام القارة وهاته المملكة هى اسلامية عربية من قديم وتارة تكون تابعة لغيرها من ملوك جزيرة العرب وتارة تستقل وفى أوائل هذا القرن استفحل ملك أحد أئمة مسقط بجزيرة العرب وهو المسمى بالسيد سعيد من أعيان ملوك الاسلام المتأخرين فعبر السيد سعيد البحر واستولى على زنجبار وجعلها مقر مملكه وأشاد فيها الحصون ورتب فيها الادارة الملكية مع انتحال شعائر الدين الاسلامى وكان من أتباع المذهب الوهابى كما أنشأ اسطولا بحريا يتألف من أربع سفن كبار حربية ذات طبقتين ومن عمل مداركه السياسية انه لما علم ازدياد القوات الاوروباوية وطموح أنظارهم الى الجهات الشرقية وغيرها كما حصل بالفعل فى شطوط أفريقية والهند راكن حينئذ دولة الانكليز وجعل معها عهدا حتى تكون كافلة بحماية مملكه من تسلط الغير لانها أقوى دولة أوروباوية لها شوكة فى تلك الاقطار وفى آخر حياته أولى على مسقط أحد ولديه وهو المسمى السيد تويني مستقلا بها كما أولى على الزنجبار ولده الآخر المسمى السيد ماجد وبعد وفاته حصلت نفرة بين الاخوين وعزما على الحرب فتداخلت بينهما دولة الانكليز وتصالحا على اداء ملك الزنجبار الى امام مسقط مقدارا سنويا حيث ان المملكة الأولى أغنى من الثانية والثانية أقوى وكانت مالكة للأولى ثم ازداد غناء مملكة الزنجبار واعتبارها بعد فتح خليج السويس لاعتناء سلطانها السيد برغش واجرائه للعدل ولاهلها تمدن وفطانة عربية وقد زار سلطانها السيد برغش ممالك أوروبا فى أوائل عشرة التسعين بعد المائتين والألف وأخذ ينحو منحى التمدن الاوروباوى فى بعض أشياء سالكا مسلك الاستشارة الذى هو أساس العدل ودخل هاته المملكة يأتى ان شاء الله تعالى فى جدول دخل الدول وأما عدد السكان فهو نحو مليونين تقريبا

الفصل * السابع والاربعون

المملكة الثامنة هي مملكة برنو وهي في دواخل القارة في الجهة الشمالية الشرقية ويحدها شرقا وادای وجنوبا الاراضي المجهولة وشمالا الصحراء الكبيرة وغربا قبائل بنبرا وهي مملكة سودانية اسلامية يقال في صفتها واحوالها ما يشبه مملكة مراكش وملكها من نسل العرب ويقال من الاشراف وتختة كوكا أو كوكو قرب بحيرة انشأت أكبر بحيرات دواخل أفريقية وهذا التخت منقسم الى قسمين كل قسم له سور وفيها بلدان للتجارة منها ماله معامل للصبغ واخرى لنسج الثياب القطنية وسلطانها مستقل ويلقب في عرفهم بالشيخ ومن دونه يلقبون سلاطين وله اقتدار وتوسم بالعلم بل يقال عنه انه يقرأ درسا من تفسير البيضاوي ودرسا من صحيح البخاري ولمملكته قبائل تؤدى خراجا له وهي مركي وتختها دورا ومندرا ولوكون ولهم صنائع في النسج وغيره ولسلطان برنو جيش من السودان على أنواع غير نظامية وله عسكر خاص يقدمه بين يديه على أحسن صورة وأكمل خلقة أشداء لهم رماح وأقواس من الحديد ولكل في ذراعيه حلق من حديد ماسكة لزنديه علامة على القوة ولا لبس لهم الا ما يستر العورة وبأصابعهم خواتم من حديد تعين على جذب القوس لصلابته ليبعد رميه ولا يلبس العمامة الا السلطان وهي عمامة كبرى بيضى ولدولة السانيا معه مواصلة ومهادات لاعانة جمعية الجغرافيا على الاكتشاف ويقال انه يقدر ان يعسكر من الفرسان أزيد من مائة ألف من عموم الاهالي ويستعمل عندهم الاسلحة النارية ولغة الدولة هي العربية وفيها العلماء وعدد السكان باعتبار الاضافات نحو ثمانية ملايين تقريبا

الفصل * الثامن والاربعون

لا يخفى ان بقية أفريقيا لما كانت غير مكتشفة حق الاكتشاف بجميعها وليس لاهاليها من التقدم ما لقبائل بقية الممالك قد قسمها الجغرافيون الى احد عشر قسما كبرى فأولها ما يسمى بالسودان ويحده شرقا ولايات مصر السودانية مثل دارفور ويحده شمالا الصحراء الكبيرة ويحده غربا سانيغال ويحده جنوبا كينيا العليا وبلاد الكفر وهذا القسم يشتمل على عدة ممالك وقبائل مستقلة «تنبيه» لما كان غالب أسماء

هاته

هاته الجهات والقبائل منقولة من لسان أعجمى الى الفرانساوى ومنه نقلنا أغلبها فربما وقع تحريف فى الاسم ولكن على كل حال يفيد تقريبا المقصود بالمادة ومن ممالك هذا القسم سلطنة برنو المتقدمة وأكثر الممالك التى فيه أهلها مسلمون وفيهم علماء أجلة لهم تآليف الى هذا العهد ولكن الاطلاع على تفاصيل أحوالهم بالنسبة الينا لما كان عسرا اكتفينا بالذكر الاجمالى

الفصل * التاسع والاربعون

مملكة واداى وهى مملكة اسلامية لها ملك مستقل ولها تجارة واسعة مع مصر وطرابلس الغرب ولاهلها وفاء عظيم بالعهد ذكر لى ثقة ان احد أهالى واداى قضى عليه بالاسر فبيع فى طرابلس والحال انه حر وبذلك يعلم اصابة منع الممالك الذى هو مباح للخوف من الوقوع فى الحرام حسبما يشهد لذلك ما كتبه عالم أفريقية سيدى ابراهيم الرياحى من المالكية وشيخ الاسلام بيرم الرابع لاحمد باشا عند أمره بعتق العبيد فكتب اليه كل من العالمين المذكورين كتابة جيدة فى اصابة رأيه ثم ان ذلك الاسير بعد ان أقام مدة وصل فيها الى سن الشيخوخة بطرابلس اعتقه مالكه ورجع الى بلاده وكان غنيا وبعد نحو ثمان سنين قدم على معتقه ومعه هدية ثمينة وفاء بحق الصحبة ومعه تجارة وقضى أمره ورجع الى بلاده وعدد أهالى هاته المملكة نحو من مليونين ونصف وتختها مدينة وره وعادات هاته المملكة وأحكامها على نحو مملكة برنو تقريبا

الفصل * الخمسون

فى بقية ممالك القسم المسمى بالسودان فأولها قبيلة كانم بو وهى فى الجهة الشمالية من برنو وقد كانت سابقا مستقلة ثم صارت الآن تابعة الى واداى المتقدمة مع امتياز وقاعدتها ماو ثم قبيلة باكرمى وهم تابعون الى واداى أيضا بامتياز وقاعدتهم ماسنا وهى غربى السابقة ومن غريب ما فيها ان عندهم نوع من النمل يحفر بيوته كبيرة جدا بحيث يكون ارتفاعها نحو عشرين ذراعا واتساعها نحو مائة وعشرين ذراعا وهاته الممالك والتى قبلها هى حول أعظم بحيرة فى قسم السودان المسماة تشاد فواداى من شرقها وكانم من شمالها وباكرمى من جنوبها ويليها قبيلة موزكو ومن غريب

عاداتهم ان الرجل والمرأة اذا تشاجرا فاذا ابتدأ أحدهما بالكلام خيط الآخر فمه بالخيط حتى اذا انتهى صاحبه فتح هو فاه وفعل صاحبه مثل فعله لكي لا يقطع عنه الكلام ولذلك ترى أفواههم مثقوبة من الصغر لاجل ذلك ويدعى انهم يأكلون الاسرى بل وان من تفطنوا به منهم انه أصابه مرض أكلوه قبل ان ينحف فلا يصرح أحد بمرض للخوف على نفسه

الفصل * الحادى والخمسون

مملكة فلاتا ومركز قوتهم بلد هوسا التى بها شعبان أقوياء من السودان ويسمون باسم بلدهم وهم خاضعون الى فلاتا وهؤلاء جلهم مسلمون حسن السيرة على ماهم عليه وتختهم بلد سا كاتو ولهم سلطان مستقل مسلم ومسكنه بلدة ورنو وأعظم بلاد للتجارة عندهم بلد كانو وأهلها مسلمون ولهم بعض صنائع جيده كالدبغ والصبغ والنسج ولهاته القبيلة السيادة على جميع القبائل المجاورة لها الاخر وثلاثة قبائل بجوار الصحراء وهى كوبر ومريادى وكاغو ولذلك كانت فلاتا مملكة وموقعها غربى الممالك السابقة على نهر نجر الذى هو أعظم أنهر قسم السودان ولهم عليه قوة عظيمه

الفصل * الثانى والخمسون

القبائل المتحدة المسمات بركو المتألفة من تنبكتو وكورما واتباكو وقد كان الجميع تحت سلطنة واحدة جمعهم عليها أحد علماء فوت المسمى عمر الفوتى وهو من العلماء الاجلاء من كبار تلاميذ سيدى احمد التجانى رضى الله عنه وتوصل باجتماع التلامذة عليه الى ان صار ملكا وجمع هاتيك القبائل والتى يأتى ذكرها تحت سلطنته لكن فى آخر الامر وقعت حروب معه الى ان قتل بلغ يقال انه اثاره على نفسه لما أيس من الحرب وكان ذلك فى حدود سنة ١٢٨٣ وله عدة تآليف وجميع هاته القبائل مسلمون وفيهم الصالحون ولهم تجارة مع المغرب لكنهم الآن حكمهم كأنه حكم جمهورى تحت عدة رؤساء متعاضدين على دفع مهاجمات الفلاتا من الجنوب والتوارك من الشمال ثم يلى هاته المملكة من غربيها قبائل (بنبره) وقاعدتهم سان سان دنك وهاته القبيلة مستقلة تحت رياسة حاكم منهم وبقربها مكان كان يسكن به قبيلة برباو الآن لا يعلم من به

القسم

﴿القسم الثاني﴾

هو أراضي سانيغال أو سانيغانبي وهو يشتمل على عدة أمم ويحده شمالا الصحراء وشرقا قسم السودان وجنوبا مملكة جبال الاسد وكينيا العليا وغربا وبعض الجنوب المحيط الغربي وفيها جبال كثيرة ونهران عظيمان وعدد جميع سكانها نحو اثني عشر مليونا وقد استولى الفرانسيس والانكليز والبرتقال على أكثر شطوطها

الفصل * الثالث

﴿والخمسون﴾

في المستقل من سانيغال قد بقيت دواخلها منقسمة الى عدة حكومات أكبرها ثلاثة الاولى بالس الثانية ماندنيك الثالثة كيولوفس ثم البقية صغار متفرقون

الفصل * الرابع

﴿والخمسون﴾

ممالك تمباني وسوليمانه وموقعها في جنوب السابقة بينها وبين كينيا العليا وتحتها فالاباو بأزاء هاته قبائل كورانكو وتحتها كورا كونكا

﴿القسم الثالث﴾

هو كينيا العليا وفيها قبائل وأقسام وهذا القسم ممتد مع شاطئ البحر الغربي من جهة الى الشرق ثم الى الجنوب الى مبدأ خط الاستواء القاسم للقارة ويحده جنوبا كينيا السفلى عند خط الاستواء والمحيط الغربي وغربا المحيط وشرقا بلاد الكفر وشمالا قسم السودان في الاغلب وفي الاقل سانيغال

الفصل * الخامس

﴿والخمسون﴾

أول أراضي هذا القسم هي المسماة كرومان وهي قبيلة من الاصليين هنالك ذات أخلاق حسان وهم أقوياء تألفهم الغرباء ويوفون بالعهد وهم في شمال كينيا العليا وعلى الاجمال فجميع سكان كينيا العليا متوحشون من السودان وبينهم مسلمون ونصارى ارتحلوا الى هنالك ومنهم من صار لهم فيها مستعمرات

الفصل السادس

﴿والخمسون﴾

فى مستعمرات الانكليز بهذا القسم وهى الاراضى المسماة جبال الاسد وسكانها من السودان وتختها فريتوفن

الفصل السابع

﴿والخمسون﴾

فى مملكة ليبريا هى مملكة جمهورية مستقلة تسمى ليبريا سكانها من السودان المعتوقين من امريكا واعترفت بها دول أوروبا من سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٧٤ م وسكانها نحو خمسمائة ألف من السودان ولها مجلس نواب الى غير ذلك من سمات الدول المتمدنة ولغتهم انكليزية ونهاية مساعيهم تحرير العبيد السود فى الدنيا وموقعها على الشاطئ الغربى المذكور وتختها مدينة مرنوفيا وتحت هاته الجمهورية ولاية أخرى انشأتها الجمعية الحرة المذكورة ومن قانونها ان لا يدخلها الا السودان الذين يقسمون ايمانا على ان لا يشربوا مسكرا واسم تختها هدبر

الفصل الثامن

﴿والخمسون﴾

فى أرض شطئ الفيل وهى تلى المملكة المتقدمة وهى من أراضى كينيا يحدها المحيط المذكور جنوبا بقرب خط الاستواء ولم يمكن للسواح التوغل والاقامة بها لفساد هوائها وان اصطلح الفرنساويون أماكن أقاموا بها وشرقى الارض المذكورة الارض المسماة بشطئ الذهب سميت بذلك لغناها به واستعمرها الانكليزيون ببلدان كثيرة

الفصل التاسع

﴿والخمسون﴾

فى دواخل كينيا العليا وفى دواخل كينيا عدة ممالك سودانية منها قبائل فانكى كانوا

عصبة

صحيبة ضد حروب قبائل اسمانتي التي هي في الدواخل المذكورة وهم مثل أمة قوية معروفة بسفكهم الدماء حتى انهم يضحون الآدميين في جنائز كبرائهم وعند انتصارهم وتختهم يسمى كوماسى

الفصل * الستون

في بقية شطوط كينيا العليا ودواخلها ثم شرقي الشاطئ الذهب شاطئ الممالك يسمى باسم التجارة الرائجة هنالك ثم في دواخله ممالك داهومية سكانها نحو ثمانمائة ألف من السودان ولملكها اثنا عشر ونصف ألفا من العسكر منهم خمسة آلاف نساء ويضحون المئات من الآدميين في أفراحهم وتختهم (أبومي) ثم في شرق ماذكر ممالك (هاوسا كانو وأنا كالا) وهوسى (وبالى) وشرقيها ممالك (يربا) تمتد الى ان تصل الى قرب ممالك برنو وما جاورها وقد تقدم ذكرها وبازائها قبيلة (أكياس) الذين التجأوا من كثرة الحرب عليهم الى جبال صخرية وانشأوا هنالك بلدا متحصنين بها وعددهم نحو مائة ألف تحت رياسة رئيس بانتخابهم ولهم رئيس حرب واسلم منهم كثير وأمة واسعة الى مملكة تنبكتو وشرقي السابقة مملكة بنين وشرقي هاته شاطئ كالابار ثم جنوبي هاته محاذيا لها على الشاطئ مستعمر فرنساوي يسمى كابون وهو نهاية ممالك كينيا العليا

﴿القسم الرابع﴾
﴿من الاقسام الكبرى قسم افريقية الجنوبية﴾

الفصل * الحادى
﴿والستون﴾

في ممالك رأس الرجاء الصالح في نهاية الجنوب على الشاطئ من المحيط الجنوبي رأس الرجاء الصالح وهو مستعمر للانكليز وقصبتها بلد الرأس سكانها سبعمائة ألف ويليها شمالا في داخل القارة ولايات صغار وهي تاماكاس وكورانا ناس وبوشمس

﴿القسم الخامس﴾
﴿من الاقسام الكبرى بلاد الكفر﴾

وهو شمالى الرأس وهو أراض واسعة عظيمة تنتهي الى الشاطئ الغربي والشاطئ

الشرقى وتتوغل فى القارة وتسمى بلاد الكفر ومنهم قبائل الزلوس وقبائل ناتال وجمهورية نهر أورنج وجمهورية ترانزفال وبلاد البتجوأناس وبلاد أوتانتو

❋ الفصل * الثانى

❋والستون❋

فاما الزلوس فهم أقوياء أشداء أهل حرب وقد حاربوا الانكليز سنة ١٢٩٦ كما هى عادتهم معهومات فى هاته الحرب ابن نابليون الثالث امبراطور الفرانسيس لترؤسه على عسكر انكليزى ثم قهر الانكليز الزلوس وأسروا ملكهم الذى يعتقد نفسه كنابليون الاول وخضعوا الى الانكليز على شروط استقلال ادارتهم

❋ الفصل * الثالث

❋والستون❋

وأما اراضى ناتال فسكانها انكليز وهلانديز وزلوس وباستوس بربريس وهنود وجميعهم نحو أربعمائة ألف نسمة وتختها ماريس بورك ❋

❋ الفصل * الرابع

❋والستون❋

وأما جمهورية نهر أورانج وهى شمال رأس الرجا وسكانها من الكفر المسمون بتجوانس وهلانديز وتختها بلوم فنتين ولهم رئيس ومجلس شورى ومجلس نواب وديانتهم برتستانت وهنالك قبيلة من الكفار مستقلة تسكن بالجبل الازرق ❋

❋ الفصل * الخامس

❋والستون❋

❋ وأما جمهورية ترانسفال فهى واقعة فى بلاد الزلوس وعددهم نحو ثلاثمائة ألف وثلاثين ألفا وتنقسم الحكومة الى أربعة أقسام لكل مجلس ورئيس ومنفذ وكاتب

وتختها

وتحتها بوتش شيفستروم ومن قوانينهم ان رئيس الجمهورية معه اثنا عشر عضو الادارة الحكومية يبقون ثلاث سنين

الفصل * السادس

﴿والستون﴾

وأما ملكة بادجوانه فتحتها كوروماني وبجوارها مملكة اوتانتو وهم فاسدو الاخلاق حتى شبهوهم بالمغول وعقولهم رديئة حتى انهم يدخلون منازلهم يمشون على أيديهم وارجلهم كالحيوانات وفي كلامهم يلصقون لسانهم بلهاتهم وفي شمالي نهر أورنج صحراء تسمى كالاهاري لاماء فيها ولا نبات الا اذا صب المطر فتنمت عروقا و بطيخا بكثرة ويوجد الفيل هنالك بكثرة والجاموس والزرافة والنعام والكركدان وهنالك نوع من البشر وحشى يصطادونه كما تصطاد السباع ثم أراضي الزنبيز يسكنها نوع من السودان يسمى ماتيونا وانتنفي وكولولو وغيرهم

﴿القسم السادس﴾

من الاقسام الكبرى كينيا السفلى وهي على شاطئ المحيط الغربي يحدها شمالا كينيا العليا وغربا المحيط وشرقا بلاد الكفر وجنوبا قسم الرأس وهي أرض غنية بها نوع من القصب عجيب يسمى بانبو يدوم من الاربعة الى الخمسة آلاف سنة وساق شجرته محيطه نحو ستين ذراعا وبها نوع من القردة أكثر شبها بالانسان لكن بها نوع من الذباب قتال لمن يلسعه وأغلب السكان من السودان وحشيون ومنقسمة الى عدة عمالات

الفصل * السابع

﴿والستون﴾

في عمالك كينيا السفلى فالاولى تسمى لونقو وتحتها بوالى ثم عمالة كاكونكو وتحتها كين كالى ثم عمالة نكويو وتحتها كانبدا ثم عمالة كونكو وتحتها بنزا كونكا ثم عمالة انكلا تحت استعمار البرتقال وتحتها لواند ثم عمالة بنكالا للبرتقال ايضا تحتها صان فليب وهذان سكانهما نحو ستمائة ألف من السودان ولكل حاكم وفي جنوبيها صحراء سيم بيازى

﴿القسم السابع﴾

من الاقسام الكبرى هو المسمى موزنبيك وهو شمالى بلاد الكفر على الشاطئ الشرقى للمحيط ولا يعرف منه الا الشط وهو مستعمر للبرتغال ومنقسم الى سبع حكومات

الفصل * الثامن

﴿والستون﴾

فى ممالك هذا القسم وهى مركو وانهانبانى وسوفالا وسينناو كيليمانى وموزنبيك وديلكاد ويحد هذا القسم شمالا مملكة الزنجبار التى تقدم ذكرها

﴿القسم الثامن﴾

من الاقسام الكبرى قسم سوموليس وهو فى الشرق الشمالى من زنجبار ويحده شمالا جون عدن وشرقا المحيط وجنوبا المحيط وزنجبار وغربا زنجبار

الفصل * التاسع

﴿والستون﴾

فى ممالك هذا القسم فسكانه من بربر افريقية الشمالية والعرب والسودان وهاته المملكة هى المسماة بزيلع وكانت شطوطها للدولة العلية ثم سلمتها الى مصر بالزيادة فى نواحيها وفى نهاية شمالها بلاد عدل واغلب سكانها مسلمون ولهم امام من العرب وفى الشمال الغربى منها بلاد هرر وقاعدتها مدينة هرر وسكانها نحو الثمانين ألفا كلهم مسلمون على أوصاف جيدة وبلادهم حصينة ذات اسوار والتجار آمنون ولهم تجارة واسعة مع اليمن وغيره مع خصب الارض وسلامة الهواء فى أغلب الجهات وهى داخلة فى الممالك التابعة لمصر

﴿القسم التاسع﴾

﴿من الاقسام الكبرى﴾

هو القسم المجهول وهذا القسم الكبير الاوسط من افريقية الجنوبية مجهول ويحده شرقا زنجبار وما حولها وغربا كينيا السفلى وما حولها وشمالا برنو وماوالاها وجنوبا بلاد الكفر ويخرقها خط الاستواء وعمقه جنوبا نحو عشرة درجات وكذلك شمالا

ولا يعرف منها عند الجغرافيين الا ثلاث عمالات أولها عمالة كازمب وتختها الوسندا وثانيها اونيامورى وتختها كزخ وثالثها اوجيجى وتختها كاولى

﴿القسم العاشر هو الجزائر البحرية﴾

واما الجزائر التابعة لافريقية وهى فى المحيط كلها الاعتبار لها الا جزيرة سنتيلين المقابلة لجون كينيا فى دواخل المحيط وانما اشتهرت لكونها مات بها نابليون الاول منفيا فى أسر الانكليز واغلب تلك الجزائر فى ثلاث دول أوروبا الا ما يتبع الزنجبار وكذلك ما يتبع جزيرة مادغسكار التى هى الجزيرة الوحيدة فى افريقية فى المحيط الشرقى تجاه شمالى موزمبيك كما سيأتى

الفصل السبعون

فى مملكة مادغسكار او كسكار وهى من الجزائر الكبيرة المعتبرة فى الدنيا وهى غنية وفيها نوع من السباع اسمه ما كيروهاى هاى وغيرها من الحيوانات الغير المعروفة وسكانها نحو خمسة ملايين وكلهم من السودان ونوع يسمى هو واس يظن انهم من نوع سكان الهند وعددهم نحو ثمانمائة ألف والدين الغالب هو الكفر من عباد الاوثان والجميع تحت حكم واحد وعليهم ملكة أنثى اسمها راناڤولو الثانية وقد أمرت باحراق جميع آلهتهم وهدم جميع معابدهم وأمرتهم بالديانة البروتستانت فاطاعوها وهم على ذلك الا ان الكثير منهم بالاسم فقط اذلا يعتقدون شيأ وكان ذلك الامر فى سنة ١٨٦٨ وتخت المملكة بلدة تناناريڤو وقد اكتشف هاته الجزيرة العرب قبل البعثة وعرفها أهل الصين واهل ممالاى

﴿القسم الحادى عشر﴾

من الاقسام الكبرى قسم الصحراء فتنقسم الى ثلاثة أقسام (اولها) صحراء المغرب (وثانيها) الوسطى او بلاد التوارك (وثالثها) الشرقية أو بلاد التيبوس فالاولى هى بين مراكش وسانيغال على شاطئ المحيط الغربى والشاطئ فى البحر مملوء صخرا والريح الغربية تخرج من البحر رمالا تحدث فيه جزرا متنقلة وقد تحقق ان وسط هاته الصحراء يكون الرمل دائما متنقلا الى الجهة الجنوبية الغربية وكان ذلك أحد أسباب عدم النبات بها وتسمى هاته الصحراء بالساحل ويوجد بها عدة جزائر

بالنبات على خط واحد اقا الوجود ماء جار على منخفضاتها تحت الارض أو ندى والقوافل تمر دائما على جهتها السقى من آبارها والتزود من عشبها

الفصل ❊ الحادى

❊(والسبعون)❊

فى ممالك الصحراء الغربية ويسكن بهاته الجزائر فى بعض الاوقات نوع من البشر يسمون زنقا وكذلك التوارك والعرب يجذبهم الى هناك ربح تجارة العبيد وكلهم يتعشرون من القوافل المارة عليهم وتارة يسرقونهم وتارة يسافرون معهم هداة للطريق والاصليون من سكان الصحراء المذكورة مسلمون وهم مركبون من عرب بنى حسن الذين يقال انهم رحلوا من اليمن فى القرن الحادى عشر ميلاديا وفيها عمالة تسمى تيريس فى الشمال الغربى على الشاطئ تأتيها الحيوانات من المغرب وسانيغال والرعاة لرعى حيواناتهم زمن الربيع لكثرة الخصب وسكانها اولاد دليم وهم أقوياء شداد متسلطون ويخترقون الصحراء باهتياش السريعة ويتعيشون بالنهب وفى جنوبها بلاد بها كثرة سباخ يتزود منها الملح جميع أهالى الصحراء الى بلاد تنبكتو كما ان فى صحراء المغرب جزائر نباتية تسمى ادرار على نحو ثلاثين ميلا من سانيغال وبها جبال كثيرة وبلدان وقرى وقصبتها تسمى وادان وسكانها بين عرب وبربر ثم جزائر تاغانيت كان يسكنها قبائل زاغانار وقصبتها تيشيت ثم جزائر والاتا فى الجنوب الغربى وبلاد الهث ضاربة فى الجنوب قصبتها كسانبرا وبقرب سانيغال بلاد ترارزا س وبراكاس وبلاد سيدى هاشم الذى كان دخل الى مراكش

الفصل * الثانى

❊(والسبعون)❊

فى ممالك الصحراء الوسطى وأما الصحراء الوسطى فيسكنها العرب المنتقلون الى هنالك بالاستيطان والتوارك ويمتدون من حدود فزان ببلاد طرابلس الى بحيرة تشاد ومركز قوتهم فى رباء على شكل مثلث وبها جبال كثيرة ونهيرات وثلاثة جبال كبرى بجبل يسمى غات وخارج المثلث المذكور جهة الجنوب الغربى بلاد ازاود وبقية الجهات قفراء والتوارك يسمون انفسهم ايموشاك بمعنى مستقلين واشراف واسم التوارك اطلقه

عليهم العرب وهو بمعنى التاركين لتركهم الحق فى الصدر الاول (وأما) الآن فهم مسلمون ولغتهم تسمى تاماشك وينقسمون الى عدة قبائل توارك هرر فى جبال هكار وتوارك أزقر فى جبال غات وتوارك مريدير فى جبال سكارن وتوارك الفوقاس وفى الجنوب جهة تنبكتو توارك السراج وتوارك أنّ هو وأولاد أحمد والقبائل وتالغوى وجميع هؤلاء القبائل ينقسمون الى أربعة أقسام كبرى وهى توارك هكار وتوارك أ ر فى غات وتوارك كاوى وتوارك والى منيدن فى شرق تنبكتو والقسمان الاوّلان معروفان لكثرة التجارة معهم من الجزائر ويدعون بأنهم أشراف البربر وهم بيض حسان الخلقة شجعان يحملون الرماح والسيف والمكحلة أى البندقة والسكين ويركبون الهجين السريع للغاية مع قوته ويلبسون قمصا أبيض أو أسود وعلى رؤسهم شواشى طوال ولثام بحيث لا تظهر الا أعينهم ولهم ملك يحكم مع كبار القبائل وولد أخت الملك هو وريث الملك (هكذا) قانونهم وحكمهم ليس بقدرى مطلق بل لهم نوع من الحرية ومن عاداتهم أن لا يتزوج الرجل الا امرأة واحدة شرعية وله غيرها وديانتهم الآن الاسلام ليسوا بمتغالين فيها كما هى حالة مجاوريهم ولهم غنم أصوافها قصيرة وألياها كبيرة للغاية ولهم معز وابل لحمل الاثقال وهجائن للركوب ولهم نوع من الخيل من أجود الجياد وفى جوائر الصحراء لهم نخيل كثير والقبائل الرحالة هم الحارسون للقوافل المارة فى بلادهم بين شواطئ أفريقية الشمالية والسودان بأجرة مقوننة معروفة والقادم من فزان يجد غات على مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما من لغوات والامطار هنالك قليلة جدا ومرض الاعين كثير وهو أصعب طريق بين السودان وطرابلس ومن شهر سبتمبر الى غاية شهر نوفمبر يجتمع فى بلاد غات أزيد من ثلاثين ألف جمل بأحمالها وفى الجنوب الغربى هضاب على جبال هقر تكادان تسمى سويسرة أفريقية لانها جبال ذات آجام وغابات ووهادات تسقى من عيون غزيرة ويدوم فيها الثلج من ديسمبر الى مارس ومن هاته الجبال منبع أعظم أنهار الصحراء المسمى ايغرغر ويذهب جهة الشمال وينقطع قرب تكرت فى حدود الجزائر وهى مسكن التوارك الخالصين المخيفين لمن جاورهم بقوتهم وشجاعتهم وأكبر بلدانهم تسمى ادلى وفى الشمال الغربى جهة مملكة مراكش عمالة توات المكونة من عدة جزائر نباتية متقاربة وبها نوع من الشجر يسمى كرك هو أحسن فحم للبارود وأرضهم خصبة لجميع النبات ولهم حيوانات كثيرة والسكان ناس طيبون مسلمون متصلبون ويتجرون مع المغاربة والجزائريين ومع غات والسودان وأكبر

مدنها يتميوم وادرار وتامنتيت وتجتمع الطرق فى بلد اولف ولذلك كانت موقعا مهما للحرب وفى الجنوب عمالة اير فى طريق السودان وهى متكونة من جبال صخرية وفى الاودية ينبت كل نبات وفى شهر استمبر تنزل أمطار غزيرة والسكان يسمون كاوى أصلهم مابين التوارك والسودان وتحتهم يسمى اوكاديس ولهم ملك يسكن بها وفى حدود السودان يتوغل فى الجنوب ايالة دامركو وفى الغرب منها قرب نهر دور يبا ايالة والى مانيدن وبها بلدة مبروك الواقعة على الطريق بين تنبكتو وغات

الفصل * الثالث

﴿ والسبعون ﴾

فى مملكة الصحراء الشرقية وأما الصحراء الشرقية المحادة لمصر من غربها فهى ليست كبقية الصحراء لا نها بها الطفل نوع من الطين بكثرة و بها جبال لونها رصاصى أو اصفر و بها اربا من الرمل رحالة الى جهة الجنوب وجهة الغرب وسكانها يسمون تيبوس من السودان من نوع القانورى التابع لبرنو وينقسمون الى عدة قبائل وهى الرشاد وقران وبركو وباتلين وغيرها والطريق مابين مرزوق الى كوكا مارة على سلسلة من الجزر النباتية طويلة جدا واكبرها تسمى كوار وهو حقيقة اسمها وان سموها باقما ويوجد فى هذا القسم جزائر أخر وهى تيبستى وبركو وموقعها بين مرزوق ووادى ثم جزيرة كوفارا التى بها بلدة كابو الواقعة فى الشمال وجهة الشرق من هذا القسم تسمى ليبيا بها بعض جزر تابعة الآن لمصر وهاته الاماكن التى عبرنا عنها بالجزر تسمى فى العرف بالواحات (والخلاصة فى افريقية) ان جميع سكانها عدى الممالك الشمالية والممالك التى على الشطوط نحو مائة مليون وأهم الشطوط بيد ممالك أوروبا ولهم فيها حكم استبدادى بمراعاة للعوائد غير انهم يستعملون القوة القاهرة لتوحش السكان وبقية السكان غير الممالك التى مر ذكرها بتفصيل حالتها هم أناس متوحشون كالحيوانات العجم ودأبهم غزو بعضهم بعضا ولبعضهم رؤساء يلقبون بألقاب الملك ويجرون الحكم القهرى ولهم عادات مبنية على خرافات وجلهم اشد الناس تعلقا بالسحر وربما منه ويعتقدون له من التأثير أمورا عجيبة يكاد السامع أن لا يفهمها حتى ان بعضهم يستعمل السحرة فى الحرب بل ويعتقدون فيهم

الاحياء

الاحياء والاماتة ومن هذا القبيل في حكاية ما يعتقدونه ما أخبرني به ثقة عدل راويا
عن والده الذي هو شاهده انه رأى من عجائب سحرهم ان قبيلة ونفر من عادتهم
التجارة و يرحلون لاجلها الى بلاد جني من بلاد قسم السودان فيتهيأ لذلك كل عام
نحو ثمانية أو عشرة من كبرائهم أهل السحر و يعانون ذلك فلا يزال الناس يأتونهم
بأقربائهم ووكلائهم المريدين للسفر و يستودعونهم عندهم الى ان يجتمع منهم آلاف
كل منهم يحمل بضاعته على عاتقه و يسافرون (هكذا) مشاة فاذا مات أحد المستودعين
اجتمع السحرة والموه بأشياء من نوع شجر عندهم لكي لا يفسد جسده ثم يأخذون ذنب
بقرة مستودع فيه السحر على زعمهم و يمسكونه بيده ثم يوقفونه ولا يزال سائرا معهم الى
الايل فيمدونه (وهكذا) ذهابا وايابا و بضاعته على عاتقه وهو ميت الى ان يرجع الى
صاحبه ولولا تواتر الاخبار بمثل ذلك في أنواع سحرهم لما أثبتناه هنا هذا للعلم بأحوال
ما يعتقدونه وديانتهم شتى من أنواع الكفر و بعضهم يعتقد الالوهية في ثعابين
أو عقارب أو حيات أو أصنام أو ملوك حتى اعتقد قوم منهم في سائح أبيض انه ابن الشمس
وعبدوه ولما أراد الرجوع خاف على نفسه منهم من غضبهم على البقاء بين أظهرهم الى
أن اختفى ونجا وهكذا يعتقدون الالوهية في كثير من الحيوانات و بعضهم له لباس
و بعضهم عراة بالمرة والنساء كانات الحيوانات المشتركة و بعضهم يتستر على العورة
الغليظة و بعضهم يلبس شيأ من الثياب و بعضهم يسكن تحت السماء و يتقي البرد
والحر بظل الاشجار و بعضهم يتخذ بيوتا من الهشيم أو أغصان الشجر و بعضهم له قرى
وهم يتفاوتون في هاتيك الخلال شدة وضعفا وفي هؤلاء الاقوام قبائل من المسلمين وهم
على توحشهم أحسن حالا من غيرهم لان الديانة هذبت من أخلاقهم نوعا ما وان كان
بعضهم لا يعلم من الديانة الا الانتساب اليها و بعضهم يعلم الكليات الخمس الواجبة اجمالا
من غير معرفة تفصيلها واذا قام أحدهم الى الصلاة يصير يركع و يسجد من غير عدد
مخصوص لانهم انما يعلمون وجوب الصلاة التي هي قيام وركوع وسجود من غير تفصيل
ولا عدد ولا ترتيب وهكذا يوجد في افريقية أقوام ينتسبون الى الديانة النصرانية
واليهودية وليست على قواعدها المعروفة ولا زال الاوروباويون يرسلون دعاة
لادخالهم في النصرانية هم وغيرهم من أمم تلك القارة كما يرسلون سواحا للكشف عنها
وتحقيق ما فيها وكأنها لا تلبث أن تصير مطمح الانظار ومحطا للتقدم فقد اعتنوا من كل
الجهات بالبحث عن ذلك رغبة في ازدياد التجارة والربح ونجح كثير من سواحهم في

الحصول على اكتشافات نافعة من خصب أقطار وكثرة سكان ووفور معادن وغير ذلك من حيوانات وحشية وأهلية لها فائدة في التجارة والفوا في صفات البلدان التي شاهدوها كتبا مفيدة وعلى الاجمال يقال ان قارة افريقية لازالت غير معروفة حق المعرفة الا ما يدناه منها مفردا وقد رأيت أبياتا للشيخ احمد بابا التونبكتي وهو عالم مشهور من علماء السودان في أوائل هذا القرن قدم من بلده تنبكتو قافلا للحج مارا على المغرب وتونس وهاته الابيات تفيد معرفة أسماء قبائل من السودان ومعرفة ديانتهم وهي

كل الذي من سنف منش ندما * علمك بالكفر عليه فاحكما
كذلك كرم كتد كل وربا * تنبع وبركدس وبوبا كنما
فهم يجوز فيهم السباء * وبيعهم يجوز والشراء
واحكم باسلام بلاد برنو * كشنكاغ وكنو وغنو
مول وكوير وصغى كذلك * وحل فلات وبعض زكزكا

﴿القسم الرابع من الارض﴾

هي قارة أمريكا يدعي غالب أهل العصر ان هاته القارة كانت مجهولة عند القدماء الى سنة ١٤٩٢ مسيحية الموافقة لاوائل القرن العاشر من الهجرة فاكتشفها رجل اسمه كريستوف كلمبوس وهو من أهالي جنوه متخذا صناعة الملاحة وهي اذ ذاك تستلزم معرفة الحروب لكثرة الحروب البحرية سيما في شطوط أوروبا وكان الهاتف في فكره وجود أرض وراء المحيط الغربي والجزائر الخالدات لمعرفته بالجغرفيا ورسم الخارطات فسعى الى ذلك مع ملك البرتغال ثم مع ملك جنوه وخاب أمله وبعد المحاولات الطويلة مع ايزابلا ملكة اسبانيا في مدة ثمان سنين حصل على المساعدة بثلاث سفن والعهد اليه بأن يكون خليفة الملك عما يكتشفه ويأخذ العشر من المداخيل لنفسه ثم بعد مقاسات شديدة له من الملاحين الذين أرادوا قتله ليأسهم من النجاح كلل سعيه بالنجاح بعد سبعة وعشرين يوما من شطوط اسبانيا الى جهة الغرب وأول جزيرة اكتشفوها سماها سان سلفادوري ولازال يكتشف فيها جزيرة بعد اخرى كلها في غاية النضارة وسذاجة الاهالي وسلامتهم حتى انهم يراه نساء ورجالا ولونهم ذهبي ويبنون بيوتا من أغصان الشجر وبعض الجزر يبنون القرى من الحجارة والطين واكتشف فيها على البطاطس والتبغ اللذين لم يكونا معروفين من قبل وهكذا اكتشف بها على

الطماطم

الطماطم التى يقال انها هى السبب فى حدوث المواد الطبرية فى القارات لانه لم يكن معروفا ذلك المرض من قبل حتى سمى بالحب الافرنجى نسبة الى الافرنج لانه عرف منهم بجلبهم للطماطم وسيأتى الكلام ان شاء الله تعالى على وجه تسمية أهل أوروبا بالافرنج ثم ان كلمبوس رجع الى اسبانيا وعاد بأسطول وغنما كرأ كثر مما كان أتى به سابقا فلم يبق هنالك ثم قدم بعد مدة رجل يقال له أمريكوس وهو الذى اكتشف على أمريكا الجنوبية وبه سميت جميع القارة والحق انها كانت معروفة سابقا وكذلك طريقها من جهة المحيط الغربى ودليله انهم أثبتوا ان أهالى النورويج كانت لهم تجارة ومعاملة مع أهالى كرنيلاندا من أمريكا الشمالية منذ القرن الثالث والرابع من الهجرة حيث ذكروا ان رجلا من أهالى اسكلاندة التى هى الآن من ممالك انكلتره وكانت اذ ذاك تحت حماية النورويج تدفعه الرياح فى ذلك الزمان فى البحار الشمالية الى ان وصل الى كرنيلاندا ثم رجع الى بلاده وصار لهم اتصال معهم غير انهم لم يثبتوا زيادة اكتشاف عما عدى ذلك مع ان القارة كبيرة جدا وكذلك رأيت فى جغرافية ابن الوردى انه قال ما معناه ان وراء الجزائر الخالدات وبحر الظلمات جزائر عظيمة جدا وفيها خلق كثير وقد وصل اليها أحد الفوتية عن غير قصد بطاردة الرياح ثم رجع منها بعد ان أيس من الحياة ووصفها بأوصاف جميلة مطابقة لما اكتشف من بعد وانما قال فى المحيط الغربى بحر الظلمات لانه تتكاثف فيه جهة الشمال الابخرة حتى يصير ظلاما الليل والنهار كما هو مشاهد الآن لجميع المسافرين بين أوروبا وأمريكا حتى تضطر البواخر مدة سفرها ان تصرخ بعد كل دقيقة ببوق البخار كى لا يقع لها تصادم مع غيرها لان نور الشمس محجوب ونور المصابيح لا يخرق تكاثف الابخرة وكذلك نقل لى ثقة انه رأى فى بعض كتب الشيخ محى الدين ابن العربى ان وراء المحيط أمما من بنى آدم وعمرانا وهو فى القرن السادس رضى الله عنه فدل هذا على معرفة تلك القارة من قديم وانما الانتفاع التام بها لاهالى هاته القارات لم يعرف الا منذ قريب ثم ان هاته القارة العظيمة التى تعد نحو نصف الارض المكشوفة هى يحيط بها البحر من جميع جهاتها و يفصلها عن غيرها من القارات الا جهة القطب الشمالى أزيد من درجة نيف وثمانين فهى مجهولة كما ان القليل من الجهات الشمالية وسط القارة لم يعرف بالتحقيق وهكذا الوسطى من الجنوبية وجميع القارة تقسم الى شمالى وجنوبى ويوصل بينهما برزخ من الارض ضيق يبلغ فى بعض الجهات الى أربعة وعشرين ميلا يسمى برزخ بناما وقد أرادت فى

هاته المدة جعيبة فرنساوية شرقه حتى يتوصل من المحيط الشرقي الى المحيط الغربي بقصر في المسافة وكأنه يتم عن قريب وسكان جميع هاته القارة يبلغون الى نحو الستين مليونا ولو أضيف اليهم أربعمائة مليون لوسعتهم الارض وقامت بجميع ثروتهم وأكثر أولئك السكان من أهالي أوروبا وآسيا وافريقيا والاصليون قليلون ثم تنقسم القارة الى عدة دول

الفصل الرابع

والسبعون

المملكة الاولى دولة أمريكا المتحدة وموقعها في أمريكا الشمالية وتمتد من الشرق الى الغرب على جميع القارة فيحدها شرقا المحيط الغربي ويحدها غربا المحيط الشرقي ويحدها جنوبا خليج مكسكو ومكسكو وخليج كاليفورنيا ويحدها شمالا الاملاك الانكليزية والبحيرات الشمالية وسكان هاته المملكة نحو اثنين وأربعين مليونا منقسمون الى ستة وثلاثين حكومة كل حكومة مستقلة بادارتها الداخلية ومجتمعون في الاحوال العامة مما يعود الى مصلحة الجميع وتحت الجميع بلاد واشنطون يتركب فيها مجلس من جميع الحكومات وينظر في مصلحة الجميع ورئيس هاته البلاد هو رئيس جميع الدول التي هي جمهورية وهي التي لها المعاملة السياسية مع الدول الاجنبية ورياسة العساكر والبحرية وسيرة الدولة وقوانينها مثل سيرة الدول الاوروباوية الاكثر حرية وتقدما ولازالت تتقدم في الحضارة والمعارف والقوة حتى كان لها الشأن العظيم وصار لها الاعتبار التام عند جميع الدول وكانت سابقا من مستعمرات الانكليز ثم استقلت سنة ١٧٨٩ أوائل القرن الثالث عشر هجريا وهاته هي أسماء الحكومات المركبة منها العصبة وهي (نيوهمشير) و (مساشوست) و (رد ايسلند) و (كنيكتيكوت) و (نيويورك) و (نيوجرسي) و (فنسلوانيا) و (دلاوار) و (مريلاند) و (ورجينيا) و (كروليناالشمالية) و (كروليناالجنوبية) و (جاورجيا) و (ماين) و (فرمونت) و (مشيغان) و (أوهيو) و (أنديانا) و (الينوى) و (كنتوكي) و (تنيسى) و (الاباما) و (فلوريدا) و (مسسپي) و (لوسيانا) و (وسكونسن) و (ايووا) و (مسوري) و (اركانساس) و (كانساس) و (نبراسكا) و (ارجون) و (منيسوتا) و (تكساس) و (كليفورنيا) و (واشنطون) وهاته الاقسام تكونت

شيأ

شيأ فشيأ وأول ماتم منها الثلاثة عشر الاولى فاستقلت كما تقدم ثم مهما أتم قسم شروط العمران والدخول فى العصبة قبل ولهذا بقيت بعض أقسام الى الآن تتمم فى استعداده لكى تدخل فى العصبة وسكان هاته الممالك من الغرباء وأطردوا السكان الاصليين الى شمالى القارة والاصليون يسمون بالهنود لشبههم بهم فى اللون والخلقة وقد تهذب منهم أفواج ولازال أغلبهم على التوحش يسكنون مع الوحوش أما الغرباء فقد بلغوا الغاية فى التمدن والحرية فمن حريتهم ان ولى رئيس الجمهورية عندهم رجل صناعته الاحذية حيث كان مستكملا الشروط الانسانية ووقع عليه الانتخاب وذلك فى عشرة الثمانين ومائتين وألف كما تقدموا فى فنون المعارف الرياضية والسياسية واخترعوا أشياء عجيبة من الكهرباء والبخار فاول ماعرف استعمال البلون أى القبة الهوائية للاطلاع على أحوال العدو فى الحرب فى هاته المملكة عند ما كانت الحرب مستعرة بين الحكومات الشمالية من الدولة المذكورة والحكومات الجنوبية منها التى نشأت بسبب منع العبودية فان الجنوبيين أصروا على ابقاء ملك العبيد وبقيت الحرب بينهم عدة سنين وذلك فى عشرة الثمانين من القرن الثالث عشر من الهجرة فمن الاختراعات فى ذلك الحرب ان أصعدوا ركابا فى قبة الهواء مستصحبين باسلاك كهربائية ليخبروا مراكز الجيش باحوال جيوش العدو والمستتر وراء جبال أو ربا ومن ثمرات قوة الاجتماع التى ظهرت عندهم الطريق الحديدية التى وصلت بها شطوط المحيط الشرقى بشطوط المحيط الغربى وكان يوم تمامها يوما مشهودا فاحتفلت له جميع البلاد وآخر مسمار انتهت به صناعة الطريق صنع من ذهب ودق بمطرقة من فضة وربطت به عند آخر دقة أسلاك الكهرباء الى جميع البلاد فعند آخر دقة على المسمار حصل العلم لجميعهم بذلك فى آن واحد ولهم ثروة عظيمة بالمعادن جدا سيما معدن الذهب فى كاليفورنيا الذى يخرج منه الذهب صخرا عظيمة وهكذا الصنائع والتجارة مع الامن العظيم والاطمئنان التام وقد تملكت هاته الدولة بالشراء من الروسيا املاكها جهة الشطوط الشمالية من جهة غربى القارة

الفصل * الخامس

والسبعون

فى بقية ممالك أمريكا الشمالية (فأولها) مستعمرات الانكليز فى القسم الشمالى

حادالممالك السابقة الاملاك الانكليزية وهي يجري فيها الحكم الانكليزي بنوع امتياز (وثانيها) مايلي ماذكر شرقا وهوقسم المتوحشين الاصليين وبقية الاقسام المريدة للدخول في العصبة السابقة

الفصل * السادس

﴿والسبعون﴾

(وثالثها) مكسكو وهي تلي البلاد المتحدة جنوبا واستقلت أواسط هذا القرن من تسلط اسبانيا عليها ولكنها لم تزل متأخرة في جميع أنواع العمران حتى الآن لاختلاف سكانها وحكموا الآن جمهوري وعندا كتشاف الاسبنيول عليها وجدفيها أمما فيهم بقايا التمدن ولهم ملك والموجود فيها من آثار المدن يدل على تقدم أهلها وقوتهم قديما وعدد سكانها نحو تسعة ملايين وقاعدتها مكسيكو

الفصل * السابع

﴿والسبعون﴾

(ورابعها) أمريكا الوسطى وهي تلي السابقة جنوبا وحكمها جمهوري وهي أقرب الى الخراب لتعاظم الفتنة بين أهلها واستقلت أيضا عن اسبانيا في أواسط هذا القرن

الفصل * الثامن

﴿والسبعون﴾

(وخامسها) الجزائر الكثيرة المتفرقة وهي تابعة أماتماما اوتحت الحماية لدول متفرقة من أوروبا كانكلتره واسبانيا وفرنسا وهولاندا والدانيمرك والسويد كان لهؤلاء الدول أملاكا في القارة الجنوبية وأكثرهم تملكا اسبانيا وانكلتره وحقيقة عدد السكان مجهولة لكثرة التوحش وعدم الفائدة الكبرى للدول بتهذيبهم وقد جربوا ان كل من تمدن هناك حاز الاستقلال بادارة نفسه مع ان عدد السكان قليل في نفسه ثم ان بقية القارة الجنوبية تشتمل على دول شتى

الفصل

الفصل * التاسع

(والسبعون)

فالدولة السادسة كاومبيا المنقسمة الى ثلاثة أقسام كل منها مستقل تحت الحكم الجمهوري وعدد جميعهم نحو ثلاثة ملايين وهم على حالة التأخر وموقعها من مبدأ البرزخ الموصل بين القارة الجنوبية والشمالية يقسمها خط الاستواء متصلة بالشاطئ الغربي والشمالي والشرقي

الفصل * الثمانون

(والسابعة) دولة بيرو وسكانها نحو مليون ونصف وحكمها جمهوري وموقعها على الشاطئ الغربي جنوبي المملكة السابقة

الفصل * الحادي

(والثمانون)

ثم يليها شرقاً وتمتد الى الشطوط الشرقية وعلى جميع دواخل القارة الدولة الثامنة وهي برازيل وسكانها نحو ستة ملايين ونصف وحكمها ملكي مقيد بالقوانين ويوجد فيها عدة آلاف من المسلمين أصلهم من سودان افريقية ولكنهم لا يعلمون الا كليات الديانة على سبيل الاجمال كما يستفاد ذلك من رحلة عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي الذي كان اماما في بعض السفن المدرعة العثمانية وسافرت الى البصرة على طريق البحر المحيط الغربي على بغاز طارق وصادفتهم زوابع اضطرتهم عن غير قصد الى شطوط برازيل ولما خرجوا الى التفسح في البر أقبل عليهم أقوام مسلمون وطلبوا ابقاء الامام عندهم لتعليم الديانة فبقي هنالك مدة وألف رحلته المختصرة المترجمة الى التركي المسماة مسلية الغريب وكان سفره سنة (١٢٨٢) ولا يبعد أن يكون في جميع أمريكا أمم كثيرة من المسلمين ولا يجدون من يهديهم ولا حول ولا قوة الا بالله

❁ الفصل * الثانى

﴿والثمانون﴾

❁ وبين بيرو وبرازيل الدولة التاسعة وهى بوليفا سكانها الاياقون نصف مليون وحكمهم جمهورى

❁ الفصل * الثالث

﴿والثمانون﴾

والدولة العاشرة هى الشيلى سكانها نحو مليون وربع وحكمها جمهورى وموقعها على بقية الشطوط الغربية الى نهاية القارة فى الجنوب

❁ الفصل ❁ الرابع

﴿والثمانون﴾

والدولة الحادية عشرة دولة سيونس ايرس ويقال لها لابلاتا وهى وسط القارة الجنوبية ❁ تحدها شيلى من الغرب والمحيط الشرقى وبرازيل من الشرق وسكانها مجهولوا العدد وحكمها جمهورى

❁ الفصل * الخامس

﴿والثمانون﴾

الدولة الثانية عشرة أوروكواى هى جنوب برازيل سكانها نحو مائة وخمسين ألفا تحت الحكم الجمهورى المستقل وهى على الشاطئ الشرقى الجنوبى

❁ الفصل * السادس

﴿والثمانون﴾

والدولة الثالثة عشرة هى بقية أمريكا الجنوبية المعروفة بتاكونى وأهلها من الاصليين ❁ هنالك طوال شداد متوحشون يقال تقريب عددهم مائة وخمسون ألفا فى تلك الاراضى الواسعة

الواسعة وموقعها على الشاطئ الشرقى فى نهاية القارة جنوبا وغربها الشيلى والحاصل ان غير الدولة المتحدة لم يكن فى أمريكا من الدول ما يعتبر اذ أغلب الاقسام المذكورة ولان كانت تحت أحكام منتظمة لكنها لم يتسع فيها نطاق المعارف والتقدم وألهتهم الحروب الاهلية عما يصلح شأنهم سيما وأغلبهم حديثوا عهد بالعتق من تسلط الدول الاوروباوية عليهم الذين كانوا يجرون فيهم الحكم الاستبدادى الظالم وأما أقلهم فانهم من الاهالى الاصليين الذين اما انهم تناسوا التمدن أو لم يعرف فيهم ولم يحسن الغرباء معاشرتهم وانما عاملوهم معاملة الوحوش وأطردوهم أو أفنوهم من ديارهم فبقوا على الجهل والتوحش وفى بعض الاماكن لا تساعدهم طبيعة الاقليم على شئ فقد ذكروا ان فى الجهات الضاربة لاقاصى الشمال قوم ينحتون من الجليد بيوتا ويجعلون لها مضاوى تحتا ويسدونها بطبقات من الجليد الصفيق ليمنع مرور الهواء ولا يمنع الضوء ويبقون فى تلك الدهاليز ايام الشتاء الطويلة التى هى أغلب أيام السنة عندهم ويكتسون بجلد عجل البحر ويأكلون لحمه ويوقدون شحمه ومن أغرب ما يحكى عنهم انهم يطبخون اللحم المذكور فى قدور من الخشب وصورة طبخهم انهم يتخذون من بعض الاشجار التى تنبت فى الارض الجليدية قدورا يضعون فيها تجوف منها اللحم ويصبون عليه الماء ثم يأخذون الحجارة ويحمونها فى النار الى أن تصير حامية جدا فيلقونها فى القدر فتطفأ ويسخن الماء بحرارتها ثم غيرها وغيرها الى أن يصل الطبخ الى الاعتدال الذى اعتادوه وربك يخلق ما يشاء ويختار وهو القادر الفعال

﴿القسم الخامس من الارض استراليا﴾

هى مجموع جزائر جهة الجنوب من المحيط الشرقى قبالة الهند والظن انها كانت متصلة بشبه جزيرة سمطرا قديما وفصلتها زلازل هائلة قديما كما يتبين من النظر الى الخريطة ويدعى ان أعظمها اكتشف منذ أقل من مائة سنة والحال ان بها سكانا نحو مليونين من البشر وفى لونهم السود انى أشكال من جهة التعليل بان سواد اللون من كثرة الحر تحت خط الاستواء مع ان عرض أعظم جزيرة هنالك يبتدئ من عرض خمسة وثلاثين جنوبيا وذلك العرض من المناطق المعتدلة مع ان الاهالى الاصليين سود وكلهم متوحشون وانما يفترقون فى شدة التوحش وضعفه وقد أخذت بعض الجهات فى التمدن شيأ ما وكل هاته الجزائر تحت تسلط دول أوروبا وأغلبها ملكا الدولة الانكليزية وقد جعلت أوستراليا

منفا لاصحاب الجرائم العظيمة فبالتغرب والحكم المشدد هناك تهذبوا وتقدموا شيأ فشيأ الى ان انكروا على الدولة الانكليزية نفى المجرمين اليهم لانهم ليسوا باهل لمعاشرتهم ثم أخذوا استقلال ادارتهم برضاء الدولة الانكليزية ولا زالوا تحت حمايتها وبقية دواخل الجزر مجهولة الى الآن وهكذا الجهة القطب الجنوبى وا كتشف النوتية منذ اربعين سنة على أرض فى ثلاث الجهات واسعة ولم يروا فيها سكانا والى الآن لم يزل البحث على ما فيها وماوراءها وكذلك سنة (١٢٩١) اكتشف نوتية من النمسا أرسلتهم دولتهم للاكتشاف على أحوال القطب الشمالى فى باخرة تامة التجهيز فرجعوا بعد عامين بعد ان خلصتهم باخرة روسية عند ما كادوا ان يهلكوا لانكسار باخرتهم بالجليد ورجوعهم فى قوارب صغيرة فأخبروا باكتشافهم لارض واسعة فى درجة ثلاثة وثمانين وانهم لما انتهوا الى رأس فيها سموه رأس أوستريا وجدوا بحرا جهة الشمال ما ثقا عليه يسير من الجمد لا يحمل حمل المراكب الجليدية وحدس بذلك علماء هذا الفن على ان الحرارة من الكهرباء جهة القطب يمكن معها الحياة والسكنى أزيد من المناطق المتجمدة وهو يؤيد ما قلناه فى بحث السد عند الكلام على الصين والله أعلم بما خلق وذرأ وهو الحكيم الخبير

الفصل * السابع

* والثمانون *

وحيث قد تبين فى هذا الباب اجمال حالات الممالك وماهى عليه من الاحكام والأمن ناسب ان نذكر هنا خلاصة فى أسماء الممالك وقواعد بلدانها وعدد سكانها وكمية عساكرها وعدد سفنها الحربية ومقدار دخل حكومتها ومقدار خرجها وكذلك قيمة السلع الداخلة والخارجة بتجر تلك المملكة وكم على حكومتها من الدين وكمية ما مد من طرق الحديد فيها لتتبين بذلك قوة الممالك ومراتبها فى الاعتبار وهاتيك التفاصيل جمعناها من عدة مواد وتقويمات كلها فى سنين متقاربة من سنة (١٢٨٨) الى سنة (١٢٩٧) بحيث لا تتجاوز العشر سنين وانما نبهنا على هذا لان الاعداد المذكورة فى الاغلب يتغير بعضها بطول السنين لكنها فى الاغلب لا تتغير فى أقل من عشر سنين الا بأمور جزئية الا ان يطرأ على مملكة من الممالك حادث غير اعتيادى كحرب هائلة أو غيرها كما انا

لم

لم نعتبر فيما نقلناه الاعداد القابلة بالنسبة الى ما يقتضيه كل نوع من الانواع المذكورة لعدم الجدوى فيه بالنسبة لما نحن بصدده تماما وكثير من تلك الانواع هو من أصله غير محرر بالتدقيق الا في بعض مواد في بعض الممالك

﴿ جدول احصاآت الممالك ﴾

﴿المقصد﴾

﴿وفيه أبواب﴾

الباب * الاول

﴿فى سبب سفرى﴾

﴿فصل﴾

قد عرض للعبد الحقير السفر الى أوروبا ثلاث مرار الى هذا التاريخ وهو سنة (١٢٩٧) فاما فى مرتين وهما الاوليتان فكان السفر لاجل التداوى فقط على ما سيأتى بيانه وأما المرة الثالثة فكانت لما ذكر أيضا ولاشغال سياسية أوكلها الىّ بها الوزير ثم عند رجوعى من هاته الثالثة نقض المذكور عزله وحملنى على مفارقة الوطن حفظا لما يوجب الله علىّ حفظه فوجهت القصد الى أداء الحج المفروض والتشرف بزيارة أعظم الرسل (عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آله الكرام وخلفائه الاعلام وأصحابه الفخام رضوان الله تعالى عليهم اجمعين) ثم استقررت بالقسطنطينية العظمى ثم سافرت الى أوروبا رابعا سنة (١٢٩٨) وعدت الى الاستانة وسنفرد كل مملكة شاهدتها بباب خاص نذكر فيه أحوالها وما شاهدته فيها كما انى أبين فى هذا الباب المرض الذى حملنى على السفر وما قيل فى التداوى شرعا وما عولجت به وحيث كان لاصل النشأة والاقليم دخل عظيم فى العلاج كما قرره الاطباء المتقدمون والمتأخرون لزم أن نذكر طرفا من حال نشأتى ونفرد كل قسم من هاته الامور بفصل خاص والله المستعان

فصل

﴿فى نشأتى﴾

اعلم ان نهاية ما نعلم من نسبى هو ما نذكر وهو انى محمد بن مصطفى بن محمد الثالث ابن محمد الثانى ابن محمد الاول ابن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرم وهذا الجد الاعلى قدم الى تونس عند قدوم سنان باشا وزير الدولة العلية مع العساكر العثمانية لفتح تونس من يد الاسبنيول سنة احدى وثمانين وتسعمائة ثم أقام بها وتزوج بابنة ابن الابار أحد وزراء الاندلس وعلمائها صاحب القصيدة التى يستغيث بها على لسان

صاحب

صاحب الاندلس سلطان المغرب للاندلس عند قدومه عليه سفيرا عن مخدومه (ومطلعها)

ادرك بخيلك خيل الله أندلسا ❁ ان السبيل الى منجاتها درسا

ثم تناسل نسله الى حسين الاخير منخرطين فى سلك الوظائف العسكرية أو الملكية مع التحلى بالآداب العلمية فتزوج حسين هذا ابنة طاهرة من ذرية المولى الشريف سيدى (حسن الشريف الهندى) الشهير رضى الله عنه وبارك فى آل بيته العامر السعيد الى قيام الساعة فولدت له محمد بيرم الاول ومنه دخل النسل الى سلك العلماء الى الآن والمرجو من كرم الله ان يديم ذلك فى أعقابنا ماقدرلهم بالوجود واستفحل العلم فى هذا البيت ولله الحمد حتى سمعت من شيخنا العلامة شيخ الاسلام محمد ابن الخوجه يعرف جدى محمد الثانى بقوله أبو يوسف الثانى ومؤلفات هذا الجد تشهد لشيخنا بصدقه وكذلك البقية علماء بيتنا تآليف عديدة عظيمة مفيدة وتقلبوا فى الوظائف العلمية الى رياسة الفتوى وتلقب منهم اربعة بشيخ الاسلام ولما تأهل (والدى قدس الله روحه) للزواج زوجه أبوه بابنة وزير البحر محمود بن محمد خوجه ووالدتها من بيت العماد ذى الشرف المعروف وقد ألف الجد محمد بيرم الثانى تأليفا خاصا فى التعريف بنسبه الجثمانى والروحانى بلغ فيه الى نفسه والعبد مذيل عليه بذكر من لم يحوه ذلك التأليف من فروع هذا البيت وماذكر فى هذا الفصل انموذج منه وكانت ولادتى فى سنة (١٢٥٥) ثم اشتغلت بالقراءة والتعلم متفرغا الى ذلك الى أن وليت خطة التدريس سنة (١٢٧٨) وكذلك مشيخة المدرسة العنقية ولم يكن لى هم بشئ من أحوال الدنيا الا مطالعات الحوادث السياسية الداخلية والخارجية الى أن توفى والدى رحمه الله ونعمه سنة (١٢٨٠) فاضطررت الى ادارة مخلفاته ولم يكن لى الا محض الوداد مع سائر السكان لبعدى عن مواقع التحاسد بينهم وتجنبى للخطط حتى ان خطة التدريس والمشيخة المذكورتين انما قبلتهما بعد الالحاح عند وفاة عمى شيخ الإسلام محمد بيرم الرابع وانحلال الخطتين المذكورتين بسبب موته حيث كانت مشيخة المدرسة اليه وانحلت وظيفة التدريس بسبب انتقال صاحبها لما فوقها وصاحب مافوقها ترقى الى مشيخة الاسلام وهو شيخنا العلامة محمد ابن الخوجه المشار اليه آنفا وبقيت على ذلك مرتاح البال سليم الوداد الى ان ولى الوزارة الكبرى بتونس الناصح الامين خير الدين باشا ونحا منحى الحكومة الشورويه فى اجراء العدل فرأى اجتهادا منه فى انتقاء

المتأهل للخطط ان يستعين بالعبد في بعض الخطط حسن ظن منه فلم يسعني الا مساعفته لما كنت منه على علم من توغله في حب العدل والميل الى القوانين والشورى حتى كان أول ناشر لمفاخرها في قطرنا بتأليفه أقوم المسالك مع امتناعي سابقا عن كل وظيفة لما أعلم من خمول الانصاف وظهور الاعتساف وعندما غلب على الظن حصول الجدوى بولاية الشهم المذكور أجبت استدعاءه وقلدت رياسة جمعية الاوقاف التي هي من مبتكرات الوزير المذكور في تونس اذ رتب قانونا لها يحفظ الاوقاف ويتمم انضباط لم يسبق اليه فاستعنت الله وبذلت مقدوري للوفاء بما عهد الي ثم ضم الى ذلك نظارة المطبعة وهكذا بذلت فيها استطاعتي غير اني في ذاتي تحملت من الاتعاب الفكرية والبدنية مالم تحمله نشأتي بل وكذلك الخسائر المالية لان المرتب الذي جعل لي وان كان في نفسه نظرا للبلاد وافرا لكنه كان غير واف بما اعتدته من المصاريف التي كنت أحصل على الوفاء بها من دخل أملاكي ومعاطاة تجارتي ولما استغرقت الوظيفة الاوقات للقيام بها حق القيام تعطل الدخل السابق فعوضا عن الاستغناء بالوظائف صرت أبيع من كسبي شيأ بعد شئ للوفاء بحاجات المعاش ولا أعد ذلك شيأ في جنب القيام بحق الوطن بل اني أحمد الله تعالى على ما أنعم

فصل

في مرضي وما عولجت به حيث كان نسل بيتنا متوارثا فيه ضعف الابدان وكثرة الاسقام حتى قال الجد الثاني في تأليف نسبه المشار اليه آنفا عند الكلام على اقرائه شرح صدر الشريعة على الوقاية والسبب في طول مدة اقرائه له كثرة ما كتب على مباحثه المهمة من التعاليق المختصرة والمطولة مع الشغل بخطة القضاء والضعف البدني الى ان قال فانا أهل بيت باض السقم في بيتنا وفرخ وشوى وطبخ نسأله سبحانه ان يجزل ما فاتنا من القوة في أبداننا قوة في ديننا وان يعافينا ويعفو عنا ويميتنا على الاسلام بلا محنة انه جواد كريم وقد كان الجد المذكور مبتلى بمرض عمي أعيا علاجه أطباء زمانه الى أن حصل له انكماش في أصابع يديه وهو مع ذلك يطالع ويؤلف الى أن توفي سنة (١٢٤٧) وهو ابن أربع وثمانين سنة لا يفتر عن التحرير والمطالعة قدس الله ثراه كما ان والدي رحمها الله ونعمها كان بها مرض الاعيا يعتريها بكثرة في

ركبتيها

ركبتها وهو من الامراض العصبية وكذلك كان بها مرض عصبي في معدتها فلما
تقدم بي من مزاجي منهما المرض العصبي لانه من الامراض التي يعتريها التوارث ولما
شقت علي الاشغال العسكرية والمدنية وكانت طبيعة اقاليمي مائلة الى الحرارة واشتد
الحر في الصيف كنت استحم بالماء البارد بعد التعب بالشغل نحو سبع ساعات تطلبا
للنشاط والارتياح للاستعانة بذلك على الاشغال عشية فارتكبت ذلك مرتين أو ثلاثا
وعند آخرها حصل لي وجع شديد يكاد لا يطاق يبتدئ من فم المعدة ثم يمتد للجنبين مع
مصاحبة الاسهال وتطول مدته من الساعة الى الساعتين وتكرر ذلك مع شدته ولم
ينجع فيه شيء من علاج أطباء بلادنا مع تنوعه وكثرة اجتماع الاطباء اليه بحيث لم أبق
واحدا من مشاهيرهم لم احضره فرادى ومجتمعين وغاية ما أرسى عليه حالهم هو استعمال
المسكن المسمى بكلوراتو مرفينا الذي يستخرج من روح الافيون ويستعملونه محلولا في
الماء المقطر وزن نصف قمحة من العلاج المذكور أي عشرة من مائة من غرام واحد
في ستة غرامات من الماء المذكور ثم يملؤون منه حقنة صغيرة تحمل غراما واحدا الا ربعا
من الماء المدبر المذكور ويحكمون ادخال انبوبها في رأس ابرة مثقوبة الوسط ونهاية في
رقة الحدة ثم يمسكون الجلد من المريض بأصابع اليد ويجذبونه الى أن يبعد شيئا ما عن
اللحم ثم يدخلون الابرة هنالك ويجذبونها الى خارج الى أن لا يبقى الا آخرها داخل الجلد
ويبقى محلولها هنالك متحدا وحينئذ يدفعون الماء المذكور تحت الجلد ثم يزيلون الابرة وقد
تم حينئذ عمل العلاج فبعد دقيقة أو دقيقتين أو أقل يسكن الألم بفضل الله وتمادى
الحال على ذلك مع كثرة تردد المرض كل يوم مرة أو بعد يومين مرة وبعد كل نوبة يتركني
في غاية التعب يورث ارتخاء وضعفا شديدا وقد كنا لا نعلم كيفية استعمال ذلك المسكن
فيلزم الصبر على شدة الألم الفادح الى أن يأتي الطبيب فما يأتي الا وقد وجد في أخذ
مني الألم مأخذا عظيما فاذ ذاك حصل لي صار يعتريني في بعض الاحيان دوار وتارة
يعتريني تقطع في النبض مع شدة ضعفه وامتد ذلك نحو ثمانية أشهر وحينئذ ألح علي
الحكيم الماهر النصوح منيابني بالسفر الى أوروبا وقد كان أشار علي بذلك من أول
الامر غير ان غيره من الاطباء خالفوه فانهم قالوا لا يلزم السفر ويمكن العلاج في البلاد
لكني لما رأيت من طول الامر وزيادة الضعف ما رجح لي كلام منيابني أعدت
استشارة الاطباء فوافقوه وكان قصدي من السفر (أولا) ذات السفر فانها من أسباب
الصحة طبا وقد علمت من الفصل الثاني من المقدمة ان السفر من أسباب الصحة شرعا أيضا

(وثانيا) الارتياح لى من الاشغال الفكرية التى لم يمكن لى التجنب عنها فى البلد (وثالثا) الملاقاة مشاهير الاطباء الذين لا يوجدون عندنا كما سيعرف فى محله وهذا الاخير هو الذى أوجب تعيين الوجهة الى خصوص اوروبا فسافرت حينئذ وكان ذلك فى دجنبر ❊ واجتمعت بمشاهير أطباء ايطاليا وفرنسا واستقر رأى أغلبهم واعلمهم على ان المرض عصبى مع ضعف شديد فى الدم ومركزه ما بين أعصاب المعدة والقلب وعالجونى بالمياه الباردة جدا المنعشة بقوة وذلك بأن يضرب بها كفى القدمين ثم العقبين ثم فقرات الظهر ثم فم المعدة ثم الوجه والرأس ويتم جميع ذلك فى دقيقتين أو ثلاث ثم ينشف البدن بخرق من الكتان مع عنف وضرب خفيف واستعجال ثم تلبس الثياب ويداوم المشى المعجول نحو نصف ساعة أو أزيد الى أن يسخن البدن ويحصل شئ من العرق أو حك حوالى فقرات الظهر بخرقة من الشعر الصلب ثم امرار اسفنجة مبتلة بالماء البارد على ذلك المحل عند النوم مع تكبيس الاعضاء والظهر بالايدى وظهر لهذا العلاج بعض النفع غير أن شدة البرد هنالك الخارقة لمعتادنا فى اقليمنا المعتدل أوجبت على الاطباء الاشارة بالعود الى الاقليم مع التوصية بالتحذير من الأسباب المهيجة للمرض ككثرة الشغل والمآكل العسيرة الهضم ثم تعاهد المعالجة بالماء البارد وشرب أدوية عديدة منها شئ قليل من روح الزئبق وأشباهه من أجزاء يسيرة من دقاقير قتالة مع التحذير من مقادرها وخف المرض عند الرجوع الى الوطن حتى انى لم أضطر الى استعمال المسكن بالحقنة نحو ثمانية أشهر لكن المرض لم ينقطع وانما كان يأتى خفيفا ومع العود الى الاسباب التى لم أجد عنها مندوحة عاد الألم لما كان واضطررت للسفر ثانيا لخصوص باريس التى وجدت بها امهر من رأيته من الاطباء وهو الحكيم شاركو وقد ورد الخبر باكتشافه لعلاج جديد من المعادن ولما عدت اليه عالجنى بالكهرباء التى يسرد الكلام عليها ان شاء الله ❊ وصورة العلاج بآلات على نوعين أحدهما مسكنة للهيجان العصبى وهى آلة مركبة من ثمانين اسطوانة منقسمة الى قسمين كل قسم يشمل أربعين اسطوانة ويوضع كل قسم فوق القسم الآخر وكل اسطوانة مركبة من طبقات احداها نحاس والاخرى روح التوتيه المسماة بالزنك والثالثة طبقة من الجوخ وفى مركز كل اسطوانة عمود من سلك حديدى يخرقها ويتصل الجميع بطبقة من الكاوتشو ويغمس الجميع فى ماء مخلوط بالنشادر وهذا الغمس لا يلزم فى كل مرة بل اذا حصل ضعف فى عمل الكهرباء ثم يجفف من التقاطر ويوضع فى صندوق من خشب بداخله صفيحتان من

الفولاذ

الفولاذ موصلتان للكهرباء بسطح الطبقة العليا وفى هذا السطح بيت ابرة ومسامير من نحاس مسطحة الراس منقوش عليها اعداد من عشرة الى أربعين يمينا وهكذا شمالا وعمودان رفيعان مثقوبان ويدان تداران على مركزهما وتوضع طرفوهما على العدد المطلوب من المسامير اليد اليمنى على المسامير اليمين واليسرى على المسامير الشمالية وعلى بيت الابرة ضلع من خشب وعند ارادة العمل بذلك الصندوق الهوائى يلزم وضعه بحيث يكون الضلع الخشبي الممتد على بيت الابرة متوجها جنوبا وشمالا ثم تدار اليدان لتحريك القوة الكهربائية وتوضع احداهما على أحد الاعداد المناسبة لقوة الهيجان وقوة المريض أيضا وهكذا الاخرى بحيث لا يبلغ بهما معا الى نهاية العدد من الجهتين التى هى درجة الثمانين فى القوة الكهربائية لان ذلك يخشى منه من الصاعقة على الانسان ثم يؤخذ سلكان من الفولاذ محكم لفهما بخيوط الحرير حتى لا يبدو منهما أقل جزء ويوضع كل منهما فى أحد العودين المثقوبين ويحكم امساكهما هنالك بلولب وفى رأس طرفيهما الآخرين شبه ختم من معدن ملفوف فى جلد رقيق يبل بالماء لسهولة توصيل الكهرباء وكل من الختمين له يد من خشب يمسكها العامل ويسمى أحد السلكين بالموجب والآخر بالسالب تبعا للنوع تسمية الكهرباء والموجب هو الذى تكون اليد الدوارة من جهته فى درجة أعلى من الجهة الاخرى فاذا الصق الختمان ببعضهما أو اتصلا بجسم يوصل بينهما رأيت الابرة فى بيتها تضطرب يمينا وشمالا ويشتد اضطرابها او يضعف على حسب الدرجة المجعولة فيها قوة الكهرباء واذا حصل هيجان فى المرض يوضع الختمان على المريض بقرب مجلس الألم على هيئة التقابل بين السلكين ففى بضع ثوان يسكن الهيجان باذن الله من غير ان يحس المريض بادنى حركة أو ألم ويسمى هذا النوع من الكهرباء الكهرباء الساكنة وهاته الآلة من اختراع كستاف طروقية وعندما كان يعتريني المرض بالدوار وضيق الصدر كان الحكيم يضع الختم الموجب على المنفقة سا كنا والسالب على الجبهة يديره من أحد طرفيها الى الطرف الآخر فكان اذا قرب من الحاجبين أرى كأن البرق يتطاير من عيني متواليا ويلزم ازالة السالب شيأ فشيأ بأن يرفع بعض أطرافه ثم وثم الى أن ينفصل جميعه وأما الآخر فينفصل دفعة واحدة والآلة الثانية الكهربائية هى آلة لتقوية البدن والاعصاب وصورتها مربع من خشب عليه اسطوانتان من البلور مركوزتان على قطع من الكاوتشو (هو نوع غروى يجف ويتصلب مستخرج من صمغ الاشجار) غير أن احداهما يحيط بها الكاوتشو الى نحو

الاثنين منها والثانية الى نحو الربع ويدعامها اسطوانة عظيمة من النحاس خاوية الوسط وفى أواسط كل من الاسطوانتين البلوريتين رباط من نحاس فيه موضع لوضع قطب أحد الدائرتين الآتى بيانهما وهذا القطب وسطه فولاذ وظاهره كاوتشو يتصل بدائرة مسطحة جيدة من الكاوتشو أيضا وأحد طرفى قطبها خارق للاسطوانة البلورية متصل بدائرة صغيرة من نحاس كما انه فى نحو الربع السفلى من الاسطوانتين موضع لقطب دائرة مثل ثلثا الكنها من البلور وتماس مركزها على القطب من الكاوتشو وبقية قطبها من النحاس وأحد طرفى قطبها خارق للاسطوانة البلورية متصل بدائرة من خشب لها يد تدار بها وعلى خط نهايتها محل لوضع حبل من جلد مركب يوصل بينها وبين الدائرة النحاسية التى فوقها المتصلة بقطب دائرة الكاوتشو وبدوران هاته الدائرة الخشبية يدور كل من دائرة البلور ودائرة الكاوتشو اللتين وضعهما بين الاسطوانتين وتبعد احداهما عن الاخرى نحو أصبع عرضا ومركز الكاوتشو أعلى من مركز البلور ثم ان المربع الخشبى تلصق به آلة ذات وسادتين لاصقتين فى خشبتين وهما جلد محشوتان بالشعر ولهما لوالب يقربهما من بعضهما أو يبعدهما وفائدتهما هى ادخال الدائرة البلورية بينهما بحيث يلتصق بكل من سطحيها احداهما حتى اذا أديرت يحصل حكها بهما ويدلك كل الوسادتين بشئ محجر من الكبريت تقوية لاحداث الكهرباء ثم يتصل باحدى الاسطوانتين البلوريتين عند مركز قطب الدائرة العليا قوس من نحاس ينفتح وينغلق بحيث اذا أغلق يتصل طرفه بالاسطوانة الكبرى النحاسية وفى هاته الاسطوانة حلقة من جنسها خارجة عن راس الاسطوانة البلورية ليوضع فيها رأس قضيب من نحاس وذلك الرأس منحنى ليمكن امساكه فى الحلقة وهو أى القضيب طويل أزيد من ثلاثة أمتار وجميع تلك الآلة يوضع على مائدة من خشب مرتفعة على الارض نحو ذراعين ونصف بارجل متينة لا تضطرب عند ادارة الآلة ويكون وضعها فى محل خالى من الندا متجدد الهواء بعيدا عن الاشجار والبحر نحو عشرة أو اثنى عشر ذراعا ووضعها هى فى المحل يكون بعيدا عن الحيطان فى الاقل ذراعين واذا كانت الكهربائية ضعيفة يربط برجل القوس عند الاسطوانة البلورية سلسلة من أى معدن كان ويربط طرفها الآخر بالحائط ثم يوضع كرسى أرجله من البلور الثخين بعيدا عن الآلة قدر ذراعين ويوضع عليه طرف القضيب الماسك فى الاسطوانة النحاسية ويجلس على الكرسى المريض وتدار الآلة اما بالبخار أو باليد ويفتح القوس النحاسى

وعند

وعند ذلك يمتلئ الجالس بالكهرباء من غير ان يحس بشئ الا اذا قرب منه جرم ما فانه يتطاير بينه وبين الجالس شرر يشبه البرق ويحس به الجالس ضربا واحراقا لكنه لا اذية فيه ولزيادة الدواء يأخذ الحكيم عصا من نحاس وبيده التي يمسكها من البلور وفيها حلقة تربط بها سلسلة معدنية متصلة بالارض وللحذر من مسها للحكيم يدخلها بحلقة متسعة من النحاس موصولة بيد من البلور يمسكها الحكيم بيده اليسرى ليبعد جرم السلسلة عن نفسه من غير تعطيل لحركتها واتصالها بالارض حيث كانت تمر في الحلقة الواسعة ثم يصوب رأس القضيب الذي بيده وهو مخروط مذبب صوب المريض الجالس على الكرسي على الجهات التي هي محال للألم واذذاك ترى شعلة من النار الزرقاء المبيضة خارجة من رأس القضيب ويحس المريض بريح باردة واصلة اليه وان قرب منه القضيب خرج الشرر وتارة يعوض رأس القضيب بكورة نحاسية توصل به وتارة يعوض بكورة خشبية متعددة الانواع من صلابة الخشب ورخاوته لان الصلب أشد كهربائية فيستعمل من تلك الانواع على حسب قوة المريض ويدام العمل من خمس دقائق الى عشرين دقيقة تدريجا مع تأنس المريض ونقاهته وحصل لي بهذا العلاج مدة أربعين يوما نفع عظيم ولله الحمد كاد ان ينقطع به الألم بالمرة الا بقايا قليلة لا عبرة بها وعند الرجوع الى الوطن أكد علي الحكيم الحذر من الاسباب وتفقد العلاج المذكور أو شرب قطرات صغيرة من محلول الذهب الذي بان نفعه أيضا من ست قطرات في نصف كأس من ماء الى خمس عشرة قطرة تدريجا قبل الأكل فطورا وعشاء وعند النوم فكنت أستعمل آلة الكهرباء الدوائية التي ظهر نفعها غير ان الاطباء أوصوني على عدم ملازمتها خوفا من تأنس البدن ولذلك تركتها مدة مع اني كنت اشتريت آلة واستصحبتها معي والفرق بينها وبين الآلة التي عند الحكيم في باريس ان التي أخذتها تدار باليد والاخرى تدار بالبخار لكثرة استعمالها حيث يعالج بها كثيرين وأما التي عندي فتكفي فيها يد الادمي اذ لا يدوم العمل بها أكثر من عشرين دقيقة في اليوم ثم عند تركي للعلاج بها مدة كنت أخاف من اشتداد الألم الذي تتظاهر مخايله من حدوث بعض الدوار والارتخاء والحزن الذي هو من علامات الهيجان للنوع الثاني من المرض وهو اعتراء برد شديد في الاطراف وصغر في النبض مع ألم عام لا أقدر أعبر عنه ولا أعلم محله أين هو مع ارتعاش في الاعضاء وجفاف في الريق وصعوبة في ابتلاع الريق والطعام وضيق في النفس وهذا الهيجان لا تنفع فيه الآلة المسكنة الا اذا كان

شديدا واما اذا كان خفيفا فلا ومن عجيب عوارض هذا النوع من الهيجان شدة السمع حتى كنت أسمع الشئ الخفي البعيد الذى لا يسمعه الحاضرون معى مع التأذى من شدة صوته عندى فضلا عما اذا كان الصوت قريبا منى حتى يلتزم من حضر عندى السكوت بل ربما تأذيت من صوت نفسه وهكذا الشم فقبل حصول الهيجان كنت أشم ما لا يدركه أمثالى الى ان وقت الهيجان يصيبنى زكام مفرط وربما هاته الحالة لا يسكنها ولا يسكن الحقنة الا بعد مدة وهى أشد على من هيجان الوجع ولذلك كنت أستعمل عند تعطيل التعاهد بالآلة العلاجية شرب ماء الذهب المتقدم ذكره وقد قلت للحكيم عند وصفه هذا الدواء وانه من مخترعات هذا العصر ان أكل الذهب المقوى معلوم عندنا وقد كان الامام ابن عرفة فى المائة الثامنة والتاسعة يبرد كل يوم بندقيا (البندقى نوع من سكة الذهب منسوب الى البندقية وزنه نحو نصف دينار ذهبا) على دجاجة ويطبخها جيدا ويأكلها فقال البندقى كثير فقلت له حيث ان الذهب غير محلول فلا يأخذ منه البدن الا مقدار ما تهضمه المعدة وما عداه يذهب فى الفضلة فقال نعم وعلى كل حال فلهذا العصر فضل فى الاقتصاد فلم يسعنى الا التسليم وهذا العلاج بالمعدن كنت أستعمله قبل السفر ثانيا السكن على ظاهر الجسد وذلك بأن يؤخذ شئ من أحد المعادن الخالص ويعمل منه نحو سوار فان ظهر فى المريض بلبسه نوع ملايم ديم عليه والا يبدل بمعدن آخر واول من اكتشفه طبيب نمساوى ولم يلتفت الى قوله الى ان أصغى اليه الحكيم شاركو الفرنساوى وجربه فوجده صادقا وأعلن به من مجلس فن الطب بباريس وصار معمولا به غير انى وجدت فرقا بين الكيفية التى جربها الى الطبيب البارون كستلنوفو وبين ما فعله الطبيب بباريس فان الاول كان يستعمل المعدن ويبقيه ان وافق وكل المعادن التى جربتها لم توافق سيما النحاس فانه يحدث التحيير الا الذهب فلما جربته لبسا خف التحيير وسخنت اعضائى وكان العرق الذى يأتى من الالم حارا على خلاف ما كان من برده ولما أعلمت بذلك الحكيم شاركو أذن الطبيب المباشر وهو فغرو بأن يجرب المعادن فأعطانى ميزان القوة وقبضت عليه بجهدى وقيد الدرجة وكذلك علم ميزان النبض ثم أول ما بدأ به من المعادن معدن المغناطيس وهو على هيئة قطعة من حديد موضوع على مائدة فالصقه بذراعى الايمن وجعل فاصلا بينه وبين البدن قطعة من ورق فما لبث نحو دقيقتين الا وحصل هيجان عظيم فى المرض خشيت منه وكان تابعى معجلا باستعمال الحقنة للتسكين فنهاه الطبيب واستعمل الآلة الكهربائية الساكنة

المار

المار ذكرها بفصل السكون بفضل الله وتبين ان ذلك المعدن غير ملائم وهو نظرى ووافقنى عليه الحكيم شاركو وان كان الطبيب فيغرو يرى انه موافق بمعنى انه لما أحدث تأثيرا دل على تأثير المعدن منه لكنى أقول ان المعدن يتأثر منه بالضرر لا النفع ولم أعد اليه ولا لغيره ذلك اليوم حذرا على البدن من كثرة الاضطراب ثم جربنا النحاس وهو أيضا غير موافق كما تقدم غير انه لم يحدث هيجانا كبيرا ثم جربنا الفضة فلم توافق ولم تضادد بدليل موازنة ميزان القوة والنبض ثم جربنا الذهب فكان ملائما بحرارة البدن وزيادة القوة ونشاط النبض ولذلك استقر الرأى على عمله لكن لا يكتفى فيه بالاستعمال على ظاهر الجلد فقط بل بالشرب أيضا على نحو ما تقدم وكل معدن كان تجريبه فى يوم خاص كما عولجت قبل السفر الثانى بماء البرمور وبوتاسيوم باشارة الطبيب كستانوفو ورأى فى كميته وأوقاته كيفية رآها الطبيب منها يلى كثرة قلة استعمالها مع المواظبة أكثرت على النوم حتى كدت ان أكون نائما ثمان وأربعين ساعة تماما والمقدار هو قدر ملعقة كل بعد كل ساعة من الماء المذكور وبعد رجوعى من باريس والعلاج بالكهرباء على نحو ما مر بقيت على العافية ولله الحمد مدة عام الا ستة أيام حيث تراكمت الاتعاب الفكرية والبدنية وحوادث فى البلد أوجب جميعها السفر ثالثا الى باريس والاشتغال بغير الدواء فى هاته المرة مع مصاحبة الاتعاب الفكرية أوجب عدم نجح العلاج السابق وان خف الالم شيأما فلما عدت بعد افراغ المستطاع وجدت الحال فى الوطن غير الحال وأخلاق الحكومة وان شذت قات الوزير بخصوصه غير ما تركته عليه كأنى أتيت شيأ على غير أمره وتحقق لدى ما كنت أتوقعه من السوء لكل ناصح أمين غير عمالى على سوء الاعمال كما سيرد شرحه ان شاء الله تعالى فعزمت على التوجه لبيت الله الحرام ملتجأ الى الرسول عليه الصلاة والسلام لكشف الضر الخاص والعام فنلنا بجاهه المرام ولا زلنا نؤمل التمام مما التجأنا اليه فيه ومنه حسن الختام

فصل

﴿فى حكم التداوى شرعا﴾

اعلم ان التداوى قد ورد بالهداية اليه القرآن العظيم كما فى (قوله تعالى يخرج من بطونها

شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) فدلت الآية الشريفة على ان العسل دواء للآلام يستشفى به منها كما بينه الحديث الشريف الوارد فى صحيح البخارى وغيره من قصة الصحابى الذى قال (للنبى صلى الله عليه وسلم) ان اخى يشتكى بطنه فقال له (صلى الله عليه وسلم) اسقه عسلا ثم عاد وأعاد الشكوى وأعاد له (صلى الله عليه وسلم) صفة الدواء ثانيا ثم وقعت الاعادة أيضا ثالثا وقال الصحابى قد سقيته ومازاده الا انطلاقا فقال (صلى الله عليه وسلم) اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن أخيك ففعل الصحابى وشفى المريض فان الحديث قد بين ان شفاء الناس هو تداويهم به من أمراضهم حيث قال صدق الله أى فى قوله فيه شفاء للناس ثم يدل الحديث أيضا على ان استعمال الدواء لابد فيه من مقادير وأوقات ولذلك أمر بالتكرار لانه تعالى كما له ارادة فى جعل الشئ سببا فى البرء له ارادة فى خصوص مقداره وأوقاته وانه لا ينبغى ان يهمل الدواء اذا لم ير منه نفع فى المرة الاولى اذ لعله لم يكن هو المقدار الكافى لما استعد له بدن المريض ولله سبحانه وتعالى حكم فى الاشياء لم تصل عقولنا للاطلاع على تفاصيلها فيلزمنا اتباع مادلت العادة والتجربة على جعله سببا للاسباب بمقتضى الحكمة الازلية ومن ادعى عمل الاشياء بالطبع لا يسعه الا العجز عند ما تحاريه بسؤالك لماذا كان طبعها كذا واذا علل تقول له لماذا كان ذلك التعليل وهكذا بل انهم كثيرا ما يعجزون من أول الامر فيقولون ان الشئ الفلانى يفعل كذا بالخاصية حيث لم يجدوا شيأ يمكن لهم به التعليل الاولى والحق ان ذلك جميعه بخلق الله وجعل تلك الاشياء أسبابا عادية يخلق عندها ما أراده بسابق حكمته ولما تقدم أجمعت الامة على جواز استعمال الادوية وانما وقع الخلاف فى جواز استعمال المحرم دواء ووقع الخلاف فى الترجيح عند الحنفية ومحل الخلاف هو ما اذا تعين الشفاء فى خصوص ذلك المحرم ولم يوجد شئ آخر حلال يقوم مقامه اما اذا وجد فلا يبيح (حينئذ) والقائل بالاباحة يستدل بالضرورة وانها مبيحة للمحذور فيكون كالخائف من الهلاك جوعا فى أكل الميتة ومقتضى تجويزهم للكتابة بالدم على جبين صاحب الرعاف لكى ينقطع عنه هو ترجيح للتداوى بالمحرم لان الكتابة بالدم النجس اهانة للحروف ولاسيما اذا كان فيها اسم الله وذلك محرم قطعا وانما جاز للضرورة فلا يكون اذ ذاك حراما وبه يجيبون من احتج بقوله (صلى الله عليه وسلم) لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم فان الشئ اذا تعين فيه الشفاء يرتفع عنه التحريم وبيان هذا المعنى هو ان يقال ان الاشياء المحرمة انما حرمت لما فيها من المفاسد

والمضار

والاضار للمخلوق لانه تعالى منزه عن الاحتياج لشئ وكلما ورد به الشرع فانما هو لهدايتنا لما ينفعنا فنؤمر به أو لما يضرنا فنهى عنه وحيث لم يكن فى طوق عقولنا الاحاطة بعلم جميع ذلك لان بعضها يتوقف على علوم تشيب الغراب وهو تعالى خالقنا الرؤف العالم بنا ورسوله هو الاب الرحيم بخلق الله ونحن على يقين من ذلك ولله الحمد فما علينا الا أن نتبع ما شرع لنا مؤمنين ومسلمين أن ذلك هو الصالح بنا كتسليم الابن لابيه العاقل وتسليم الجند لرئيسه الخبير من غير بحث عن موجب تكاليفه مع ان المشبه به يمكن فيه حصول الاعلام بالبواعث غير انه ترك حذرا من فوات الفرص واطالة الامر بخلاف المشبه فقد علمنا عجز عقولنا عن ادراك جميع مصالح الداعية اليها ولذلك ما أمكن ادراكه قلنا انه معقول المعنى وما لم ندركه علمنا به وقلنا انه تعبدى والكل معقول فى نفس الامر فالشئ المحرم اذا اضطر للتداوى به ليس المعنى أنه يرتفع الضرر الذى حرم من أجله بل ان الضرر الحاصل الذى يراد دفعه به أعظم من الضرر السابق فيرتكب أخف الضررين كما هى القاعدة الشهيرة فالخمر مثلا المحرم لتوقع جرمه الى افساد العقل اذا غص الانسان وخشى الهلاك جاز له شرب به لدفع الهلاك الذى هو أعظم ضررا من توقع جرمه لافساد العقل ولا يقال انه على هذا يلزم التوقف فى كل جزئية على علم مفسدة المحرم الذى أريد استعماله وحرم من أجلها ومقايستها بالمفسدة التى يراد دفعها به مع انك مصرح بعدم علم الجميع والقائلون بالجواز لم يخصصوا ما علمت مراتبه وقيس بينها لانا نقول القواعد الكلية فى مثل ذلك كافية فى حصول المقصود وقد علمنا منها ان حفظ النفس هو ثانى مرتبة بعد حفظ الدين وجميع الاشياء المبحوث عنها آيلة الى حفظ النفس من الهلاك والهلاك أعظم مفسدة ومضرة من كل ما يمكن ان يكون فى الاشياء المحرمة من أسباب التحريم الراجعة الى أجزاء خاصة من النفس كالعقل مثلا فيقدم حفظ النفس جميعها عليها ولا يمس ذلك الدين لان محله القلب أى الروح التى هى محل الاعتقاد وذلك لا يخرج منه الا بما دخل فيه كما هى العبارة المشهورة ولذلك صرح الفقهاء بأنه لا يفتى بالردة استعجالا حتى يثبت اضطراب العقيدة والعياذة بالله ولو صرح ❁ فى الفتاوى ببعض أشياء انها مكفرة فلا يعول عليها نعم ان جميع الشعائر الظاهرة هى من الدين أيضا ومنها حفظ النفس وقد علمنا من الشرع تقديمها على كل ما سواها الا الاعتقاد ولهذا يجوز اتلافها فى القتال على الدين وهكذا على شعائره فانهم صرحوا بأن من تركوا جميعا الاذان يقاتلون حفظا للدين وتقديما له على النفس لكن ذلك

اذا كان منبئا عن الاستخفاف الراجع للاعتقاد اما اذا تبين التأويل أو العذر المنبئ عن صحة الاعتقاد فلا يقاتلوا (حينئذ) ولهذا لم نؤمر بقتال تاركى الجمعة بتأول وجوب الامام المعصوم مع انها من شعائر الدين وبما تقدم يعلم جواز تلقيح الجدرى من الحيوان أو الانسان لانه قد ثبت بالتجربة المفيدة للقطع انه حافظ من الهلاك أو مما يقرب منه ومن هذا الباب تجويزهم للكتابة بالدم مع انه فيه استخفاف بالحروف التى مرجعها الدين وبيانه أن الاستخفاف فعل القلب والاعمال الظاهرية دالة عليه وأقيمت مقام الحرمة بسبب دلالتها لا لذاتها فهلاك النفس تعارض مع ما يدل على الاستخفاف فقدم دفع الهلاك المتيقن بسلامة الاعتقاد وغاب ذلك الدلالة لارتكاب أخف الضررين فان قيل كيف يكون أخف الضررين مع ان الآخر مرجعه للدين وهو مقدم على النفس فالجواب أن الدين قد علمت انه سالم وهو الاعتقاد ولم يبق الا الدلالة فى مقابلة النفس التى هى محل الاعتقاد والقيام بجميع التكاليف فغلب ترجيحها كما صرحوا به فى جواز التيمم لخوف المرض فى أن ذلك ليس تقديما للنفس على الدين بل من باب تقديم أغلب الدين على بعضه لان الانسان اذا سلم أقام الطهر والصلوات الكثيرة وغيرها من التكاليف بخلاف ما اذا هلك فتسقط بموته جميع التكاليف المتعلقة بذاته فلا يسوغ له ان يسعى فى ابطاله تكاليف كثيرة لاقامة عبادة واحدة فهو (حينئذ) من باب اخف الضررين كما تقدم واعلم ان للعبد توقفا شديدا فى دعوى جواز مسئلة الكتابة بالدم لحفظ النفس من الرعاف (الخ) وبيانه ان صاحب الفصول العمادية وغيره ممن نقل عنهم الشيخ بيرم الثانى فى كتابه حسن النبا فى جواز التحصن من الوباء قد صرحوا بأن تعلق الاسباب بمسبباتها على ثلاث مراتب أحدها التعلق القطعى وهو ما لا يتخلف فيه المسبب عن السبب الا على وجه خرق العادة كالشبع للاكل والرى للشرب وثانيها الظنى وهو ما يكثر فيه ارتباط المسبب بالسبب وقد يتخلف نادرا ومثلوا له بالادوية مع الامراض وثالثها الوهمى وهو ما لا يرتبط فيه المسبب بالسبب الا نادرا ومثلوا له بالكى والرقى مجمعين على ذلك وغاية ما اختلفوا فيه هو ان تعاطى القسم الثالث هل هو مخالف للتوكل أم لا واحتج صاحب حسن النبا لكونه غير مخالف للتوكل رادا على صاحب الفصول بثبوت الرقيا من (النبى صلى الله عليه وسلم) وكذلك الكى فليراجع ما أطال به هنالك فأنت ترى أطباقهم على جعل الرقيا من الموهوم وما تقدم من الكتابة بالدم للراعف ليست هى الا رقيا فكيف ينطبق عليها شرط جواز استعمال

المحرم وهو تعيينه للشفاء وأين التعين من الوهم وكيف يقدم على أمر محرم باجماع لامر موهوم فعلى الآخذ للاحكام الشرعية التثبت وعدم الاغترار ولهذا صعبت درجة المفتى لكى لا يضل ويضل بغير علم ولا ينفعه مجرد وجود المسائل فى كتب بعض المتأخرين اذ كثيرا ما زلقت الاقدام من بعضهم فينقلها عنه غيره كأنها المذهب الذى عنه لا يذهب والله يحفظ المسلمين من مزالق الشبهات وكان منشأ ذلك القول هو ما قاله صاحب النهاية فى مبحث جواز التداوى بالمحرم اذا تيقن فيه الشفاء وساق لذلك مثالا وهو جواز كتابة الفاتحة بالدم للراعف على جبينه وأنفه لكنه قيد ذلك بحصول العلم الذى هو اليقين وذلك على معرض التمثيل بدليل عطفه البول حيث قال وبالبول أيضا أى اذا حصل العلم ومن المعلوم ان الفقهاء يصوّرون المسائل ولو المستحيلة تقريرا للحكم الشرعى ان طرأ فى زمن لا يقدر فيه على استنباط الاحكام فليس كلامه دليلا على الجواز فى تلك المسئلة لانه مقيد بالعلم وقد علمت انها من قبيل الرقيا والرقيا من الموهوم فلا يجوز الاستناد الى كلامه مع الغفلة عن قيده الذى هو العلم ولم نر فى كلامهم من يسوغ اطلاق العلم على الوهم وغاية ما قالوه فى المسئلة ان بعضهم جعل كلام حذاق الاطباء مما يحصل به العلم وقال العلامة السيد ابن عابدين فى حواشى الدر انه لعله من التوسع فى اطلاق العلم على الظن أقول وذلك لان مسائل علم الطب على قسمين أحدهما ما يرجع الى علم التشريح وكيفية تركيب الابدان وهى يقينية والثانى ما يرجع الى الدواء ومسائله ظنية كما تقدم ثم اعلم ان تعاطى الاسباب بأقسامها الثلاثة التى تقدمت فى صدر هذا المبحث هو من أعمال الكاملين فى الدين ولا ينافى التوكل على الله وقد بسط المسئلة بيرم الثانى فى كتابه حسن النبأ المشار اليه وحققناها فيما كتبناه على باب لا يلدغ (المؤمن من جحر واحد مرتين من البخارى) وخلاصة الكلام ان العمل بالاسباب مع التوكل على الله فى نجاحها هو المشروع ومخالفة ذلك سوء أدب مع الخالق جل وعلا فيعصى الانسان من حيث يظن انه يطيع وقد صرح بمثل ذلك العارف الشعرانى فى المواثيق والعهود حيث قال ان التوكل لا يشرع الا مع الاسباب أو عند فقدها اما مع امكانها فهو كالعاصى وبكلامه (رضى الله عنه) يتبين الوجه فى الفرق بين حالى (النبى صلى الله عليه وسلم) مع صاحبه الصديق (رضى الله تعالى عنه) فانه (عليه الصلاة والسلام) لما هاجر الى المدينة عند اجتماع قريش على أذيته لم يكن له (عليه الصلاة والسلام) من الاسباب الحامية منهم مع كثرتهم وشدة عداوتهم

واتفاقهم الا الاعتماد على أمر الله له بالهجرة ووعده له بابلاغه الى المأمن وانتصار الدين وظهوره فلما سافر واختفى فى الغار مع صاحبه (الصديق رضى الله عنه) وخرجت قريش فى تطلابهم ووصلوا الى الغار ولم يكن لهم مانع ما عن تفتيشه والدخول اليه مع شدة حرصهم على ذلك كان (سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه) خائفا فزعا يدعو الله (والرسول عليه الصلاة والسلام) مطمئن يقول له ما أخبر الله به لاتحزن ان الله معنا وفى غزوة بدر لما أعد (الرسول صلى الله عليه وسلم) العدد والعدد وهيأ أسباب القتال والتقى الجمعان للطعان كان (الرسول صلى الله عليه وسلم) يدعو الله بالحاح حتى قال لان تهلك هاته العصابة فلن تعبد بعدها فى الارض أو كما قال وكان (الصديق رضى الله عنه) يقول له لاتحزن ان الله منجز لك ماوعدك من النصر ولاشك ان (النبى صلى الله عليه وسلم) أكمل حالا من جميع الخلق فكيف اختلف حاله فى الواقعتين مع ان ظاهر الامر فيهما مع (صديقه رضى الله عنه) فالوجه يتبين مما قرره الشعرانى فى القاعدة المارذكرها وهو ان حال الغار ليس فيه مجال للاسباب لفقدانها فليس هناك الا التوكل البحت ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مطمئنا لانه أكمل توكلا واما حالة الغزوة فهى حالة الاخذ فى الاسباب ثم التوكل معها ولايسوغ التوكل البحت ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مجتهدا فى الدعاء لتكون الاسباب ناجحة وليس للامة الا اتباع الرسول فالعمل بالاسباب عند وجودها مع التوكل على الله فى نجاحها هو المشروع ولايشكل على هذا ماينقل عن كثير من الصالحين من تركهم للاسباب وخرق العادة اليهم لانه مندفع بما قرره أبو اسحاق الشاطبى فى الموافقات من ان هؤلاء وان نحرقت لهم العادة لكنهم لم يخرجوا عن الاسباب لان خرق العادة من الاسباب الخفية واستشهد لذلك بأدلة تشفى الغليل ويبينه ماوقع من العارف الربانى الامام فى علم الباطن والظاهر سيدى (عبد العزيز المهدوى) شيخ مظهر العلم (سيدى محى الدين ابن العربى) الحاتمى الذى ألف لاجله الفتوحات المكية وخاطبه فى رسائله بقوله ياولى فانه قد ذكر عنده أن أحد الصالحين كان مارا بطريق فوقع فى جب فمر بعض السابلة على ذلك الطريق ورأوا الجب فقالوا ان هذا الجب يضر بالسابلة لوقوعه فى الطريق فلندفع أذاه بوضع هذا الصخر العظيم على فيه وسده به ففعلوا من غير ان يعلموا بالصالح الواقع فيه وخطر هو ببالة ان يعلمهم ثم قال لاألتجئ الى مخلوق والله أعلم بحالى وبعد ما مر السابلة جاء سبع وحفر فرجة من فم البئر

وادلى ذنبه الى الرجل الصالح فقال ان هذا اذن من الله بنجاتى فتمسك بذيل السبع وأخرجه السبع من البئر وذهب الى حال سبيله وسمع مناديا يقول قد نجيت من الهلاك بالهلاك وسئل الشيخ سيدى (عبد العزيز) كيف يصح هذا العمل من هذا الرجل الصالح والحال انه مخالف للشريعة لان (الله يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وعدم اعلامه ولا سابلة من باب الالقاء باليد فأجاب سيدى (عبد العزيز رضى الله عنه) بأن التكاليف الشرعية العملية هى ثانى رتبة من التكاليف الاعتقادية وذلك الرجل الصالح علم من نفسه ركونها للاسباب وعدم صحة توكلها فقهرها حتى يثبت صحة الاعتقاد الذى هو الدرجة الاولى فلهذا كان الرجل قد عمل بالشريعة بوضع درجات التكاليف مواضعها هذا محصل كلامه (رضى الله عنه) وبه يعلم ان كل من ارتكب منهم مخالفة الاسباب لابد أن يكون له حامل خاص والا فهم (رضى الله عنهم) أشد محافظة على الشريعة فلا يغتر أحد بأن أعمالهم مخالفة لمشروعية الاسباب بل يحمل كل منهم على أمر خاص يليق بحاله وفقنا الله للاهتداء بهداهم

الباب * الثانى

﴿فى قطر تونس﴾

لما كان مسقط الرأس فى هاته البلاد وهى منبت الآباء ومستقر الاجداد ونحن بصدد التعريف والكلام على ما شاهدناه فى الاقطار على حسب مشاهدتنا لها فى التواريخ لزم بالضرورة تقديم الكلام على الوطن الثابت حبه فى القلب الثبات الحسن

فصل

﴿فى التعريف بالقطر التونسى﴾

اعلم ان موقعه على شواطئ افريقية الشرقية الشمالية على البحر الابيض ويحده البحر المذكور شمالا وشرقا وطرابلس الغرب فى بعض الحد الشرقى والصحراء الكبيرة جنوبا والجزائر غربا ويبتدئ شمالا من عرض سبع وثلاثين درجة وسبع عشرة دقيقة وعشرين ثانية هذا عند أعظم المرامى هنالك وهى مدينة بنزرت ويمتد من هنالك الى الجنوب الى ان يدخل فى الصحراء الكبيرة من غير تعيين لحدواغما أشهر المدن بجهة

الحد الجنوبي هي مدينة توزر وهي واقعة في عرض اربع وثلاثين درجة واحدى عشرة ثانية وعشرين دقيقة وهذا القطر طوله من الشمال الى الجنوب أكثر من عرضه من الشرق الى الغرب ممتد على ساحل البحر فيبتدئ من عرض درجة (٣٧) ودقيقة (١٩) وينتهي معموره الى درجة (٣٣) ودقيقة (١٠) ويبتدئ في الطول المؤسس على باريس من طول درجة (٩) ودقيقة (٢٢) الى نحو درجة (٥) ودقيقة (٥٠) وبه رأس داخل في البحر يسمى رأس ادار وهو أطول رأس في البحر الابيض ويتصل ببقية القارة بالمكان المسمى دخلة المعاوين كما ان بالقطر رؤس أخر وهي الرأس الابيض وراس الزبيب الاثنان حول بنزرت ورأس سيدي علي المكي ورأس جبل المنار ورأس المهدية ورأس كبودية ورأس القدامسي ويتبع هذا القطر عدة جزر صغيرة أعظمها جزيرة جهة الحدود الجنوبية ثم قرقنة وهي امام صفاقس ثم جزيرة الكلاب والجوامير وجالطه وغيرها وبه خمسة اجوان كبيرة أحدها جون سيدي ابي سعيد وهو بقرب الحاضرة وجون قابس جهة الجنوب وجون الحمامات وجون بنزرت وجون رواد وبه ثلاث بحيرات أولها بحيرة الحاضرة وثانيها بحيرة المزوقة عند بنزرت وثالثها بحيرة الكلبية بين القيروان والساحل (وأما الانهر) فليس به الا نهر واحد وهو مجرده ومنبعه من ولاية قسنطينة التابعة للجزائر وينحدر من هنالك مشرقا مع زيادة تعاظمه بالجداول التي تصب فيه الى ان يخترق القطر التونسي مارا من الغرب الى الشرق في الجهة الشمالية من القطر وتزداد مياهه أيضا بما يصب فيه من الجداول الى ان يصب في البحر في جون رواد من شماليه قرب غار الملح وهذا النهر وان لم يكن سواء في هذا القطر فهو لا يحمل الا القوارب الصغيرة في الصيف واما في الشتاء فيمكن انه يحمل القوارب الكبيرة لا السفن واذا تكاثرت الامطار فانه يفيض ويطفو على أراضي وسيعة وربما حصلت منه بعض أضرار واما الجداول فهي ليست بكثيرة جدا ولكنها خارقة لاغلب الجهات ومنها ما يجري دواما ومنها ما يجري عند هطول الامطار ومن أشهر هاته الجداول وادملاّن ومنبعه من جبال برقو من الجهة الجنوبية ويخترق وطن رياح ثم ينحدر الى ان يصب في البحر في رادس بعد عن الحاضرة عشرة أميال وكثيرا ما يمنع المارة عن عبوره عند كثرة الامطار وتارة يفيض لكن لا يحصل منه ضرر لمن يجاوره غير انه يضر بمن يكون فيه من الرعاة والمارين حيث ان فيضانه يأتي دفعة وجريان مائه سريعا لكثرة انحداره واما العيون فليست كثيرة في عموم القطر لكنها تكثر جدا في الجهة الشمالية

الشمالية فى جبال ماطر وجبال طبرقة وجبال باجة وفى الكاف عين عظيمة جداً كثيرة ماء وعذوبة وبرودة حتى تقع الخاطرة فى الصيف لمن يقتدران يرفع شيأ من قعر الماء الجارى عند منبعه ثم تنحدر من الجبل وتسيح فى البساط مهملة وكذلك فى اسيطله عين عظيمة وفى زغوان وجقار عيون كثيرة وبعضها وهو اكبرها مجلوب الى تونس الآن فى قنوات من حديد مع آثار القنوات القديمة التى كان جلب فيها الرومان الماء من هنالك الى قرطاجنة وكذلك فى الجريد عيون غزيرة عذبة الماء وحارة كما يوجد بالقطر مياه كثيرة معدنية أشهرها ماء حمام الانف النابع من جبل أبى قرنين وهو ماء حار عليه عدة حمامات والماء نابع من عدة عيون أحسنها عين حمام العريان ثم عين الحمام الكبير وله نفع عظيم لعدة امراض قد افردت منافعه وكيفية استعماله برسالة خاصة للحكيم الكبير وترجمها ونقحها العلامة بيرم الاول قدس ثراه وهذا الحمام يبعد عن الحاضرة خمسة عشر ميلا جهة الجنوب الشرقى مطل على شاطئ البحر جامع للنزهة والنفع والتأنس حيث كان على الطريق العام الموصل الى الساحل وغيره من أكبر جهات القطر ودرجة حرارة مائه من (٤٨) الى (٤٩) من ترمومتر صانتى غرام الذى هو ميزان للحرارة الذى سفره من الجمد والمائة درجة هى درجة غليان الماء وكل ليتره منه تزن ألف غرام وعشرة غرمات وسبعة صانتى غرام ومعتاد الماء المطلق القطر يزن ألف غرام والغرام هو نوع من مقادير الموازين كل ثلاثين غراما بأوقية وتفصيل الاجزاء التى فى هذا الماء من المعادن هو ما يأتى بيانه

صنتى غرام	غرام	
٠٠	٠٣٨	ففى كل ألف غرام من الماء المذكور حامض فحم الحجر
٠٠	٠١٢	حامض المانيزيا
٠٠	٠٠٠	حامض الحديد قليل
٥٣	٠٠١	الجبس
١١	٠٠٠	ملح سود
١١	٠٠٠	ملح بوتاس
٧٥	٠٠٩	مانيزيا كلورورد يسوديوم
٩٠	٠٠١	كلورورد كالسيوم
٥٥	٠٠٠	كلورورد مانيزيوم

٠٧ . . . كلورور يد تاسيوم

٠٧ . . . آسيد سيليسيك أى طين البلور

وفى كل كيلو (٢٢٠) صانتى ميتر ومربع من الحامض الفحمى وفيه (٢) ميلغرام من برومور ومانيزيا واصطلاح هاته الاعداد معلوم فى الحساب وكذلك يوجد فيه حمام قربص البعيد عن الحمام السابق بنحو اربعين ميلا فى الجهة الشرقية الجنوبية منه وهو اكثر عيونا واشد حرارة وله نفع عظيم فى كثير من الامراض العصبية وأمراض المواد الطبيعية ومن غريب خواصه انه اذا وضعت دجاجة فى مجرى الماء قرب منبعه نحو بضع دقايق يزول ريشها بتمامه بل ان بعضا من الاهالى يضع قدرة للطعام هنالك فيطبخ اللحم أحسن طبخ وهكذا غيره الا بيض الدجاج فمع شدة تلك الحرارة ومع سهولة طبخ البيض فانه لا ينضج ولو أبقى هنالك يوما تاما هكذا يروى عن كثير واجزاؤه تقرب من أجزاء ماء حمام الانف وكذلك يوجد قرب رأس الجبل من وطن بن زرت حمام معدنى غير انه لا يستعمل الا عند بعض البوادى وأهل القرى هنالك ولا شهرة له مع انه كثير المنافع وكذلك يوجد فى النفيضة مياه معدنية نافعة للشرب والاستحمام وهى مهجورة كغيرها من منابع الثروة والتقدم واما جبال هذا القطر فتتصل به سلسلة جبال أطلس التى تبتدئ من عرض (٣٨) درجة وتنتهى فى عرض (٣٧) فى مملكة المغرب وأعلى رأوسها بين فاس ومراكش وارتفاعه على سطح البحر ثلاثة عشر ألف قدم ومائة قدم وفى اختراقها للقطر التونسى عدة فروع أشهرها جبال مطماطه وجبل طبرقة وجبل الرقبة وجبل زغوان وهو أعلاها وجبل الرصاص وجبل أبى قرنين ومناخ هاته الجبال هى الجهة الشمالية والغربية الشمالية ثم لا تزال تنخفض وتضيق عند توجهها للجنوب مارة بقرب سواحل البحر الى ان تتصل بجبال الودارنه من عمل الاعراض وعدى هاته لا يوجد جهة الجنوب الاربا لا اعتبار لها وليس منها جبل بالكاف الاجبل أبى قرنين فان الآثار دالة على انه كان فى الاصل بالكان حيث يوجد فى قته العلما وهة مسدودة الآن مع منابع الماء الحار المتدفقة منه ومع الانفجار البليغ الكائن فى أحد رؤسه التى بقرب البحر فى الجهة الشمالية منه المعروفة بضربة السيف الحادث ذلك الانفجار الهائل بسبب الزلزال الشديد الذى هو من علايق البلكانية وقد علمنا ما مران فى الحد الجنوبى (الصحراء) الكبيرة وقد قال قوم انها كانت بحرا متصلة بالبحر الابيض بخليج من شطوط قابس ومما يستدلون به الارض السواخة التى بين الشاطئ المذكور

والصحراء

والصحراء ورام فرديناند دلسبس الرجل الشهير باعمال خليج السويس ان يحفر خليج قابس لكي يصير ابحر في وسط افريقية وحققوا أن سطح البحر أعلا من سطح الصحراء بما يحمل السفن الكبيرة وأن البحر يمتد هنالك الى طول نحو ثلاثمائة ميل ورأى قوم امتناع ذلك ولكن المريد أشتغل الآن بخليج بنما في أمريكا فترك الكلام والعمل في بحر الصحراء (وأما) معادن هذا القطر فهي لم تزل في حجب الترك ولاشك أنها غنية نافعة والمحقق منها الآن المعروف هو الرصاص والفضة في كل من جبل الرصاص ودجبة وأولهما كان مستعملا بكثرة وآثار خدمة الرومان له العظيمة لازالت الى الآن واستخراج المعدن منه لا يحتاج لكبير معالجة حتى ان الاعراب تأخذ منه ماتريد ولهذا صار اسم المعدن عنوانا على الجبل وقد منح في وزارة مصطفى خزنه دار الى احد الطليان ثم انتقلت خدمته الى كمپانية طليانية ولم تزل بأيديهم الى الآن من غير حصول فائدة لهم ولا للبلاد وثانيهما الآن بيد كمپانية فرنساوية هي صاحبة امتياز طريق الحديد والظاهر من اعمالها السريعة الجيدة أنها تستفيد منه عن قرب وان كانت الى الآن لم تحصد فيه شيئا كما يوجد المعدنان المذكوران في جهات أخر من جبل الرقبة وكذلك قرب اسبيطلة كما يوجد قرب هاته معدن من الذهب وفي وطن أولاد عون يوجد القزدير والزئبق ويوجد الحديد في الجبل الاحمر قرب باردو وقرب دجبة وهو غني سهل الاستخراج في كليهما كما يوجد السيمان في الجبل الاحمر وهو غني سهل ويوجد فيه الفحم الحجري أيضا كما يوجد معدن المرمر الزهري الاحمر والاخضر الذي كانت تستعمله الرومان والقرطاجنيون في هياكلهم الشهيرة وهو قرب طبربة وآثار استخراج الاقدمين موجودة تمدها البوادي غير أن تأوي اليها كما يوجد الرخام الاسود في جبل أشكل من وطن ماطر ويوجد الكذال الرفيع الصلب في جبل أبي قرنين وهو مستعمل الى الآن ويسمى محله مقطع الحجر وكذلك في الجبل الاحمر الجديد كما يوجد الملح في سباخ عديدة أشهرها سبخة سكرة قرب الحاضرة وفي عشرة الثمانين والمائتين والف أرسلت دولة فرنسا احد علماء الطبيعيات بطلب من الحكومة التونسية وطاف في جميع القطر بتدقيق وكتب ما يشتمل عليه من المعادن ومقدار درجتها وأماكنها لكن بعض تلك التقارير لم تصل للحكومة التونسية الى الآن (وأما أراضي) هذا القطر فهي خصبة جدا تبعا لمياه السماء وكأنها لكثرة خصبها واشتمالها على اكمل الصفات الجيدة خصت باسم أفريقية من باب اطلاق العام على الخاص لمزية فيه حتى صار كأنه هو الجميع أو ان أصل الاسم خاص

بهذا القطر ثم سمى به جميع ما اتصل به من القارة ويؤيده تسمية الجهة الاكثر خصبا منه بخصوص هذا الاسم وهى الجهة الشمالية الشاملة لماطر وباجة وما بينهما فانها الى الآن تسمى على لسان العام والخاص بأفريقية غير انهم يبدلون القاف كافا مفخمة وينقسم القطر الى ثلاثة أقسام باعتبار الخصب فالجهة الشمالية التى هى أكثر جبالا هى الاكثر خصبا على مرور السنين فالمزارعون هنالك لاتكاد تجد سنة لا يربحون فيها من مزروعاتهم ولا أقل انهم لا يخسرون شيأ وعلى الخصوص فى هذا جهة جبال ماطر كما ان الخصب فى هاته الجهات لا يتجاوز الحدود المتعارفة فى الربح وأما القسم الثانى فهو الجهة الوسطى من القطر والجهة الشرقية من الجنوب على قرب من البحر وذلك كالساحل والقيروان والاعراض وصفاقس وخصب هذا القسم باعتبار السنين ومافيها من المطر قلة وكثرة وحيث كان نزول المطر فى تلك الجهات قليلا فكذلك الخصب قليل ففى العشر سنين مثلا يحصل عندهم الخصب مرة أو مرتين لكنه خصب خارق للعادة ويكاد السامع أن لا يصدق به لولا ما شهد به العيان وتواتر النقل فيه حتى بلغ حد القطع فان رجلا زرع فى أراضى الساحل التابعة لمالدسوسه ربع قفيز فحصل مائة قفيز وخمسة عشر قفيزا وبلوغ هاته الدرجة قليل والكثير أن من يزرع قفيزا يأخذ من السنة عشر قفيزا الى الخمسة والثلاثين قفيزا وقد حكى الوزير أبو محمد خير الدين باشا عندما كان وزيرا بتونس الى نائب احدى الدول ما يحصل بتلك الجهة من عظم الخصب وان الامير أحمد باشا كان أتى فى أحد أسفاره بجذر من شعيرة واحدة أنبتت ستمائة سنبلة وأزيد فظهر على وجه النائب استبعاد الحقيقة وسكت الوزير اذ ذاك ثم أرسل الى عامل القيروان وجلاص بأن يبحث عند استواء الزرع على أعظم جذور أكثر سنابل فأرسل اليه صندوقين عظيمين بكل واحد منهما جذر واحد فاستدعى الوزير ذلك النائب ومعه طائفة من الاعيان وأراهم الجذور فاعتنوا بأنفسهم بالبحث عن المنبت ووجدوا أصله شعيرة واحدة وعدوا كم تفرع فى أحدها فتجاوز واقى العدالاربعمائة والخمسين وبقى نحو الثلث بلا عد وقالوا يكفى الذى تحصل منه هذا العدد فله ان يتجاوز حتى الالف ويعظم طول السنبل أيضا حتى يحجب الفارس بفرسه اذا مر فيه والعادة عند فلاحة تلك الجهات ان يزرعوا حبات الشعير كزرع الشجر اعنى يتركون بين الشعيرة والشعيرة مسافة وسيعة وأما بقية السنين فاما ان يخسروا رأس المال أو بعضه أو يحصل لهم ربح يسير وذلك لقلة نزول الامطار

بتلك

بتلك الجهات لخلوها عن الجبال المرتفعة والاشجار الطويلة وأراضى هذا القسم يلزمها البذر القليل بالنسبة للقسم الاول فالمقدار من الارض الذى يبذر فيه قفيز فى القسم الاول يبذر فيه فى هذا القسم الربع واقل وأما القسم الثالث فهو غير صالح لزرع الحبوب بالمرة وهو الجهة الجنوبية المسماة بالجريد لانها أراضى متسعة من الرمل وقريبة الى الصحراء الكبيرة ولا تصب فيها الامطار الا نادرا واذا صبت أضرت بأهلها لان نباتهم أكثره النخيل والمطر تضر بثمره العجيب (وأما نباتات) هذا القطر فأغلب ❊
زراعة أهله فى القسم الشمالى والاوسط هى الحبوب من القمح والشعير وأقل منها الذرة والفول والدرع والجلجلان والحبة الحلوى والكروية والبسباس والتابل والحبة السوداء والكتان والقطن واللوبياء والبطاطس والحمص والعدس ولكثرة خصب هاته الاشياء كان هذا القطر يسمى بمخزن حبوب روما ويزرعون من البقول الطماطم والبصل والصاق والكرنب والبروكلو والقناوية أى الباميا والملوخية والفلفل الاخضر والاحمر والمعدنوس والسنباخ والكرضون والدبا بأنواعها والجقاء والشبت والثوم والخس والسكوريا والبراصا والفجل والسماق والكلافس والفراولو والبطيخ الاحمر والاخضر والقثاء واللفت والكسبرا وبونويش والاسطفلينا وفيه أنوار برية عجيبة الرائحة والمنظر لايحيط بها الا خالقها ومنها القحوان والبابونج والاتاى وهو غير مستعمل وفيه من الازهار المستنبتة زهر البنفسج وينبت بنفسه أيضا فى زغوان وغيره من أماكن المياه الكثيرة وهكذا الورد والياسمين بأنواعهما والفل والقرنفل على أنواع شتى وغير ذلك من الزهور الطيبة الزكية بحيث تكون جبال هذا القطر وأوديته وبساتينه أيام الربيع وأواخر الشتاء وأوائل الصيف روضة نضرة بالوان النبات المخضرة به الارض وأنواع الزهور والنور المختلف الاشكال والروائح ومما ينبت بنفسه القرنين الخارج من الخرشف الذى يقال انه الجزر والسكوم وينبت فيه جميع النباتات من الكلأ البرى ومن أحسنه لغذاء الحيوانات النجم وفى الجهات الشمالية (آجام وغياض) وغابات عظيمة غنية وأشهرها غابة ❊
طبرقة يستخرج منها الاخشاب لبناء السفن والخفاف وأعواد السقوف من الطرفا وغيرها مع المتانة والدوام والعجب انها مع كثرتها فتجارة الاخشاب المجلوبة من أوروبا رائجة فى أغلب حواضر القطر ولتلك الغابات أشجار عظيمة جدا ذكر لى ثقة انه راى فى غابة طبرقة شجرة من الزيتون أحاط بساقها ستة عشر رجلا كل منهم فاتح يديه للغاية

يسلك صاحبه واشجار تلك الغابات هى الذرو والصفصاف والبلوط والبندق والقسطل والزان والفرنان ومنه يستخرج الخفاف وقشره لدبغ الجلود وفيه تجارة رائجة وشجر الشم والدردار والعرعار وغيرها من غير ذات الثمر (كما يوجد فيها) ذات الثمر نحو الجوز ولأخشابه سوق نافعة كالعرعار وقد أيضا فانهم يأخذون قشرها ويستعملونه للصبغ وغيره وأكثر هذا فى جبل زغوان وكل تلك الاشجار والغابات نابتة بنفسها من غير حراسة الا الحفظ طبرقة من جهة البحر لان للحكومة معلوما على الخفاف وهى مختصة بأخشاب السفن كما لها معلوم على نوع من قشر الفرنان المستعمل للدبغ وبقية المنافع مكنوزة أو ضائعة ويستنبت فى جميع جهات القطر شجرة الزيتون المباركة الا فى الجهة الضاربة للجنوب وكيفية غراسته على أنواع فمنها ان يؤخذ قطعة من الفرع الغضة بأوراقها وفروعها فتغرس وتبقى الفروع ظاهرة ويسمى الشتلة وهو أردؤها ومنها ان يقطع من فروع الشجرة ما بلغ ولم يجف ويقطع فى طول ذراع ثم يحفر اليه عمق ذراعين فى طولهما وعرضهما وتلقى تلك القطعة المسماة بالقنوط هناك ممتدة مع خلط التراب الذى تردم به بالسرقين وهو المسمى عندهم بالغبار ومنها ما يؤخذ من قاعدة الشجرة الجافة عند جذبه والقاح منها ويقطع بآلة من حديد مكركبا حيث ان أصل خاتمة فى القاعدة كذلك الى ان يبقى ماسكا للاصل شئ قليل فيجذب باليد لكى ينسلخ من القشر سالما ويغرس على النحو السابق ويسمى السلعة ومنها ان يزرع النوى وبعد كبر شجرها تلقح من شجرة الزيتون لان النابت من النوى يخرج ثمره رديا لا زيت فيه وهو المسمى بالجبوز ويوجد من هذا النوع غابات كثيرة مهملة فى الجبال وغيرها وأعظمها ما بين اسبيطلة والقيروان ومنها ما يزرع من القنوط المذكور لكن ليس كل شجرة منفردة من أول الامر بل يزرع عدد كثير منها فى مكان مخصوص متقارب لبعضه ويسمى بالمشتلة وبعد ثلاث سنين من نباته تنقل كل شجرة لمحلها وهذا الصنف هو الاكثر استعمالا وللاهالى اعتناء باتقانه وتنميته وسقيه والاغلب فى هاته الشجرة ان تستنبت من غير سقى الا فى السنين الاولى فاذا ثبتت عروقها ترك سقيها الاعتناء بأتيها من ماء المطر ولثمرتها أنواع كثيرة مختلفة فى الطعم والزيت كثرة وقلة والاغلب هو النوع الاسود الصغير الحجم وهو العام ويختلف زيته بالنظر للكثرة والحسن على حسب الارض التى يزرع بها فما يزرع فى الجبال والاراضى الكثيرة الحجارة يكون أكثر زيتا وأحسن زيوت

❊ هذا القطر زيت زيتون بلد قفصة وبلد توزر فانه الذ طعما وأنقى لونا كأنه ماء

لايكاد يبدوا من الزجاجة اذا وضع فيها ومن أنواع الزيتون الحسنة الطعم النوع المسمى بالمرسلين وهو أخضر متوسط الحجم مائل الى الطول دقيق النوى ويتقن صنعه أهل زغوان بالنارنج وأهل الحاضرة بذلك أيضا وبالليمون والفلفل الاحمر والاخضر ومثله النوع المسمى بالطازلا الكبير الحجم جدا الاسود اللون ومن أنواعه الحسان المسمى بالمسكى وهو مكركب مائل الى البياض بخضرة وبقية أنواع الاشجار المستنبتة فمنها البرتقال أى النارنج الغير المر وفيه أنواع وهى الطرابلسى والساحلى والجبالى وأغرب نوع لم أره فى غير هذا القطر مع البحث عنه البرد قال المسكى وهو لا حموضة فيه أصلا بل فيه حلاوة زائدة كأنه مخلوط بسكر أو عسل ومنها النارنج والليم الحلو والليمون الحامض وفيه أنواع منها ما يبقى فى جميع الفصول الاربعة والكمثرى وفيها أنواع لكل زمن من فصول السنة نوع وقد نقل من أوروبا أنواع تعظم كثيرا وعنى بتربيتها بعضهم فأنجبت فى السنين الاولى ثم أخذت فى التراجع والتفاح مثل ذلك والمشمش ومنه نوع يسمى بالشاشى صغير مبيض منقط بحمرة أو سواد لم أر مثله فيما رأيت من الاقاليم طعما ونكهة والاجاص بأنواع كثيرة منه الاحمر والاسود والابيض والاخضر والمكركب والمستطيل والصغير والكبير ويسمى بالعوينة وأحسنه المسكى وهو صغير مستطيل واللوز والعنب والتين والخوخ والهندى أى التين الهندى وهو نوع يخرج من شجرة لها شوك كثير ولا ساق لها وورقها مثل أظلاف الابل له شوك كثير ويسمى فى المشرق بالصبارة ويستعمل بكثرة سياجا على البساتين وهو مرغوب فيه فى هذا القطر لمعش أقوام مثل جلاص وتفكه الآخرين ولو من أهل المدن لطيب نكهته وطعمه مع قلة ضرره الا اذا أكثر أكله على جوع فانه قابض جدا رعا قتل بذلك ومن طبيعته انه يكثر فى سنين الجدب أى فى العام الذى تقل فيه الامطار ولذلك صار الهندى أهم النبات النافع للفقراء كما يستنبت فى هذا الاقليم التبغ أى ورق التدخين والنشوق فاما ورق التدخين ففيه الجيد ولكنه لا يبلغ الى أعلى نوع منه واما ورق النشوق فانه أعلى من جميع أنواع ما يزرع منه فى غير هذا القطر سيما ما يزرع منه فى جهة باجة وتبرسق وقربة وعادة دقه فى هذا القطر انه يدق ناعما للغاية وقد كانت فيه أرباح للقطر بكثرة زرعه منه والآن صار يجلب اليه كثير من الخارج لتحجير الحكومة زرعه باطلاق حيث كان لها عليه آداء وافر وينبت أيضا الجوز والسفرجل والعناب والزعرور والرمان وبوصاع والموز والنخيل غير انه فى غير الجريد لا يقر الا ثلاثة أنواع

وهى البسر الاخضر والاصفر والرطب واما فى الجريد فله أنواع عدها بعضهم ثمانين نوعا واختص على جميع ماعلمنا من الاقاليم رؤية وسماعا بالنوع المسمى بالدقلة الذى لانظير له حلاوة ولذة طعم ويحمل منه لسائر المعمور رغبة فيه الى غير ذلك من سائر نباتات الاقاليم المعتدلة لاسيما الجبال الشمالية الكثيرة المياه فانها يوجد بها حتى بعض نباتات الاقاليم الباردة وهى على مر الايام نضرة خضرة بما كساها الله من جمال النبات والخصب (واما هواء) هذا القطر فهو معتدل الاغلب والجهة الجنوبية يغلب فيها الحر واذا هب الريح الجنوبى على أى جهة وفى أى وقت يحصل منه الحر لاسيما فى الصيف فأنه يؤذى بحره حتى بعض الثمار والاشجار وفى غير ذلك الاعتدال هو الغالب ويشتد البرد فى الشتاء لكن لا يصل الى انجماد الماء أونزول الثلج الانادرا نعم فى جبال الشمال المرتفعة يحصل الجمد فى كل سنة بل يبقى الثلج فى بعضها ولو فى الصيف لكنه قليل واغلب جهات القطر سليمة الهواء موافقة للصحة وفيه جهات حسنة الهواء جدا نافعة للمرضى ولو بمرض السل الذى أحسن علاجاته الهواء لان مجاسه الرئة فمن هاته الجهات الحسنة المشهورة المكان المعروف برأس الجبل وهو جهة الشمال من القطر بقرب شاطئ البحر بعد القرية التى هى مركزه على البحر نحو أربعة أميال والبحر من شمالها وهو على سفح جبل منخفض مرمل تحف به بساتين ناضرة الى البحر تسقى بآبار ذات ماء حلو جيد نقى وعلى شاطئ البحر عين عذبة ضعيفة الجريان لكنها نابعة من الصخر حلوة جدا نقية مسرعة للهضم كثيرا بحيث يصير الشارب منها يأكل أكثر من عادته وكذلك من الاماكن الشهيرة بحسن الماء والهواء بلدنا بل التى هى قاعدة الوطن القبلى وهى على مبتدئ الرأس الطويل رأس ادار عند اتصاله بالقارة تبعد على البحر نحو ميل وهو من شرقيها الجنوبى وهى فى وهاد مرمل وراءها جبل وامامها بحر وتحدق بها البساتين والجنان بأنواع الليمون والبرتقال وغيرهما من الفواكه وأحسن من هذين المكانين هواء الجبل المعروف بالانصارين يبعد على الحاضرة نحو ستين ميلا جهة الشمال مع بعده من البحر فان هواءه لارتفاعه يغلب عليه البرد وفى أعاليه مسارح ومزارع متسعة وعيون دافقة وآجام وغياض نضرة لا تركد فيها المياه بل تنحدر الى أسفل والشاهد على ان هذا المكان أحسن هواء من جميع جهات القطر أن أهله لم يصبهم كثير من الامراض الوبائية مع ان كل تلك الامراض عمت القطر التونسى عدة مرار ولم يعلم أن احدا من أهل ذلك المكان أصيب بشئ من ذلك بل ان الوافد اليه يسلم عند الحلول به وسبحان من خص

ماشاء بماشاء غيران هذا المكان به عاهة صعباء هي كثرة الحيات المؤذية به والله لطيف
كما يوجد بالقطر جهات وخمة رديئة الهواء فأولها انفزة من عمل الجريد وثانيها باجة فاعدة
العمل المسمى بها فيغلب على أهاليها الامراض وترى وجوههم صفرا والوافدون عليهم فى
أقل زمن يمرضون لاسيما فى الصيف وأما غير ما تقدم فالهواء معتدل سليم
(وأما حيوانات) هذا القطر ففيه أغلب حيوانات أقاليم الاعتدال أنيسة ووحشية فمن
الوحشية الاسد وأغلبه فى الجهة الغربية ويضرب المثل بجرءة أسد عرار من أقسام تلك
الجهة والنمر فى كل الآجام القليلة العمران والضبع والذئب والثعلب والفهد والنمس
وهو النسناس والخنزير وبقر الوحش والغزال والارنب والذربال والقنفذ والوعل
والورل والجرذ على أنواع والبقر الجاموس كان جلب وسرح فى جبال ماطر وجبل
أشكل الذى تحيط به بحيرة أشكل وهى حلوى فتناسل هنالك وتكاثر وهو على ملك
الحكومة وتوحش بحيث صار اذا احتيج الى شئ منه يلزم صيده حيا وقد تأخذ منه
الحكومة أو بعض رجالها لجر الاثقال واللبن وقد قل فى هاته المدة لكثرة صيد الولاة
وعدم حراسته حقيقة ويوجد فى القطر (من الحشرات) الثعبان ولاسيما فى جبال
الودارنة فانه يعظم جدا لكنه غير مضر هنالك بحيث يكون مساكنهم كأنه من الحيوانات
الاليفة كالقط وأشباهه وهم لا يؤذونه وهو لا يضر ولا ينضرهم ويبلغ طول الواحد الى
ثمانية أذرع وغلظه أزيد من شبرين وأما فى جهات الجريد والصحراء فهنالك أنواع من
الثعبان مضرة ومنه نوع يسمى بالزريق رقيق قوى جدا اذا قصد شيأ يطفر عليه فيخرقه
كالسهم وكذلك الحيات القتالة وتوجد بكثرة فى الشبيكا وتامغزا من الجريد والعقارب فى
الجهات غيران كثرتها الفادحة فى الجريد وهى مؤذية ولاسيما فى القيروان وفى بعض
الجهات لاأذية منها كما فى باردو ومقر الامراء بل لا تكاد توجد هنالك وفى جبل المنار توجد
بكثرة صغيرة الجرم لاأذية منها وكذلك يوجد العنكبوت وتارة يعظم الى ان يصير فى حجم
العصفور الصغير وهو قليل الاذية وكذلك يوجد النمل على انواع شتى وكثيرا ما يضر
بالزرع من القمح والشعير وكذلك الجراد يأتى فى بعض السنين ويضر بالنبات جميعا اذا
كان كثيرا والخنفس على أنواع شتى والوزغ والحرباء وغير ذلك مما هو قليل الوجود فى
هذا القطر (وأما الحيوانات) الانسية فيوجد منها الخيل ومنها الجياد العتيقة العراب
وأكثر ألوانها الزرق أى الشهب المشوبة بالسواد وبقية الالوان كالحمر والكميت
والدهم والشهب موجودة أيضا بكثرة غيرانها أقل من الاول ويوجد بقلة

البلق والصفر وهذا الجنس يستعمل للركوب وجر العجلات بانواعها والحرث ومثله البغال وأما الحمير فهى موجودة بكثرة لكنها لا تستعمل لركوب أهالى المدن وأعيان القبائل بل عادتهم الاستحياء من ركوبها واغلب تركب من عامة الاعراب والسوقة وتستعمل للحمل ومثل ذلك الابل فلا تركب الا كما تقدم فى الحمير وكذلك يوجد البقر والضأن والمعز والكلاب على أنواع ومنها السلوقية والقط (وأما الطيور) فى هذا القطر فمنها الانيسة وهى الدجاج على أنواع والاوز والبط والدجاج الهندى وهذا النوع اختلفت أسماؤه فترى كل اقليم ينسبه الى جهة ففى تونس قد رأيت نسبته وفى غيرها بعض يقول رومى وآخرون فارسى وآخرون صينى الخ وكذلك يوجد الحمام على أنواع شتى وغير هذه الاجناس يجاب بقلة مشغلة للترف وأما الوحشية فمنها المقيم ومنها الرحالة فأما المقيم فمنه البزويش أى عصفور البيوت وهذا النوع لا تكاد تخلو منه بلاد وان اختلفت بشدة الحر والبرد فقد رأيته فى لندره كما رأيته فى مكة المشرفة لا فرق بين ذا وذا سوى تأثير فى اللون ففى البلاد الباردة يميل لونه الى السواد وفى البلاد الحارة يميل لونه الى البياض ومنه القنابر والزريص والحمام والحجل والمقنين والشبروش ودجاج الحرث والغر والنسر والعقاب والفاس والبرنى والعصفور الكانالو وغيرانه برى والزراعة ربوراس والغراب وغراب الزرع والفاخت وخادم الحجل والطوطو والمرل وأما الرحالة فمنها الاوز والبلا والخرنوق والكركى والدراج والسمان والبلبل والمنيار والبيبط والزرزور والابابيل والخطاف والهدهد (وأما مدن) هذا القطر فقاعدته تونس وهى فى عرض ست وثلاثين درجة وست وأربعين دقيقة وثمان وأربعين ثانية شمالا وطول تسع درجات شرقا من باريس بقرب من ساحل البحر الابيض على جون سيدى أبى سعيد على تسعة أميال منه يفصل بينهما بحيرة ملحة لها منفذان الى البحر غربهما القوارب احدهما يعبر فى حلق الوادى والثانى بينه وبين رادس والبحيرة قليلة العمق بها جزيرة تسمى شكلى بها حصن قديم وعلى شاطئها على حافة البلاد مرسى للقوارب الحاملة للبضائع والركاب بين القاعدة ومرسى حلق الوادى ويتصل بهاته المرسى أى مرسى البحيرة بالحاضرة فرع من طريق الحديد الغربية ويقال انه عقدت مع لجنة فرنساوية تسمى لجنة بون كالمه وهى صاحبة امتياز طريق الحديد الغربية شروط فى جعل تلك المرسى مؤمنا للسفن ويلزم لذلك حفر البحيرة وغير ذلك من الاعمال وهاته القاعدة هى اكثر طولا من الشمال الى الجنوب من العرض ويحيط بها سور

الامن

الامن جهة الشرق فان حدها هنالك هو البحيرة المذكورة كما أن السور ابتدئ فيه من جهة الجنوب ولم يتم ما بين باب الفلة وباب القرجانى وفى السور تسعة أبواب أولها فى قرب نهاية السور عند اتصاله بالبحيرة من جهة الشرق الشمالى ويفتح الباب الى الشمال ويسمى باب الخضراء ثم يليه (باب) ابن عبد السلام ثم باب سعدون ثم باب حومة العلوج ثم باب سيدى عبد الله ثم باب سيدى قاسم ثم باب القرجانى ثم باب الفلة ثم باب عليوه وهو فى نهاية السور من جهة الجنوب الشرقى عند اتصاله بالبحيرة أيضا ولهاته القاعدة حصون على كل باب الا باب حومة العلوج وفى خلال السور حصون أخرى كحصن القصبة وهو أكبرها وموقعه على أعلا ربوة فى البلاد لان البلاد جاءت فى سفح ربوتين متصاعدة فيهما أحداهما ربوة القصبة والثانية ربوة القرجانى ومن الحصون حصن درب بن عبال وحصن سيدى يحيى وخارجها أيضا بقرب منها حصون فمنها حصن الجلاز على أعلا رأس فى جبل الجلاز من جهة الجنوب للحاضرة ومنها حصن الرابطة فى الجهة الشمالية الغربية فى الجبل الاخضر وبقربه حصن فليفل وحصن زوارة وامام حصن القصبة داخل المدينة بطحاء عظيمة وفى جهتها الجنوبية سراية المملكة التى بناها حموده باشا ولازالت معتنى بها الى الآن وهى مقر الحكومة والوالى عند وفوده للحاضرة وفى جهتى الشرق والشمال من البطحاء سوق ذو حوانيت وامامها مظلات مرفوعة على أعمدة من الرخام وفى جهتها الغربية الحصن وبوسطها جنينة وفوارة للماء من ماء زغوان ويحيط بالمدينة فاصلا بينها وبين الربضين طريق متسع وأشهر الاماكن الرحيبة بالحاضرة بطحاء رمضان باى وبقربها مركز الضابطية وبطحاء الحلفاوين بربض باب الجزيرة وكذلك بطحاء المركاض امام القشلة الحسينية وبطحاء الحلفاوين بربض باب السويقة وبه أيضا بطحاء التبانين وبين الربضين بطحاء باب البحر وهى أنزه وأرحب الاماكن وحولها بناءات أنيقة وبوسطها جنينة وفوارة ويمر منها طريق عظيم متسع الى مرسى البحيرة وذلك المكان هو منتزه الاهالى فى عشايا الصيف لان حول الطريق العريض أشجار وقهاوى وملاهى وحول باب البحر وبقربه حارات الافرنج ويتصل بها حارات اليهود وماء زغوان مخترق لاغلب جهات البلد فى قنوات من حديد وأغلب الاسواق متصل بعضه ببعض وقد كانت كل صناعة لها سوق مخصوص لكن الآن وقع بعض تداخل ومناخ هاته الاسواق هو الجهة الغربية من المدينة حول جامع الزيتونة الذى هو بقرب القصبة المار ذكرها وجامع الزيتونة هو أول جامع بنى بالحاضرة

وكان تمامه سنة ١٤١ حسبما كتب ذلك على أقواس بيت الصلاة بالقوس المواجه لمحل المصحف فنقش عليه تاريخه لفظ ﴿ اعلم ﴾ وهذا الجامع هو أعظم جامع بالحاضرة وهو بركة أهلها ولا يخلو من رجل صالح وهو مناخ العلوم وتخرجت فيه فحول عظام قديما وحديثا وان كان أقدم منه فى البناء جامع القصر لانه كان كنيسة قبل الفتح فصار جامعا وتشتمل الحاضرة على سبعة جوامع خطب للحنفية وأعظمها جامع محمد باى تجاه زاوية سيد محرز بن خلف وبقية الجوامع والمساجد البالغة نحو ثلاثمائة كلها مالكية وأعظمها جامع الزيتونة وفى الحاضرة زوايا كثيرة منها ما به ضريح سادات من الصالحين كزاوية سيدى محرز بن خلف عماد البلدة رضى الله عنه وزاوية سيدى على بن زياد من كبار أصحاب مالك بن أنس وزاوية سيدى أحمد بن عروس وزاوية سيدى منصور وغيرهم رضى الله عنهم وتبلغ أزيد من مائتى زاوية وسكان الحاضرة تقريب عددهم نحو مائة وخمسين ألف نسمة منهم نصارى وآخذون اتباع الدول الاجنبية نحو عشرين ألفا ويهود نحو أربعين ألفا والمسلمون ما بين أهالى أو جزائريين نحو تسعين ألفا وبقرب الحاضرة على نحو ثلاثة أميال من الغرب الشمالى بلدة باردو والتى هى مقر الحكومة وتشتمل على قصور للادارة ومساكن الوالى وقرابته وعلى جامع واحد وحمام ولها قاض خاص وحول الحاضرة الى مسيرة تسعة أميال وأقل بساتين وعمران وأحسنها المكان المسمى منوبة لاشتماله على قصور جميلة فى بساتين أنيقة وبها قرية حول زاوية الولية الصالحة السيدة عائشة المنوبية وهى فى الجهة الغربية من الحاضرة على مسيرة تسعة أميال وفى الجهة الشمالية بساتين أريانة تضاهى السابقة مع حسن هوائها ثم فى الجهة الشرقية بساتين مرسى قرطاجنة التى هى أنزه وأبهى مكان حول الحاضرة تبعد عنها نحو سبعة عشر ميلا على شاطئ البحر الذى عددت محاسنه شعراء القطر وقال أبو عبد الله الباجى المسعودى فيه عدة موشحات منها قوله

يا شاطئ المرسة السلام ❊ عليك يا نزهة العيون

وأشهر أماكنها العبدلية المشتملة على سوق وقصور أنيقة لولى العهد فى الولاية الامير على باى وفى الجنوب الشرقى من الحاضرة على بعد تسعة أميال مستقيما مرسى حلق الوادى التى هى أكبر مراسى القطر ويكثر سكانها صيفا حيث ينتقل الوالى والحكومة اليها وكثير من اليهود للتنزه بها ويبلغ سكانها اذ ذاك الى نحو ثلاثين ألفا وقد أحدث خارج سورها بناآت كثيرة نحو بلدة جديدة فى شرقيها على ترتيب هندسى وبينها وبين مرسى

قرطاجنة

قرطاجنة المتقدمة بالمتجول المنارهى أقرب الى الثانية وهى مقر انتزاه أهل الحاضرة في الصيف تشتمل على أزيد من أربعمائة دار أغلبها أنيق متقن مطلة على البحر بحيث يراها القادم في البحر على أحسن منظر لتصاعدها في الجبل مع تزويق الابنية وان كانت طرقها وسخة وقد التفتوا في المدة الاخيرة الى شئ من نظافتها وتشتمل على ضريح الولي الصالح سيدي أبي سعيد الباجي وغيره من الاولياء رضي الله عنهم وتنسب البلدة الى سيدي أبي سعيد كما أنه بين هاته البلدة وبلدة حلق الوادي عدة قرى في مكان مدينة قرطاجنة العتيقة التي هي الآن خراب ولم يبق منها قائما الامواجل الماء وقد كانت مردومة بالتراب ثم في هاته المدة الاخيرة فرغت منه ووجدت حيطانها وطليها أحسن مما يبنى جديدا وهي نحو احدى عشرة ماجلا متصلة ببعضها اتصالا نافذا ولا تحتاج لا لشئ يسير من الاصلاح وهي من المباني العجيبة التي تقصدها السواح لرؤيتها كما أن خرائب قرطاجنة لا زال يستخرج منها الصخور الضخمة والاسطوانات المرمر وكثير من الافرنج يبحث فيها على الاشياء العتيقة ويستخرج منها تصاوير وأصنام وصناديق من رخام عليها كتابات عتيقة وهي قبور لقدمائهم وتارة يستخرج بعض فصوص منقوش عليها تصاوير في غاية الاتقان فمنها فص قدر الظفر منقوش به عجلة وأربعة من الخيل ومن اتقان النقش أن صفائح الخيل تظهر مساميرها ولا يستبين نحوها الا بالمرآة المكبرة كما يستخرج أحيانا قطع من السكة ذهبا وغيره والحاصل ان هاتيك الجهات وما حولها الى الجبل الخاوي لا زالت تشتمل على عجائب من آثار الاقدمين ومن القرى الواقعة هنالك الآن أشبه شئ بالخراب المعلقة ودوار الشط ثم بينهما وبين حلق الوادي بساتين قرطاجنة على الشط وهي جميلة ذات قصور أنيقة وفي الجهة الشمالية الشرقية من الحاضرة بساتين سكرة وسميت بذلك لانها كان يزرع بها قصب السكر بكثرة وتسق من عين عظيمة عذبة مارة تحت الارض لا يعلم منبعها وانما هي آتية من الشمال الغربي ذاهبة الى الشرق الجنوبي في قنوات من البناء المتقن والآن عليها آبار كثيرة ولكن من التقهقر صارت تلك الجهة كأنها خلاء وليس بها قصبة واحدة سكرية اندثارها وأوهاز يدبها من السبخة التي هي في شمالها الشرقي بينها وبين بساتين قمرت التي هي قرب شاطئ البحر شمالي الجبل الخاوي فيها جبال عظيمة من الرمل المتنقل أهلكت أغلب بساتين تلك الجهة وهي آتية من الشمال محاذية للشاطئ ذاهبة الى الجنوب وكأنها من الرمال التي يقذفها البحر بعد التصفية مما يأتي به نهر مجردة والمدينة

الثانيــة فى القطر هى القيروان وهى اختطتها الصحابة رضوان الله عليهم عند الفتح
فى مكان صالح بعيشة حيواناتهم وقريب من طبيعة أرض الحجاز لتأنسهم بها وبعيدة
عن البحر حذرا من هجمات المغاربين قبل التمكن وهى فى الجنوب الغربى من الحاضرة
فى طول (٤٥) ثانية و (٣) دقائق وعرض (٤١) ثانية و (٣٥) دقيقة وبها الجامع
الكبير الذى بنته الصحابة ثم جدده بنو الاغالب عندما كانت تلك البلدة هى قاعدة
القطر ولا زال بعض سقوف الجامع مما صنعه الاغالبة الى الآن كما أنها فيها ضريح
السيد الصحابى سيدنا أبى زمعة الانصارى رضى الله عنه وعليه بناآت ضخمة ومدارس
للعلوم وأوقاف كثيرة ولتلك البلدة سور وضريح السيد خارج السور وفى السور منافذ
ضيقة معوجة للخروج منه راجلا عند غلق الابواب وعلى السور عدة حصون وهى
الآن ليست على ما كانت من العمران وسكانها الآن نحو عشرين ألفا كلهم مسلمون
ولا يدخل البلد غير مسلم وهم قائمون بجميع ما يحتاجون اليه من صنائع وتجارة ولا زال
العلم فى أهلها وبالجامع الاعظم وبمدارس السيد عدة دروس فى علوم شتى (ثم ان
القطر) التونسى ينقسم الى عدة أعمال بالنظر الى السياسة (١) فالحاضرة وما حولها الى
نحو عشرين ميلا من كل جهة عمل (٢) ويليه من الجهة الشرقية الجنوبية عمل
الوطن القبلى وهو ينقسم الى الجزيرة مما يلى الحاضرة وقاعدتها بلد سليمان وسكانها
نحو أربعة آلاف نسمة والى الوطن وقاعدته بلد نابل وسكانها نحو خمسة عشر ألف نسمة
وفى الجميع أزيد من ستين قرية فمما يتبع الاول المنزل وبنى خلاد والصمعة وأقليبية
التى هى حصن على رأس ادار ومما يتبع الثانى بنى خيار وقربة والحمامات وهى حصن
فى الجون المعروف بها وفى ذلك الرأس الطويل مقر السادات المعاويين التابعين الشرف
رضى الله عنهم ثم يلى ذلك جنوبا (٣) عمل الساحل المنقسم الى وطن سوسه ووطن المنستير
ويتبع كل منهما عدة قرى فمما يتبع سوسه بلد مساكن أهاليها أشراف والقلعة
الكبرى والقلعة الصغرى وغيرها وسوسه التى هى القاعدة ذات سور وحصون وهى
مرسى على البحر وبها جامع عظيم وسكانها نحو تسعة آلاف نسمة ولهم حضارة وبقايا
من العلوم ومما يتبع المنستير بلد المهدية ولها حصن وسور وجامع وهى مرسى تجارية
أيضا ولها قاض خاص وأكثر سكانها حنفية من أبناء الترك الذين استوطنوا تونس
وعدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة ويتبعها أيضا بلد جمال وبلد المنارة وغيرها
والمنستير هى القاعدة ولها سور وحصون وهى مرسى تجارية أيضا وسكانها نحو

سبعة

سبعة آلاف نسمة وهى دون سوسة فى الحضارة والمعارف ويلى هذا العمل (٤) عمل صفاقس وهو جنوبى السابق على شاطئ البحر وقاعدته مدينة صفاقس وسكانها نحو عشرة آلاف ولاهلها شهرة بالتجارة فى دواخل القطر وفى الممالك الاسلامية ولهم مزيد محافظة على الصلوات فى المساجد ولهم بقايا من العلوم الدينية والادبية وهاته البلدة لها سور وحصون وهى مرسى تجارية أيضا وتأوى اليها سفن الحكومة فى الشتاء لانها أمن مرسى للسفن وامامها مدو جزر ويتبعها جزيرة قرقنة التى بها قرى ولاهلها صناعة الحلفة والحبال ثم يلى هذا العمل على الشاطئ الجنوبى (٥) عمل الاعراض على جون قابس التى هى قاعدة العمل وسكانها نحو تسعة آلاف وهم على البداوة ولها مرسى قليلة التجارة وهذا العمل ينتهى الى غاية الحدود من جهة الجنوب والجنوب الشرقى الى ابراس ثم يلى هذا العمل فى الشرق (٦) عمل جربة التى هى جزيرة فى البحر وعدد سكانها أزيد من ثلاثين ألفا متفرقين على عدة قرى ولهم شهرة تامة بالتجارة فى سائر ممالك الاسلام ويلى عمل الاعراض من غربيه (٧) عمل الجريد الواصل الى نهاية الحدود الجنوبية فى الصحراء وهو منقسم الى أربعة أقسام الاول فى جنوبيه وهو وطن الوديان والشبيكة وتامغزا ويليه شمالا وطن نفطة ويليه شمالا وطن توزر ويليه شمالا وطن قفصة وهاته لها حصن وقاعدة جميع الجريد هى توزر وقد كانت منارا للعلوم ولازالت فيها بقايا وعدد سكانها نحو الفى نسمة ثم شمالى هذا العمل (٨) عمل القيروان وقد مر ذكرها لانها لها التقدم على غيرها ويلى عملها شمالا (٩) عمل أولاد سعيد من البوادى سكان الخيام ويليه فى الشمال الغربى (١٠) عمل رياح المشتمل على بلد زغوان فى جبلها الشهير وعلى بلد تستور وعلى بلد مجاز الباب وغيرها وأكبرها تستور وعدد سكانها نحو أربعة آلاف وهذا العمل يتصل بعمل الحاضرة (وحينئذ) فقد عرفنا جهة الشط الجنوبى الشرقى الى الحدود ثم ماوالاه من دواخل القطر وبقى علينا تقسيم جهاته الغربية والشمالية فاما الغربية فيتصل بعمل الحاضرة (١١) عمل طبربة وقاعدته طبربة وهى قرية الآن فى غاية التأخر (١٢) ثم عمل تبرسق وهى قاعدته وسكانها نحو الفى نسمة (١٣) ثم عمل باجة وهى قاعدته وهو عمل كبير وقاعدته ذات حصن وقصر لنائب الوالى الذى يسافر بالعسكر كل صيف الى هنالك فى القديم وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة (١٤) ثم عمل الكاف وهى قاعدته ولها حصن وهى فى رأس جبل وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة ويتصل

عملها الى نهاية الحدود الغربية غير أنه لا يصل الى الشط من جهة الشمال فتلك الجهات هي الاعمال الشمالية وتبتدئ من جهة الحد بجبال طبرقه وسكانها (١٥) بوادى وبها حصن ويليه (١٦) عمل جبال ماطر وهى قاعدته وسكانها نحو ألفى نسمة من البوادى ثم يليه (١٧) عمل بنزرت وهى قاعدته وهى مرسى أمينة جدا والسهل لها بعض تسهيل فى منفذها الى البحر لا يمكن أن تأوى جميع سفن الدنيا فى أمان ولموقعها اعتبار عظيم فى التمكن من البحر الابيض وسكانها نحو ستة آلاف نسمة ولها حصن وسور والماء يجرى اليها فى قنوات من البناء من بعد للشرب لاهلها ويخترقها خليج يوصل الى بحيرة المزوقة المتصلة ببحيرة اشكل التى بها جبل كالجزيرة فيه حيوانات كثيرة هو متنزه لمريد الصيد ويتبع هذا العمل بلد غار الملح التى هى فى نهاية الحد الشمالى من الشرق وسكانها نحو ألف نسمة ويتصل هذا العمل من جنوبيه بعمل الحاضرة وعلى ذلك فقد تصوّر القارئ هيئة تقسيم أرض هذا القطر غير أنه بقى له تقسيم آخر حكمى أيضا بالنظر الى القبائل الساكنين به ومرجع أحكامهم فنقول (ان أصل) أهالى هذا القطر هم من البربر وكانوا قبل الفتح اما نصارى أو وثنيين ثم أسلموا كلهم ولا زال فى بعض القبائل شئ من عادات النصارى يفعلونه عن غير قصد وهو الوشم بين أعينهم على جباههم بصورة صليب صغير وكذلك استوطن به كثير من العرب واختلطت انسابهم بالاصليين ثم استوطن به أيضا من هاجر من الاندلس بعد المائة الثامنة وقد بنوا بلدانا بالقطر خاصة بهم وكذلك فى ربض باب سويقة من الحاضرة بنوا حارة خاصة تسمى الى الآن حومة الاندلس ومن بلدانهم التى أسسوها سليمان وزغوان وطبربه ومجاز الباب وتستور وكلها مؤسسة بأماكن جيدة على شكل حسن متقابلة الطرق واسعتها مستقيمتها واختلط نسلهم بالقاطنين ثم وفد عليهم الترك واختلط نسلهم أيضا بالقاطنين ولكن الاكثر هم النوعان الاولان وديانة الجميع هى الاسلام الا نحو ستين ألفا من اليهود أغلبهم فى الحاضرة وباقيهم متفرقون فى أغلب بلدان القطر كما ان فى القطر من النصارى الاوروباوين نحو الاربعين ألفا من أجناس شتى أغلبهم مالطيون من الانكليز ويليهم الطليانيون ثم الفرنساويون ثم غيرهم قليلا هذا من غير اعتبار المسلمين التابعين للفرنسيس والا فعدد الفرنساويين بذلك الاعتبار اكثر من غيرهم ثم ان الاهالى الاصليين كانوا فى صدر المدة على مذهب أبى حنيفة هم وجميع سكان الجزائر والمغرب الى ولاية المعز بن باديس فحملهم على أتباع مذهب مالك وذلك فى حدود سنة (٤٠٧) وبقوا على ذلك

الى

الى ان جاء الترك فكانوا هم ونساهم على مذهب أبي حنيفة ولذلك كان أكثر الاهالى
مالكية وهذا بيان أسماء الاعمال والقبائل والاشارة الى أماكن اقامتهم *
(١) الحاضرة (٢) القيروان (٣) أولاد خليفة من جلاص جنوبي
القيروان (٤) الكعوب والكوازين منهم غربي القيروان (٥) أولاد بدر منهم
مثل السابقين (٦) اولاد سنداس منهم مثلهم (٧) كسرى في الغرب الجنوبي
منهم (٨) الساحل (٩) المثاليث حول صفاقس من غربيها وجنوبيها (١٠)
صفاقس (١١) جربة (١٢) الاعراض (١٣) نفات في الاعراض (١٤) تغزاوة
من الجريد في جنوبيه الغربي (١٥) الوديان في جنوبيه (١٦) الحامة في جنوبيه الشرقي
(١٧) توزر في شماليه (١٨) نفطة في وسطه (١٩) الشبيكة وتامغزا في نهاية الجنوب
منه (٢٠) قفصة في شماله (٢١) أهل بيت الشريعة من عرب دريد رحالة
ما بين الجنوب الغربي والغرب الشمالي (٢٢) أولاد سيدي تليل في تلك الجهات
(٢٣) أولاد سيدي عبيد مثلهم (٢٤) أولاد عزيز من الهمامة ما بين القيروان
والجريد والاعراض وهم رحالة في تلك الاراضي الرحيبة (٢٥) أولاد معمر منهم
مثلهم (٢٦) أولاد رضوان منهم مثلهم (٢٧) الغمامدية في غربيهم (٢٨) أولاد
وزاز من الفراشيش في جهة الغرب الجنوبي (٢٩) أولاد ناجي منهم مثلهم (٣٠)
أولاد على منهم مثلهم والجميع رحالة في تلك النواحي (٣١) شقعة في الغرب المتوسط
من القطر (٣٢) الفواد قرب السابقين (٣٣) أولاد مهنة مثلهم (٣٤) أولاد
بوغانم في الحدود الغربية (٣٥) الزغالة مثلهم (٣٦) شارن مثلهم (٣٧)
العوامر منهم مثلهم (٣٨) أولاد يعقوب قربهم (٣٩) التوابع مثلهم (٤٠)
ورغة في جبال الشمال (٤١) الخامسة ودوفان في جبال الكاف (٤٢) الكاف
سبق ذكره (٤٣) ورتنان في الجنوب من الكاف (٤٤) أولاد عيار قربهم (٤٥)
أولاد عون قربهم (٤٦) جندوبة شمالي الكاف (٤٧) أولاد بوسالم قربهم
(٤٨) ارقبة شرقي الكاف الجنوبي وغربي جنوبي باجة وفيها جبال وقبائل من
سكان الخيام (٤٩) باجة سبق ذكرها ويتبعها جبال تشتمل على قبائل شتى غير
ناضعين حقيقة للحكومة متمنعين بجبالهم الوعرة وكثيرا ما ترسل معسكرات لأخذ
الضرائب منهم وكثيرا ما يؤدون اليها مقدارا عن غير تحقيق لعددهم وكسبهم وهم
حمدون ونفزة ومقعد وعمير والشعبية (٥٠) تبرسق سبق ذكرها (٥١) رياح

تقدمت أيضا (٥٢) المحدية ورادس كل منهما قرية لها عامل مخصوص والاولى كانت مدينة قاهرة فى ولاية أحمد باشا فأتى عليها الذى أتى على ابدف بضع سنين وكانت مستقره ومستقر جنده (٥٣) ثم المرسى وحلق الوادى وقد تقدما (٥٤) أريانة وجعفر كذلك (٥٥) بنزرت كذلك (٥٦) ماطر وبجاية تجيا لها وقد تقدمت (٥٧) الوطن القبلى كذلك (٥٨) قبطنة (٥٩) ماياش (٦٠) جرى ليس لهم مقر بل هم متفرقون فى الاوطان (٦١) أولاد سعيد فى القبضة فى الشمالى الشرقى لقيروان (٦٢) السواسى جنوبيهم (٦٣) الطرابلسية متفرقون فى الاوطان (٦٤) الغرابة كذلك (٦٥) العروش الرقاق الاولى كذلك (٦٦) العروش الرقاق الثانية كذلك (٦٧) دريد رحالة ما بين الغرب والجنوب (٦٨) عرب مجور تابعون اليهم (٦٩) أولاد حسن حنفيو المذهب من دريد (٧٠) فطناسة اتباع جلاص (٧١) أولاد سيدى عبيد الظاهر فى الجهة الغربية الجنوبية (٧٢) طبربة تقدمت (٧٣) السبالة فى الشمالى الغربى من الحاضرة على نحو اثنى عشر ميلا وعدد جميع السكان نحو مليون ونصف لان تحقيق العدد غير موجود سيما وكثير من أعراب الاعراض مثل ورغمه وكذلك بمالية باجة لا يعرف عدد ذكورهم البالغين القادرين على التكسب فضلا عن غيرهم وانما يعرف عدد الذكور البالغين من بقية السكان الغير العاجزين عن التكسب وهم مائة وسبعة وعشرون الفا عدى سكان بلدة تونس والقيروان والمستير وصفاقس لاستثنائهم من الاداء المرتب على الرؤس

فصل

﴿ فى اجمال تاريخ هذا القطر التونسى ﴾

ويشتمل على ثمانية مطالب (الاول) فى نبذة من تاريخه القديم (الثانى) فى علاقته بالدولة العثمانية (الثالث) فى سياسة الخارجية (الرابع) فى سياسة الداخلية من العائلة الحسينية (الخامس) فى وزارة مصطفى خزنه دار (السادس) فى وزارة خير الدين باشا (السابع) فى وزارة محمد خزنه دار (الثامن) فى وزارة مصطفى بن اسماعيل

(المطلب الاول) فى نبذة من تاريخه القديم أعلم ان هذا القطر تداولته ولاية الرومانيين والقرطاجنيين منذ قرون عديدة قبل البعثة وصدر من زمن الخلفاء الراشدين الى ان

افتتح

افتتح الخليفة الثانى (سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) مصر ووصل أمير جيشها بالفتح الى برقة بين طرابلس ومصر فأرسل يستأذنه فى فتح أفريقية يعنى بها تونس كما تقدم بيان وجه التسمية فى الفصل السابق فأرسل اليه يقول ما مفاده انها الغدارة ✽
المغدور بها ماؤها قاس مفرقة لقلوب أهلها لا تفتح ما دمت حيا الخ وكان وجه ذلك سياسة منه (رضى الله عنه) لخبرته بالامور وهو علمه بالاختلاف الدائم بين أهلها الذى صار طبيعة لهم بحيث لا ينقادون لبعضهم ولذلك وهنت شوكتهم وصاروا طوع الاجانب المستولين عليهم بحيث لا يعهد منهم قيام بشأن أنفسهم بل تسلم أنفسهم الانقياد الى ✽
الغريب بالا تسلمه الى واحد منهم والدليل على ذلك أن هذا القطر مهما تغلب عليه أجنبى انقاد له أهله الى أن ينقرض أو يستولى عليه أجنبي آخر وحيث كانوا على تلك الصفة فالاستيلاء عليهم ولان كان سهلا غير أنه لا تؤمن عواقبه أما (أولا) فلان الجيش اذا استقر هنالك ربما سرت اليه طباع أهل الاقليم كما هو شأن الطبيعة البشرية من سريان الطباع بالمخالطة والملازمة فيقع بينهم التنافر الواجب التباعد عنه وأما (ثانيا) فاذا غلب الجيش الاسلامى ولاة القطر الذين هم أجانب من الرومان لا يبعد أن يرجعوا الى بنى جنسهم و يعيدون الكرة على المسلمين وهؤلاء لا يمكن لهم الاعتماد على أهل القطر فى امدادهم واعانتهم لما تقدم من طبعهم وأنهم طوع الغالب كيفما كان وذلك لا يعدى معه رؤيتهم لعدل المسلمين واستقامة أمور دينهم ودنياهم لما فى أصل الطباع من النفرة عن التعاون وميل كل لخويصة نفسه والحامل الدينى وحده غير مجد لانه يلزم له رسوخ وتخلق ومع ذلك قليل من يكفى له ذلك فقد قرر (أبو اسحاق الشاطبى) فى موافقاته أن العلماء ✽
على ثلاثة أقسام الاول من يبلغ به العلم الى درجة تصيير النظرى فى حقه ضروريا لاطلاعه على أسرار العلوم وتخلقه بها حتى يصير العلم له طبيعة راسخة يرجع اليها رجوعه الى سائر الضروريات ولا يمكن له العمل على خلاف ذلك كما لا يمكن للانسان العمل على خلاف الضرورى وهذا القسم قليل ما هم والقسم الثانى اطلع على أسرار العلم لكن اطلاعا محتاجا الى المراجعة والتذكر والتدبر وهؤلاء لا يجرون على مقتضى العلم الا بكلفة من خوف الوازع الظاهرى غير أنهم ينقادون اليه بالتسليم وهو فى حقه خفيف فأدنى درجاته تؤثر المطلوب منهم والقسم (الثالث) هو الذى لا يطلع على شئ من أسرار العلم وانما يسمع تكاليفه و ينقاد اليها بالتقليد البحت وهذا لا يحمل نفسه على مقتضاه الا بالوازع الظاهرى وهو القسم الاكثر والاغلب فى الوجود ولهذا أقيم فى الدين

وازع الحكم لحرس الدين الشامل لجميع أقسام التصرفات الدنيوية والاخروية ولا يقال ان أهل القسم الاول يلزم أن يكونوا معصومين وذلك لا يصح لانا نقول تصدر منهم الخطيئة على وجه الغفلة كما تغفل الحواس فى بعض الاحيان هذا اجمال كلامه وأنى لاهل أفريقية اذ ذاك وبلوغ درجة القسم الاول هذا على فرض اسلامهم وأما اذا رضوا بالطاعة وضرب عليهم الخراج فالامر أبين مع أن المنعة اذ ذاك للمسلمين وخط التجائهم بعيد جدا وهو جزيرة العرب حيث كانت مصر اذ ذاك فى أول فتحها ولم يستقر قرارها وليس من المعقول الرغبة فى الفتوح بالتهور وعما تقدم يندفع أشكال بين وهو كيف يتوقف سيدنا عمر رضى الله عنه عن بث الاسلام فى افريقية استنادا لمجرد ذلك التعليل وهو تفرق أهلها مع أن الامر ببث الاسلام ليس بعشرو ا باتفاق قلوب أهل الاقاليم ويؤيد ما قلناه أن سيدنا عثمان رضى الله عنه لما ولى الخلافة واستقر اذ ذاك أمر الاسلام فى مصر وكان لجيش المسلمين قرب منعة ومدد أمرهم بفتح افريقية ففتحت سنة ٢٩ على يد سيدنا عبد الله بن سعد بن أبى سرح رضى الله عنه مصحوبا بعشرين ألفا من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم وكانت أسبيطلة هى القاعدة الثانية فى القطر وهى مركز المشاورة واجتماع أهل الحل والعقد لكى يكونوا أحرارا فى مفاوضاتهم لبعدهم عن الملك الذى مقره فى قرطاجنة وما يرمى عليه أمرهم يبعثون به اليه وحيث كانت تفاصيل التواريخ لهذا القطر قديما قد تكلفت بها مؤلفات منفردة ومن أجلها الحلل السندسية فلا يمكن استيعابها فى هاته العجالة لانها خارجة عن المقصود الذى هو معرفة الحالة الراهنة وانما الذى يتوقف عليه المقصود هو بيان ما عليه الحال لكن هذا لما كان له مساس بامور سابقة لزم بيان مقدار الحاجة لتبين الاسباب ومسبباتها ولذلك نذكر جملة الدول التى تولت هذا القطر من حين الفتح فى جدول مع ذكر صفة الدولة اجمالا وتاريخ مدتها بداية ونهاية وأسماء أصحاب الملك الى أحمد باشا من أمراء الدولة العلية العثمانية ومنه نأخذ فى ذكر بعض التفاصيل التى ينبنى عليها المقصود حتى يكون المقصود مستوفى البيان ان شاء الله تعالى

تاريخ

«تاريخ الولاية»	«الاسماء»	«الملاحظات»
٠٠٢٩	عبد الله بن أبي سرح	عامل للخليفة ثم من بعده عمال لوالى مصر التابع للخليفة
٠١٥١	عمر المهلبى أول دولة المهلبيين	تابع للخليفة المنصور العباسى وهكذا من بعده تابعون للعباسيين مع الاطلاق فى التصرف بجميع وجوهه حتى الحرب والصلح
٠١٨١	ابراهيم بن الاغلب هو أول دولة الاغالبة	مثل السابق وتوارثها بنوه
٠٢٩٧	دولة العبيديين وأولهم عبد الله المهدى	فى نفس الامر مستقلة وفى بعض الاطوار تظهر الخضوع للعباسيين وطورا للفاطميين بمصر
٠٣٦٥	دولة صنهاجة وأولهم المنصور بن يوسف	مثل السابقة
٠٦٠٣	دولة الحفصيين وأولهم الشيخ عبد الواحد	مستقلين واستولوا على المغرب ودانت لهم مصر والحرمين الشريفين برهة من الزمن
٠٩٨١	الدايات والبايات المراديون والباشوات منهم	اتباع للدولة العلية العثمانية فتارة يكون صاحب التصرف يلقب بالداى وتارة يلقب بالباى وتارة بالباشا
١١١٧	الحسينيون أولهم حسين باشا ابن على تركى	اتباع للدولة العلية بامتياز فى التصرف
١١٥٣	ابن أخيه على باشا	مثله
١١٦٩	محمد بن حسين باشا ابن على	مثله
١١٧٣	أخوه على باشا	مثله

﴿تاريخ الولاية﴾	﴿الاسماء﴾	﴿الملاحظات﴾
١١٩٦	ابنه محمود باشا	مثله
١٢٢٩	أخوه عثمان باشا	مثله
١٢٣٠	محمود بن محمد باشا	مثله
١٢٣٩	ابنه حسين باشا	مثله
١٢٥١	أخوه مصطفى باشا	مثله
١٢٥٣	ابنه أحمد باشا	مثله
١٢٧١	محمد بن حسين باشا	مثله
١٢٧٦	أخوه الصادق باشا	مثله

﴿المطلب الثانى فى علاقة القطر بالدولة العثمانية﴾

اعلم أن سبب استيلاء الدولة العثمانية هو أن الدولة الحفصية ضعف أمرها أخيرا الى أن استولى الطليان على طرابلس وجربه ثم افتكتها الدولة العثمانية سنة (٩٥٨) وامتد أمرها الى القير وان بطلب من أهلها اذ كانت الدولة العثمانية هى الرافعة لعلم الدول الاسلامية واستقلت الجزائر وكثرت حروبها الاهلية وكانت قاعدتهم تلمسان وخشى الاهالى من استيلاء الاسبنيول عليها وكان أحد كبراء رجال الدولة العلية المسمى خير الدين باشا وأخوه عروج غازيان فى البحر فاستصرخهم أهل بجاية للنجاة من ربقة الاسبنيول فاستولى خير الدين عليها وانقادت له سائرها الى الجزائر وخطب للسلطان سليم العثمانى وذلك فى حدود عشرة الثمانين والتسعمائة ثم أنقذ تونس أيضا من جور الحفصى والاسبنيول ثم استعان آخر الحفصيين حسن الحفصى بالاسبنيول وعاد الى تونس فأنقذها منهم سنان باشا سنة (٩٨١) ورتب بها جندا من عسكر الينكشارية قدره أربعة آلاف وعلى كل مائة رئيس ومرجع الجميع الى الوالى الملقب بالباشا وهو اذ ذاك حيدر باشا ثم وقع تنافر بين الرؤساء آل الى حرب واستقر قرارهم الى تسليم الامر الى واحد منهم يلقب بالداى وجعل على خلاص الجباية مولا يلقب بالباى وفى عهدته تأمين السبل وهناء القبائل و يسافر لاجل ذلك مرتين فى السنة أحداهما شتاء الى الجهة الجنوبية والثانية صيفا الى الجهة الشمالية و يسافر فى عسكر مؤلف من العساكر المشاة وهم اذ ذاك الينكشارية ومن قسم الفرسان الموظفين فى الحكومة ولهم جراية

ويسمون

ويسمون بالحوانب والصبايحية وعلى كل خمسمائة رئيس يسمى بالآغا وكل قسم يسمى بوجق وجميعهم سبعة أوجاق لكل وجق مركز من القطر كما يستصحب الباى فى سفره قسما من فرسان القبائل يسمون بالمزارقية ويسمى جميع الجيش المسافر فيه الباى محله وجرى العمل على ذلك غير أن رياسة التصرف العام تارة تكون بيد الداى وتارة تكون بيد الباى تغلبا منه واحيانا يحصل الباى على رتبة الباشا من الدولة العثمانية واستقر الامر على ذلك الى أن كثرت الحروب الاهلية ما بين البايات والدايات على حوز الرياسة العامة وملت الاهالى من ذلك فنادوا بطيب نفس واختيار منهم بحسين ابن على تركى جد العائلة الموجودة الآن اذ كان اذ ذاك آغة وجق باجة وسلموا له امر الولاية العامة بعد قتل كل من الباى والداى السابقين وأقرت ولايته الدولة العلية ولا زالت الولاية متوارثة فى عائلته كبيرا عن كبير الا مانذر من ولاية محمود قبل محمود بعهد من أبيه وكذلك أخوه عثمان وأمضت الدولة العلية ذلك له فى حياته ومنذ ذلك التاريخ استقرت الرياسة العامة للباى وصار هو الذى يولى الداى الى أن انقطع هذا اللقب وعوض برئيس الضابطية فى سنة (١٢٧٧) فى ولاية الصادق باشا غير أن استقرار الولاية هكذا على عمومه لم يكن بتعهد من الدولة العلية رسميا بالكتابة وانما اقتضاه جريان العمل وذلك أن الدولة العلية كانت عادتها فى الولايات اطلاق التصرف للوالى بحيث يكون له التفويض المطلق لاتساع أطراف الممالك مع صعوبة المواصلة الا بمدة مديدة لاسيما فى مثل الاماكن التى طريقها البحر من مقر الخلافة كتونس وطرابلس والجزائر ومصر وغيرها وتسمى عندهم بالاوجاق ومن كمال الاطلاق الذى اضطر اليه البعد اختيار الوالى لانه اذا مات الوالى أو وقع ما يوجب عزله بتغلب غيره أو بثورة عامة يسلم أهل الحل والعقد فى تلك الجهة لواحد منهم لاجراء ما لابد منه وما يصل الخبر للدولة الا بعد مدة وحيث لم يكن من قصدها الا هناء الممالك الاسلامية واجراء الشرع فيها والادلاء بالخضوع للخلافة والانقياد اليها واداء الواجب لها من مال أو غيره لم يكن من فائدة بمخالفة ما يراه أهل الحل والعقد فى الصقع الواقع به الواقعة لان ذلك لا يحصل لها فائدة بل ربما توقع حصول ضير فائدتها المارذكرها (ورب البيت أعلم بما فيه) ولذلك تولى هى من ارتضوه لحفظ امورهم وحفظ حقوقها والمتقرر فى هذا القطر التونسى من الحقوق التى رسمتها الدولة العثمانية فيه عند فتحه هو أعانته بالسفن الحربية وما يلزمها فى الحروب وهدايا ترسل من الوالى الى دار الخلافة عند ولايته أو عند ولاية سلطان

أو عندما توجد مناسبة للاهداء والاغلب فى الهدايا سابقا أن تكون من نتائج البلاد كالخيل والحيوانات الغريبة من الصحراء والمنسوجات الحريرية والصوفية ومنها راية عظيمة متقنة تصنع عند ولاية السلطان فقط ويكتب فيها آيات قرآنية وأبيات من البردة وتزركش بالفضة ومنها أيضا السروج المحلات وسبح المرجان والعنبر والطيب والاسلحة المرصعة بالمرجان ومنها التمر والزيتون والسمن والشمع ثم توسع فى هاته الهدية حتى صارت من المال والجوهرات النفيسة وقد بلغت فى بعض الاحيان الى مليونين فرنكا وما يساويها من الجوهرات وكذلك رتب على القطر من الاشياء التى هى علامة على التبعية الخطبة باسم السلطان والراية من نوع راية الدولة ورسم اسم السلطان على السكة وأصحاب الهدايا هم الذات السلطانية والصدر الاعظم مع خواص الوكلاء كقبطان باشا والسرعسكر وأمثالهم وأما غير ذلك فلم تكن حالة القطر تقتضيه ولذلك لما رأى وزير الدولة سنان باشا الفاتح حالة القطر أمر رؤساءه أن الجباية يقيمون بها ضرورياتهم وما يلزم لحماية القطر من الاستعدادات الحربية وما يلزم اليه من المصالح العامة ولم يرسم بشئ آخر ثم قدم قبطان باشا فى حدود سنة (١٠١٣) لتفقد حال القطر وما تقتضيه حالة بعد استقرار الامر فأرسى باسطوله فى حلق الوادى وخرج له اذ ذاك عثمان داى فى جماعة من كبراء الجند وتفاوضوا معه على مصالح بلادهم وبعد أن تحقق عنده انقيادهم لطاعة الدولة وعدم الاقتدار على الاداء أقلع من هنالك راجعا وبقى الامر على ذلك الى أن بدى للدولة العلية ابدال عادات الدولة فى شأن ولاة الاقطار من اطلاق التصرف اليهم لما تفاقم حال ظلمهم وعدم انقيادهم أحيانا لاوامرها ومنهم حسين باشا والى الجزائر الذى تسبب بأعماله فى دخول الجزائر تحت الفرانسيس بحربهم وكان ذلك الانقلاب فى دولة السلطان محمود وصدر امر ولاية أحمد باشا نفشى الباشا المذكور من وصول النوبة اليه فى التغيير وزاد خوفه بسبب ما كان حصل من سلفه من تعريضه بالامتناع من نزول قبطان باشا فى حلق الوادى عند قدومه لارادة التوجه بالجزائر لعزل واليها الذى عقد الحرب مع الفرانسيس وبنزاله بنزول الارتياب فاعتذر له بأن الكرنتينة اى التحفظ من المرض العام لا تبيح نزوله واكرم مقدمه وهاداه فى ذاته وكان السبب الحامل له على الامتناع هو أن دولة الفرانسيس لما أعلنت بحرب الجزائر بعد التشكى للدولة العلية كاتبت حسين باشا والى تونس بالانذار بأنه اذا أعان بشئ يلحق الحصار والحرب به مع اجماع الخلق على ظلم والى الجزائر نفشى والى تونس أن بعد مرور

قبطان

قبطان باشا أعانة للجزائر لانه لا يمكن مروره بدون حامية فاذا دخل للجزائر بحامية من عسكر تونس يعدها الفرنسيس أعانة وأيضا اذا تسامعت العربان بمرور باشا تركي في وسط الولاية هاجوا المساقى طباعهم من التشكي من المتولى كيفما كانت سيرته ظنا أن الجديد يساعدهم على مرادهم كيفما طلبوا وقد كان ذلك من الغفلة التي سبق بها القدر لانفاذ الامر في الجزائر فخشي أحمد باشا مما سبق وأنضاف الى ذلك فتح الباب من الدولة العلية في مقدمات ما كان يخشاه وهو طلبها من تونس الاداء السنوي والحاحوا فيه المرة بعد المرة الى أن توجه اليها عالم القطر الافريقي سيدي ابراهيم الرياحي وواجه السلطان محمود وقبل اعتذاره وسكتت عن طلب الخراج وأيضا طلب من الباشا القدوم بنفسه لدار الخلافة ولم يكن معتادا منذ الفتح الخاقاني الى الآن وطلب منه أيضا أن تكون خلطة تونس مع الدول باذن خاص وولاية المناصب بأمر السلطان والاختيار لاصحابها من الوالي ويرفع في كل عام حساب دخل الحكومة وخرجها وأيضا قد فعلت الدولة في طرابلس مافعلته في سائر ولاياتها من التغيير وكذلك في مصر لكنها بامتياز فقوي خوف الرجل وجعل يرود كل الابواب للاطمئنان على ابقاء عادته المألوفة له ولآل بيته وللقطر من غير أنه يخطر بباله قط الاستقلال لا هو ولا من سلف من آله فضلا عن الدخول في حماية دولة أجنبية وغاية الامر زيادة المواصلة منه مع دولة فرانسا والمدارات بما لا يخل بشيء من العادات مع طلب محافظة عاداته لو تريد الدولة العلية الحاقه بغيره وغاية ما حصل عليه من دولة فرانسا هو الوعد الشفاهي بحمايته وحماية امتيازاته الجاري بها العمل والعادة (ويشهد) لما مر سيما بعد ولاية العائلة الحسينية المستقرة الآن أن الدولة العلية في سنة (١١٥٣) اعطت جزيرة طبرقة التي هي من القطر التونسي الى دولة الجنويز وأذنت بذلك والي تونس فسلم الجزيرة بالشروط التي عينتها الدولة وهي أن لا يكون لهم بها حصن ولا يتجاوزون في بناء بلدهم ذلك حدا محدودا ثم خالفوا الشروط ولذلك افتك الجزيرة منهم علي باشا والي تونس اذ ذاك في تلك السنة وفي سنة (١١٨٤) حصلت وحشة بين فرانسا وبين علي باشا الثاني والي تونس من جهة الخلاف في الاسرى الذين أخذتهم تونس من قرسكا قبل استيلاء الفرنسيس عليها وكذلك صيد المرجان الذي أبيح للفرانسا وبين لسنتين بعدد معلوم من القوارب وأداء معلوم وتفاقم الخلاف الى أن جاء الاسطول الفرنساوي الى شطوط تونس ورمى بعض الحصون وكان اذ ذاك رسول الدولة في تونس قادما لطلب إعانة السفن الحربية على العادة

في حرب الدولة اذ ذاك مع الروسيا فتداخل رسول الدولة في النازلة وأبرم الصلح على أن تدخل كرسكا في عهدة فرنسا وأن ترد الاسارى الذين أخذوا بعد استيلاء الفرنسيس عليها وأن يمكنوا من صيد المرجان خمس سنين مستقبلة باثني عشر زورقا لا غير وأن يمكنوا من شراء ثلاثة آلاف قفيز قمحا ويخرجونها من غير أداء مراح عليها وأن يدفعوا ما جرت به العادة عند عقد الصلح من الهدية ورجعت بعد ذلك العلاقة الحسنة المعتادة بين تونس وفرانسا على يد رسول الدولة العلية وكذلك أرسلت خمس سفن حربية بجميع لوازمها لاعانة الدولة في حرب الروسيا المذكورة سنة (١١٨٥) وفي سنة (١٢١٣) أمرت الدولة العلية حموده باشا بحرب الفرانسيس معها عند استيلائه على مصر فامتثل الامر وقطع المخالطة مع القنسل وأرسل سفنه الحربية لاعانة الدولة غير أنه تحفظ للغاية على أموال التجار الفرنساويين في بلاده ولم يتعرض لسفنهم التجارية حتى قال تجار الفرانسيس اذ ذاك نحن بلا قنسل أحسن حالا من وجودنا لقنسل وأعلم الباشا الدولة بسبب تلك المعاملة وهو كثرة المخالطة التجارية المتقادمة الموجبة لاشتراك مال التونسيين مع مال الفرانسيس فلو تعرض لاموالهم لكان تعرضا للمال التونسيين أيضا واتهمت عليه من بعض الجهلاء من الداخل والخارج وعند وقوع الصلح عرفها له نابليون الاول وصارت بينهما مهادات واعتراف بالكمال وفي سنة (١٢٣٦) أرسلت الدولة العلية رسولا آمرا بحفظ الوحدة وترك الحرب بين تونس والجزائر وعمل بامره وفي سنة (١٢٣٧) أرسل محمود باشا سبع سفن حربية ثم أردفها باثنتين لاعانة الدولة على حرب اليونان وفي سنة (١٢٤٣) أرسل حسين باشا اسطولا حربيا لاعانة الدولة في حرب اليونان واحترق مع جملة سفن الدولة ومصر والجزائر بعمل اساطيل الدول كما يأتي تفصيله في بابه وفي سنة (١٢٥١) أرسل مصطفى باشا والي تونس هدية لقبطان باشا عند قدومه على طرابلس انتزعها من ايدي آل قرمانلي ثم طلب قبطان باشا الاعانة الحربية من تونس فأرسل والي تونس في تلك السنة ثلاث سفن حربية وأتبعها بتسع سفن تجارية حملت ثلاثمائة من الخيل وفي سنة (١٢٥٥) طلب أحمد باشا والي تونس تقليده رتبة مشير مع هدية فاخرة فأنعمت الدولة عليه بذلك ثم زادته نيشانا آخر يرسم في غطاء الرأس والآن زال من رسم الدولة ولم يزل مع ولاته في ولاة تونس وفي سنة (١٢٥٦) أمرت الدولة العلية والي تونس بالعمل بالتنظيمات الخيرية وقرئ أمرها في موكب مشهور وأجاب عنه أحمد باشا الوالي بالامتثال غير أنه طلب وقتا للعمل مع مراعات ما يلزم من التغيير بسبب عادات البلاد ثم ألح عليه في اتمامها

القيام بها سنة (١٢٥٨) فارسل هدية فاخرة منها سفينة حربية ومائتين وخمسين ألف فرنك وطلب الامهال فى العمل بالتنظيمات وفى سنة (١٢٥٧) لما رتب الوالى المذكور أمر تنظيم المولد النبوى قال له يمين حكومته أبو العباس أحمد بن أبى الضياف المناسب أن تخرج من باردو راكبا وعند دنا من العساكر ما يكفى الى الوقوف بين باردو وجامع الزيتونة فقال له يفعل ذلك السلطان العثمانى وليس لنا أن نفعل مثله فالمناسب الادب معه رأيت ذلك بخط الوزير المذكور وفى سنة (١٢٥٩) حصلت نفرة بين دولة الساردو ووالى تونس أحمد باشا كادت أن تفضى الى حرب بسبب منع الوالى اخراج الميرة الى سردانيا لقحط حصل بالقطر وكانت الشروط مخالفة فأرسلت الدولة العلية رسولا خاصا لبحث عن السبب وأمر الوالى بفصل النازلة بصلح فأخذ تقريرا فى النازلة وفصلت بصلح ببقاء ما كان على ما كان ودفع ما خسره تجار الساردو فى شراء الميرة وفى سنة (١٢٦٣) أرسلت الدولة رسولا مخصوصا للوالى المذكور لتأمينه من جميع ما توهمه مع اسقاط مطالب المال السنوى وتأييدا الوالى فى الولاية مدة حياته فأجاب بالفرح والقبول لكنه طلب ابقاء جميع الامتيازات ومنها انتقال الولاية لآله عند موته وفى سنة (١٢٦٥) أرسل عباس باشا والى مصر مكتوبا وداديا الى وجه الاخوة ينصح فيه الوالى المذكور بترك الاوهام الخ... لقوله وانه هو قد ذهب للاستانه ونال رتبة الصدارة مع أن اباه وأخاه قد فعلا ما لم يحم حوله ولاة تونس وانه لو يساعفه على اللقاء فى بلد معين ويصطحبا معا للاستانة يكون له الحظ الاوفر فاجابه بانه عبد للدولة ولم يختلج بفكره شئ مما يتهم به وقصارى أمره التمسك بالامتيازات السابق بها العمل والجارية من القديم فى القطر التونسى ثم أرسل عباس باشا رسولا من العلماء وآخر من التجار للتفاهم مع الوالى فى مقصود الدولة فقرر لهم غاية آماله من ازدياد اللحمة الاسلامية والخضوع للدولة العلية على ما جرى من الامتياز للولاية ومنه عدم وجوب قدوم الوالى الى الاستانه وفى سنة ١٢٦٣ وقع خلاف بين والى تونس أحمد باشا ودولة فرانسا فى شأن قبيلة نهد من جباليه باجه حيث أن القبيلة منقسمة الى نفذين نفذ تابع لتونس ونفذ تابع للجزائر فاستولى الفرانسيس على الجميع فحمل الوالى أحمد باشا وكتب الى القنصل فاجابه القنصل بمضمون مكتوب دولته وهو أن فرانسا تعطى الى تونس أرضا أخرى عوضا عن هذه بعد تحرير الحدود فاجابها الوالى بما نصه محل الحاجة منه وأما تحديد التحديد أو ابدال بعض العمالة بجزء من غيرها فمعلوم انا نتوقف فيه على المشورة من جهة الدولة العثمانية وان كان

لنا التصرف العام فى الايالة بما يقتضيه اجتهادنا من المصلحة أما التنقيص منها أو ابدال بعضها فلا يحسن منا بغير اعلام لمولانا السلطان وتقرير ما ينشأ لنا من المضرات بسبب ذلك لجنابه العلى اهـ وفى سنة ١٢٧٠ أرسل أحمد باشا أربعة عشر ألف عسكريا بجميع لوازمهم الضرورية والحربية وفرقاطة شراعية وستة سفن منها بابورتان لاعانة الدولة العلية فى حرب القريم وفى سنة ١٢٧١ أردف ابن عمه محمد باشا عند ولايته ذلك العسكر بأربعة آلاف وخيل ومهمات وفى سنة ١٢٨١ أرسلت الدولة العلية رسولا مخصوصا اسمه حيدر أفندى لمراقبة حال الثورة العامة فى القطر التى سيرد بيانها وأرسلت الى الحكومة مليونا فرنكا لاعانتها على ما حصلت فيه من الضيق وفى سنة ١٢٨٨ أبرم الفرمان الآتى ذكره الذى استقر عليه القرار وفى سنة ١٢٩٣ أرسلت الايالة نحو مليون ونصف فرنكا لاعانة الدولة على حرب الصرب وفى سنة ١٢٩٤ أحضرت الايالة نحو ذلك المقدار لكنه لم يصل منه الى خزانة الدولة العلية الا أقل من الربع والباقى صرف منه على تهيئة العساكر التى قدرها نحو أربعة آلاف فى كسوتهم وتعينوا للارسال وحصل الصلح قبل سفرهم وهم فى انتظار سفن الدولة العلية لحملهم اذ لم يكن للحكومة قدرة على ما تحملهم عليه وسبحان محول الاحوال كما أرسلت الولاية فى تلك السنة للاعانة المذكورة نحو ستمائة بغل وأربعمائة حصان وما زاد على ذلك مما سلمته الاهالى بقى عند الحكومة التونسية وما تقدم كله زيادة على الرسل التى تتوارد فى أغلب الاحيان بين التابع والمتبوع الذى هو كثير وها نحن نثبت هنا نص بعض المكاتيب التى أرسلت من ولاة هذا القطر فى النصف الاخير من هذا القرن حتى يتيقن معها زوال كل شبهة ولنذكر ما كان قبل هذه المكاتيب لان المكاتيب كانت ترسل باللسان التركى ولما تقادم عهد الولاة بتونس نشأ جيلهم الاخير على جهل باللغة التركية وكان أحمد باشا صاحب المكتوب الاول ذا احتراز ونقد فكر فلم يرد ان يمضى كلاما لا يفهم اسرار تراكيبه فكتب باللغة العربية وقبلته الدولة اذ كثير من عمالها كواليها فى ولايتها ينكر لغة شريعتها التى هى الحامية والذابة عنها وكان ارسال هذا المكتوب مع عالم القطر سيدى (ابراهيم الرياحى) فى الغرض الذى تقدمت الاشارة اليه وهو طلب العفو عن الاداء السنوى ونص المكتوب (اللهم) بالثناء عليك نتقرب اليك يا فاتح أبواب القبول والاقبال ومانح المنح التى لا تمر شوارد ها على البال تنزهت فى العظمة والجلال ولا تؤاخذ عبادك الاهمال بمحض الرحمة والافضال فاقمت عليهم خليفة

تعرض عليه الاحوال ويرفع عنهم بانتك الاختلال ويسوسهم للصلاح فى الحال والمآل صل على سيدنا (محمد) خاتم الارسال والملجأ المنيع عند اشتداد الازمة والاهوال وعلى آله وأصحابه الذين ورثوا فى الاقوال والاعمال وسرت مكارمهم مسرى الامثال ونستوهب منك عز الا يبلغ حده ونصرا يمضى فى الاعداء حده لهذه الدولة العلية والسلطنة العثمانية والمملكة الخاقانية التى رفعت من الملة الحنفية أركانا وشيدت من معالمها بنيانا وأقامت للحق قسطاسا وميزانا وروت أحاديث العناية الربانية صحاحا حسانا وورث ملوكها الارض وهم الصالحون سلطانا فسلطانا حتى استنار الوجود بخليفة الوقت الموجود وهو مولانا السلطان محمود اللهم أعنا على ما أوجبت له من فروض الطاعة وتأييد الحق بجهد الاستطاعة واحفظنا برفقه وعدله من الاضاعة واجعل الملك فيه وفى عقبه الى قيام الساعة وعطف قلبه الى سماع هذه الضراعة من ايالته ومن بها من الجماعة على لسان أحد المقيم على طاعته فيها والمجتنى من ثمرتها ما يلزمها ويكفيها وطاعة خلافتك فرض على أهل الارض وهى عند الله أغنى قرض فاذا لم يعرض الحال عليك فعلى من العرض تونس وضع شعائر الاسلام قريبة بعدها من استمطار أياديك الجسام ومساحة معمورها السير فى ستة أيام شأن أهلها التعيش من الزيت والبر والصوف والوبر يعانون فى تحصيلها من ألم الحر والقر هذا غالب ما يسد لهم الخلة ويوجد غيرها لكن على قلة ومقدار زكاة ذلك لا تعالة بحسب اتساع العمالة فما يفضل من خصبها فهو للقحط عدة وبذلك دام عمرانها لهذه المدة لا فضل من ذلك الترف ولو فى سبيل شرف هذا معظم دخل القطر ان جادت السحب بالقطر ويلزمه ضرورة لحفظ عمرانه وحماية أوطانه وتأمين سكانه واصلاح مراسيه وبلدانه حماة وأجناد فى كل جهة وبلاد لتأمين الجبال والوهاد وردع أهل الفساد ويلزم العساكر الكسوة والطعام والمرتب على الدوام ولا بد لهذا العدد من آلات وعدد وقوام هذا بالمال وهو السبب فى عرض الحال بان الدخل على قدر الانفاق وذلك بشهادة الله غاية ما يطاق واذا كانت الرعية المشاق ونزعنا الرفق والاشفاق كان ذلك ذريعة للنفاق وسلما للشقاق ورعاياهم والدولة شيوخا وولدانا وكهولا وشبانا يسوقهم العجز ويقودهم الامل الى من فى طاعته النيات منا والعمل فالسلطان ظل الله فى أرضه يأوى اليه كل مظلوم وهذا من الواضح المعلوم وعندكم حسبه تأمين البلاد وحفظها

من طوارق الفساد بين معه من الحماة والاجناد سهرنا لانامة اجفانها وتعبنا لراحة
شيوخها وولدانها واقتحمنا المخاوف لامانها وما انتجته قلاقلها تسديه خلالتها وعلى
هذه السيرة ولاتها لا يقتنون لانفسهم مالا ولو بسطوا لذلك آمالا الا ما يقتضيه
الحال من العادات المألوفة والمراسم المعروفة يصدهم عن ذلك عدم اليسار لا زهد
الابرار والله المطلع على الاسرار وعند بسطنا من الكلام في حال هؤلاء الاسلام يظهر
للقائم بمصالح الانام ان لا قوة لهذه الايالة على آداء المال في كل عام هذه ضراعة
رعيتك المستمسكين بطاعتك المستجيرين بحمايتك المرتجين لعنايتك واعانتك قمت
بتبليغها بين يدي سلطنتك الخاقانية وهمتك العثمانية وتبليغها من الواجب في
حقي وهو ثمرة طاعتي وصدقي والمأمول من تلك الهمة النظر لهذا القطر بعين
الرحمة وهذا المال في خزائن الدولة لا يزيد وثقله على هذا القطر شديد فارحم ايها
المولى ضراعتنا ولا تفرق بما لا نطيق جماعتنا فالامر جال وما قررناه بعض من الاسباب
والعلل وقد فكرنا واعيتنا الحيل فلم نجد لاجابة المطالب الا بتنقيص عمل يفضي الى
نقص وخلل او تثقيل يقطع من الرعية الامل ويضعف بسبب ذلك هذا العمران
وتشتد الحاجة للاستمداد من كرم مولانا السلطان والله يجيرنا من حوادث الازمان
هذه وسيلة من بعدت داره ولم يكن بيده اختياره على لسان مملكة تونس مع
قدوتها المونس صالح مصرها وامام عصرها شيخ الجماعة ومفتيها الذي دانت له البلاد
بدينها ونالت به الملة اقصى امانيها الساري ذكر تاليفه في النواحي السيد ابراهيم
الرياحي وجهته حالتنا واضطرت ومن سحائب رحمتك استمطرت اللهم انت اعلم بنا منا
فلا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وارزقنا الرحمة من سلطاننا والهمة لاعانة اوطاننا انك
على كل شيء قدير وكتب في اواخر اشرف الربيعين سنة (١٢٥٤) وفيها ما كتبه احمد
باشا المذكور في تبرئة نفسه مما رمي به من ارادة المخالفة ونصه الجناب المقصود لبلوغ
الآمال ونجاح الاعمال جناب ركن الدولة وشمس ضحاها وقطب رحاها صدر صدور
الكبرا ومركز دائرة الوزرا المشير الافخم والصدر المعظم السيد مصطفى رشيد
باشا لازال محط الرحال وقبلة الوجوه بالغا من الله ما يؤمله ويرجوه (اما بعد) تقديم
ما يجب للسلطنة من فروض الطاعة بحسب الاستطاعة فان هذا العبد الذي مات
في خدمة الدولة سلفه وعاش في فضلها خلفه روابطه مع الدولة العلية ثابتة الاساس
معلومة في الناس واضحة وضوح الصبح غنية عن الشرح كما ان ما جبل عليه سلطان

زماننا

زماننا من كرم الطباع وطول الباع أمر انعقد عليه الاجماع وما على الصبح غطاء وما على الشمس قناع والامان الذى مهده لاهل الايمان واضح للعيان لا يختلف فيه اثنان ولا يخطر بالبال ما ينافيه لانه من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وطالما تمنى هذا العبد الوفود الى الحضرة العليه ومشاهدة الانوار المجيديه لو ساعده الزمن وتجرى الرياح بما لا تشتهى السفن وما صده والله عدم الامان لانه من المستحيلات العقليه مع انه لم يصدر منه خلل فى عمل ولا نية فاعال النفس بأن التوجه انما هو تعرض لعناية الدولة والمقام انما هو لحفظ مالها فى هذا القطر من الصولة ونؤثر واجب الخدمة على التعرض لمزيد النعمة والنصح فى خدمة السادات مقدم على نفع خاصة الذات فاقتصرت بالضرورة على السنن المألوف والمسلك المعروف من تقربى الى الباب العالى بتقديم الهدية طبق الاصول الاعتياديه فى هذا الوجه الذى أشرقت عليه الانوار العثمانيه وحمته الشوكة الخاقانية وان كانت الدولة على أضعافها غنية فـراعنى الامائى مكتوب الوزارة من انه صدرت المساعدة من حضرة صاحب الخلافة بالتفضل بتوقيفها وان هدايا الوكلاء العظام صار فى حيز القبول بمقتضى الرخصة السلطانية ففهم العبد من التوقيف عدم القبول ومن عدم القبول نقصان الرضاء وفى المكتوب المذكور ما يشير الى ذلك مع ما بلغه الرسول من تفسير الاشارة بصريح العبارة كما ذلك محرر فى صحيفة فحزن لذلك الفؤاد وماج فى تيار الانكار اذ لم يصدر منا ما يقتضى ذلك وما سلكنا فى غير مسالك أما كون سلامة تونس وسعادتها متوقفة على تأييد الروابط القديمة مع الدولة العلية فهو من المعلوم ضرورة وجاحده منكر للبديهيات وأما التبعد والتوحش الموجب لانواع المحاذير فمحله اذا صدر منا خلاف ما انطوى عليه الضمير أو فعل لا يقتضى نوعا من التغيير (أما) والحالة هذه فان العبد لم يجحد حقا معتادا ولا أضمر بشهادة الله عنادا ولا وطأ الاسباب الشبهات مهادا ولم يصدر منه الا المعلوم بسالف الازمان وأقره السادة القادة من آل عثمان والاصل بقاء ما كان على ما كان فلا مخاطرة والحالة هذه بالنفس ولا بالوطن أما النفس بوجود الامان من ظل الله فى أرضه والقائم بواجب الاسلام وفرضه وعدالته العمريه ونيته الخيرة وشفقته على البريه بأكثر من هذه الآمال حرية وأما الوطن فانه فى حماية دولته محوط بصولته يدافع عنه بقوته ويكافح من ناواه بشوكته ولا منافات بين الذب على القطر الاسلامى وحمايته وبين التفضل

باستمرار عادته واستغفر الله ان يخطر بالباب والحال الحال مالا اقدر أن أفوه به من توهم الاستقلال أعوذ بك (اللهم) من هذا المقال كيف ومنابر الاقطار في كل جمعة تنادي بطاعته مع الشكر على تقرير عادته ولا رواج للدرهم والدينار الا باسمه العالى فى سائر الاقطار وأشرف ألقاب هذا العبد هو ما يمتدحه السلطنة العليه وأهلته انيله من المراتب السنيه بمحض فضلها وكمال عدلها وعدم امكان الحضور لهذا العبد الشكور اذا كان سببه صلاح الامور والمثابرة على دوام حفظ الجمهور لا يتوقع منه المحذور واختلاف البشر فى مدارك العقول معقول ومنقول وصدق الخدمة يقتضى التصديق فى القول هذا وطلب الوزارة شد الله أزرها وقرن باليمن نهيها وأمرها من العبد المقبر ان يودع لامانتها ما فى الضمير يوجب ان اشرح نيتى وما انطوت عليه طويتى فأقول والله شهيد على سرى وعلانيتى هذا العبد الذى نشأ فى طاعة الدولة العليه ورفل فى حلل مرضاتها الجليه وتغذى بلبانها وعاش باحسانها واستظل بأمانها وتشرف بخدمة سلطانها من بيت هو عاشر آل فى الخدمة ومظهر ما للدولة من النعمة أعظم أمانيه دوام رضى مولانا السلطان وظل أهل الايمان وان تبقى خدمته على سنن أبيه وجده ونيل هذا هو سعادة جده وان هذه الايالة الطائعة على هذه الحالة لا يراع لها سرب ولا يتكدر لها شرب بحماية القوة السلطانية والشوكة الخاقانية وبهذا الحال حفظ طاعتها وصلاح جماعتها وهو السبب فى اجتماع الكلمه لهذه الامة المسلمه والله يقول (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) واختلاف عوائد الآفاق لا ينافى الطاعة والاتفاق ولا يكون ذريعة للافتراق وتمسك البلدان بعاداتها مخلوق مع ذواتها والمأمول من الحضرة العليه أدام الله نصرها اذا رأت هذا العبد فى مقعد صدق وحققت ان نطق بحق ان يرق لهذه الفئة القليلة ويرحم ضراعتهم ويجمع بابقاء عاداته الجميلة جماعاتهم حاشا فضله وانصافه ان ينزع حلة تفضل بها أسلافه بل المأمول من كرمه الزيادة وهو المحيى لمآثر أسلافه السادة هذا ما فى الجنان نطق به اللسان بلا شبه ولا تمويه ولا محو أمارتنافيه فاذا ساعد القدر بالقبول فهو المظنون المأمول وان كانت الاخرى فالله مع الصابرين وهو سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله يعلم اننا ما غيرنا ولا أضمرنا غير الذى أظهرنا ويوم تبلى السرائر نسأل عما صدرنا وهذا المكتوب يشرف بلوغه الى الباب العالى المستوجب لكل المعالى

الثقة

الثقة الفاضل المؤتمن نخبة أقرانه لنباهة شأنه ابننا محمد أميرلواء عسكر البحر ومعه الكاتب الثقة الخبير العفيف النقيه ابننا على الدرناوى وجناب الوزارة يثق بأن ما يلقى الى الحاملين من المقال يصل للعبد الفقير على أحسن حال والمرجو أن بعودة الناجزين بسط النفس ويعيدهما الانس والله يديم للدولة العلية المجيدية عزا لا يطاول جنده ونصرا يمضى فى من عاندها حده والسلام وكتب فى ٢٠ ذى القعدة سنة (١٢٦٥) (ومنها) مكتوب من أحمد باشا المذكور صحبة مع العساكر المرسلة فى حرب القريم مخاطبا به الصدر الاعظم (ونصه) أما بعد تقديم التحية المناسبة لتلك الوزارة العلية والفخامة الراسخة الجلية فهذا أمير الامراء واحد أعيان الكبراء الثقة العمدة فارس هذا الميدان ابننا رشيد وجهه معظم قدركم بهذه الفئة القابلة السابق تقريرها الجليل وزارتكم ووجهنا معه ابننا محمد أميراللوا والله يرى ما العبد الفقير من الاستحياء عند عرضها على الباب العالى ويسهل الامر ان ذلك على قدر العبد الفقير لا على قدر الدولة ذات العظمة والصولة والاعتماد على الوزارة العظمى فى الانهاء والتقرير وبهمم الرجال تنال الآمال وتحسن الاعمال والمأمول من وزارتكم المحمودة الصفات ان تهب لباثع نفسه لله حسن الالتفات فاليد فى طاعة الله وخدمة الخلافة واحدة والقلوب على ذلك متعاضدة والانفاس متواردة والمأمول ان يرى أمير هذا الجيش من عنايتكم فوق الامل والله يسدده الى مرضى العمل وينصر مولانا السلطان ويعلى بسطوته أركان الايمان ويديم وزارتكم ركنا منيعا وكهفا رفيعا والسلام وكتب فى شوال سنة (١٢٧٠) (ومنها) مكتوب من محمد باشا عند ولايته على القطر بطلب التولية والتقرير وبعلم بارسال نجدة عسكرية لحرب القريم وهدية مالية مصاحبة للمكتوب (ونصه) اللهم بالثناء عليك نتقرب اليك وبالصلاة على رسولك وخلفائه المتناسقين نسألك سبل المتقين وبشكر نعمك نقرع باب كرمك وهو باب الدولة العلية العثمانية والسلطنة المجيدية الخاقانية المخدومة بالاعمال والنية المقصودة لبلوغ الامنية الوارد فضلها على الاقطار من كل ثنية والشمس عن مدح المادح غنية وكفاها ان رفعت من الملة الحنفية اركانا وأقامت للحق قسطاسا وميزانا وروت أحاديث العناية صحاحا حسانا وورثه [illegible] الارض وهم الصالحون سلطانا يتبع سلطانا من سمى ذى [illegible] ورثنا الى من اختاره المجيد سبحانه لعباده وأقام به شرائع دينه وفروض

جهاده ولولا اعانته واسعاده ويسر على يده مصالح أرضه وبلاده لازالت القلوب بطاعته مؤتلفة والسيوف والاقلام بخدمته متصفة والالسن فى الاقرار بعجزها عما يجب له منصفة وعاذا أحيى تلك الحضرة العلية الشامخة والقدم التى فى كل فضل راسخة ضاق نطاق العبارة ولم يبق الا مسلك الاشارة فالرجوع الى السنة وتحية أهل الجنة السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله من عبد نعمته العاكف منذ نشا على خدمته محمد بن خديم الدولة حسين باشا باى (أما بعد) فالمعروض على تلك الحضرة وطال طول العمر ونفوذ الامر ان رهين نعمتكم وعبد طاعتكم وعاشر هذا البيت فى خدمتكم ابن عم عبدكم ومقام أخيه المشير أحمد باشا باى سار الى عفو الله فداء الحضرة السلطانية متزودا عبامات عليه من طاعة الخلافة وخدمتها بالعمل والنية وفى الحين بادر أهل الايالة التونسية عموما وخصوصا وكانوا بنيانا مرصوصا الى هذا العبد الفقير وألقوا اليه مقاليد أمورهم والنظر فى حفظ مفردهم وجمهورهم فقام العبد بما يجب عليه من جمع الكلمة الاسلامية والدعاء على المنابر للسلطنة الحميدية راجيا من رضى الخلافة فى تأمين البلاد وزوال روعة العباد وسد طرق الفساد واعتصمنا بحبل الله جميعا ولى العبد الفقير سلطنتكم سامعا مطيعا على عادة اسلافه الخدام مع السلف الصالح السلاطين الكرام ووسيلة هذا العبد انه نشأ فى ظل سلطنتكم وتغذى بلبان نعمتكم وتعرف من نعمكم الانواع والاجناس واستضاء من عنايتكم بنور يمشى به فى الناس والكرم يرى لسالف الخدمة تاكد حرمة وقد ترجى العناية من ذلك الباب اعتمادا على فضل ذلك الجناب ولا يمت بغيره من الاسباب وعادات السادات سادات العادات والامل ان تزيد خدمة عبدكم على خدمة من مضى حتى يرى من ظل الله الرضى والله يعاملنى فى نيتى فيما عرضت من أمنيتى قبل حلول منيتى وقد ابتدأ العبد خدمته بما كانت اليه فيه مع من تقدم واحده والقلوب والجوارح عليه متعاضده وهو ارسال طائفة من العسكر اعانة لتلك الفئة القليلة التى تقدمت وبحسن القبول قوبلت والامل الذى عليه المعول ان يشملها الفضل الاول ومعها جهد المقل ومنتهى طاقة الضعيف وعلى قدر المهدى الهدية فى هذه الاعانة الجهادية وعلم السلطنة بالحال والكنه يقتضى الاغضاء عنه يقدم ذلك عبد السلطنة المكتفى بوثوقه وأمانته وسياسته ونجابته أحد خواص عبدكم وهو النائب عن العبد العاجز فى الباب الفضل الذى وسيلته الرجاء والامل وفضل الكرام لا يتوقف على ملاحظة عمل اللهم أعنا على

ما

ما أوجبت لهذه السلطنة من فروض الطاعة وتأدية الحق جهد الاستطاعة وامددنا
بيدها الطولى من الاضافة واجلنا من مرضاتها على سنن السنة والجماعة (اللهم)
انا اليه ناظرون وعن أمره صادرون ولانجاز وعدك فى نصر من ينصر دينك منتظرون
فما فقد شيأ من وجدك ولا خاب من قصدك آمين يارب العالمين وسلام على المرسلين
والخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وكتب فى شوال سنة ١٢٧١
(ومنها) مكتوب من محمد الصادق باشا عند ولايته فى طلب الولاية والتقرير مثل
السابق (ونصه) الحضرة العلية الخاقانية السلطانية المخدومة بالعمل والنية والواثقة
من عدلها وفضلها ببلوغ الامنية والشمس عن مدح المادح غنية خليفة ❀
(رسول الله) وظل الله فى الارض الحامى اشعائر الاسلام من سنة وفرض من اختاره
المجيد سبحانه للخلافة وزين بما يرضيه أوصافه ومحى بعدله كل اخافة (اللهم)
يا كريم يا مجيد أدم له النصر والتأييد والخير المزيد والعمر الطويل المديد فى الزمن
السعيد والعيش الحميد وأعن العباد على ما أوجبت له من فروض الطاعة واجعل
الخلافة فيه وفى عقبه الى يوم الشفاعة (أما بعد) السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله
فان العبد الشاكر على وراثة خدمته الناشئ فى نعمته السابح فى بحار منته يعرض
للاعتاب العلية ومنبع الفواضل المتوالية انه تقدم منه اخبار للباب العالى بوفاة
أخى وللحضرة العلية طول العمر ودوام الامر فصبر العبد على القضا ورجونا له حيث
توفى فى خدمة الخلافة الرحمة والرضى وحفظ العبد العاجز رتبته على العادة المقررة
من السلاطين السادة ووجه لباب الفضل عبد السلطنة العلية نخبة الاعيان
وصفوة الاقران وزير البحر ابننا أمير الامراء خير الدين يطلب على لسان العبد الفقير
الفضل المعتاد من لباب السلاطين الامجاد وعلى عادة هذه البلاد وقدم العبد على
قدره ما يقتضى لعظمة السلطنة من ذكره وان كان مقام السلطنة الكبير يسمو على
التقدير ويرى الفضل بالقبول أول مأمول فالعبد وجه رسله لباب الفضل وانتظر
وفاز من وضع الامل موضعه بنيل الوطر والله أسأل أن يطيل بقاء أمير المؤمنين
ويعز به الدين ويقوى بشوكته حبل الله المتين ويحيى بعدله سنن الخلفاء الراشدين
ويديم الخلافة فيه وفى عقبه الى يوم الدين آمين يارب العالمين والسلام على أمير
المؤمنين من عبد نعمته المخلص فى خدمته المؤمل لنعمته المستير الى ربه تعالى المشير
محمد الصادق باشا باى وفقه الله كتب فى ١٨ ربيع الثانى سنة ١٢٧٦ وكاتب
فيما ذكر الصدر الاعظم بما (نصه) الصدارة العظمى والركن الاعظم الاحمى ❀

والرتبة الشامخة الشماء صدارة ركن الدولة وعز الوزارة ومنتهى الامال ومصدر
الاشارة ومن لا تفي بمحاسنه العبارة الوزير الشهير الصدر الاعظم السيد محمد باشا
لازال كما يختار سعيد الاراء محمود الاثار ومناقبه تخلدها أقلام الاقدار (اما بعد)
تقديم التحية المناسبة للوزارة العلية المستمدة من أنوار الخلافة المجيدية فان العبد
الفقير قدم للباب العالي خبر وفاة أخيه انا لله وانا اليه راجعون وان أهل الايالة قدموا
العبد الفقير العاجز بجمع الكلمة من هذه الامة المسلمة فاجبتهم لحفظ مصلحة الوطن
وقلت ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والآن وجهنا الباب السلطنة العلية
ومنبع العواطف الحانية عبد السلطنة نخبة الاعيان وصفوة الاقران وزير البحر أمير
الامراء ابننا خير الدين وفي رفقته أمير اللواء ابننا حسين لطلب الفضل المعتاد من
السادة القادة السلاطين الامجاد ووجهنا معه الهدية على قدر العبد الفقير لا على قدر
السلطنة الكبير كما يرى جنابكم السامي تقييد ذلك وجنابكم يسر رسولنا في ما يراه
من المسالك والحقق المأمول ان وزارتكم العظمى تعامل رسل العبد العاجز بحسن
القبول كما هو المعروف من آثاركم والشائع من أخباركم ويرجع الرسول بفضل
السلطنة قرير العين مسرور الفؤاد ودمتم ودام لكم الاسعاد وبلوغ المراد على ممر
الآماد والسلام من معظم قدركم العالي وشاكر فضلكم المقدم والتالي الفقير الى ربه
تعالى المشير محمد الصادق باشاباي وفقه الله وكتب في ١٨ ربيع الثاني سنة
١٢٧٦ والمكاتيب على هذا النمط كثيرة وكفى باعلان الولاة في جميع مكاتيبهم
الرسمية بلقب التشريف الذي مختص به الدولة العلية يقول كل منهم من المشير فلان
باشاباي وهاته السياسة هي التي يدين بها أهل القطر التونسي كالاعتقادات الدينية مع
التمسك بالامتيازات الحاصلة الآن وأهمها بقاء آل حسين بن علي على الولاية لالتحامهم
بهم ومعرفتهم طبائع أهل القطر ومنازلهم وطبقاتهم واغماضنا عما تقدم بيانه وان كان
الامر غني عن البرهان لما شاع في أذهان بعض من لا خبرة له بان أحمد باشا شق عصا
الاسلام وتبعه من بعده وكادوا ان يلمزوا أهل تونس بالكفر لرضاهم باعماله مع انه لم
يأت شيأ فريا وغاية أمره التحفظ على الامتيازات التي أوجدتها العادة ورام أن يحصلها
رسميا جاء على غير الطريق المناسب ولم يحصل الاسقاط طلب الاداء السنوي وابقاء
الولاية في مدة عمره وان تاب الى الله مما سلكه من عدم الانقياد لما طلب منه الذي تراءى
للجمهور انه شبه خلاف ورقع خرقه بزيادة ارسال العساكر على ما كان يعهد الذي هو

فى أواخر عهده بهذه الدار وعزمه هو وابن عمه من بعده على التوجه الى دار الخلافة كما هو مشهور عند خاصتهم وقال ان تخوفنا من الدولة العثمانية أراد ان يجر بنا الى العدم ومعاذ الله ان أكون سببا فى خروج هذا القطر الاسلامى من يد المسلمين وخروج روحى أهون على من ذلك هب ان الدولة نزعت من يدى هذا الملك أليست تسلم ورأيته بخط أحد أسرار دم كاتبهم الخاص الوزير أحمد بن أبى الضياف

﴿المطلب الثالث﴾

فى سياسة القطر الخارجية (اعلم) انه لم يكن من الدول جميعا معارض للسياسة المتقدمة حتى ان الدولة الانكليزية كانت مراقبة لحركات ولاة القطر معارضة لكل ما يخالف التبعية للدولة العلية مما يظهر من بعض الدول والولاة وقد كانت تشدد فى ذلك بعد استيلاء الفرانسيس على الجزائر حتى انها لم ترد أن تقبل أحمد باشا فى سفره الى أوروبا الا بواسطة سفير الدولة العلية وعدل هو عن زيارتها المخالفة ذلك للعوائد معه حيث كانت تقبل رسله بلا واسطة غيرانها بعد حرب القريم انفضت وقصرت من مسالكها الارخاء للعنان مع من يريد زيادة النفوذ من الدول كى يعوضها عن ذلك فى الجهات التى لها فيها منافع مع وجود الاستناد الرسمى للدولة العلية الذى كانت تحوم حوله فتستند لذلك عند الحاجة وأما دولة ايطاليا فانها كانت فى المدة السابقة متفرقة ولما اتحدت وصار لها اعتبار التعديل فى السنين الاخيرة فكانت موافقة لسائر الدول رسما وعلنا وفى السر ينزع بعض متوطنيها المساعدة لما تنزع اليه دولة فرنسا على غير الطريقة الرسمية وذلك لان باتحاد ايطاليا صارت مشاركة للدول العظام فى النفوذ فى البحر الابيض وتطلب المنافع التى تناسبها فى جوارها ثم ان وحدة ايطاليا وجعل تختها مدينة رومة أحييت رسم خريطة الاستيلاء على قرطاجنة تذكارا للماضى ومانيين غيرانها لم تحم حول ذلك الحمى جهارا لما تقدم من حق الدولة العلية ولان دولة فرنسا ناشرة لواء السطوة وسياستها لا توافق على ذلك فصارت ايطاليا محافظة على ابقاء ما كان على ما كان وأما دولة فرنسا فانها لم تخالف تلك السياسة ولم يكن يعنيها أمر تونس وعلاقتها بالدولة العلية الى ان استولت على الجزائر لاسباب التى سترد فى الباب الخامس عند الكلام على الجزائر فى ذلك التاريخ صارت متحذرة من زيادة تداخل الدولة العلية فى القطر التونسى لاسباب (منها) ان الجزائر اصلها تابعة للدولة العلية ولم يكن استيلاؤها عليها بحرب مع الدولة العلية وانما اضطرت اليه الحال فى الانتقام من والى الجزائر لاهانته نائب فرانسا (ومنها) ان نفس

الاستيلاء على الجزائر انما تم بعد سنين وحروب طويلة مع أهلها ومازال أهلها يدينون في عقيدتهم بالخلافة للسلطان العثماني (ومنها) ان مجاورة دولة قوية مثل الدولة العلية توجب مشاحنات يقتضيها الجوار ولا تدع احداهما للاخرى سهولة بخلاف ما اذا كان الجار ضعيفا فهاهو الآن يؤمر فيتبع وشاهده ان بمجرد ما تم أخذ الجزائر سنة ١٢٤٥ قدمت فرقة من الاسطول الذي كان على شطوط الجزائر وطلب رئيسها من والي تونس زيادة في الشروط منها ان لاتختص الحكومة التونسية بمتجر بل ولا تتجر ومنها ابطال التلصص بالسفن على السفن التجارية وابطال ملك الاسرى وابطال ما اعتيد من الهدايا وان يكون للفرانساوي بين التعامل في القطر مثلما يتعامل أهله فعقد الوالي معه ذلك على كره وسجل وأرسل الى دولة فرانسا معلما بان الشروط أخذت شبه غصب وكانت اذ ذاك دولة فرانسا في شغل من الثورة على ملكها فعدلت تلك الشروط بعض التعديل فلمثل تلك الاسباب لزم فرانسا مراعاة مصالحها ومداخلتها في حراسة سياسة تونس والذي استقر عليه القرار من الدولة الفرانساوية من ذلك التاريخ الى الآن هو ما يشير اليه ما رأيته بخط أمين أسرار الحكومة أبي العباس الوزير أحمد بن أبي الضياف نصه لما اجتمع أي أحمد باشا بملك فرانسا وهو لويز فليب في خلوة قال له ان كنت تروم الاستقلال فلا سبيل اليه والذي تعتقده مني ان فرانسا تحمي بسياستها حالتك التي انت فيها الآن بحيث لا يتعدى عليك أحد من جهة البحر وأما البر فدبر أمرك فيه من جهة طرابلس وأساس حمايتك هو التحبب الى الرعية والرفق بهم سمعنا ذلك منه مشافهة رحمه الله اه وهاته السياسة التي صرح بها ملك فرانسا اذ ذاك هي السياسة المعول عليها عند عقلاء الفرانسيس قديما وحديثا حتى قال أحد كبار جنرالات الفرانسيس وأحد حكام قطر الجزائر بقصد التبليغ الى حكومة تونس والحال انه عسكري والغالب على الحزب العسكري هو الميل الى الاستيلاء وذلك سنة ١٢٩٥ عند ختام مؤتمر برلين في شأن الحروب الاخيرة بين الدولة العلية والروسيا وقد اشتهر اذ ذاك ان بعض نواب الدول في المؤتمر لما رأوا مشاحنة نائب فرانسا في تسليم قبرس الى الانكليز أوعزوا اليه على غير الطريقة الرسمية بان تستولي فرانسا على تونس ارضاء لها ولم تعمل بذلك فرانسا فقال الجنرال المذكور ان بلغ قل لوزيركم ولباي هل انتم ترون من هي الدولة التي تصدقكم من التي تكذبكم فانهم يقولون لكم انا نريد الاستيلاء عليكم ليبعدوكم وينفروكم منا والآن قد أعطوكم لنا وأبينا من الاستيلاء عليكم فلتعلموا من هو الصادق ولتعلموا أنا لم نمتنع من

الاستيلاء عليكم لمجرد حب السياسي لان مصالح الدول لا تتداخل فيها الشخصيات وانما منعنا العدم فائدتنا الان فائدتنا في تونس ان كانت هي المال فهي فقيرة وخالية وفرانسا ليست بمحتاجة وان كانت هي تكثير الارض ففي الجزائر اراضي وسيعة ولازالت الى الآن خاوية محتاجة الى العمران فالاولى بنا تعمير ارضنا قبل ان نأخذ ارضا أخرى خالية فأى مصلحة لنا في ان نرسل عساكرنا لاطلاق الرصاص عليهم في قابس والحالة ماذكرتم غاية مانطلبه منكم هو الهناء والراحة في داخليتكم حتى نرتاح نحن براحة جوارنا وأما اذا أحدثتم الاختلال في داخليتكم واحوجتمونا الى اطلاق الرصاص لاجلكم فالاولى ان نطلقه اذا لاجل انفسنا لان ما كنا نتباعد عنه توقعونا انتم فيه الخ فكلامه صريح في ان سياستهم هي ابقاء تونس على ماهي عليه وكذلك سمعت من أعيانهم في السياسة انهم كما لا يريدون هم الاستيلاء على تونس لا يريدون غيرهم ان يتولاها مصرحين بحقيقة سياستهم التي وفى بها كلام الجنرال المذكور مع الانفة من منة الدول في المؤتمر باعطائهم شيئا لا فائدة فيه زيادة على ماهم حاصلون عليه وهو غاية أربهم في تونس بان يكون لدولة فرانسا المنزلة الاولى فيها وتتقدم على غيرها في النفوذ السياسي والمتجري بحيث تكون كل مصلحة عامة لا يقتدر على عملها الاهالي أو الحكومة تسلم الى الفرنساويين ويرغبون في أن تكون الادارة في الداخلية حسنة تثمر كثرة العمران والثروة ليزداد بذلك متجرهم وحركتهم ونفوذهم لكن على وجه في الادارة لا يمكن أن يتعطل به قصدهم ويرى بعضهم ان من أسباب التعطيل ان تكون الحكومة قانونية شورية اذ ربما رأوا ان ذلك يعارض مصلحتهم في بعض الاحيان باستناد الحكومة في الامتناع من الاجابة الى بعض مقترحاتهم لرأى الامة التي هي متقيدة به وذلك عندهم مما لا يمكن ان يعارض لانه هو القاعدة الاساسية في مملكتهم وماعدى ماتقدم فلا أرب لهم في الاستيلاء على الاحكام أو معارضة الوصلة مع الدولة العلية التي لا تنقض هاتيك الاساسات فهاته هي مقاصدهم فلو تحصل بيد الادارة في الحكومة قادرة على الانتفاع بها ودفع غائلتها ومنها عدم الاستواء في الحكم لكان مما يعين على الراحة ورجال الدولة الفرنساوية قابلون لاصلاح الاحكام وانفرادها كما سيأتي بيانه ومثل ذلك تقييد الحكومة بالقانون الذي لا مندوحة عنه ويقين رجال الدولة الفرانساوية أن التقييد بالقانون لا يفوت مصلحتهم المذكورة لان عقلاء الامة باجتماعهم تكون حالتهم أدعى الى مايزيد في خير الوطن ومايدركه أفراد المستبدين

في تونس بالتصرف من وجود مراعات الدولة القوية المجاورة يدركه مجموع العقلاء للامة على وجه أتم مما هو للافراد ويراعون مقتضى الاحوال ثم انهم يفرقون بين ما يعود لما ذكر وما يعود للافراد في خويصة ذاتهم مما لا يرضاه عموم الامة لو تطلع على تفاصيله ولمثل ذلك ألحت دولة فرانسا على تونس في تأسيس التنظيمات سنة ١٢٧٤ كما سيتضح وعاضدتها دولة الانكليز حتى ورد اسطول الدولة الاولى وكان في آثاره اسطول الدولة الثانية وألح كل من قنسليهما في اجراء الامر محتجين بالشريعة وعمل الدولة العثمانية والسياسة الحاضرة وعاضدهما رئيس الاسطول الفرنساوي وحققوا ان ذلك غير معارض لمصالح دولهم الخاصة وان استند بعض متوظفيهم في بعض الاحيان ميلا الى موافقة الولاة المتنفذين الى ان الحكومة الشورية يخشى منها تعطيل مقاصدهم وينهون الى دولهم الاحوال على ما يوافق سلوكهم وربما أشاروا الى فوات مقصود دولتهم اذا خالفت رأيهم فتضطر دولتهم الى السلوك على ما يشيرون اليه حيث ان الدول العظيمة تراعي الوصول الى مقاصدها في الخارج بأي طريق أمكن وتكسو تلك الوسائل بجمال تحسنها أيدي السطوة والقوة ولا مقايسة بين سيرتهم في داخليتهم وسيرتهم في الخارج سيما في الجهات التي لهم فيها مآرب فربما ارتكبوا في ذلك ما لا يمكن تصور مثله في داخليتهم ووجه ذلك هو التوصل الى نفع دولتهم لان مثل تلك المنافع اذا ساغ أن تعقد لاجله الحروب التي تراق فيها الانفس وتضيع فيها الاموال من الطرفين فالتوصل اليها بوسائل أخرى أيا كانت فهو أخف وأولى ولهذا لا ترى أثرا لمثل تلك السيرة في الجهات التي لا مقاصد لهم بها بل تراهم هنالك يسيرون على نحو سيرتهم في داخليتهم وسيأتي لهذا مزيد بيان في الخاتمة ان شاء الله تعالى اذ القصد هنا خصوص ما يتعلق بالقطر التونسي من جهة سياسته الخارجية وحاصله من جهة فرانسا ابقاء تونس على حالتها وامتيازاتها والامتناع من زيادة الاتصال بالدولة العلية ولذلك لما قدم قبطان باشا الى طرابلس لافتكاكها من يد آل قرامانلي سنة (١٢٥١) أرسلت فرانسا اسطولا الى حلق الوادي حذرا من قدوم الاسطول العثماني الى تونس فتخوف اذ ذاك والي تونس مصطفى باشا من أن يتهم بسعيه في ذلك وكاتب قنسل فرانسا بما نصه وبعد فان جناب الدولة الفرانساوية وجهت أجفانها المرسى عم التنا على مقتضى المحبة والمودة وقابلناهم باكرام لان شقوفنا في مراسي الفرانسيس كأنها في مراسي عم التنا فكذلك شقوف الفرانسيس عندنا وأما اقامة الاجفان في هذا الوقت بحلق الوادي ودونانمة مولانا

السلطان

السلطان بقربنا وفيها السيد قبطان باشا ربما تنتج لنا مضرة فى الحال أو فى المستقبل من جهة الدولة العثمانية أدام الله لنا وجودها لانها ربما تظن فى جنابنا ظنا يضر بنا ومعلوم اننا تحت طاعة مولانا السلطان فى أمره ونهيه وباسمه نخطب فى جوامعنا وعلى سكتنا فلا يخطر ببالنا اننا نعصيه أو نخالف أمره أو نعارضه بشئ فالمراد ان تعرف الامرال بهذه المضرة التى نتوقعها والاعتماد على كمال معلكم فى حسن التبليغ وشفوف الفرانسيس مهما قربنا أو تأتى لمرسانا فرحبا بها ونقبلها بالاكرام على مقتضى قوانين المحبة ولازائد الا الخير والعافية وكتب فى (١١) جمادى الثانية سنة (١٢٥٢)

وأجابه القنسل بما نص تعريبه انه بلغنا ووصلنا المكتوب الذى تشرفنا به من عند السيادة وأعلمنا به الامرال للندن وعلمنا جميع ما تضمنه وجوابنا عليه هو ما سنذكره وهو ان جنابكم العلى برئ وأجنبى وخارج من الاتفاق الذى اقتضاه نظر الدولة الفرانساوية فى ارسال هذا الاسطول لسواحل تونس وانتم لا يمكن لكم ان تمنعوا دولة الفرنسيس من ذلك وهو ارسال شئ فى السواحل تونس ولاجل ذلك لا يوجد عليكم لوم ولا عتاب من جناب الدولة العثمانية لانه لا وجه لذلك والدولة الفرانساوية تعلم تحقيق حالتكم مع الدولة العثمانية وحاشا جناب دولتنا أن ترضى بما يوجب لكم غبارا مع دولتكم وانما مراد الملك أن تبقى جناب دولتكم مع الدولة العثمانية على العهد القديم السابق من غير تبديل ولا تغيير لكن الدولة العثمانية لا يمكن لها ان تخترع أمرا جديدا تضر به مصلحة الفرانسيس فى الناحية التى تحت يده فى أفريقية ولاجل ان يمنع ما عسى ان يقع من المضرة أرسل الملك اسطوله لتونس ليمنع به قدوم قبطان باشا لاجل التصرف بما هو مأمور به والامرال لما بلغه ان قبطان باشا أتى لطرابلس وأعلم ان مراده الاتيان لتونس فى ذلك الحين أرسل الامرال جفنا من الاجفان التى تحت حكمه هنا ليعلم قبطان باشا ان حبيب السلطان الصافى وهو ملك الفرانسيس لا يمكن له ان يتحمل هذا التعدى بوجه من الوجوه فى المملكة التى تحت يده فى أفريقية لان قدوم دونانمة المسلمين الى تونس يتقوى بها قلب باى قسنطينة الذى عندنا معه فى التاريخ مكالمة وربما كان بيننا وبينه حرب فلاجل ذلك نعلم قبطان باشا ان لا يقدم ويرجع للمحل الذى جاء منه فان صمم وعزم على القدوم فان الامرال واجب عليه أن يصده ويمنعه بالمدافعة القوية بالقوة اهـ فانت ترى كيف صرح بالحالة المطلوبة مع تصريحه بان الدولة العلية هى دولة تونس لكنها بامتيازها كما هو صريح عبارته لمن تدبرها فهذه هى السياسة

الخارجية لهذا القطر واستقرّ عليه الى سنة ١٢٨٠ التي حصلت فيها الثورة العامة الآتي بيانها ونادى الاهالي بالتشكي للدولة العلية وقدمت شكايات شفاهية وكتابة لرسولها حيدر افندي عند قدومه بالاسطول العثماني مع أساطيل الدول وطلبوا بواسطته تداخل الدولة العلية في تحسين ادارة القطر بل ان بعض البلدان طلبوا الانضمام الحسي للدولة ورفعوا العلم العثماني وتداخل في هاته الثورة نواب الدول كل على حسب ما تقتضيه سياسته فاثرت الحالة في الوالي ووزيره مع ما هو معلوم من الحالة السياسية السابقة وانتج الرأي ان يرسل بالشكر للدولة العلية عما فعلته ويطلب منها تحرير الروابط والامتيازات كتابة بما يبقى معه مقال القائل فسافر بذلك الوزير خير الدين مع التفويض التام وقص على الصدر الاعظم وهو اذ ذاك فؤاد باشا مطالبة وحصلت مذاكرات مع رجال الدولة عديدة انتجت الاتفاق على أصول الروابط المبنية على العوائد المعروفة الآتي بيانها في نص الفرمان الآتي وتلقى الوزير خير الدين مع مزيد الترحاب به من الدولة ما يبلغه للوالي شفاهاً من مزج حلاوة الثناء عليه بمرارة الاعتراض على تصرفاته التي هوت بالقطر الى الخراب وتلقى ذلك حتى من فم السلطان عبد العزيز نفسه ثم رجع بمكتوب من الصدر فؤاد باشا محتو يا على الاصول التي وعد بانها سيصدر بها الفرمان الذي صدر الاذن السلطاني به ولم يساعف الوقت للعجلة بصدوره ثم كتب الوالي بشكر ذلك واستنهض صدور الفرمان مرارا فيرد الجواب بالوعد وكان جميع ذلك غير معلن به الى سنة (١٢٨٨) وكانت فرانسا اذ ذاك في شغلها الشاغل من حرب المانيا لها فاطمأنت ايطاليا من جهتها وظنت تأثير انتباه عدم الدولة العلية وسنحت لها فرصة وهي ان وزير الحكومة التونسية مصطفى خزنه دار اكترى ارضا وسيعة تسمى بالجديدة الى لجنة ايطاليانية وأرسل الوزير احد أعوانه الى تلك الارض راغما التسبب لفسخ الكراء مع ما في نفس ايطاليا من جهة تونس فادعت اللجنة خسائر حصلت لها من تعدي تابع الوزير لو بسطت من الذهب على سطح تلك الارض لساوستها وامتنع الوزير من تحمل ذلك فأعلن قنسل ايطاليا بقطع المخالطة وتهدد الوالي وجهزت ايطاليا أسطولها للاستيلاء لولا تعرض الدولة العلية الذي عجزها عن ذلك وانفصلت النازلة بالشروط التي ارادتها دولة ايطاليا في الخسائر التي ادعتها اللجنة ولم تختص بالواقعة فقط بل هي عمومية فتيقن الوالي ان لا نجاة الا بالحكام الوصلة مع الدولة العلية بأمر ما في تحصل منه الراحة

فكتب

فكتب الوالى يستحث اصدار الفرمان وكتب الوزير خير الدين للباب العالى مكتوبا فى بيان الاخطار المحيطة بالايالة اذا لم تتدارك الدولة العلية بحفظها فورد الجواب من الصدارة بأن نازلة الفرمان مهما تقتضى ارسال من يعتمد من الوالى للتفاهم فى النازلة مع تلميح او تصريح باستقباح السيرة التى عليها الوالى والصدر اذ ذاك على باشا ففهم رجال الحكومة ان الدولة غير راضية بأن يبنى الفرمان على ما فى مكتوب الصدر السابق فوجه الوالى الوزير خير الدين بالتفويض الذى (نصه) من عبد الله سبحانه الموكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باى سدد الله تعالى أعماله وبلغه آماله الى الهمام الافخم أمير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر أدام الله حفظه وأجزل من السعادة حظه (أما بعد) فاننا بمقتضى ما تحققه من صدقك وأمانتك وكفايتك وجهنالك للابواب العلية السلطانية العثمانية أعز الله نصرها وأدام الله نشرها للكلام فيما يؤكد أصول عاداتنا المألوفة المعروفة الآن وما تنفصل به مع الدولة العلية فى ذلك بالكتابة فهو خاص فى حقنا فوضنا لك فى ذلك التفويض التام بحيث لم تستثن عليك فى ذلك فصلا من فصول التفويض ولا معنى من معانيه وأنفذناك فيما ذكر مقام أنفسنا تفويضا تاما عرفنا قدره والتزمنا به والله أسئل لكم التوفيق والامداد وبلوغ الامال والاسعاد ومع التفويض المتقدم ومعرفة العادات المألوفة فان الوزير المذكور لم يتمم شيأ مع الدولة الا بعد ان عرض على الوالى الشروط التى استقر عليها الرأى للفرمان وقبول الوالى لها مع الاستحسان فتم الفرمان مع الصدر اذ ذاك محمود نديم باشا وقاسى الوزير خير الدين متاعبا من مناضلة رجال الدولة العلية فى زيادة شروط الامتياز وناضل الوزير خير الدين عن حقوق البيت الحسينى بما يشهد له بصدق الوفاء والبراعة فى السياسة ولم يزد فى الفرمان على ما تضمنه مكتوب الصدارة الا قليلا ورجع الوزير خير الدين بالفرمان على تمام اعلاء رتبته بنيشانه واتيانه بالنيشان المجيدى المرصع للوالى ولعدة من كبار رجال الحكومة بنياشين ولما وصل الى مالطة لزمته اقامة مدة الاحتماء بها حيث كان فى الاستانة مرض الكوليرا ومن استبشار الوالى به وشكره على عمله أرسل له أمير لواء العسة مصطفى بن اسماعيل وهو اذ ذاك أعز المقربين اليه فواجهه من خارج محل الاحتما وابلغ اليه التشكر وبات ليلة ورجع فى الباخرة الخاصة التى قدم فيها ولما قدم الوزير المذكور بالفرمان المشار اليه عقد له موكب كان على ما يمكن من المواكب والبس

الوالى النيشان ثم تشرف بالفرمان وعظمه ثم قرأه علنا (وهذا نص) تعريبه بتعريب الباب العالى الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهمات الانام بالرأى الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد أركان السعادة والاجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى الوالى بتونس الآن الحائز الحامل للنيشان المجيدى الشريف من رتبة الاولى مع النيشان الهمايونى العثمانى المرصع وزيرى محمد الصادق باشا أدام الله تعالى اجلاله آمين ليكن معلوما عندما يصلكم توقيعى الرفيع الهمايونى انه منذ وجهت وأودعت من جانب سلطنتنا السنيه ادارة الايالة التونسية التى هى من ممالك دولتنا العليه المحروسة المتوارثة الى عهدتك ذات اللياقة والاهلية كما وجهت سابقا الى عهدة أسلافك لم تزل تظهر حسن السيرة والخدمة وتنهى الى طرفنا الملوكى الاشرف خلوص النية والاستقامة حتى صار ذلك قرينا العلم المضئ بالعالم فأمولنا السلطانى على مقتضى الشيم المرضيه التى جبلت عليها هو الدوام فى ذلك المسلك المرضى والجد والاجتهاد فى كل ما ينمى عمران مملكتنا الشاهانية وسعادة أهاليها التابعة دولتنا العليه ورفاهيتهم وراحتهم حتى تستديم بذلك استحقاق عنايتى الشاهانية واعتمادى السلطانى المبذولين فى حقك وان فهمنا وتعرف قدر تلك العناية والاعتماد وتشكرهما ولما كان المقصود الاصلى والمراد القطعى لسلطنتنا السنية هو ارتقاء طمأنينة الايالة المهمة الراجعة لدولتنا العلية وعمرانها وتأسيس أبنية الامن والراحة لسكانها يوما فيوما وكان من البديهيات أن السلطنة العزيزة لا يعزها ولا يؤودها صرف الهمة والعناية العائدة الى حقوقها الاصلية لتمام استحصال هاته المطالب وورد الطلب المندرج بكتابك المخصوص الموجه من طرفك أخيرا الى جانب الخلافة العلية قررت وأبقيت ايالة تونس المحدودة بحدودها القديمة المعلومة بعهدتك بضم امتياز الوراثة وبالشروط الآتية وحيث ان مرغوبنا السلطانى على ما تقدم بيانه انما هو تزايد عمران تلك المملكة الشاهانية وثروة أهاليها وهى الآن فى حالة مضايقة وتأخر فى الواردات لكل من الحكومة والاهالى قد سمحت السلطنة السنية بعدم ارسال ما كان يرسل باسم معلوم من الايالة لطرف دولتنا العلية بموجب التبعية المقررة المشروعة رحمة لأهالى تلك الايالة (ولما) كانت الايالة المشار اليها من الاجزاء المتممة لمملكتنا الملوكية صدرت ارادتنا السنية بان يكون الوالى بتونس مرخصا له فى تولية المناصب الشرعية والعسكرية والملكية والمالية وهما السياسة ان يكون منا أهلا لها

وفى

وفى العزل عنها بمقتضى قوانين العدل وفى اجراء المعاملات المعلومة مع الدول الاجنبية
كما كانت سابقا فيما عدا المواد البوليتيكية العائدة الى حقوقنا المقدسة الملوكية ونعنى بها
ما كان كعقد الشروط المتعلقة باصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون
اجراؤه راجعا الى حقوق سلطنتنا السنية وعند حلول القدر المحتوم فى الولاية وتقديم
المعروض بطلب الفرمان الشريف من الوارث الاكبر من عائلتك لطرف سلطنتنا
السنية يرسل له الفرمان الشريف مع منشور الوزارة والمشيرية الهمايونى كما استمر العمل
بذلك الى الآن بشرط أن تستمر الخطبة باسمنا السلطانى وتزين به السكة التى تضرب
هناك علامة عالية للارتباط القديم الشرعى لايالة تونس بمقام الخلافة الجليل وأن
يبقى السنجق على لونه وشكله ومهما وقع حرب لسلطنتنا السنية مع أجنبى يرسل العسكر
من تلك الايالة الشاهانية بقدر الاستطاعة طبق ماجرت به العادة القديمة فى الجميع ومع
تلك المواد يكون أمر الولاية بطريق الوارثة مخصوصا بعائلتك على أن تبقى سائر
المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقا وان تجرى الادارة
الداخلية لتلك الايالة مطابقة للشرع الشريف وموافقة لقوانين العدل التى يقتضيها
الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان فى النفس والعرض والمال فعلا لانالما ذكر
صدر هذا الفرمان الشريف الجليل القدر من ديواننا الهمايونى وأرسل موشحا أعلاه
بخطنا الهمايونى السلطانى فخلاصة نياتنا الشاهانية انما هى اصلاح حال تلك الايالة
المهمة ومآل بتكم وتقوية ذلك حالا ومآلا واستكمال أسباب السعادة والرفاهية
والامنية لصنوف تبعتنا المستظلين بظل عدلنا السلطانى ومأمولنا القطعى الملوكى ان
يبذل من جهتنا الجهد فى حصول ماذكرتم حيث كان تمام المحافظة على حقوق سلطنتنا
السنية المحققة بتونس من قديم الازمان وعلى أمنية الاهالى القاطنين بتلك الايالة المودعة
بعهدة صداقتك من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائط
امتياز الوارثة الاساسية المقررة فيقتضى ان تتأكد محافظتها عن تطرق الخلل دائما
سرمدا ومتباعدا عن وقوع الخلل والحركة على خلافها اذا عرفت ذلك فلابد ان تعرف
أنت ومن يقوم مقامك فى أمر الولاية بالتوارث من اعضاء عائلتك قدر هاته النعمة العلية
الشاهانية وتشكرها فعلى ذلك تسعى لتحصيل رضاى السلطانى بالغيرة ومزيد
الاهتمام باجراء هذه الشروط المؤسسة حرر فى اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة
ثمانية وثمانين ومائتين وألف ونشر الفرمان فى صحف الاخبار وحصل اذ ذاك من عموم

الاهالى أفراح خارقة للعادة فى ذات الحاضرة وفى سائر بلدان القطر وفى سائر قبائل العربان كل بما يناسب عوائده ودامت الزينات أزيد من ثلاثة أشهر متوالية والسبب فى ذلك أما ما يتعلق بالوالى فلاستقرار أمره على أساس متين له ولعائلته طالما سعى فيه من كان قبله ولم يحصل عليه كما تقدم مع الارتياح من مقاصد الاجانب المتنوعة وأما الاهالى فلحصول مرغوبهم من تمام الاتصال بالدولة الاسلامية مع شروط الامن لهم وحسن الادارة فيهم من ولاتهم المتحمين بهم والحبو بين عندهم وان لم يجر المطلوب فيهم على وجهه مما أبقى الباب مفتوحا فى حقهم ولم يحصل من الدول الاجنبية أدنى انكار ولا معارضة لما تضمنه الفرمان المذكور الا دولة فرنسا فلم توافق على الاعتراف به وبقى الامر على ذلك رسميا الى الآن لكن المقاصد والسيرة الصادرة من الوزير الحالى مصطفى بن اسمعيل وما نشأ عنها من الارتباكات يجهل ماهو منتهاها فالله فيهم علم غيب هم صائرون اليه فهذا هو خلاصة السياسة الخارجية لهذا القطر الى هذا العهد وهو جمادى الثانية سنة ١٢٩٧

تنبيه قد حدثت حوادث مهمة مما أشرنا اليه بعد الفراغ من هذا الجزء نفردها بذيل وحدها ان شاء الله تعالى عند الكلام على سياسة فرانسا الخارجية

﴿ قد تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى ﴾
أوله مطلب فى السياسة الداخلية
من العائلة الحسينيه

﴿جدول الاحصا آت﴾

﴿جدول الاحصاآت﴾

	الخرج فرنك	الديون فرنك	سكك الحديد أميال	التجارة فرنك	الديانة
	٣٦٨٠٠٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٣٨٦	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	اسلام
	٣٠٩٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٠٥	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	اسلام
	١٤٠٠٠٠٠٠٠	١٢٧٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠٠	اسلام
	م	٤٠٠٠٠٠٠٠٠	لا	م	اسلام
	٥٤٥٠٠٠٠٠٠	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	١٧٥٠٠٠٠٠	لا	لا	٢١٣٠٠٠٠٠٠	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام
	م	لا	لا	م	اسلام

الدول	التخوت	السكان عدد النفوس مليون	العساكر وقت الحرب	السفن حربيه	الدخل فرنك
العثمانيه	القسطنطينيه	٢٢٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٧٨	٣٦٨٠٠٠٠٠٠
مصر وتابعها	مصر	١٦٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	١٣	٢١٦٠٠٠٠٠٠
تونس مثلها	تونس	١٥٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٢	١٤٠٠٠٠٠٠
العرب	فاس	٧٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الفرس	طهران	٥٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	لا	٦٢٠٠٠٠٠٠
افغانستان	كابل	٦٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	لا	م
بلوجستان	كلات	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
مقا	براك	٧٥٠٠٠٠	م	م	م
هرات	هرات	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
خوقند	خوقند	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
التركمان	مرو	٢٥٠٠٠٠٠	م	لا	م
مسقط	مسقط	٢٠٠٠٠٠٠	م	م	م
رياض وغيرها	رياض	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
عرب الجزيره		٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
كشمير	كشمير	١٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م
اتشين	احسين	٣٠٠٠٠٠٠	م	م	م
الزنجبار	زنجبار	٢٠٠٠٠٠٠	م	٥	١٧٥٠٠٠٠
برنو	كوكوا	٨٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	لا	م
واداى وتوابعها	وره	٤٥٠٠٠٠٠	م	لا	م
فلاتا	ساكاتو	٦٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
تنبكتو وتوابعها	سان سان	٤٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
عادل وجوارها	هرر	٨٠٠٠٠٠٠	م	م	م
الصحراء الغربيه	كنبرا وغيرها	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م

اسلام	م	لا	لا	م	
اسلام	م	لا	لا	م	
نصرانيه	م	لا	لا	م	
مشركون	م	لا	لا	م	
مشركون	م	لا	لا	م	
مشركون	م	لا	لا	م	
مشركون	م	لا	لا	م	
مشركون	م	م	لا	١٨٠٠٠٠٠٠٠٠	
مشركون	م	م	٧٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٩ ٠٠ ٠٠	
مشركون	م	لا	لا	م	
مشركون	م	لا	لا	م	
نصرانيه	م	لا	لا	٢٠٠٠٠٠	
نصرانيه	١٦٥،٠٠٠٠٠٠٠	٠٠١٣	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٦٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٢٨٣٥٠٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٣٨٤٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	٥٠٠٠	٧٠٠٠٠٠٠٠٠	٦٢٤٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	٠٨٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٢٤٢٩٣٠٠٠٠٠٠	٣٦٦٧٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	٢٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠٠٠	٣٧٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٤٠٠	١٠٦٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠٠٠٠	١٥٩٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٨٠٠٠٠٠٠٠٠	لا	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٢٦٢٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	١٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٧٠٠٠	١٩٤٨٠٠٠٠٠٠٠	١٨٠٠٠٠٠٠٠٠	
مختلطه	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١١٠٠٠	٢٨٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
مختلط	تابع		تابع	تابع	
نصرانيه	٣٥٠٠٠٠٠٠٠٠	١ ٨	٢١٥٠٠٠٠٠٠٠	٣٢٠٠٠٠٠٠٠	

النرويج	ادلي وعه ها	٤٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
صحراء تيبوس		١٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الحبشه	ادواح	٥٠٠٠٠٠٠	م	م	م
بورما	مندلاى	٣٥٠٠٠٠٠	م	لا	م
سيام	بانجوك	٦٥٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	م	م
كوشين الصين	نوشواشين	٩٠٠٠٠٠٠	م	م	م
كمبوديا	بنوم بنه	١٠٠٠٠٠٠	م	م	م
الصين	باكين	٥٣٧٠٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠	٣٧	١٨٠٠٠٠٠٠٠
الجابون	جدو	٣٣٠٠٠٠٠٠	٥٠٢٣٠	١٣	٢٩٠٠٠٠٠٠
نيبول		٢٥٠٠٠٠٠	م	لا	م
بوتان		١٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الجبل الاسود	سيتين	٣٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠	م	١٥٠٠٠٠
اليونان	اثينه	٢٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٣٠	٣٦٠٠٠٠٠
ايطاليا	روميه	٢٧٠٠٠٠٠٠	٨٢٩٨٢٧	٨٧	١٩٠٠٠٠٠٠
اسبانيا وملحقاتها	مدريد	٢٦٠٠٠٠٠٠	٢١٦٠٠٠	١٨٢	٥٨٨٠٠٠٠٠
البرتغال وملحقاتها	لزبون	٨٠٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٥٠	١٣٠٠٠٠٠٠
فرانسا وملحقاتها	باريس	٤١٠٠٠٠٠٠	٢٤٢٣١٦٤	١٥٤	٢٦٦٧٠٠٠٠٠٠
سويسره	بارن	٢٥٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	لا	٣٧٠٠٠٠٠
البلجيك	بروكسل	٥٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	م	٣٠٠٠٠٠٠٠٠
النمسا وتابعها	فيينا	٣٨٥٠٠٠٠٠	١٠٩٤٠٠٠	٧٠	١٠٨٧٥٠٠٠٠٠
الصرب	بلغراد	٢٠٠٠٠٠٠	٢٢٥٠٠٠	لا	١٤٠٠٠٠٠٠
الرومانيه	بخارست	٥٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	م	١٠٠٠٠٠٠٠٠
انكلاتيره	لوندره	٣٠٠٠٠٠٠٠	٥٤١٢٣٥	٣٨٣	١٨٠٠٠٠٠٠٠
الهند التابع لها	كلكوته	١٧٥٠٠٠٠٠٠	٤١١٠٠٠	لا	١٣٠٠٠٠٠٠٠
بقية مستعمراتها		١٥٠٠٠٠٠٠		لا	تابع
هلانده وتوابعها	هالك	٢٣٨٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	١١٨	٣٢٠٠٠٠٠٠٠

نصرانيه	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٣٥ ٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	١١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٧٧٠	٢١٢٠٠٠٠٠٠٠	١٢٣٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٥٤٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٦٣٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٣٠٠٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠	٩٥٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
نصرانيه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلط	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
نصرانيه	٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٧٤٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٧٥٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	٥٧٠	٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٥٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٣٨٧٧٥٠٠٠٠	لا	م	٨٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	لا	م	م	
نصرانيه	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٧٠٠	١١٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠	١٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٨١٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	م	م	م	
نصرانيه	م	١٤٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	م	م	م	
نصرانيه	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	م	م	م	
نصرانيه	٥٢٥٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١١٦٠٠٠٠٠٠٠	

المانيا	برلين	٤١٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠	٧٢	١٣٢١٠٠٠٠٠٠	
السويد والنورويج	استكهولم	٥٥٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠	١٢٨	١٣٦٠٠٠٠٠٠	
الدانيمرك	كوبنهاغ	١٨٠٠٠٠٠	٤١٠٠٠	٣٧	٧٠٠٠٠٠٠٠	٠٠
الروسيا	سان بترسبورغ	٨٢٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠	٢٢٥	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
بالس وماجاورها	اسمار	م	م	لا	م	
تيمانى	كوران كوكا	م	م	لا	م	
كرومان		م	م	لا	م	
ليبيريا	برنوفيا	٥٠٠٠٠٠	م	لا	م	
فانتكى وماحولها		م	م	لا	م	
داهوميه	ابومى	٨٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م	
اكباس وماجمعها		م	م	لا	م	
اورنج وماجاورها		م	م	لا	م	
بادحوان	كرومان	م	م	لا	م	
المجهول من افريقيا		١٠٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م	
ماد غسكار	تناناريفو	٥٠٠٠٠٠٠	م	لا	م	
امريكا المتحدة	واشنطون	٤٢٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	١٧٨	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
المكسيك	مكسيكو	٩١٣٤٠٠٠	٢٢٤٠٠	٩	١٢٥٠٠٠٠٠٠	
امارتكا الوسطى	الكواتيمالا	٢٥٨٠٠٠٠	م	لا	٨٠٠٠٠٠٠	
كلومبيا	سانتى ديبوكوتا	٣٠٠٠٠٠٠	م	م	م	
بيرو	ليما	١٥٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣٥	٣٠٠٠٠٠٠٠٠	
برازيل	ريودوجنيرو	٦٥٠٠٠٠٠	٦١١٢٦١	٨٧	٢٨١٠٠٠٠٠٠	
بوليفيا	شوكيزاك	٢٥٠٠٠٠٠	م	لا	م	
الشيلى	سانتياكو	٢٢٥٠٠٠٠	م	م	٨٥٠٠٠٠٠٠	م
اوروكواى	منتفيدو	٣٥٠٠٠٠	م	م	م	
باتاكونيا	[illegible]	٢٥٠٠٠٠	م	م	م	
ارجانتين	بوينوس ايرس	١٨٧٧٤٩٠	م	م	١١٥٠٠٠٠٠٠	

ملاحظات

كل ما هنا اعتبار لما هو واقع فى سنة ١٢٩٧

١١٦٢٥٠٠٠٠	عدد نفوس المسلمين المستقلين باحكامهم
	يضم عليهم عدد نفوس المسلمين الداخلين تحت احكام غيرهم

٦٠٠٠٠٠٠٠	فى الصين
٤٠٠٠٠٠٠٠	فى الهند
٨٠٠٠٠٠٠	فى الروسيا
٣٠٠٠٠٠٠	فى فرانسا
١٠٠٠٠٠٠٠	فى بقية الممالك
١٢١٠٠٠٠٠٠	

١٢١٠٠٠٠٠٠	
٢٣٧٢٥٠٠٠٠	
٣٩٧٧٤١٤٩٠	عدد نفوس النصارى
٧٨٩٣٠٠٠٠٠	عدد نفوس الباقى من المشركين وغيرهم
١٤٢٤٢٩١٤٩٠	

﴿الجزء الثاني﴾

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

تأليف الفاضل المحقق والاستاذ المدقق قدوة العلماء وصفوة الاذكياء وحيد عصره وفريد دهره الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي نفعنا الله به وبعلومه آمين

﴿طبعة أولى﴾
﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾

ما شاء الله كان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (المطلب الرابع) فى السياسة الداخلية من العائلة الحسينية اعلم انه منذ وليت العائلة الحسينية هذا القطر التونسى كان مدار أمرهم الرفق بالاهالى والخمول والتباعد عن مهمات الملك والرفاهية وغاية الالقاب التى تحلى بها اتباعهم وأعوانهم هى (ما يأتى)
* فأولها صاحب الطابع يعنى حافظ ختم الوالى ومأمور يته ختم المكاتيب ومباشرة المتوظفين فيما لم يباشره الوالى و يكون هو الواسطة بينهما وثانيها باش كاتب وله رياسة الكتابة ومحاسبة العمال والرأى فى كل الاحوال وثالثها خزنه دار وهو حافظ مال الحكومة فى قصر الوالى ورابعها باش أغه وله رئاسة أغوات أوجاق الخيل وخامسها كاهية وله نيابة الوالى فى الاحكام وسادسها أمين الترسخانة ولنظره ما يرجع الى البحرية وسابعها باش حانبه وهو الواسطة بين الوالى والمشتكين اليه مع رياسة الحوانب وهم الاعوان الخيالة للحكومة وهاته الوظيفة منقسمة الى شخصين أحدهما باش حانبه ترك والآخر باش حانبه عرب وهذا له نفوذ على الآخر وثامنها باش مملوك وله

رياسة

رياسة ادارة التصرالأميري وتاسعها الداي وله الحكم في الجنايات مطلق الا القتل فهو
خاص بالوالي وله حفظ الراحة في خصوص الحاضرة وعاشرها شيخ المدينة وله الحكم
في الليل وحفظ المدينة ليلا من السراق وترجع اليه سائر المعاملات العرفية وخصومات
الاجانب في الديون كما ان في كل ربض شيخا لخصوص حفظه ليلا وحادي عشرها آغة
القصبة وله الحكم في العسكر الينكشاري والجنايات الخفيفة ومثله آغة الكرسي
بانحطاط درجته عن السابق وثاني عشرها رئيس مجلس التجارة ومعه عشرة أعضا
يسمون العشرة الكبار ولا يجتمعون الا في مهم كما ان لكل صناعة أمينا يفصل الخصومات
المتعلقة بالصناعة وثالث عشرها كاهية دار الباشا وله فصل الجنايات الخفيفة حول
الحاضرة فهاته هي أهم الرتب السياسية والعسكرية وأما العلمية فأولها الباش مفتي *
الحنفي أي رئيس المفتيين ثم المالكي ثم المفتي الحنفي ثم المالكي وقد يزاد على واحد
في كل من المذهبين ثم قاضيان لكل مذهب قاض ثم قاضي باردو ثم قاضي المحلة أي
العسكر المسافر مع وارث الولاية ثم قضاة المدن الكبيرة ومفاتيها ثم قضاة المدن الاخرى
والجميع مالكية الا ما حدث أحيانا من ولاية مفتي حنفي في المهدية والمستير فهؤلاء
أصحاب الاحكام وهنالك وظائف دينية كالمدرس والامام والخطيب وصاحب الولاية
أي الامير يجلس يوميا بمحل يسمى المحكمة صباحا لتلقي المشتكين من العمال والمتوظفين
ومن الحرابة وقطع الطريق وامثال ذلك أما نوازل المعاملة بين الناس فهي للحكام
الشرعيين ونوازل التجارة لمجلسها والجنايات الخفيفة يباشرها الداي وله الحبس مع
الاعمال الشاقة المسمى بالكراكة وله الضرب ثلاثمائة سوط فقط واعظم به من مبلغ
حرمة الشرع وهكذا كل نازلة فانها ترجع الى حكامها من مرتباتهم مع التوقير التام
للحكام أهل الشرع ونفوذ أحكامهم ولو على ذوي المناصب العالية ويجتمع رؤساء
المفتيين والمفتيون والقاضيان وقاضي باردو يوم الاحد بحضر الوالي وتورد عليهم سائر
النوازل المهمة في الحقوق الشخصية وليس للوالي الا تنفيذ ما يحكمون به مع غاية
التعظيم والتوقير ولا زال طرف من هذا العمل الى الآن بحيث ان هيبة العلماء وتوقير
الشريعة لا زالت في القطر التونسي على بعض ما يجب لها من الاجلال وكذلك سائر
الشعائر الدينية ولقد ادركت ان سب الدين لا يمكن ان يكنى عنه بهاته العبارة تعظيما
وتوقيرا بل يكنى عنه بسب المنكر وترى الكبير والصغير يقول من سب المنكر اذيب
الرصاص في حلقه كانه هو حكمه المعروف وكذلك سائر العبارات الفاحشة مما يكنى به

عن العورات لاتذكر أبدا ومن يذكرها فى خلواته يعد من السفهاء ولقد تغيرت فى هذا المعنى الحال ولله الامر (وأما) ما يتعلق بالجباية وصرفها فقد كان لا يؤخذ من الاهالى ❋ الاعشار الحبوب من القمح والشعير ثم عشر الزيت واداء مالى حسب مقدار مرتب العساكر الينكشارية مقسم على بلدان القطر يؤدّى على ستة أقساط فى السنة وهو نزر يسير ثم العاشر وهو المسمى فى العرف بالقمرق ثم مداخيل الاراضى والاملاك الراجعة لبيت المال مع ضرائب ضعيفة على القبائل مثل البلدان المارّ ذكرها عوضا عن زكاة المكاسب يوزعها على أفرادهم مشايخهم وعرفاؤهم كل قبيلة بحسب حالها ولما امتدّت ايدى العمال بما يسمونه الهواء وهو أخذ ما يقدمه أهل العمل للعامل برسم الضيافة ثم ما التقطه منهم باسم وهبة أى هبة ثم العقاب على الجناية بالمال جعل لذلك حموده باشا على العمال أنفسهم اداء يسمى بالاتفاق هو فى الواقع قسط مما ينهبونه من الاهالى ثم زيد على ذلك ما يسمى بالقضية وهو ما يجعل رشوة للواسطة بين الوالى والعامل وآخذها اما أن يعطى منها قسطا للحكومة أو يأخذ الكل على حسب قربه من الوالى ثم ان جميع ذلك مشروط فيه أن لا تتشكى منه الاهالى فاذا ضجت قبيلة واشتكت للوالى من عاملها عزله حالا ويقال له لم يؤخذ منك مقدار يجحف بالاهالى فأنت تجاوزت الحد ثم يصرف جميع ما تقدم فى مصالح الحكومة والقطر من مرتبات العساكر وأقواتهم وجرايات المتوظفين بغاية الاقتصاد وهى جرايات ضعيفة والناس اذ ذاك مقتنعون بعيدون عن الترف يكتفون بمصنوعات القطر فى اللبس والمسكن والمركب يكفيهم القليل لاسيما العلماء فقد رأيت بخط بيرم الثانى رحمه الله فى حساب خاص بشؤنه بيان مرتباته ❋ وجراياته من الاوقاف والحكومة بلغ مجموعها شهريا الى ثلاثين ريالا وسبعة أرباع الريال التونسى وثمنه مع ما هو عليه من جميع وظائفه العلمية وهى رياسة الفتوى ونقابة الاشراف ومشيخة المدرسة الباشية ودرس وذلك فى أوائل هذا القرن نعم كان له كما لبقية المجلس الشرعى جراية من الطعام وهى اثنا عشر قفيزا قمحا ومثلها شعيرا واثنا عشر مطرا زيتا وكان ذلك كافيا له ولعائلته وأبنائه وكانت ولاة القطر من بنى حسين بن على يعتنون بالاقتصاد وحمل الاهالى عليه بأوجه سياسية لطيفة منها ان حموده باشا رأى كثرة لبس الشال الكشميرأى الطيلسان فى الاهالى فحضر من الشال المصنوع فى جربة عددا ولبس هو منه وألبس رئيس الكتبة أيضا وخرج بذلك اللبس يوم العيد لتلقى وفود الهناء والصلاة وكان فى اثناء اقبال الاعيان على هنائه يلتفت الى رئيس الكتبة

ويقول

ويقول جهرة نعم الشال هذا صنع بلادنا فما لنا ولاضاعة أموالنا خارجها والاعيان يسمعون وهم لابسون للشال الكشميرى فودوا ان لم يكونوا لبسوه من الخجل حتى ان من سمع منهم قبل الدخول عليه ازاله واستعار من غيره الشال الجربى وانكفوا من ذلك التاريخ عن الكشميرى وله وقائع عديدة مثل هاته وهو فى الحقيقة أعقل فروع ذلك البيت الذين استولوا على القطر فقد أنشأ فيه ما لم يكن فيه من الحصون والقشل والسفن والذخائر حتى ان مبانيه الخاصة به لم تزل منتفعا بها الى الآن كبستان منوبة الذى صار قشلة للخيالة وداره بتونس المسماة الآن بسراية المملكة وأعانه مقام وزيره يوسف صاحب الطابع الملقب بأبى الخيرات من كثرة أياديه فى طرق البر مع الانصاف والاقتصاد الذى لم يكن القطر يتحمل سواه حتى ان حسين باشا لما توسع فى الرفاهية زيادة عما تقدم توقفت حكومته فى دين قدره خمسة ملايين ريالات أى ثلاثة ملايين فرنك باع بها زيتا سلما للتجار الافرنج ولم يمكنه احضاره لهم فنشأ من ذلك ولاية شاكير صاحب الطابع * الادارة بشروطه الشديدة على الوالى فى تقصير يده عن التصرف فى المال وفى العمال وأخذ من دار الوالى أغلب ما فيها من فضة وذهب واحتسب على خاصة مصاريفه الذاتية وتحملت الاهالى أول ولايته مظالم مالية الى ان خلص الدين وعمر خزائن الحكومة وموجبات الاقتصاد الكلى هى ضعف واردات الحكومة للاقتصار على الحد فى المداخيل الشرعية أو ما له شبهة بها كما تقدم فى توزيع جرايات العساكر تحفظا على الديانة وللسير على ما تساعفه الديانة أيضا فى غالب الاحوال الا ما يندر كالعقاب بالمال على الراجح من منعه شرعا وأمثاله كما تقدم طرف منه ما دامت الرعايا راضية به ثم ان الاقتصار على ذلك لا يجتمع منه مبالغ تقتضى الترف لان طبيعة أرض القطر ولئن كانت غنية غير ان كثرة توالى الحروب عليه والامراض والمظالم فى الدول السابقة أفنت من السكان القدر الاوفر فقد نقل بعض المؤرخين ان عدد سكان افريقية فى صدر الاسلام ويعنى بها ما يشمل برقة المعروفة الآن ببنى غازى وطرابلس وتونس والجزائر هو تسعة عشر مليونا مع ان عدد الجميع الآن لا يبلغ ستة ملايين ثم مع قلة السكان ضعفت أعمالهم واقتنعوا بما يسد الخلة وبقيت الارض معطلة لوجوه منها عموم الجهل بصناعة الفلاحة وتعمير الارض وتكثير الاشجار ومنها خوف صاحب الثروة على نفسه وماله فيرى انه يعمل لغيره فينزع منه الباعث ومنها الاكتفاء بما خف لسهولة الرحيل فى الفتن ومنها عدم الثمرة اذا كثرت الغلال والحبوب لصعوبة نقلها للمدن وعلى تقدير

وصولها الا تحدلها مشتريا لمنع اخراجها من القطر لاجل الحروب المستمرة مع أوربا الا لبعض الاجناس أحيانا لوقوع الصلح معه فاذا بقيت النتائج فى البلاد رخص سعرها لزيادتها
✽ على قدر الكفاية واستمرت السيرة على نحو ما مر الى (ولاية أحمد) باشا فأخذت الحكومة فى طور جديد وتبعها الاهالى على مقتضى قاعدة الناس على مذهب أمرائهم وذلك ان هذا الوالى كانت له همة عظيمة اكبر من حالة القطر وقد وجد فى ولاية أبيه ابتداء تنظيم العسكر النظامى فاعتنا هو بهم وبمهماتهم وتعظيم رؤسائهم ثم جد فى تفخيم هيئة الحكومة تفخيما لا يخرجها عن المقام الحقيقى فلم يقل فى مكاتيبه القابا تشعر بالاستقلال كاطلاق لفظ الدولة والمملكة ولم يطلق على نفسه لفظ ملك متحاشيا عن ذلك كل التحاشى هو وابن عمه محمد من بعده واغا غير ما لا يمس الحقوق حتى غير الالقاب
✽ المار ذكرها آنفا ففى الوظائف الشرعية لقب رئيس المفتين الحنفية محمد بيرم الرابع بشيخ الاسلام وفى العساكر النظامية صير لها رؤساء على مقتضى أصل اصطلاحهم وأهمها على الترقى بين باشى ثم آلاى امينى ثم قائم مقام ثم اميرآلاى ثم أميرلوا ثم أمير الامرا أو فريق وأنشاء النياشين المسماة بالافتخار وجعل له خمسة رتب ثم العليا وتسمى افتخارا اكبر ومعه شريط من الحرير أخضر يسمى بالفاشه ويلبس على الكتف والصدر والظهر على هيئة حمائليه ثم نيشان آل بيته خاص بهم ويعطى للملوك وأعيان بعض الكبراء وشكل للوظائف السياسيه وزراء ولقب كلا منهم بالوزير فى خطاباته الرسمية الا اذا عرض ذلك فى مكاتيب الدولة العليه فانه يتحاشا عنه وأول من تلقب بتلك الالقاب فى هذا القطر هم الوزير مصطفى صاحب الطابع وهو رئيس الوزراء عند اجتماعهم وصاحب التقدم عليهم لسنه وسابق تربيته للوالى لكنه لا تصرف له فى شئ معين ثم الوزير مصطفى خزنه دار وزير العمالة أى الداخلية والمالية ثم مصطفى أغا وزير الحرب ثم محمود كاهيه وزير البحر ثم جوزاف رافو وزير الخارجيه وفى آخر مدته لقب الداى بوزير التنفيذ وهو اذ ذاك كشك محمد وكان كل من هؤلاء الوزراء يباشر بنفسه فيما يتعلق بوظيفته ولا يتداخل واحد فى وظيفة الآخر بشئ ولا نفوذ لاحدهم على الآخرين وسيما الا الوزير الاول لكنه لرزانته وتجوله وفهمه مغزى الوالى كان يقتصر على نصح الوالى فيما يراه أو يبدى له رأيه عندما يستشيره وصاحب النفوذ الحقيقى هو مصطفى خزندار لتقريب الوالى اليه ولان مقتضى وظيفته التعلق بالاهالى والعمال وجميع أصحاب الادارة وحيث كان هذا التفخيم يستدعى زيادة المصاريف والميل

الى

الى الترف مع ما فى نفس الوالى من الكرم على أهل اصطفائه وكبراء العساكر دعاه ذلك الى زيادة الضرائب على الاهالى باسماء سموها أثقلت الظهور وأوجبت الفقر وزعيم ذلك المضمار هو محمود بن عياد باتحاد مع الوزير مصطفى خزندار مع انحصار جميع أنواع مصاريف الحكومة فى يده من قوت العساكر وملابسهم وجميع المهمات للحكومة ولذات الوالى ولذلك وظائف باسماء وهى الرابطة وهى قبض الاعشار ودفعها والكوشة وهى عمل الخبز والغابة وهى قبض اعشار الزيت وخرجها والغرفة وهى اشتراء جميع مهمات الحكومة والوالى وانحصر جميع ذلك وغيره فى ابن عياد وتغاضى الوالى عن المذكور وكادت أن تنحصر فيه ولايات جميع العمال ووظائف سائر جبايات الاموال لشركة سرية بينه وبين ذى اليد وقدم ابن عياد لاقتداره على ارضاء الوالى باحضاره فعلا ووعدا ما يطلبه من المهمات والاموال وامتدت يده بزيادة المظالم على ما ترسمه الحكومة باضعاف مضاعفة ومن اشتكى لا يجاب الا بقول الوالى الخاص مع عاملك وتوصل الى كتب الاوامر بخطه سراً هو والوزير ويمضيها له الوالى من غير علم أحد مع تحسين الوزير لذلك عند الوالى بان ما يرجعه ابن عياد يكون خزينة حاضرة متى ما طلبها الوالى وجدها بالاستيلاء على كسبه وجمع ابن عياد بذلك أموالا عريضة قدرها ريشاردوود قنسل الانكليز بتونس الذى أقام بها ما ينوف عن العشرين سنة فى رسالته التى ألفها قدحا فى طريقة تلزيم مداخيل الحكومة بثمانين مليونا وهو المشتهر على السنة العارفين فى تونس وأرسل ابن عياد تلك الاموال الى فرانسا واحتال على السراح للسفر الى هنالك للتداوى عندما علم هو وشريكه ان عاقبته وخيمة وأحس بمباديها وسرحه الوالى ولم يحاسبه الوزير حتى سافر من غير حساب فلما سافر الى هنالك احتمى بدولة فرانسا وأعلن بعدم الرجوع كما طلب الحماية لشريكه وحصل على الاذن فيها غير ان دولة فرانسا تفطنت لامره ورجعت عن حماية الوزير وعلمت ان سببها هو خيانته لبلاده وهو عندهم من أعظم الذنوب كما هو فى نفس الامر لكن ابن عياد لما تم الشروط الواجبة فى نيل الجنسية الفرانساوية وحصل عليها بالفعل قبل الاطلاع على أعماله لم يكن فى وسع دولة فرانسا نزع ما ناله اذ قوانينهم لا تسمح بذلك وعندما علم أحمد باشا بامتناع ابن عياد مع الاموال الذريعة التى نهبها ولم يحاسب على تصرفه قيض لخصامه الوزير النصوح خير الدين واتفق الفريقان على تحكيم امبراطور الفرانسيس نابليون الثالث فامر بعقد مجلس من ثقات المعتبرين فى الوزارة الخارجية *

للنظر فى النازلة وعرض الوزير خير الدين مطالب الحكومة وعرض ابن عياد مطالبه وألف كل منهما نحو ثمانية عشر رسالة فى النازلة وأرسى الامر فيها بعد مدة سنين على صدور الحكم من الامبراطور بما ملخصه

﴿ريالات﴾

٠١٤١٧١٤٩٥	ثبوت مال عين قبل ابن عياد للحكومة
٠٢٠٩٠٢٧٥٠	وثبت عليه أيضا قيمة رسوم بانكه وتذاكر سراح
٠٣٥٠٧٤٢٤٥	
ـه ٧٨٤٥٩٠٧	وثبت لابن عياد على الحكومة
٠٢٧٢٢٨٣٣٧	فاذا طرح ذلك من مجموع ما ثبت للحكومة بقى

قبل ابن عياد سبعة وعشرون مليونا ومائتان وثمانية وعشرون ألفا وثلاثمائة وسبعة وثلاثون ونصف كما صدر الحكم عليه بان يحاسب فى تونس على الرابطة وغيرها مما لم يمكن الحساب عليه فى باريس وقد أفردت هاته النازلة بتأليف مخصوص للوزير حسين حيث كان له خبرة بالنازلة لانه كان بمعية الوزير خير الدين عند خصامه فيها وسماه حسم الالداد فى نازلة محمود ابن عياد وما انفصلت هاته النازلة الا بعد ما نشأت فى الحكومة نازلة مثلها اذ الوالى مرض فى تلك الاثناء بمرض الفالج وطالت مدته واستبد الوزير مصطفى خزنه دار وعوض ابن عياد بالقائد نسيم الذى وظيفته انه قابض للاموال وكذلك عوض ابن عياد فيما يرجع للعمال بسعد بن عبيد وغيره ولم يمكن لبقية الوزراء انهاء الامر الى الوالى لمرضه وبقى الحال على ذلك الى ان توفى ذلك الوالى سنة ١٢٧١ فى نصف رمضان ولم يترك على الحكومة ولا دانقا من الدين بالربا ولا بغيره الا ما لا يمكن خلو الوجود منه كدفع أثمان بعض مهمات مما لم يحل أجله ولقد أعان على عدم حصول الدين الوزير خير الدين لان الوالى كان أرسله لعقد قرض فى فرانسا عند ارسال العسكر لحرب الروسيا سنة ١٢٦٩ ولم يمكن له معارضته لانه مستبد لكنه تشدد فى شروط القرض وسوف حتى توفى الوالى المذكور وساعده وريثه محمد باشا على عدم الاستقراض ومع ما تقدم فاحمد باشا مدة صحته لم يستبد عليه وزير وله ما ثر حسنة فى القطر أهمها احياء العلم بعدان كاد يندثر فرتب فى جامع الزيتونة ثلاثين مدرسا بجارية قدرها ستون ريالا فى الشهر وهذا المقدار اذ ذاك له موقع عظيم لما تقدم لك فى مقادير مرتبات العلماء ثم رتب اثنى عشر مدرسا آخر بمرتب خمسة عشر ريالا فى الشهر وخصص للاولين مواريث

من لاوارث له الراجع ذلك لبيت المال وللثانيين احباسا تلاشتها أيدى العدوان كما أقام بالجامع خزائن كتب بها نحو سبعة آلاف مجلد ونتج من ذلك احياء العلم وكثرة العلماء بالقطر ومنهم فحول بعز نظيرهم ولازال ذلك مستمرا ولله الحمد ولما ولى محمد باشا فى سنة ١٢٧١ لم يغير شيأ من فخامة الحكومة لكنه جعل أكبر همه رفع المظالم على الرعايا وجلب ثروتهم لما كان يتيقنه من المضرات التى كانت حاصلة لهم وأبقى وزراء ابن عمه على ما كانوا مع ما فى نفسه من حالة مصطفى خزنة دار لكنه غلبه على أمره فيه وزيره المستنصح لديه اسماعيل السنى صاحب الطابع فكان كالباحث على حتفه بظلفه عفى الله عن الجميع كما يرد خبره (والسبب) فى ذلك هو تخوف اسماعيل من تقدم أحد اقرانه للوزارة المعتبرة وهى وزارة العمالة فانفت نفسه من ذلك وواعده وعاهده مصطفى خزنة دار على الالتحام به وتقديمه على غيره اذا أبقى فى الوزارة فسارع للوالى وقال له لاغنى لنا عن مصطفى خزنة دار لعلمه بما لم يعلمه غيره من أسرار الحكومة وأموالها الى غير ذلك ولم يزل به الى ان أقره وعاهده على الصفاء والنصح وأما الوزير مصطفى صاحب الطابع فقد أبقاه شيخ الوزراء من غير مباشرة وأما محمود كاهية وزير البحر فانه توفى وولى عوضه الوزير خير الدين وافتتح الوالى أمره بتنقيص كمية العساكر بعد انفصال الحرب مع الروسية مع مراعات ضباطهم فابقى فى الخدمة القادر العارف على قدر الحاجة وجعل لغيرهم نصف مرتب مع ابقاء المقام وكذلك أسقط جميع المظالم على الاهالى وعوضها باداء واحد على كل فرد ذكر بالغ قادر على السعى وهو ستة وثلاثون ريالا فى السنة أى ثلاثة ريالات فى الشهر وهى قدر فرنكين الذى لا يجحف باحد مع امكان ضبطه وضبط أيدى العمال عن التجاوز فيه مع تحجير العقوبة بالمال وعمم ذلك الاداء على جميع القبائل والبلدان بالسواء ولم يبق عليهم غيره الا عشر الحبوب من القمح والشعير وعشر الزيت أو عوضه من القانون وقانون النخيل أى الخراج على اعداد النخيل ولم يستثن من ذلك أحدا الا أهالى المدن الكبيرة وهى تونس والقيروان وسوسه والمستير وصفاقس فابقى بها أنواع الاداء السابق المختلف الاسماء على أنواع المكاسب وتلقت الامة ذلك العمل بالسرور والانقياد الا السادات المعاويين الاشراف من أهالى الوطن القبلى لعدم سابقية أداء عليهم وكذلك ضبط اعشار القمح والشعير وجعل على كل ماشية قدرا معينا هو أقل ما يمكن حصوله فى الغالب الا أن يكون قحط بالمرة واذا ثبت القحط يسقط على صاحبه وذلك المقدار هو ربع القفيز من كل نوع وان زاد العشر الحقيقى على

ذلك القدر فهو موكول الى ديانة صاحبه يدفعه لمن شاء كل ذلك تحاميا عن أبواب المظالم وهكذا رتب اعشار الزيت وجعل لها مكاييل منضبطة ولا يأخذ الا العشر وشيأ يسيرا مقدارا معينا لكراء المعصرة وشدد النكير على العمال فيما اذا امتدت أيديهم الى شيء زائد من الرعايا لانه جعل لهم مرتبات على حسب أعمالهم يأخذونها من الحكومة ولم تنفع جناية العامل قرابته لانه كان صلبا فى الحق حتى عاقب اصهاره بأخذ ما أخذوه من الرعايا وسجن بعضهم بسا كنهم وسجن أتباعهم الذين شاركوهم فى الاخذ وتوسطوا فيه ولذلك انكف الوزير مصطفى خزنة دار وصار على حذر الا ماندر أوانحرمة الوالى المذكور وكان هذا الوالى جريا على الحكم ولو بالقتل فيما يراه من الحقوق واشتد خوف الوزير منه باطنا الى ان حصل من أحد أتباع القائد نسيم اليهودى سب الدين الاسلامي علنا فى مجمع عظيم من المسلمين وكان أمر الدين اذ ذاك وشعائره بالمكان الاعلى على ما تقدم بيانه فاهتزت البلاد تعظيما للخطر سيما وقد رأوا أن الرجل لاتناله الاحكام لانه انما اقدم على مثل ذلك اعتمادا على الاحتماء بسيده الذى هو من خواص الوزير وبلغ ذلك للوالى وقد كان منذ قريب قتل عسكرى بالقتل له يهوديا على مقتضى المذهب الحنفى من قتل المسلم بالذمى مع ان احكام قتل النفس فى القطر جارية على مقتضى المذهب المالكى لانه يرى القود بغير الحد وهو الموافق لحالة أهل القطر ولمذهب أغلبهم وهذا المذهب لا يرى قتل المسلم بالكافر فخالف الوالى عادة البلاد وأجرى حكم المذهب الحنفى فلزمه نظرا للهيجان العام توجيه النازلة الى المجلس الشرعى فحكم المالكية بقتل اليهودى ووافقهم أغلب الحنفية وكتب فيها الشيخ بيرم الرابع بالموافقة مع نقل نصوص مدارها على التعزير المغلظ وقد يبلغ به للقتل وهو المعين فى معروضات أبى السعود وقد تحقق ما ظنته العامة فان الوزير عارض انتصار التابعة فى انفاذ الحكم وطلب من الوالى ان يحكم هو فى الجانى بغير القتل وألح عليه فامتنع لما تقدم واحتال الوزير حتى باغراء قنسل الفرانسيس بالتداخل فى النازلة وانفذ الوالى الحكم فانتهزها الوزير فرصة ولاذ بفرانسا بواسطة قنسلها الى ان أتى الاسطول الفرنساوى فى المحرم سنة ١٢٧٤ وألح رئيسه وقنسلهم وعضدهم قنسل الانكليز على انشاء عهد الامان ومما استدل به كل منهم عمل الدولة العثمانية بالتنظيمات الخيرية حتى صرح بذلك وزير الخارجية لفرانسا فى مكتوبه المرسل فى ذلك الشأن الى قنسله المأمور بقراءته على الوالى وتفاوض الوالى مع خاصته ووزرائه فى ذلك واستقر الامر على انشاء عهد

الامان

الأمان وقرئ في موكب شامل لجميع المتوظفين وأعيان البلاد ونواب الدول ورئيس الاسطول الفرانساوى (ونصه) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أوضح للحق سبيلا وجعل العدل لحفظ نظام العالم كفيلا ونزل الاحكام على قدر المصالح تنزيلا ووعد العادل وتوعد الجائر ومن أصدق من الله قيلا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى مدحه فى كتابه بالرؤف الرحيم وفضله تفضيلا وبعثه بالحنيفية السمحا فبينها تبيينا وفصلها تفصيلا ورتبها كما أمره ربه اباحة وندبا وتحريما وتحليلا فلن تجد لسنة الله تبديلا وان تجد لسنة الله تحويلا وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا على معالم الهدى علما لمن اقتدى ودليلا وفهموا لشريعته نصا وتأويلا وأبقوا سيرتهم الفاضلة وأحكامهم العادلة أمانا جليلا ونستوهبك اللهم توفيقا يوصل الى الاسعاد برضاك توصيلا وعونا على أمور الامارة التى من حملها فقد حمل عبئا ثقيلا فقد توكلنا عليك وانحشنا اليك وكفى بالله وكيلا (أما بعد) فان هذا الامر الذى قلدنا الله منه ما قلده وأسنده الينا من أمور خلقه بهذا القطر فيما أسنده ألزمنا فيه حقوقا واجبه وفروضا لازمة راتبه لا تستطاع الا باعانته التى عليها الاعتماد ولولاها فمن يقوم بحق الله وحق العباد فهضنا النصيحة لله فى عباده وأرضه وبلاده والامل أن لا نبقى فيهم بحول الله ظلما ولا هضما ولا نخرم لهم فى اقامة حقوقهم نظما وانى بنصرف عن هذا القصد بعلمه ونيته من يعلم أن الله لا يظلم مثقال ذرة ولا يحب الظالمين فى بريته فقد قال لنبيه المعصوم الاوّاب ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب والله يرى انى آثرت فى قبول هذا الامر على خطره مصلحة الوطن على ذاتى وعمرت بخدمته العسكرية والمدنية غالب أوقاتى وقدمت من التحقيقات فى الجبايات ما علم خبره وظهر بعون الله أثره فانثمرت الامال وتشوقت النفوس الى ثمرات الاعمال وانقبضت عن التعدى أيدى العمال واستقصاء المصالح يقتضى تقديم اجمال ومن رامها جملة فقد عرضها بسبب التعذر الى الاهمال ورأينا غالب أهل القطر لم يحصل لهم الامنية باجراء ما عقدنا عليه النية وجرت عادة الله أن العمران لا يقع من نوع الانسان الا اذا علم ان برائه هى الامن له والامان وتحقق أن سياج العدل يدفع عنه خوف العدوان وان لا وصول لهتك ستر من حرماته الا بقوة الدليل ووضوح البرهان ولا يكفى لتحققه

الواحد والاثنان فاذا رأى الجانى تعدد الانظار غلط ان كان منصفا حدسه وقال ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقد رأينا سلطنة الاسلام والدول العظام الذين على سياستهم الدنيوية اعمال الاعلام فى النقض والابرام يؤكدون الامان من أنفسهم للرعية ويرونه من الحقوق الواجبة المرعية وهو أمر يستحسنه العقل والطبع واذا اعتبرت مصلحته فهو مما يشهد باعتباره الشرع لان الشريعة جاءت لاخراج المكلف عن داعية الهوى ومن التزم العدل وأقسم عليه فهو أقرب للتقوى وبالامن تطمئن القلوب وتقوى وقبل هذا كانت نفائس همة ملة الاركان وبعض الاعيان بعزمنا على ترتيب مجالس ذات أركان للنظر فى أحوال الجنايات من نوع الانسان والمتاجر التى بها ثروة البلدان وشرعنا فى فصوله السياسية بما لا يصادم القواعد الشرعيه هذا وأحكام الشريعة جارية مطاعه والله يديم العمل بها الى قيام الساعه وهذا القانون السياسى يستدعى زمنا لتحرير ترتيبه وتدوينه وتهذيبه وأرجو الله الذى ينظر الى قلوبنا أن تستقيم بهذا الترتيب أحوال الرياسة ولا يخالفه ما ورد عن السلف الصالح من اعتبار السياسة وأنا العبد الفقير أعجل لمرضاة ربى بما تطمئن اليه النفوس وتكون منزلته فى النفس منزلة المشاهد المحسوس وتأسيسه على قواعد (١) الاولى تأكيد الامان لسائر رعيتنا وسكان ايالتنا على اختلاف الاديان والالسنة والالوان فى أبدانهم المكرمة وأموالهم المحرمة وأعراضهم المحترمة الا بحق يوجبه نظر المجلس بالشورى ويرفعه الينا ولنا النظر فى الامضاء أو التخفيف ما أمكن أو الاذن باعادة النظر (الثانية) تساوى الناس فى أصل قانون الاداء المرتب أو ما يترتب وان اختلف باختلاف الكمية بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظمته ولا يحط عن الحقير لحقارته ويأتى بيانه موضحا (الثالثة) التسوية بين المسلم وغيره من سكان الايالة فى استحقاق الانصاف لان استحقاقه لذلك بوصف الانسانية لا بغيره من الاوصاف والعدل فى الارض هو الميزان المستوى يؤخذ به للمحق من المبطل وللضعيف من القوى (الرابعة) أن الذمى من رعيتنا لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع من اجراء ما يلزم ديانته ولا تمتهن مجامعهم ويكون لهم الامان من الاذاية والامتهان لان ذمتهم تقتضى أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا (الخامسة) لما كان العسكر من أسباب حفظ النوع ومصلحته تعم المجموع ولا بد للانسان من زمن لتدبير عيشه والقيام على أهله فلا نأخذ العسكر الا بترتيب وقرعة ولا يبقى العسكرى فى الخدمة أكثر من مدة معلومة كما

نحرره فى قانون العسكر (السادسة) ان مجالس النظر فى الجنايات اذا كان الحكم فيه بعقوبة على أحد من أهل الذمة يلزم ان يحضره من نعينه من كبرائهم تأنيسا لنفوسهم ودفعا لما يتوهمونه من الحيف والشريعة توصى بهم خيرا (السابعة) اننا نجعل مجلسا للتجارات برئيس وكاتب وأعضاء من المسلمين وغيرهم من رعايا أحبابنا الدول للنظر فى نوازل التجارات بعد الاتفاق مع أحبابنا الدول العظام فى كيفية دخول رعاياهم تحت حكم المجلس كما يأتى ايضاح تفصيله قطعا للتشعب الخصام (الثامنة) ان سائر رعايانا من المسلمين وغيرهم لهم المساواة فى الامور العرفية والقوانين الحكمية لا فضل لاحدهم على الآخر فى ذلك (التاسعة) تسريح المتجر من اختصاص أحد به بل يكون مباحا لكل أحد ولا تتاجر الدولة بتجارة ولا تمنع غيرها منها وتكون العناية باعانة عموم المتجر ومنع أسباب تعطيله (العاشر) ان الوافدين على ايالتنا لهم ان يحترفوا بسائر الصنائع والخدم بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتى يمكن ان تترتب مثل سائر أهل البلاد لا فضل لاحد على الآخر بعد الانفصال مع دولهم فى كيفية دخولهم تحت ذلك كما يأتى بيانه (الحادية عشر) ان الواردين على ايالتنا من سائر أتباع الدول لهم ان يشتروا سائر ما يملك من الدور والاجنة والارضين مثل سائر أهل البلاد بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتى تترتب من غير امتناع ولا فرق فى أدنى شئ من قوانين البلاد ونبين بعد هذا كيفية السكنى بحيث ان المالك يكون عالما بذلك وداخلا على اعتباره بعد الاتفاق مع أحبابنا الدول فعلى عهد الله وميثاقه ان نجرى هذه الاصول التى سطرناها على نحو ما بيناها وورائها اليه ان لعناها وأشهد الله وهذا الجمع العظيم المرموق بعين التعظيم فى حق نفسى وعلى من يكون من بعدى ان لا يتم له أمر الا باليمين على هذا الامان الذى بذلت فيه جهدى وجعلت سائر الحاضرين من نواب الدول العظام وأعيان رعيتنا شهداء على عهدى والله يعلم ان هذا القصد الذى أظهرته وجمعت له هؤلاء الاعيان واشتهرته هو ما أودعه الله فى نيتى واجراء أصوله وفروعه فورا أعظم أمنيتى والمرء مطلوب بجهده ومن عاهد الله لزمه الوفاء بعهده والحق هو العروة الوثقى والآخرة خير وأبقى واستحلف من لدى من هؤلاء الثقات والحماة الكماة ان يكونوا معى فى اجراء هذه المصلحة يدا واحدة بقلوب سليمة متعاضدة واقول لهم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون اللهم من أعاننا على مصالح عبادك فكن له معينا وأورده من توفيقك عذبا معينا اللهم اجعل لنا من عنايتك واعانتك مددا

وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا منك الاعانة على ما وليت ولك الشكر على ما أوليت الهدى من هديت والخير كله فيما قضيت هذه مقدمة أنتجتها الاستشارة ورآها العبد الفقير ناجحة صالحة فاعنا اللهم ببركة القرآن وأسرار الفاتحة والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد باشا باي صاحب المملكة التونسية في ٣٠ محرم الحرام سنة أربع وسبعين ومائتين وألف صح من كاتبه المشير محمد باشا باي والله على ما نقول وكيل (ثم عقد الوالي) مجلسا رئيسه الوزير مصطفى خزنة دار وزير العمالة وأعضاؤه مصطفى آغه وزير الحرب وخير الدين وزير البحر والوزير اسماعيل السني والوزير محمد وكاتب أسرار الوالي أحمد ابن أبي الضياف وأذنهم باستخراج أحكام سياسية تدور عليها أعمال الحكومة واستخراج احكام فرعية في الحقوق الشخصية يجري بها الحكم في القطر وأذن أن يكون شيخ الاسلام محمد بيرم الرابع احد أعضائه فامتنع من الحضور ودون مشاركة من العلماء الحنفية والمالكية واستقر الرأي على اضافة الشيخ محمد ابن الخواجه المفتي الحنفي والشيخ احمد بن حسين رئيس الفتوى في المذهب المالكي والشيخ محمد البنا المفتي المالكي وهؤلاء الاعلام الاربعة هم أكبر علماء القطر اذ ذاك فحضروا اولا ثم امتنعوا واكتفوا بان يكتب كل منهم شرحا منفردا على الاحدى عشرة قاعدة المار ذكرها أبدوا فيها الاحكام الشرعية المطابقة لتلك القواعد واقتصروا على ذلك متعللين بان لذي بدا لهم من مغزى الجماعة هو الميل البحت للسياسة الساذجة من غير التفات الى محاذاة الشرع بل وربما عارض ما يصادم القواطع وحيث كان عمل المجلس على ما يستقر عليه رأي الغالب لم يأمنوا ان يسند الى المجلس ما يخالف الشرع ويحمل ذلك على عاتقهم والذي تبين لكل من الفريقين فيما بعد مما ولدته الليالي ان الصواب في غير مسلكه على ما يحرر ان شاء الله تعالى في الخاتمة ولم يتم هذا المشروع في مدة الوالي المذكور مع حرص القناصل عليه وتأكيدهم بانه لا محيص عما اشهدهم عليه بالنيابة عن دولهم ولم يهمل الوالي بذلك لانه محب طبعا للعدل وانما عاقه عن اتمامه الاجل وفي آخر مدته أغراه وزيره بتعاضد مع روش قنسل فرنسا حيث كان العامل فرانساويا على ما يأتي وحسنا للوالي جلب ماء زغوان الذي كان جاريا بالقرطاجنة في قنوات من البناء وعلى حنايا بان يجلب على يد جمعية فرنساوية في قنوات من حديد ويوصل الى المرسى والحاضرة وانما يحصل من ثمنه للديار وللزارع يوفي بالمصروف عليه في مدة يسيرة وينشأ منه فوائد للزراعة حول الحاضرة

والمرسى وكان الوالى مغرما بحب العمران والفلاحة وبالمرسى أيضا وهى معطشة من قلة المياه الحلو فوافق على ذلك واتفقوا على جلبه وعلى بناء دار القشلات قرانسابهية خارج باب البحر من الحاضرة بمقدار للجميع قدره اثناعشر مليونا تدفع على اقساط اربعة كل قسط فى سنة بثلاثة ملايين وقد عد بعضهم ذلك مبدأ محن القطر حيث آل الى دين بالربا والحق انه لا لوم على الوالى فى ذلك لان الحكم على ما هو موجود وعلى اعتبار ان الامر على الاستقامة ولا يحمل عليه فساد غيره وان بناء على شئ من اعماله هو فى نفسه سليما اذ المفسد بنى فساده على ما يريد والنظر فى الحقيقة للعمل من حيث هو فينظر فيه هل فيه مصلحة أم لا وجلب ذلك الماء على الكيفية المذكورة فيه مصلحة وهو تعطش البلاد فى أغلب السنين لان شرب اهلها من المواجل المحبوس فيها ماء المطر ومن بير خارجها ماؤها غير خالص العذوبة تسمى بير كلاب و يستعمل لغسل الصابون مياه فساقى حول الحاضرة لان ابارها ماؤها ملح لا يصلح الا لاستعمال تنظيف البيوت وكثيرا من السنين تحصل الشدة للاهالى من قلة الماء صيفا حتى يبلغ ثمن القلة مقادير وافرة مع التعب فى جلبه ثم اعزام الوالى بالفلاحة ترغيبا للسكان فى العمران الذى أثر اقبالهم عليها على ما سيرد يستدعى جلب الماء الحلو على ان مالية الحكومة اذ ذاك وافية بذلك المقدار لان الفلاحة التى هى ركن ثروة هذا القطر قد تكاثرت فى تلك المدة واقبلت عليها الناس اقبالا عجيبا حتى غلت أسعار الاراضى ملكا وكراء وغلت أسعار الحيوانات وغلى قرض الأجير المسمى بالخماس غلوا فاحشا حتى بلغ قرض الخماس الى ألف وخمسمائة ريال وذلك لكثرة استغناء الاهالى سيما الاعراب وانفتهم من صناعة الخماسة لاقتدار كل على أن يصير فلاحا مستقلا بنفسه ونتج من ذلك ثروة الحكومة ثروة زائدة على المعتاد مع نقصان المصاريف على العساكر فكان دخل الحكومة فى الاول نحو نيفا وعشرين مليونا فى السنة وبيان تقريبه ما يأتى

﴿ريالات﴾

٩٧٠٠٠٠٠ عدد النفوس التى تؤدى الجباية ٢٧٠٠٠٠ على كل نفس ريالات ٣٦

٦٠٠٠٠٠ مدخول مكس الغلال فى الحاضرة المسمى فندق الغلة

٥٠٠٠٠٠ دار الجلد أى محل دبغ الجلود

٥٠٠٠٠٠ كرك الدخان

﴿ريالات﴾	
٠٦٠٠٠٠٠	كمرك السلع الداخلة والخارجة
١٠٠٠٠٠٠	سراح خروج الزيت والقمح والحبوب
١١٠٠٠٠٠	قانون زيتون الساحل وصفاقس
٠٩٠٠٠٠٠	قانون نخيل الجريد
٠٥٠٠٠٠٠	محصولات المدن وغيرها أى الاداء على ما يباع فى الاسواق
٠٥٠٠٠٠٠	لزامات صغيرة فى الحاضرة وغيرها كالحوت والخيل وغيرها
٦٧٥٠٠٠٠	اعشار القمح والشعير على كل ماشية ربع قفيز قمحا ومثله شعيرا وعدد ١٢٠٠٠٠ المواشى فيجتمع من ذلك اقفزة ٣٠٠٠٠ قمحا ومثلها شعير بسعر ١٥٠ الاول وسعر ٧٥ الثانى
٠٣٠٠٠٠٠	اعشار الزيت متوسطا كل سنة امطار زيتا ١٢٠٠٠٠ بسعر ٢٥ المطر
٢٢٩٥٠٠٠٠	الجمع

فالحكومة التى دخلها ما تقدم ومصاريفها الاعتيادية لا تتجاوز الاثنى عشر مليونا الان أحمد باشا مع كثرة عساكره ومصاريفها كان دخل الحكومة زمنه نحو خمسة عشر مليونا الى الثمانية عشر ومصاريفها مثل ذلك لانه لم يتداين شيأ ومحمد باشا انقص كثيرا من العساكر فلم يكن مصروفه الاعتيادى مجاوزا الاثنى عشر مليونا ثم له مصاريف غير اعتيادية فيما يخص ذاته وما ذاع ساها ان تبلغ فاذا دفع من دخل الحكومة ثلاثة ملايين فى السنة مدة أربع سنين لمنفعة عامة لا يكون فيه ضرر ولا عمادة على مثل ذلك اشترى له الوزير المذكور مصطفى خزنة دار مصوغا بقيمة خمسة عشر مليونا مقسطا ثمنه أيضا ليكون ذلك ذخرا للحكومة عوضا عما باعه أحمد باشا من ذخائرها الثمينة فى مصاريف حرب الروسيا لان المال الناض يسهل اليه امتداد الايدى بخلاف الجوهرات مع ما فى طبع الوالى من الميل الى طبائع الاقدمين ومنها ادخار المصوغ وهو ولان كان مسرفا فيما يتعلق بذاته وحرمه بالنسبة لاسلافه لكنه يؤثر الاقتصاد للعامة واتباع الحكومة بان يستلطف لهم لكى يقتصدوا فى مصاريفهم فقد قدم عليه المولى الامام الشريف سيدى محمد الشريف فى رمضان وكان محبا للاشراف معظما لهم شنشنة أهل تونس الاسلامية

فأدخله

فأدخله القصر حومه محتفيا معه مباسطا ومؤانسا له فعرض فى اثناء الخطاب لومه للشريف على التقصير فى القدوم اليه فأجابه معتذرا ببعد مسكنه حيث كان مسكن الوالى بالمرسى ويتعب الركوب على ظهر مركوب للوصول اليه لانه ليست له كروسة أى عجلة فأجابه الوالى بان مثله لا كروسة مضر لما يلزمها من المصاريف السنوية وهو لا يبخل عليه باعطاء كروسة له بلوازمها ولكنه يخشى عليه كثرة مصاريفها فلذلك رأى أن يعطيه ثمنها وثمن ما يجرها على شرط ان يشتغل به فى ماله دخل فى مصالحه وأما ركوبه فانه مهما أراد الركوب يرسل اليه ليبعث له كروسة ليركبها وأعطاه خمسة آلاف ريال ولعمرى انها من نصح الاصدقاء وله فى مثل ذلك كثير من المساعى سيما فيما يعود الى تكثير الفلاحة وغراسة الزيتون والاشجار من الاهالى حتى رغب أهالى الحاضرة أيضا وأنشأوا فى مدته القصيرة ما ينيف على الستين ألف شجرة من الزيتون فى أرض تعرف بعد خروجه من مرناق وتوفى رحمه الله ولم يترك على البلاد ولا دانقا دينا بل بالا الاموال المقسطة فى مقابلة الاشياء المار ذكرها وبقايا أثمان أشياء مما لا يخلو الامر من مثله مع انه ترك خزائن من الحديد مملوأة بمسكوكات الذهب التى أنشأ ضربها كما ترك خزانة مهمة جدا ملآنة بالمصوغ والياقوت الابيض المسمى بالالماس أو الديامنت المتجمع من النياشين التى أبطلها وأخذها من أصحابها وعوضها بنياشين من الفضة على حسب مجرى الدول وعوض أصحاب الرتب العسكرية علامات فى أعناق لباسهم وقد كان كل من أرباب نياشين الافتخار ومن أهل الرتب العسكرية له نياشين من الديامنت مختلفة النوع والنفاسة على حسب الرتب فمنها نيشان يبلغ خمسة عشر ألف ريال ومنها دون ذلك وهى كثيرة جدا فاجتمع منها مع ما اشتراه مقدار وافر يعرف ذلك كل رجال الحكومة وأتباعهم بل وجميع آل بيته واستولى أخوه محمد الصادق باشا فى (٢٤) صفر سنة (١٢٧٦) ولما كان هذا الوالى يتقى الصعوبات ويأتمن من يرى أمانته ويطلق له التصرف من غير معارضة كانت الوقائع تختلف فى مدته اختلافا بينا بحسب الوزير الذى بيده التصرف مع ان الوالى مقصد فلذا لزم ان نذكر كل وزير بانفراده والوقائع التى جرت مدة ولايته ومساعيه لان الوالى يأتمنه ويعمل على رايه وهى القاعدة الجارى بها عمل الممالك المتمدنة لو تمت شروطها وهى جعل محتسب من الامة لمراقبة أعمال الوزير حتى لا تضر به ولا بالامة غير انه ينسب الى الوالى تفخيم أمر الحكومة فاطلق عليها لقب الدولة وعلى نفسه لقب الملك وأدمج ذلك فى ألفاظ القانون المسمى بقانون الدولة ووزع منه

نسخها على سائر الدول ليكونوا شهداء عليه وسلم بيده الى يد الامبراطور نابليون الثالث نسخة منه عند الاجتماع به فى الجزائر وكتب تلقيب وزرائه باسم الوزير فى مكاتيبه للدولة العلية وقيل له فى ذلك من بعض رجال حكومته فقال الدولة لها السيادة علينا وطاعتها واجبة ولكن لا نهين أنفسنا وكذلك اخترع زيادة النياشين وقلدبها نفسه ورجال حكومته وغيرهم فمنها نيشان العهد وهو مرصع بالياقوت الاحمر والاخضر جعل للبسه قانونا وعددا ويتبعه شريط أبيض مثل الذى سبق ذكره فى اختراع أحمد باشا ومنها نيشان عهد الامان على شكل آخر وخصصه بأصحاب المباشرة فى الوزارة الى غير ذلك من الاشياء التى مدارها على الابهة مع رأفة نفسه ورقة قلبه وأول ما افتتح به حلفه باليمين اللازمة فى قبول بيعته على مقتضى عهد الامان وسرد عند البيعة العامة التزاما نصه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تبارك من جعل الامان أقوى أسباب العمران والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان (أما بعد) فيقول العبد الفقير الى ربه المشير محمد الصادق باشا باى وفقه الله لما يرضاه وأعانه على ما أولاه انى قبلت البيعة من الاعيان الحاضرين على ما وقع الالتزام به فى العشرين من محرم الحرام سنة (١٢٧٤) من المرحوم المقدس أخينا المشير سيدى محمد باشا باى وهو عهد الامان لسائر السكان على الاعراض والاموال والاديان وما حواه من القواعد واللوازم والاركان وحلفت وأحلف بالله وعهده وميثاقه على مقتضاه وان لا أخالفه ولا أتعداه وهذا الكلام صدر منى ونقله الناطق به عنى وخطى وختمى فيه أقوى شاهد وأوضح اعلان لكل من حواه هذا الديوان وسائر الرعية والسكان وعلى مقتضاه عليكم السمع والطاعة ويد الله مع الجماعة حرر يوم السبت الخامس من صفر الخير سنة (١٢٧٦) ثم التفت الى وزرائه فوجد الوزير مصطفى خزنه دار هو صاحب الشفوف على الكل لاتفاق أغلب أتباع الحكومة عليه وانقيادهم اليه رغبة ورهبة لما له من اليد وكذلك قناسل الدول فسلم اليه أمر الحكومة ولقبه بالوزير الاكبر وبقى منفذا لرأيه ملازما للسير على نهجه فى كل أمر حتى فيما يعود الى خاصة ذاته فكثيرا ما كان يلبس الوالى ثيابه ويتقلد بمنطقته متهيئا لركوبه الى الحاضرة فى كل يوم من رمضان لكون عادته ذلك ويبقى منتظرا الوزير ليركب معه لانه لا يركب دونه فيرد عليه رسول الوزير معتذرا له بأنه غير قادر فى ذلك اليوم على الخروج لمرض أو شغل

فيلوى

فيلوى الوالى عزمه ولا يتوجه للمحاضرة وحده وكان لا يباشر فيها شيأ من الادارة وانما يذهب لمجرد التنزه والتفرج على الاسواق من شبابيك قصره وحيث علمت ما تقدم نذكر لك بعض حالات هذا الوزير وما طرأ من تصرفاته كما نذكر لك غيره من الوزراء

﴿المطلب الخامس﴾ فى وزارة مصطفى خزنه دار (اعلم) انه رجل أصله من قرية قرب ساقس جلب الى تونس وسنه دون العشر سنين وأخذه أحمد باشا ورباه وتعلم القراءة والكتابة وبعض الفروض العينية كالتجويد والوضوء والصلاة ونشأ على مسايرة أخلاق سيده بشوشا غير متفحش غيورا على من انقى اليه جالبا لهم الارباح بكل وجه كما أنه كان غيورا على تقرب أحد من الوالى ومع ذلك كان كثير الاعتقاد فى الصالحين ومن انتمى الى معرفة المحدثان مواظبا على قيام الثلث الاخير من الليل وله فيه اوراد مخصوصة الى ان يصلى الصبح ثم ينام وكان أولا قبل كبر بنيه ذا كرم كثير العطاء لحاشيته ثم صار شحيح النفس حريصا على الامساك والتقتير ولم يعهد انه باشر أحدا بشتم أو كلام منكر مدة وزارته على طولها وهى خمسة وثلاثون سنة الا رجلين يقال لاحدهما على زيد وللآخر عثمان هاشم وكان لا يقدم اليه أحد يطلب شيأ منه الا يعده بقضاء حاجته كيفما كان حالها مع أنه ربما كان الوفاء ببعضها غير ممكن وقيل له فى ذلك فأجاب بأن سليقته تأبى أن يقنط الطالب ويؤسه بل يصرفه بالوعد وان كان عازما على عدم اعطائه ويرى أن تعليق الآمال أولى من الاياس منها ولذلك كثيرا ما حصل منه الخلف بما يعد وصاهره أحمد باشا على أصغر أخواته ثم ولاه خزنه دار ثم لما أحدث أحمد باشا القاب الوزراء ولاه وزارة العمالة وهى عبارة عن التصرف فى الداخلية فراكن اليه محمود بن عياد وتشاركا سرا حتى صار المحتسب والمحتسب عليه شريكين وحصر دخل الدولة وخرجها فى محمود كما تقدم وللنجاة بما حصلاه سابها خروج محمود الى فرانسا من غير حساب وخانه محمود فأظهر عقد الشركة مع مصطفى خزنه دار وطلب على يد مجلس الحكم الزام الشريك بدفع نصف قيمة السالع المجلوبة لصالح الحكومة واستولت هى عليها بعد خروجه من تونس وعرض هذا الحكم على الوزير مصطفى خزنه دار بواسطة قنسل فرانسا فى تونس كما أظهر ان شريكه خزنه دار كلفه بطلب حماية فرانساله كما قرره فى الصفحة الرابعة من الرسالة الاولى التى عرضها على مجلس التحكيم وبعد ان كاد يحصل على الحماية عدلت فرانسا عن ذلك والحال انه لم يبدله من سيده موجب لذلك بدليل بقائه على منصبه وتصرفه الى ان مات سيده ثم بعد سفر محمود بن عياد استعوضه بسعد بن عبيد وجعله سمسارا على بيع

الوظائف فكان المتولى يدفع ما اتفق معه عليه والمعزول يغرم ما يدعى به عليه أهل عمله مع كونه مضطرا اليه لانه ما دفع المال لشراء الوظيفة الا ليربح ما يتعيش به وما يدخره للمستقبل وعظم بذلك الخطر والفقر على الرعايا حتى شاهدت قبيلة أولاد عيار ان كثيرا منهم يستاقطون حب الزيتون بالاجرة لاربابه وعندما يتم عملهم يأتون الى الفلاح ليحاسبوه عما تجمع لهم من المال ومعهم أحد أتباع هذا العامل فيحصى لهم جميع أجرهم بعد اخراج مقدار ما أخذوه لقوتهم ويرسله الفلاح معهم الى دار العامل ليقبضه لانه حاجر عليهم فى قبضه وأشباه ذلك كثيرة كما انه استعوض عن ابن عياد فيما يتعلق بشراء مهمات الحكومة ودفع أموالها أناسا منهم عطية الذى وقع منه أمور عجيبة منها انه ولى على اعشار الزيت ودفعها فى مصارفها المعينة ومنها الاجحاف فى مؤنة العساكر فكان يدفع اليهم الردىء من الزيت زيادة على مضاعفة الكيل من الدافع بل من سوء عمله انه كان يدفع للعساكر أوساخ الزيت الذى يحصل فى قفاف الحلفة ولا يسيل منها كما كان يحك ما لصق ببطان مواجل الزيت ودنانه المسماة بالجرار وما تجمع من ذلك الدسم الوسخ يغلى فى الماء السخن ويدفع للعساكر على انه زيت والارباح التى تحصل لعطية كان يصرفها المصالح الوزير خزنه دار ومنها انه ابتدأ فى بناء جامع قرب باب القرجانى ونسبه الى نفسه مع أن المصروف عليه من مال الحكومة بعض منه على يد ابن عياد والبعض الآخر كان صرفه على يد عطية المذكور والدليل على ان ما صرفه لم يكن له أنه مات مفلسا ومع ذلك لم يتم الجامع الى الآن وقد بنى الوزير خزنه دار سبيلا بسطحاء القصبة ووقف عليه حوانيت بجواره ولا زال مستمرا الى الآن وقد استعوض عن ابن عياد أيضا القائد نسيم شمامة وجعل وظيفته كونه قابض الاموال وكان يشترى المهمات بسعر ويحتسبها على الحكومة باضعاف كما انه حصل بواسطة الوزير المذكور بناء لعدة زوايا فمنها تجديد زاوية الولى الصالح القطب سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه الكائنة بجبل الجلاز بنيت على شكل حسن متقن حيث كان الوالى اذ ذاك أحمد باشا تلميذا للشاذلى رضى الله عنه وكذلك جدد بناء زاوية الولى الصالح سيدى على الحطاب رضى الله عنه الذى هو أحد تلامذة الشاذلى الكبار وهى فى الجهة الغربية من تونس تبعد عنها ثمانية عشر او عشرين ميلا فى الوطن المسمى بالمرناقية وبنيت أيضا بناء حسنا ومنها زاوية الحاج على شحيمه الكائنة قرب الحلفاوين من ربض باب سويقة من حاضرة تونس وهو منتسب للولى الصالح سيدى عبد السلام الاسمر رضى الله عنه وبنيت

بناء

بناء حسنا ومنها تجديد بناء زاوية الولى الصالح ملاذ أهل تونس وعمدتهم سيدى محرز بن خلف رضى الله تعالى عنه وهو رجل كبير فى العلم والصلاح من كبار رجال مذهب الامام مالك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وبنيت بناء حسنا وما صرف على جميع ذلك من مال الحكومة كما انه استوهب من الوالى محمد الصادق باشا سبخة السيجومى التى بقرب الحاضرة من الجهة الغربية الجنوبية وأنفق على تنشيفها عدة مئين من الالوف من مال الحكومة وحفر لذلك خندقا عميقا فى واد بين جبال المحل المعروف ببئر القصعة ثم يمر على الوهاد المعروف ببحيرة باش حانبه ثم يصل الى الارض المعروفة بدار ابن عروس وهنالك يهمل الماء المنحدر من السبخة فحصل بذلك تلف الاراضى التى على مصب ذلك الخندق لانه لم يجعل لها سبيلا الى الوصول الى البحيرة مع كون مائه ملحا اجاجا وتعطلت عند مصبه الطريق الموصلة الى مرناق والى حمام الانف ثم ماوالاه من الجهة الجنوبية فى وقت الشتاء لتعطل طريقه الاصلى من الوحل فصار الطريق الشتوى أيضا امامعطلا أو صعبا جدا مع ان نفس السبخة لم تنشف لان ارتفاع قعرها على سطح البحيرة انما هو نحو ميترين ونصف فقط ويلزم لانحدار الماء فى الاقل صانتى ميترا لكل ميترو طريق الخندق لما كانت طويلة لم يكن فيها الانحدار المطلوب فلم تنشف السبخة وقد أنذر بذلك أحد حذاق المهندسين وقال لا يمكن تنشيفها الا بنفق تحت جبل المنوبية لقرب المسافة الكافية للانحدار فلم يعمل بقوله ولم يحصل المقصود وبقى الامر على ذلك الى ان سد الخندق فى بعض جهاته باذن الحكومة فى وزارة خير الدين لرفع الضرر عن الطريق وعن الاراضى المشار الى جميعها كما شرع فى عمل طريق صناعى بين تونس وحلق الوادى فعمل فيه من جهة حلق الوادى نحو أربعة أميال ومن جهة تونس نحو خمسة أميال ثم ترك فأما الذى من جهة حلق الوادى فأبطلته جمعية طريق الحديد وأما الذى من جهة تونس فلم يزل منتفعا به لكنه محتاج الآن الى التدارك بالاصلاح لانه ضرورى فى وقت الشتاء حيث ان الارض التى يمر عليها المسماة بالخضراء صعبة المرور لكثرة الوحل ولما ولى محمد باشا وأقر الوزير المذكور بمعاضدة الوزير اسماعيل السنى حصل الاغراء للوالى على محمد المرابط أمير امراء عساكر القيروان وصهر أحمد باشا وعلى صالح شيبوب أمير لواء عساكر غار الملح وغيرهما من خاصة أحمد باشا من ابناء البلاد فنزعت رتبهم واستؤصلت جميع أموالهم وسمع الثقات من وزراء أحمد باشا الحاضرين مواطن الاغراء شدة انفعالهم من ذلك ولما وقع استقراره بالوزارة عند محمد باشا بواسطة

ماتقدم ثم أراد أن يبرهن على صدق ما وسمه به الوزير اسماعيل السنى من الصدق والنجابة وعلم ما لا يعلمه غيره فطلب من الوالى عمل حسابه عما مضى وبعد اتمامه جاء بالدفاتر وبتلخيصها وعرضه على الوالى محمد باشا ورأيت فى صفة الموطن بخط الوزير ابن أبى الضياف ما نصه وقال له بحضر الوزراء ورجال الدولة هذا حسابى قبضت فى مدة خدمتى ما هو مرقوم فى هذا التلخيص وصرفت فى المدة ما هو مرقوم أيضا وكان المصروف أكثر وأنا غير طالب له ولم أدفعه من مالى وليس على دولتك المباركة دين فقال له بعض الحاضرين من الوزراء بديهة أنا أول قادح فى هذا الحساب ومن أين جاءت هاته الزيادة فأجابه الوزير بلين وسياسة لك أن تنظر فى فصول القبض هل نقص منها شئ وفى فصول الدفع هل زاد فيها شئ وما وراء ذلك نتيجة أصابعى ولى أن أتطلبه لو استحللت الخيانة ولهذا أتيت بالدفاتر ليطلع عليها كل من يريد الانتقاد فخجل القادح الخ والكاتب المذكور عالم بالبلاغة حيث ورى بقوله فخجل أى خجل من الجواب لانه قبل ان المال من الاشياء التى لا تموبذاتها فالقسمة العقلية اما أن يكون من فصول المقبوض شئ لم يرسم كأن يكون المقبوض من الطوارى التى لا تنضبط كالاخذ من العمال زيادة على الموظف أو تكون بعض وجوه المصروف لم تصرف حقيقة أو يكون المقدار الحقيقى منها دون ما رسم فى الدفاتر أو يكون الدافع دفع من عنده أو اقترض وهذان الاخيران قد اقر الوزير بعدمهما واقرار الانسان ماض عليه فلزم بالضرورة أحد الوجوه السابقة ولعلها هى المرادة بقوله بأصابعى ثم انه فى مدة محمد باشا لم تقع مظالم الرعية من العمال لما تقدم من سيرة ذلك الوالى وانما يقال انه جعلت له حصص من المال والمصوغ جعلا من الجالبين لماء زغوان وبائعى المصوغ ليكون العقد بتلك المقادير وفى آخر مدة الوالى المذكور لما رشحت قدمه حصل الاخذ للوزير من بعض العمال بدعوى انه مع تشديد الوالى فى قبض أيديهم لابد أن يسرقوا وجعل السمسار رجلا يقال له خليفة السائس مشاركا لسعد بن عبيد مع التحذير من ان يظهر أدنى تشك من الرعايا وقد أدركت المضرات حذاق القطر حتى قال أحد العلماء قصيدة يستغيث بها القطب الصالح سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه لما دهى القطر من تلك الاعمال

﴿ مطلعها ﴾

كادت تبيد رجاءها باليأس * مهج فغوثا يا أبا العباس

(الى ان قال)

انا اليك نبث ماقد نابنا * من مكر ذى شر شديد الباس
درب على فعل القبائح قائم * بالجور ناء عن مدى القسطاس

﴿ثم قال﴾

نشبت مخالب كيده فى قطرنا * وبدت مضرته على أجناس
ومراده والله يمحو رسمه * الحاقه بالأربع الادراس
خفيت مدارك كيده فتحيرت * فى غورها النبها من الأكياس
حار اللبيب ولم يفد تخمينه * مع ضربه الاخماس فى الاسداس

﴿ثم قال﴾

واستأصل الاموال من أربابها * ورماهم بالذل والافلاس
كل تراه وقد أمض فؤاده * يشكو القديم وللجديد يقاسى

الى آخرها وهى طويلة مع أن التباعد بين وظيفة المشتكى والمشتكى منه مما يؤيد ان الشكوى عن غير اغراض شخصية ودليل صدقها الخارج ثم لما استولى محمد الصادق باشا وكان الوزير يخشاه لما هو مشتهر عنه من الصلابة جد الوزير فى اتمام قوانين عهد الامان سيما واليد كانت فيها جائلة من قبل للاطمئنان على نفسه بدليل ما جرى بعد وأظهر ميله اليها لعموم العدل لكى يستعين بحبى الانصاف على انفاذها فتمها وشرع فى العمل بها فى ١٥ شوال سنة ١٢٧٧ وحلف الوالى على انفاذها وعدم مخالفتها وكذلك سائر المتوظفين واستغرقت جميع مداخل الحكومة فى المصاريف التى عظمت وكثر المتوظفون والكتبة على ما تستدعيه القوانين وزيادة ووفرت المرتبات على نحو غير معهود فى القطر حتى صار لذات الوزير بخزنه دار من المرتبات ما بيانه فى السنة

ريالات	
١٤٠٠٠٠	مرتبه على الوزارة الكبرى
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة العمالة
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة الخارجية
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة المال
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على نيشان آل بيت الوالى الذى هو حامل له
٣٨٠٠٠٠	الجميع

مع انه يصرف مصاريف غير ذلك من أموال الحكومة كما تبين من الحسابات فى الحكومة

وجعل القائد نسيم لا يدفع لمن يطالب مالا من الحكومة الا باسقاط مقادير راجعة زيادة على الارباح من شراء المهمات واستغرق بمثل ذلك جميع مداخل الحكومة ثم جعل جميع المال المطلوب للعاقدات المار ذكرها من مازغوان وغيره دينا بالربا واستقرض له مبلغا بالربا من أوروبا قدره نحو تسعة عشر مليونا فرنكا حسبما هو محرر بالتقرير المصحح بخطه وخط المجلس الاكبر وقد برح اذ ذاك الخفاء وبان لعقلاء رجال الحكومة سوء تصرفاته فكان أعظم المضادين له من كان أكثرهم قربا اليه وألحوا عليه في الكف عن تلك السيرة فصار لهم بالمرصاد وصار يشينهم عند الوالي ويقدح فيهم ضدما كان يقول فيهم لانه علم حالة الوالي وانقياده اليه ورام نقض القانون أو ابقائه صورة لان مقصد الامن على خصوص ذاته قد حصل بجريان الوالي على رأيه وابعاده كل أحد عنه الا الخدمة لخدمة ذاته واشتدت المشاحنة بينه وبين الوزير خير الدين الى ان استعفى من وظائفه ثم تبعه الوزير حسين والوزير مصطفى أغه والوزير رستم وخلا الجو لخزنه دار وأخذت السيرة في طور آخر جديد ورام ان يضاعف أداء الجباية على الاهالي ويصيرها اثنين وسبعين ريالا على الرأس عوضا عن الستة والثلاثين ريالا التي أسسها محمد باشا وطلب موافقة المجلس الاكبر فامتنعوا واستبد هو بامضائها مع تحذير العقلاء له فلم يلتفت اليهم مع ان الاهالي في ثروة من أثر سيرة محمد باشا تقويهم على الدفاع عن انفسهم مع ما استأنسوا به من تلك السيرة وسماعهم بأن العدل والانصاف قد شملهم بالقانون وان لهم الكلام على حقوقهم فامتنعوا قاطبة وأراد غصبهم على ذلك فثار القطر كله ثورة واحدة لم تعهد من قبل على غاية من الرياضة والامن بحيث لم يتعرضوا بالاذية لاحد مع أمن السبل وكثرة الغادي والرائح وضبط كل جهة ببعض أهلها لردع السفهاء وحفظ الراحة والامن وكان متولي أكبر الجهة الغربية والمتفق عليه أكثر قبائل الاعراب رجلا يسمى علي بن غذاهم وذلك سنة (١٢٨٠) ولا زالت هذه الثورة تسمى ثورة ابن غذاهم وكاتب الجهات بانا اخوان وطلبنا واحد وليس المراد منه الافساد فالواجب حفظ الامن والراحة وتأمين السبل ولا نتعرض لاحد بشيء سوى اتباع الحكومة فاذا أرادوا غصبنا على الظلم ندافع عن أنفسنا وأنذرت القبائل عمالهم الذين كانوا بين أظهرهم فمن أراد منهم التوجه الى الحاضرة أوصلوه بأمان ومن أراد الاقامة منكفا عن التداخل في أمرهم أبقوه بأمان ولما توجه أمير الامراء فرحات الى الكاف لاجبار قبائل ما جرى على ذلك الاداء تعرضوا له وقتلوه فشدد النكير عليهم علي بن غذاهم وقال لهم أصل اتفاقنا انما هو على الدفاع عن أنفسنا وما ضركم

قدوم

قدوم الرجل الا اذا حاربكم فدافعوا عن أنفسكم وكاتب المذكور رئيس الفتيا العلامة الشيخ أحمد بن حسين وطلب منه التوسط فى الصلح مع الحكومة وحاصل مطالب الجميع ابطال الاداء الجديد وعزل الوزير مصطفى خزنه دار ومحاسبته فامتنع الوالى أولا من جميع مطالبهم واشتد الكرب على الحكومة حتى لم يبق أمر الوالى نافذا الا فى الحاضرة وضواحى عشر ميلا حولها واشتد الخوف فى الحاضرة وقدمت اساطيل الدول وأسطول الدولة العثمانية وفيه رسول سياسى انزل فى قصر المملكة بالحاضرة وتداخلت نواب الدول فى النازلة وفى قبائل القطر وبلدانه كل بما يوافق سياسته وكان من جملة الحاح قنسل الفرانسيس على الوالى لارجاع الراحة عزل الوزير خزنه دار لكنه خاطبه بذلك شفاها كما هو مشهور فى البلاد ورأيته بخط الوزير ابن أبى الضياف وأصر الوالى على الامتناع الى ان أحضر الوالى معسكرا قليلا وجهه تحت رياسة اسماعيل السنى ليل الاعراب له لصدقه ثم خلفه الوزير رستم عند مرض الاول ووقع الاتفاق مع جمهورهم على اعطاء الوالى الامان الى الجميع واسقاط الاداء المطلوب وعفا الله عما سلف وكتب الوالى بذلك أوامره وباشر باعطاء الامن كل من وفد عليه من الرؤساء وانتهز الوزير الفرصة لابطال القوانين بدعوى ان الثورة قامت لطلب ابطالها وما سمع ذلك من أحد لان أصولها لا تنافى الشريعة وغاية ما تكلمت فيه الناس هو فروع منها وذلك انهم أنكروا كون قوانين الاحكام الشخصية لم تكن شرعية فى كثير من المسائل ونسبها الجهلاء الى انها كلها مخالفة للشرع لجهلهم ولرؤيتهم هيئة الحكم على خلاف ما تعودوه فى هيئة الاحكام الشرعية وللتصريح بقصر الاحكام الشرعية على أبواب خاصة دينية ولعدم ادخال الحكام الشرعيين فى الحكم بالقوانين ولان بعض من ادخل فى الحكام لا جدارة له بها حتى خرج عن طوره بما لم تحتمله انفس المعاصرين ولانه أجريت القوانين دفعة واحدة فى جميع الانحاء حتى فى القبائل التى لم يوجد ان يوظف فيها من يعرف القراءة والكتابة التى هى ضرورية فى المتوظف وصاروا يخبطون خبط عشواء وكذلك ملّ الاهالى من التطويل الزائد فى الاحكام على ما هو عادة الاشياء فى مبدئها فهو فى الحقيقة ارادة لاصلاح نفس القوانين لا كره ذاتها بدليل ان المجلس الاكبر لم يتعرض له أحد من العامة والخاصة بالقدح فيه الا بعدم اشتماله على افراد من جهة المملكة حذاق لكى يعرفوا بما يليق بأحوال أطراف القطر والحال ان المجلس الاكبر هو روح القوانين لمحافظته على أساسها الكن الذى لم يكن له قصد سوى الامن على نفسه

وقد وجد الوالى لا يخشى منه أشاع هو ومن كان على شاكلته ان الناس يطلبون
ابطال القانون وقد اعتمدت تلك الاشاعة وابطل القانون والدليل على ان الناس
لم يطلبوا ذلك المكاتيب التى أرسلها قنسل الانكليز تعجيلا على ابطال المجالس
ومفهومها قاض بموافقته قنسل فرانسا على ذلك وان كان سر الامر هو الاغراء من قنسل
❁ فرانسا بابطالها لما ساذكر فى سياسة فرانسا بتونس ونص تعريب مكتوب قنسل الانكليز
الاول فى فبراير سنة (١٨٦٤ م ١٢٨٠ هـ) المعروض على جنابكم الرفيع انى نرى
من الواجب على ان نذكر جنابكم فى هذا الوقت الذى أحواله الزمت جنابكم الرفيع
توقيف تراتيب الحنان المؤسسة على الحرية فى بلادكم فان هاته التراتيب وقعت
الوصاية فى شأنها وكان ترتيبها بملاحظة الدولتين الحبيبتين الانكليزية والفرنساوية
وجنابكم وعدهما اذ ذاك رسميا باتمامها وابقائها على جميع قوتها وعدم تغييرها ووكيل
الدولة الامبراطورية الفرانساوية ورد له الاذن من دولته كما ورد لى الاذن من دولتى لانهما
على اتفاق واحد فى النازلة وفى الحث على طلب ترتيب المجالس المختلطة بسرعة لفصل
نوازل الجنايات والنوازل المتجرية لما يلزم من الوقت لعمل القانون المتجرى ولما كان
الاذن المذكور الصادر لنا من دولتنا الذى تشرفت بعرضه على جنابكم بمكتوبى
المؤرخ فى (١٧) اشتنبر سنة (١٨٥٧) وهو نظير المكتوب الذى خاطبكم به موسيو
روش نصا سواء ولم تزل المكاتيب موجودة يجب ان تكون سير نواب الدولتين فى هذه
المملكة على مقتضاها ولهذا يجب ان نطلب من جنابكم بشدة حرص أمرا زائدا على ابقاء
المجالس وهو المبادرة الى المجالس المختلطة الموعود بها منذ زمان طويل وبمقتضى
ما تقدم من الاذن طلبت مشاركة قنسل جنرال دولة فرانسا فى هذا المطلب كما يطلع
جنابكم على نسخة مكتوبى اليه وهو موسيو دي بوفال هذا وزيادة على الوعد
الرسمى الذى اعطاه جنابكم الى ملكتى انكلاتيره وفرانسا بحفظكم التراتيب المبنية
على الحنان والقدن التى أعطاها جنابكم لبلاده لا يخفى عليكم ان دولة انكلاتيره عقدت
مع دولتكم شروطا تقتضى دوام التراتيب المذكورة لانها هى الحافظة لحقوق رعايا
انكلاتيره فى هذه المملكة ومع وجود ذلك فتبديل تراتيب الحكومة الآن والرجوع
الى الكيفية القديمة بدون سبقية اعلام للدولتين الانكليزية والفرنساوية بمقصود
جنابكم يظهر منه فى السياسة انه فعل يدل على نقصان الاعتبار ولا شك فى عدم وقوع
ذلك من جنابكم مع دولتين حبيبتين وايضا يظهر منه انه غير صواب مع الدولة

الانكليزية

الانكليزية التي في شروطها الاخيرة صدقت امان الحكومة التونسية وصحبة الدولتين الى جنابكم توجب علي عدم الزيادة في المشاق الموجودة في حكومتكم بمطالب تشق في هذا الوقت ولكن واجبات خدمتي تلزمني ان أطلب منكم رسميا دوام الاصول المؤسسة عليها ادارة الحكومة وخصوصا اني اترك لجنابكم انتخاب الكيفية التي تظهر لجنابكم انها الاليقة ومناسبة لاجراء تلك الاصول والجنوس المتقدمة في التمدن ربما لزمهم في أزمان متعددة بدون أن يتعرضوا الاصول المؤسسة عليها قوانينها تبديل كيفية العمل بها وهذا الباب مفتوح لتونس اقتداء بالدول الاوروباوية الذين لاشك في فطنتهم وحكمتهم وهذا الامر يظهر لي انه سهل حيث ان التشكي الواقع من زيادة الاداء ومن تطويل المجالس في الحكم يمكن دواؤه بما تهنى به البلاد وترجع الى حالها الاصلي وهذا أعظم دليل على حسن خلق الرعية المستنتجة من هذه التراتيب لانه لم يوجد في تاريخ تونس مثل سيرة القبائل في هذا الزمن لما لهم من الشكايات وهم مقسطون على عاداتهم السابقة في سالف الزمن لكن لم يتعرضوا بسلاحهم الالاحقا ممن أداء ثقيل فوق طاقتهم اهـ ثم كاتب الوالي أيضا بما نص تعريبه في مايه سنة ١٨٦٤ *

الواضع اسمه أسفله يتشرف بتقرير ما يأتي وهو اني لما اعتبرت شأن الحال الغير المترقب الذي عرض لحكومة تونس رأيت من مقتضى الوداد أن لا أعطل سير عملها بما لا يقتضيه الحال ومع ذلك حيث لم يبلغني اعلام رسمي منكم بشرح كيفية مقدار التوقف الوقتي الذي وقع في قيود العمالة علاجا لامرها فقد وجب على الواضع اسمه أن يطلب التعريف في ذلك كما انه يجب عليه المحافظة بمقتضى هذا المكتوب على ابقاء ما حصل لدولة بريطانيا العظمى من الحقوق التي لا نزاع فيها بمقتضى شروطها مع علي جناب الباي محافظة متعلقة بما يمسها بمقتضى التوقيف الوقتي المذكور فالواضع اسمه يقرر للجناب أن تلك الحقوق معقدها الاعتماد العمومي وقد لزم شرح الاسباب المبني عليها تقريره وهو أن المرحوم سيدي محمد باي والجناب العلي أدام الله عزه لما أصدرا عهد الامان فهما ووزراؤهما والمفتون والقضاة وجميع علماء الشريعة الشريفة حلفوا يمينا وأكدوا يمينهم باستدعاء حضرة وكلاء الدول الاجانب بانهم يحافظون على الوفاء بعهد الامان بجميع شروطه وأبانوا أن عهد الامان جزء من شروط الشريعة الشريفة والعلماء الكرام المذكورون ورجال الدولة أشهدوا الله على صدق نيتهم في ابقائها على الدوام والاستمرار من يوم صدورها فصاعدا وأن دولة بريطانيا العظمى اعتقدت

على الوفاء والاعتقاد الذى لايمكن منه فسخ لعهد الامان بمقتضى هذه الايمان وعقدت مع على جناب الباى اتفاقا متعلقا بامور منصوصة فيه فينتج من ذلك ان الحقوق المسلمة لرعية الانكليز ولوازمها التابعة لتلك الحقوق بمقتضى الاتفاق المذكور معتمدها هو عهد الامان والقوانين الناشئة منه وبذلك صار حقا من حقوق الدولة الانكليزية يقتضى ان تطلع بسبب ذلك على حقيقة الحال فى شأن عهد الامان هل هو عامل بجميع شروطه أم لا وكذلك توقيف القوانين الناشئة منه هل هى معالجة وقتية ثم هل الحكومة التونسية مرادها ان تجرى فى المستقبل الاصول المقررة به على صورة مناسبة لحفظ مكاسب الانكليز فى العمالة التونسية وتأمينها والواضع اسمه يطلب بحرص واجتهاد لاينافى الادب والتواضع جوابا شافيا شارحا للاستفهامات المذكورة ليخبر بها دولة ملكته المعظمة وكذلك ان الواضع اسمه يبقى ويتحفظ على لسان دولته فى حقها على جميع الحقوق ولوازمها والكفالات التى أعطيت لرعايا الانكليز بمقتضى ماهى مبينة بالاتفاق المذكور ويقرر أيضا ان ذلك الاتفاق اتفاق عمومى لايخالف فيه من الجانبين اهـ واعاد الكتابة فى يوليه الموافق لاواخر صفر سنة (١٢٨١) ونص تعريب المكتوب الواضع اسمه أسفله نائب وقنصل جنرال حضرة المعظمة ملكة بريطانيا العظمى قد تشرف بمخاطبة الجناب العلى بمكتوب مؤرخ فى مايه سنة (١٨٦٤) طالبا منه الشرح فى شأن التوقيف الوقتى الذى وقع فى رسوم العمالة بسبب أمر غير متوقع وقد أبقى وحافظ على لسان دولته فى حقها على الحقوق التى يستحيل النزاع فيها الحاصلة لدولة المعظمة المالكة بموجب اتفاقها المعقود مع على جناب الباى بمقتضى عهد الامان والقوانين الناشئة منه وتوقيفها يمس الحقوق المذكورة وان الواضع اسمه لايمكن ان لا يحصل له فى النازلة شئ من الفكر لانه يرى انه مضى شهران ونصف ولم يتشرف من الحضرة برد الجواب عن مكتوبه ولمراعاة الحكومة التونسية لم تقع معارضة غير ضرورية فى سبيل اطلاق عملها واعطا الواضع اسمه أثناء الاذن بعد ذلك فى تقوية عهد الامان بسند مع ان دولة المعظمة المالكة لها اعتقاد بان عهد الامان لما كان مبنيا على شروط الشريعة الشريفة لايمكن نقضه الا بنقض نفس الشريعة ولم تتخيل ولا يخطر ببالها بوجه من الوجوه ان السادة الاجلاء المفتيين والمدرسين للشريعة الذين حلفوا يمينا على ابقاء عهد الامان ان يرضوا بان يشيع فى العالم مالا يناسبهم من وقوع الشك فى وفائهم بما عاهدوا عليه ومع ذلك دولة المعظمة المالكة ترى فى الامور المتعلقة باتفاق

عمومى

عمومي بينها وبين الحكومة التونسية أعظم اعتمادها دون الاعتقاد العمومي وهو صدق الباي ومحبته في اجراء العمل كما يجب بمقتضى الاتفاق المذكور فإن ذلك الواضع اسمه بر جوان على جناب الباي يتفضل بالجواب عن الاسئلة المبينة في مكتوبه المؤرخ في مايه وذلك لاعلام دولته بجواب مقنع فأجابه الوالي في ذلك التاريخ بأن عهد الامان باق على قوته ومفهومه فلو كانت الاهالي طلبوا ابطال القانون لما استطاع القنسل ان يسجل ضد الرأي العام فيما يرجع اليهم على انه قد صرح رسميا بما هو مطلوب بهم كما هو بين لمن تدبر عبارة مكتوبه وكذلك ما نسب الى قنسل الفرانسيس ولو كان امتناع الاهالي من القوانين موجودا لكان للوالي أعظم حجة في التعلل بدليل انه يحتج به في خلواته على من لا يقدر على معارضته ومن وقتئذ تسلطت أيدي العدوان على الاهالي بسلب الاموال والقتل والضرب بالسياط المؤدي الى القتل لان الوزير اشتد حنقه عليهم حتى دخل عليه أحد الاعيان يوما وهو يقول طلبوا دمي فلا أرضى الا بدمائهم طلبوا مالي فلا أرضى الا بأموالهم ولعل مراده بطلب دمه هو طلب عزله وقد اعتادوا في بعض الوزراء السابقين قتلهم فظن ان العزل يؤدي للقتل والانفس قتله لم يطلبه أحد أما المال فنعم قد طلبوا حسابه وأول باكورة بعد ابطال القوانين افتتح بها لاهل الحاضرة مع انهم هم وحدهم الذين بقوا خاضعين للحكومة الا انه كثر بينهم الكلام في انصاف مطالب الاهالي فجلد أحد أعيانهم المسمى محمد بن مصطفى عجم الشهير فيهم بالوجاهة بمجرد تهمته انه أغرى بعض غلمان القصر الاميري بالهروب فجلد خمسمائة سوط مؤلمة بحضور أحد خواص الوالي لاتقانها واكمال عددها وسجن مع الاعمال الشاقة في الكراكة ومنهم محمود بن سالم أحد الاعيان من التجار وأحد أعضاء مجالسهم ادعى الوزير انه اشتكى به اليه من جماعة المجلس وسجنه ومن أغرب الامور انه لما لاذ أهل المسجون بالوزير طالبين تسريحه أو بيان ما هو مطلوب فيه ارسل الى جماعته يسألهم ماهي شكواكم التي سجن بها الرجل فأجابوه ان جنابه أعلم بها منهم لانه اعتمدها حتى عاقب الرجل بالسجن كما حصل لرجال الحكومة اشياء منها انه حجر على الوزير اسماعيل السني الذي اعتمد في حل عقدة الثورة وعلى أمير الامراء رشيد الذي سافر بالعساكر الى الاستانة في حرب القريم وأمير اللواء الشريف السيد حسن المقرون الذي له اليد البيضاء في حفظ الراحة في الثورة في الحاضرة وحسين ورديان باشا وخمرف وعلي جهان ويونس الجزيري أمير لوا وحسن المدلجي أمير الاي والسيد محمد المقرون ومحمد بن الحاج

رئيس عساكر زواوة الذى جمعهم له عند عدم وجود غيرهم فى الثورة واعانه بما استطاع
فجبر على جميع هؤلاء فى الخروج من بيوتهم ومخالطة الناس لانه كان يوجس منهم
الاعتراض على التصرفات ثم قتل الاولين فى بضع دقائق من غير سماعهم لدعوى ولا
حجة ولا استشارة وارتجت البلاد لذلك وشنعت القناسل سيما الفرانساوى والانكليزى
* وسجلوا تسجيلا شديدا فكاتب الاول اى الفرنساوى الى الوالى بما نص تعريبه انى اتمم
خدمتى التى ساءنى اتمامها وهى اعلام دولة الامبراطور بالحادث الموجع الذى لوث
قصر باردو بالدم فان الفريق رشيد وزير الحرب كان رئيس العساكر التونسية فى حرب
القريم والفريق اسماعيل السنى صهر جنابكم وقع قتلهما فى القصر بمجرد تهمة لم
يقع اعلامهما ممن صدرت ومن غير ادنى وجه من اوجه الحكم فلم يتيسر لى السكوت فى
مثل هذا الامر وكان همى ان اقرر لجنابكم التأثير الذى لا بد ان يقع من ذلك وفى سيرتى
هذه سبقت اذن جناب دولتى التى استحسنت فعلى المذكور استحسانا تاما وان كنت
مأذونا باعلام دولة جنابكم واعلام حضرتكم العلية نفسها بالتأثير الذى وقع لجناب
دولة الامبراطور من قتل الشخصين المذكورين ولم تتوقف دولة جنابكم فى تحملها تلك
المسؤلية العظيمة كما انى مأذون ايضا بان اقرر لجنابكم التشويش الواقع من مشاق هذه
الاحوال التى لم تزل تعظم من سائر جهاتها (انتهى) وكتب الثانى اى الانكليزى
* للوالى ايضا بما نص تعريبه ان الملحوظات الشفاهية التى تسامح الواضع اسمه اسفل هذا
المكتوب فى عرضها على جنابكم فيما يتعلق بالامور الموجعة التى وقعت بقصر باردو فى
شهر التاريخ لا بد انها افادت جنابكم بانها صادرة من التأثر القوى الذى عندى فى شأن
همة جنابكم ومصالحكم وفى شأن التأثير الموجع الذى سيقع بانكلترة من ذلك ودولتى
لا توافقنى اذا ادعيت التداخل فى تصرفات الدولة الداخلية التى يظهر لجنابكم استعمالها
لحفظ الراحة العامة من مقاصد بعض الاشرار وبعد الشرح والتفصيل الذى تفضل به
جنابكم على لا يبقى لى شك فى وجود حجج كافية اظهرت لجنابكم توقع مقاصد موجهة نحو
ذاتكم العلية لاتلافها فى قصركم نفسه ولا شك بناء على كونكم كبير الدولة ان يكون لكم
الحق فى استعمال سائر الطرق اللازمة لحل تلك العقدة التى مؤداها اتلاف ذاتكم العلية
وتراب المملكة ولكن بسبب كون جنابكم هو شخص الدولة المرتسمة شرعا فمصلحتكم
تقتضى ضرورة انكم لا تسعوا الا باسم الشرائع وعلى مقتضاها فانها احسن ضمانة لكم
ولا يبعد عنها الا المتعدى عليها بفساده وبعد ان راضت نفس جنابكم وتأملتم فى الاحوال

لاشك

لاشك انكم تحققتم ان الخطر الحال الذى كان فيه جنابكم لم يكن حجة كافية فى قتل فريقين من دولتكم لان فى تباعدكم عن طريقة سيرتكم المعتادة بعدا عن القواعد السالمة المرتسمة فى القوانين التى منحتم بها بلادكم وهى وان توقفت بالضروب الموجبة الخارقة للعادة فانها لم تزل موجودة مع ان دولتكم مطلوبة بالشروط المنعقدة بينها وبين بريطانيا العظمى وجنابكم معترف بهذه الحقائق غاية الاعتراف لانكم لم تتوقفوا فى اقراركم الرسمى بانكم تحترمون القواعد المذكورة وذلك بمكتوبكم لمسيو اوود المؤرخ فى (١٨) اغسطس واستنطاقكم عن مدة توقيف القوانين وقد حصل لى سرور لما حقق لى جنابكم بانه لا يقع فى المستقبل مثل هذه الامور الموجعة التى وقعت واعيد القول لجنابكم انى لا اتداخل فى البحث عن جرم الجناية التى يمكن ان الشخصين المذكورين ارتكباها الا ان انسانية جنابكم التى كثير من ادلتها كافل لى بان جنابكم كان متحققا بانهما قتلا على حق ومع هذا التحقق كان يود ان كيفية الحكم تكون على الصورة التى تقتضيها القوانين دفعا لما عسى ان يتهمكم به اعداؤكم فان جنايتهما لم تثبت ولا يوجد شك فى مساعدة ان القوانين هى أقوى الضمانات التى تستند اليها الملوك كافراد الناس وقد رأينا فى كل وقت ان كل من [illegible] يستعمل القوة المادية فى تصرفه يكون سببا لاعدائه فى أن يعملوا معه كذلك مقتفين آثاره وأرغب من فضلكم المسامحة فى هذه المحوظات فانها لم تقصد الامور والاحوال التى فاتت لسوء البخت ولا يتيسر لاحد اصلاحها وانما المقصود بها الطلب من فضل جنابكم أن تتذكروا ان بلادكم لم تبعد كثيرا عن أوروبا وانها اذا لم تتقدم مع تقدم العصر فان قواعد التمدن المتداخلة فى كل مكان تعمها ولا يتيسر التصرف الآن كما كان فى زمن الجدود لان كل عصر له احكامه وأحكام هذا العصر لا تقتضى ان الحكم الذى سيقع على الاسرى الذين لم يزالوا فى العسكر ان الامير يتصرف فيهم بما عنده من القدرة ويرى ان الحق له فى التأمل بذاته فى نازلة شخصية بل يلزم توفية حق المتهمين لدى مجلس وانه يسمع مقالهم ويخاصمون على انفسهم ويبرؤون انفسهم من التهمة الموجهة عليهم فاذا أثبتت جنايتهم فالقانون يحكم وبهذه الكيفية تستحفظون على همتكم ولا تأخذون من القانون الا الرفيع العالى فى حق الملك وهو العفو عن المحكوم عليه (انتهى) ثم جمع الوالى جميع رجال الحكومة وأخبرهم وابلى فى ذلك اليوم الوزير خير الدين البلاء الحسن بقوله القرائن التى ذكرت لا تثير لوثا فضلا عن القتل ثم على فرض صحة التهمة فبعد ايقافهما كان الواجب اقامة الدعوى عليهما وسماع

بجوانبها عليها الى غير ذلك من الاعمال الواجبة وغاية الحجة فى قتل الشهيدين هى التهمة باعانة أخ الوالى محمد العادل باى على الهروب مع انه لم يذكر فى معرض الاحسان معه الارشيد اولم يعرج على اسماعيل بشئ ورشيد نفسه لم يسمع الدعوى ولا قامت عليه حجة وادمج فى اثر ذلك نفى جميع من تقدم ذكره وكان فى اثناء ذلك الوزير حسين خارج المملكة لما توقع من عظم كربها بعد تسليمه فى جميع وظائفه فتحامى الحق غيره ولحق به الوزير رستم فلم يبق من يعترض على التصرفات من رجال الحكومة وأما أهالى بقية القطر فقد أحيى فيهم ما دثر خبره ونسى ذكره من تسليط الحزب الحسينى على الحزب الباشى الى ان خضدت شوكته ولصق بالارض ثم كر على هذا الحزب أيضا ولحق بصاحبه فعاثت أيدى الاول بأهل الساحل وقتلوا النساء والصبيان مع معسكر الوزير أحمد زروق الموصى بالنكال وأحدث فيهم ما تقشعر من سماعه الجلود من قتل أربعة من رؤس الساحل حكما هنالك ولما أتى أهل المجلس الشرعى بالمستير لرئيس العسكر أحمد زروق قابلهم بعسف واحكم الاغلال والقيود فى أعناقهم وارجلهم وأمر بازالة عمامة رئيس المفتين بلفظ مستهجن وعامل وفد صفاقس بما يقرب من ذلك وسجن القاضى وحكم ايدى النهب فى الجميع وقد رايت بخط الوزير الكاتب لاسرار الولاية فى معرض ما حصل من أحمد زروق ما نصه وبالجملة فجميع ما ينسب فى هذه الوجهة لاحمد زروق انما هى نسبة تنفيذ لانه مقيد التصرف بما يرد اليه فى الامر فى كل نازلة الخ مما يصدق نسبة ما ذكرناه الى صاحب التصرف وان كان أحمد زروق تفاخر بما صنع حتى رآه بعض رجال الحكومة الكبار داخلا الى جامع الزيتونة وهو لابس لنعله وقد جرى العمل باحترام الجوامع بعدم دخولها بالنعال فقال له فى ذلك فأجابه بمرأى من الناس ومسمع بقوله لولاى ربطت فى هذا الجامع خيل أهل الساحل مع ان أهل الساحل معلوم اسلامهم وعلى فرض منعه المسجد من ذلك لا يسوغ له ذلك جواز اهانته وهذا الرجل أعنى أحمد زروق لم يزل مقربا عند الوزير خزنه دار الى ان انفصل عن التصرف ومن تصرفاته فى تلك الوجهة انه فلس الشيخ محمد الصويلح رئيس الفتوى بالاعراض وغرم أهالى تلك الجهات أموالا كثيرة افنت الطارف والتالد وبقوا فى قيد ديونها المثقلة للاجانب الى هذا الوقت بحيث يصح أن يقال ان جميع ما يمكن ان يباع قد بيع وما لا يباع كالاوقاف وجميع ما تحصل من كسب أبدان أهل الساحل كله دفع للاجانب بسبب ديونهم ولو افردت نازلة الساحل وحدها بتأليف لجاء مستكملا لا زيادة على القتل والسجن مع الاعمال الشاقة

وضرب

وضرب السياط الموجع أو القاتل حتى ان الوزير خزنه دار المذكور لما رأى خروج الضرب عن حده فى السيد الشريف على بن عمر من أهل مساكن مع من أتى معه الى محل حكم الوالى أظهر الشفقة وأرسل الى الاعوان وقال لهم ان سيدنا أمر بضرب هؤلاء لا بقتلهم فان للقتل آلات تخصه وانما أسند الامر للوالى لان ذلك هو دأبه كما تقدم من عدم مكافحته لاحد بما يوجعه ويسند جميع الاعمال للولاة وأما جهات القطر الآخر التى سافر اليها العسكر تحت أمر الوزير رستم فلم يقع بها من المضرات ما وقع بالاولى لانه اقتصر على مجرد قود الطاعة واستخلاص المال الممكن للاهالى وعمل بالمثل القائل ولى أذن عن الفحشاء صماء عن الاوامر التى ترد عليه فى سلب اللحم بالعظم ومن ذلك التاريخ حصل تغير الوزير خزنه دار عليه لما ذكر مع تعرضاته لتصرفات العمال على غير الوجه المعقول وكذلك العسكر الذى سافر تحت امرة ولى عهد الولاية أمير الامحال أبى الحسن على باى فقد اقتصر فيه على مثل ما ذكر واستعطف أخاه فى العفو عن كثير من رؤساء تلك الجهات وانكرت عليه تلك السيرة ممن يريد الخراب حتى أرسل معه ابراهيم ابن عياش الرياحى قائد ريد وأمر أمير الامحال باتباع اشارته وتنفيذ أمره لكى لا يجد الامير سبيلا للاعتذار عن الناس مع ما هم فيه من الفقر وضاق الخناق بسبب ذلك بين جذب ودفع لما فى طبع هذا الامير من النفرة عن تلك السيرة وكان ذلك سببا للوشاية به لاخيه واتهم مستشاره المقرب محمد الطاهر الزروش باذية الاهالى ونسب اليه بعض ما صدر من ابراهيم بن عياش المذكور والحال انى رأيت بخط كاتب اسرارهم الوزير أحمد بن أبى الضياف المذكور فى وصف المستشار المشار اليه ما نصه واعتمد باى المحلة فى الوساطة بينه وبين الناس وحمدت بذلك سيرته الخ وذلك هو المعروف عند السكان فى الثناء على أعمال المستشار وتوصل الوزير خزنه دار بما تقدم الى ابطال سفر الامير المذكور بالعسكر على عادة اسلافهم واستعوض عن ذلك بسفر أحمد زروق المذكور ثم ان مارقعه كل من الامير على باى والوزير رستم قد خرقته أيدى العمال والبعوث التى وجهها الوزير خزنه دار وأتى باعيان من قبائل الجهات الغربية والشمالية يبلغون نحو المائتين وأغلبهم كان فى خدمة الطاعة والموافى قود الاهالى وارجاعهم للسكون البلاء الحسن ولا ذنب لهم الا كسبهم وأوقفوا فى صحن البرج من قصر الحكومة بباردو وخرج لهم الوالى وخاطبهم بانه لولا شفاعة الوزير لامر بقتلهم وليته لم يشفع لانه أى القتل أهون الموتتين ثم حكم عليهم بالجلد بالعصا ورأيت بخط الوزير الكاتب المذكور فى قصة هؤلاء

الرهط الذين منهم الشيخ الهرم المنسوب الى الصلاح الحاج مبارك صاحب زاوية تاله مانصه فتقدمت مردة العذاب الى ما كرم الله من أبدان بنى آدم يكبون الواحد على وجهه ويسحبونه على الارض موثوق اليدين والرجلين ودام الضرب فى أولئك المساكين يومين أو ثلاثة برأى ومسمع وفى خلال أيام الضرب قدم ابن عم الكاتب الكاتب رسائحا فلم يقع الضرب يوم قدومه خشية وقوع الشفاعة منه عند مشاهدته تلك الحالة الفظيعة الشنعاء ولما تم الضرب باعداده واتقانه سجنوا بسلاسلهم وأغلالهم ومات منهم بسبب الضرب الذى لا تتحمله القوى الحيوانية على بن عباس شيخ تاله وخرجت روحه قبل كمال عدد الضرب فكملوا العدد بضرب شلوه وهو ميت ومات بعد الضرب الحاج مبارك شيخ الطريقة بتاله المار ذكره ولم يسمع منه حالة الضرب الا قوله يا ربى يا ربى الى ان أغمى عليه والحاج صالح بن النايلى من بيوت العراشيش وغيرهم وعدد من مات بالضرب فى أقل من عشرة أيام ستة عشر رجلا اه كلامه باختصار وسجنت خلائق مع الاعمال الشاقة ومنهم على بن غذاهم بعد تأكيد الامان اليه وقدومه مع ابن القطب الصالح سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه وبقى فى حبس مظلم ندى الى ان مات وكذلك كثير ممن سجن ولا يمكن احصاؤهم وفشا الخبر فى الآفاق واستفظعه من سمعه حتى ان نابليون الثالث امبراطور الفرانسيس اثر رجوعه من الجزائر الثورة وقعت فيها ومهدها بالطف وتحبب للاهالى بسعيه بنفسه وكان ذلك فى أثناء الهرج بتونس خطب عند رجوعه وذكر أسباب ثورتهم من جهلهم بما يراد منهم وعدم سلوك الطريقة المناسبة لوصولهم وأثنى على عساكره ثم قال وبعد الحرب واطفاء الثورة لم يقع منا انتقام ولا شدة ولا ما ينقص فخر النصرانية وكان الدولة الاسلامية لم يبلغها الحال الذى لم يزل شبهه الى الآن مع نص الفرمان المخالف لذلك ومع هذا التعذيب فى الابدان فقد اتى على أموال الاهالى عن آخرها ولم يبق للبلدان والقرى وقبائل العرب شئ مما يسد العوز ومن كان له أدنى شئ من القوت كان يخفيه ويرسل نسوانه لالتقاط العشب وعروق الاشجار لقوتهم ولقد ذكر لى أحد بيوتات دريد انه كان يرسل نسوته اللائى لم يعهدن التطوف فى البرارى لجلب عروق الترفاس وينشره على ظهر بيته ليراه أعوان العامل ويطبخ الا القمح فى الماء من غير طحن لكى لا يسمع الناس حس الرحا فيتهموه بالمال وذكر لى أحد الثقات من التجار انه كان يوما جالسا عند ابراهيم العامل المذكور وهو يوصى نائبه العازم على السفر الى القبيلة ويحرضه على خلاص المال فاجابه النائب بانه يعمل غاية جهده بحيث يبيع كل ما يجد فمن وجد

عنده نجمة باعها ومن وجد عنده عنزا باعها ومن ومن الى ان قال وفى أقرب وقت تخلص مال الدولة ونرجع فحنق عليه ابراهيم ووبخه وقال ان مال الدولة لا يضيع وانما القصد مال الوزير فقال له الحق معك هو مقدم وذهب على ذلك العزم هذا كله بعد تأكيد الامن الذى خدع الرعية بالكتابة والكلام فزيادة عن الظلم هو شين على الخائن وقد ذكر الوزير حسين قبل خروجه من القطر الوالى بامانه عند قدوم أهل الساحل طائعين فحنق عليه واجابه بما يكره مع وجوب الوفاء بالعهد عقلا وشرعا وما كفى الناس ما هم عليه من الفقر المدقع او المظالم التى لم تعهد اذ دهمهم الجوع والقحط المتسببان عن حبس المطر لكثرة الظلم وعن فناء الاموال التى تعمر بها الارض فى الفلاحة واشترك فى العسر حتى أهل الحاضرة لاتساع مكاسبهم لمكاسب بقية أهل القطر فاقبلت أفواج الاقوام تراهم من كل حدب ينسلون متوجهين الى الحاضرة والمدن وما وصل اليها الا القليل لفشو مرض الحمى الخبيثة فيهم وكان مرضا مستوبيا أفنى خلائق لا تحصى وبقيت أكثر جثثهم فى الفلاة للوحوش بعد ان افنت منهم الكواسر اعدادا وافرادا من ساعده الاجل ووصل الى الحاضرة مات منهم أكثرهم فى الطرقات ثم انتدب أفراد من أهل الحاضرة لاغاثة أولئك المساكين وعقدت لهم جمعية برأسها المقدس سيدى حسين الشريف نعمه الله وأذن الوالى فى عقدها وجعلوا يجمعون المال من الاهالى كل على حسب استطاعته على حالة ضعفهم الحالى الشديد التى كادت ان تلحق كثيرا منهم بأولئك الوافدين المساكين وشمرت الجمعية عن ساعد الجد وخففت بعض الضر بالقوت والمسكن وان كان المرض تمكن منهم وصاروا الى حالة ضعف لا توصف وفشا فيهم الموت الى ان صاروا يرفعون خمسة فادون فى نعش واحد رحمهم الله وقد كنت كتبت لصديق وهو غائب بوصف الحالة فى القطر عندما طلب منى ان أرسل اليه نسخة من ضرب مثل للحالة المذكورة فى القطر التونسى واصور ذلك بصورة واقعة تاريخية مما ينسب لرؤيا رآها بعض ملوك المانيا فى القرون المتوسطة ونصها رأى بعض ملوك المانيا فى القرون المتوسطة من تاريخ المسيح عليه السلام رؤيا فهاله أمرها فبحث عن معبر يعبرها له ﴿وهو عندهم المنجم لان أصحاب التنجيم هم الذى كانوا يدعون معرفة علوم الحدثان﴾ فحضر المعبرين بين يديه وقال له الملك انى رأيت البارحة فى المنام ما هالنى أمره ولا يبعد شأنه عندى من منام فرعون فى مصر فى ايام يوسف الصديق عليه السلام وذلك أنى رأيت ثلاثة جرذان مجتمعة فانتبهت أولا قبل استكشاف حالها ثم نمت ثانية فرأيت جرذة من تلك الجرذان على غاية

من الضعف والهزال بحيث ان سائر ضلوعها بادية ولا تستطيع الثبات على رجلها ورأيت الجرذ الثاني على غاية من السمن يترعرع في مشيه ترعرع الفتنة ثم تأملت الجرذ الثالث فرأيته أعمى من كلتي عينيه لا يبصر بها شيئا فانتبهت ثم غمت الثلاثة فرأيت الجرذان الثلاثة معا على تلك الحالة فالسمين يقود الاعمى والاعمى يقود الهزيلة فانتبهت وهم يتقاودون فافتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون فاجابه المعبر بقوله سيدي ان رؤياك أشهر من ان تعبر ولكنها تكتب وتسطر أما الجرذة الهزيلة فهي مملكتك والسمين هو وزيرك والاعمى هو أنت أيها الملك يقودك وزيرك الى ما فيه صلاح نفسه وتقود أنت رعيتك الى ما فيه هلاكك وهلاكهم انتهى وكتبت الى صديقي في ذيلها ما نصه هذه حال رؤيا القرون المتوسطة أما رؤية حال القرون الاخيرة * في هاته الحضيرة * مما دهاها من النفوس الشريرة * فهي سنو يوسف عليه السلام التي كانت تعبير الثلاث الرؤيا * على ما فيها من البلاء * فلو رأيت ما عليه القرار * لملئت رعبا ولوليت منه الفرار * من ذئاب تغتال * وثعالب تحتال * مجتهدة في قلب الرجال * وتشتيت الرجال * وثعبان شاغرفاه لابتلاع الاموال * فيا لها من حال يرثى لها من رام النزل * وتخر لشدتها شامخات الجبال * افتضحت فيها ربات الحجال وهوت الابالة الى الزوال * وتمكن من القلوب الزلزال * وتقاربت الآجال وانقطعت الآمال * وعدا الصلاح من الخال * فقد فاز من نهض بنفسه * واستراح من فتنة باطنه وحسه * اذا الآيات وردت على ذلك ناصة * فقال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة * ففاز المخففون * وابتلى المتأهلون ووالله العظيم * ونبيه الكريم * طالما نهضت عزائمي الى الترحال * فاثقلتني قيود العيال * مع ما انا عليه من الوحدة عن أخ شقيق * أو قريب يخلفني فيهم عند الضيق ولم استطع الخلاص بكلي * لما يخفي مما يثقل كلي * وأقسم بالقرآن * وصفات الرحمن * انني عرضت للبيع أملاكي * لاتخلص بها من اشراكي * واستعين منها بالاثمان فلم أجد من يصرف لهذا الوجه عنان * ولو من أعيان الاعيان * فالناس حيارى في الاقوات * تائهين في جلب الضروريات * يكادون من القحط ان يأكلوا الحديد * ويقولون هل من مزيد * وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد * الى غير ذلك من زفرات تتصعد * وجمرات تتوقد * وانين بقوارع الطريق * وصياح على الابواب ونعيق * وضجيج بالاسواق * حتى خالها قد التفت الساق بالساق

بالساق * فلا تسأل عن القلوب * وما دهاها من الخطوب * بل قد فوضنا الامر الى علام الغيوب اهـ ومع تلك الحالة فى الاهالى فغاية ما رحمهم به الوالى من الخزنة خمس عشرة ألف ريال وله العذر لانه كثيرا ما باتت أتباعه بل قيل عائلته طاوية الى بعد نصف الليل حتى يرسل وزيره أحد أعوانه الى حيدة بن عياد المكلف بعمل الخبز ليستقرض ما يمكن ان تتعشى به عائلة الوالى والوزير غاية ما تكرم به على أولئك المساكين سبعة آلاف ريال وان كان سيدى حسن الشريف الح عليه فى اعانة المصابين مرارا فيعطيه من خزنة الحكومة كما انه فى هاته الشدة ابلى البلاء الحسن كثير من الاهالى والاجانب سرا وعلنا وقاموا بكثيرين قوتا وكسوة وسكنا ودواء واطباء جزى الله الجميع بفضله وفى أثناء المدة هرب العادل باى أخو الوالى الى جبل باجه حيث كان أهله اذ ذاك ثائرين بعد ان نسى مثل ذلك فى البيت الحسينى منذ نحو مائة سنة وسبب ثورته الضيق الحالى الذى حصل له من تعطيل مرتبه ومثله سائر آل بيته واذ ذاك اضطر ولى العهد الى اعادة سفره بالعسكر فارجع أخاه وقاد الطاعة ثم أعيد ترك سفره هذا وبينما كان القطر على هذا الحال فالاموال المستخلصة لم تكف وجعلت الحكومة تستقرض من أوروبا قرضا بعد قرض فاول استقراض كان خمسة وثلاثين مليونا لاستهلاك الدين السابق الذى قدره تسعة عشر مليونا ولم يزل باقيه لم يستخلص الى أن تشكل الكومسيون الآتى بيانه وهكذا كل قرض يدعى فيه مثل ذلك ويبقى الاصل على ما كان واشترى من تلك الديون بوابور حربية باضعاف قيمتها بلغت أكثر من سبعة سفن منها فرقاطة سميت بالصادقية أصلها كرويت فزيدت فيه طبقة وصار شكلا مضحكا لارباب ذلك الفن وقد شاع عند الخاصة والعامة ان القصد من شراء تلك السفن وغيرها مقاسمة الارباح من الوزير مع أصحابها ثم بما يستفاد من القرض وقد بيع بعض ذلك الاسطول بثمن مؤجل واكترى بعضه باصلاحه وذلك عند عجز الحكومة عن القيام به بعد شرائه بنحو أربع سنين فأفلس المشترى والمكترى وذهبت السفن وثمنها المتجاوز خمسة عشر مليونا فرنكا سدى مع ان أصل شرائها لا حاجة اليه سوى تحصيل الربح من ثمنها والربح من الاستقراض لدفع الثمن وشاهده ما وقع فى شراء مائة مدفع مسدسة بمليون فرنك فلما أرى السمسار صك الاتفاق الرسمى للبائع الذى باع تلك المدافع بثلاثمائة ألف فرنك تعجب البائع من فحش التباين بين الثمنين فأجابه السمسار بان وزير تونس أراد ان يربح خمسمائة ألف فى هذا البيع وانا لا نقدر على منعه واستحق مكافأة بصالح حكومة تونس فربحت أنا أيضا ما زاد على ذلك هكذا فشا الخبر ولما

قدم ضابطا فرانساوي باستدعاه للتأمل في سلامة ثلاث المدافع فوجدها بدون المائتين ألف فرنك لانها غير سالمة وبقيت ملقاة على الارض بلا فائدة وبأمثال ذلك ربح السماسرة في الاستقراضات وفي الشراءات ماصاروا به أغنياء حتى ان أحد أهالي الشام المسمى برشيد الدحداح الذي انتقل الى فرانسا وصار فرانساويا بتوسط بوماثر لان يخدم في حكومة تونس راضيا بمرتب قدره ثلاثة آلاف وخمسمائة فرنك أي ستة آلاف ريال في السنة قد رجع الى باريس بعد ثلاث سنين أو أقل وبنى بها قصرا بهياشا مخا ورأيته في أعز حارات البلدة وهي قرب شانزيلزي وأخبرني أحد الثقات هنالك ان ثروة الرجل التي يخوض فيها بكسبه الخاص نحو خمسة ملايين فرنك حتى تصدق على احدى معابد النصارى بستين ألفا فرنكا كل ذلك من تعاطيه السمسرة للوزير المذكور ومثل ذلك القائد نسيم المار ذكره مع زيادة ربح ما يسقطه الطالبون من الحكومة لانه يسوف أصحاب المرتبات وغيرهم ممن يطلب المال حتى يسقط له مقدارا مما يطلبه ويصحح في الحجة انه قبضها كاملة وتفاقم الامر أواخر المدة الى ان بلغ الاسقاط أحيانا الى ثلاثة ارباع المطلوب والوزير لا يقبل فيه الشكاية ولما خشي القائد نسيم في أثناء الثورة العامة على نفسه مرجه الوزير الى أوروبا من غير أن تعمل معه الحكومة حسابا ومات في بلد قرنه من ايطاليا وأرادت الحكومة التونسية بواسطة الكومسيون الآتي ذكره فصل مطالبها من ورثة المذكور بالتراضي من غير خصام وجنحوا هم أيضا الى ذلك وبينما العمل جار في ذلك فاذا بالوزير خزنه دار جلب أعيان الورثة الى بستانه وهم موشي شمامه وناتان شمامه ويوسف شمامه وعرض على كل منهم كتابين أحدهما يتضمن اعطاء خمسة في المائة للوزير خزنه دار مما يصح لهم من الارث والثاني يتضمن ابراء عاما للوزير المذكور مما عساه أن يطالب من جهة نسيم فامتنعوا من الامضاء على ذلك وتخلصوا بطلب مهلة للتروي وهرب موشي الى قنسلات فرانسا ويوسف وناتان الى قنسلات ايطاليا وأرسلت الحكومة محمد البكوش مستشار الخارجية والمترجم الاول بها كونتي والقابض لياه شمامه الى سؤال المذكورين عن سبب هروبهم فاجابوا بما ذكر من مطالب الوزير خزنه دار وكان ذلك بمحضر من القناسل وكتب التقارير في ذلك موجودة بالوزارة والقنسلاتوا ولذلك سافر الورثة قبل فصل النازلة ووجهت الحكومة لتحرير الحساب والخصام معهم الوزير حسين ودامت الخصومة نحو تسع سنين ولا زالت الى الآن منشورة ولما تفاقمت الديون في أوروبا وعلموا ان القابض يستقرض اضعافه كل مرة لاجل خلاصه امتنعوا من الاقراض حتى جعلت

رسل

رسل الوزير يرددون كل باب لذلك ولم يحصلوا على شئ حتى ان الياس مصلى المستشار الثانى بوزارة الخارجية ذهب لمثل ذلك وأحدث لمصاريفه تذاكر وسندات على المالية باسم الحامل وطفق يبيع منها المائة بخمسة فرنكات وترتب على الحكومة بذلك أزيد من المليونين فرنكا لاجتناب أصحاب الاموال من ضياع أموالهم ولذلك عدل الوزير الى الاقتراض من الاجانب المقيمين بالحاضرة على أخذ كل منهم رهنا فى يده يتصرف فيه من مداخيل الحكومة وهى المسماة باستقراض الكونفرسيونات واستعان فى تصرفاته فيما يرجع الى ذاته ولو من وظائف الحكومة بولده الاكبر واستغنى به عن السماسرة ومخالطة بل واشتهر انه شاركه فى استلزام بعض مداخيل الحكومة وفى التجارة فى رقاع أموالها ورقاع الدول الاجنبية حاى الصباغ أحد تجار اليهود كما داخله وقيل انه شاركه فى عمل الخبز وقبض اعشار الحبوب وصرفها وغير ذلك من موارد مصاريف الحكومة أميرا للواحميدة بن عياد وولاه على عمل ابن زرت وأطلق له التصرف بعد ان كان الوالى وأخوه من قبله يجتنبونه فى الولاية لما استقر فى النفوس من مظالم محمود ابن عياد وأغلب عائلته ولان حميدة المذكور محتم بالانكليز فلا تناله الاحكام ومع ذلك فان حميدة المذكور لم يضر بالرعية وفيه جهة للرفق وأعان اهالى ابن زرت على مساعيهم باقراضهم المال والحبوب ولم يجحف بدافعى الاعشار ولا بقابض الحبوب وعامل أهل العلم معاملة حسنة واقتصر فى الارباح الوافرة على ما يربحه من الحكومة مثل الربح من عمل الخبز فانه تبين بمقتضى الحساب الذى جعله الكومسيون أى اللجنة المالية فى السنين التالية بعد خروج العمل من يد المذكور ان أرباحه كانت تقرب من الخمسين فى المائة ثم لما رأى الوزير عسر خلاص أموال الحكومة لفقر الاهالى وتكاثر الطلب من الاجانب لاموالهم نقل وزارة المال بالاسم الى الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور باش كاتب لكى يتحمل المصاعب ويبقى متحملا للقضاء بلا كره ولا رضا والاموال يرسل اليها ابن الوزير اعوانه ليخلصها من العمال باسماء مختلفة منها شراء مطالب من له مطالب على الحكومة مالى سواء كان من الطوارى أو المرتبات ومنها انواع تذاكر باعداد من المال يؤمر فيها وزير المال بدفع ذلك القدر الى محمد بن الوزير فى مصالح على يده من غير بيان وكانت ترد تلك التذاكر مكتتبة الى وزير المال ليختم على جريدتها لترسل لامضاء الوالى فلم يكن فى وسعه الا الامضاء من غير ان يعلم شيأ من تلك المصاريف وذلك معلوم عند الجميع ولذلك لم يعرج على طلب وزير المال بشئ الكومسيون المالى على ان ما يمكن ان يرسله

العيال الى الحكومة ليسكت به الاجانب أصحاب الديون كانت تتخطفه أعوان الوزير خزنه دار من الطرقات حتى وقعت خصومات شديدة من الاجانب في مثل ذلك ولما كثر القيل والقال من الاجانب في خراب القطر ووقوف حاله وانه تلزم مساعدة الحكومة للاهالى لرجوع شئ من رمقه كان الوزير خزنه دار يقول لخواصه عجبا لهؤلاء القوم أفأنا المطلوب بابطال العرب للفلاحة أليسوا عارفين بكيفية الحرث والارض موجودة فما منعهم عن ذلك كأنه لا يعلم السبب لكنه أراد اسكات الاجانب فاعطى الى الكنت صانس الفرانساوى أربعمائة ماشية أرضا أى نحو أربعين ألف وستمائة هكتار بحساب كل ماشية مائة واثنان وتسعون حبلا والحبل خمسون ذراعا ويكون اعطاء المواشى مدرجة على أربعة اقساط ومن شرطها أن تكون قابلة للزرع والسقى وان تعفى من جميع الاداآت التى بواسطة والتى بدون واسطة فى جميع ماينبت فيها ومايربى من الحيوانات ونتائجها ولزم بسبب ذلك الحكومة مشاق سيرد تفصيل بعضها كما منح لجنة انكليزية احداث طريق حديدية من تونس الى حلق الوادى ومنح لجنة طليانية صيد نوع من السمك كبير يسمى التن فى مصيده بالمنستير ومنحها أيضا معدن جبل الرصاص واكترى لها أرضه المسماة بالجديدة التى حصلت فيها الخصومة المشار اليها عند الكلام على سياسة القطر الخارجية ونشأ من كل منحة مما ذكر ناسبها من الصعوبات القاضى بها عدم الفائدة وعدم اتحاد الحكم وزادت المشاكل بكثرة الديون وعدم المال وروج فى القطر سكة من النحاس كل قطعة منها بثمن ريال وكان مقدار ماروجها فيه يبلغ اثنى عشر مليونا ريالا وعظم الخطب لامتناع الاجانب من قبولها فى أثمان سلعهم وديونهم العامة لاهل القطر وبلغ سعر الصرف الى أن المائة ريال فضة تصرف بنحو ثلثمائة ريال وبلغ سعر الويبة من القمح الى السبعين ريالا بتلك السكة وبعد انفاق ماضربته الحكومة منها واشتداد الحال أنزل قيمة السكة النحاسية الى أصلها حقيقة وهو الربع مما انفقت به فصار نصف الريال ثمن الريال وضاعت على الاهالى تسعة ملايين سوى مازاد على ذلك مما جلب من نوع تلك السكة خفية وأكثر ما أصيب بالخسارة أهل الحاضرة فكانت قسطهم من غرم المال ولما بلغ الحزام الطيبين شدد الاجانب فى طلب ديونهم ووفائضها وقطع القنسل الفرانساوى الخلطة مع الحكومة ثم استرضته واستقر القرار على تشكيل لجنة مختلطة من الاهالى والاجانب وسميت بالكومسيون المالى ونص الامر الصادر فى ترتيبه ﴿أما بعد﴾ فقد اقتضى نظرنا لمصلحة مال مملكتنا والرعية والمتجر ان ترتب

كومسيونا

كومسيوناماليا على صورة الامر الصادر فى الرابع من ابريل من العام الفارط المؤكد بامرنا المؤرخ فى التاسع والعشرين من مايه الموالى للشهر المذكور على الكيفية الآتية ﴿الفصل الاول﴾ الكمسيون الذى صدر به أمرنا المؤرخ فى الرابع من ابريل سنة ١٨٦٨ يجتمع بحاضرتنا فى مدة شهر التاريخ ﴿الفصل الثانى﴾ يقسم الكومسيون المذكور الى قسمين متميزين قسم للعمل وقسم للنظر والتصحيح ﴿الفصل الثالث﴾ قسم العمل يركب على الصورة الآتى بيانها وهى عضوان من متوظفى دولتنا نسميهما نحن أنفسنا وناظر مالى فرانسيس نسميه نحن أنفسنا أيضا بعد تعيينه من طرف دولة جناب الامبراطور ﴿الفصل الرابع﴾ قسم العمل هو المكلف بحصر المداخيل التى يتيسر للدولة أن تخلص بها ذلك ﴿الفصل الخامس﴾ قسم العمل يجعل دفترا فيه يقيد جميع الديون المنعقدة خارج المملكة وداخلها وهى التذاكر المالية ورقاع سالفى عام ١٨٦٣ وعام ١٨٦٥ وأما الديون الغير المحصورة بكنتراتوات فعلى حاملى تذاكرها ان ياتوا بها فى خلال مدة شهرين وكذلك يسعى قسم العمل فى الاعلان عن ذلك فى جرنالات تونس واوروبا ﴿الفصل السادس﴾ مهما أراد قسم العمل الاطلاع على جميع الحجج الصحيحة المتعلقة بالداخل والمصاريف فان وزارة المال تجيبه الى ذلك حق الايجاب ﴿الفصل السابع﴾ بعد ان يقع حصر مداخيل الدولة ومقابلتها بجامعة المصاريف مزادا عليها مبلغ الدين يبحث قسم العمل عن توزيع المداخيل العمومية على وجه الانصاف باعتبار جميع الحقوق على طريق العدل وكذلك يجعل تجريدة المداخل التى يمكن زيادتها على جميع الضمانات السابق تعينها لارباب الديون ﴿الفصل الثامن﴾ لقسم العمل ان يجعل جميع التأويلات والتراتيب المتعلقة بالدين العمومى ويمده بكل ما يلزم من الاعانة لانفاذ ذلك الانفاذ التام ﴿الفصل التاسع﴾ قسم العمل يتولى قبض جميع مداخيل المملكة من غير استثناء ولا يسوغ اخراج تذاكر مالية من أى نوع كان الا بموافقة القسم المذكور على ذلك بعد التفويض اليه فى ذلك من قسم النظر والتصحيح واذا اضطرت الدولة لعمل سلف فلا يسوغ لها ذلك الا بموافقة القسمين وجميع التذاكر التى تخرج فى مقابلة المبلغ الذى يعينه الكومسيون لمصاريف الدولة تكتب باسم الكومسيون ويمضى عليها قسم العمل وقدر هذه التذاكر يلزم ان لا يتجاوز المبلغ المحدد فى قائمة المصاريف ﴿الفصل العاشر﴾ قسم النظر والتصحيح يتركب على الكيفية الآتى بيانها يعنى من عضوين فرانسا وبين ينوبان عن حاملى رقاع سالفى عام ٦٣

وعام ٦٥ ومن عضوين انكليزيين وعضوين طليانيين ينوبان عن حاملى رقاع الدين الداخلى وهؤلاء الاعضاء يكونون بوكالات مخصوصة من قبل حاملى رقاع السالفين وحاملى كونفرسيونات ممكتتاو يصدر لهم اعلان فى ذلك منا تحت نظر قسم العمل

﴿الفصل الحادى عشر﴾ قسم النظر والتصحيح له الحكم فى جميع تصرفات قسم العمل وهو المكلف بتحقيقها وبالموافقة عليها عند الاقتضاء وموافقته ضرورية حتى ان الذى يستقر عليه رأى قسم العمل مما يتعلق بالمصلحة العمومية يضير بذلك واجب العمل به

﴿الفصل الثانى عشر﴾ اذناوزيرنا الاكبر بالعمل بما تضمنته الفصول الاحد عشر المذكورة أعلاه وتعين العضوين وطالب الناظر المالى الفرانساوى المذكورين بالفصل الثالث فى أقرب وقت ممكن كتبت الاثناعشر فصلا أعلاه بسراية حلق الوادى فى السادس والعشرين من ربيع الاول سنة ١٢٨٦ ستة وثمانين ومائتين والف فانتظم هذا الكومسيون واستولى رياسته الوزير خير الدين والعضو الاول فى قسم العمل هو صاحب رتبة الوزارة فى فرانسا فيليت والعضو الثانى الوزير محمد خزنه دار وسيأتى تفصيل ما نشأ عن هذا الكومسيون وجمع ديون الحكومة فكانت ما يأتى

جملة الجوامع	فرنكات	
	٣٥٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من دار ارلانجى بباريس لايفاء الدين السابق الذى لم يخلص بتمامه وقدره نحو تسعة عشر مليونا كما تقدم
	٠٩٠٠٠٠٠	الاستقراض من بيناربباريس سنة ١٨٦٣
	٢٥٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من دار ارلانجى وغيره سنة ١٨٦٥
٦٩٠٠٠٠٠٠	٦٩٠٠٠٠٠٠	الجملة تسعة وستون مليونا
٦٩٠٠٠٠٠٠		

الاستقراضات الداخلية المعروفة بالكونفرسيونات

جملة الجوامع	فرنكات	
٦٩٠٠٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠٠	الاول
	٠٩٦٧٠٠٠٠	الثانى
	١٧٨٥٠٠٠٠	الثالث

٧٨٠٠٠٠٠ الرابع

٤٨٨٢٠٠٠٠ ٤٨٨٢٠٠٠٠

٣٦٨٠٠٠٠٠ جملة الدين الغير المنضبط بالتذاكر الراقجة

١٥٤٦٢٠٠٠٠

٠٢٠٣٨٠٠٠٠ جملة الفوائد المتأخرة تقريبا

١٧٥٠٠٠٠٠٠ ريالات

جملة صرف تلك الديون بالريالات التونسية	٢٨٠٤٣٧٥٠٠	
فاذا أضفنا الى ذلك مداخيل الحكومة من وقت تعطيل القانون الى انتصاب الكومسيون الذى هو سنة ١٢٨٦ بحساب كل سنة خمسة عشر مليونا ريالا الذى هو اقل ما يمكن نظرا الى ما تركها عليه الوالى السابق محمد باشا ونظر الدخلها فيما بعد فيكون المجموع للستة سنين	٠٩٥٠٠٠٠٠٠	٠٥٨٤٥٠٠٠٠
	٣٧٥٤٣٧٥٠٠	٢٣٣٤٥٠٠٠٠
تقريب الغرم الذى دفعه السكان على مصاريف الثورة لانه ثبت بالحساب ان أهل الساحل وحدهم دفعوا من ذلك عشرين مليونا	٠٦٠٠٠٠٠٠٠	٠٤٠٠٠٠٠٠٠
ما أعانت به الدولة العلية الحكومة وقت الهرج	٠٠١٦٢٥٠٠٠	٠٠١٠٠٠٠٠٠
ما اهداه صاحب القرض الاول باسم المارستان وأخذته الحكومة	٠٠١٦٢٥٠٠٠	٠٠١٠٠٠٠٠٠
	٤٤٣٦٨٧٥٠٠	٢٧٥٤٥٠٠٠٠

فكانت جملة الاموال التى خاضت فيها الحكومة فى مدة نحو سبع سنين مائتين وخمسة وسبعين مليونا فرنكا وصرف بها بالآلات ماهو مرقوم بأزائها مع مزيد التضايق المالى بتعطيل الجرايات حتى امتدت الايدى الى الاوقاف وعطل ارسال مال الحرمين الشريفين من أوقافهما عدة سنين وكذلك عطل مرتب المدرسين والعلماء من بيت المال الذى اسسه أحمد باشا الاستيلاء الحكومة على مافيها من المال ولم يحصل من تلك الاموال فى القطر مايمكن ان يذكر او يعد سوى ماتقدم ذكره من السفن والمدافع البالغ مجموع ثمنها الى ثمانية عشر مليونا وان اضفت الى ذلك ماخسره القطر والحكومة مما ضاع عند ابن عياد ونسيم وكله بواسطة الوزير المذكور كان مجموعه مع ما بين يزيد على خمسمائة مليون ريالا وحيث كان الحال مما لا يمكن اخفاؤه على الوالى بالمرة ذكر له وزيره خزنه دارانه خزن له فى بعض بانكات اوربا عشرين مليونا فرنكا احتياطا لما عساه ان يقع لان الثورة العامة انذرت بما يخشى من مثله فلابد أن يكون له ذخر خارج المملكة وذكر ذلك له مرة بحضر احد قناصل الدول ثم طلب هذا القنصل اسقاط الطلب عنه بتلك الملايين عند عزله ومن وقت انتصاب الكومسيون المالى قصرت يد الوزير خزنه دار من التصرف وكاد ان يكون اسناد الوزارة اليه اسما بلا مسمى وحنق من ذلك أشد الحنق ورام ان يغير الحال فلم يوافقه الوالى لاطلاعه على حقائق الامور وعلمه ان رجال الحكومة لم يبقوا على ما كانوا عليه من الاتفاق على الوزير وبقى على ذلك الى ان ظهرت نازلة ارلانجى البنكير بطلب مالى وادعى انه بروسيانى وكان ذلك فى خلال محاربة فرانسا مع المانيا وشدد القنصل البروسيانى فى مطلبه ولم يكن للحكومة مال وظهر للوالى ان يستقرض من وزيره المال المطلوب فيه الحكومة فاقرضها اياه باورهن آجام وغابات طبرقه بفائدة عشرين فى المائة فى السنة ثم ظهرت نازلة الالفى رقعة وحاصلها ان الكومسيون المالى لما حصر جميع الديون ووحدها فى دين واحد جعل له رقاعا جديدة وشرع فى ابدال القديمة بالجديدة فعند ذلك تبين ان الرقاع الجديدة المقدرة على ماضبط من مقدار الدين لا تفى بالرقاع القديمة التى جاء بها أصحابها للتبديل فاستقرى الكومسيون اسباب ذلك وتبين انه لما انتصب الكومسيون المالى وجهت له الحكومة حسابا رسميا فيه بيان حساب الرقاع الراجعة من سابق سنة ١٨٦٣ و سنة ١٨٦٥ بعد طرح الرقاع التى رجعت بالخلاص للحكومة فى الاقتراعات وبعد طرح الفى رقعة اشتريت على يد البنكير ارلانجى للحكومة من ديونها فلم يعتبر الكومسيون فى ديون الحكومة الا ما بقى

من

من رقاع السلفين بعد طرح القسمين المذكورين لان كلا منهما هو خلاص لمقدار من الدين وأذن الكومسيون بطبع عدد من الرقاع جديد بمقدار ما بقى من الدين ولما شرع فى تبديل الرقاع وجد فى رقاع سلف سنة ١٨٦٣ أكثر مما كان قدره على مقتضى الحساب الرسمى المشار اليه فظن أول الامر ان ازائد مزور فتأمل فى جميعها ولم يجد فيها مجالا للزور فحاول حينئذ الكشف عن منشأ هاته الزيادة واستفسر من الوزير خزنه دار عن الالفى رقعة المشتراة على يد دار لانجى وما كان فيها فلم يجب واصر على السكوت مدة أكثر من سنة مع تكرر السؤال له كما يتبين ذلك من تقرير الجلستين المنعقدتين من الكومسيون فى ١٥ أغشت سنة ١٨٧٢ وفى غاية سنة ١٨٧٣ ولما ألح الكومسيون على الوزير فى طلب الجواب زعم أن الحكومة لم تتصل بالرقاع المذكورة وان دار ارلانجى هى المطالبة بذلك لكن الكومسيون قبل أن يطلب من ارلانجى البيان تحرى فيما يلزم من الاطلاع على الحساب مع الدار المذكورة وعلى الرسائل الواردة منها لكى يعتمد فى المخاطبة ما هو الواجب فاذن الوالى فى ذلك وأطلع عليه الكومسيون وثبت عنده أن الدار المذكورة سلمت تلك الرقاع للحكومة وكان من المعلوم لدى الكومسيون انه كان بين الوزير خزنه دار وبين رشيد الدحداح المتقدم ذكره معاملة خصوصية وان الوزير برهن سبعة آلاف رقعة من سلف سنة ١٨٦٣ فظهر للكومسيون أن يطلب بواسطة ثانى الرأس وهو قنسلاث الجائزتية الوزارة من رشيد الدحداح المذكور جريدة أرقام الرقاع المذكورة كما يطلب من دار ارلانجى جريدة أرقام الالفين رقعة التى استرجعتها الحكومة فاتصل بالجريدتين وكشف الحال أن الالفى رقعة روجها الوزير خزنه دار على يد الدحداح بعد خلاصها فعرض ثانى رأس الكومسيون على الكومسيون تقريرا مفصلا فيما ثبت لديه فى النازلة وتضمنه تقرير جلسة الكومسيون المؤرخ فى ٤ يونيه سنة ١٨٧٢ وملخص تقرير الجلسة أن الرقاع المذكورة سلمت فى ١ فبراير سنة ١٨٦٤ للحكومة التونسية على يد ثمبت النائب عن دار ارلانجى وقيد ثمنها فى الحساب الواقع بين الحكومة والدار المذكورة المؤرخ فى ١٧ مايه سنة ١٨٦٧ ثم روجها الوزير مصطفى على يد الدحداح القاطن فى باريس وان استعمال الرقاع المذكورة على الوجه المذكور أضر بالحكومة وأرباب الديون وان رأى كل الكومسيون أجمع على طلب التعويض والخسائر من الوزير مصطفى المذكور اهـ وعلم الوزير بما وقع ونصه الوزير خير الدين بفصل النازلة عن محل

فابى امتثاله لامتثاله الاحكام وبلغ ذلك للوالى سرا بواسطة مصطفى بن اسمعيل اقرب
المقربين لديه لتعصب الوزير خير الدين به فى انهاء نظائر خزنه دار اليه وافهامه ان
الوزير خير الدين مضاد حقيقة لذلك الوزير وان كانت له عليه يد انعمة والمصاهرة لما ذكر
من سيرته فامتلأ وطاب الوالى من انكاره اعمال وزيره ولم يزل الوزير مصرا على الامتناع
من بيان الوجه فى رواج تلك الرقاع ثانيا الى ان واجه الوالى ثانى رأس الكومسيون
بمحضر المذكور وعرض على الوالى ملخص النازلة وطلب منه امضاء الحكم فباشر الوزير
ثانى رأس الكومسيون بكلام شديد الى ان انتهره الوالى وقال له ان جوابك لها اما ان
يكون بالحجة فى تبرئة نفسك أو تدفع الحق الذى عليك وانفصل الموطن وتيقن الوزير
تغير الوالى عليه لكنه لم يكن يظن انه يعزل فكاتب الوالى بالاقرار باخذه للمال فى رقعة
وطلب عفوه وادى للكومسيون ما طلبه ولما تيقن الوالى فظاعة النازلة وتيقن عدم
الخوف من عزل الوزير بعد ان جس جميع الجهات ابرم عزله فى غرة رمضان سنة ١٢٩٠
وكان مبدء تقلده منصب الوزارة فى سنة ١٢٠٠ وارتجت البلاد عند سماع عزله فرحا
وكاد ان لا يصدق بعضهم بذلك لشدة تمكنه من الولاة حتى ينقلون عن بعض الصالحين
انه يقول له انه يخدم ثلاثة امراء يكون مع اولهم بمنزلة الابن ومع الثانى بمنزلة الاخ ومع
الثالث بمنزلة الوالد سمعنا ذلك من آخر مدة احمد باشا وزينت البلاد عند عزله ولم يسمع بمثل
ذلك فى هذا القطر واتبع عمل الافراح جميع البلدان والقبائل وحزن على عزله افراد من
خواص حاشيته ومن توفرت ارباحهم على يديه وافراد قليلون من الاجانب ورام من له
وجاهة منهم ان يتداخل فى ارجاعه لمنصبه أو فى الاقل ان يواجه الوالى كآحاد المتوظفين
فامتنع الوالى وجعل اتباعه يرودون كل وجه لارجاعه حتى سافر احدهم الى اروباوالى
الاستانة واجتمع برجال الدول وبذل فى التوصل اموالا فلم يجد من يتداخل فى توليته وزيرا
فى حكومة مختارة فى ادارتها وحيث تيقن الوالى كثرة الاموال التى توصل اليها الوزير
المذكور من اموال الاهالى والحكومة سيما الاموال التى اخذها ابنه الاكبر بتذاكر
على المالية مكتوب بها يدفع فلان وزير المال مقدار كذا من المال لامير الامراء ابننا محمد
فى مصالح على يده الخ ويقبض الابن المال ويمضى بخطه على القبض مع انه لا وظيفة له
رسمية تقتضى صرف تلك الاموال ومع عدم بيان الجهة المصروف فيها المال فاراد
محاسبته ومحاسبة ابنه على اموال الحكومة فتبرأ الوزير خير الدين من مباشرة ذلك
على ما جرت به العادة من ان صاحب الوزارة يباشر مثل ذلك مع كل المتوظفين وعقد

لذلك

لذلك مجلسا مخصوصا برأسه ولى عهد الولاية الامير أبو الحسن على باى واعضاؤه المفتى الحنفى الشيخ أحمد بن الخواجه والقاضى المالكى الشيخ محمد الطاهر النيفر والوزير محمد ورشيد كاهية ووكالة الحكومة على طلب حقوقها الشيخ عمر بن الشيخ أحد كبار المدرسين بالجامع الاعظم وأرسل المجلس يدعو المطلوبين لسماع الدعوى كما أرسل الوزير خير الدين مكتوبا الى الوزير السابق يعلمه فيه بعقد المجلس للتأمل فى نازلة المطالب المتوجهة عليه وعلى ابنه وجوابه عنها فامتنع من الحضور ولما ألح عليه بالحضور أرسل الى قنسل فرانسا يطلب حمايته وتوجيه أحد أعوانه ليحميه عند ذهابه للمجلس فتعجب القنسل من الطلب وأجابه بانه لا يتداخل فى أحكام البلاد سيما ولم يجر عليه ظلم يقتضى مثل ذلك ثم أرسل وكيلا عنه من أحد رعايا الاجانب فلما دخل الى المجلس سأله الرئيس هل هو داخل تحت أحكام البلاد أم لا فاجابه بلا وتفاوض المجلس فى قبوله وعدمه على تلك الصفة فظهر لهم انه يجب ان يكون الوكيل داخلا تحت أحكام البلاد ليؤاخذ بأعماله واقواله فيما يتعلق بوكالته وفيما يعود اليه ولما علم الوزير خزنه دار بذلك أرسل ابنه الثانى محمد المنجى الذى هو برئ من جميع الاعمال السابقة وجعله وكيلا عن والده وأخيه وعلم ماهى مطالب الحكومة منهما وحيث علم ان الحجة قائمة عليهما ركن الى طلب الصلح فصالحته الحكومة وقال بعض الاعيان ان الصلح كان لا ينبغى وقوعه لان المال مال بيت المال فاما ان يتحقق مقداره ويؤخذ بتمامه وعلى فرض لدده يجبر بالحبس ولا مقالة لقائل اذا كان يصدر الحكم عليه من ذلك المجلس واما ان تثبت براءته ولا يؤخذ منه شئ وأجاب الوزير خير الدين بان اجباره يحصل منه القيل والقال سيما وشيعته يشيعون ان أصل المطالب غير صحيحة لقصد تداخل الاجانب فى أمره وحيث طلب الصلح فالصلح خير ووقع هذا الصلح بخمسة وعشرين مليونا فرنكا وملخص صورة الصلح هو ما يأتى بيانه

البيان	بيان مادفع فرنك	فرنك
أصل المبلغ الذى صولح عليه يطرح منه ما اسقطته		٢٥٠٠٠٠٠٠
عنه الحكومة		٠٥٠٠٠٠٠٠
		٢٠٠٠٠٠٠٠
بيان مادفع فرنك		
ماسبقه للحكومة فى منابها من ربح دار السكة	٠٠٦٠٠٠٠٠	
ماهو بقية قرضه لها برهن طبرقه	٠١٢٣٥٩٢٢	
مادفعه عينا	٠٠٢٠٠٠٠٠	
قيمة ماملك من الربع والعقار والمنقول واستثناء قصر الحلفاوين والخشب المقطوع من طبرقه	١٠٩٦٤٠٧٨	
	١٣٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠
فبقى قبله سبعة ملايين مقسطة لاقساط كل قسط بنصف مليون فى سنة وضمن الولد الاكبر اباه مع خيار الحكومة فى الطلب وكتب بشرح ماتقدم رصك امضى فيه الجميع وختمه شاهدان من عدول الحاضرة		٠٧٠٠٠٠٠٠
يطرح ما اسقط عنه فى مقابلة اسقاطه الاتفاق فى عمل دار السكة الذى احاله اليه حميدة بن عياد		٠١٥٠٠٠٠٠
		٥٥٠٠٠٠٠

فكان الباقى على النحو المار ذكره خمسة ملايين ونصفا فرنكا ولم يدفع الاقساط التى حلت عليه منذ الدعوى الافلاس وذكر الاعيان ان المقادير التى دفعها لم يكن فيها شئ من العين الا مائتى ألف فرنك ومابقى من الاملاك كلها الا ماندر أخذها بهبات من الولاة كما تشهد به رسومها أو اشتراها من الحكومة باثمان ضعيفة دفع فيها املاكا كانت الحكومة وهبتها له مثل قرنبالية التى اشتراها من الحكومة بنحو ثلاثمائة ألف ريال تونسية ودفع فى ثمنها أرض سيجنة امام حمام الانف مع الحمام المذكور الذى كان أخذ

جميعه هبة من الوالى الحالى ثم بعد أربع سنين عند الصلح المشار اليه عرض ان تكون قيمة قرنبالية المذكورة أربعة ملايين ونصف فرنكا ومما ينافى دعوى الافلاس أيضا ان كثيرين ممن لهم علاقة بالكومسيون المالى ومجلس ادارة المداخيل علموا ان الوزير المذكور كان قبل عزله يرسل من يستخلص له فوائض أربعة وعشرين مليونا فرنكا من خصوص الدين التونسى ثم بعد ابرام الصلح صدر له اذن الوالى بان يخالط من شاء ويذهب أين شاء داخل القطر وخارجه والعود اليه متى شاء هو وابناؤه الا زوجه وزوج ابنه الاكبر لكونهما من عائلة الوالى ولم تكن عادتهم تسمح بخروج أحد من عائلتهم خارج القطر ولم يستثن عليه الا الاجتماع بالوالى وكان يظن ذلك بسعى الوزير خير الدين المتولى بعده لكنه كشف الحال انه من ذات الوالى لانه دام على الامتناع من مواجهته حتى بعد انفصال الوزير خير الدين عن الوزارة وبقى الوزير المذكور على حالة انفراده فى قصره بالحاضرة يتردد عليه قليل من اتباعه والاجانب الى ان توفى سنة ١٢٩٥ رحمه الله (المطلب السادس) فى وزارة الوزير خير الدين هذا الوزير أصله من ابناء الجراكسة القاطنين فى جبال القوقاز ونشأ بالقسطنطينية ثم شب فى تونس بقصر الوالى أحمد باشا واستكمل القراءة والكتابة والتجويد والفروض العينية ولحدة ذهنه أقبل بها على تحصيل الفنون العسكرية والسياسة والتاريخ ومشاركة فى الفنون الشرعية حصلها اعتنافه أهلها ومطالعة الكتب وتعلم اللسان الفرنساوى فكان فصيحا فى العربية عارفا بالتركية والفرنساوية شديد التوقير للشريعة والعلماء محافظا على شعائر الدين عالى الهمة وقورا حتى يخاله من لم يخالطه متكبرا فاذا تأنفه رآه حسن القبول عفيفا عن الرشا راسخ الطبع ثابت الفكر لا يتزلزل عن رأيه حازما فى العمل ترقى فى الخطط العسكرية فى مدة أحمد باشا مع استنجابه اليه وقربه الوزير مصطفى خزنه دار حتى صاهره على ابنته ثم ولاه أحمد باشا أمير اللوا الخيالة سنة ١٢٦٦ ولما وقعت حرب القريم أرسله أحمد باشا المذكور الى باريس ليبيع جوهرات للحكومة يستعين بثمنها فى مصاريف العسكر المرسل لاعانة الدولة العثمانية وناضل هنالك على التعرض فى ارسال العسكر بما تقدم شرحه ولم يبع الجوهرات الا بعد عرضه لاثمانها على الوالى أحمد باشا مع انه فوض اليه وانكر عليه التأخير بسبب الاستشارة وكتب له تفويضا تاما كما كلفه فى تلك الوجهة بعقد قرض مع احدى ديار المال فباع الجوهرات وأرسل ثمنها وحاسب عليه وقدره نحو مليونين فرنكا وأخذ حجة تامة من محمد باشا فى الحساب وبراءة ذمته وماطل فى العقد للقرض وكيفية

شروطه لما يرامن المضرة على القطر وراجع الوالى مرارا الى ان توفى الوالى المذكور ووافقه خلفه محمد باشا على عدم القرض وقد رأيت بخط كاتب اسرار الولاة الوزير أحمد ابن أبى الضياف فى هذا الغرض مانصه وشكر أى محمد باشا خير الدين فى عدم الاستهال وانقذبها البلاد من هاوية الخ ثم عرض للوزير المذكور فى اثناء سفرته المذكورة هروب ابن عياد وتكليف الوالى أحمد باشا الوزير المذكور بخصامه فدام فى خصامه سنين مبدأها من سنة ١٢٦٩ ومنتهاها سنة ١٢٧٣ ونجح فى عمله بما تقدم شرحه عند الكلام على ولاية أحمد باشا ورأيت بخط الوزير أحمد بن ابى الضياف فى ذلك مانصه ولو تم مراد ابن عياد وجد من خير الدين اذنا صاغية لمواعيده لكانت المملكة فى أسره لو قتنا هذا الكثرة مابيده من الاوامر والرسوم الى ان قال لولا تدارك لطف الله على يد خير الدين الخ ثم فى سنة ١٢٧٢ قدم الوزير خير الدين من فرانسا لتهنئة الوالى محمد باشا فاكرم مقدمه وعرف له نصحه فى النوازل المذكورة ورقاه الى رتبة الفريق وعاد لاتمام الخصومة المذكورة فولاه محمد باشا وهو غائب وزارة البحر لموت صاحبها محمود كاهية سنة ١٢٧٣ وعند ابرام الحكم على ابن عياد رجع الوزير خير الدين الى تونس واعتنى بمباشرة وزارته مع اعتماد الوالى عليه فى الاستشارة فحسن حالة حلق الوادى التى هى أعظم مرسى فى القطر بما استطاع ورتب هيئة خدمة الوزارة بتقييد المكاتيب الصادرة وضبط جميع الحركات اليومية فى دفتر وكان أول من عرف ذلك فى القطر وكانت الامور تجرى بلا ضبط وجعل اتفاقا مع الاجانب الذين استولوا على أكثر أراضى تلك البلاد بلا وجه فحصل معهم الاتفاق على ثلاثة أوجه فمن كانت بيده حجة من الوالى فى الاذن بالبناء جعل له قيمة كراء الارض خاوية سنويا على حسب الكراء المؤبد ولورثته ميراثها من بعده ومن كانت بيده حجة فى البناء من خصوص وزير البحر فقط فله ابقاء البناء مدة حياته لخصوص ذاته ومن بعده ترجع للحكومة وان امتنع قلع بناؤه أو تراضى مع الحكومة فى شراء الارض أو كرائها ومن لم تكن بيده حجة لزمه التوافق مع الحكومة أو قلع بنائه ووافقه على ذلك قناسل الدول وحصل من ذلك نفع كثير وتحصل من الكراء المؤبد ماهو وقف الآن على جامع حلق الوادى وقام به أحسن قيام ثم أحدث معملا بخار بالماتحتاج اليه السفن من الادوات الحديدية والخشبية وأبدل الجسر الذى كان على الخليج بجسر حسن متين وأوسع الطرق ونظمها وبنى محلا لادارة الوزارة حسنا وجعل امامه بطحاء وحسن لباس العساكر البحرية ثم لما

أنشأ

أنشأ عهد الامان كان الوزير المذكور فارس ميادين انشا القوانين اللازمة للحرية والعدل وكان المجلي في مضمارها بتدابيره وفصاحته وعدم استحيائه من الحق حتى ان الوالي المذكور لما أراد جلب مازغوان وجمع رجال حكومته واستشارهم وكان أغلبهم ذاهبا الى عدم الموافقة فاجابهم الوالي بانى أعطيت كلمتى للقنسل بالموافقة على جلبه فتنفس الوزير خير الدين وقال أى فائدة لجمعنا حيث أعطيت كلمتك وحسبنا سماع هذا الخبر من سيادتكم كذا رأيته بخط كاتب أسرارهم الوزير أحمد بن أبي الضياف ولما ولي على القطر محمد الصادق باشا أرسل الوزير خير الدين المذكور الى الدولة العلية لطلب فرمان الولاية على العادة واستقبله استقبالا حسنا وقضى مأموريته ولما أنجز الوالي المذكور القوانين كما مر ولى الوزير خير الدين عضوا في مجلسه الخاص الذى يرأسه بنفسه كما ولاه رياسة المجلس الاكبر اى مجلس النواب وكان في مبدء الامر رئيسا ثانيا للوزير مصطفى صاحب الطابع وهذا هو الرئيس الاول غير انه أخذ لقب الوظيفة فقط مراعاة لمقامه وسنه وعجزه سنا ومعارفا عن الوفاء بتلك الخطة ومن انصافه رحمه الله كان يصرح للوزير خير الدين بذلك ويقدمه حتى ان القانون بعد اتمام تأليفه عين الوالي أعضاء المجالس حسب الانتخاب وأمرهم بقراءة القانون وفهم معناه قبل العمل به فلم يحضر الرئيس الاول وقام مقامه الوزير خير الدين وقال في شأن ذلك الوزير أحمد ابن أبي الضياف ما نصه وأبدى في تقريره أى القانون وبسطه وتفسيره من حسن البيان وفصاحة اللسان ما أعجب السامع وشنف المسامع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اهـ واعترف له بالفضل كل من حضر من العلماء وغيرهم ثم توفى الرئيس الاول وصار الوزير خير الدين هو الرئيس بالاسم والرسم والعمل وقد كان على غرضا انا أن القانون مراد لذاته حقيقة فشمر عن ساعد الجد وطفق يبرهن على المصالح ويفتح البصائر الى مغزاها وتنقاد الاعضاء لسد أبواب المفاسد الى أن نشبت مخالب التضاد بينه وبين الوزير السابق كما تقدم شرحه واضطربت أعضاء المجلس ورأى ان المآل الى جعل المجلس صوريا لانفاذ الاغراض على عاتقه فاستعفى من الرياسة وبقى عضوا في كل من المجلسين وقال في ذلك الوزير أحمد بن أبي الضياف وانتفع المجلس باعانته أى انتفاع متردبا بحلية نبله وعفافه وانصافه الخ ثم أرسله الوالي سفيرا عنه الى دولة السويد والبروسيا والبلجيك والدانمرك وهلاندا مكافأة بارسال النياشين الى ملوكهم عما أرسلوا به اليه من النياشين اكراما له على انشائه القوانين وكذلك فعلت غالب دول أروبا وفي اثناء عضويته عرض على المجلس الخاص

ان فواضل الاوقاف تصرف للقيام بالعسكر بموافقة أحد العلماء المالكية معتمدا الفتوى بما جرى عليه العمل من غير المشهور من مذهب امام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه من ان فواضل الاوقاف تصرف في طرق البر ورأوا أن القيام بالعساكر من طرقها لكن الفهوم الوزير خير الدين محتجا بان القيام بالعساكر له نصيب معلوم شرعا من بيت المال فان كان النصيب المعين شرعا صرف جميعه على العسكر ولم يف بذلك فحينئذ ينطبق النص ونوافق على ماذكرتم وأما اذا كان دخل بيت المال يصرف في غير وجهه الشرعي كما يعلمه الجميع فلا أرى انطباق النص على ماذكرتم ولعمري انه هو صميم الحق فثمرة العلم تحقيق المناط وان ذهبوا الى العمل بما رأوا وكان ذلك من أسباب ايغار صدور الخاصة والعامة كما تقدم ولما راموا أن يضاعفوا الاداء المسمى بالاثنين وسبعين الذي كان سببا في الطامة الكبرى كما مر قال الوزير المذكور للوالي حسبما رأيته بخط الوزير ابن أبي الضياف الحاضر في المجلس ياسيدي ان أخفيت ماظهر لي من نصح سيدي وبلادي أكون خائنا الامانة الاستشارة نرى ان هذه الزيادة في مال الاعانة تؤدي الى زوالها بالمرة أو تلجئ الى مال أكثر منها لتجهيز الجيوش لغصب الناس ولا نجد في السنة التي بعدها مايقارب الاعانة الاولى هذا باعتبار القدرة على الغصب ولعمري أنها مقالة دين ونصح تجد ثوابها يوم تجد كل نفس ماعملت الخ كلامه وصرح بمثل ذلك في المجلس الاكبر أيضا ولما سأله بعض أعضائه سراعما أوجب تسليمه قال اني رأيت السقف يريد أن ينقض ولم استطع استدراكه ولا وجدت اذنا صاغية فخرجت من تحته وعلى بحو بصة نفسي ثم لما أبطل القانون بقي الوزير خير الدين في بستانه مقبلا على شؤون نفسه لايختلط بالحكومة الا نحو يومين في الشهر يتوجه الى الوالي للسلام عليه أو عندما يدعوه لامر ما كما وقع عند قتل الشهيدين اسماعيل السني ورشيد لان الوالي جمع بعد ذلك جميع رجال حكومته وأعلمهم بالقتل ورأيت في صفة المواطن بخط الوزير ابن أبي الضياف الذي كان حاضرا فيه مانصه وقال له الوزير المنصف أبو محمد خير الدين نرجو الله أن يكون هذا حد البأس وان لا تقع ندامة على هذا الاستعمال بعد وصولهما الى محبسهما الان اسم الزمان ينافي هذا الاستعمال فاغتاظ الوالي وكاد أن يستهويه الغضب لولا لطف الله بخير الدين الخ وله في أمثال ذلك من النصح والاقدام كثير وفي اثناء استعفائه كان التزاور بينه وبين الوزير مصطفى خزنه دار مستمرا للقرابة المصاهرة ولا يتداخل معه في رأي من تصرفاته كما ان الاعيان من

المتوظفين

المتوظفين والاهالي يزورونه ولا يخوض معهم في شيء من أحوال سياسة البلاد متجنبا القيل والقال مستكفيا في التأنس واراحة البال بخواص من أصحابه مقبلا على مطالعة الكتب والتأليف فالف كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك وهو أول كتاب مبتدع في السياسة التي يقتضيها الحال والشرع وكفى بتقاريظ العلماء فيه مع أن الرجل اذذاك بعيد عن شائبة التملق اليه ثم لما شددت الاجانب في طلب أموالهم وأنشئ الكومسيون المالي باتفاق الدول دعاه الوالي الى رياسة ذلك الكومسيون فامتنع ولما ألح عليه الوزير السابق قال له ما معناه ان الحال قد بين التباين بين مهيعي ومهيعك في طريق السياسة وانت رجل مسن والدى لك التقدم على فان وافقتك خنت ديني وأمانتي وان خالفتك صرت الى العداوة معك فالاولى بقائي على ما أنا عليه فاجابه بترك جميع ما مضى وان الحال قد بلغ النهاية وانه لا يريد في المستقبل الا الاصلاح وموافقة الرأى فاعاد الوزير خير الدين مقاله وأن تابع الوزير مصطفى خزنه دار لا يوافق السيرة التي يراها هو فاكد له مزيد الموافقة في عدة مواطن وقبل اذذاك الوزير خير الدين رياسة الكومسيون ومن هذا الوقت وهو سنة ١٢٨٦ تنسب التصرفات اليه وان رجع الوزير السابق عن وعده وتحمل الوزير خير الدين بسبب ذلك مشاقا صعابا لكنه لم يتبع للوزير مصطفى خزنه دار مراده الى ان انفصل عن الوزارة بالمرة كما تقدم شرحه فاول ما ابتدأ به الوزير خير الدين من الاعمال انه رأى تداخل الكومسيون المالي في مالية الحكومة يتسع نطاقه الى التداخل في السياسة كما يقتضيه صريح فصول تركب ذلك الكومسيون ودليله انه يعيد انتصابه وجه تقرير للوالي في أمور تقتضيها وظيفته من مباشرة العمال في استخلاص الاموال وغير ذلك وتوقف عن امضائها الوزير السابق لانها تؤل الى خروج التصرف عنه بل وعن الحكومة أيضا فاشتكى أعضاء الكومسيون الاجانب الى قناسلهم بان اعمال الكومسيون توقفت لان أساسها توقفت الحكومة في امضائه فكتبت القناسل للوالي بالتعجيل والحث على ابرام ما التزم به للدول الثلاثة وهي فرانسا وايطاليا وانكلترا فجمع الوالي جميع رجال الحكومة وعرض عليهم الامر وكان من الحاضرين الوزير احمد ابن أبي الضياف وكتب حسبما رأيته بخطه فيما وقع في المجلس ما نصه وتكلم الوزير خير الدين بالمجلس بما يكتب على صفحات الايام الى أن قال انكم دفعتموني الى هذه الخدمة وأنا عبد لخدمة سيدنا وبلادنا على كل حال وأطلب الاعانة من جميعكم فان أعنتموني فلكم الفضل وان أسلمتموني لا أجمع

للهروب وانما أقول اخدم برهة من الزمان وأتأنو ليقدم غيرى من أمثالى يخدم مثل مدقق وهلم جرا فضمن الجميع له الاعانة كل على حسبه وانفصل الموطن الخ وأمضى الوالى مطلب الكومسيون وخاطب القناسل بذلك وكان ذلك مما يجر الى ابقاء الحكومة صورية لان استخلاص الاموال يستدعى تحسين الادارة وهو يستدعى العدل فيتداخل الكومسيون فى جميع ذلك وتهرع اليه الاهالى ولا يبقى للحكومة الا التزرفاذلك أشار الوزير خير الدين على الوالى بوجه تمضى معه حقوق الكومسيون وتحفظ به حقوق الحكومة وناموسها وهو توظيف رئيس الكومسيون بوظيفة وزير للوالى فى رتبة الوزير الاكبر بحيث يشاركه عند حضوره وينفرد عند غيابه وتنقل خدمة الكومسيون الى محل الوزارة ويكون مصدر جميع الاعمال واحدا فاستحسن الجميع ذلك فرأى ووظف الوالى الوزير خير الدين وظيفة سماها بالوزير المباشر فرتب أشغال الوزارة على الصورة الآتية وهى الوزارة الكبرى وتحصر فيها جميع شعب الادارة الا الوزارتين الآتيتين بمعنى أن الوزير الاكبر ثم الوزير المباشر هما اللذان يباشران جميع المصالح اما بواسطة أو بدونها ثم قسم ادارة هاته الوزارة الى أربعة أقسام (فالقسم الاول) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه جميع الامور السياسية العامة وأحوال المالية الخاصة بدخل الحكومة وخرجها دون ما يتعلق بالكومسيون المالى (والقسم الثانى) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بشكايات الرعية من المتوظفين والعكس (والقسم الثالث) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بالحقوق الشخصية ثم اتحد هذا القسم بالقسم الثانى (والقسم الرابع) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بالخارجية كما جعل كلا من وزارتى الحرب والبحر مستقلا بنفسه كل منهما له وزير خاص غير انه تحت نظارة الوزارة الكبرى فهذا ما يتعلق بكيفية الادارة وأما ما يتعلق بما حصل من الادارة فان ديون الحكومة حصرت فكانت مائة مليون وخمسة وسبعين مليونا فرنكا كما تقدم تقريبه آنفا وكان الفائض الذى يدفع سنويا نحو العشرين مليونا فرنكا فاسقط من الاصل نحو مليون فرنكا ثم طرحت العشرون مليونا التى هى الفائدة التى لم تدفع وجعلت دينا بلا فائض يستهلك من الدخل المضروب جديدا على البضائع الداخلة للقطر وبقى المقدار الذى يؤدى الفائض نحو مائة مليونا وخمسة وعشرين مليونا فقط فجعل له فائضا خمسة فى المائة وصار مقدار الفائض السنوى نحو ستة ملايين فرنكا وخمسمائة ألف فرنك الذى هو نحو الثلث مما كان جاريا

وتخصص

وخصص له أنواع مخصوصة من مداخيل الحكومة لان نواب أصحاب الديون وهم قسم النظر من الكومسيون المالى لم يرضوا بان الحكومة تتعهد لهم بدفع الفائض بل أرادوا ان تكون ادارة المال الراجع اليهم تحت أيديهم فجعل لذلك مجلس يسمى مجلس الادارة أعضاؤه أجانب منتخبون من قسم النظر من الكومسيون وعددهم خمسة وعضو تونسى ينتخبه قسم العمل وفوض اليهم قبض المداخيل الراجعة الى الفائض تحت احتساب قسم العمل ثم قسمت مداخيل الحكومة الى قسمين (القسم الاول) يتولى قبضه ذلك المجلس والانواع التى سلمت الى ذلك هى ما يأتى بيانه مع بيان تقريب دخله حسب الميزانية المسلمة من الوزارة السابقة

فرنكات	
٠٣٥٠٠٠٠	لزمة فندق الغلة أى الاداء على الخضراوات والفواكه المباعة فى الحاضرة
٠٤١٢٠٠٠	محصولات سوسه والمستير أى الاداء المرتب على نحو ماذكر وعلى بيع الحيوانات وغيره
٠٠٩٧٠٠٠	الرحب أى الاداء على بيع حبوب القمح والشعير وشبهه
٠٥٠٠٠٠٠	القمرق أى الاداء على السلع الداخلة والخارجة للحاضرة من الممالك
٠١٠٠٠٠٠	خروبة الاكرية بالحاضرة أى أنه يؤدى على كل ريال المنقسم الى ستة عشر خروبة خروبة واحدة أى جزء من ستة عشر على كل مكان يكرى
٠٠٤٥٠٠٠	قمرق صفاقس
٠٠٠٨٠٠٠	قمرق وادى قابس
٠٠٢٥٠٠٠	قمرق سوسه والمستير والمهدية
٠٢٢٠٠٠٠	قمرق الدخان أى انحصار بيع الورق المدخن به والمستنشق فى الحكومة
٠٠٥٥٠٠٠	قمرق الخل أى ما يؤدى على المسكرات
١٨١٢٠٠٠	

فرنكات	
١٨١٢٠٠٠	نقلت
٠٠٤٥٠٠٠	فندق البياض أى ما يؤدى على بيع الفحم
٠٠٦٠٠٠٠	الجبس أى انحصار بيع الجبس فى الحكومة
٠٠١٠٠٠٠	صيد الحوت أى الاداء على صيد السمك وانحصار اماكن البحر فى صيد الحكومة
٠١١٠٠٠٠	الملح أى انحصار بيعه أيضا فيها
٠٠٥٥٠٠٠	الاداء على النشاف والقرنيط أى الاسفنج ونوع السمك المسمى بالقرنيط
٠٨٥٠٦٠٠	قانون الزيتون فى سوسة والمستير والمهدية وصفاقس أى الخراج على شجرة الزيتون عوضا عن العشر
٣٠٣٢٠٠٠	
٠١٥٠٠٠٠	قانون زيتون الوطن القبلى
٠١٠٠٠٠٠	محصولات صفاقس مثل ما بيناسابقا
٠٠٩٠٠٠٠	محصولات جربه وقرقنها
٠٠٨٠٠٠٠	محصولات بن زرت
٠٠٢٠٠٠٠	محصولات حلق الوادى
٠٠٠٨٠٠٠	لزمة صيد المرجان أى المقدار الذى يؤدى على ذلك من الفرانسيس
٠٠٨٥٠٠٠	محصولات الوطن القبلى
٠٣٠٠٠٠٠	التنبر اى الاوراق المختوم عليها من الحكومة ليكتب فيها الاحتجاجات بحيث لا تقبل حجة فى غير ورقة مختومة
٢٦٤٠٠٠٠	السراحات أى الاداء على ما يخرج من القطر من الحبوب والزيت والتمر والصوف والصابون
٢٥٠٥٠٠٠	

وقد أقيم الحساب على مقتضى هاته الميزانية فلم توف فى أغلب السنين للغلط الذى وقع

فى

فى تقدير فصل السراحات وهو الاخير لان ذلك غير صحيح كما أبانه الواقع وسبب ذلك عدم امكان ضبطه فى الوزارة السابقة فقرب تقريبا بالقياس على سنة كانت خصبة مع الطلب فى الثمن الى أوروبا ولذلك لزم الحكومة ان تكمل من دخلها الخاص ما ينقص من ذلك الدخل عن الوفاء بالفائض حسبما هو مشروط فى اللائحة التى جعلها الكومسيون المالى أساسا لاعماله فان منها ان فائض الدين الذى هو ستة ملايين ونصف فرنكا كما تقدم ان وفت بها المداخيل المعطاة لمجلس الادارة فبها ونعمت والا فالحكومة ملزومة بان تكمل من باقى مداخيلها ما يوفى بذلك المقدار غير انها فى السنة الاولى لا تكون ملزومة الا بما يكمل خمسة ملايين وما نقص يذهب مجانا على أرباب الديون وفى السنة الثانية تكون ملزومة باكمال خمسة ملايين ونصف وفى السنة الثالثة تكون ملزومة باكمال ستة ملايين وفى السنة الرابعة تكون ملزومة باكمال الستة ملايين ونصف وهكذا فيما بعد للاسباب التى تقدم شرحها فى ضعف القطر ومن الشروط أيضا ان الحكومة لها ان تستقرض من خزانة مجلس الادارة مليونا متى أرادت لسبب قوى على ان ترجعه قبل مضى ستة أشهر ولا تؤدى عليه فائدة ومنها أيضا اذا زاد دخل القسم المذكور من المداخيل على القدر اللازم فانه يبقى منه نصف مليون للاحتياط وما زاد على ذلك يشترى به رقاع من الدين وتستهلك وهكذا فى كل عام الا اذا زاد الدخل على ثمانية ملايين فرنكا فان ما زاد يقسم أيضا فالنصف يلحق بما تقدم فى استهلاك رأس مال الدين والنصف الآخر تصرفه الحكومة على نظر قسم العمل من الكومسيون فى المصالح العامة كالطرقات وغيرها (وأما القسم الثانى) من مداخيل الحكومة وهو ما بقى من أنواع المداخيل كاعشار الحبوب والزيت وخراج النخيل ومدبغة الجلد والاداء على الرقاب المسمى بالجبا أو الاعانة الذى هو نحو خمسة ملايين ونصف فرنكا فانه يتولى قبضه قسم العمل من الكومسيون وهو الذى يتولى دفعه الى الحكومة على مطابقته للميزان الذى يجعل فى رأس السنة لمصاريف الحكومة فى مصالحها ومرتبات العائلة الاميرية ولسائر المتوظفين وتكون بطاقات الاذن لحافظ الخزنة بالدفع صادرة من الوالى غير انه لا يختمها بامضائه ما لم يجد عليها امضاء أعضاء قسم العمل من الكومسيون اعلاما بان البطاقة موافقة لاصول الميزان المالى ولا يكتب من تلك البطاقات فى وقت من الاوقات الا بمقدار ما فى الخزنة من المال بحيث لا تقع المماطلة لصاحب البطاقة من القابض الذى هو حافظ الخزنة حتى ربما يضطر صاحبها الى اسقاط شئ مما بها لتدفع اليه أو انه يبيعها لغيره

مما يوجب احداث دين جديد على الحكومة هذا والرسم الذى جرى عليه العمل فى
الظاهر وربما وقع ما يخالفه على وجه تصعب مراقبته فهذا ما يتعلق باحوال الديون وما
جرى عليه العمل فيها وقد رفعت فوائضها فى السنين الاولى على نحو ما تقدم من مداخيلها
المعينة لها ثم فى بعض السنين أكلتها الحكومة من مداخيلها وفى بعضها زاد الدخل
المعين لها حتى اشترى منه شئ من أصل الدين وفى بعضها رهنت الحكومة دار الجلد أى
مدبغته لاكمال الفائض بحيث ان جميع مدة تصرف الوزير خير الدين لم يبق على
الحكومة شئ من فائض الدين وانتسق دفعه فى أوقاته ثم جعل هذا الوزير معاهدة
تجارية مع سائر الدول الاجنبية على ان يزاد فى اداء القمرق على السلع الداخلة من
ممالكهم الى القطر والمقدار المزاد خمسة فى المائة وعين هذا المقدار الى استهلاك الدين
الذى يبقى بلا فائض وأصله فائض الديون السابقة الذى لم يدفع وقدره نحو عشرين
مليونا على نحو ما تقدم ثم بعد خلاص ذلك الدين يرجع ذلك المقدار مع بقية دخل القمرق
الى فائض الدين المتحد واستهلاكه وصار اداء القمرق على السلع بين المزيد والمزيد عليه
ثمانية فى المائة واما ما يتعلق بتحسين الادارة المالية والحكمية فى القطر فاحدث أمورا
عديدة نافعة فمنها انه أبطل أنواع المجابى التى اختلفت كيفيتها وكميتها فى السنين المتقدم
ذكرها وجعل على كل ذكر بالغ قادر على التكسب أربعين ريالا تونسيا فى السنة مدرجة
على أربع سنين (ففى الاولى) يدفع المطلوب خمسة وعشرين ريالا (وفى الثانية) يدفع
ثلاثين ريالا (وفى الثالثة) خمسة وثلاثين ريالا (وفى الرابعة) أربعين ريالا ويجرى بها
العمل من غير زيادة وشدد فى الاخذ على أيدى العمال بحيث لا تمتد يد أحدهم الى شئ
زائد عما ذكر وجعل لهم أجرهم ستة فى المائة يأخذونها من ذات الاموال المستخلصة على
أيديهم الراجعة للحكومة منها أربعة للعامل وريالان للشيخ ثم أبطل هذا الاجر وعوض
بواحد على كل عشرة تستخلص من الدافع زيادة على العشرة بحيث صار على كل نفر
أربعة وأربعون ريالا فى السنة وذلك الواحد الزائد يجمع عند العامل فيأخذ هو النصف
والنصف الآخر يقسم بين مشايخ العمل ونواب العامل المسمين بالخلفاوات (ومنها) جعل
قانون معلوم لرسل الحكم فى استخلاص الاموال سواء كانت راجعة للحكومة أو للاهالى
أو للاجانب بحيث يأخذ المرسل نصف ريال على كل عشرة يستخلصها من المال هذا اذا
كان رسولا من الحكومة أى من أعوان الوالى اما اذا كان من أعوان العامل وغيره من
الحكام غير أهل الشرع فانه يأخذ ربع ريال على كل عشرة وقد كانت قبل ذلك على

حسب المشيئة (ومنها) ترتيب استخلاص أعشار الحبوب التى اضطرب حالها أيضا فضبط عشر كل ماشية أى ما يحرثه الرجل الواحد فى السنة الواحدة على الحيوانات المناسبة بحسب كل جهة وبذرها مما يطلق عليه اسم الماشية هنالك فى خمسة ويبات قمحا ومثلها شعيرا الذى هو أقل ما يمكن ان يكون عشر الخارج من النبات فى أغلب السنين وما زاد على ذلك من العشر الحقيق فهو فى عهدة ديانة صاحب الزرع يدفعه ان أراد واذا أثبت صاحب الزرع ما احتاج زرعه فانه يسقط عنه بمقدار ما ضاع له ويؤدى أجرة الكيل والتقييد والتقدير أربعة ريالات على كل ماشية هذا كله فى الجهات التى تدفع العشر من ذات الحبوب النابتة وأما الجهات التى تدفع عوض ذلك دراهم لبعدها عن محل الدفع فان الدافع يدفع خمسين ريالا على كل ماشية فى كل سنة وريالين أجرة المستخلص وهذا المقدار مراعى فيه حالة صاحب الفلاحة لان ثمن الخمسة ويبات من القمح وحده تبلغ الخمسين ريالا بحسب ثمن كل ويبة عشرة ريالات الذى هو السوم فى أغلب السنين وروعى فيه أيضا جهة الحكومة لما يلزمها من كثرة مصاريف الحمل لعدم الطرق الصناعية ثم ان ذلك المقدار قسط أيضا تدريجا على أربعة سنين يبتدئ بثلاثة ويبات ونصف من كل نوع على حدته ويزيد فى كل سنة نصف ويبة الى ان يوصل فى العام الرابع الى خمسة ويبات من كل نوع ومثله ما يقابله من المال وقد نتج من ذلك عمران الايالة بدليل انه عند ولاية المذكور وزيرا مباشرا لم يكن فى الايالة عشرة آلاف ماشية ارضا مزروعة وعند خروجه من خطة الوزارة ترك فى المملكة أكثر من مائة ألف ماشية مزروعة (ومنها) التخفيف على خراج الزيتون المسمى بالقانون فى الوطن القبلى الذى كان أجحف باهله فى المدة الماضية حتى سلمت أصحاب الاملاك فيما يملكون ولم يقبل منهم وأقروا البوادى باحراقه للاستراحة من مطالبه فنزل من ربعة الريال والنصف ريال على كل شجرة الى الثمانية نواصر على كل شجرة والناصرى هو جزء من تجزئة الريال الى اثنين وخمسين ناصرى ثم اسقط عن أصحاب الزيتون احدى وثلاثين ألف شجرة زيتونا احترقت واسقط عنها اداءها وبه يعلم مقدار ما كانوا يتحملون ومقدار نقصان العمران فيما سبق ونشر ذلك فى العدد الثانى من الرائد سنة ١٢٨٦ الذى هو الصحيفة الرسمية للحكومة ثم اسقط هذا الاداء بالمرة ورجع الامر الى الوجه الشرعى وهو العشر على ما يحصل من الزيت وفرح بذلك أصحاب الاملاك وأقاربهم فرحا شديدا لارتياحهم من اعياء ذلك الثقل العظيم (ومنها) تخفيف قانون النخيل ببلد نفزاوة من عمل

الجريد حيث كان ملحقا بسائر عمل الجريد مع انه غير مساو لما فيه من شجرة النخيل خصبا وحسنا فلذلك جعل على كل شجرة من نوع الدقلة ريالا ونصفا وعلى بقية أنواع النخيل ستة خوارب على كل شجرة والخروبة جزء من ستة عشر جزأ من الريال كما تقدم (ومنها) ترتيب مجلس محاسبة العمال والمتوظفين عما تعاطوه بحسب وظيفتهم ولم يوصلوه الى الحكومة وبقيت قبائلهم وبلدانهم مطلوبين للحكومة بيقايا ما عليهم فتحرر من ذلك مبالغ جسيمة قبضت الحكومة بعضها وبعضها لم يقبض اما الاعدام من قبضه أو للعفو عنه واسقط ذلك من المطالب الباقية على أصحابها من أهل الجريد ودريد وجندوبه والساحل وأولاد عيار وأولاد مجور ومن ذلك محاسبة أحمد زروق واتباعه وابراهيم بن عياس واخوانه وعلى السامى وعبد الرحمن بن عمر والحاج الحسنى وملخص الحسابات ما يأتى بيانه

ريالات

٨٠٠٠٠٠٠	من الساحل حسبما أفاد أحد اعضاء مجلس المحاسبة
١١٥٨٠٨٥٢	من بقية الاعمال المذكورة حسبما اثمرت المحاسبات
٩١٥٨٠٨٥٢	

٥٨١	منها أيضا غنم	ر ١٢	منها أحمرة
٠٦٤	منها بقر	١٣ ر ٠٧	منها القفزة قمحا
٠٢٠	منها خيل	١٣ ر ١١	منها القفزة شعيرا
٠٠٢	منها ارطال فضة	ر ٠٤	منها بغال
٣٤٠	منها ابل	ر ٣٦	منها طارحات تبن

(ومنها) تنقيح المتوظفين بما لا يوغر الصدور الا من تفاقمت سقطاته فدحض واما غيرهم فلم يؤثر من كان من حزبه على غيره ولو على اضداده فلم يفقد فيهم الاحسان ونقص بذلك اعتبار حزبه حتى رآه الوالى مفقود الاعوان واتخذها ذريعة لعزله من الوزارة وصدقت وصايات الحكماء الاقدمين الحاثين على جلب الاصدقاء والاعوان وعدم الركون الى الاعداء لان تقريبهم لا ينفع والاصدقاء يضمحلون بذلك واما دعوى التحزب بالجمهور فذلك أمر لا يتم الا للملوك الذين رسخت قدمهم فى الملك بالتوارث وصار انقياد الانفس اليهم طبيعيا اما الوزراء فهم أشد الاصناف احتياجا الى معونة الاصدقاء (ومنها) الترغيب فى غرس الزيتون والنخيل بان جعل لكل من غرس منها شيأ ان لا يؤدى عليه شيأ من

الاداآت

الاداآت المرتبة على ذلك النوع مدة خمسة عشر سنة (ومنها) رفع الضرر عن أهل الساحل من وطأة أصحاب ديونهم فانهم كانوا يسجنون المديون مع قيام الرهن بيد الدائن ويبيعون غلة الاحباس المشتركة مع المديونين وغيرهم ويستولون على الجميع ويطلبون الضامن قبل فلس المديون مع عدم اشتراط ذلك ويستولون على مخلفات من مات من المديونين ويبيعونها على غير يد الحكام واذا أفلس المديون لا يتركون له ما يستر بدنه ولا ما يقتات به ويتركون المديون فى السجن بلا تحديد مدة فأبطل جميع ذلك وأجرى فيه أحكام البلاد الشرعية والعرفية (ومنها) ارجاع من هاجر من القطر من الاهالى بالامن لهم والعفو عمن سبقت منه جناية واسقاط ما عليهم من المطالب الى الحكومة وكذلك العساكر الذين فروا من القطر شملهم مثل ذلك (ومنها) ارجاع من نكب من أتباع الحكومة وتأمينهم وتقليدهم بمثل ما كانوا عليه من الوظائف اذ لم يكن من ذنب معقول لابعادهم أو نفيهم أو نكبتهم فرجع للقطر وللوظيفة السيد الشريف أمير اللواء حسن مقرون وأخوه والوزير رستم والوزير حسين وأمير الامراء محمد المرابط وأمير اللوا يونس الجزيرى وأمير اللواء مراد وأمير الالاى حسين ورديان باشا وأمير الالاى حسن مدلجى والقائم مقام على جهان وغيرهم (ومنها) حصر الديون التى على أهل الساحل من الاجانب وبناؤها على أساس لائق بالجانبين بحيث انقطع تفاقم الربا وتضاعفت زيوت السلم وجعل لخلاصهم مدة معينة على اقساط (ومنها) ان أمير لواء العسة اذ ذاك على ابن فريجه نقم عليه الوالى وأرادوا ان يأخذوا منه أهم مصوغه وكسبه باوجه من الدعاوى بلا بينة ولا ترافع كما وقع مع الشهيد ابن اسماعيل السنى ورشيد فامتنع الوزير خير الدين واقام له مجلس المحاسبة ومكنه من مصوغه وما ثبت عليه بعد الحساب دفعه باختياره (ومنها) بذل وسعه فى استحصال فرمان سنة ١٢٨٨ السابق ذكره على ما مر شرحه ومن فرح الوالى به واكرامه على ما نتج على يده ان وجه له وهو مقيم بعاطه المدة المهية مصطفى ابن اسماعيل أقرب المقربين اليه ومستشار الخارجية محمد البكوش لاكرام خاطره وابلاغ الشكر اليه وأرادان يلبسه نيشان البيت الحسينى فتعرض له الوزير مصطفى خزنه دار وأبدل له نيشان الصنف الاكبر بنيشان منه مرصع ثم كافأه على ذلك بمرتب عمرى قدره خمسة وسبعون ألف ريال تونسيه فى السنة ثم عاوض له هذا المرتب بهنشير أى أرض وسيعة تعرف بالنفيضة (ومنها) اسقاط جميع البقايا الباقية على الاهالى من مداخيل الحكومة على اختلاف أنواعها مما سبق تاريخه سنة ١٢٨٦ الذى هو

مبدأ مباشرته للوظيفة وانبعثت بذلك آمال الاهالى الى معيرا الارض حيث كانوا يرون ان
ثمرة أعمالهم يستأثر بها غيرهم للوفاء بتلك البقايا الباهظة التى دفعوا أضعافها
(ومنها) تركيب المجلس للحكم فى نازلة الوزير مصطفى خزنه دار عند عزله كما تقدم
شرحه وتجنبه للعادة فى مثل ذلك من كون الوزارة هى التى تباشر مثل تلك النوازل
لينفى الشكوك والتهم ومنذ ذلك التاريخ انفرد الوزير خير الدين بالوزارة حساً ومعنى ولقبه
الوالى بالوزير الاكبر وابطل لقب الوزير المباشر وقلده بنيشان بيته الحسينى
مع بقائه على رياسة الكومسيون المالى وذلك فى غرة رمضان سنة ١٢٩٠
فزينت البلاد وعقد الاهالى محافل ليلية مع التنوير وهكذا سائر بلدات المملكة وقبائل
عربانها بما أذكرهم احتفالهم بفرمانه سنة ١٢٨٨ حسبما سبقت الاشارة اليه
لتيقنهم بالاستراحة من تصرفات السابق وأملهم بازدياد اصلاحات المتولى لما عرفوا من
اياديه مما مر ذكره وفى هاته الاثناء تم اسقاط خراج الزيتون المسمى بالقانون فى الوطن
القبلى الذى مر ذكره وجعل عوضه لخزنة الدين تعميم الخروبة على جميع الاملاك سواء
اكتريت او سكن فيها المالك بان يقوم كراءها ويدفع بحسبه خروبة على الريال أى جزأ
من ستة عشر جزأ وعم ذلك البلدان والقرى والبساتين لان نواب أصحاب الدين لم يرتضوا
باسقاط القانون الا بعوض عنه فى الدخل ومن تصرفاته بعد ذلك انشاء جمعية الاوقاف
بان جعل نظار الاوقاف مطلقا فى جميع انحاء القطر لجماعة من أعيان الاهالى مركبة من
رئيس ونائبه وعضوين وكان الحقير متوليا ادارة هاته الوظيفة التى معها ينظرون فى
مصالح الاوقاف سواء كانت أهلية أو على أعمال البر لكن الاهلية نظارهم قيم بارشاد
أهلها لاقامتها وحراستها من الاتلاف والتى على أعمال البر يتولون ادارتها وحفظها اذ
كانت تلاعبت بها أيدى الاهمال وكانت كانها مناط التفضلات فما من وقف له شئ من
الدخل قليل أو كثيرا الا ويعطى لاحد ذوى التقرب أو الاستناد ان بيده التصرف فتعطلت
منافع الاوقاف وأهمل الموقوف عليه الى ان خرب أكثره وقد عينت ثقاة لتحرير ما يكفى
لاصلاح الموقوف عليه وحده فكان تقدير ما يكفى ٣١٦٦٧٧٥ ريالات مع
تعطيل مرتبات الشعائر وتراكم ديون القوانين الراجعة للحكومة من الموظفات على
الاوقاف حتى صار عليها من الدين ما يقرب من نصف مليون فتدارك أمرها بذلك الترتيب
وأقيمت الجوامع والمساجد والمدارس فى كل جهات القطر وهكذا الاوقاف على قراءة
القرآن وغيره من أنواع البر وكان دخل الاوقاف عدا أوقاف الحرمين الشريفين

وعدا

وعدا أوقاف جامع الزيتونة لان ذلك مستثنى من العموم لكل ادارة مخصوصة وهكذا
أوقاف المدرسة الصادقية الآتي بيانها فما عدا ما ذكر وعدا الاوقاف الاهلية
والزوايا التي لها ذريه كان دخله في السنة الاولى من مباشرتي وهي سنة ١٢٩١
١٢٠٤٠٠٠ وصار دخلها في السنة الخامسة وهي آخر السنين التي باشرت الادارة فيها
بقيامها وهي سنة ١٢٩٥ ما قدره ٢١٥٤٠٧٣ وأصلحت في مدة الخمسة سنين
٣٣٣٠ مكانا وكان المصروف في سنة ١٢٩٥ على خصوص اقامة الشعائر
٥٦٧٠٨٣ ومادفع للحكومة في قوانينها على ما يخص الاوقاف ١٩١٩٣٤ وكان
المصروف في الاصلاحات ١٦٨٠٧٢ فمجموع ذلك ٩٣٠١٢٣ ثم كان
المصروف من الداخل المذكور على عموم المصالح غير الموقوف عليه ٥٥٦٤٠٩
الجميع ريالات تونسية كما نشر جميع ذلك بالرائد التونسي الذي هو الصحيفة الرسمية
للحكومة ومن تصرفاته التي قمت باجرائها اجراء مرتب لاهل المجلس الشرعي بالحاضرة
وقد كان هذا المرتب عين لهم في مبادي ولاية محمد الصادق باشا على ان يكون من فواضل
الاوقاف وجمعت اذذاك الاوقاف لنظر محتسب فلم تقم بنفسها ولا وفت بتلك المرتبات الا
في بعض أشهر واستخلصت اذذاك معاوضات كثيرة وصرفت في ذلك المصرف
وضاعت الموقوفات ومع ذلك لم يحصل المقصود حتى انيطت وكالة بعض الاوقاف باهل
المجلس الشرعي مفرقة عليهم لكي يستنفعوا منها بما يقابل المرتب فجرى فيها مثل
ما كان ولم يحصل لهم المقصود حتى ذكر بعضهم انه كان يناله في جميع السنة خمسمائة
ريال فأجرى لهم الوزير خير الدين من فواضل الاوقاف خمسمائة ريال في كل شهر على
مجرد الخطة الشرعية ولكل من شيخ الاسلام ورئيس الفتوى من المالكية
ثمانية آلاف في السنة عدا ما لكل منهم من مرتبات وظائف أخرى وجرايات من
القمح عشرة أقفزة ومثلها شعيرا واثني عشر مطرا زيتا ويزيد لكل من الرئيسين
المذكورين على ما ذكر قفيزين من كل نوع وثلاثة امطار زيتا وأطرد جريان ذلك ولم
يتأخر عن أصحابه ولا شهرا واحدا مدة مباشرتي (ومنها) أيضا الزيادة في مرتب
المدرسين بجامع الزيتونة الذين مر ذكر ترتيبهم من أحمد باشا فزاد لكل مدرس من
الطبقة الاولى ثلاثة ريالات يومية ولاهل الطبقة الثانية ريالا واحدا وكان اجراء ذلك
أولا من مال الحكومة ثم أجريته لهم من فواضل الاوقاف (ومنها) جعل مرتب
للحكام الشرعيين في جميع بلدان القطر على خصوص وظيفة الحكم الشرعي. ولم يكن لهم

ذلك من قبل بل كانوا مقتصرين على مرتبات من دروس وامامة وخطابة فاجريت لكل قاض ببلد فيها مفت مائة وخمسين ريالا في الشهر ولكل مفت مائة وعشرين ولكل رئيس فتوى مائة وخمسين ولكل قاض في بلد لا مفتي بها وهي البلدان الصغيرة تسعين ريالا في الشهر (ومنها) جعل وكيل للخصام عن الناس العاجزين عن الخصام بأنفسهم والعاجزين عن أجرة الوكيل (ومنها) احداث طريق صناعي بين تونس وحمام الانف طوله نحو اثني عشر ميلا وقد كان ذلك الطريق الذي هو أهم طرق جهات القطر يتعطل المرور فيه زمن الشتاء لكثرة الوحل وتموت فيه حيوانات كثيرة للمارة ولا يكاد يصل صاحب العجلة فيه مع قوة مراكبه التي تجر العجلة الا في نحو نصف يوم هذا ان سلمت عجلته حتى ان الامراء والوزراء يربطون في عجلاتهم أربعة من الخيل أو البغال أو أكثر لمن يسوغ له ذلك ولا يصل الى حمام الانف الا في أربع ساعات أو أزيد أما الضعفاء فلا يستطيعون المرور فيه وترى المارة يردون الطرق البعيدة باضعاف طول ذلك الطريق الذي هو ضروري لجميع من كان في الجهة الجنوبية الشرقية من القطر كاهل الساحل وصفاقس والاعراض والجريد وغيرهم فزال جميع التعطيل باحداث ذلك الطريق وان عده بعضهم انه من التحسينات التي تأخر عن غيرها فهذا لجهله باسباب العمران وعدم تفرقته بين الضروري والتحسيني (ومنها) التحجير على معاوضة الاوقاف بمال من النقود بل لابد بعد المسوغ الشرعي من أن يعوض مكان الوقف بمكان آخر يدا بيد حيث كان ضاع على الاوقاف بسبب مخالفة تلك الطريقة أموال طائلة اذ حررت الاموال التي وجدتها مقيدة بدفاتر القضاة والمفتين بانها ثمن أوقاف عوضت ولم يشتر بثمنها شيء فكان مجموع المال ٢٤٠٠٦٧٣ هذا عدا ما عوض ولم يرسم في الدفاتر وانما كتب في رسوم أصحابه ولم يبق للوقف حجة فيه وهو أيضا كثير ثم ذلك المبلغ أكثره ضاع بالمرة اما الجهل من أمن تحت يده حيث يقال في الرسم وأمن تحت يد من يوثق به أو انه أمن تحت يد اناس قد ظهر افلاسهم حتى انه مع غاية الاجتهاد انما أمكن ان يستخلص من المليونين ونيف المذكورة نحو مائتي الف ريال فقط واشترى بها أملاكا وقفت على مرجعها وزالت اسباب الضياع بسبب ذلك التحجير (ومنها) التحجير على العدول الذين يكتبون رسوم بيوع الاملاك بانهم مهما وجدوا في رسم معاوضة أو انزالا أي كراء مؤبدا الا واخبروا به جمعية الاوقاف لكي يحرر بذلك الوقف فنتج من ذلك ظهور أموال للاوقاف تبلغ قيمتها مئات الالوف كما ظهر بالبحث

أيضا

أيضا أملاك أخرى أصلها وقف واستولت عليها أيدى العدوان ورجعت الى أوقافها بالمرافعة والاحكام الشرعية وكان من جملتها نيف وسبعون هنشيرا أى قطعا من الارض المثرية ما بين كبير وصغير زيادة على الزياتين وغيرها من الاملاك التى تتجاوز قيمة المليون (ومنها) ابراء من كانت عليه رسوم فى أموال من المعاوضات المذكورة مثبتة فى دفاتر القضاة مع ان أصحابها دفعوها أو اشتروا بها أملاكا رجعت الى أوقافها ولم يكتب على المرسوم فى الدفاتر ذلك حتى لو ضاعت حجة الخلاص على المدين لبقيت رسوم الدين عليه قائمة والحال انه خالص وكان الذى تحرر من ذلك القبيل ما يبلغ المائتين ألف ريال أو تزيد فابرئت أصحابها وعلم على رسوم الدين بالخلاص (ومنها) ان عائلة حاى الصباغ الذى مر ذكره انه كانت له علاقة بالوزير السابق قد نال الحماية من دولة المانيا مع انه تونسى ولم يجر عليه ظلم فتكلم الوزير المذكور مع دولة المانيا بوسائط سياسية الى ان صدر مكتوب من مهارسى بان الصباغ المذكور لا تنا له حماية المانيا فى خصوص القطر التونسى بل تجرى عليه أحكام بلاده وانما يكون المانيا اذا كان فى غير ذلك القطر (ومنها) انشاء مجلس مختلط من متوظفى أغلب قنسليات الدول الاجنبية الذين لهم كثرة رعايا فى القطر ورئيسه أحد المتوظفين التونسية للحكم فى نوازل الديون والمعاملات المالية الواقعة بين أهل القطر والاجانب فيما اذا كان لا يتجاوز المال الالف ريال ولم يتخلف عن الدخول فيه الا دولة ايطاليه لخلاف وقع فى المقدار الذى يجوز التحاكم فيه لدى ذلك المجلس لان قوانينها انما تسوغ الحكم فى رعاياها على خلاف قانونهم فى مقدار لا يبلغ الا ألف ريال فقط ودامت المذاكرات فى ذلك المعنى الى ان انفصل الوزير المذكور عن الوزارة وحصل من هذا المجلس قطع تشعبات عظيمة وهرج كثير فى الخصام لان الديون القليلة والمعاملات الضعيفة كثيرة الوجود واختلاف الحكم فى بلد واحد من المصائب العظمى فزال ذلك بوجود ذلك المجلس (ومنها) شروعه فى المذاكرة مع الدول العظام على اتحاد الاحكام فى القطر ولما كان يعلم ان دول أوروبا لا ينقادون الى ادخال رعاياهم تحت أحكام الشريعة الاسلامية فى تونس اذا بقيت حالة القضاة على ما هى عليه الآن حيث انه يوجد لكل من المذهب الحنفى والمذهب المالكى قاض مطلق الحكم فى النوازل مع ما يوجد بين المذهبين من الخلاف فى كثير من الفروع بل وفى المذهب الواحد تختلف الاقوال ويكون للقاضى الاجتهاد فى الترجيح والتطبيق باعتبار الاصلح والعرف فيحكم هذا القاضى فى حادثة بما يخالف حكم قاض آخر فى

مثلها والاروباويون يريدون ان تكون الاحكام المدخول عليها معروفة لهم من قبل مضبوطة بما لا يتوهمون معه ميل الحاكم الى غير ما توجبه الحجة فلذلك أحضر الوزير خير الدين القوانين المعمول بها في الدولة العلية المتعلقة بالاحكام وكذلك القوانين المعمول بها في مصر وكلف أحد المهرة العارفين بالاحكام الاروباوية بان يستخرج من أحكامهم ما يوافق حالة القطر وعرفه وبعد ذلك عقد الوزير المذكور مجلسا مؤلفا من شيخ الاسلام من العلماء الحنفية وهو الشيخ أحمد بن الخوجه ومن عالمين من المجلس الشرعي المالكية وهما الشيخ محمد النيفر المفتي والشيخ عمر ابن الشيخ قاضي باردو ومن احد الوجهاء العقلاء العارفين باصطلاحات البلاد وتجارتها وهو الوجيه حسونه الحداد ليستخرج هذا المجلس من مجموع ما تقدم قانونا شرعيا مطابقا للاحكام الشرعية والعرفية التي عليها عمل القطر من غير تخصيص باحد المذهبين ولكن عاق عن الاستفادة من ثمرة هذا العمل خروج الوزير المذكور من الوزارة فترك المجلس مع ان اتحاد الحكم على سكان قطر واحد ضروري (ومنها) انشاء المدرسة الصادقية لتعليم مبادي الفنون الشرعية كالقراءة والكتابة والقرآن والعقائد والفقه الحنفي والمالكي والنحو والصرف والادب والتاريخ والخط والمعاني وتهذيب الاخلاق والحديث وتعليم اللغات التركية والفرانساوية والطليانية وتعليم الفنون الرياضية كالحساب والهندسة والهيئة والجبر والجغرافيا والفلك ورتب لها معلمين لكل فن وجعلها تقبل مائة وخمسين تلميذا من جميع ابناء القطر المسلمين منهم خمسون تلميذا من ابناء العاجزين عن القيام بهم وهؤلاء يسكنون بالمدرسة وتقوم بهم زيادة على التعليم بالاكل واللبس والمسكن مجانا وأما المائة الباقية فالمدرسة تقوم باكلهم نهارا مرة فقط وبالتعليم مجانا ويلزم ان تكون جميع التلامذة في لبسهم على شكل واحد وأوقف عليها من أملاك الحكومة أوقافا لها بال يزيد دخلها السنوي على المائتين والخمسين ألف ريال ونبع من أبناء البلاد ما شهد لهم به الوافدون من أهل أروبا والحاضرون لامتحانهم ومثل هاته المدرسة ضروري للممالك الاسلامية سيما في العلوم الرياضية التي اضمحلت من الامة وانما خص التلامذة من أبناء المسلمين من خصوص الاهالي لان ابناء الاجانب لا يمكن اجراء التراتيب في حقهم مطلقا الا اذا وافق اولياؤهم والموافقة منهم كانها غير مامونة في كل وقت سيما مع اختلاف الاحكام التي مر ذكرها وأيضا من خصوصيات المنح للتلامذة عند استكمالهم للمعارف ان يتقدموا في جميع الوظائف المحتاج اليها في القطر على غيرهم

وهذا

وهذا انما يليق بابناء القطر اما الاجنبي فانما يتقدم بل يستخدم بخصوصيات أخرى واما تخصيص المسلمين فلان غيرهم بالنسبة اليهم قليل جدا كما مر ذلك في فصل صفة القطر ثم أولئك القليلون لا يرغبون في اتباع جميع تراتيب المدرسة التي منها تعلم العلوم الشرعية التي هي المقصد الاهم لكي يحصل التبصر من علماء الديانة بالعلوم الرياضية و يوفقون ما بين ما يظهر بحسب بادي الامر انه مخالف للشرع من بعض العلوم الرياضية ثم ان الوزير المذكور عزم على ايجاد مدرسة على ترتيب آخر صالح لدخول غير المسلمين فيه (ومنها) تحبيس كتب رجعت للحكومة من صلح الوزير السابق تبلغ نحو ألفي مجلد فالحقها بنحو تحبيس الكتب من أحمد باشا بالخزائن التي عمر بها صدر جامع الزيتونة (ومنها) ما أنشأته بامره من احداث المكتبة الصادقية حول جامع الزيتونة وجعل لها ترتيبا لم يسبق في البلاد على نحو التراتيب الجارية في الاستانة والممالك المتمدنة بحيث لا يخرج الكتاب من المحل و ينتفع المريد بما شاء من الكتب وانواع الاستنفاع مع تحسين هيئة المكان واحضار فرشه والمحابر والاقلام وساعة للاعلام بالوقت والرسم بان كل الاوامر الرسمية العامة العمل يحفظ منها بتلك المكتبة نسختان لكل من أراد مراجعة ذلك وانتظام وضع الكتب وترتيبها على نسق يسهل الاستنفاع بها ومناولتها وأوقف عليها جميع كتبه العربية وكانت تبلغ نحو ألفي مجلد كما جمع بها سائر الكتب التي كانت مفرقة في الجوامع والمدارس وتلاشتها أيدي التلف حتى ضاع أكثرها فان خزانة الكتب الحنفية بالمدرسة الحسينية وجد بها مكنسة ولم يوجد بها ولا ورقة مع انها كانت تشتمل على مئات من المجلدات وهكذا أغلب الخزائن مع عدم النفع بها الا لمن كانت بيده وهم افراد قليلون بعمر عليهم وجدان الكتاب الذي يريدونه لعدم ترتيب وضعها وضبطها بدفتر واعداد فضبطت وعم النفع بها لكل مريد من المسلمين حتى قال بعض من كانت بيده تلك الخزائن أقسم اني الآن استنفع بما كان تحت يدي من الكتب أحسن مما كان عندي (ومنها) انشاء مجلس مكلف بنظافة البلاد كانه شعبة من المجلس البلدي لكنه يزيد عليه بدخول أعضاء من الاجانب لتيسر اداء الاجانب ما يلزم للنظافة وحصل به شيء من النظافة الضرورية (ومنها) انشاء ترتيب للعلوم وتدريسها بالجامع الاعظم جامع الزيتونة حتى لا تهجر علوم ولا يزاد على قدر الحاجة من غيرها وتضبطا للدروس وتجرى على الوجه المطلوب للوصول وجعل امتحانا للتلامذة في كل سنة حتى لا يتقدم للوظائف العلمية

الامن قدمته مخابئه وتحصيله (ومنها) انشاء ترتيب فى ادارة المجالس الشرعية لقطع وجوه تطويل الخصومات ودفع تعارض الاحكام وتسهيل المراجعة بينهم وتحديد أجرا تباعهم وتعيين محل للمحاكم الشرعية خارج الحاضرة حيث كان كل حكم فى مكانه بحيث صارت المحاكم الشرعية معلومة مضبوطة أوقات الانتصاب فيها الى الحكم وان كانت لذلك سابقية فى خصوص الحاضرة من مدة محمد باشا لكن اعتراها الخلل بفقد انتظامها على حسب الوقت (ومنها) انشاء ترتيب لاعمال العدول المنتصبين للشهادة وضبط عددهم بالموجودين وحصر المحتاج اليه فى كل جهة بعدد مخصوص وعدم تولية غير الموجودين الى ان يصل العدد الى القدر المحصور فيه فاذا نقص منه أحد لا يزاد الا بانتخاب أهل الشرع مع ضبط كيفية أدائهم للشهادة وتحملها وكتبها مما يندفع به حصول الزور وتبعد به التهم (ومنها) احياء ارسال محصل أوقاف الحرمين الشريفين للمستحقين من أهلهما بعد ان مضت على ابطال ذلك سنوات وأكلت أموال تلك الاوقاف على غير وجوهها فمنذ ولاية الوزير خير الدين اطرد ارسالها (ومنها) انشاء سجن عمومى للنساء وآخر للرجال على صفة السجون فى البلاد المتمدنة من النظافة وتخلل الهواء والطبيب والفرش الضرورية للنوم ومحل للطهارة ومسجد للصلاة وجعله مقسما على عدة اقسام بحسب الجنايات التى يسجن فيها وبحسب حال المسجون من السن والمرض بحيث صار سجنا لا كما كان مقتلا وان حصر دخوله بمن يحكم عليه بالسجن أما الموقوفون فقد بقوا يوقفون فى السجن القديم فكانوا أشد عقوبة ممن تمت عليهم الجنايات ولذلك كان الوزير خير الدين المذكور عازما على احداث محل لا يقاف (ومنها) حصر أجر أعوان الحكومة وأتباعها المرسلين فى الاتيان بالجناة فى مقادير معلومة معلنا بها للعموم على حسب الجنايات وبعد مكان المطلوب بحيث صار ذلك القدر معينا بالحكم بمقدار غير مجحف لا كما كان من تفويضه لارادة المرسل الذى كثيرا ما أضر بالجناة بل بالذى تثبت براءته أكثر مما يناله من الحكم (ومنها) جعل خزانة يجمع بها أجر أولئك الاعوان المتوجهين من الحكومة ويخرج منها فى رأس كل شهر أجر معين للاعوان المسمين بالبوابة الذين كانوا يأخذون مقادير من يد الشكاية ويقع بسبب ذلك محاباة فى تقديم بعض المشتكين على بعض ثم يقسم الباقى على الاعوان الاخر الذين فى نوبة الخدمة على حسب رتبهم ويحصل بذلك تعادل فيما

يحصل

يحصل للاعوان وتحسين فى هيئتهم وشارتهم لانه قبل ذلك كان الاقرب عندرئيسهم يحصل على مال كثير وغيره يبقى على الاعدام مع اتحاد الوظيفة (ومنها) ان من يحابى من المشتكى بهم وتثبت براءته لا يؤدى أجر جالبه سواء كان فى مال أو جناية فان كان للمشتكى شبهة راجحة فى شكايته لا يؤدى هو أيضا الاجر ويحسب المتوجه فى النازلة كان لم يتوجه فيها ويعاد توجيهه فى نازلة أخرى لان أجره فى الواقع يخرج من عموم ما فى خزنة الاعوان والا بان ظهر تعمد المشتكى للباطل فهو أحق بالحمل عليه (ومنها) حصر أجر ما يكتب من التسجيلات فى خصومات الاهالى على أيدى العمال فى مقدار معين وهو ريالات ١٢٣ بحيث لم يبق الامر على مشيئتهم الذى كثيرا ما كان سببا لامتداد أيديهم لاموال الاهالى (ومنها) الامر بعدم التشديد فى توثيق المكاف على من يجلبه أعوان الحكومة من الجناة اذ كان وسيلة لهم فى التوصل الى المال (ومنها) ابدال السكة الفضة التى كانت ناقصة فى الوزن ومن كانت فى يده تبدل له فى الحال بسكة الذهب الكاملة يدا بيد على خلاف ما سبق كما مر ذلك فى واقعة الفلوس النحاس (ومنها) ضبط العرف الجارى به العمل فى الفلاحة التى هى اهم اشغال أهل القطر ومورد ثروته وضبط ما يتعلق بشركة الخماس فى قانون معروف يرجع اليه عند الحاجة وقد كان من قبل لا يعرف له مرجع الا الاستخبار من افراد أصحاب الفلاحة وكثيرا ما يقع بينهم الاختلاف فى الاخبار عن العادة والعرف حتى يحتار الحاكم فيما يحكم به (ومنها) ترتيب مجلس التحفظ العمومى على الصحة الجارى به العمل فى الممالك المتمدنة وجعل له قانونا خاصا يرجع اليه وأدخل فى اعضاء المجلس اعيانا من متوظفى الحكومة مع قناصل الدول الذين هم اعضاء لذلك المجلس (ومنها) انشاء ترتيب لكيفية أعمال العمال فى مواصلاتهم مع الحكومة وضبط مكاتيبهم وأحكامهم فى دفاتر لتكون حجة فيما يراد الرجوع اليه وليعلم الداخل للوظيفة ما هى أعمال السابق عليه هذا وأما ما يرجع الى تحسين مالية الحكومة والاهالى فقد شدد النكير على العمال وسائر المتوظفين وحصر أوجه الدخل والخرج وبناها على ميزان سنوى على نظر قسم النظر من الكومسيون المالى وضبط كيفية القبض من الرعايا بان كل من يدفع ما عليه من المال المعين الذى استوت فى معرفة مقداره الاهالى جميعا يأخذ بيده حجة من نوع خاص من البطاقات على شكل خاص مختومة من شيخ القبيلة أو عاملها مقطوعة من دفتر خاص بذلك بحيث يبقى نصف الرقعة فى الدفتر مرسوما بها نظير ما بيد صاحب المال لينضبط الاستخلاص ولا تمتد

الايدى الى الاموال ومن خالف ذلك عوقب على حسب جنايته ثم خفف كثيرا من الاداء على السلع الخارجة من القطر الذى هو الامر المعقول لتكثير الثروة فى القطر بتعاق نقائصه واستعواضها باموال غيره وذلك يحصل بترخيصها وتسهيل نقلها واخراجها فصدر لذلك مكتوب الوالى للقناسل مطابقا لما يأتى بيانه (الاداء على البضائع)

ما كان سابقا	ما استقر عليه الحال	
ريالات	ريالات	
٣٠	١٠	قنطار الشمع
٤٠	٣٠	الصوف المغسوله عدا ما يؤدى للقمرق ودار الجلد وهو ٤
١٢	٦٠	قنطار الجلد القريق
٣٠	١٠	قنطار الصوف يونتوف أى المركبة من المغسولة وغيرها
٢٠	١٠	قنطار الصوف غير المغسوله عدا ما للقمرق ودار الجلد وهو ٣
٢٥	١٠	قنطار التمر الدقلة
٦٠	٣٠	قنطار التمر الحرة
٦٠	١٣	تمر قابس
٠٣	٠٢	البسر
٣٠	١٠	جلد المعز
١٥	٠٨	بطانة الغنم أى جلدها
٣٠	١٠	القطن الغير المصنوع
٣٠	١٠	النيله
٠٥	٠٥	القماعة كاصله نوع من الابزار
٠٤	٠٤	القنطس مثله
٢٥	١٠	العسل
٦٠	٣٠	النشاف أى الاسفنج المغسول
٤٠	١٠	الغوه نوع من الصبغ
٧٣	٠٣	الحنة
٢٥	١٠	القرنيط نوع من السمك

ما كان سابقا	ما استقر عليه الحال	
ريالات	ريالات	
١٠	٠٥	رطل العلق أى دود الماء يستعمل لامتصاص الدم من الانسان فى الامراض
١٥	٠٥	قنطار بيض السمك ولحم التن
١٥	١٥	قنطار النشاف أى الاسفنج غير المغسول كاصله
١٥	٠٧	قنطار النحاس أسقط عنه الاداء بالمرة قنطار الصابون
١١	٠٨	صابون سوسه مع ان اداء الطبخ داخل فى ذلك
٠٠	١٦	الزيت وقد كان من قبل يؤدى بالمطر فصيره وزنا

وعلى النسبة المذكورة وقع التخفيف على مصنوعات الصوف والقطن فى جربه التى هى أعز صنائعها على ما مر فصار على ما يأتى

على ما يباع من الغزل	٦	فى المائة
على ما يخرج من جربه الى مراسى المملكة	٣	فى المائة
اداء للعامل على كل شداده من المصنوعات	٣	ريالات
على ما يباع من المصنوعات	٦	فى المائة
على كل شداده للزام	١٢	ريال ونصف

(ومنها) انشاء مراكز للقمرق فى جهات الحدود لضبط القمرق (ومنها) انتساق دفع المرتبات لاصحاب الوظائف سيما الوالى وآل بيته بحيث يقبضون مرتباتهم من أول الشهر الا نادرا اما الوالى فلم يتخلف مرتبه ولا شهرا واحدا عن ميعاده وقد حصل فى بعض السنين زيادة فى الدخل عن المقدار المعين للمصروف فاشترى به مقدارا من دين الحكومة لذاتها لأنه مما يرجع الى مجلس الادارة النائب عن أصحاب الديون واستفادت منه الحكومة فى وقت قلة الدخل لكن لم تتم الفائدة حيث ان بعض المغرضين سعى فى اسقاط اعتبار مالية الحكومة على ما سيأتى بيانه فلزم لرفع ثمن سهام الدين اقراض الحكومة لبعض التجار لتظاهر الرغبة فى شراء الرقاع بما يطمئن به التجار فرهنت الرقاع المشتراة للحكومة لذلك القرض ولم ينفع ذلك فى ارتفاع الثمن بل زاد فى الانحطاط الى ان خسرت الرقاع بالمرة وبيعت فيما رهنت فيه وافلس التاجر الذى أقرض المال ومما

حصل من اعمال هذا الوزير مدة ولايته جعل مراكز من العربان فى الطرق المخيفة واعفاء أصحاب المراكز من الاداء الموظف على بقية السكان واجراء شئ من الحبوب اليهم على ان يعمروا تلك الجهات ويكونوا مطالبين بما يحصل فى أماكنهم من الجنايات على المارة حيث انهم هم الحارسون وبذلك وبانفاذ الاحكام من غير محاباة امنت السبل واستقر الامن حتى صارت القوافل والفرادى فى الامن وعدم الخوف سواء (ومنها) الاحسان الى المحسن من الاهالى بامنه فى ماله وعرضه ونفسه وان كان من قاعدة انتباه الوزير واجراء العقاب بالاضعف على من يحب الراحة ولا يطيع أوامر الحكومة حتى انه لما ظهر من فرقة من قبيلة الهمامه عصيان وتعرض للامن بانتهابهم لغيرهم من القبائل واخافة السبل وجه لهم معسكرا تحت رياسة وزير الحرب رستم وزجرهم وعاقبهم عند ما ظهر واحربه وارجعهم الى الطاعة وأمن تلك الجهات وعند ما رجع للحاضرة وعلموا باستقراره عادوا الى ما كانوا عليه ظنا بعجز الحكومة عن ارسال معسكر اثر السابق فلم يكن من الوزير خير الدين الا ان وجه عليهم فرقة من العساكر الفرسان المسمين بالحوانب والصبائحية مع أوامر ان يمرون عليهم من قبائل العربان بان يتوجه معهم فرسانهم فى أقرب وقت لردع البغاة فلم تكن الا بضعة أيام حتى عاقبوا البغاة وخضدوا شوكتهم بما استقر معه الامن منهم الى الآن وبمثل هاته الشدة فى ابانها والرفق واللين فى ابانه خضعت القبائل وبادروا الى دفع أموال الحكومة فى ابانها ونفذت أوامر الحكومة فيهم وانقادوا لها بطيب نفس لاجرائها العدل فيهم بما لم يبق لهم معه خوف من امتداد الايدى الى مكاسبهم فاقبلوا على العمران وكثرت ثروتهم حتى ان فى العام الثانى والثالث من ولاية هذا الوزير كثر شراء الاعراب للحلى من الفضة لما سبق من عدمهم منها وتكاثر ذلك تكاثرا فاحشا الى ان صار الصياغ لا يوفون بحاجتهم وصارت دار السكة كل يوم تضع علامة السلامة والصحة مع المصوغ المذكور بما يبلغ وزنه الى عشرات أو مئات القناطير الى ان كتبت اخباره فى الصحف العربية والاروباوية (ومنها) جعل صندوق مقفول له منفذ لوضع المكاتيب فيه لمن أراد رفع نازلته للوزير أو انهاء مصلحته بان يشرح مقصوده ويبين دليله ولا يلزمه التصريح باسمه ليسهل رفع المظالم وعدم الخوف وجعل مفتاح المحل الذى يمكن وصول كل الناس اليه عنده والتزم ان يفتح هو بنفسه جميع المكاتيب ويوقع عليها بما يراه من الملاحظات فيها ويوجهها الاحد أقسام الوزارة الراجعة اليها النازلة بحيث تكون النوازل على ذكر منه لكى لا يقع التحريف فى تلخيصها

أو

أو اهمال ما ربما يمكن ان يحدث فى بعض النوازل وان نسب اليه بعض المتوظفين فى ذلك عدم الثقة ببعضهم وحب الاستبداد بكل الاشغال وهو يقول انما اغا جعل التعب على نفسه ولم ينقص من مراتب المتوظفين شيأ الاعدم القدرة على فتح المكاتيب الا باذنه (ومنها) تحسين حالة مطبعة الدولة التى هى ضرورية فى هذا الزمان لطبع الكتابات الرسمية وغيرها مما يعجز عن الوفاء به الكتاب وتيسير نشر الكتب فى الفنون ليسهل تناولها بالثمن اليسير و يتوصل للانتفاع بها ذوا الجدة وغيره الذى هو من أعظم الاسباب لترقى الامة فى المعارف والعلوم وهكذا تحسين ادارة الرائد التونسى الذى هو الصحيفة الرسمية للحكومة وصار صدوره موقتا مثل سائر الصحف بعد ان كان لا يخرج منه الا عدد يسير ربما بلغ النصف أو أقل مما يلزم خروجه سنويا والحال انه أسبوعى ثم الافادة فيه بافكار الوزير فى المسائل السياسية بما كان ينشر فيه من المقالات المرشدة الذى هو ضرورى للحكومة فى ايقاظ أهلها والسكان وارشادهم لما تراه بلطف الى غير ذلك من فوائد الصحف على ما سيأتى فى الخاتمة ان شاء الله تعالى زيادة على نشر الاوامر الرسمية ليستوى فى معرفتها القريب والبعيد ودليل ما ذكرناه اختلاف نفس الرائد بعد خروج الوزير من الوزارة عما كان من شحنه بالمقالات السياسية كمقالة المدار على الرجال غيرها مما هو كثير والزم المتوظفين بقراءته وأخذه اذ يقبح بالمتوظف ان لا يعلم أحوال حكومته فضلا عن غيرها بل ذلك شرط فى المتوظف فى الممالك المستقيمة (ومنها) جعل خزائن لمكاتيب الحكومة وجمع العتيق منها على ترتيب يسهل به معرفتها والتوصل اليها فى أقرب وقت وذلك من أهم الامور (ومنها) تعميم أمر تعظيم المولد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بجعل له موا كب فى جميع البلدان بالقطر مع اطلاق المدافع عند الوقوف لسماع الابيات (وهى قوله)

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب
اما الله تعظيما له كتب اسمه * على عرشه يا رتبة سمت الرتب
فقم أيها الراجى لنيل سعادة * قيام محب صادق الحب والادب
ففى الذكر لاسم الحب احضار ذاته * بقلب له فى الحب وجد له لهب
ورب جليل عظم الناس ذكره * فكيف وهذا سيد العجم والعرب
عليه صلاة الله ثم سلامه * يكونان للرضوان من أعظم السبب

ص فى

وعمل جميع مايعمل مثله فى الحاضرة على نفقة الحكومة (ومنها) تحرير المكاييل والاوزان وتحريرمكال الجبس أى الجص (ومنها) انشاء معمل الغاز بيد جلفة انكليزية فى الحاضرة (ومنها) انشاء بطحاء القصبة وتحسينها وانشاء قصر الوالى على الوجه المطل على البطحاء المذكورة من قصر المملكة الذى بناه حموده باشا واكمال بناء السوق المحيط بالبطحاء المذكورة وتعميره بتجار من الاهالى وترغيبهم بالشراء منهم والجلوس بحوانيتهم وقدوم الوالى اليهم فى بعض ليالى المواسم وتحسين الحصن المطل على البطحاء المذكورة (ومنها) فتح باب للجامع العتيق الكائن بالقصبة على الطريق العام حتى عمر بالمصلين وانتفع به المسلمون وقد كان من قبل لا تكاد تصح فيه جماعة لان له بابا واحدا داخل القصبة وقد خليت من السكان منذ زمان (ومنها) تدارك السور الخارج المحيط بالحاضرة بالاصلاح فأصلحته من الاوقاف وأصلحت الحصون المحيطة بالحاضرة وكذلك أغلب حصون البلدان التى بها حصون كصفاقس والقيروان وسوسه وغيرها و(منها) انشاء بطحاء عظيمة خارج باب البحر واستقامة الطريق الموصل منها للبحيرة وهكذا انشاء عدة طرق فى البلاد واصلاح غيرها (ومنها) العناية باحياء صناعة النقش حديدة أى النقش على الجص المطلى على الحيوط والقباب التى هى أغرب صناعات تونس والمغرب فى البنا وقد انعدم صناعها من البلدان فجاء عارف بها من المغرب فجعل له الوزير خير الدين اجرا وصاحبه بعدة اناس من الاهالى واحسن اليهم الى أن تعلموا الصناعة الغريبة بعد اندثارها والحاصل انه أجرى مصالح عديدة ومن أعظمها قطع مادة الرشا وبيع الوظائف الذى هو أساس العدل حتى نمت المكاسب وانكفت أيدى المتوظفين الا ما كان على وجه الاختلاس مما لا يمكن التحرز منه ولم يرفع أمره اليه أولم ينتبه بواسطة من الوسائط اليه بحيث يقال فى مدة ولايته فى القطر ان حكومته استبدادية عادلة ناحية منحى الشورى لان أغلب ما مرذكره من الخصال كان يعقد له لجنات من اعيان الاهالى أو أعيان المتوظفين أو العلماء والاغلب ان تكون تحت رياسته ولا يتم امرا الا بعد التوافق والتدبير فيه واحبته الاهالى واعترفوا بفضله سيما وقد أتاهم بعد شدائد مر ذكرها حتى انه لما اتم امتحان تلامذة المدرسة الصادقية فى السنة الاولى ورأى اباؤهم مالم يعهدوه فى التعليم اظهروا ممنونيتهم وشكرهم بان اتخذوا مصحفين كريمين وجعلوا لهما سفرين قانونين وكتبوا على الاول منهما بالياقوت الابيض على احدى الدفتين المحفوظ بالسور والآى وعلى الثانية محمد الصادق باى وعلى الثانى منهما بالياقوت

الابيض

الابيض أيضا على احدى الدفتين الناصح الامين وعلى الثانية الوزير خير الدين وذلك
اللقب هو الذى جرى التعارف فى اطلاقه عليه عند أغلب الاهالى ودفع ثمن ذلك اباه
التلامذة من انفسهم كل على قدر ثروته فمنهم من دفع ريالا واحدا وهو ما فى وسعه وتكدر
ان لم يؤخذ منه ومنهم من دفع عدة آلاف واهدوا المصحفين للوالى وللوزير مع خطبة
مفصحة عن الباعث على ذلك وهو نتايج المعارف لابنائهم ثم بعد سنتين اجتمع اعيان من
التجار البلدية وغيرهم من اعيان العربان وبعض أصحاب الاملاك المثرين وصنعوا فى لندره
مكتبة أى مائدة للكتابة من خشب رفيع مذهبة وملونة وادواتها من ذهب وعليها
ميزان اشارة الى العدل وكتب عليها اسم الوزير خير الدين واهدوها فى رأس العام الى
الوزير المذكور مع خطبة مفصحة عن الباعث وهو ما حصل من ثمرة أعماله فى عموم القطر
حتى ازدادت الثروة وغلت اسعار الاملاك وراجت التجارة وهكذا كانت علاقة سياسته فى
الخارج على سلم وهناء ولم يحدث مع احدى الدول أدنى صعوبة ولا ظهر من أحد القناسل
تشدد فى نازلة ما من متعلقات دولهم ورعاياهم مع أن بعضهم كان ينفر من ذاته لمعية
أو منفعة له من الوزير السابق ومع ذلك لم يجد شيئا يستند اليه فى انشاء صعوبة أو تعكير
هناء ولم يعترض على ما حدث مدة ولايته فى الداخل أو الخارج الا ما يأتى بيانه وهو اعطاء
منحة لشركة فرانساوية فى احداث طريق حديدية من حاضرة تونس الى الجهة الغربيه
فانتقم هذا العمل بان سياسة فرانسا فى تونس معروفة وذلك الطريق يؤل الى تسهيل
استيلائها على البلاد وهنا العقول على فرقتين فبعضهم يرى السهولة من تسهيل نقل
العساكر من الجزائر الى تونس فى أقرب وقت ومنهم من يراها بالتسهيل المعنوى وهو
زيادة النفوذ والاختصاص بالمتجر بل يقول بعض الانكليزيين ان مراسى تونس تصير
خالية وتصير عنابه أى بونة هى مرسى تونس وهى فرانساوية وذلك لان السلع التى توسق
من تونس لا تدخل الى فرنسا الا باداء بليغ عليها فى مراسى فرانسا بخلاف ما يوسق من
مرسى عنابة فانه اذا دخل الى مراسى فرانسا لا يؤدى شيئا فيكون سببا فى التزام التجار
توجيه البضائع الى عنابة وتبقى مراسى تونس خالية وزاد للمعترضين قوة فى أن المقصد
بذلك الطريق أمر سياسى ان الاتفاق فيه تم فى أقرب وقت حتى أشاعوا أنه وقع من غير
استشارة بقية الوزراء هذا مدار الاعتراضات ونحن نقص قصص ما وقع فى النازلة وأحوال
متعلقاتها ونكل الحكم فيها الى المطالع وهو أنه فى سنة ١٢٩١ قدمت شركة
انكليزية وطلبت منحة لاعمال طريق حديدية بين تونس ودخلة جندوبة فى الجهة

الغربية من القطر المعنية بافريقية التى هى أهم الجهات فى الفلاحة على ما تقدم بيانه فى الفصل الاول من الباب الثانى من المقصد على ان تمر الطريق حذو بلد باجه وتصل الى معدن دجبه المركب من الرصاص والفضه وتختص بتشغيله على أن يكون للحكومة قسط من دخله بعد طرح المصاريف فقسطها يكون من الربح وحيث كانت منافع طرق الحديد فى الممالك من أعظم أسباب عمرانها على ما سيرد ان شاء الله فى الخاتمة وكانت تونس من أحوج الاقطار اليها لعدم وجود الانهر والترع التى تمكن بها المواصلة بل ولا مجرد الطرق الصناعية وكانت نتايج الزرع فى الاماكن الخصبة يتعذر نقلها بل يستحيل زمن الشتاء والوحل وكان نقلها فى زمن سهولة الطرق يكلف مصاريف باهظة ربما لا يوفى بها لاصحابها ثمن الحبوب عند بيعها حتى كان الشعير لا يجلب من تلك الاماكن لمراسى المملكة ولا للبلدان لأسواقها لعدم وفاء ثمنه بأجرة حمله فضلا عن التبن فان كلا منهما يترك فى مكانه الى ان يضيع على أصحابه ولا زال مثل ذلك الى الآن فى جبال ماطر وغيرها بل وكان جلب الحبوب من الاماكن الاجنبية فى البحر أيسر وأرخص من جلبها من داخل القطر ورايت فى رسالة كابيزول القنسل الفرانساوى بشفرحاق الوادى من تونس التى ألفها فى التعريف باحوال القطر ما معناه ان هاته البلاد التى كانت تسمى بمخزن حبوب أروبا فى الزمن السالف ها هى الآن يجلب اليها القمح من خارج ويباع بأرخص مما يجلب من داخلها حتى كان ذلك سببا فى تعطيل أكثر اراضيها وفقر أهلها (الخ) ولقد صدق فى ذلك وكان تأليفه لتلك الرسالة فى حدود سنة ١٢٨٠ التى مر تفصيل أهوالها فلما ذكر كان احداث الطريق الحديدية ضروريا للقطر فبقى الكلام فيمن يصنعه والامر منحصر فى ثلاثة أوجه الاول ان تصنعه الحكومة وقد علمنا مما مر ان أغلب ماليتها راجع للاجانب بسبب ديونهم وما بقى من دخلها لا يكاد يوفى بضرورياتها التى لا مندوحة عنها فلا سبيل لها لاعمال الطريق المذكورة لما يلزمها من كثرة النفقات (والوجه الثانى) ان يتولى عملها الاهالى وهذا أيضا اما متعذر أو صعب جدا لان سابقية الفقر فيهم قد أخذت ما أخذها وما تراجع لهم من بعد لم يكن موفيا بالمقصود وعلى تسليم اقتدارهم فانهم لا يلتفتون الى ذلك (اما أولا) فلعدم معرفتهم بفوائد الشركات لان مثل ذلك لا تفى به قدرة الواحد وقد علمنا ان فتح أبصارهم لمثل العلوم الرياضية والاقتصادية والمدنية انما كان بعد ذلك التاريخ وعلى فرض حصول مبدأ التعليم من قبل فلا بد له من زمان ليرسخ ويعمل به (واما ثانيا) فانهم لا يأمنون على اظهار أموالهم وما بالعهد من قدم قد

رأوا

رأوا نقض عهد الامانة الملتزم به بعهد الله وشهادة الدولة العلية وسائر الدول الاجنبية وحرص دولة فرانسا فى اتمامه ورأوا اباعيثهم كيف جرى قتل النفوس وتعذيب الابدان واستئصال الاموال فما هى قدرة الوزير وحده فى حفظ حقوقهم وأمنهم وهل ذلك الامر موقت بوقت تصرفه على انه من الضامن لهم فى بقاء الوزير على ماهو عليه وهل هو الا بشرقابل لتغير الافكار وبهذا يعلم أيضا عدم امكان حمل الاهالى غصبا على منفعتهم فى ذلك الطريق من الوزير خير الدين ولانه كان لهم فيه نفع لكنه يظلمهم باتلاف أموالهم لما أشرنا اليه بل ولو بسامح مايتوقع من استيلاء الحكومة على مداخيل الطريق والتداخل فى ادارته لايدوم شغله كما حصل بالفعل فى معمل الملف الذى كان انشاه أحمد باشا ويؤيد ذلك ماحصل من الخلل فى أشياء أسسها هو مما مرذكره وسيأتى كيفية خلله فتعين حينئذ (الوجه الثالث) فى أعمال الطريق الحديدية وهو أعمال ما يبدلها اقتدار على المال وتأمن عليه وليس ذلك الا الاجانب ولما قدمت الشركة الانكليزية المار ذكرها وطلبت تلك المنحة عقد الوزير عدة مجالس من بقية الوزراء والمستشارين وكان بعضها تحت رياسة الوالى نفسه وتفاوضوا فى مصالحها مما مرذكر بعضه واستقر الرأى على عقد الاتفاق مع تلك الشركة فى احداث الطريق المذكورة سيما وقد سبقت شركة انكليزية لاحداث طريق بين الحاضرة وحلق الوادى وتم الاتفاق على شروطه التى منها ان للشركة ان تدفروعا من الخط الاصلى يمينا وشمالا كل فرع طوله خمسون ألف مترواى نحو خمسة وأربعين ميلا أينما أرادت ومنها انه اذا مضت سنة ولم تشرع الشركة فى العمل يفسخ العقد فشرعت الشركة فى جمع المال لذلك غيرانها لم تنجح لان الانكليزيين ليس لهم هم فى تجارة تونس ولا فى سياستها ولا يصرفون المال الا بغلبة الظن فى الربح وقد علموا ان الطرق الحديدية غالبا فى أول أمرها تخسر وشاهدوا فى طريق حلق الوادى عدم الربح الذى أطمعوهم فيه فبعد انقضاء الاجل طلبت الشركة أجلا ثانيا لعلها تحول الرغبة فلم تحصل على شئ وآل أمرها ان طلبت من حكومة تونس ان تتعهد لها بربح خمسة فى المائة على ماتصرفه فان وفى دخل الطريق بذلك أوزاد فهو لها وان نقص اولم يحصل شئ فالحكومة تلتزم بايفاء الخمسة فى المائة أوان الحكومة تدخل شريكة مع الشركة المذكورة بالربع من رأس المال ولايخفى ان ذلك لايتيسر لان الوزير خير الدين على علم من ضعف مالية الحكومة ومن خسارة الطرق فى أول أمرها ومن الشك فى حصول الربح من المعدن ومن صعوبة المحاسبة والاحتساب مع الاجانب

مع اختلاف الحكم زيادة على كون مثل ذلك لايتم الا بموافقة الكومسيون المالى الذى
هو المحتسب على مالية الحكومة من الاجانب فرفض مطلب الشركة الانكليزية
المذكورة وفسخ الاتفاق معها واشتهر ذلك فجاءت فى أثره شركة فرانساوية وهى المسماة
الآن بشركة بون كالمة وطلب زعيمها من الوزير خير الدين احالة الاتفاق الذى فسخ مع
الشركة الانكليزية لعجزها الى الشركة الفرانساوية المذكورة بلا اشتراط الضمان
المذكور لكن على شرط ايصال الطريق بطريق الجزائر فاجابه حالا بعدم تيسر ذلك
لجلبه مسائل سياسية لاداعى لفتحها فرجع الزعيم وقال نكتفى بالحلول محل الشركة
الانكليزية التى سمحتم لها وارتضيتم بشروط الاتفاق معها فذلك الاتفاق يحال الينا
فاجابه بانه يعرض المطلب على الوالى وأخبر الوالى وعقد مجلسا مركبا من سائر الوزراء
والمستشارين الا الوزير حسين حيث كان فى بلد فرنسه لخصام ورثة القايد النسيم واستقر رأيهم
على نقل المنحة لما تقدم من البواعث والاسباب ولان الامتناع من خصوص
الفرانساويين بعد حصول المنحة لغيرهم وعدم الفرق فى الشروط ربما لاتسوغها
المعاهدات والحجاج نعم وان كان هنالك فرق فى سياسة أصل كل من الجنسين لكنه
لايمكن الاستناد اليه فى الحجاج سيما وصريح المعاهدات مع الدول قائل ان كل منحة
أو امتياز أو اعتبار يحصل لاحد الاجناس يكون للجنس المعقود معه المعاهدات مثله
بل فى بعضها يقول انه يكون له مثل الجنس الاكثر اعتبارا (الخ) فكيف مع ذلك كله
يمكن الامتناع ولذلك أحيل الاتفاق المشار اليه الى هاته الشركة مع زيادة التحرى فى
شروطه للحكومة فكان مما زيد على الشروط السابقة ان قسط الحكومة الذى تأخذه
من المعدن يكون من ذات الخارج قبل طرح المصاريف ومنها ان الجهات التى تمد اليها
الفروع يلزم الاتفاق فيها من قبل العمل مع الحكومة على المراكز المنتهية اليه وعلى محل
المرور ومنها أن لاتوصل الطريق بطريق الجزائر وعند هذا الشرط طلبت الشركة
المذكورة ان يزاد أيضا وان ليس للحكومة ان تمنح الوصل بالجزائر لغير الشركة المذكورة
فزيد ذلك بحيث ان المنحة كانت خاصة بمثل منحة الشركة الانكليزية مع زيادة شروط
لفائدة الحكومة ولم يقع الايصال ولا طلبه مدة الوزير المذكور وانما وقع فيما بعد على
ما يأتى شرحه فى المطلب الثامن ان شاء الله تعالى ويشهد لما فى ذلك من المنافع وعدم
المضرة المكتوب الذى أرسله قسم النظر من الكومسيون المالى الى الوزير خير الدين
أثر انعقاد الاتفاق ونصه سيدى فان اعضاء قسم النظر من الكومسيون المالى رأوا ان

من واجبات أمور يتهم ابداء سرورهم لجنابكم بالاتفاق المنعقد في هذه الايام على احداث طريق حديدية بين الحاضرة و وطن باجه لان ما يلزم لنقل نتايج الوطن من المصاريف الباهظة عطل وسق النعمة فكاد ان يبطل أهم فروع متاجر المملكة مع الاقطار الاجنبية فكان من الاكيد ازالة هذه العوائق بتيسير اشتغال الفلاحة والمعاملات وقد عرض فيما سبق قسم النظر على جنابكم صورة احداث طريق اعتيادى بين الحاضرة والوطن المذكور رجاء الى حصول الثمرات الاكيدة فلما وقع الآن ما تؤمل به اتمام هذه المصلحة بما لا يثقل مالية الدول مع استيفاء الشروط الواجب اعتبارها في مثل هذه المشروعات صار فرضا علينا نظرا الى مصالح البلاد التي هي لا محالة مصالح أهل المملكة والاورباويين المستوطنين بها على اختلاف أجناسهم كما هي مصالح أرباب الدين ان نهنى جنابكم باتمام هذا المقصد المبارك ولم يبق لمحبيكم الآن يؤملوا المتاجرة فيه في أقرب وقت بحيث تستكمل به رغبة الاهالى فيرون ان شاء الله اتساع نطاق التعامل ونمو أسباب العمران في تلك الجهات و يفتح ما بقي مرتجا الى الآن من أبواب الفلاح وموارد الثروة وهذا أول ما ترتبط به فيما بعد سائر جهات المملكة من الطرق السهلة السريعة فلا حاجة (حينئذ) الا الى المداومة ومساعدة الوقت لتجديد شباب المملكة وفلاحتها والصناعة والمالية بها فيتم بذلك ما لم يزل جنابكم ساعيا فيه حق السعي منذ ثلاث سنين من تغيير هذا القطر والكتب من معظمي السيادة أعضاء قسم النظر من الكومسيون المالى في ٢٠ مايه المسيحى سنة ١٨٧٦ وصح من الاعضاء الانكليزيين والطليانيين والفرانساويين فلو كان في تلك الطريق ما يخل بالسياسية لما صح الانكليزيون والطليانيون لان ذلك مباين لسياستهم ولو فرضنا جهلهم به لنبههم أهل سياستهم لكي يكون لهم مستندا وما ما بل ان أهل سياستهم لم يتعرض منهم أحد رسميا لذلك على ان توهم الاستيلاء الحسى بمجرد الطريق المذكورة من الفرانسيس ليس هو الا وهم لان قوة فرانسا ومنعها من الاستيلاء على تونس ليس هو لتوقفها على صعوبة الطريق فان بين مرسى عنابه ومرسى حلق الوادى مسير اثنى عشر ساعة فقط بالبواخر في البحر بل ان مرسى ابن زرت لا تبعد عليها أكثر من ثمان ساعات وسفن فرانسا التي توصلت بها من فرانسا الى الجزائر بل ومن فرانسا الى سانيغال بافريقية الغربية والى كنبوديا بالهند الشرقية لا يصعب عليها قطع تلك الساعات (تنبيه) قد أيد هذا الرأى ما حصل بالفعل في خارج

القطر من هجوم عساكر فرانسا برا او بحرا على القطر سنة ٩٨ ولم ترتكب ولا فرقة منهم طريق الحديد المذكورة مع وصولها الى حدود الجزائر وأما الاستيلاء المعنوي فان كان المراد منه زيادة النفوذ وزيادة المتجر فسيأتي عليه الكلام في المطلب الثامن ان شاء الله وان كان بالمعنى الذي مر نقله عن أحد الانكليزيين وبقاء مراسي القطر خالية فهو مدفوع بان السلع التي تؤدي عند دخولها الى فرانسا تصير تؤدي ذلك في حدود الجزائر وغاية الامر ان يتبدل الطريق ومحل الاداء وأما ذات الاداء فهو واحد وبه يقصد ثمن البضائع سواء شحنت من هاته المراسي أم من هاته وقد اجتمعت في موطن مع الوزير خير الدين بعد الاتفاق المذكور وشيوع ذلك الاعتراض بما تقدم ذكره فذاكرني في دفعه بما يقرب مما شرحناه وزاد في الجواب وهو متبسم بان قال ان الاعتراض بان مآل ذلك الطريق هو اخلاء مراسي القطر التونسي وانحصار الشحن في مراسي الجزائر (الخ) هو مما لا يقوله الا جاهل أو متجاهل بما ينشأ عن الطرق الحديدية من العمران وسهولة المواصلة مما يكفي في البرهان عليه الوجود الخارجي في الممالك الحاوية لتلك الطرق والخالية منها فان ازدياد عمران الاولى وتوفر مكاسبها وعكس ذلك في الثانية مما يغني فيه العيان عن البيان فأما المتجاهل فالكلام معه ضرب في العبث وأما الجاهل فجوابنا له ان المضرة من نقل البضائع بطريق الحديد الى الجزائر على ما قالوا لا يخلو اما ان تحصل للاهالي أو للحكومة فان قلنا انها للاهالي بالنظر اليهم فرادى فالجواب ان الافراد مدار نفعهم على زيادة أسعار بضائعهم بقطع النظر عن المحل المشحون منه وذلك لا يحصل الا بتسهيل النقل المنحصر في طريق الحديد نعم اذا خشي من خروج النتايج الغلاء في البلاد فللحكومة منع الاخراج من أي طريق كان سواء كان من مراسيها أو من الحدود البرية وان قلنا ان المضرة تحصل للاهالي بالنظر لمجموعهم من حيث نفع الوطن فهو يرجع (حينئذ) الى منع الحكومة فيكون الجواب شاملا لكليهما معا وهو ان مضرة الحكومة مندفعة بما تقدم شرحه من أخذها اداء الشحن الى خارج القطر سواء خرجت النتايج من المراسي أم من الحدود البرية على السواء بل نقول ان بالطريق الحديدية يحصل النفع ودفع الضرر في خصوص الاداء المذكور بخلاف وقت انعدام الطريق وبيانه ان الحدود ما بين تونس والجزائر ممتدة على جميع طول الحد الغربي للقطر التونسي المتجاوز أربعمائة ميل وأغلب سكانه اعراب رحالة يتكسبون بما يحملونه على ظهور ابلهم فاذا وجدوا أثمان النتايج أغلا في الجزائر لدخولها الى فرانسا

بدون

بدون اداء لاشك انهم ينقلون نتائجهم الى المحل الذى تسوى فيه أكثر من غيره كما هو
واقع ويتحملون غلو الكراء بالحمل على الابل لاجل ذلك فاذا جعلت الحكومة مراكز
لاخذ الاداء عند الاخراج من الحدود لا يخلو الحال اما ان تجعل المراكز على طول
خط الحدود أو تجعلها فى اماكن مخصوصة هى أكثر مرورا واعمارا من غيرها (فاما
الاول) فهو ممتنع لكثرة ما يلزمه من الحراس الذين لا يوفى بعوزتهم مدخول ذلك
الاداء (واما الثانى) فلا يحصل منه المقصود لانه لما كانت جهات الحدود كلها سواء
فصاحب النتائج يتحمل مسير نصف يوم زائد على جهة مركز الحراسة ويخرج
نتائجه بدون اداء شئ فتلخص من ذلك ان النتائج تخرج الى الجزائر دون اداء للحكومة
التونسية بخلاف ما اذا وجد طريق الحديد فان رخص الحمل فيه يعادل اضعاف الاداء
على النتائج للحكومة فالاهالى تعدل عن الحمل على ظهور الابل لغلوها وتؤدى اداء
الحكومة فى مركز الطريق الحديدية ولا يضرهم ذلك لانهم يربحون ما توفر لهم من
الكراء مع قرب المسافة وقصر الوقت والحكومة يمكن لها ضبط مركز الاداء بجعل
حراس عليه لانه متحد وبعد هذا كله اذا فرضنا توجه الاعتراض وصحته لما اذا يحمل
علينا وحدنا والحال ان المنحة انما أعطيت بمشاركة جميع الوزراء والمستشارين ممن
تقدم بيانهم فاذا تشارك جماعة فى رأى فلماذا يحمل منكره على واحد منهم فقط
لمجرد مباشرة تنفيذ ما استقر عليه رأى الجميع هذا كلامه على ان هذا كله مفروض عند
وصل الطريق وقد علمنا اشتراط عدم وصله لمجرد الاسباب السياسية التى يأتى بيانها
لا لما تقدم ذكره فلا يتأتى الاعتراض الا عند ذلك وسيأتى لهذا مزيد بيان فى موضعه
ان شاء الله تعالى كما وقع الاعتراض على هذا الوزير فى كون الفائض جعل للدين أكثر
من القسط الذى عينت مداخيله لذلك حتى لزم الحكومة اكمال الفائض فى بعض
السنين من دخلها او الاستقراض فى بعض السنين برهن مدينة الجلد لا يفله بالفائض
ايضا ومن المعلوم ان خلاص الدين بالدين يؤدى الى تفاقمه وأجيب عن هذا الاعتراض
بما تقدم شرحه فى كيفية الوجه الذى أعمل فى الديون فقد علمت ان الفائض قد حط
من عشرين مليونا فرنكا الى ستة ملايين ونصف بمشاركة نواب الدائنين ثم تأسيس
ذلك المقدار على معدل الميزانية التى ارسلت من الوزارة السابقة التى وقع فيها الغلط
فى تقدير فصل السرحات كما بيناه هنالك ثم وقد رأى الكومسيون الوفاء بذلك فى
بعض السنين ورأى اقتدار الحكومة على الايفاء فى بعضها فلا يسلم صاحب المال فى

ويجه بسهولة الابعد تيقنه العجز ولا يحصل ذلك الابعد اخلاله قسم النظر من الكومسيون في أحوال ميزانية الحكومة الراجعة اصار يفها الخاصة وربما كان ذلك غير ملائم لسياسة الحكومة لمزيد التضيق عليها والتحجير على تصرفاتها فاختير أخف الضررين الى ان يكشف الواقع على ماهو في الاقتدار حقيقة بطول المدة والتجربة وتنقاد وكلاء أصحاب الديون عن بينة لكن الوزير خير الدين خرج قبل حصول ذلك كما لام الوزير المذكور افراد قليلون من المتوظفين على عدم احيائه للقوانين لكن على ان تكون على غير الكيفية التي سبق بها العمل في تونس بل على وجه يندفع به الاعتراض الذى مر فيها بان تكون موافقة لاحكام الشرع وللمباشرين للاحكام الشخصية هم نفس الحكام الشرعيين بضبط نفس الاحكام في قول واحد شرعي وجعل مجلس شورى لصالح القطر اعضاؤه من جميع جهات القطر الى غير ذلك مما يناسب الحال من القوانين لما هو معلوم من ميله اليها كما مر في الكلام على قوانين عهد الامان وحاصل جوابه الذى علمناه منه عند ابلاغ الاعتراض اليه وهو بتونس هو ان الدول الاسلامية لا يتيسر ذلك فيها الا بارادة الملوك أو الامراء الذين لهم استقلال في الادارة وقد كان والي تونس اجراها ثم لما ابطلت بالكيفيات التي مر ذكرها كان الوالي المذكور أشد النافرين عنها فلا يصغى الى انشائها وليس في ذات الاهالي من يرغب فيها بالحاح في طلبها الا أفراد قليلون كما بان بالكاشف فيما وقع عند ابقائها وكما بان بالاستخبار للاعيان عند اعلان الدولة العلية بالقانون الاساسي فلم يبق الا أحد شيئين وهما اما بقاء الوزير خير الدين في الخطة بدون القوانين لرفع ما يستطيعه بذاته أو انه لا يبقى في الخطة الا بوجود القوانين فاختار هو الوجه الاول بدعوى عدم امكان الوجه الثاني وهاته الدعوى المستندة لما تقدم ذكره ربح عند البعض خلافها الا انه لو تيقن والي تونس في أول الامر اصرار الوزير على عدم البقاء في الخطة الا بوجود القوانين لكان يحصل المقصود وتدوم القوانين معمولا بها في الاقل مدة بقائه ولا لوم عليه بعد انفصاله ومن بلغ المجهود حق له العذر وقد كنا اطلعنا على تحرير للوزير المذكور بعد انفصاله من الخطة بتونس في الجواب عن الاعتراض بما ذكر فاثبتنا خلاصته هنا ليحكم المطالع بين الشقين وحاصله انه بلغنا ان أناسا لاموا على عدم تأسيسنا في مدة وزارتنا التنظيمات السياسية المعبر عنها بالكنستيتوسيون التي كنا أوضحنا في كتابنا أقوم المسالك الادلة النقلية والعقلية على لزوم تأسيسها واجراء العمل بها ولما كان صدور مثل هذا اللوم منبأ عن عدم فهم من صدر منه لما كنا شرحناه في الكتاب المذكور

المذكور من الاحوال التي تبنى عليها التنظيمات وجب اعادة الكلام على ذلك وبذلك يتضح الجواب عما ذكر فنقول ان تأسيس التنظيمات السياسية الحاملة على اتباع المصلحة قد شوهد انها نشأت في الممالك المستقرة بها باحدى طريقتين احداهما ان يكون تأسيسها من الراعي وثانيتهما ان تطلبها الرعية والصورة الاولى هي الممكنة في الممالك الاسلامية اذا انتبه الراعي لفوائد التنظيمات فيسعى بجد واجتهاد في تأسيسها وحمل الناس عليها مستعينا بالله وباهل الدراية والمروءة حتى تدرك العامة منافعها ويتمسكوا بها ويحصل لمن تسبب فيها فخر واجر من اسس ما يدوم به العدل الذي فضل الحكماء صاحبه على فاتح الاقاليم الكثيرة ووجه ذلك ظاهر وهو ان مصير الفتوحات المؤسسة على غير العدل الى التقاص والاختلال ومصير المملكة ذات العدل الى البسطة والاعتدال والحكيم من لاحظ العاقبة والمآل وعند ذلك تدوم معمولا بها اذا كان في العامة استعداد الى فهمها وقبولها وبدون ما تقدم لا يمكن اجراء ما ذكر فيما علمت فلا يكفي لذلك معرفة الوزير وحده بصالحها وميله اليها ولا اظن احدا من رجال السياسة العارفين باصول مبنى التنظيمات يخالفنا في هذا فكان الواجب على المعترضين ان يبحثوا اولا عن معرفة حال امير تونس هل هو ممن يسعى في تأسيس ما ذكر على الوجه المذكور وعن حال الايالة هل فيها من يعتبر حفظها وقبولها وفي ظني ان كلا الامرين لا يوجد منه ما يسوغ الاقدام على تأسيس التنظيمات وفي يقيني عدم نجاحه بدون ذلك كما اعطته التجربة فان التنظيمات التي اسست في هذه المملكة سنة ١٢٧٧ المتقدم بيان أصولها الكافلة بتأمين السكان ابطلت تمشيتها مع الحلف على اجرائها سعي الوزير واتباعه حتى آل امر المملكة الى ما قد رايت من تصرفات الحكومة زمن وزارة السيد مصطفى وما نشأ عنها من المضار في النفوس والاعراض والاموال ولم يتعرض احد لذلك بادنى انكار (فلما) كان الحال ما ذكر وايست من الوالي بتونس في تأسيس التنظيمات سعيت في تحسين ادارة المملكة وتأمين راحة السكان بقدر الطاقة والامكان مستعينا بالله وبمن كان من أهل المروءة من رجال الحكومة الى ان آل امري الى الاضطرار الى الخروج وان ترتب عليه ما حصل لنا بعده من الصعوبات بمنع الناس من مخالطتنا ولم احصل على الحقوق البشرية الواجبة شرعا وطبعا مع ان ذلك وقع في حق رجل تقلب في سائر رياسات الحكومة وحصل على يده مصالح حسب الوسع ويسوغ له ان يقول حكاية الواقع انه

باعانة الله وعنايته حتى وجد مدة وزارته جميع السكان من الظلم والتعدي عليهم بدليل انه بعد خروجه من الخطة رجع الامر لما كان عليه قبل ذلك لان الوالي في الحكومة لا زال هو بذاته وكذلك رجال الحكومة الذين خدموا معه وهم الذين خدموا مع السيد مصطفى أيضا لا زالوا متوظفين وهؤلاء قسمان ضعيف في نفسه غير قادر على منع غيره من الظلم وظالم كان محجوزا بنا عن ظلمه فانطلق بخروجنا من الخطة هذا واني لا زلت أقول ان تونس لا تستقيم بدون تنظيمات وانها لابد لا جرائها من الطريقة المار ذكرها والا فالتنظيمات في تونس بدون ما ذكر كالعنقاء اسم بلا مسمى فلا تغترن بقول من لا يدرك الحقائق والله تعالى يرشدنا واياهم الى ما يرضيه عنه آمين انتهى وبما تقدم من انتقاد بعض التصرفات وجد اضداد الوزير خير الدين السبيل الى ايقاع التنافر بينه وبين الوالي الا مسئلة القوانين فلم يعرجوا عليها غيران ذلك لم يفدهم لانه مدفوع بما تقدم شرحه والوالي على علم منه فلذلك نزعوا الى أوجه أخرى وبيانها يستدعي بيان منشاها واسبابها وحاصله ان الوزير خير الدين لما باشر الوظيفة بلقب وزير مباشر لم يكن له ضد في نقض اعماله الا الوزير السابق مصطفى خزندار لكنه لم ينجح لتبصر الوالي فيه ومعرفة سائر المتوظفين والاهالي بتصرفاته التي نفروها حتى ذات خدمة الوالي في نفسه وقصره فكان الجميع يدا واحدة مع الوزير خير الدين ولما زل الوزير السابق مصطفى خزندار وولى مكانه الوزير خير الدين واستقر أمره بعد الانفصال معه على ما مر شرحه طمعت نفسه للرجوع الى المنصب أو في الاقل مواجهة الوالي واسقاط خير الدين عن الوزارة واستعان على ذلك بافراد من الاجانب وباحد خاصة الوالي وهو الوزير مصطفى بن اسمعيل واعتضد الجميع كل على حسب فوائده فتارة يقدحون في التصرفات العامة واشاعة ذلك في الصحف الاجنبية ويبلغونها بذاتها أو بتعريبها للوالي بواسطة خاصته المذكور لكن لما رأوا عدم نجاح المقصود بذلك لانه لا يروج على الاهالي لمشاهدتهم حسن ادارة الوزير رجعوا الى اشهار اراجيف تتعلق بالسياسة الخارجية فمنها ما يرجع الى تنفير الوالي وعائلته من الوزير خير الدين وأشهروا ان المذكور له اتفاقا سياسيا سريا مع الدولة العلية ومنها ما يعود الى تنفير الاهالي من الوزير المذكور فاشهروا ان مراده تسليم البلاد للفرانسيس ومنها ما يعود الى تخويف اصدقاء الوزير خير الدين وعموم الناس فاشهروا ان مراد الوالي ارجاع الوزير السابق مصطفى خزندار لخطة الوزارة حتى كثر كل قول في اصله ونشأ من الاخير التشويش في عقول

العامة

العامة وتجار أوربا مما أوجب انحطاط اسعار الرقاع للدين التونسي عدة مرار للتخوف من تبديل السيرة في السياسة الموجبة لتعطيل فائدة الدين حتى اعلن الوالي بتكذيب تلك الاشاعات فكتب للوزير خير الدين مكتوبا ونشره في الرائد التونسي ونصه بعد الحمد لله والصلاة اما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى فانه بلغ لحضرتنا ان بعض اشخاص كادت ان تكون اسماؤهم معروفة ممن كان لهم في تصرف امير الامراء ابننا مصطفى منافع شخصية تعطلت عنهم بسبب مساعيكم الجميلة بالادارة المنوطة بعهدتكم اشاعوا اراجيف لا حقيقة لها حملهم عليها الميل لما يوافق شهواتهم وهي وان كانت مما لا يترتب عليه أثر ولا يكون لها موقع لاولي الاحلام الا انها ربما توجب لمن كان خلي البال شغلا عما يعنيه مع ان الاسباب التي اقتضت عزل المذكور لم تزل تعضدها انظارها والآثار التي انتجتها مساعيكم الجيدة لم تزل تحمد اخبارها وتظهر للعيان آثارها ولعلنا نحبا في شغل الاسماع وهي الآذان بسماع هذه الاراجيف التي لا توصل قائلها الى مقصوده من اضاعة الوقت بنقلها والالتفات اليها حررنا لوزارتكم هذا الرقيم لنهي من يشتغل بذلك وليتحقق السكان ان استحساننا للادارة المنوطة بعهدتكم لم يزل والمنة لله تعالى متزايدا بتزايد آثارها وان ما ارجف به أولئك الاشخاص لا يجدون اليه مستندا وتشهر ذلك للسكان ليزول عنهم الشك الذي قصدا يقاعهم فيه وشغل بالهم به لترتاح افكار من يريد مصلحة وطنه ونجح خدمته فالعمل ان تجتهدوا بالاستمرار على تلك السيرة الحسنة التي ظهرت آثارها الدولتنا والله تعالى يحرسكم ويمدكم بحفظه واعانته والسلام من الفقير الى ربه تعالى المشير محمد الصادق باي وفقه الله تعالى بمنه كتب في الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة احدى وتسعين ومائتين والف (التوقيع) صح من كاتبه محمد الصادق باي فانت ترى ما صرح به الوالي من حسن نتيجة خدمة الوزير خير الدين وهو الذي تشهد به سكان الايالة على اختلاف اجناسهم ومع ذلك لا زالت الاعداء تسعى بالفتن بين الوالي والوزير حتى كان في خلال تلك المدة جميع رجال الحكومة في كدر من خوف تفاقم النفرة بين الوالي ووزيره الموجبة لانفصال الوزير عن الوظيفة ولما تيقن الوالي ذلك دعى الوزير خير الدين ووعده بقطع المعروضات وامر مصطفى بن اسمعيل بالكف عن سيرته وموالاة الوزير خير الدين وكان ذلك أواخر سنة ١٢٩٢ فدام على نحو ذلك بضع أشهر ثم عادت الكرة في أواسط سنة ١٢٩٣ واثرت الاقوال في الوالي الى ان صار يستفهم من عمده عن

رأيهم في فصل الوزير عن الخطة فرأى منهم استعظام الامور ربما قال بعضهم ان بلدنا صغيرة وليست بمثابة بفصل الوزراء على التتابع سيما مع رؤية الرعية لسيرة هذا الوزير وفر عما نشأ من فصله ما يسوء العموم فاحجم الوالي عن فصله في اثناء تلك المدة وقال احد المحبين للوزير خير الدين ان استناد الاضداد في اختراعاتهم يؤل الى الاستبداد منك على الوالي ورؤساء المتوظفين وذلك ينقطع بامرين أولا أن تتشارك مع بقية المستشارين والوزراء في اعطاء رأيهم مع مستشار القسم الاول من الوزارة ومع أعضاء قسم العمل من الكومسيون بحيث يشترك الجميع في الرأي عند تحرير ميزان الحكومة في الخروج في رأس العام وثانيا تقسيم الادارة في الرسم تبعا لما هو جار في المعنى في أقسام الوزارة حتى يكون مستشار كل قسم يلقب بوزير ويمضي هو على المكاتيب ويتحمل مسؤلية ما يعود عليه ولما بلغ ذلك الكلام الوزير خير الدين لاحظ فيه ما يأتي وهو أن الاول واقع بالفعل لانه بعد تحرير الميزان من قسم العمل ومستشار القسم الاول يعرض على بقية الوزراء والمستشارين ويبدون ما يظهر لهم فيه ثم يعرض بعد ذلك على الوالي للتروي فيه ويمضي ما يستقر عليه الرأي وأما الثاني فانه حالة ضيق القطر وصغر الادارة لا تقتضي تعدد المصادر بل ربما أوجب ذلك التعاوض في الاوامر لأمور واحدة في حادثة واحدة مع ما في ذلك من زيادة المصاريف بتعدد المأمورين في كل جهة وكل قبيلة وذلك لا تطيقه مالية الحكومة ولا تتحمل الرعايا الزيادة عليهم هذا خلاصة جوابه الذي لم يقنع الناصح حيث أن العرض في الاول انما هو صوري والتضايق في الثاني مدفوع بالاقتصاد وحسن التقسيم مثل ما هو واقع بين المستشارين لكن الاهم من جميع ما تقدم امتناع الوالي من اجراء المطلوب بدليل ما جرى من بعد خروج الوزير خير الدين عن الوزارة واستمرار نوع الادارة على ما سبق من انحصارها في شخصية الوزير الاكبر كما نصح الوزير المشار اليه لا بعاد التهم عنه بانه ينبغي له أن يسوي بين نواب الدول في المعاملة ولا يزيد في تقريب نائب فرنسا وهو يقول ان معاملته مع ذلك النائب شخصية لا تعلق لها بالادارة على انه لو قيل ان تلك المعاملة مما يقتضيها الحال في دفع غائلة فرانسا لما بعد ذلك لان ترجيح كفتها بتونس ضروري وارتكاب اخف الضررين واجب فان لم تر لنفسها رجحانا تكالبت الى أن تصل الى قصدها ولو بالتغلب على تلك البلاد كما أوضحنا خلاصة سياستها سابقا ولما تقدم حادث المصافاة بين الوزير خير الدين والوالي حتى كتب الوالي الى قنسل الفرانسيس بتكذيب ما أشيع تارة بعزمه على ابدال الوزارة

وتارة بالعزم على التنقيص من مقدار الفائض مما أوجب عدم الاطمئنان بمالية الحكومة وانحطت أثمان رقاع دينها فكتب اليه في جمادى سنة ١٢٩٢ بما نصه الحمد لله وحده اما بعد فقد رأينا في الجرنالات الفرنساوية ذكر ظنون ابرزت في صورة مقدمات مسلمة واستخراج نتائج منها يريد صاحبها التنفير من ادارة دولتنا وتنقيص ثقة حاملي الرقاع بما بأيديهم من رقاع الدولة مع أن تلك الظنون لا حقيقة لها في الواقع ولا أصل وما استخرج منها ترده الادلة المشاهدة زيادة على كونه مبنيا على غير الواقع وهذه الاراجيف وان كانت باطلة عند المنصف وعند من يعلم حقيقة الواقع ولم يترتب عليها ما قصده من الامور السياسية فانه نشأ عنها التغير من ذكر وان لا اعتناء له الا بالتحفظ على ماله بمراعاة كل ما يطرق سمعه خوف ترتب عليه بعض انحطاط في سعر الرقاع مع أن كوبونها يدفع في أوقاته كاملا وادارة مداخيله جارية على الوجه الكافل بحفظه وغير خفي على جنابكم ما يلحق كلا من الدولة والمتجرين ضرر هذا الارجاف الذي مع كونه لا حقيقة له ومضاد للواقع لا داعي اليه الا اغراض غير خفية ولما كنا على يقين من أن جنابكم يود الخير لبلادنا كاتبنا كم بهذا مؤملا منكم السعي الجميل بحسن وساطتكم في ايقاف هذا الضرر اذ لا شك في أن المتصدي لنشر ذلك والحالة هذه لم يكن له قصد الا ما ذكرناه وبحرصه على ترويج ما أبرزه تكلف ما يظن انه يعينه على مقاصده وهو توزيع نسخ من الجرنال وتبليغها لمساكن اناس لا معرفة لهم به ولا اشتراك لهم فيه مجانا من غير أن يطلب منهم عوضا عنه خلافا للعادة ونشر ماهو من فروع مقصده بغير وقته من عما أشرنا اليه ان ذلك لم يكن للارشاد ولا للنصح اللذين ابرز كلامه في صورتهما وانما هو للقصد المشار اليه الذي تحقق ان جنابكم لا يرضاه ويبذل الجهد في تعطيله ولو باشهار هذا اعانة لنا بما تقتضيه المودة على ما املناه من الخير وتأييد الحق باظهار الواقع كما هو المقطوع به من انصافكم ومحبتكم ودمتم في أمن الله وكتب في ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ ألف ومائتين ثلاثة وتسعين ثم حدث بعد ذلك في الآستانة ولاية السلطان مراد فتوجه الى تهنئته من تونس على لسان الوالي وزير الحرب رستم وله مودة اقتضتها المعاشرة الطويلة مع الوزير خير الدين كما له معه مصاهرة حيث أن الاول زوج بنت الثاني وكان ذلك في جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ وحصلت اذ ذاك الحرب بين الدولة العلية والصرب فظهر من جهات الاسلام الاعانة للدولة العلية بالمال لضيق ماليتها وبمقتضى الحقوق الدينية والارتباط السياسي بين تونس والدولة لزمت الاعانة بالمال أيضا من

تونس وكان حال الحكومة فى ضيق المالية وعدم امكان القرض ما علمت فاجتهد الوزير خير الدين بعد الاستشارة والمفاوضة فى حصول الاعانة بالمال من الاهالى عن طيب نفس وصدرت بذلك مكاتيب الوالى والوزير الى الجهات من الحرص فى التعجيل فظهر من الاهالى غاية الرغبة الى ان حصل مقدار مليون واربعمائة ألف فرنك مع مصاريف الصرب والحوالات لارسال المال سكة رائجة فى الآستانة وقدر ما دفعته الاهالى ريالات ٢٣٨٤٠٤٫٣ ونشر حسابه فى الصحيفة الرسمية ووصل بتمامه للباب العالى وفى اثناء ذلك رجع وزير الحرب رستم المذكور ثم حصل فى الدولة العلية صعود سلطاننا المعظم عبد الحميد على تخت السلطنة وأعيد ارسال وزير الحرب المذكور للتهنئة أيضا وأقام بالآستانة ثمانية أشهر لتثبيطه من الباب لاحضار جوابه واحضار ما تتفضل به الحضرة السلطانية على الوالى مع كثرة شغل الدولة اذ ذاك بحرب الصرب والجبل الاسود والبلغار وهرسك وبوسنه وبالمؤتمر الذى عقد فى الآستانة وبانجاز القانون الاساسى ثم بحرب الروسية وكان وزير الحرب اثناء اقامته بالآستانة فى المدة الاخيرة قدر شهرين أو ثلاثة لم يرسل مكاتيب تبين سبب تأخره لان كل أسبوع يظن انه يرجع فيه وطالت غيبة المكاتيب وجال ذوو الاغراض على ما سيتلى (ثم طلبت) الدولة العلية الاعانة العسكرية لحرب الروسيا ولم يكن لحكومة تونس من العساكر التى تحت السلاح الا مقدار ما يكفى لحفظ الراحة فى القطر كما أن المال الضرورى لذلك حاله ما علمت فرأى الوزير خير الدين المسئلة مهمة جدا ولم يكتف برأى الوزراء ورؤساء الحكومة وطلب من الوالى عقد مجلس عام من ولى العهد فى الحكومة وأهل المجلس الشرعى والوزراء وأعضاء جمعية الاوقاف والمجلس البلدى ورؤساء سائر أقسام الادارات ورؤساء الكتبة والمستشارين وضباط العساكر من أمراء الالوية والفريقان وأعيان الاهالى ورؤساء ديانة اليهود وكبرائهم العرفيين فاسعف الوالى على ذلك وانعقد المجلس تحت رياسة الوالى بنفسه وأذن وزيره خير الدين بالقاء المراد على المجلس فقال ما معناه ان الدولة العلية قد أعلمت الوالى بان الروسيا أعلنت عليها حربا وان لها فى الحدود للمدافعة عن الخلافة الاسلامية والوطن نحو ستمائة ألف وانها مع ذلك لازالت محتاجة الى كثرة العدد والعدد وانها تطلب من الولاية ارسال العسكر ولعله بمرد ذات التلغراف الوارد من الدولة ثم قرر أن للدولة حقوقا على تونس وان تونس لها عادات مع الدولة لا محيص عنها وان حالة الحكومة فى العسكر وفى المال معروفة للجميع وان الوالى جمع هذا المجلس

ليشير

ليشير عليه بما يراه في الطرق الموصلة للمقصود فخاض المجلس في الكلام وطالت
المذاكرات وحصل التشاحن في الرأي الى ان علت الاصوات وحاصل آراء المجلس هو ان
بعضهم يرى ارسال العسكر بالمقدار الذي يطيقه القطر من العسكر النظامي المسرح
أكثره وتقريبه نحو ستة عشر الفا لكن فيهم من عجز فلا أقل من وجود ستة آلاف
تقدر الاهالي على القيام بهم بما يلزم من الكسوة والقوت واما السلاح فالحكومة من
المدافع من الانواع الجديدة أزيد من بطرية كاملة من المكاحل المسدسة أزيد من
عشرة آلاف وان كانت تعمر من أفواهها من النوع العتيق فالحكومة حينئذ تقوم
بالسلاح وتعين مليون من المال الذي لها ان تستقرضه من خزنة مجلس الادارة لمدة
ستة أشهر بلا فائض وترجعه بالاقتصاد من مرتبات ذوي المرتبات كل على ما يقتضيه
حاله فان بعضهم اراد اسقاط جميع مرتبه لذلك ويتم التجهيز وترسل العساكر ويجعل
على الاهالي تقسيط ما يقوم بهم يدفعونه مجملا مع جريان الاقتصاد من الحكومة على
نحو ما تقدم مع الاعلان بان كل من أراد القتال بنفسه فله ذلك ويعلل هذا القسم رأيه
بان احكام الدين قاضية بذلك مع ان نص فرمان سنة ١٢٨٨ مصرح بشرط ذلك
وانه على فرض الاعانة بالمال الذي يمكن ان يوازي مصروف العسكر فلا يزال
التبكيت على القطر بانه لم يوف بشرطه وأصحاب هذا الرأي قليلون وبعضهم يرى ان
الاعانة انما تجب بالابدان واما المال فلا يجب على أحد شيء ومن قدر ببدنه وماله
فعليه ان يذهب وليس على هذا الرأي الا اثنان وجميع العلماء والعامة ضدهما وسقط
اعتبارهما وقتئذ من اعين بعض رؤساء الحكومة سيما الوزير خير الدين وبعضهم يرى
ان العسكر يحتاج الى التدريب والى السلاح الجديد وبدونه العسكر كالعدم والمال
لاقامة ذلك غير موجود ولان الغصب على أخذ المال من الرعية غير سائغ لما هم عليه ولجهل
الحال في الملاء والفقر فلذلك يلزم ان يوكل الامر الى الاختيار كل بما يستطيع وبهاته
الصورة لا يعلم مقدار ما يتحصل حتى يمكن الاعتماد عليه وتجهيز العساكر على مقداره
وعلى فرض حصول شيء أولا فلا تحقق لجريانه في المستقبل للقيام بالعسكر في المؤنة
والذخائر ولذلك يكون اللازم هو احضار المال لاعانة الدولة العلية بالمال واعانتها
واجبة لا محالة غير ان جمع المال يوكل الى اختيار الدافع واجتهاده كما حصل في اعانة
الحرب مع الصرب وهذا هو الرأي الغالب الذي استقر عليه أمرهم وهذا القسم يدفع
تعليل القسم الاول من شرط الفرمان بوجوب ارسال العسكر بان شرطه الطبيعي ان

يكون ذلك فى الامكان وقد تبين ان الامكان غير موجود وعمل بهذا الرأى لانه رأى الغالب وحكم المسئلة شرعا أفردناه برسالة فيما كتبناه على باب الجهاد من صحيح البخارى جامعة لحكم المذهب الحنفى والمالكى ثم جمعت الاعانة المالية على نحو ما تقدم وارسل بعضها فى مدة وزارة خير الدين وقدره ٣٠٠٠٠٠ فرنك ولم يعلم حسابها بالتحقيق لان الوزير خير الدين خرج قبل نهايتها وبعده لم ينشر حسابها مثلما انشر حساب السابقة ثم أرسلت الدولة العثمانية بطلب سقاثة بغل لجر الاثقال الحربية وان كانت خيلا وبغالا فلا بأس به فعمل الوزير خير الدين جزمه فى طلبها من أعيان المتوظفين وقبائل العربان والبلدان بان عين لكل فرد ما يدفعه من عدد البغال أو الخيل وكذلك القبائل والبلدان على ان يسعر ما يدفعه أهل البلدان والقبائل من الحيوانات بالمال ويقسط ثمنه على جميع الاهالى على حسب الجدة ويدفع الثمن لصاحب الحيوان بحيث لا يناله من المال الا امثال غيره فتسابقت الناس الى ذلك وتنافسوا فيه وكثير من أصحاب الحيوانات فى القبائل والبلدان امتنع من أخذ الثمن وجعلها فى سبيل الله واحضرت الحيوانات وبقيت تنتظر سفن الدولة لحملها الان حملها فى السفن التجارية غير مأمون عليه خشية تعرض سفن المحارب الذى اشاعه من يريد اجتناب تونس من الدولة العثمانية وشحنت تلك الحيوانات للآستانة بعد خروج الوزير خير الدين من الوزارة ببضعة أيام وفى مبداء الحرب سأل أحد نواب الدول الوالى والوزير عن قصد الحكومة فى التداخل فى الحرب وحذرها من عواقب قدوم الاسطول الروسى الى مراسيها وخسارتها من ذلك مع عدم كبير الفائدة من اعانتها للدولة فاجابه الوزير بان الوالى لا يستطيع ربط نفسه بالكلام فى عدم التداخل فى الحرب ثم جاء قنسل الروسيا وانذر واحتج بان الوالى صرح بانه لا يتداخل فى الحرب فكذبه الوزير وان الوالى لم يصرح بشئ ينزع حريته كما ان الرائد التونسى نشر من المقالات السياسية المنتصرة للدولة العلية ما هو مشهور وهو لا ينشر الا ما يوافق مشرب الحكومة لانه هو الصحيفة الرسمية لها والوزير هو الذى يشير بالمقاصد التى تنشر فيه فمن جميع ما تقدم اتخذه اضداد الوزير خير الدين سبيلا لتنفير الوالى منه واسقاطه من الوزارة فقالوا ان وزير الحرب كان سبب طول مكثه فى الآستانة السعى بما يضر بالوالى وانه يكاتب الوزير خير الدين وهو لا يظهر مكاتيبه للوالى لانها ضده وان زيادة ميله للدولة العثمانية ظاهرة مما تقدم بيانه والوزير يقول ان تأخر وزير الحرب لا علم له بسببه لان واقعه فى نفس الامر هو

ما تقدم شرحه وانه لو تروى القائل فى قوله لو جد غير صحيح لانه لو كان بينهما شئ حقيقة للزم ان يأتى من وزير الحرب مكاتيب صورية ليطلع عليها الوالى ولما ساغ عدم اظهار ولا مكتوب واحد حتى يتفطن الوالى مما لا يفعله عاقل فدل ذلك على بطلان أهل التهمة وقد حققه الخارج كما يقول الوزير ان ما فعل مع الدولة العلية هو الواجب بمقتضى فرمان سنة ١٢٨٨ وهو الواجب ديانة ولا قصد الا حفظهما ولكن لم يصب ذلك فى السعاية بل أثرت فى الوالى لانه كان حصل قبيل تلك المدة نازلة ادعاء مصطفى بن اسمعيل على يوسف بن عطار أحد تجار اليهود بتونس انه يطلبه بسبعة ملايين أو أزيد من جهة رقاع مالية ومصوغ اعطاه اله للتجارة بها وأنكره المدعى عليه واستظهر وكيل مصطفى بن اسمعيل بحجة ثبت فى الوزارة زورها على ما يسرد تفصيله فى المطلب الثامن وأراد الطالب ان يكون هو الخصم والحكم ورفع المطلوب أمره للوزير بهروبه الى قنصلاتو انكلترة وحمايتها له وتداخل القنصل فى النازلة له فرأى الوزير ان يعقد لفصلها مجلسا وانف من ذلك الطالب ووافقه الوالى وامتنع الوزير من الحكم فى النازلة تجنبا من الكلام فيها من الجهتين فازداد حنق مصطفى بن اسمعيل من الوزير ومن ذلك التاريخ اشتدت الوشاية واشاعوا ان الوالى نفر من الوزير بسبب ما تقدم وانه بلغه عدم ارتضاء رؤساء الحكومة بسيرة الوزير مستندين الى ما سبقت الاشارة اليه ثم اشاعوا ان الوزير يريد تسليم البلاد الى فرانسا مستندين بسكة الحديد المار ذكرها والى عدم ارسال العسكر الى اعانة الدولة العثمانية وازداد اشاعة هذا بعد انفصال الوزير خير الدين عن الوزارة لقصد تنفير الاهالى منه حيث ان الوجه الاول لم يؤثر فيهم والوزير يجيب بنفس الوقائع وأدلتها مما وقع فى الخارج واستوفيناه ذكره وكثر الكلام فى هذا المعنى الى ان خاطب الوزير الوالى بحكاية مضمون ما تقدم شرحه من كثرة ما أشيع فى شأنه وان الاشاعات صادرة من خاصته وان ذلك مما يقدح فى نفس المنصب ويعطل الادارة وانه يلزم أحد شيئين اما توثق الوالى به ورفع العوائق أو استعفاؤه وقد كان الوالى اذ ذاك صمم على قبول استعفائه لا لاعتقاده ما أشيع بل لان مصطفى بن اسمعيل غير متداخل فى الادارة بما يرضيه لان الوزير مانع له لما يراه من تصرفاته حسبما يأتى ان شاء الله فى المطلب الثامن وعلم ان الحامل للوالى هو ما ذكر بما صرح به مصطفى بن اسمعيل عند ولايته فانه قال ما معناه لوان الوزير خير الدين ما عفى لما خرج عن الوزارة فلما ذكر اجاب الوالى الوزير خير الدين بسؤاله عن رأيه فى النازلة فاجابه بان رأيه

ماذكره فقال اعد على الكلام يوم السبت عند اجتماع الوزراء بعد الاشارة الى ان أوداءه خانوه بما أوقعه فى تلك الحال وذلك مما يؤيد القول بان الوشايات لم يصدقها حقيقة وان يريد تغيير الصدور بينه وبين أحبته فاجتمع الوزير خير الدين بالوزراء والمشارين قبل الدخول على الوالى وقص عليهم الخبر بما كان ذكره لهم فرادى ومجتمعين وكان مآل كلامهم ان الاولى به تحمل المشقة وعدم فتح باب الكلام فى الاستعفاء وقال الوزير محمد الذى تولى بعده وكان معلوما عند جميع الناس انه هو الذى يتولى باشاعة المعرض المتقدم ذكره واتباعه بان لهم اتفاقا مع الوزير محمد على ولايته وابلغوا للوالى رضاه بذلك وكان على بن الزى صاحب مصطفى بن اسمعيل الخاص كثير التردد على جهات مسكن الوزير محمد ليظهر للناس صدق الدعوى فقال الوزير محمد للوزير خير الدين اما انا فانى لا اتولى مكانك ولو دقت عظامى ولكنى اخدم مع كل من يوليه الوالى كذا شاع وحمل كلامه ذلك على تكذيب ماشاع عنه ولما دخلوا على الوالى اعاد الوزير خير الدين الكلام فى الاستعفاء على نحو ما مر فاجابه الوالى بانه هو أبو عائلة وقد حصل له التعب ومحتاج للراحة فيأمره ببقاءه مرتاحا فى محله فرجع لبستانه بقرطاجنه وكان ذلك فى رجب سنة ١٢٩٤ ومنع الوالى المتوظفين من الاجتماع بالوزير خير الدين حتى خواص احبائه بل واتباعه الذين على ايديهم متعلقات كسبه الى ان خرج من القطر للآستانة ولم يعمل حسابه معهم وفى عشية يوم انفصاله عن الوزارة تذاكر بعض رؤساء المتوظفين فى زيارة الوزير المذكور وذكر احدهم ممن أبلغ اليه النهى بواسطة انه عازم على زيارته تلك العشية متغافلا عما بانه فحذره الحاضرون من الوزراء والمستشارين من وقوع ذلك قبل الاستشارة وانهم هم فى أنفسهم عازمون على مثل ذلك واغاظوه على استشارة الوزير الجديد فلما استأذنوه احالهم على اذن الوالى ولما استأذنوه اعلن بالمنع وجعلت عيون على كل من يقدم اليه فبقى منفردا وتكاثرت الاقوال فى الخوف عليه ونازلة الشهيدين اسمعيل السنى ورشيد لم تبرح من البال وكان هو مقلدا متغافلا عما يظهر اليه من الغضب وطلب مواجهة الوالى لمجرد الزيارة فاضطرب فى أمره ثم اذن له فى وقت خاص ووقع بين الوالى وقنسل الفرانسيس كلام سأل فيه القنسل الوالى عن سبب خروج الوزير خير الدين عن الوزارة فاجابه بان خروجه ليس كخروج الوزير السابق لان الوزير السابق ارتكب مايشين العرض واما خير الدين فلا سبب لخروجه الا الخلاف السياسى الواقع بينى وبينه

وأنت

وأنت تعرفه وهو اشارته الى ميل الوزير للدولة العلية لان الوالى كان تحقق لوم قنصل فرنسا على سياسة الوزير مع الدولة العلية والا فما هو الخلاف السياسى الذى يعلمه القنصل دون غيره وهذا يؤيد الكلام السابق فى حقيقة أسباب انفصال الوزير المذكور من الوزارة ولما تفاقم التنافر طلب الوزير خير الدين السفر لمداواة مرض عصبى فاذن له بعد التصعب التام ووداع الوالى ولما استقر فى أوروبا حذر من العود خوفا عليه فكاتب هو الوزير محمد عباسا مضمونه انه كان أرسل اليه مكتوبا جوابا عن مكتوب به ان الوالى سأل عن حاله وعن وقت رجوعه وانه انما كان سافر لاجل التداوى أولا وثانيا لاجل التباعد عن القيل والقال وهو المقتضى لتطويل الغيبة فاذا رأى رجوعه لا بأس فيه فليأمر الوالى به لان غاية مراده هو ان يعيش فى بلاده مع عائلته تحت ظل الوالى مع حريته الشخصية من غير ان يتداخل فى شئ من الامور كما هى عادته عند انفصاله من الوظائف بدليل سيرته فى التسعة سنين السابقة التى بقى فيها بلا مأمورية وانه كان ينتظر الجواب عن ذلك المكتوب الذى تضمن الاعلام بعزمه على السكنى بالقطر خلافا لما يشيعه المغرضون متعهدا بعدم التداخل فى شئ من الامور السياسية وانه طالب حريته الشخصية حيث صدر الاذن للاهالى والمتوظفين باجتنابه ومع انتظاره للجواب مدة من الزمن لم يرد له الجواب الا بكون رجوعه لا يتوقف على اذن مع التغافل عن الموجبات المشار اليها مع انه لم يطلب الا ما كان الوالى سمح به للوزير مصطفى خزندار فى صفر سنة ١٢٩٢ من الرخصة فى مخالطة من يشاء والسفر الخ مع ان ذلك الوزير كان مطالبا بمال جسيم وليس خروجهما من الوظيف سواء لاختلاف الاسباب وما طلبه الوزير صاحب المكتوب هو ضرورى فى حقه لما صدر من الاذن فى المنع من الاجتماع به حتى ان وكيله المالى امتنع من القدوم اليه هذا زيادة على الصعوبات التى وقعت عند ارادته السفر ولم يجب عن هذا المكتوب وكان القصد من اضداده اما حمله على عدم العود أو انه اذا عاد يتسبب له بابقائه فى محذور وخيم ومع ذلك قدم الوزير خير الدين الى تونس عندما شاع ان بعض بواخر الروسيا قادمة الى تونس وكانت حالته مع الوالى أشد مما سبق فارسل اليه بان يقصر من القدوم اليه الا باذن متعللا بان الوزير مصطفى خزندار تشكى من منعه هو من زيارة الوالى مع عدم منع الوزير خير الدين وقال كثير من الناس هو قياس مع الفارق ثم عاد الوزير خير الدين الى السفر أواسط سنة ١٢٩٥ ورجع الى ان أتاه اذن بسلك الاشارة من الاعتاب السلطانية بالقدوم الى الآستانة فاستأذن الوالى وامتنع من

الاذن له حتى دعا القناسل المعتبرين واستشارهم فى ذلك فكلهم اشاروا عليه بان لا وجه فى منعه والاوفق له الاذن بطيب نفس منه فاذن له عن كره ومنعه من وداعه وسافر فى رمضان سنة ١٢٩٠ وترقى فى عناية الخليفة به الى ان صار صدرا أعظم فى ذى الحجة من تلك السنة وجاءت عائلته فى باخرة سلطانية ومن ذلك الوقت خرج الكلام على هذا الوزير عن موضوعنا الذى نحن فى صدده وقد انحصرت دعوى اعداء خير الدين فى أمرين احداهما ارادته تسليم البلاد للفرانسيس والثانى ميله الى الدولة العلية فلا شك ان الخلاف السياسى الذى ذكره الوالى لقنسل فرنسا لا يتعلق بالدعوى الاولى وعليه فلا سبب الا الثانى وعلى كل فقد أشهد الوالى قنصل الفرانسيس بعد خروج الوزير خير الدين من الخطة باستحسان سيرته الا الخلاف المذكور فعلى الواقف المتأمل فى ذلك اذا الحق ما شهدت به الاعداء فعداوة الوالى لخير الدين بعد خروجه من الخطة لا يجهلها أحد والحجة القطعية فى ذلك امتناعه من مقابلته عند صدور الاذن بالقدوم لدار الخلافة وطلب الوداع (المطلب السابع) فى وزارة محمد خزندار (اعلم) ان هذا الوزير أصله من اليونان وحضر الى تونس فى ولاية حسين باشا وربى فى الحكومة وتعلم الفروض العينية والقراءة والكتابة ونشأ على صحة التعفف عن الرشا وموسوما بحسن الرأى جيد الطبع كثير الصمت صبورا محبا للسادة الاشراف صاهره أحمد باشا بالمولى الشريف سيدى محمد الشريف على ابنته صاحب صدقات سرية متباعدا عن الشفوف متحد السيرة كان قربه الوالى حسين باشا ما ارا ماه به صاحب التصرف اذ ذاك شاكير صاحب الطابع وصار من خواصه وزادت به عناية الوالى المذكور حتى أولاه خزندار وكذلك أخوه من بعده مصطفى باشا فى استنجابه الى ان قيل انه حصلت غيرة منه لشاكير صاحب الطابع المذكور واتهم بانه أغرى بعض خواصه به فى المعسكر الذى توجه تحت رياسة صاحب الطابع المذكور لثورة أهل جبل باجه فاطلق على الوزير محمد الرصاص فى واقعة حربية هنالك فاصيب فى رجله وعوفى مع بقاء تأثيرها ثم استنجبه أحمد باشا وولاه عاملا على الساحل وحسنت فيه سيرته وطالت مدة ولايته عليه من حدود سنة ١٢٥٣ الى سنة ١٢٨٠ ودافع عن أهله ما استطاع من تعديات محمود بن عياد بتكفله بخلاص كلما يطلب منهم ابن عياد على أن لا يباشرهم ابن عياد بتوجيه أعوان لخلاص الملتزمات التى يطلبها منهم وأعان على مصاريف عسكر حرب القريم بالف قفيز من الشعير ووجهه أحمد

باشا رسولا عنه للدولة العلية في استطلاع نيتها في ترتيب الاداء على تونس والاعتذار اليها ثم وجهه أيضا لاحضار مهمات العسكر في حرب القريم ثم عاد مع العسكر وأقام هنالك مدة ثم رجع ولما ولي محمد باشا أرسله بالهدية والنجدة الثانية من العسكر وطلب تقرير ولايته فقضى مأموريته وعاد وكان في عزم الوالي المذكور تقديمه لوزارة الداخلية فعاقه عنه ما تقدم في ابقاء الوزير مصطفى خزندار ولكن الوالي المذكور قربه واعتمده ورفع شأنه وأرسله رئيسا على العسكر الموجه الى الاعراض والجريد لجلب رئيس قومه من اعراب طرابلس المسمى بغومه عند ثورته على الدولة العلية هنالك ثم التجائه الى تونس عند خشيته الاستيلاء عليه وأحدث في أطراف الجهة الجنوبية من قطر تونس شيأ من الاختلال فوجه عليه الوالي المذكور معسكرا تحت امرة الوزير محمد المذكور ولقبه في تلك الوجهة بامير الاعراض واستقال الوزير محمد من اللقب ولم يساعفه الوالي وفي ولاية الصادق باشا ولي الوزير محمد وزارة الحرب عند استعفاء وزيرها منذ ولاية احمد باشا وهو مصطفى أغا ثم ولي عوضا عنها وزارة الداخلية ثم عوضها بوزارة البحر كما ولي رئيسا ثانيا بالمجلس الاكبر عند وجود القوانين حينما استعفى الوزير خير الدين ثم لما حدثت الثورة العامة سنة ١٢٨٠ بقي الوزير محمد في زوايا الخمول الى ان حدث الكومسيون المالي فولي فيه عضوا وأرجعت اليه الولاية على الساحل وابلى في التخفيف على أهله من مصاعب الديون ما تقدم شرحه باعانته للوزير خير الدين ثم سنة ١٢٩٠ ولي مستشار القسم الثاني من الوزارة الكبرى مع التلقب بوزير الاستشارة ولما حصلت مبادي استعفاء الوزير خير الدين شاع التعاضد بالوزير محمد لقصد تقليده الوزارة الكبرى حيث كانوا على علم بان نقل الوزارة من خير الدين الى ابن اسماعيل صعب عظيم في اعين العامة والخاصة ويلزم مدة الاستئناس بمباشرة مصطفى ابن اسماعيل للسياسة تحت رياسة غيره فلما استعفى خير الدين قلد الوالي الوزارة الكبرى للوزير محمد خزندار بعد ان استقاله منها وبكى واعتذر بكبر السن ومرض البدن فلم يساعفه الوالي فتلقاها وألبس نيشان البيت الحسيني وطلب من الوالي أن لا تتغير سيرته عن الطور المعتاد له في الابهة اللازمة لرياسة الوزارة كما قلد أيضا رياسة الكومسيون وكان ذلك في رجب سنة ١٢٩٤ وولي في وظائفه التي كانت بيده مصطفى ابن اسماعيل وبقي الوزير محمد في الوزارة محتفظا في ما يستطيعه على ابقاء ما كان على ما كان وصاحب النفوذ هو غيره على ما سيأتي شرحه ومع أن كثرا الجزئيات التي تعرض له

لا يبدى فيها أمرا الا بالاستشارة ولم يحدث فى مدته شئ جديد سوى حرص الدولة العلية على ارسال العسكر فاعتذر اليها بان غاية ما فى الوسع هو الاعانة المالية للاسباب التى مر شرحها فلم تصغ لذلك وزادت الحاحا وشددا بلزوم العسكر وطالت المراجعات والاعتذارات من تونس الى ان صرحوا للدولة العلية بان غاية ما فى الوسع والقدرة هو احضار أربعة آلاف من النفوس بلباسهم فقط وسلاحهم من النوع القديم وما عدا ذلك يلزم أن يكون جميعه على الدولة فرضيت بذلك وأعلمت بانها ترسل الى حملهم على محل سفنها فتحتم المبادرة باحضارهم فاحضروا وصرف على كسوتهم ولوازمهم مدة حضورهم وانتظارهم للسفن مما جمع من الاعانة المالية من الاهالى التى سبق ذكرها فى وزارة خير الدين وانعقد الصلح قبل سفرهم فورد الاذن بسراحهم وكذلك حدثت نازلة انتهاء اجل الكنت دى صانسى لكنها لما كان كل من الحرص فيها وانتهاء خصامها فى مدة الوزير مصطفى ابن اسماعيل وهكذا نازلة وصل الطريقة الحديدية المار ذكرها بطريق الجزائر فانها وان وقعت فى وزارة الوزير محمد لكنها فى الواقع منسوبة لسعى مصطفى ابن اسماعيل حيث كانت التصرفات بين هذين الوزيرين فى مدة وزارة محمد مثل التصرفات بين الوزير مصطفى خزندار والوزير خير الدين بعد ولاية هذا وظيفة وزير مباشر وغاية الفرق بينهما ان وزارة محمد وابن اسماعيل لم يظهر فيها جهرة التباين والعناد ووزارة خزندار وخير الدين بخلاف ذلك فليس من الانصاف نسبة مساعى احد الرجلين الى الآخر كما ذكرنا مثل ذلك سابقا سيما مهم المسائل الخارجية فقد كادت ان ينفرد بها الوزير ابن اسماعيل وليس للوزير محمد فيها الا الاجراء ودام الوزير محمد على ذلك متجنبا الكل صعوبة مقتصرا على امتناعه من الرشا وبيع الوظائف فى نفسه مشيرا بلطف الى استقباحها لمن يريدها مداريا لسائر المتوظفين الى ان احس بالكلام بارادة استعفائه بعد ولايته بستة اشهر فعرض بذلك للوالى متعللا بالعجز والمرض فاشار عليه الوالى بالتحمل والبقاء فى الخطة الى الوقت الذى يشير عليه الوالى بالاستعفاء فعمل بذلك وفى ربيع الاول من سنة ١٢٩٥ كثر الكلام فى عود الوزير الاسبق مصطفى خزندار فكذبته الحكومة بنشرها فى صحيفتها الرسمية فصلا طويلا فى ان ذلك الكلام مما يشوش على السكان ويحير الافكار وانه بهتان والوالى لا يعمل به وانه من الافتراء والارجاف وذلك فى عدد ١١ من الرائد فى ١٦ ربيع الاول سنة ١٢٩٥ وانما ذكرنا ذلك ليتيقن ان نفرة الوالى للوزير المذكور لا عماله حقيقية

لا

لا كما قيل من أنها بسعى الوزير خير الدين حيث انه فى ذلك التاريخ بعيد عن الوالى واشغاله ثم ان الوزير محمدا بقى منتظر الاشارة لاستعفائه كما بقى من جهة طالب المنصب وصاحب الولاية انتظار اعادته ولاستعفاء أو التعريض به و بقى هكذا الحال كل شق ينتظر صاحبه مدة أشهر الى أن أظهر الوالى كثرة الكلام فى الرغبة فى استعفاء الوزير وأحضر نيشان آل بيته الذى صار علامة ملازمة للوزارة الكبرى وفطن بذلك الوزير محمد فقدم للوالى معرضا بالاستعفاء على حذر حيث اعتمد الوصاية بان الوالى هو الذى يشير عليه فقبل بالرحب والبشر وأوصاه بان يكتب غدا مكتوب الاستعفاء فلما حضر الجميع الى قصر المملكة من الغد امر الوالى قبل أن يصل اليه مكتوب الاستعفاء الوزير محمدا بان يستصحب معه الوزير مصطفى بن اسماعيل الى محل الوزارة و يعلن لجميع المتوظفين بعد جمعهم بان الوالى أولى مصطفى الوزارة الكبرى ورياسة الكومسيون بعد أن ألبس الوزير مصطفى نيشان البيت ولاطف الوالى الوزير محمدا وأمره بان يعود اليه بعد ذلك الموكب مصاحبا للوزير الجديد ففعل بذلك على هيئة استغربت اذ لم يعهد مثلها و بعد ذلك كتبت مكاتيب الاستعفاء وقبوله ونشرت فى الرائد وكان ذلك فى شعبان سنة ١٢٩٥ فمدة وزارة محمد عام وشهر ولقب فى ذلك الوقت بوزير الاستشارة و جعل له مرتب عمرى وقدره ستون ألفا فى السنة وأمره الوالى بان يقدم اليه فى كل أسبوع فى يوم السبت مع جملة المتوظفين أو عندما تدعو حاجة لحضوره وجعل منزلة حضوره فى موكب الوالى فوق منزلة الوزير الحالى بحيث لم ينزل عن مرتبته ثم استقال هو من ذلك ونزل تحت الوزير ثم ولى عضوا فى مجلس الشورى الآتى ذكره وبقى على ذلك الى الآن (المطلب الثامن) فى وزارة مصطفى بن اسماعيل هذا الوزير من الناشئين فى حاضرة تونس ولما شب رباه أحد متوظفى قصر الحكومة الملقب بزهير حتى نسب اليه فى اللقب ثم أخذه منه الصادق باشا الوالى الحالى وصار من خدمته وقربه ورقاه الى رتبة أميرلواء مع انضمام رتبة أميرلواء ثانيا فى عسته العسكرية الخاصة وهى وظيفة مقصورة عليه لم تكن من قبل ولا بقيت من بعد ومن حدود تلك المدة عرف بلقب ابن اسماعيل نسبة الى والده الذى يقال انه مسمى بذلك وهو متواضع بشوش كثير التردد على الصالحين وزيارتهم شديد الاعتقاد فيهن ينتمى الى علوم الحدثان شره على الاشياء الجديدة كثير الانفاق على ما يعود الى لذاته محب للتجمل بالملابس المجوهرة حتى تتعدد الخواتيم المكللة باصبعه وترى الجوهرات على صدره وسلسلة ساعته

عارفا باخلاق سيده ملائما في سيرته معه لرضائه حتى تمكن ميله اليه واشتدت رغبته في استرضائه الى أن قدمه على معاصريه وأبناء جنسه فبلغ الى الرتبة المشار اليها ثم رقاه الى رتبة أمير لواء العسة وأبطلت الرتبة الثانية المشار اليها وفي أواخر مدة التنافر بين الوزير خير الدين ومصطفى خزندار انتهزت تلك الفرصة الى التنويه بشأن مصطفى بن اسمعيل ورقي الى رتبة الفريق وأرسل من الوالي كما تقدم الى مالطه لابلاغ العناية بالوزير خير الدين وكان يظهر اليه الميل عن مصطفى خزندار ثم ولي عاملا على الوطن القبلي أواخر مدة مصطفى خزندار وأخذ مستلزمات العمل المذكور بنقلها اليه بدون انتهاء مدة من كانت بيده وامتدت الايدي الى ارزاق أهالي العمل المذكور بالرشا في الاحكام وغيرها حتى قال كثير من أهله لقد زال الغناء عن أهالي القطر الاخص فانا لم نرشيأ من اثر ذلك لاغضاء الوزير خير الدين النظر عنه لما ضدته اياه واستولت بعض حواشيه على الاوقاف ببلد سليمان الى أن آل أمرها لما كنا شرحنا بعضه فان جامع الحنفية والمدرسة ببلد سليمان لم يكتف فيهما باخذ دخل الوقف واهمال الموقوف عليه حتى خرب وتعطل جريان الشعائر بل نقل منهما مهمات من الرخام وغيره الى دار المتولي كما أقيمت في ذلك حجج من أهالي البلد وقدموها الى جمعية الاوقاف وجرى على الاهالي من المتاعب ما بلغ الى قتل النفس كما ذكر وذلك في قتل عبيده بالوض احد أهل الحاضرة الذي انتقل بالسكنى الى هنالك وذهب دمه هدرا وسودت في موته رقعة على انه مات حتف أنفه تبرئة عند الحكومة رسما من دمه وشدد على الاعيان من أهل الحاضرة وغيرهم في خلاص قانون الزيتون الذي كان مرتبا على الوطن القبلي الذي مر ذكره وتحملوا من مباشري الخلاص اهانات لم تعهد لهم حتى ان بعضهم كان جالسا بحانوت أحد أصحابه في العطارين فجاءه المستخلص وألزمه بالخلاص حالا مع ان الغير عمومي فضلا عن كون الرجل لم يكن مستعدا ولا مال معه ولا معه فأهين بما أذرف دموع المشاهدين من ذلك الملا ومثل ذلك متعدد ثم ولي الوزير ابن اسمعيل وظيفة صاحب الطابع أواسط سنة ١٢٩٠ ويوم ولاية الوزير خير الدين الوزارة الكبرى ولي الوزير ابن اسمعيل وزارة البحر غير انه لم يباشرها بل الوظيفة في محل الوزارة وانما جعل ما يتوقف على امضائه يحمل اليه أين كان ليمضيه حتى يقال انه انفصل عنها وهو لا يعلم مضمون تلك الوظيفة اذ لم يكن التصرف على نحو ارادته ولانه يتعمد من ينيبه من غير احتساب عليه ثم عزل عن ولاية الوطن القبلي لان الوزير خير الدين قد استقر في

الوزارة

الوزارة الكبرى وظن انه غنى عن معاضدة ابن اسمعيل حينئذ فاتفق مع الوالى صعوبة الالحاح بعزله ومن ذلك التاريخ برح الخفاء فيما كان كامنا من منافرة الوزير ابن اسمعيل للوزير خير الدين وان اظهار الميل اليه لم يكن حقيقيا والتفت عليه عصبة الوزير الاسبق خزندار من الاجانب وبعض المأمورين لترويج اغراضهم مما تقدم شرحه وفى اثناء تلك المدة كانت أموال الولى وذخائر الحكومة من الجوهرات والياقوت الابيض الذى تركه محمد باشا كلها فى تصرفات الوزير ابن اسمعيل المذكور الا ماأخرج من ذلك مما أرسله فى هدايا الدولة العلية وما اعطاه الوالى الى الوزير خزندار وله قسط وافر او غيره وكان المتهم فى تلك المدة بالوزير ابن اسمعيل شخص من سكان الحاضرة قبله على ابن الزى كانت الناس تتقيه من قبل ثم ازدادوا منه اتقاء لما اتهم بالمذكور وتفصيل حالة هذا الشخص لا تناسب هذا التأليف على ان من شاهدها لا يبلغ ما نذكره لما يعلمه ومن لم يشاهده لا يكاد يصدق بوجودها ولذلك لا نذكر الا ما يتعلق به من حوادث سيده فمنها انه حسن اليه مماطاة التجارة فى رقاع ديون الدول ورابه تاجر بعد تاجر الى ان استقر امره مع احد تجار الاقمشة الحريرية من يهود الحاضرة المسمى بيوسف بن عطار وارسله لى فرنسا للتجارة هنالك ثم لما عاد التاجر حصلت بينه وبين على ابن الزى نفرة فاغرى به سيده لارادة استئصاله وسجن التاجر فى سجن الضابطية لان الضابطية كانت لا تسأله عمن يريد سجنه وانما حسبما التنفيذ لما يراه وادعى على التاجر بخمسة ملايين فرنكا او تزيد بين مال ومصوغ وحجارة كريمة من الياقوت الابيض على انها من أعلى نوع وانه سافر بذلك الى فرانسا ولم يؤخذ منه حجة فى بيانها وانه أرجع اليهم بالارسال من فرانسا مقدارا وافرا من الياقوت الابيض من النوع الردىء على انه لم يبع مما تسلمه منهم وقبلوا ذلك وبقى التاجر الى ان احضر بالضابطية وأخذت منه حجة على انها صحيحة وأنكرها هو وطال الامر الى ان تخلص التاجر من السجن وهرب الى قنسلات الانكليز عند بابها طالبا اجراء الانصاف فى نازلته وتداخل القنسل الانكليزى مع الحكومة فى انصاف الرجل ولاحت علائم الزور على الحجة ولم يكن معها من القرائن أو الاسلوب التجارى ما يؤيدها سيما فى مبلغ وافر مثل ذلك بل ربما كان معها من القرائن عكس الدعوى اذ ان المدعى به عليه من الياقوت هو من أعلى نوع وهو المصرح به فى الحجة ثم النوع الذى أرجعه اليهم وقبلوه وارسلوا له فيه مكاتيب بوصوله من غير انكار لكونه من نوع

ما اعطوه ولا تعرض بذلك مع ان ذلك المقدار البليغ يعطى لانسان من غير بيان ولا حجة ولا دفتر ولا تؤخذ عليه الحجة الا بعد رجوعه بمدة وهو وقت الغضب زيادة عما كان عند انتهائها فان جميعه يؤيد كلام التاجر فانه بعد ان رفعت النازلة الى الوزير خير الدين وارادته تشكيل مجلس للنظر فيها وامتناع الوزير ابن اسمعيل من ذلك حسبما تقدمت الاشارة اليه وبقى التاجر محتميا بالقنسلاتو تصالح معه الوزير ابن اسمعيل بمائة ألف فرنك وعشرين ألف فرنك وتعجب كل من سمع بالدعوى التى هى نحو ثمانية ملايين كيف يصالح عنها بذلك القدر لو كانت حقا والنازلة مقررة فى الوزارة وفى القنسلاتو ولو نظرنا الى ماوقع فى النازلة من الكلام على ألسنة الناس الذى منه ان مما قاله على ابن الزى الى الوزير ابن اسمعيل ان التاجر المذكور لما عاد من فرانسا ارجع له مصوغا أو أتاه بمصوغ بقيمة بليغة من المال وانه اكتشف عن حالة المصوغ بعد الانفصال بالصلح مع التاجر فاذا هو من البلور المقلد على الياقوت فاذنه الوزير ابن اسمعيل ببيعه حيث لم يكن فيه من فائدة فاخبره بانه بيع ببضع آلاف وأدخلها له فى حسابه ولما وقعت الواقعة الآتى بيانها مع ابن الزى تبين ان عين ذلك المصوغ لم يزل بخزائنه وانه من الياقوت حقيقة وامثال ذلك لطال الكلام فى النازلة لكن لا داعى لنا فى ذكر ما يقال على ألسنة الناس سيما وهو مما يعود الى ما بين الخادم والمخدوم وانما الداعى الى ذكر ما تقدم هو بيان كونه سببا فى خروج عائلة التاجر المذكور من رعايا تونس وصيرورتها تحت الحماية الانكليزية كما انها كانت سببا فى تمكن النفرة واظهارها بين الوزير خير الدين والوزير ابن اسمعيل وميل الوالى الى معاضدة هذا لانه مكنه من جميع أمواله حتى ان نفقته ونفقة عياله كانت على يده وقد نشرت أخبار متواردة فى الصحف الخبرية عربية وغيرها فيما تقتضيه العائلة من تباعة ذلك ولم يقع تكذيبه وحيث كان من الخصوصيات فلا نحلله هنا أيضا وانما أشرنا اليه لتعلم خلاصة التصرفات المالية وبما تقدم وغيره حصلت الاشاعات التى أشرنا اليها فى أسباب استعفاء الوزير خير الدين وقرائن الحال دلت على انه كان القصد توجيه الوزارة الى الوزير مصطفى ابن اسمعيل غير ان معرفة حال المتوظفين والاهالى فى التسليم لذلك كانت مجهولة فقدم للوزارة الوزير محمد وقدم الى استشارة القسم الثانى من الوزارة الوزير مصطفى ابن اسمعيل لكى يباشر العمال والاهالى فى شكاياتهم ويتأنس بمباشرة التصرفات العامة فكان لا يتعرض لتصرفات الحاضرين

من

من اتباع الحكومة عند ورود الدعوى الان تكون نازلة له بها خبرة بواسطة أحد علائقه وتقررت له من قبل قدومها الى الوزارة فحينئذ يأذن فيها بما كان وقع عليه الانفصال وحصلت فى اثناء هاته المدة الرشوة التى كادت تتناسى سيما فى توظيف العمال ولم يقدر الوزير محمد على دفاعها غير انها لم تتفاحش اذ ذاك كما ولى الوزير مصطفى ابن اسمعيل عاملا على الساحل لاستعفاء الوزير محمد عنه فجرى أول الامر العمل فيه على ما كان ثم ولى على المستير رجلا نائبا عن العامل بجعل ينيف عن المائة ألف وكان ذلك الرجل مدينا للاجانب من قبل واشترى الوظيفة لخلاص ما اشتراه به ولخلاص دينه وتكسبه وامتدت يده الى الاهالى والى النواب الذين تحت نظره وتفاقم الامر مع شدة الضعف المالى فى الساحل واشتكت رعايا الاجانب الى قناسلهم هناك لان أهل الساحل لم يزالوا فى رق دينهم فما يتحصل لهم من المال عوض ان يدفع لدائنهم صاروا يدفعونه الى المتولى وبقى أمرهم على ذلك الى نحو ماسيرد خبره وفى أول مدة تداخله فى الادارة وجه قصده الى التداخل فى المسائل الخارجية والمداخلة مع نواب الدول فاستعطفه أحد نواب الاجانب على أمير الواء الياس المصلى لعلاقة بينهما ذاتية على ارجاع المذكور الى خطته التى كان فيها وهى وظيفة مستشار ثان فى الوزارة الخارجية وقد كان عزل عنها فى آواخر وزارة خزندار اثناء ولاية خير الدين وزيرا مباشرا بسبب واقعة وهى ان احدى الجمعيات الاجنبية التى تجمع المال لنوع من أنواع المرحمة توسطت اذ ذاك بقنسل فرانسا لتعينها الحكومة التونسية بشئ من المال على وجه المرحمة فارسلت الحكومة بواسطة المستشار المذكور مقدارا من المال ولما اجتمع القنسل بالوزير شكر صنعه وذكر له المقدار الواصل لتلك الجمعية فاذا هو غير مطابق لما أعطته الحكومة ووقع التحقق فى النازلة الى ان عزل المستشار المذكور وبقى بلا وظيفة ولا مرتب الى ان قدم من الاجانب من عطف على المذكور فتوسط له لدى الوزير خير الدين فى وظيفة فافهمه ان ذلك غير لائق لما تقدم فألح على ان يحصل له نفع ونال بواسطته مرتبا سنويا قدره ستة آلاف ريال وقطعة من أرض مقدار ما يبنى بها دار للمذكور وكبر ذلك على الوزير ابن اسمعيل اذ ذاك وجعلها هجيراه فلما تعاطى هو الاشغال السياسية وتوسط لديه فى ارجاع المذكور للخطة السابقة بادر بالاجابة بالقبول ولما انتهى الامر لوالى استقطع النازلة سيما وقد سمع بعض القناسل بذلك وأوغر بالانكار بل ربما قال بعضهم انه بعد ذلك اهانة لهم وحصل من المتوسط أيضا

التشديد في الاتمام بمقتضى القبول الذي اجابه الوزير بن اسمعيل وهو وان لم يكن اذ ذاك وزير الخارجية الا انه علم ان كلامه رسمي مثل وزير الخارجية وانكر ابن اسمعيل التعهد بالقبول انما قال اني وعدت بابلاغ الوالي المطلب فقط وتفاقم الخلاف الى ان استرضى الطالب ووظف المذكور وظيفة مخترعة وهي كاتب سر الوالي بالفرانساوي وجعل له مرتب اثنا عشر الفا سنويا ثم ابتدأت نازلة الكنت دي صانسي فالح الوزير بن اسمعيل في تعجيل فصلها اذ كان فيها ما سيرد خبره ثم جاءت نازلة وصل السكة الحديدية التونسية بسكة الجزائر وذلك ان الشركة التي بيدها المنحة وشرعت في العمل بها بعد ان قربت ان تصل بيلاد باجة لزمها وصل السكة المذكورة بسكة الجزائر لانها ان لم تصلها اتتوقع الخسارة وبفوتها تبقى ربح الخمسة في المائة لان دولة فرانسا ضمنت للشركة المذكورة ربح الخمسة في المائة على ما تنشئه من الطرق الحديدية بافريقية وتتصل بالجزائر ودولة فرانسا انما ضمنت ذلك لانه مما يعمل به كثيرا في الممالك الاوروباوية لترغيب أرباب الاموال في انشاء المنافع العامة مع تحقق الربح من أموالهم وهي لا يثقل عليها مثل ذلك لغناها وكثرة واردها من الطرق الحديدية فعلى فرض خسران جهة من الجهات في الطرق يعدل بازائه الحاصل من الجهات الاخرى واذا بقيت طريق تونس غير متصلة بالجزائر لا تحصل الشركة على الضمانة المذكورة فلذلك قدم الى تونس زعماؤها وطلبوا وصل السكة مستندين الى الفصل الثالث عشر من الاتفاق الذي بايديهم في أصل المنحة من الشركة وهو ان الشركة يسوغ لها مد فروع يمينا وشمالا من الخط الاصلي بعد الاتفاق مع الحكومة على جهة المركز الواصل له الفرع وعلى جهة مروره وان المقدار الذي بين نهاية الخط الاصلي وبين حدود الجزائر لا يبلغ الى مقدار طول الفرع الذي لهم الرخصة فيه وهو خمسون كيلومتر وأي نحو خمسة وأربعين ميلا وانهم غاية ما يطلبون الاتفاق على تعيين المركز المنتهي اليه وتعيين جهة المرور كما يطلبون مد فرع الى جهة الكاف بمقتضي الرخصة الاولى أيضا فنالت النازلة في البلاد وعند رجال الحكومة أهمية تامة لا بالنظر الى فرع بلد الكاف لانه خال عن كل شائبة وليس فيه الا النفع وانما الاهمية من حيث وصل الطريق بالجزائر وكثرت الاقوال في وجود مليون ومائتي الف فرنك لتيسير أسباب الوصول الى المقصود وتولى أمر الحرص فيها الوزير ابن اسمعيل وكان القنسل الفرانساوي معينا الى الشركة على غير الطريقة الرسمية وانما هو من باب المجاملة والنصح ويود فصل النازلة من قبل ان تدعو الى تداخله

الرسمي

الرسمي باستنجاده من الشركة على ما يمكن ان تدعيه فيبرأ الوزير محمد اذ ذاك من فصل
الشبهة وعقد لها مجلس تحت رياسة مستشار الخارجية واعضاؤه ثلاثة تونسيون واثنان
فرانساويان واثنان طليانيان وكاتب انكليزي والجميع من موظفي الحكومة
فتفاوضوا في المسئلة لكن مع الاشارات المتواردة بالتعجيل واختلف رأي المجلس هل ان
الفصل ١٣ المستند اليه من الطالب يقتضي ذلك أم لا لانه بالنظر للخريطة يتبين ان
المقدار المطلوب ليس بفرع بل هو تطويل لاصل الخط حيث يتجاوز منتهاه النقطة الاصلية
المنتهي اليها الخط الاصلي في العمود لكن الذي ترجح عند أغلب المجلس أنه يصدق عليه
انه فرع اذ لم يقيد الفرع بعدم تجاوزه نقطة الاصل ومع هذا فان الاستناد الى ذلك الفصل
لا ينتج المطلوب لانه ولان تضمن امكان امداد أحد الفروع ضمنا يعارضه التصريح
القطعي بفصل خاص وهو أن الوصل بطريق الجزائر ليس للشركة عمله ولا رخصة لها فيه
الا باتفاق جديد ولهذا خصوص ايضا بان الحكومة ليس لها اعطاؤه لغير الشركة المذكورة
وهو حجة قطعية بان ايصال طريق الحديد لحدود الجزائر لم يعط مدة وزارة خير الدين بل
انه شرط عدم الايصال للحدود وان اعطاء الرخصة للشركة الفرانساوية في ايصال
الطريق للحدود هو امتياز جديد أعطته الحكومة التونسية بعد خروج الوزير خير
الدين من خطة الوزارة ولهذا انتقل الكلام الى أن الوصل هل للحكومة عمله أم لا فتذاكر
الجميع في منافعه ودفع الاعتراضات والمضرات الناشئة عنه عما تقدم بيانه عند الكلام
على وزارة خير الدين بل زاد بعضهم ان قال انه اذا لم يصل تحقق المضرة المالية للحكومة
بان ما يصل الى المركز النهائي يقرب من الحدود مع عدم انحصار جهة الخروج منها
فتحمل الامتعة على ظهور الحيوانات وتخرج الى الجزائر من غير اداء ضرائب الحكومة
الى غير ذلك من المصالح ودفع المضار وما عساه ان يقع من الارتباكات السياسية عند
الامتناع من الوصل ولما كنت أحد أعضاء ذلك المجلس وافقت على ما ذكر غير اني
لاحظت شيئين (أولهما) ان الوصل الى الحدود يلزم منه تعيين الحد وهو واقع فيه
خلاف وطال النزاع فيه مدة أحمد باشا وليس للحكومة أن تعين الحد وانما ذلك يتوقف
على اعلام الدولة العثمانية وهي التي تعين الحد (وثانيهما) ان وصل الطريق ينشأ عنه
كثرة القادمين من رعايا الجزائر لسهولة الانتقال وقرب الوقت ورخص المصروف وذلك
هو موجب رواج التجارة وان الخلق من كل نوع فيهم المستقيم وغيره فاذا كثر الوارد
من رعايا الفرانسيس وحصلت كثرة المخالطة استدعى ذلك كثرة الخصومات الطبيعية

وليس لحكام تونس الحكم فى نوازلهم بل النوازل ترفع الى القناسل وأين هذا فى قبائل العربان التى يمر بها الطريق بل وفى نفس البلدان ليس لاتباع الحكام وضع اليد على المطلوب فيفعل المتعدى ما يريد ويركب ويرجع الى بلاده قبل ان يصل العلم الى حاكمه فيجر ذلك الى ضياع الحقوق سواء كانت للاهالى وهم الاكثر أو لغيرهم ويضطرون الى اعمال وجوه يتوصلون بها الى حقوقهم ربما أوقعت البلاد فى ارتباك أو خروج الرعية عن حكمها ولا مندوحة عن هذا الا باتحاد الحكم وقد كان السعى فيه من قبل ودولة فرانسا موافقة على أصله فلم يبق الا انجازه ولذلك لا تمكن الموافقة على وصل الطريق الا بالوجهين المذكورين فقيل لى انى لهاته المسئلة التجارية من تعليقها بمسئلة الحكم وهل ترضى باتحاد الحكم جميع الدول حتى تدخل فرانسا معهم اذ لا ترضى بذلك وحدها فقلت ان كانت نازلة الطريق تجارية بحتة فلا ضرورة لنا تحملنا على اقحام المسئلتين السياسيتين المشار اليهما الا بعد التخلص منهما ومضرتهما تعدل وتفوق على المنافع المشار اليها أولا وان كانت النازلة فيها شائبة سياسية ففرانسا تعيننا فيما يتعلق بها بجلب موافقة الدول على اتحاد الحكم وتبدأ بنفسها لان الداعى معها وهو اتصال المملكتين وسهولة الوصلة بالطريق الحديدى على ما مر شرحه لا تشاركها فيها بقية الدول فاذا رأوا جريان العمل بذلك مع جلبها لوفاقهم يغلب على الظن توافق الجميع وكانت هذه الملاحظات هى مبدأ رميى بضدية قوم ومعاكسة آخرين وأغلب الاعضاء انصفها وتكررت المذاكرات حسبما هو طبيعى فى تعدد الآراء وكلف فى اثناء ذلك أحد الاعضاء بصورة الشروط التى يمكن أن يقع عليها التعاقد وبينما المجلس يوما فى اثناء المذاكرات واذا بالخبر بان الوزير بن اسماعيل أخبر بان القنسل قادم على الوالى ذلك اليوم للعرض على النازلة وانها لا تحتمل زيادة الطول فمن ذلك التاريخ خرجت النازلة عن كونها شورية حقيقية وعدلت الشروط المشار اليها فى أقرب وقت ودفعت أولى الملاحظات المشار اليها بالنص على أن مركز الفرق لا يكون علامة على الحدود وانظر هل يجدى ذلك أم لا كما دفعت الملاحظة الثانية بان تكتب بانفرادها فى أوراق الوزارة لتكون اشارة على الحكومة فى السعى على مقتضاها وأبقيت فى خزانتها مع تقرير كل ما وقع فى المجلس وأمضيت المنحة وسمع من ناجزها وسعى فيها انها من تصرفات الوزير خير الدين والواقف على كل ما قررناه يحكم بانصافه ثم أرسل هذا الوزير من الوالى لتهنئة ملك ايطاليا أمبيرتو بالولاية عوضا عن والده ثم سافر الى معرض باريس

واحتفل

واحتفل به الوالى العام بالجزائر واجتمع فى باريس برئيس الجمهورية ورجال السياسة وذاكر بعضهم فى فتح البحر بالصحراء الكبيرة من خليج قابس وعدد له منافع تنشأ من ذلك للجريد وذكر له أوصاف الجريد التى هو عالم بها الآن فتخلص الوزير ابن اسمعيل من الخوض فى النازلة لانه يخشى من المذاكرات السياسية بانه كان فى سن الصغر لما كان الوالى يسافر الى تلك الجهات ولذلك لم يكن يعرفها وان المذاكرة فى النازلة تجرى فى الوزارة بتونس فتعجب المخاطب من الجواب ثم شاع الخبر بالاستعانة ببعض نواب الدول على توجيه الوزارة الكبرى الى الوزير ابن اسمعيل وان بعض النصحاء صرح له بان الوظيفة ما آلها اليه لتوجيه عناية الوالى اليه فلا داعى الى الاستعانة بالاجانب على ذلك لانه يفتح بابا غير مناسب فان الذى يستطيع ان يعين على الولاية يستطيع ضدها عند ما يريد فلم يفد ذلك ثم استقرت ولاية الوزير ابن اسمعيل الوزارة الكبرى فى شعبان سنة ١٢٩٥ على الكيفية التى تقدم ذكرها فى استعفاء الوزير محمد واستبد الوزير ابن اسمعيل بالتصرفات وحصلت فى البلاد تزيينات تشبها بما وقع عند عزل الوزير خزندار وقد علموا ما بعثهم على ذلك اذ ذاك واما هاته فكانت امتثالا لما أشير به عليهم بالايعاز من الاتباع فحدث فى هاته المدة أمور فى الحكومة والقطر (فمنها تفاقم) الامر فى نازلة دى صانسى وخلاصتها ان هذا الرجل الفرانساوى كان دخل فى وزارة مصطفى خزندار ان تعطى له أرض قدرها اربعمائة ماشية كل ماشية كيل مائة واثنين وتسعين حبلا وكل حبل طوله خمسون ذراعا على ان تكون الارض قابلة للزرع والسقى ويعطى له ذلك المقدار على أربعة أقساط مهما وفى بشروطه فى سنة يعطى له قسط وعلى ان تعفيه الحكومة من جميع الاداآت واشترط عليه ان يربى فى الارض المذكورة أنواعا ثلاثة من الحيوانات وهى الخيل والبقر والغنم فى كل مائة ماشية عدد خاص من الانواع المذكورة على ان تكون الانواع من أحسن الموجود فى القطر أوخارجه الى غير ذلك من شروطه وهو يبيعها لمن شاء وليس للحكومة شئ فى عوض ذلك الا تحسين الانواع المذكورة فى القطر فمضت آجال منذ قبوله للارض الاولى وادعت الحكومة عدم وفائه بالشروط وادعى هو التعلل بانها هى لم توف له أيضا حيث طلب الاعفاء من الاداآت التى بواسطتها أيضا وكان ذلك فى مدة وزارة الوزير خير الدين فآل الامر بعد ان كادت ان تفصل النازلة بالمرة و بعد ان عقد لها مجلس من متوظفى الحكومة الى اجرائه مطلبه واخذه القسط الثانى من الارض واسقاطه كل

دعوى فيما تقدم تاريخه فلم يوف بما اشترط عليه أيضا وادعى ان سبب ذلك تداخل تونس فى حرب الروسيا وان الارض التى أخذها ليست كاملة المقدار وانها ليست بكاملة الصفات وانه لم تف بما هو مشروط وان الحكومة لم تحم حقوقه من التعدى عليه من الاهالى فعقد لذلك مجلس تحت رئاسة الوزير ابن اسمعيل فى مدة وزارة الوزير محمد وطالت المراجعات بين الحكومة و بين دى صانسى والقنسلاتو الى أن ولى الوزير ابن اسمعيل الوزارة الكبرى فحرص فى اتمام النازلة وتخليص الارض من يد المذكور وانعقد لذلك مجلس من موظفى الحكومة من الاهالى والفرنسا و بين وتكررت المراجعات الى ان استقر الرأى على ان لا حق للكنت المذكور فارسل الوزير ثلاثة من موظفى الحكومة مع مصاحبة قنسل أوستريا لحوز الارض المذكورة والشهادة على كيفية الحوز وقبل ارساله أعلمه قنسل فرانسا بان الاولى الصلح فى النازلة بان يضرب لصاحب المنحة أجل ثان للوفاء بشروطه و يسقط جميع دعواه فان لم يوف تخلص دولة فرانسا الارض منه وترجعها لحكومة تونس وبدون ذلك لا يمكن تسليم الارض الا بمجلس تحكيم مختلط وانه لا يسمح لاتباع الحكومة بالدخول الى الارض وان أتوا للاستيلاء يجدون من يعارضهم من أتباع القنسلاتو فلم يقبل منه ذلك وعند وصول الرسل منعهم أتباع القنسلاتو من الدخول بالكلام فرجعوا وكتبوا التسجيل حالا فورد من قنسل فرانسا طلب (أربعة) مطالب (أولها) طلب الترضية من الحكومة (ثانيها) القاء المسؤلية على من تسبب فى النازلة (ثالثها) عقد مجلس مختلط للنظر فى اثبات دعاوى دى صانسى أو عدمها (رابعها) الجواب عن ذلك قبل مضى يومين والا فانه يقطع المخالطة وشاع بالايماء ان المراد بالقاء المسؤلية هو عزل الوزير فاضطرب الوالى والوزير واشتد الخوف وقال بعض الاجانب ان قطع المخالطة لا يعقبه الحرب فتربصوا حتى تعلم الدول ولعله يكون منهم التداخل فتفصل النازلة بوجه آخر ولم يقع من أحد القناسل جواب مقنع فى عدم خوف الحكومة لعدم وصول الاخبار التلغرافية وضيق الوقت ولم يعلموا الدولة العثمانية وسعى أمير اللواء الياس عند القنسل بالوجه المخصوص بان يكون الوزير فى امان ويجاب لجميع المطالب على ان يعزل الكاتب الذى توجه فى النازلة وهو الحاذق الفطن المتفنن دايبدسنطليانه الذى على صغر سنه كان يحسن سبع لغات ومطلع على السياسة ونصوح لتونس كامن النصحاء ووفى بجميع لوازم وظيفته و يقال ان سبب الرضاء بعزله هو شخصيات نفسانية فارسل الكاتب

استعفاءه

استعفاءه قبل العزل وقبل ووقع الرضا الشفاهي بان يكون ذلك نهاية المسؤلية التي هي احدى المطالب ووقعت الاجابة الى المطالب من الوالي بعدان كتب تلغرافا الى وزير خارجية فرانسا بانه يريدان يرسل له رسولا خاصا ليشرح له النازلة فاجيب بواسطة القنسل بان لا فائدة والحالة هاته في ذلك وان القنسل معتمد من قبل دولته فاجاب الوالي حينئذ بالقبول ونزل الوزير ابن اسمعيل الى القنسلاتو باللباس الرسمي ترضية من الواقعة ثم عقد مجلس برأسه موسيو فولون أحد أعيان الحكام الفرانساويين وكان رئيس مجلس التحقيق بالجزائر وهو رجل منصف عفيف واعضاء المجلس اثنان تونسيان واثنان فرانساويان وبعد التروي في مجرد دعاوى دي صانسي هل هي واقعة أم لا عدا دعوى التعطيل بالحرب استقر الرأي على ان مقدار الارض بالقيس الهندسي الذي لم يجر بكيفيته العمل في تونس هو ناقص وان صفقتها مطابقة للشروط وان الاعفاء لم يقع لان شروطه لم تقع وان حماية الحقوق موفاة من جهة الحكومة ثم بقيت الارض بيد دي صانسي الى الآن وعند قبول الشروط كوفئ أمير اللواء الياس بولايته مستشارا ثانيا بالوزارة الخارجية ومما حصل أيضا انه ورد على تونس أحد الفرانساويين وطلب انشاء مرسى أمنية للسفن على شاطئ قرطاجنه قرب حلق الوادي والح على ذلك وتخوف من منعه فاعطى خمسة وعشرين الف فرنك لكي لا يتشددوا أعطى الى أمير اللواء الياس عشرة آلاف ريال لتوسطه عنده بان يرضى ولا تعطى المرسى وكذب في الصحيفة الرسمية ان كون اعطاء المال كان بسبب طلب قنسل فرانسا (ومنها) جعل موكب لاحراق تذاكر الكبون أي الفائض الذي استخلص من مبدء الكومسيون الى ذلك الوقت وجازى الوالي الوزير بن اسمعيل على ذلك الاحراق بالسيف المرصع الذي أنعم به من طرف الخلافة (ومنها) ان أحد العمال من اشراف مساكن ولي على قبيلة المثاليث فادعى عليه بانه أخذ منهم زائدا عن موظفات الحكومة نيفا ومائتي ألف ريال ولم يجر الحساب على مقتضى الانصاف المطلوب فطلب تحرير الحساب بحضر أعيان من ثقات الحكومة فلم يجب وقبض به اثنان من اعوان الوزير ومنعوه من الخروج من داره الى ان تخلص منهم بحيلة ورمى بنفسه من احدى طواقي علوه والتجأ جاريا الى قنسلاتو انكلترة فدخل بها صائحا مستغيثا وأغمي عليه ولما أفاق سأله القنسل عن سبب حاله فقرر انه عذب بربط يديه واحراق الحطب في وسط بيته والسكر فيها وصب الجمر أو القاذورة على رأسه وغير ذلك من أنواع التعذيب

ليؤدى المال وأخذوا منه ما اجرا على ذلك خمسة عشر ألف ريال وآل الامر الى طلب القنسل اعادة الحساب فامتنع الوزير من ذلك وحصلت بينه وبين القنسل نفرة ودامت مدة الى ان ابدل القنسل المذكور لفراغ مدة خدمته بالسن وهو سمرر يتشارد وود ورقته دولته ثم جاء خلفه وصولح العامل المذكور باقل من ربع ما ادعى عليه يدفعه على اقساط (ومنها) ان أحد اغنياء الساحل الملقب بابن الحفصية ادعى عليه بانه اشترى زيتا من الوزير وكتب عليه حجة بنحو ثلاثين ألف ريال فتلطف بالخلاص فلم يفد ثم طلب ان يتوجه الى جهة الافرنج ليستقرض منهم ويدفع فارسل معه أحد الاتباع لمراقبته ولما وصل تجاه قنسلاتو فرانسا دخلها مستغيثا فتلقته أعوان القنسلاتو وقرر نازلته واجتهد القنسل فى حمايته لما ثبت عنده ظلمه وحماه من ذلك ولم يخرج من هنالك الا وهو وجميع عائلته تحت الحماية الفرانساوية وتفاقم الامر فى الساحل على ذلك النوع الى ان كتب أحد القناسل الى نوابه بقبول كل من يلتجى اليهم وكتب تقريرا فيما هو واقع فاحس الوزير ابن اسمعيل بذلك فاستعفى من ولايته عاملا على الساحل وتلطف للقنسل بان يكون ذلك ختام النازلة فانفصلت على ذلك (ومنها) ان أحد التجار الملقب بالصباغ الذى تقدم ذكره عند الكلام على الوزير مصطفى خزندار اقرض أهل مساكن فى نكبة الساحل العامة سنة ١٢٨٠ اموالا اسلما على الزيت وتضاعف أمرها الى ان عجزوا وسجنوا مدة طويلة فلما ولى الوزير ابن اسمعيل على الساحل توسط فى الصلح مع التاجر على ان يتحمل هوله بما يطالبه منهم وهم يدفعون ذلك للوزير على اقساط فسرحوا على ذلك ونقل الناس عن التاجر المذكور ان المال اسقطه هو عن الوزير ابن اسمعيل لتوسطه فى ارجاع بستان الوزير مصطفى خزندار عنو به الذى كان دفعه فى الصلح عن مطالب الحكومة منه كما سبق ذكره وان لم يرجع البستان الا لورثة خزندار عند موته واغا فعل التاجر ذلك للعلاقة بينه وبين خزندار المذكور وبقى الوزير ابن اسمعيل يستخلص المال من أهل مساكن شيأ فشيأ هكذا شاع عند من سمع من الصباغ (ومنها) ان أحد اتباع الوزير ولى على قبائل جلاص فعاث فيهم مدة الا واقبل منهم فوج عظيم شاكين الى الوالى بأنهم ضربت عليهم غرامة بنحو مائتى ألف ريال زيادة على أموال الحكومة ووقع فى النازلة مبادى هرج الى أن صولحوا برفع الغرامة وابقاء العامل (ومنها) تكاثر الجعائل على الوظائف من العمال فقسمت لذلك بعض القبائل كالهمامه وعادما تخوف الناس منه من

امتداد

امتداد الايدى الى الاموال حتى أشاع بعض العمال انه شريك للوزير فيما يستلزمه من أنواع الدخل وبسبب ذلك انحطت بعض المداخيل فلزمة غابة الزيتون سنة ١٢٩٧ أخذها تابع الوزير ابن اسمعيل بسبعة وعشرين الف مطرز يتاو أحجم عن الزيادة عليه سائر الاهالى لما أعلن التابع ان أخذه لها شركة مع الوزير وليست هاته مما يتقدم اليها الاجانب الذين لا يخشونه لانها تحتاج الى ممارسة الاعراب ولم تسبق لهم عادة باستلزامها (ومنها) ان قبيلة تسمى بالقوازين من المنتسبين الى أحد الصالحين وعددهم لا يبلغ الى الثلاثمائة رجل يسكنون فى الجهة الجنوبية فى حدود الصحراء كانت الحكومة منذ قديم معفية لهم من الاداء لقلتهم وقلة كسبهم واستمر الامر على ذلك الى سنة ١٢٩٦ فاريد الزامهم بالاداء فامتنعوا متعللين بالعادة والحال فالح عليهم وتهددوا بالغصب فتحملوا باداء شئ من المال سنويا على انهم يوزعونه على أنفسهم من غير أن يتداخل العامل فى عددهم وتوزيع المال عليهم مثل ما هو جار فى بعض القبائل المتوحشين كورغمه ومطماطه وشبههما وكان الفرق بين ما يمكن ان يحصل عليه وبين ما أرادوا هم اعطاءه بانفسهم لا يتجاوز الالفى ريال على ما قرره أحد العارفين بهم فامتنع الوزير من مساعفتهم وأذن بغصبهم واستعمل لذلك بعض القبائل الذين لهم معهم عداوة مع بعض العساكر الخيالة الغير المنظمين المعروفين بالجوانب والصبائحية فعاثوا فيهم وقتل منهم كثير حتى النساء والاطفال بتمزيق جثثهم رحمهم الله (ومنها) ان رئيس أطباء الوالى طلب أن يكون بالحاضرة مستشفى على النحو الاروباوى فتم ذلك بمال الاوقاف وانتظم أمره وقد وفيت فيه بكل ما تحتاج اليه المرضى وتتم به راحتهم حيث كنت أنا المباشر الى انشائه وجعلت فيه قسما منفردا خاصا بالنساء وكل ما يصرف على الداخل من المستشفى يكون من فواضل مال الاوقاف ولا يعطى المريض شيأ ولهذا اشترط أن يكون الداخل اليه فقيرا كما جعلت به قسما منفردا خاصا بالاغنياء ويقوم المستشفى بجميع لوازمهم على أحسن حال علاجا وسكنا ويعطون عوض ذلك قدرا زهيدا من المال وجميع أدوات هذا القسم من الاسرة والخدم والفرش مماثل لحالة بيوت الاغنياء المقتصدين فى مصاريفهم وفائدة هذا القسم ان كثيرا من أهالى الحاضرة اذا مرض لا يجد من يوفى له بواجبات العلاج للجهل من العائلة مع انهم يستكثرون أجرة الطبيب فيندفع عنهم ذلك فى المستشفى وهنا فائدة أكبر من هاته وهى أن أغلب بلدان القطر خالية عن الاطباء وكثيرا ما يأتى منهم أناس لتداوى بالحاضرة فلا يجدون مأوى سوى

منازل المسافرين التى تنتهى وكائل وهى غير صالحة لمثل ذلك فتحصل لهؤلاء هاته الثمرة مع الاشتراك فى الفائدة المقررة لاهل الحاضرة (ومنها) أن الوزير ابن اسماعيل استوهب من الوالى الاوقاف التى كان حبسها على باشا الثانى على الاناث من ذريته فسعى فى حل بنات تشهد بالكيتها فى مدة وزارة خير الدين وعطلها اذذاك الوزير المذكور ثم بعد خروجه تمت الهبة وبقيت الاوقاف عنده بالهبة ولما تكاثرت عنده الاراضى المسماة بالهناشير المختلفة كبرا وصغرا باع منها عددا وافرا الى لجنة فرانساوية وغيرها (ومنها) انه استوهب من الوالى أيضا مصيدة الحوت ببلد المستير المسماة بالتنارة ثم احالها الى لجنة أخرى كما اشاع أيضا (ومنها) عمل طريق بين باب البنات وباب سويقة من الحاضرة قرب دار الوزير وفيها أكثر مروره الى جهة باب البحر (ومنها) أن أحد الاغنياء من الاهالى توظف فى الحكومة المسمى بحمده عريف توفى رحمه الله عن غير ولد وكانت له بنات من ابنه فاوقف كسبه عليهن وعلى من يتزايد له وبعد وفاته وضعت زوجه حملها فكان ولدا ذكرا ثم توفى فى أثر ذلك وكان للمتوفى ابن عم فتعاضد مع الزوجة وأرادا أن يبطلا الوقف المذكور ليصير المخلف ارثا فيرثان أغلبه واستعانا بتابع الوزير المسمى على ابن الزى على مواعيد له وقد كان القاضى جعل وصيا على البنات وحفظ الوقف والمنقول فطلب التابع ان ينقل حكم النازلة من الشريعة الى الوزارة على خلاف الديانة والعادة من تحكيم الشرع فى المواريث والاوقاف وارسل الوزير الى القاضى مكتوبا بان يسلم رسوم الوقف الى كاتبين أحدهما من خواص الوزير والثانى من الوزارة مع الوعد فى المكتوب بان الوزارة بعد الاطلاع على الرسوم ترجعها وكان المتسلم لها أبو الزوجة وهو وكيلها مع أحد الكاتبين فطال الزمن وأبلغ الوصى الى القاضى التخوف على الرسوم اذ شاع انها سيقع فيها تغيير فارسل الى أبى الزوجة والى الكاتب اللذين تسلما الرسوم يطلب ترجيع الرسوم فأبيا فاحضرهما فامتنعا فسجن ابا الزوجة حيث انه هو المتسلم وأخبر بان الرسوم بعلو فى داخل المحكمة الشرعية هو محل اشتغال الكاتب المذكور حيث كان من شهود الاوقاف وذلك العلو هو مكان اجتماعهم فبعد أن الح القاضى على الكاتب وامتناعه أمر بان يمنع من دخول العلو خشية اخراج الرسوم منه وبقى القاضى يجعل حكمه على الهيئة الشرعية حسبما سبق التعريف بذلك من كون أهل الشرع بتونس لهم من التعظيم والتوقير قريبا مما كان عليه الحال فى الاعصر المعظمين للديانة وشعائرها فما كان غير بعيد الا وعلى ابن الزى المذكور قادم فضرب باب العلو برجله وكسر قفله وأمر الكاتب بالصعود

واخراج

وانواع الرسوم واخرج المسجون وامره بالذهاب حيث شاء وقدم على القاضي وباشره بما لا يناسب ذكره وفشا الخبر وعظم الامر عند العلماء والعامة الى درجة لم تعهد فأبطلت الدروس من الجامع الاعظم واغلقت دار الشريعة وكثر اللغط وسرى الى خارج الحاضرة وأبلغ أمر النازلة الى الوزير ابن اسماعيل فاراد أن يهون النازلة بمنع تابعه من القدوم الى تونس وأرسل معلما الى القاضي بانه سجنه فلم يلتفت لذلك العلماء وتقدم الشيخ أحمد بن الخوجه شيخ الاسلام وجمع العلماء مرارا واظهر أشد الانتصار للشرع وكتب جميع المجلس الشرعي مكتوبا وأرسلوه الى الوالي قصدا بلا واسطة الوزير على خلاف المعتاد وقدم به رسولهم على الوالي في مجلسه العام فقرئ عليه فاذا فيه تفصيل الواقع والاشارة الى ان الخطب عظيم فاهتز الوالي وتوقى عاقبة الامر وأحضر الجاني وأمر بنزع رتبته وحبسه ثم نفيه الى حصن جربه وقدم على أهل المجلس باشكاتب ووزير الشورى وتأسف لهم على ماوقع وهدأ بالهم بما صدر من الحكم فاقتنعوا في الجاني بما وقع ولكنهم طالبوا مواجهة الوالي وقصوا على باشكاتب المذكور ما هو حال بالقطر مما تقدم شئ منه الى أن بلغ الحال الى تلك الدرجة وتوقعهم لما هو أعظم وكان شيخ الاسلام يبكي على حالة من لا أرب له في الدنيا وكل تكلم بما بدا له من فظاعة الحال فابلغ باشكاتب ماسمع ومارأى فاضطربت أفكار الوالي وتكاثر الكلام في الناس وكانوا كلهم على كلمة واحدة في اتباع أهل المجلس الشرعي ومما ذكر ارادتهم انهاء الامر والشكاية الى خليفة المسلمين وطلب اجراء ما تضمنه الفرمان المؤرخ في شعبان سنة ١٢٨٨ من اجراء العدل والانصاف في الرعايا وبلغ الوالي قصد العلماء وهو طلب تشكيل مجلس للنظر في المصالح وفي أعمال المأمورين لكي لا يقع مثل ما وقع وخشي مما شاع من تداخل الخلافة الكبرى لظنهم ان السلطان لا يرضى بضياع أهالي تونس لمخالفة السيرة الادارية لما هو مشروط في الفرمان السلطاني سيما وقد بلغ الامر الى ما هو راجع الى الشرع وحمايته وان ذلك أيضا يجري الى تداخل بقية الدول العالمين بقبح السيرة مع كون الصدر بالدولة العثمانية اذ ذاك هو خير الدين باشا الذي يراه عدوا له فارسل الوالي الى العلماء ثانيا يقول لهم امهلوني بضع أيام فان جعلت ترتيبا سياسيا يقنعكم فاقدموا الى حينئذ شاكرين والا فلكم ان تمدوا ما يظهر لكم وكان هذا رأى اشيربه على الوزير بان يعمل كما قيل بيدى لا بيد عمرو وخشية تفاقم المطالب على ذلك النحو ووقع اذ ذاك مبادي انحلال في عزم أهل مجلس الشريعة لان رئيسهم تقرب اليه الوزير سرا فانحط

حرصه وتوجهت أطماع البعض الى المسابقة لارضاء الوزير فاجابوه بنعم ثم جمع الوالى وزراءه وأعلمهم متأسفا من مطالب أهل الشريعة بانه يريد ان يجعل مجلسا مركبا منهم أى من الوزراء ورؤساء الادارة دون غيرهم من الاهالى للنظر فى المصالح وجريان السياسة فاجابوه بان ما يظهر له حسن فهو حسن وكان هذا الجمع من الوزراء والمستشارين مشتملا على جميعهم حتى ان الوزير حسين كان اذ ذاك قدم من ايطاليا بالمصالح فى مأموريته فصادف الواقعة وكان ممن وافق الوالى على رأيه فى جعل المحتسب والمحتسب عليه واحدا خلافا للمعقول ولما يعلم من طبعه من لزوم الاحتساب الحقيقى على تصرف المأمورين بثقات من الاهالى الى غير ذلك من أوجه العدل ومع هاته الموافقة فلم يسلم من القدح ثم ان الوالى أرسل لاهل الشريعة يعلمهم بانه انشأ مجلسا مؤلفا من عشرة أعضاء تحت رياسة الوزير ابن اسمعيل وأعضاؤه هم الوزراء والمستشارون وبعض رؤساء الادارة ولما بلغ لاهل الشريعة ذلك قالوا ليس قصدنا المتوظفين لانهم دائما تحت الامر ولا خبرة لهم بما فى أطراف القطر وانما المراد أن يكون المجلس من المتوظفين والعلماء واعيان من البلاد والعربان ولا أقل أن يكون عددهم ثلاثين عضوا وانهم لا يقصدون الا مصلحة البلاد لانهم ليس لهم غرض الا هناء القطر وهناء الوالى وقيل أن قنسل فرانسا صرح بانه لا يعترف بالمجلس وانه ان أراد الوالى الاستعانة بعساكره لردع الطالبين فهو حاضر له حيث أن طريقة الوزير هى التى تبلغه الى قصده كما ذكرناه فى محله ثم لما بلغ الوالى جواب العلماء أرسل اليهم بانه يزيد اثنين من رؤساء المتوظفين وأن هذا المجلس ينظر فيما يقتضيه الحال من الكيفية ويجرى العمل به وكان فى اثناء هاته الايام دبت السعاية بالترغيب لبعض العلماء والترهيب لهم من تداخل الاجنبى بلا مستند فرضى عدد هم بذلك وكان سببا فى تمكن الفيض على من زيد حيث انتهى رضاء المقترحين عند ذلك وصرح الوالى بما يشف عن ذلك والله المطلع على السرائر ثم جعل هذا المجلس فى نفس الامر اذا اجتمع يعرض عليه ما يريده الوزير والاغلب أن يكون المعروض هو بعض النوازل التى تعرض بقلة ولما كان أغلب الاعضاء يسايرون الوزير لم يظهر لوجوده من أثر اذ لا يتداخل فى نصب ولا فى عزل ولا سيرة عامل او رشا وشاهد ذلك الخارج فانه لم يمض عليه شهران حتى وردت الرسل على شيخ الاسلام بان يتشفع فى الجانى على الشرح فلم يوافق جهرة بل أظهر زيادة الامتناع ثم سودت سرا بطاقة الى المفتى ليكتب على غطها مكتوبا لاهل المجلس الشرعى ولما ورد مكتوبه على نحوها

كتبوا

كتبوا الى الوالى مستشفعين بعد ان امتنع بعضهم وقيل عند ما سمع بذلك ليت شعرى ماهو وجه كتمهم مع علمهم بالحقائق ومنها انه شرع الوزير اثر ماتقدم فى بناء دار شيخ الاسلام المذكور بتونس وكذلك داره بجبل المنار وكثر تردد تابعه الجانى المذكور عليه حتى نشأ عنه قيل وقال بسوء جانب العلم والخطة ومنها انه اشتكى بعض السكان فى مطالب له من تابع الوزير المذكور الى القاضى فلما دعى للجواب امتنع وورد الاذن الى القاضى الشرعى بان المذكور لاترفع نوازله الا للوزارة فليس له النظر فيها وقد علمت سابقا ماهى حالة احترام الشريعة وحكامها ومنها بناء محل الكرنتينة أى الاحتماء للواردين من الاقطار التى يكون بها مرض عام معدى وبنى ذلك بحسب رغبة الاجانب وحرص رئيس أطباء الوالى وجعل له طبيب خاص وكان بناؤه باحدى المراسى المسماة غار الملح ومنها حصول الهرج فى القبائل بالجهة الغربية حتى ادعى قبائل الجزائر التعدى من قبيله وشتاته التونسية فأرسل عليهم الوزير بعض أتباع الحكومة وشاع انهم اغتصبوا منهم نحو ثمانمائة راس من البقر اعطوهم الى قبائل الجزائر وأخذوا الانفسهم وكبيرهم خمسمائة راس من البقر ومنها ان تابع الوزير بن اسمعيل استلزم لزمة الصاغة أى دخل الحكومة مما يؤخذ على المصوغ المباع من الفضة فادعى على أحد أهالى القيروان الاغنياء من الذين يتعاطون التجارة بانه أخفى مايلزم الاداء عليه للزام وسجن وكاد أن يفلس وراد لنفسه وجها للعماية فى المستقبل ومنها ان شركة طليانية طلبت مد سلك كهربائى بين تونس وايطاليا ولم يجبها الوزير الى ذلك وكان ذلك سببا فى تكدير الخلطة مع ايطاليا بدعوى ان شروط أصل انشاء التلغراف لا يقتضى منعهم ومنها جعل اداء على العجلات التى فى الحاضرة حسبما هو جار فى سائر البلدان لاصلاح الطرق ومنها منع لجنة فرنساوية لانشاء مرسى فى شاطئ البحيرة بالحاضرة بعد ان طلبت ان تكون المرسى حول حلق الوادى مع انشاء طريق حديدية اليها من الحاضرة مارة على طريق رادس فمانعت فى ذلك الشركة الطليانية التى اشترت من الشركة الانكليزية الطريق الحديدية الواصلة بين تونس وحلق الوادى المارة على العوينة مستندة الى شروطها وكادان يتفاقم الخلاف الى ان أرسى على ماتقدم ومنها منع اللجنة الفرانساوية المذكورة وهى صاحبة طريق الحديد الواصلة الى الجزائر بان تنشئ طريقا حديدية الى الساحل وأخرى الى ابن زرت وان تستبد بالطرق الحديدية فى المستقبل الى أى جهة ومنها ان أحد أقارب صهر الوزير ابن

اسمعيل قتل حلاقا باطلاق مكحلة عليه فى دكانه لمشاجرة بينهما ولم يقتص منه ومنها ان أحد التجار الطليانية كان يدعى بان جده كان أتى لمحمود باشا الذى توفى سنة ١٢٣٩ بشئ من السلع ولم يأخذ ثمنه وهو نحو خمسة عشر الفا وكانت نشرت النازلة مرارا ولم تقبل حتى عند الكومسيون المالى المختلط وحفيد ذلك التاجر صهر لامير اللواء الياس المتقدم ذكره فاعطى حينئذ ما يطلب ولما كانت مالية الحكومة ضيقة والكومسيون غير متعرف بالدعوى أعطى الطالب أرضا قيل ان قيمتها نحو ستين الفا ولما ورد الاذن من الوزير على الكومسيون بان يأذن وكيل أملاك الحكومة بتسليم الارض المذكورة للطالب توقف المحتسب العام الفرنساوى فى وجه ذلك ولكن قد تمكن الطالب من الارض ومنها ان فى راس سنة ١٢٩٧ صنع بعض أتباع الوزير مصحفين على النحو الذى تقدم فى وزارة خير الدين وقدموهما للوالى والوزير بن اسمعيل فى موكب باسم الاهداء من الاهالى وانظر ماهى الخصلة التى كانت سببا لذلك ثم فى ربيع الاول من تلك السنة قدموا للوزير أيضا مثل ما تقدم سيفا مجوهرا ثم فى شوال من تلك السنة قدموا له أيضا دواة مجوهرة بقلمها باسم اليهود من الاهالى لكن الخصلة التى استحقت ذلك لم تعين ولا فى واحدة من تلك الاشياء ومنها ان أحد المهندسين الفرانساويين كان ادعى انه مطالب للحكومة بمال مدة وزارة مصطفى خزندار وتوّمات مطالبه فلم تقبلها الحكومة وكذلك عند انتصاب الكومسيون المالى عرضت عليه تلك المطالب واستقر الامر على عدم قبولها ومهما ادعى بها لم تقبل ولا وجدت قناسله مستندا لتدعيم دعواه ففى وزارة الوزير بن اسمعيل قبل ان يجعل فيها التحكيم وعقد لذلك مجلس مختلط من التونسيين والفرانساويين ورئس عليه أولا أحد رؤساء الاحكام فلون الذى تقدم ذكره فى نازلة دى صانس غير انه لم يقبل كانه علم غيره لاتمام المراد وعليه فقدم للرياسة غيره وصدر الحكم على الحكومة باداء المذكور نحو ثلاثمائة ألف وخمسة وخمسين ألف فرنك ومنها ان التاجر الصباغ الذى تقدم ذكره أيضا كانت له دعوى من نوع السابقة ولم تقبل لا من الحكومة ولا من الكومسيون المالى فكذلك الوزير بن اسمعيل قبل فيها التحكيم وصدر الحكم باداء الحكومة نحو أربعمائة ألف وخمسين ألف فرنك والحال ان الحكم كان صدر من الكومسيون المالى الذى هو مختلط من تونسيين وفرانساويين وطليانيين وانكليزيين وفيه أحد كبراء الموظفين من دولة فرانسا وانتصابه باتفاق الدول المذكورة على التراضى به فى جميع النوازل المالية ورده وكلا

من المطالب المبارزة كرها واستقرار العمل بذلك أزيد من عشرة سنين مع ما فيه الحكومة من العسر المالي كما تقدم شرحه وأضيف اليه استنهاب ما بقي على ملك الحكومة من مهم الاملاك للوزير ابن اسمعيل حتى تمم ما بقي مما يعتبر منها عندما تزايد له مولود بل حتى الاحباس التي أوقفتها الحكومة على المدرسة الصادقية اراد ان يأخذ منها أهمها هو وبعض من المقربين عنده بوجه الانزال أي الكراء المؤبد وعند امتناع القاضي من ذلك جعلت الاوقاف المذكورة من أملاك الحكومة وخوطب بذلك رئيس الفتوى من المالكية فانزلوها على يده فالعمال يشترون الوظائف والاهالي تتحمل أعمالهم المالية والسياسة والشريعة على ما تقدم ذكره وآخر المظالم التي بلغتنا انها حصلت في هذا العهد ان وقع الالتزام الى دولة فرانسا بان لا يحدث شئ جديد في القطر من الاعمال العامة النافعة الا بعد عرضه على الفرانساويين فان لم يوجد منهم من يريد عمله فاذ ذاك يسوغ ان يباشره غيرهم بحيث وقع التقييد في ذلك بارادتهم وهذه خلاصة التاريخ في القطر التونسي الى هذا العهد وهو مبدؤ سنة ١٢٩٨

تنبيه قبل طبع هذا الجزء طرأ الحادث العظيم على القطر وسنفرده بذيل خاص في الجزء الثالث ان شاء الله تعالى عند الكلام على سياسة فرانسا الخارجية

(فصل في بعض عوائد أهل القطر وصفاتهم)

(مطلب في الاوصاف العامة) قد تقدم ان السكان مسلمون الا الاقل من يهود ونصارى الذين مجموعهم نحو مائة ألف وأما التبصر في أحوال الديانة فانما هو في المدن وبعض القرى وأما في القبائل الساكنين بالخيام فلهم معرفة اجمالية خصوصا ذوي الثروة والذين تنشأ في أوطانهم زوايا لبعض الصالحين فيرشدهم مشايخ الطرق وأما باقيهم فيعرفون من عقائد الاسلام الوحدانية لله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم صادقة وربما كان بعضهم لا يعرف عدد أوقات الصلوات وغيرها من الفروض العينية وكأن بائعهم يتحمل به من يعلم حالهم ولا يرشدهم والكل على مذهب الامام مالك رضي الله عنه الا قليلا منهم على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه والجميع أهل سنة الا بعض أهل جربة فهم على مذهب الاعتزال ولهم علماء ومساجد خاصة وللاهالي تعظيم لشعائر الدين ومنها الحياء فان الابن سيما من الاعيان لا يجلس أمام والده الا باذنه ولا يستنشق التبغ ولا يدخن به أمامه أبدا وكذلك أمام والدته هذا فضلا عن الكلام الفاحش أو خطاب زوجته بل حتى اذا كان له ابن صغير فانه لا يحمله ولا يقبله أمام

والديه ويقبلون أيدي والديهم في السلام عليهم وربما كان ذلك كل صباح وهي تحية التلامذة لمشايخهم وتحية السادات الاشراف ولجميع الاهالي تعظيم كامل لهم وأما السلام الا كفاء فهو التقبيل في المكتف الا الاعراب فان بعضهم يقبل يد بعض أو رأسه ولا تكاد تسمع أحدا من ذوي المروءة يغني فضلا عن النساء اللاتي صوتهن عورة بل لهاته الصناعة أناس خاصون وفيهم من النسوة عاهرات وهن يسكن بديار في حارات مخصوصة وماذكر من الغناء ومثله الرقص خاص بالحاضرة وأكثر البلدان بخلاف الاعراب فعندهم ذلك غير معيب كما ان الاكل في الطريق أو في الاماكن المكشوفة للمارة معيب تسقط به العدالة وكذلك دخول القهاوي تتجنبه أصحاب المروءة حتى ان الاعيان ليس لهم محل اجتماع عمومي وغاية تفسحهم بالمشي في الطرق النزهة أو أماكنهم الخاصة مع أحبابهم نعم يتساهلون في دخول القهاوي في أماكن النزهة خارج الحاضرة ولكن أعيان الاعيان لا يدخلونها أيضا والتدخين بالتبغ لا زال معيبا عند ذوي المروءة وليس ذلك الا مجرد اتباع للعادة والا فلا فرق بينه وبين النشوق مع كثرة استعمالهم لهذا جهرة وحكم الجميع شرعا على مذهبنا الحنفي الجواز وكذلك المعمول به من المذهب المالكي لابتنائه على مسئلة الاصل في الاشياء الاباحة وهي مسئلة خلافية فقالت طائفة الاصل الاباحة حتى يرد المحرم وقالت طائفة بالمنع حتى يأتي المبيح وقالت طائفة بالتوقف والصحيح الاول لقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فجميع ما في الارض خلق لمنفعتنا فنستعمل كل شئ في محله الا ما ورد فيه المنع ويشهد له أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم من أجل مسألته وقوله عليه الصلاة والسلام دعوني ما تركتكم فانما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم وكل من الحديثين منقول في الصحيح وكان ورود الحديث عقب السؤال عن أشياء لم يرد فيها حكم بالتحريم فدل على الاباحة وهذا التبغ لم يكن معروفا زمن البعثة وانما عرف بعد الاكتشاف على أمريكا كما تقدم فيكون حكمه هو الاباحة الاصلية وكان الاستحياء من استعمال التدخين مطلقا أو النشوق أمام الوالد والكبراء مبني على أصل آخر غير التحريم وهو انه لما كان فيه خلاف فالورع تركه اذ الورع هو ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس ولما كان الاصل في المؤمنين هو السلوك على أكمل الصفات فكان أهل تونس يستحون من ترك الورع أمام ذوي المقام كما انه لا يوجد في الحاضرة أماكن

للاهي

للملاهي أي الملاعب الا في رمضان فتكون فيها أماكن للصبيان ليلا يلعب فيها بتصاوير من وراء الستار بالخيال من الصور في نور المصابيح ويسمى المكان خيال الظل وربما أحضر فيها نوع من السماع وصورة اللعب هي تشخيص حكاية بصور من الجلد على هيئة المحكي عنه واللاعب يتكلم على لسانها والجميع من وراء الستار بحيث يشخص للناظرين من خارج الستار كان الواقعة مشاهدة وان كانت الصور صغيرة طولها قدر شبر والاغلب أن تكون الاماكن وسخة ولا يدخلها الا الصبيان وبعض من لا مروءة له من الرعاع لتقضية الاوقات فيما لا فائدة فيه سوى السخرية والضحك واضاعة الزمان والاغلب في الحكايات أن تكون مضحكة مما يدركه الصبيان وربما شخصوا المستحيلات العادية كالغول والشيطان اذ هذا لا يرى ولا تعرف صورته بحيث يصح أن يقال ان تلك الملاهي لا ثمرة فيها الا مجرد لهو الصبيان وكان الاصل في اساغتها ما نص عليه فقهاؤنا في كتاب الحظر والاباحة من جواز شراء اللعبة للصبيان فقاسوا عليه اتخاذ ملاهي لهم ليلا في رمضان لكي يسهروا ولا يستيقظوا مبكرين فيوقظون والديهم اذ عادة الناس في رمضان هي السهر أغلب الليل ومنهم من يستغرق جميع الليل بحيث لا يشتغلون الا قرب نصف النهار وكان هاته عادة مبنية على العبادة اذ قيام ليالي رمضان بالعبادة مندوب اليه بيد أن الكثير يشتغل بالملاهي كسماع آلات الطرب في القهاوي أو لعب الورق المسمى بالكارطة وهو الكثير ولهم منه أنواع شتى أشهرها ما يسمى بالتريسيتي أو لعب النرد أو الدامة أو الشطرنج وهي الالعاب الموجودة في القطر ويوجد أيضا لعب المنقلة والخر بقة بقلة في الحاضرة وبكثرة في غيرها لكن الاعيان انما يسهرون في رمضان أو غيره بديارهم أو ديار أصدقائهم وبعضهم بعد صلاة التراويح يسردون كتابا في السير أو الحديث ثم يتسامرون بالكلام وبعضهم يتعاطى أحد الالعاب المذكورة وأما في غير رمضان فعموم الناس يبكرون الى أشغالهم ولا يرجعون الى ديارهم الا عند الظهر للفطور ثم يعودون الى اشغالهم الى قرب الغروب وبعضهم ممن تكون ديارهم بعيدة عن محل اشغالهم يفطرون في حوانيتهم ويوجد في حارات الافرنج ملاهي على نحو ملاهي أوربا كما يوجد فيها قهاوي كثيرة على نحو قهاوي أوربا ومنازل للمسافرين مثلها ولكن أعيان الاهالي يتحاشون عن الدخول الى الجميع وان كانت مخالطتهم مع الاجانب وغيرهم حسنة وقد كان لعموم الاهالي ولوع بالفروسية ولهم في مسابقة الخيل مواكب تسمى ملاعب يعقدها كبراء الحكومة أو كبار العمال ومن له انتساب الى الاعراب

خارج الحاضرة فى احدى الجهات المتسعة ويستدعون اليها الفرسان فيأتون باحسن
الملابس والسروج المزركشة بالذهب والفضة والسلاح مثل ذلك وتارة يلبس الفارس
على رأسه شيأ من ريش النعام يسمى عروج والاصل فيه تعليم النبى صلى الله عليه
وسلم لسيدنا حمزة فى احدى الغزوات بريش كما فى عيون التواريخ والحاصل ان لبس
الفرسان جميل جدا ولهم براعة فى الحركات الحربية فترى الفارس فى حال السباق
يطلق ويعمر مكحلته عدة مرار وتارة يطلق أربعة مكاحل كل بحبتين ثم يطلق قرابينه
ثم أربعة طبانجات ثم يخترط سيفه وجميع ذلك السلاح محمول عليه ولا يعطل له شيأ من
خفة حركاته وتراه اذا اخترط السيف يصير بين كر وفر وبعضهم فى حالة السباق يدلى يده الى
الارض فيحمل منها قبضة من تراب وبعضهم يفرش له بمحاذاة ميدان السباق رداء
من حرير فى نهاية الصفاقة ففى حالة الركض النهائى يمد يده ويرفع طرف الرداء ثم وسطه
ثم آخره وبعضهم يركض فرسه وبينما هو فى حالة السباق واذا بالفارس يقف على رجليه
فوق السرج ويطلق البارود ثم يجلس ويلتصق بدبر الفرس ثم يلتصق بحزام الفرس ثم
يقف على رأسه ويديه فوق السرج ورجلاه الى فوق وعليهما مكحلة ثم يدفع المكحلة
ويلتقفها بيده ويجلس ويطلقها كل ذلك والحصان فى نهاية ركضه وجميع أعماله فى
بعض دقائق وهذا العمل الاخير من النادر فى الفرسان ومنهم من يلعب فى دائرة لا يتجاوز
قطرها عشرة اذرع والحصان فى حالة الرباع بل رايت من يركب على حصانه ويركز
الحصان رجليه فى الارض ويرفع يديه معا ويلتفت يمينا فيطلق فارسه القرابينة ثم يرفع
يديه كذلك ويلتفت شمالا فيطلق فارسه القرابينة أيضا والحال انه عمرها فى حصة رفع
الحصان يديه ويستمر ذلك كذلك بالتتابع نحو نصف ساعة وليس بين الطلقة والطلقة
الا بضع ثوان من الدقائق الزمانية على غاية من السرعة والتتابع وهذا أيضا نادر ومنهم
من يخترط السيف ويصير مع راجل أو فارس مثله فى غاية الطعان والكر والفر والحاصل
انهم يشخصون حالات الحرب بالخيل على أنواع شتى وتكون اذ ذاك طبول الحرب
تعزف ومعها مزامير للعربان وذلك أعظم العاب الاهالى التى يفتخرون بها ويتبادرون
فى اتقانها وذلك مبنى على أمر دينى وهو ما ورد من ان كل لهو حرام الا ثلاث منها ملاعبة
الفارس لفرسه وورد أيضا الحث على الفروسية وعلى السباق وأبيح فيه المخاطرة اذا
كانت مع ثالث فلذلك كانت هاته الخلة مما يتنافس فيها من رجال الحكومة
وغيرهم فى جميع القطر لكن فى هاته المدة الاخيرة تناقص الامر منذ كثرت الكراريس

وربما

وربما صار الكبراء يتنزهون عن اللعب بخيلهم جهرة نعم بقى ركوب الخيل مرغوب فيه كما ان الصفات الاولى لازالت عامة فى البلدان والاعراب وهو الحق لانها من صفات الرجولية والدين ومما يشملها (قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) وهاته الخلة تستلزم الرماية التى هى من مشمولات القوة المأمور بها فى الآية الكريمة وقد تجرد منها أغلب أهل الحاضرة حتى ان بعضهم لا يكاد يستطيع ان يطلق طبانجة كما انه لازال فى الحاضرة وبعض البلدان تعليم الخيل والبغال من نوع الهملجة وهى ان يرفع الحيوان يدا ورجلا معا من أحد شقيه على الاستقامة ثم الشق الآخر ليكون سيرها لينا لا يتعب الراكب بخلاف الخبب ثم يتقنون ذلك التعليم الى أن يصير الحيوان به مجارى الراكض ولهم فى ذلك اعتناء بحيث تجد منهم جماعات يخرجون كل عشية صيفا ونحو بعا الى حد الاماكن القريبة من الحاضرة النزهة كسيدى فتح الله قرب شوشة رادس أو منوبة فى قهوة سيدى ابن الابيض أو سانية الاحواش وبعد الاستراحة هنالك يركبون ويتسابقون بالسير المذكور وربما اعتنى بعض غير الاعيان حتى بالمسابقة على الحمير بالسير وقد يوجد بعض منها يسابق الخيل والبغال مع ان هاته يمكن ان تجارى الحصان فى ركضه اذا لم يكن شديد الجرى والخيل على حسنها فى القطر يعتنون بتربيتها وتهذيب أخلاقها كى تصير مساعدة للفارس فى جميع أغراضه ثم ان الاهالى ينقسمون الى ثمانية أقسام فالاول الاصليون من البربر والثانى العرب وهم الذين قدموا عند الفتح ثم بعده على أجيال عديدة والثالث الاندلسيون وهم الذين قدموا عند تغلب الاسبنيول على بلادهم والرابع الترك وهم الذين وردوا عند الاستيلاء على تونس ثم من وردمنهم بعد ذلك والخامس السودان وهم الذين جلبوا من دواخل أفريقية لبيعهم والسادس الجزائريون الذين رحلوا بعد استيلاء الفرانسيس على الجزائر والسابع اليهود وهم قدماء فى السكنى والثامن الوافدون من أوربا فالاقسام الستة الاول تخالط نسلهم ولم يبق تمييز بينهم الا قليلا من البربر فى جهات الاعراض لازالوا يستعملون لغتهم وكذلك قليل من السودان متميزون بلونهم وقليل من أهل الجزائر يتميزون بمجرد نحلتهم وانتمائهم واللون الغالب على الجميع هو لون البياض المشوب بسمرة ومنظرهم جميل يكثر فيهم الحسن وهم أقوياء لينون أهل مروءة وتواضع وبشاشة وحسن معاشرة

(مطلب فى التجارة) اعلم ان أغلب الاهالى تقاصر وا فى هذا الميدان وقصارى

الامراثهم يتجرون فى البضائع التى تنفق فى البلاد الاسلامية باخراجها اليها ويجلب
مايروج من بضائعها فى القطر مع ان أغلب الخارج منه والمجلوب اليه من بلاد أوربا
وكاه منحصر فى الاوربا وبين الانادر امن الاهالى ثم ان قيمة التجارة بين الداخل والخارج
لايتجاوز معدلها الاربعين مليون فرنكا فى السنة فاما البضائع الخارجة فهى
الحبوب من قمح وشعير وفول وغيرها وكذلك الزيت والصوف الساذجة والمنسوجة
والقطن والاسفنج و بيض السمك ولحم نوع منه ومنسوجات الحرير والقطن
والشاشية وأشياء أخر زهيدة وأما البضائع الداخلة فهى كثيرة منها المنسوجات
القطنية والحريرية والصوفية وانواع الاخشاب والحديد والقرميد والسكر والقهوة
وأوانى النحاس وغير ذلك مما هو محتاج اليه فى الحضارة ولا وجود له من نتائج البلاد
وحمل السلع الى خارج القطر فى السفن البحرية وقد أرسى باعظم مراسى القطر
وهو حلق الوادى فى سنة ١٢٩٥ مايتان وسبعة وخمسون باخرة وأربعمائة
وثمانون سفينة شراعية كلها للاجانب الاعددا يسيرا وأغلب الاجانب رواجا
فى التجارة هى التجارة الفرانساوية والطليانية وأما حمل السلع فى البر فهو على ظهور
الابل والخيل والبغال والحمير والعجلات المسماة بالكرطونات وواسطة المواصلة هم فرق
من تجار القطر يسمون بالحمارة تكون لهم دواب وافية ويكونون ذوى عرض وامانة تسلم
اليهم التجار البضائع وهم يبلغونها الى جهاتها بعدت أو قربت ولكل جهة حمارون
مخصوصون ولا يكون ذلك الا بين البلدان وأما القبائل الاعراب فلهم قوافل يجتمعون
عند قصد احدى البلدان أو الاسواق التى تقام فى أيام من الاسبوع باحدى الجهات
كسوق الخميس قرب الركبة وامثاله ويحملون على دوابهم ما اشتروه و يرجعون الى
أماكنهم ولما كانت الطرق الصناعية قليلة تعطل أغلب التجارة زمن الشتاء فى
دواخل القطر لكن الطريق الحديدية المارة الى الجزائر سهلت التجارة الى الجهات
الغربية كما انه رتبت بواخر للبريد والسلع بين مراسى القطر الشهيرة زيادة على البرد التى
هى ثمانية تأتى اسبوعيا من أوربا فاثنان الى فرانسا والجزائر واثنان الى ايطاليا
وأربع الى مالطا وقد يأتى غيرها على غير انتظام وليس للاهالى من السفن شئ الا قليلا
من ذات الشراعى لاهل جربة وصفاقس والساحل
(مطلب فى ترتيب الاحكام والادارة) الآن الوالى يجلس يوم السبت فى كل اسبوع غالبا
بمحل من قصر الادارة الكائن فى بلد باردو يسمى هذا المحل بالمحكمة وهو بيت كبير

مستطيل

مستطيل وبصدره كرسي ذو درج مموه بالذهب وعليه تاج معلق والدرج مكسوة بالجبر نوع من منسوج الحرير الثخين الغالي يجلس عليه الوالي ويوضع بجنبه زوج طبانجة ويقف عن يمينه وشماله على الدرج من حضر من اهل بيته ويقف الوزير عن يمينه من اسفل الدرج بحيث يكون مواجها الى الجهة اليسرى من الوالي ويليه بقية الوزراء على حسب اسبقيتهم في الوظيفة ثم يليهم كبراء العساكر النظامية ثم رؤساء العساكر الخيالة غير النظامية المسمون بالاغوات ثم العمال والاغاباشية والكواهي أي الصنف الثاني والثالث من رؤساء العساكر الخيالة الغير النظامية وعند نهاية الصف من اليمين يتممون الصف من اليسار فان زادوا جعلوا صفا ثانيا وراء الصف الاول ويجلس باشكاتب على مسطبة على يسار الوالي مقابلا لاول الصف الايمن ثم يليه مسطبة طويلة يجلس عليها كتبة من أقسام الوزارات على حسب رتبهم ثم يقف تجاه الوالي عن بعد في آخر الصفوف نحو ستة رجال يسمون شواش السلام والشطار بلباس أحمر مقصب بالفضة وعلى رؤسهم شواش حمر وشراباتها فضة وعليها مما يلي الجبهة قطع من النحاس الاصفر ومغروز فيها أنواع من ريش أجنحة الطير الطويل وبايديهم معاول طوال من النحاس الاصفر يركزونها ويتكؤن عليها وعند جلوس الوالي في ذلك المجلس يرفع صوته كبير هؤلاء الشواش بكلام باللغة التركية معناه دعاء بالنصر والتأييد للوالي ثم يرفع صوته بقوله سلام ورحمة الله ثم يقف وراء هؤلاء رؤساء البوابة أي اصحاب الباب وتعزف الموسيقى العسكرية عند دخول الوالي لذلك المحل ويأذن اذذاك الوالي بادخال أصحاب الشكايات فيرفع صوته رئيس البوابة بقوله باش حانبا اي يا رئيس الحوانب ادخل وهو الترجمان بين الوالي والمشتكين لا لكون الوالي يحتاج الى فهم لغة المشتكين بل لكونهم يهابون في الوقوف عنده وربما يكون بعضهم لا يحسن الالقاء لدعوته لرهبة أو انخفاض صوته فيبلغ باش حانبه للوالي معنى كلام المشتكي وهاته الوظيفة لها كبيران احدهما من العرب والآخر من ابناء الترك والاول تقدم على الثاني فالمشتكي ان كان من المالكية يمسكه الاول وهو الذي يتولى الوساطة في امره وان كان من الحنفية فرجع الى الثاني ولكن لهؤلاء هيئة أخرى في القاء الشكاية فان باش حانبه لا يمسكه ويقدمه الى قريب من الوالي وبعد استقرار باش حانبة بنوعيه أمام الوالي يرفع صوته بقوله باش بواب شكاية أي يا كبير أصحاب الباب أدخل المشتكين فيرفع صوته هذا خارج باب المحل بقوله يا سعد ثم يدخل المشتكون فردا فردا على حسب الصدفة وتقدم المشتكي

بالازدحام وربما صار التقديم باعطاء شيء من المال لكنه لا يتجاوز عشرة ريالات فادونها وكل مشتك في حال شكايته في ذلك الموكب الهائل زيادة عن باش حانبه القابض به تكون محدقة به الحواجب والاوظاباشية واذا كانت له حجة مكتوبة قدمها واخذها من يده باش حانبة ومكنها الباشكاتب ويؤخر اذذاك المشتكي ويؤتى بغيره وبعد قراءة باشكاتب للحجة يقول مضمونها للوالي مع الاشارة الى صحتها او فسادها فيأمر الوالي بما يراه وتنفصل بذلك الخصومة خصومات في نحو ساعة أو ساعتين اذا طال المجلس وربما أنهيت في ساعة واحدة ستون نازلة بلا تعقيب للحكم وكثيرا ما يستشير الوالي وزيره سرا في النوازل أو يسأله عما يعلم فيها كما ان الوزير كثيرا ما يشير عليه في بعض النوازل ابتداء وكثيرا ما يأمر الوالي بارجاع بعض النوازل الى الشرع أو الوزارة واذا كان هنالك بعض من يحكم عليه بالقتل فانه يؤخر دخوله الى آخر المجلس والغالب ان يكون هذا النوع اما حكم عليه في مجلس الشريعة ورفع للوالي لينفذ الحكم المكتتب بعد اجراء جميع اللوازم الشرعية وطول مدة المناضلة والمدافعة لدى المجلس الشرعي أو يكون قد حررت نازلته في الوزارة وفي النادر ان يؤتى بالمشتكى به من ذلك النوع بديهة للمحكمة ويصدر الحكم بقتله في الحين فيخرج في اثر المحكوم عليه بالقتل أحد الشطار أي الجلادين ويقطع رأسه قدام باب باردو أو باب العادة التي فيها الوالي او يشنق هنالك في مشنقة من خشب وهو ان يربط عنقه في حبل وتكتف يداه و يعلق من عنقه فيختنق وتارة يعلق كذلك في سور المدينة القديم قرب باب سويقة وعند انتهاء المشتكين أو ملل الوالي يقول يا باش حانبة صافيه فيرفع صوته بها باش حانبة فيرفع صوته بها باش بواب و يقوم الوالي و ينفصل الموطن فيجري اذذاك باش حانبة ما أمره به الوالي من ارسال الاعوان لجلب المدعى عليهم أو خلاصهم وكذلك باشكاتب يحضر المكاتيب التي صدر بها الاذن ولا تحضر الا من غد فيختمها الوالي على نحو ما سيأتي وجميع من حضر في ذلك الموكب من المتوظفين يكون بلباسه الاعتيادي الا من له رتبة عسكرية فانه يتقلد سيفا في منطقته وقبل دخول الوالي للمحكمة يجلس في بيت أنيق في سراية الحكومة على كرسي أصغر مما سبق ويدخل عليه الوزير وحده أو انه يأتي معه من قصر سكناه ثم يجلس الوزير عن يمينه وأهل بيت الوالي عن شماله وقوفا ثم يأذن للمتوظفين بالدخول فيدخل أولا الوزراء وبعض مشيخة المتوظفين الكبار المتقاعدين وكل من وصل منهم الى الوالي قبل يده واذنه بالجلوس فيجلسون يمينا وشمالا وأعلاهم شمالا الباش كاتب واصحاب اليمين يجلسون دون الوزير ثم

يدخل

يدخل كبار المتوظفين على صف واحد وكل من انتهى الى الوالى قبل يده ورجع خارجا
ثم الذين يلونهم ثم وثم الى ان يصلوا الى اصغر المتوظفين كالاعوان الذين يرسلون لجلب
المدعى عليهم والهيئة المتقدمة فى المحكمة هى الهيئة فى سائر المواكب الكبار كالاعياد غير
ان هاته تكون فيها الناس باللباس الرسمى المزركش بالفضة والنياشين وتكون ايضا
فى محل آخر اكبر من المحكمة وهو بيت عظيم يصعد اليه بدرج كثيرة مكسوة بالحلف نوع
من المنسوج الصوفى الاحمر والبيت مفروش بالزرابى والستائر الحريرية الرفيعة
وكرسى الوالى أكبر وأضخم من السابق والكتاب لا يجلسون فى هذا الموكب والناس
كلهم وقوف ومتولى ادارته هو أمير لواء العسة وعوضا عن دخول المشتكين يدخل
المعيدون أفواجا أفواجا على نحو ما تقدم فى تقبيل يد الوالى من المتوظفين ويجرى ذلك
على كل القادمين من جميع المتوظفين وأصحاب الرتب العسكرية النظامية وغيرها
والاهالى والتجار الا أهل المجلس الشرعى وخواص السادات الاشراف والمدرسين فان
الوالى يجلس لهم مجلسا خاصا بعد الموكب العام بحصة يسيرة فى بيت أنيق أسفل الاول
وتدخل عليه كل فرقة من الفرق الثلاث وحدها واولها أهل المجلس الشرعى معا الاول
فالاول فيقف اليهم ويتقدم لهم خطوات ويتعانقوا ويقبل كل منهم كتف الآخر ثم يجلس
ويجلسون الحنفية عن اليمين والمالكية عن الشمال ويؤتى اليهم باطباق من الفضة
فيها شئ من الحلو ويطعمه الوالى معهم ثم يرشون بالطيب ويقرؤن الفاتحة ويقوم الوالى
لوداعهم ويقبلونه أيضا مثل ما صار عند دخولهم وينصرفون وهكذا غيرهم غير انهم
لا يقوم لهم الوالى ويقبلون ذراعه الا بعضا من السادات الاشراف فانهم يقبلونه مثل اهل
المجلس الشرعى وبعض المدرسين من الطبقة الثانية يقبلون كفه كسائر الناس وكذلك
لا يجلسون ولا يأكلون وانما بعد فراغ آخرهم من التقبيل وأولهم وقوف يمينا وشمالا
يقرؤن الفاتحة وينصرفون وهكذا كل فرقة دخلت عليه فى الموكب الاول الا المتوظفين
فانهم يقفون ويزدحم بهم الموكب لانه يجتمع فيه أغلب المتوظفين ولو من جميع جهات
القطر والذين يقفون هم أصحاب الرتب من العسكرية أو الكبار من غيرهم وموكب المعايدة
يدوم يومان أولهما أعظم من الثانى وكلاهما صباحا وفى اليوم الثانى يقدم عليه قناسل
الدول ويدخلون عليه على حسب أسبقيتهم فى الوظيفة وكل منهم معه متوظفوا قنصلاته
فيجدونه واقفا ويصافح القنصل ويتخاطبون بالترجمان بكلمات فى التهنئة والموكب
محتبك كما سبق ذكره الى أن يتوافى جلوس الوالى على كرسيه ويتم بقية الاهالى على نحو

ماسبق ولا يختص هذا الموكب بأعيان الاهالى بل حتى أصحاب الصناعات وفى بقية ايام يكون الوالى فى قصره لا يجتمع به الا الوزير الاكبر يوميا بل هو الآن ساكن معه فى قصر واحد وفى يوم الاثنين قرب الزوال يقدم عليه الوزير ومن كان فى الوزارة من المتوظفين واذا كانت هناك نوازل تلزم فيها المذاكرة أمام الوالى تكون فى أحد ذينك اليومين أعنى يوم السبت والاثنين أو يدعوهم الوزير بالخصوص ليوم معين وجميع الولايات انما تكون باذن الوالى وكتبه لرقعة فى ذلك تسمى أمرا وأما كيفية ادارة الوزارة فقد سبق ذكرها فى الكلام على وزارة خير الدين باشا ولازالت على تلك الهيئة والمتوظفون يأتون فى بكرة النهار اليها يوميا الا يومى الخميس والجمعة وينفصلون منها عند الزوال وعندما يأتى الوزير ويجلس فى البيت الخاص به يقدم الى السلام عليه جميع كبراء الاقسام ثم يتوجه كل الى محل مأموريته وكل فى بيت خاص يجمعها قصر واحد فى ناحية من قصر الوالى لادارة الحكومة ولكل من اقسام الوزارة كتاب وأعوان وتكتب فى النوازل سجلات ويمضى الوزير على الرأى فيها ثم تعرض على الوالى وهو يمضى على ما يراه الوزير وتسمى تلك السجلات معاريض وتجرى على مقتضاها الامور وكثيرا ما تجرى بأمر الوزير شفاهيا وترسل تلك المعاريض مع بطاقات الاوامر فى ظرف مختوم ليمضيها الوالى بخطه فى المعاريض وختمه فى الاوامر ولكل عمل من الاعمال التى مر ذكرها عامل خاص الا الحاضرة فان حاكمها يلقب رئيس الضابطة والغالب أن يسكن العامل فى محل عمله وله نائب يلقب بالخليفة وتحته مشايخ على عدد أفخاذ القبائل ولكل عامل أعوان على حسب كبر عمله وصغره وترفع اليه الشكايات فيحكم فيها برأيه وكذلك خليفته والشيخ عند مغيب العامل ولا يختص حكمهم بنوع من أنواع الخصومات وانما الغالب ان نوازل صحة التملك فى غير المنقول والزواج والاوقاف والمواريث يرجعونها للحكام الشرعيين وهؤلاء لهم مجلس فى الحاضرة فيه قاض حنفى ومثله مالكى ومفتيان حنفيان وخمسة مالكية ورئيس للحنفية يلقب شيخ الاسلام ومثله للمالكية يلقب أحيانا أيضا بذلك وقد يزاد أو ينقص من عدد المفتيين ولهم محل خاص يسمى دار الشريعة يجلس به يوميا صباحا القاضيان ومفتيان من المذهبين على التناوب وفى يوم الخميس يجتمع جميع المجلس ببيت كبير وينضم اليهم رئيس الضابطة للشورة فى النوازل التى يريد الخصم فيها العرض على المجلس ولا يرضى بحكم القاضى أو المفتى وحده ورئيس الضابطة ينفذ ما يلزم فيه قوة الغصب الا القتل فانه يرفع الى الوالى وفى كل من بلدان

القيروان

القيروان وسوسة والمستير وصفاقس والاعراض وتوزر ونفطة والكاف وباجة مجلس شرعى أقل أئتلافه من قاض ومفتى ورئيس فتوى يجرى به العمل مثل ماهو فى الحاضرة لاجراء التحقيق فيها من مجلس الشريعة والمنفذ هو العامل كما أن فى نابل والمهدية وجربة وقفصة مفتى مع القاضى وبقية الاعمال ان كانت كبيرة ففيها قاض فقط وللوالى التصرف فى جميع النوازل نقضا أو ابراما وكذلك الوزير وأما القابض لاموال الحكومة أو العمال فهو من اليهود الا قليلا من العمال بمجرد عادة فى ذلك ويتوظف منهم مترجمون ونظار على الصاغة ودار السكة كما يتوظف من النصارى فى الترجمة وغيرها الا الاعمال والوظائف الدينية ثم ان جميع العقود التى تحتاج الى الشهادة وكذلك كتب الحجج وصكوك الاملاك لها طائفة من العلماء والمنتسبين الى العلم يوليهم الوالى ويسمون الشهود أو العدول وهم بالخصوص الذين يباشرون ماذكر ولاغلبهم حوانيت مفتوحة لهاته الصناعة فى سائر البلدان وكذلك قبائل الاعراب ويوجد فى خصوص الحاضرة مجلس بلدى لمصالح الطرقات والبناآت ومجلس مختلط للاحكام بين أغلب الاجانب والاهالى فيما دون الالف ريال وجمعية للاوقاف ولها نواب فى سائر القطر ومجلس تجارة ومجلس لحفظ الصحة أعضاؤه القناسل ومستشار الخارجية ورئيس المجلس البلدى وشيخ المدينة ولكل من المدينة والربضين شيخ لبعض النوازل العرفية وحفظ الامن ليلا وأما الضابطية فهى موجودة غير منتظمة وأمور المعاش يقومها القاضى المالكى ولها أمناء يطوفون عليها حراسة لها من الغش وأما بقية المملكة فليس فيها الا الاحكام المار ذكرهم أو بعض امناء على الصنائع أو المعاش

(مطلب فى المعارف) الموجودة الآن ومناخها جامع الزيتونة من الحاضرة هى العلوم الدينية ووسائلها وهى القرآن والتفسير والمصطلح والحديث رواية ودراية والعقائد وأصول الفقه حنفية ومالكية وشافعية والفقه الحنفى والمالكى والمنطق والمعانى والبيان والنحو والصرف والاشتقاق والعروض والادب والتاريخ والحساب والهيئة والفلك واللغة ولكل كتب معينة للاقراء بها من الحواشى كما هو معين فى قانونها الذى أحدث فى وزارة خير الدين باشا ومنها فنون وكتب لابد من وجود اقرائها كما أن مواد المطالعة والتحصيل سهلة بخزائن الكتب المعروفة فى الاسلام الا ماندر مما هو فى اللسان العربى وقليل جدا بالتركى والفارسى والفرانساوى ومشايخ جامع الزيتونة الموظفون ولهم مرتب مائة وخمسون ريالا شهريا باعدادهم ثلاثون مدرسا والطبقة الثانية مرتبها

تسعون ريالا شهريا وعددها اثناعشر مدرسا والذين لا مرتب لهم وانما لهم اعانات سنوية مما يحصل من تخلف المدرسين والخصم عليهم من مرتباتهم عددهم نحو ستين وهم يزيدون وينقصون وعدد التلامذة بالجامع المذكور نحو الثمانمائة ويزيدون وينقصون أيضا وكيفية الدرس حسنة الالقاء والسؤال والجواب ولا يطول الدرس أكثر من ساعة كما توجد مدارس نحو الخمسة عشر مدرسة يقرأ بكل منها درس أو درسان من الفنون المذكورة وكذلك بعض جوامع بها قليل من الدروس وتوجد المدرسة الصادقية تقرئ مبادى فنون الديانة واللغة مما مر ذكره وتقرئ الفنون الرياضية واللغات التركية والفرانساوية والطليانية ومن الرياضيات الحساب والجبر والهندسة والهيئة والفلك والجغرافية ومبادى الطبيعيات وهى تعلم مجانا المائة وخمسين تلميذا وتقوم بأكلهم نهارا ومنهم خمسون تقوم بهم حتى فى السكنى واللباس وكذلك يوجد مكتب أنشأه قسيسو الفرانسيس فى صان لويس يعلم العلوم الرياضية واللسان العربى والفرانساوى والطليانى وتلامذته لا يبلغون الخمسين الآن ويوجد مكتبان للفرانساويين أيضا بالحاضرة يسميان مكتبا الفرير تلامذتهما نحو اربعمائة وكذلك مكتب للطليان به نحو مائتى تلميذ وكذلك مكتب لجمعية اليهود به نحو تسعمائة تلميذ كلها تعلم مبادى الرياضيات واللغة الفرانساوية والطليانية والعربية ويعلم بعضا من الصنائع كشئ من الفلاحة والموسيقى ويعلم اللغة العبرانية وكلها تعلم الاغنياء بالمال وبعضها يعلم الفقراء مجانا كما يوجد فيها مكتب للبروتستنت من الانكليزية نحو مائتى تلميذ كما يوجد بالحاضرة نحو مائة واحدى عشر مكتبا للقرآن العظيم وللكتابة العربية نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة تلميذ وأما جهات القطر فلا يوجد الا فى قليل من البلدان شئ من العلوم الدينية كالفقه والعقائد على قلة والنحو وأشهر البلدان بذلك القيروان وصفاقس والمستير وسوسة وجربة والاعراض والكاف وباجة وابن زرت وبعضها يزيد شئ من الادب والحديث كما يوجد فى بعض زوايا الصالحين بالقبائل شئ من القراءة والكتابة والفقه وجميع الجهات انما يقرأ فيها الفقه المالكى الا المهدية والمستير فيوجد أحيانا الفقه الحنفى أما غير ذلك فلا نعم توجد مكاتب للقرآن ومبادى الكتابة العربية فى جميع البلدان والقرى بحيث لا تخلو قرية عن ذلك فضلا عن بلد ويقرب جميع تلامذتها نحو اثنى عشر ألف تلميذ لكن هيئة التعليم قاصرة للغاية فى هاته المكاتب الابتدائية ولو فى الحاضرة بحيث يمكن أن يبقى التلميذ فيها عشر سنين

ولا

ولا يحصل على حسن القراءة والكتابة وانما النجيب منهم يخرج حافظا للقرآن المجيد فقط وأما بقية التعاليم المذكورة فهى جيدة سيما العلوم الدينية بجامع الزيتونة تخرج منه فحول تزين المسلمين ولهم براعة فى كل الفنون سيما الانشاء بالعربية الذى كاد أن يشبه أسلوب الاعجام فى عدة جهات فان علماء تونس لهم براعة فى ذلك وهم محافظون على الاسلوب العربى ومحترزون من اللحن وان وجد فى الكتبة أو الشهود من يلحن فذلك من تقليد الوظيف لغير المستحق كما أن أصحاب الاقلام أو الشهود مطلقا محافظون على الشعائر الدينية فى كتابتهم بحيث يفتحون كتبهم بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله ومن والاه

(مطلب فى الصنائع) أهم صنائع الاهالى هى الفلاحة وما زالت آلاتها على الطرز القديم ويأخذونها عن بعضهم بالمشاهدة مع انها فيها كتب عديدة بخزائن الكتب لا يلتفت اليها احد ولذلك انحطت رتبة هذه الصناعة عما كانت وقل العمران مع انضمام أسباب سياسية كما تقدم شرحه وصناعة التلقيح فى الاشجار لا يعلمها الا القليل ولذلك حصل الاوروباويون على تقدم عظيم فى القطر فى هاته الصناعة ولو فى زرع الحبوب وكانوا فيها أكثر ربحا من الاهالى وكذلك من أعظم مكاسب أهل القطر زيت الزيتون فاما جمعه واستخراج زيته فهو بيد الاهالى ثم يبيعونه اما للاهالى أو لتجار الاجانب واما التجارة فيه لخارج القطر فهى بيد الاجانب الا قليلا من الاهالى كما انه دخل فى جمعه واستخراج زيته قليل من الاجانب عندما استخدمت المعامل بالبخار لاخراج الزيت وهى قليلة بل ليس منها الا واحدة فى الحاضرة وهناك قليل من المعاصر على النحو المخترع فى أوربا والاكثر على النحو القديم الذى صنعه الاندلس أو نوع آخر أقدم منه وكلاهما لا يتقن اخراج الزيت من زيتونه واما صناعة الشاشية فانها كانت هى عيال أكثر أهل الحاضرة ومنذ صنعت الشاشية بالمعامل فى أوربا رخصت ولا زال صناعها فى تونس متمسكين بالآلات القديمة وهى تكلفها غالية فلا زالت فى تناقص الى أن كادت أن تكون مقصورة على أهالى القطر وقليل من غيرهم وبقى من حوانيتها نحو ثلاثين أعنى الذين يخدمون حقيقة بعد أن كانت حوانيت هاته الصناعة تبلغ نحو الالف وبسبب ذلك بقى أكثر الناس فى الحاضرة بلا صناعة ويوجد من الصنائع فى الحاضرة صنعة البلغة وهى نوع من الاحذية وهى رائجة وصناعة الكنترة نوع مما ذكر وهى رائجة وهى بيد اليهود والافرنج وأصحاب صناعة السباط التى هى نوع مما ذكر افلسوا الا انهم لا زالوا

متمسكين بخياطتها على الهيئة القديمة والناس تركوها وانفوا من جملها على أسلوب الكثرة لمجرد الاعتياد الى أن أفلسوا ولم يجدوا هادياً يحملهم على مصلحتهم وكذلك توجد صناعة العطارين أى الطيب والحرائرية أى نساجي الحرير وصناعتهم متقنة وفيها بعض رواج ويصنعون أشياء مخلوطة من الحرير وخيوط الفضة ونوعاً من الحرير الصرف المسمى بالختم وفى بعض أنواعها رغبة فى حواضر أوربا ولو يوجد لها مروج سيما الطيلسانات ويوجد أيضاً صناعة النوارزية أى الخياطين ولهم براعة فى خياطة الابريسم على اشكال من النوار بديعة فى سراويل النساء وغيرها وكذلك صناعة الحياكة للمنسوجات الصوفية وفيها رواج كبير لاوربا وغيرها ولو تجد المروج لكانت من أعظم اسباب الرفاهية للقطر وتوجد صناعة الصاغة وصناعة السروج ولاصحابها براعة فى الطرز فى الحرير والفضة والعدس اى قطع من الفضة مموهة بالذهب مثقوبة الوسط ليمسكها خيط الطرز وكذلك صناعة الحدادة وهى قاصرة وان وفد من الاروباويين التقدم التام على الاهالى وكذلك صناعة النجارة أى نحت الاخشاب ولاهلها براعة فيها وكذلك البناية وكذلك النقاشة أى نحت الاحجار وكذلك صناعة طرز الحرير والصوف والخيط والقطن والفضة والعدس على المنسوجات وهى خاصة فى النساء وزدن فى هاته المدة تقدماً فيها بما تعلمن من الاوروباويين حتى صارت تقوم بها ثلاث وتوجد صنائع السلاح بأنواعه لكنها متأخرة ويوجد معمل للمدافع وآخر للسفن وكلاهما معطل ويوجد معامل كثيرة للكراريس وكذلك توجد صناعة النسج للقطن وهى ضعيفة رديئة وكذلك صناعة تجليد الكتب وهى حسناء وصناعة النسخ وهى قليلة وكذلك صناعة نقش حديدة أى النقش فى الجص التى هى من أبدع الصناعات التحسينية على الجدران وكذلك صناعة الدهن أى التلوين وصناعة الفخارين أى صنع الاوانى من الطين وكذلك نوع يسمى بالجليز ما يلصق على الجدران وعلى أراضى البيوت ولكن نوعه ردىء ولاهله اقتدار على ايصاله للحسن المعهود فى أوروبا اذ كان عندهم قديماً أحسن منه وانما يحتاجون الى الاعانة وأما الموسيقى فلهم مهرة فى معرفة الالحان يأخذونها على قواعد وانما هى بالسماع من بعضهم ويعتنون لاخذها فى بعض الزوايا التى تعقد فيها جمعيات لاجل الذكر كسرد البردة ومدائح قادرية وهذا العمل اختلف فى جوازه لكن الراجح جوازه شرعاً ان لم يكن فيه تشويق لمحرم فالتحريم على كل حال ليس لذاته وانما هو لما يتوصل به اليه ثم بعد الجواز ليس هو بطاعة كما

يظن

يظن العوام وسيأتي للمسألة بسط في الخاتمة ان شاء الله تعالى كما أن لهم معرفة في فن الموسيقي أي دق آلاتها وأخذونها عن بعضهم والآلات هي الرباب والعود والجرانة وكلها من ذات الاوتار والطار والدف والدربوكة وهي أكبر منه والطبل والجميع من نوعه والكرنيطة والناي والغيطة والشبابة والصفاره والقحل وكلها من آلات النفخ ويضربونها بدون أوراق امامهم بل من حفظهم وفيهم المهرة وهاته الصناعة في الموسيقي قد ذكر في الاغاني انها كانت محفوظة على نمط واحد بحيث لا يخرجون عما كان مسموعا من الطرق يأخذها الخلف عن السلف الى أن دخل فيهم ابراهيم ابن المهدي عندما أراد الامن على نفسه بتنصله من سمات الخلافة فزاد فيها ونقص على حسب ما يستلذه هو ثم جعل من اتبعه يسلك ما يستلذه السامع ولو خالف الطرق الاصلية وتمادى الامر على ذلك الى أن فقد الآن ما يعرف به الالحان التي كانت تستعمل في تلك الاعصار ولهذا لا يمكن فهم ما يشير اليه في كتابه الاغاني من الطرق والالحان ثم ان حكم سماع آلات اللهو عندنا حرام الا الدف وما كان على شاكلته مما لا وتر فيه اذا ضرب في الافراح الجائزة لكن رأيت رسالة للسيد عبد الغني النابلسي مال فيها للجواز ان لم تؤد الى محرم مقطوع به كما رأيت سؤالا للالوسي في أيما أشد حرمة الغيبة أو السماع لآلات اللهو أجاب عنه بان لا مقايسة بين الامرين فان الغيبة محرمة باجماع بخلاف سماع آلات الطرب فانه مختلف فيه وللفاسق التمسك بقول أحد المجتهدين ثم توجد بقية الصنائع الضرورية كالبقالين والجزارين والقصابين والفحامين والحلاقين وغيرها بحيث يقال ان أغلب الصنائع الحاجية معروفة ولكنها غير موفية بالاستغناء عن جلب المصنوعات من خارج القطر بحيث من نظر الى لباس أهل المدن ومسكنهم وفرشهم يجد أغلبها من مصنوعات الاجانب وذلك موجب لفقر المملكة وأما خارج الحاضرة فالمدن يوجد فيها ما يقرب مما تقدم بأقل بدرجات الا بعض صنائع فلها فيها التقدم على الحاضرة فمن ذلك منسوجات الفرش في الجريد فان ما يصنع منه في طوزر هو من أرفع ما يوجد في العالم وكذلك يصنع في جربة ولها نوع يسمى بالسوسي من الصوف والحرير صفيق من أرفع المنسوجات وكذلك يصنع في القير وان الاواني النحاس وفي نابل أنواع من الطين الرفيع المرغوب في كثير من الجهات وكذلك يصنع في الكاف نوع من البرنس رفيع وأما أهل البوادي فلا يعرفون الا صناعة الفلاحة المتداولة والرعي للحيوان والفروسية والصيد ولأهل جبل باجة وماطر معرفة بصناعة البارود وسائر القبائل تعرف نساؤهم صناعة

تنسج الصوف لفرشهم ولباسهم وتنسج بيوت الخيام من شعر المعز والابل والعدل كما ان لبعضهم اتقانا فى صناعة البسط من الصوف كقبائل دريد وجلاص ومثلهم القبر وان وبخصوص أهل الجريد اتقان كلى فى الاردية التى تتردى بها الرجال من الحرير والصوف

﴿مطلب فى المساكن والطرقات﴾ الحاضرة ذات بطحاوت وطرق صناعية مصصبة أو محجرة بحجارة منحوتة لاتتعب فيها على الماشى ولا الراكب حسنة المنظر والقليل من طرقها المتسعة أشجار يمينا وشمالا وجميع البناآت من حجر مبنى بطين الرمل والجير وتارة يبنى بالآجر والقرميد وهو أقل من الاول وتارة يعوض الطين بالجص وهو أيضا أقل ثم ان دورها اماذات طبقة واحدة أو طبقتين وقليل ما يزيد على ذلك وصورة الدار ان تدخل من الباب الذى على الطريق فتجد محلا مسقفا ان كان كبيرا سمى دريبة أى دهليزا والا سمى سقيفة ثم آخر أصغر منه ثم وسط الدار والاغلب أن تكون الابواب المدخول منها اليه غير متقابلة لكى لا يكون مكشوفا من بالسقيفة وهو محل مربع الشكل مكشوف الى السماء وبه أبواب وشبابيك الى البيوت وهو مفروش الارض اما بالرخام أى المرمر الابيض أو الكذال والجميع على شكل مربع متقن الاثبات فى الارض حتى يصير كأنه قطعة واحدة مخطط فى المنظر بخطوط الحدود وحيوطه مكسوة بالزليز اما الى نهايتها واما الى النصف والنصف الاعلى مطلى بالجص الابيض وبه نقش حديدة ونهاية الحيطان عليها افريز أخضر والابواب التى به من الاربعة الى الاثنى عشر يدخل منها الى بيوت ومرافق والبيوت غالبا بعضها أحسن من بعض فأكبرها على شكلين فالشكل الاول أن يكون اذا دخلت من الباب تجد البيت طويلا يمينا وشمالا وقبالة الباب به ذو قوس مرتفع وفى نهاية أرجل القوس تجد مرفوعا أى شيأ من الخشب المتقن النقش المزوق بالالوان دائرا مع حيطان البيت وتوضع عليه أوانى رفيعة من الخزف والصينى والبلور وفى نهاية البيت يمينا وشمالا تجد اسرة عليها فرش النوم مسواة باتقان وأمامها مطارح ومتكئات وجميع الحيطان على نحو ما مر فى وسط الدار مع زيادة اتقان النقش والابواب كلها ذات زوايا كاملة ليست بمقوسة الا باب الدريبة ثم لكل باب أو شباك عواضد من الاربع جهات من الرخام أو الكذال أو الخشب كل جهة فى قطعة واحدة غالبا وعرض العاضدة من شبر ونصف الا العواضد السفلى فى الابواب فانها تكون منخفضة لا ترتفع على الارض أكثر من اصبعين وأغلب ارتفاع السقف

من

من الستة الى اثنى عشر ذراعا وهى أى السقوف ما بين بناء بالآجر أو الحجر المعقود أو أعمدة من حديد وآجر أو قرميد أو انها خشب مما يجلب من السويد المسمى باللوح الطرطوشى والبندقى من النمسا وعلى أى نوع كانت فانها ان كانت من الخشب نقشت و زوقت والاطليت بالجص ونقشت وزوقت وتارة يطلى النوعان بالفضة المموهة بالذهب على اشكال بديعة مع التزويق بالالوان والاغلب فى سقوف الخشب ان تكون على هيئة خشبات ممدودة على عرض البيت وعمقها نحو شبرين أو شبر ونصف وعرضها نحو ثمانية أصابع وكل الابواب ذو دفتين وتارة يكون ذا أربع دفف وهذا فى خصوص أبواب البيوت وأما غيرها فلا أكثر من دفتين ثم عن يمين البهو وشماله مقاصير اثنان فما فوق اما للنوم أو الجلوس أو المرافق وعلى الابواب جميعا ستارات متعددة على حسب الرفاهية ويوضع فى البيت أيضا مرايات كبيرة على المرفع وراء قطع البلور والخزف وكذلك حول اسطوانتى البهو وهذان يوضع أمامهما خزنتان من خشب الجوز المتقنة الصنعة وعليها ساعتان وفوانيس بأوانى من الزهور المصنوعة وغير ذلك من التحف وفى الشتاء تفرش أرض البيت بحصير وعليها بسط صوفية وأما الشكل الثانى فى البيوت فانه يكون براحا واحدا امامربعا أو به استطالة والحيوط والسقف والفرش كلها على نوع واحد غيرانه يغلب فى هذا الشكل أن يكون السقف من خشب وعيدانه مغطاة من أسفل مما يلى البيت بألواح من خشب مزوقة أيضا حتى ترى كأنها قطعة واحدة والاغلب لحسن المنظر وعدم ظهور القطع بين الالواح أن تغطى الالواح من أسفل بمنسوج من الكتان أو القطن على عكس امتداد الالواح وتدق بمسامير ثم تلون وتزوق كامر وفى وسط هاته السقوف على أى نوع كانت توضع قطع من خشب مرتفعة منقوشة بأشكال بديعة مذهبة وتمسك فى السقف بقضيب حديد مناسب ويعلق فيها ثريات من البلور وما دون ذلك من البيوت يكون أقل اتقانا فى طلى الحيطان ومفروش الارض والستائر فقط أما أصل الطلى وتبليط الارض بنوع صلب فلابد منه وفى قليل من الديار الكبرى للاغنياء يوجد بيت واحد ذو ثلاث سموات أو أربع ووسطه مربع والجميع فى أعلى نوع من اتقان المواد والصناعة وكذلك يوجد بقلة جنائن فى الديار وانما كثرت بعد وجود ماء زغوان فى الحاضرة وكل دار لابد فيها من بئر ومأجل ومطبخ و بيوت لخزن القوت وأدواته ولابد أن يكون خارجها مخزن للدواب أو بعض الضروريات ولا أقل أن يكون أسفل وسط الدار أو السقيفة دهليز لذلك ان لم يكن لها مخزن وقليل أن يكون لها علو

بابه فى السقيفة الخارجية أو الدر بية خاص بالرجال والواردين على أصحاب الدار والاغلب أن يكون ذلك للأعيان ويكون العلو تام المرافق والفرش وأكثر من ذلك أن يكون فى عوضه بيت واحد يجلس به صاحب المحل ومن يفد عليه من الرجال واذا كانت الدار ذات طبقتين فان الهيئة المارذكرها هى ولا يزاد فيها سوى رواقين أو أربعة أمام البيوت فى صحن الدار تكون مرفوعة السقوف على حيطان وجوه البيوت من جهة ومن الجهة الثانية على أقواس مستندة على اسطوانات من الرخام الابيض المتقن أو من حجارة الكذال والاقواس مطلية بالجص المنقوش بالنقش حديدة وفوق هاته الرواقات رواشن للطبقة العليا ولها دابزين من الجهة المطلة على صحن الدار ومن تلك الرواشن يدخل للبيوت التى فى الطبقة العليا وهى مبنية على البيوت السفلى وهيئة البناء والفرش على النحو الاسفل سواء ويصعد الى هاتيك الطبقة بدرج فى أحد الابواب التى بوسط الدار والاغلب فى الدرج القديمة أن تكون على هيئة غير مناسبة لبقية بناء الدار لانهم لا يعتنون بها سوى كونها موصلة للاعلى فتارة تكون ضيقة وتارة تكون مرتفعة تتعب الصاعد لكن فى الابنية الجديدة صارت الدرج متقنة الهيئة من الاتساع والارتفاع المناسب بحيث لا يكون ارتفاع الدرجة أزيد من شبر وعرضها قدم ونصف وطولها ستة أقدام فما فوق وعلى أى هيئة كانت فلابد لها من التبليط بالزليز أو الرخام وكثيرا ما تكون كل درجة من قطعة واحدة من الرخام الابيض أو الاسود أو الكذال أو الصوان وجميع الحيطان اما مكسوة بالجليز أو مطلية بالجص ولا يكون فى السفلى ولا شباك واحد على الطريق وان احتيج الى الضوء ولابد تجعل له منافذ قرب السقف لكى لا يسمع صوت النساء نعم فى الطبقات العليا توجد شبابيك على الطرق ولها أبواب غير منفكة من المقصب الخشب وجميع الشبابيك سواء كانت لوسط الدار أو للطريق لابد لها من قطع من الحديد على أشكال مرونقة وفى القديم كانت جميع الاشكال مربعة هذا فى أماكن النساء وأما اماكن جلوس الرجال فليس فى شبابيكها مقصب الخشب نعم للشبابيك مطلقا أبواب من الخشب وأبواب بساطر من خشب وطيقانها من البلور أو الزجاج والحاصل أن الديار من داخلها فى غاية الاتقان والنظافة على حسب الرفاهية لكن خارجها لا يعتنى باتقانه فوجه الحيوط مما يلى الطرق كثيرا ما يكون غير مجصص وانما يبيضونها بالجير والسطوح كلها مستوية وتبيض سنويا بالجير فلذلك لم يكن منظر البلاد فى الطرق جميلا مثل ماهو فى الدار هذا كله فى غير حارات الافرنج أما هى فانها

على

على النحو الاروباوى الذى سيأتى شرحه ولذلك كانت أنظار ونظافة الطرقات متوسطة بحيث انها ليست بعفنة ولا انها متقنة النظافة وفى الشتاء يحصل فى بعض الطرق التى لم تبلط كثير من الوحل والطين وهذه لم تبق الا نادرا فى المدينة وأما فى الربضين فهى لا زالت كثيرة وبواسطة المجلس البلدى لا زال يتدارك فى تبليطها وتحصيبها وقد تمت الطرق الاكثر مرورا بها العجلات والطرق خارج الحاضرة ليس منها طرق صناعية سوى طريق بين تونس وحمام الانف وأخرى الى باردو ومنوبة وأخرى الى جهة المرسى وطريق حديدية الى حلق الوادى وأخرى الى الجزائر ويرادمد أخرى الى الساحل وأخرى الى ابن زرت وأما فى الحاضرة فالطرق منقسمة الى مناهج وهى متسعة أقلها تمر فيه عجلتان متحاذيتان وهى قليلة والى طرق وهى لا تمر فيها الا عجلة واحدة وهى أكثر من الاولى وكثيرا ما تتعارض فيها العجلات ويوجد بها بعض جهات متسعة لرفع ذلك التعارض والى زناق وهى التى لا تمر فيها العجلة بل بعضها لا يمر فيها الا انسان واحد وأغلبها اتية فى وسط الحارات ولا زال المجلس البلدى يوسع فى الشكل مهما خرب حائط على الطريق الا أخذ من محله توسعة للطريق وأغلب أنواع الطرق غير مستقيم بل فيها تعاريج وانعطافات وتحت الطرق خنادق تجرى فيها القذورات والمياه الخارجة من الديار تحت الارض وأكثرها غير متقن البناء والتسقيف ولذلك يكثر فى الشتاء خرابها فتتعطل الطرق عن مرور الحيوانات والعجلات وتلك الخنادق تصب فى البحيرة التى هى فى الجهة الشرقية من الحاضرة هذا واما قصور الوالى وعائلته والوزراء والاعيان فانها وان كانت بعضها على نحو ما تقدم وبعضها على النحو الاروباوى لكنها تفوق غيرها فى اتقان البناء والكبر وحسن الفرش والتزويق والتزيين وكذلك بساتينهم واما الحوانيت والاسواق فليست بجميلة المنظر لان أغلب الاسواق ضيق الطريق ومسقف بالخشب الغير المنظم وبعضها مسقف بالآجر وهو أحسن منظرا لكن الجميع لا يتأنقون فى نظافة الحوانيت وحسن هيئتها وأغلبها صغير نحو أربعة أذرع فى مثلها وأرضها مرتفعة على أرض الطريق فى البناء نحو ذراع وبعضها أبوابه من خشب غير منحوت وهى قطع مفرقة يضع صاحبها لوحة حذو أخرى الى ان يملأ عرض الباب فيجعل قفلا على الوسطى من تلك الالواح يمسكها بالعواضد فى الفرض التى تدخل منها الالواح ويكون المسك بواسطة حلق صغيرة بعضها فى الواح وبعضها فى العتبة بالتخالف فى الوضع ويدخل القفل فى تلك الحلق ثم يقفل بالمفتاح وصورة القفل فى الاغلب على الشكل العتيق وهو قضيب من

حديد فارغ الوسط به لولب ينجذب و يندفع بواسطة ادارة المفتاح الذى يدخل في فراغ ذلك القضيب وهنالك فى خارج القضيب قوس يدخل فى تلك الحلق و يدخل طرفه فى ثقب فى طرف ذلك القضيب ثم يدار المفتاح الى ان ينجذب اللولب ويدخل فى ثقب فى طرف القوس الذى أدخل فى القضيب ثم ينزع المفتاح ولكن لازال هذا الشكل يتناقص ويجعل على النحو المتعارف فى أغلب المدن فى الابواب و بسبب ذلك مع وجود الخراب فى عدة جهات وعدم تبييض جميع الحيطان كل عام لم يكن منظر البلاد اجمالا جميلا ان رأى المدن الجميلة والاقواس أغلبها نصف دائرة والسقوف المبانية لابد فيها من شئ من الانحداب ثم فى المدة الاخيرة حدثت الاقواس والسقوف المبنية المبسوطة هذا وأما منازل المسافرين ففى حارة الافرنج منازل مثل ماهو فى أوربا وقل ان يسكنها احد المسلمين وانما يسكنون فى خانات وفنادق ومخة فيها بيوت لا فرش لها ولا مطابخ فيلقى المسافر العناء من ذلك الا اذا تعود على السفر لبلاد المسلمين فان الجميع فيها متماثل وكان السبب فى هذا مع كثرة أسفار المسلمين هو خصلة دينية وهى ان الكرم والضيافة مندوب اليها فمهما دخل المسافر بلدا للمسلمين الا كان حقا على اخوانه ان يستضيفوه فلم يكن من داع لاتقان محلات المسافرين اذ غايتها هو وضع الدواب والسلع التجارية (وكان ذلك هو سبب) عدم وجود لفظ مفرد عربى دال على نزل المسافر لما جبلت عليه العرب من الكرم والضيافة ولكن حيث تغيرت الطباع اليوم فينبغى الاعتناء بمثل تلك المنازل وماذكر جار فى سائر انحاء القطر وعلى نحو ما تقدم فى هيئة الحاضرة بقية المدن والقرى لكنها على حسبها فى التعمير والغنى غير ان الطرق الصناعية لاتوجد فى غير الحاضرة نعم ان البلاد ان التى احدثها الاندلسيون هى انظم طرقات من غيرها اذ طرقاتها مستقيمة متسعة متقابلة بل بعضها يراعى فيها حتى تقابل أبواب الديار وفى غير المدن لاتجد البناء الا من طبقة واحدة بل وهو الاغلب حتى فى المدن وكثرة الخرابات فى بعض البلدان سيما القرى وعدم تبييض وتجصيص الحيطان من خارج تجعل الرائى يحسب الجميع خرابا وكثيرا ما تكون ديار القرى غير مبلطة وانما تمهد بالطين والجير المسوى (وأما البطروى) فمساكنهم خيام من شعر المعز والابل تنسجها الاهالى وتارة تجلب من طرابلس وللاغنياء خيام من ذلك النوع فى غاية الاتساع والارتفاع بحيث يقدر ان يدخلها الراكب على فرسه ويقسم البيت لاقسام بأردية وستارات قسم للنوم وآخر للمؤنة وآخر للاولادهم

وآخر

وتخولاولاد بعض حيواناتهم وأهل الغنى يجعل لكل نوع من ذلك بيوتا خاصة كما ان للضيوف وجلوس صاحب المكان بيتا خاصا ويفرشون بيوتهم بنحو ما يفرشه أهالى الحاضرة الاعيان من المرايات والساعات والتحف الخزفية والمفروشات الحريرية والاسرة المذهبة والقوانيس والشموع الى غير ذلك من أنواع الحضارات لكن العموم يفرشون فى أرض البيت حصيرا وفراشهم أردية من الصوف مثل ما يلبسونها ووسادات وغطاء ومبيات الرجل وزوجته واولاده كلهم فى فراش واحد ويطبخون فى فم البيت أو أمامه وكثير منهم من لا ينور فى الليل الا بما يوقد من الحطب وبعض القبائل يسكن فى خصوص أو بناء شبهها

(مطلب فى اللبس) لباس الحكومة والعساكر النظامية هو اللباس الافرنجى غير ان للعساكر علامات على الرتب وهى صورة نجم من فضة خالصة لرتبة الفريق ويجعل ستة نجوم فى رقبة سترته ثلاثة من كل جهة وهو نهاية رتبة يعطيها الوالى ثم أمير اللواء له أربعة ولامير الآلاى اثنان وللقائم مقام والامين آلاى ستة من طرز خيط الفضة المذهبة وللبينباشى أربعة وللقلاسى اثنان ثم للرتب التى تليه ثلاثة من الفضة الغير المذهبة وهكذا من يليه على النحو السابق وهاته الرتب تعطى أيضا بعينها لغير العسكر من ذوى الوظائف السياسية اذ ليس هنالك رتب ملكية وفى المواكب يلبسون اللباس الرسمى المطروز بقصب الفضة المذهبة الا الضابطية فطرزهم من غير المذهبة وتعلق فى صدورهم النياشين التى هى من الفضة المزوقة بالمينا وللصنف الاكبر منها له شريط أخضر ولنيشان العهد شريط أبيض على نحو ما سبق ذكره فى الكلام على أحمد باشا والصادق باشا والوالى يلبس بشاشيته ثلاثة نياشين كبار أحدها كانت الدولة العلية أعطته لاحمد باشا عندما كان ذلك من رسوم المشير ثم زاده ثانيا مثله ثم زاد الصادق باشا ثالثا مثله وهى نياشين من ذهب على صورة أوراق من النبات وبوسطها ترصيع بالياقوت الابيض كما يلبس نيشان المشير المرصع الذى كان أيضا من رسوم الدولة العلية ويلبس نيشان آل بيته المرصع والعهد المرصع والصنف الاكبر المرصع والغير المرصع وجميع نياشين الدول التى اهدتها له مع شرطاتها وكذلك جميع المتوظفين كل منهم يلبس ما عنده من النياشين ثم كل من له رتبة أمير آلاى فما دون له علامة تلصق بشاشيته من نحاس على صورة شارة الحكومة مكتوب بها اسم الوالى الصادق

باشالاذهو مخترعها واما أهل المجلس الشرعى بالحاضرة فيلبسون قلانس بيضا مكورة غيران المالكية قلانسهم مفلطحة والحنفية مرتفعة و يلبسون عليها طيلسانا من الكشمير و يلبسون جبائب اكمامها واسعة وهى طويلة الى الكعب أو قربه وهنالك فرق بين جبائب الحنفية والمالكية فالاول جبائبهم مشقوقة الجيوب الى أسفل والاخر مشقوقة الى السرة فقط و يزيد المالكية برنسا واسعا من الجوخ الصوفى له حواشى وشرابات من الحرير وفى أرجل الجميع حذاء من النوع المسمى بشمق ور يحية لونه أصفر وهو لبس لايتحمل المشى به فى الطين ولو قليلا اذ هو أشبه شئ بالنعل لكن له وجه على اصابع القدم و يلزم للذى به تعلم وتعود لكى تمسكه أصابع الرجل اذا رفعت الرجل سيما اذا كان مع الريحية فيقع الازدلاق بين ملوسة جلد البشمق وجلدها نعم ان منظره جميل وأما أهالى الحاضرة فيلبس الرجال قميصا وصدرية وأخرى تسمى فرملة غير انها بلا صدر ومنتان أى صدرية بلاصدر ولها ايدى ضيقة الى الرسغ وتارة يكون فى هاته الايدى فتح من أسفل قرب الرسغ وتارة لا وتارة تكون قصيرة الى أسفل المرفق فقط وتسمى كنبوة وسراويل رجلاها أسفل الركبة بيسير ووسطها متسع يرتدل كثيرا ولا مرتفع كثيرا وهى عريضة بحيث اذا لبست كان فيها انكماشات بين الرجلين ولا يبلغ تدليها الى الركبتين واحذيتهم من أنواع فمنها الكنترة وهو من لباس الافرنج على أنواع شتى ومنها البلغة ولونها أصفر ومنها السباط الاحمر او الاسود ابعضها شرابات من الجلد وبعض الاعيان يلبسون البشمق والريحية وعلى رؤسهم شواشى حمر لها شرابات من الحرير الاسود وعليها عمائم ملوية اما بيض أو مطرزة بطرز الهند أو بطرز البلاد وعلى الجميع برنس شتاء وصيفا غير ان كيفية استعماله كانه جعل لاللبس اذ يلقونه على أكتافهم عيل لاحد الشقين فقط وهيئة البرنس هو رداء متسع طويل الى القدمين وله رأس يسمى بالطربوش وكله فى قطعة واحدة وأسفله مقصوص معرج على هيئة نصف الدائرة ثم ان الاعيان والاواسط يزيدون تحت البرنس جبة مشقوقة الى السرة فقط وليس لها اكمام بل انها مشقوقة من أعلى الجنبين لاخراج اليدين منها فهى صماء غير مشقوقة الاسفل و يلبسون أيضا الجورب من القطن فقط أو مع الصوف من تحته و بعض قليل يلبس الجوخة والقفطان وهما جبتان ضيقتان مشقوقتان الى أسفل ولا فرق بينهما غير ان ما تلبس من أعلى اكمامها مدورة قصيرة الى قرب المرفقين وأسفلهما يتحزم عليها بالحزام الذى لابد منه لكل

احد

أحد كما ان البرنس لا يمكن خروج الانسان فى الطريق بدونه وغاية الفرق بين لباس
الاغنياء وغيرهم هو رفعة المنسوجات وحسنها وكل هما مع مفروشات الديار من الصنائع
الاجنبية الا البرانس والشاشية وبعض أنواع حريرية كما يحمل الاعيان والاواسط
ساعات بسلاسلها من الذهب أو الفضة او النحاس واما التختم فقليل جدا وكثيرا ما يعدانه
من سمات ذوى الدناءة الا بعض اعيان الاعيان ومع ذلك كثير منهم يتحاشاعنه ومثل
هذا اللباس لباس أغلب المدن والقرى أو قريب منهم وبعضهم يلبس جبة من
الصوف وسراويل منها كلها من صناعة الاهالى وعوضا عن البرنس يلبسون
كبوطا وهو شبه البرنس غير انه ضيق وله ايدى وقصير الى الحزام فقط وهو أيضا
لابد من لبسه لسائق العجلات للاعيان فى الحاضرة غير انه من نوع الجوخ المطرز
بخيوط الفضة وله منظر جميل واما البوادى فلباسهم قميص ورداء من الصوف
يسمى بالحرام وبرنس من الصوف غير انه يلبس لبسا بان يدخل الرجل رأسه فى
الطربوشة وتارة يرفعها على رأسه وتارة يلقيها الى ورائه على كتفيه وهما من منسوجاتهم
وعلى رؤسهم شواشى وعمائم من خيوط من وبر الابل أو صوف الغنم الاسود أو الاحمر
وفى أرجلهم البلغة والاعيان منهم يلبسون فوق القميص مثل لباس أهل الحواضر
وحرامهم يكون من الصوف الجيد الرفيع والحرير وكذلك عمائمهم مثل الحواضر
ومثلهم أهالى بعض البلدان كبلدان الجريد والكاف وباجة وتبرسق وأما لباس النساء
ففى الحاضرة يلبسون القميص لكنه قصير الى أعلى الفخذ وفوقه مثل الصدرية بلا
صدر ويتأنق فى اتقانها وتحليتها بالفضة أو الحرير أو العدس وتسمى فرملة وفوقها
جبة ضيقة بعض الضيق بلا أكمام وقصيرة مثل القميص المذكور وسراويل ضيقة جدا
مثل سراويل رجال الافرنج لكنها مخروطة الرجلين مع اتقان تحليتها والتغالى فيها
وعلى رؤسهن على الشعر منديل حريرا سود يسمى تقريطة وفوقه قوفية أى نوع من
العراقية محلاة ولها جبين مرتفع من أصبعين الى الثمانية أصابع صاب بالطرز الحرير
الاسود على خيطان من الكتان الصلب وفى مؤخرها ذيل من الحرير مدلى الى قرب ذيل
الجبة ويطرز بانواع جميلة من الفضة والحرير ثم تلف رأسها ورقبتها بالمنام من أنواع
الحرير والقطن ويطرز أيضا كما مر على هيئة متقنة وتعصب على الجميع بتقريطة ملونة
أو مزوقة بالفضة يعد طيها على عرض أربعة أصابع بحيث يكون ما فوق القحف من
غطاء الرأس مكشوفا من تلك التقريطة وتربط أطرافها من جهة الجبهة على هيئة

تكون بصورة التاج مسوكة بمساسك من النحاس دقيقة صغيرة ويكن أذرعهن مكشوفات ويلبسن فى أرجلهن أنواع الاحذية الافرنجية والاعيان يلبسن الجوارب والخادمات يلبسن على نصفهن الاسفل فوق جميع الثياب ازارا من القطن أو مخلوطا بالحرير أو الحرير الصرف ملون أغلب ألوانه مائلة الى السواد لتحمل الوسخ ولما تقدم لم يكن شكل النسوة جميلا من لبسهن واذا خرجن للطريق فالاعيان يلتحفن برداء أو طيلسان واسع ثم يدخلن فى الكروسة وتدخل أى الكروسة الى داخل الدهليز لتركب المرأة فيها ثم تسدل ستارات الكروسة بحيث لا يرى من ركب فيها ونسوة الاواسط يلبسن عند الخروج رداء عريضا بالغا قرب القدم ومغطا للرأس على هيئة ساترة لجميع أجزائها وعلى وجهها خمار من الحرير الاسود وأطرافه مزوقة مغروز فى غطاء رأسها بمساسك وتمسك طرفيه بيدها مع لفهما فى ردائها وعلى رجليها ساقان عريضان من منسوج ثخين مطرز ونعلها خاص بالخروج وأما الاسافل فهن مثل ذلك أيضا سوى الخمار فيعوض بلثام أسود ملفوف على الوجه ثخين لا تظهر منه البشرة ولا تبان الا عيناها ونسوة اليهود مثل ذلك الاستر الوجه فهن مكشوفات وأما لباس نسوة البلدان فهو على ذلك النحو غير انه ساترا أكثر لانه متدلى الى قرب الكعب والجبة أوسع وبعضهن يتمنطقن بحزام وأما نسوة الاعراب فهن مثل ذلك أيضا سوى الجبة فعوضها رداء واسع تمسكه المرأة بمساسك كبار من فضة أو ذهب أو نحاس حذو كتفيها مما يلى الصدر وتتمنطق عليه بحزام ويكون ساترا حتى الى القدمين مع الاتساع غير انهن لا يلبسن السراويل ولا يتقنعن على رقابهن فغطاء رؤسهن أجل من نسوة الحواضر وكثير من نسوة القرى مثلهن والجميع يلبسن من الحلى أنواعا شتى من القرط فى الاذنين بعد ثقبهما منذ صغر البنت والاساور والخواتم والتيجان وغير ذلك من الجوهرات الثمينة والمكللة بالياقوت والزمرد واللؤلؤ وبعض الحواضر والقرى والاعراب يقلدن فى أرجلهن أيضا كل على حسب الثروة واليسار

(مطلب فى الاكل) أما أهل الحاضرة فاكلهم جامع بين أنواع اكل أهل المشرق والمغرب والاورباويين بحيث لهم من كل أحسنه سيما الاعيان والغالب فى البلاد واعرابها وسائر بلدانها هو طعام الكسكوس أو العصيدة وتزيد البلدان بالشكشوكة طعام من زيت وقديد وبصل وطماطم وفلفل واغلب السكان يأكلون الطعام الحريف المسمى عندهم بالحار من الفلفل ويكثرون من الابزار الا البوادى فاغلب طعامهم بسيط

من

من دقيق القمح أو الشعير أو الذرة والابن واللحم المشوى وفى ولائم الاعراس بالحواضر يكثرون أنواع الحلويات وهيئة الاكل عموما هى الجلوس على الارض اما على متكآت أو بسط أو حصير ويوضع الطعام جملة ويأكلون من اناء واحد ثم غيره وهكذا والغالب طعام واحد وأهل البلدان يصنعون مائدة يوضع الطعام عليها وهى من خشب مدورة ارتفاعها عن الارض نحو شبر وبعضهم يجعل عليها أو على كرسى مثلها طبق من النحاس وفى بعض الاعيان ومتوظفى الحكومة صارت هيئة الاكل كما هى عند الافرنج وبعضهم صيرها بين بين بحيث يؤكل من اناء واحد لكن بالشوكات والسكاكين والخبز له أنواع فى العربان اما أن يكون منضجا فى فرن يسمى الطابونة وهو حسن جدا سيما السميذ منه واما أن يكون العجين غير مخمر ويشوى فى اناء من الطين وهو ردىء لقلة نضجه وعدم تخميره وكلا النوعين موجود فى البلدان الا الحواضر فيوجد الاول بقلة عند الاعيان على وجه التفكه والخبز الغالب فى المدن هو خبز مرتفع صغير قليل النضج مخمر لذيذ ينضج فى الفرن المعتاد ونوع آخر كبير وهو الذى يصنع فى الديار أنضج من الاول والاول لا يأكله الا من لا عائلة له أو الفقراء ذوو العيال وأما خصوص الحاضرة ففيها اثنا عشر نوعا من الخبز كلها جيدة سليمة ناضجة على النحو الذى يعرف فى المشرق بالافرنجى وعادة الجميع فى الطبخ ان النسوة هن المكلفات به ويطبخن فى اليوم مرتين فطورا وهو عند الزوال وعشاء وهو بعد الغروب كما توجد مطابخ فى الاسواق يطبخ بها الرجال لمن لا عائلة له أو داره بعيدة عن محل صناعته وأغلب طبخها ردىء الا قليلا ومن طعام السوق الجيد القليل النظير ريك البيض فيشتريه حتى الاعيان فى ديارهم لالذاذة أكله والغالب ان الاهالى زمن الصيف يدخرون مؤنة السنة من الكسكسو ونوع مثله يسمى المحمص والقديد والابزار وأما الحطب فانما يخزن فى أواخر الشتاء عند تنقية شجر الزيتون لانه هو أغلب الحطب والفحم لا يطبخ به الا قليلا وبقية المأكولات تشترى يوميا كاللحم والخضراوات ومنها شهريا أو أسبوعيا كالزيت والسكر والقهوة

(مطلب فى الاعراس والمواكب) أول المواكب فى عيد الاضحى والفطر وقدمر كيفية التعييد على الوالى وأما الاهالى فيتزاورون لبعضهم أربعة أيام ويحصل من ذلك تعب كثير سيما اذا لم يجد الزائر المزور فانه يعود اليه ولو مرارا ويعطى للزائرة هو والاقارب يعطى لهم أنواع من الحلويات وفى جميع المواكب التحية بالتقبيل فالعظماء بتقبيل أكفهم ثم من دونهم بتقبيل المرافق ثم المتساويان فى الاكتاف وقليلا فى الافواه

وبعض الاعراب يقبل كل يد صاحبه وتارة رأسه وكذلك يحصل موكب في المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام على نحو ما مر تفصيله في الكلام على السياسة وأما بقية المواسم فلا موكب فيها وانما فيها الصدقات والقراآت والتوسع على العيال وفي عاشوراء اطلاق النيران والبارود اعتقادا انها من تفريح الصبيان وكأنها نزعة باقية من آثار الخوارج الذين كانوا بالقطر وفي رمضان تتأنق أهل الحواضر سيما القاعدة في الاكل وكل يدعو أحباءه للعشاء عنده ولا أقل أن يتعشى ولو انسان واحد مع صاحب الدار ويصرفون في ذلك زيادة على العادة وأما الختان فانهم يجعلون له وليمة مثل العرس وسيأتي بيانها وفي هذا زيادة وهي ان الطفل المختون يؤتى به قبل الختن من مكتبه وهو لابس لاجل لباسه الذي كثيرا ما يكون مقصبا بالفضة أو مطرزا بطراز الصراجين ومعه تلامذة المكتب بملابس جميلة أو نظيفة ويرفع رجل على رأس المختون لوحا مزوقا ويطوفون في حوالي حارتهم وأمامهم أو خلفهم فرقة من الرجال يذكرون قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتجيبهم التلامذة ببيت القصيد على الحان جيدة رافعين أصواتهم الى ان يصلوا الى دار المختون فيقدم لهم موائد من الحلويات ثم يختن الولد أحد الحلاقين المجازين في ذلك بمقص من حديد ثم يوضع في فراشه المزوق ثم يهدي اليه من أقاربه وأوداء أبيه اما مال أو مصوغ وأعلى الهدية قدر أربعمائة ريال فما دون وقد قلت هاته العادة فصار الختان أكثره خفيا بدون هدية ولا غيرها ويتناقلون في اخفائه روايات منها قولهم أعلنوا النكاح وأخفوا الختان ولم توجد في كتب الصحيح ولم نر نصا لاصحابنا في المسئلة سوى اني رأيت في الاحياء للغزالي الذي هو شافعي انه عد في أنواع السماع المباح السماع عند الختان وعند حفظ القرآن الخ فهو دال على ان اشهار الختان غير منهي عنه كما انه غير مندوب لقوله وهو أي السماع مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه الخ فهو دال على عدم النهي عن اشهاره فقط وأما الاعراس فان الزوج بعد الخطبة يرسل المهر وأعلاه ألف ريال الا الامراء والوزراء فيزيدون على ذلك الى العشرين ألفا ثم يرسل مع المهر هدية تسمى الملاك وهو صندوق صغير مجلد بصفائح الفضة أو خشب مرصع بالصدف وفيه المهر مصرور في مناديل من حرير مخلط بالفضة ثم صندوق آخر أصغر من الاول من فضة أو ذهب أحيانا مقسم الوسط به قنينات مملوءة أعطارا وأسفلها أنواع من طيب البخور العنبر

والقماري

والقمارى ثم حقة من ذهب أو فضة فيها قطعة كبيرة من سكة الذهب اما دبلون من سكة الاسبنيول أو قطعة مائة ريال ذهبا لتوضع فى كف العروس عند وضع الحناء ثم حصير أو أزيد مملوءة بالحناء الورق مخيطة على شكل مدور لكى تحفظ وتلف الحصير فى ملاحف من قطن أو حرير ثم صحن من الزجاج أو الفضة به شكل كالعصيدة من الحناء موضوع فى طبق من الزعف مكسو بمنسوج من الحرير أو الفضة مغطى بمنديل مثل ذلك ثم قطعة من مصوغ مكلل بالاحجار ثم حزم من الشمع الابيض كل معصبة بالتقارط الحريرية أو الفضة من ثلاثة حزم الى العشرين ثم شمعتان أو أكثر كبيرتان نحو الاسطوانة معصبة أيضا مثل ما ذكر ثم خمسة أى شمعة صورة كف ادمى كبيرة طولها نحو ذراعين فما فوق وتارة تكون أزيد من واحدة كلها من الشمع معصبة كما ذكر باشكال حسنة ثم أطباق كبار من الزعف بها قنطار فما فوق من السكر الابيض ويرسل ذلك الى دار العروس مع أقارب الزوج من النساء عشية وفى الليل تسرج دار العروس التى قد زينت ودعى اليها النسوة من الاقارب والاحبة وتزين العروس باجمل لباس ويوضع على رأسها رداء من منسوج الفضة الثخينة وعلى وجهها برقع من الحرير الصفيق وتوقد تلك الشموع المهداة لها وتجلس فى بيت أبيها على مصطبة ومتكآت من الحرير أو الفضة ثم يهدى اليها ممن حضر مال لا أزيد فيه من مائة ريال ثم تحنى يداها بالحناء المهداة بعد وضع قطعة الذهب فى كفها الايمن وينفصل الموكب بعد ان تعشى النسوة الضيوف ويفطرن صباحا ويتهيأ أبو العروس الى انفاق الاموال فيعمل لابنته ملبوسات لا تلبس الا يوما كالقمجة الكبرى وما والاها وهى جبة كبرى من نوع من الفضة المنسوجة ثخينة ثقيلة تتكلف بنحو ألف ريال ويتبعها سراويل مثلها وهكذا مما لا يلبس الا يوما أو يومين مع البسة أخرى معتادة للتجمل والعادة مما يكفيها سنة أو أزيد مع كسوة لبيت زوجها من فرش الصوف والاردية والستائر للابواب والاسرة والمتكآت كلها من نوع القمجة من الفضة والمدس الذى لا تكسى به البيت الا أسبوعا واحدا فيصرف أبوها اضعاف اضعاف من المهر وبعد أسبوع من عرسها تباع تلك الاشياء بما لا يبلغ الربع من ثمنها الاصلى وعند العرس يحضر الزوج داره ويبقى بيته فارغا الا أحد مقاصيره فلا يجعل فيه مالا تأتى به المرأة كما يجعل الاسرة فى البيت والساعات والمرايات والبساط وقبل ليلة العرس بيومين تستدعى الاحباب من كل على ان تكون الملاقاة فى أحد المساجد عند صلاة العصر ان دعاه الزوج وأما المدعوون من أب الزوجة فيقدمون الى

داره وتارة يقدم أب الزوج أو وكيله مع من دعاه لدار الزوجة وبعد الجلوس والدار مزينة وبوسطها جميع الجهاز الذى أحضر للعروس ليرفع لداره على هيئة منظمة يخطب الخطيب وهو أحد الشهود المتخذين الشهادة صناعة وتارة لبعض الاعيان يخطب أحد أهل المجلس الشرعى أو غيرهم من العلماء ويقع الايجاب والقبول ولا يكون من الزوج والزوجة بأنفسهما بل ان كان لهما أب فهو أو ولى أو ولى آخر أو وكيل وبعد ذلك تقرأ الفاتحة من الحاضرين الذين يبلغون أحيانا الى ألف فما دونها وتضيق بهم دار الزوجة وربما لا تحملهم الدار لانه كثيرا ما لا يتفاهم الاصهار على عدد المدعوين وان وقع التفاهم وكانت الدار لا تحملهم جعل العقد فى أحد المساجد ليسع الجميع ثم يسقى الحاضرون ماء محلى بالسكر فيه أنواع الطيب ثم يرشون بماء الطيب وينصرفون الا الخواص من الاحباء فيرفعون الجهاز على حيوانات ويطاف به فى البلاد ليرى ويسمع واع وتفرش به بيت الزوج وقبل ليلة العرس بيوم تصنع وليمة بالحلويات الخفيفة على مائدة مستطيلة كبيرة فى احدى البيوت حولها كراسى ويدعى اليها شتات من الناس من أول النهار الى ما بعد نصفه كلما جاء فوج أدخل أعيانه ليرى بيت الزوج ثم أدخلوا جميعا الى المائدة فيأكل كل شيأ يسيرا من الحلو ويشرب قليلا من المشروبات الملونة الحلوة ويقرؤن الفاتحة وينصرفون ثم ترفع المأكولات والمشروبات لتعود كأصلها ويدخل اليها فوج آخر وهكذا الى الختام وقد يعوض عنها بعشاء فى النصف الثانى من النهار وهو محتو على مطبوخ من اللحم والطير والسمك والحلويات على مائدة واحدة وتدخل عليه الناس أيضا كما مر غير ان الاكل منه أكثر من السابق وان لم يكن حقيقيا لا شبع وقد يعوض عن الجميع بوليمة ليلة العرس لمجرد أحباء الزوج وأقربائه ثم يؤتى بالعروس بعد الغروب هى وقرابتها فى كراريس يرسلها الزوج أو وليه ويذهب للاتيان بها أحد قرابات الزوج ويهدى الى العروس فى ليلة العرس ما يسمى قمصان الدلال والهدية على أقرباء الزوج وكذلك فى ليلة الوطئة الكبرى وهى قبل العرس بثلاثة أيام للجنة للعروس والمهدى قرابة العروس كما تهدى العروس للزوج وبعض الرجال من قرابته كأبيه وأخيه شيأ من الملبوس وبعد خروج العروس من دار أبيها تجتمع حثالة النسوة اللاتى يرون الذهاب لدار الزوج ويوقدن تلك الشموع ويذهب معهن أقرباء العروس من الرجال ومن أتى لمصاحبتهم من أقارب الزوج لكن هؤلاء يمشون فى مقدم الموكب والآخرون فى آخره والنسوة فى الوسط ويصرن يولولن

فى

في الطريق ويدققن الابواب ويصرخن باسعد باسعد ثم يدخل الزوج على عروسه ويعمل الخلوة الصحيحة ويخرج ولا يبات ولا يعرسون الا ليلة الجمعة والاثنين والخميس ولا يعرسون في المحرم تشاؤما بسبب ما تقدم من كثرة المصار بفاعضلت بنات من يخشى على عرضه وتفقرت أقوام ولا حول ولا قوة الا بالله وقريب مما مر ما يقع في البلدان والقرى يخرج فيه ذلك بعادات العربان وهي ان بعد الخطبة والعقد يرسل المهر ومعه شيء من الملبوس أو المصوغ والطيب ثم أبو الزوجة يكسو ابنته وعليه شيء من لباس الزوج ثم يأتي بالعروس لبيت زوجها في محفل على ظهر جمل مزين بالثياب الرفيعة والحلي وحوله أفواج من قرابة الزوجين بأحسن لباسهم والطبل يعزف والبارود يصرخ وتارة الخيل والفرسان تلعب الى ان تصل لبيت زوجها ويجعل لهم أبو الزوج وليمة قسم للرجال وقسم للنساء فيعطى لكل شخص لحمة في يده من رجل أو امرأة واللحم موضوع في قفة ثم تقدم قصع الكسكسو وان أخذ لحمة فوجدها عظما أن يردها ويأخذ غيرها ثم يدخل الزوج على عروسه ويتزوجها واذ ذاك يطلق البارود وتعلن النسوة بالولولة ثم يبقون بين غناء وسرور والغناء من الغنائين والرجال تدهم بالمال شيأ فشيأ لكن يعطون قطعا من النحاس فلا يصرفون كثيرا الا والنسوة ضاربات خمورهن على جيوبهن وهن منصتات وتارة يغنين والرجال يسمعون كما ان اهل الحاضرة يحضرون اهل الموسيقى في ليلة العرس وعند الوليمة ويحضرون معهم ماهرات مغنيات اذ مطلق النسوة لا تغنين أبدا ولو بين ايدي ازواجهن والغالب على اصحاب الموسيقى ان يكونوا من اليهود لان أكثر المسلمين يتحاشون منها لما تقدم في مطلب الصنائع وذلك كله في غير الموسيقى العسكرية فانها على النحو الاروباوي ومثلها موسيقى الاروباويين في تونس ويصنع مثل ما تقدم ايضا ليلة السابع من العرس وهي ختامه وتارة تجعل ولائم للولادة ومتى حضر احد كبار العلماء أسكتت الموسيقى لكن وقع التساهل في ذلك الآن واما المآتم فاذا مات انسان بكى عليه النسوة برفع صوت وتارة ينحن عليه وقد قل ذلك ولله الحمد والمنة وعند خروج الجنازة يفعلن مثل ذلك ثم عند الاتيان بما يغطى به النعش بعد الدفن يفعلن ذلك وعند الموت يفرغ بيت الرجل مما بها من الاثاث واما المرأة فلا ثم يحضر قراء يقرؤن القرآن حوله وهو مكروه شرعا للاجتماع على صوت واحد ولانه قبل غسل الميت ثم عند الغسل يؤتى بخواجات يكبرون ويهللون بصوت عال وهو من البدع ثم يؤتى بالقراء والمنتسبين الى زوايا

الصالحين بعد التكفين وكل يقرأ اما القرآن أو أوراد الشيخ المنتسبين اليه وهو من البدع ثم يحمل على نعش وتارة يوضع فى تابوت من خشب ويحمل على النعش ويصير كل من أولئك الفرق يصيحون بالقراءة والتكبير وغير ذلك وهو حرام أو مكروه اذ قراءة القرآن فى الطريق لا تجوز لما فيه من النجاسة المحققة سيما بعض الطرق فى الحاضرة ثم يصلى عليه فى صحن المسجد أو عند القبر وهو الافضل ثم يدفن وتقف أقرباؤه للعزاء فيتعبون ويتعبون من تقبيل كل من قدم للجنازة وقيم الحلة يصيح بقوله أثابكم الله كل خطوة بحسنة الخ من البدع ثم فى اليوم الثالث والسادس والخامس عشر والاربعين والعام يجعل فى دار الميت موكب تجمع فيه النسوة للبكاء سرا وتارة جهرا وتجتمع الرجال بالاستدعاء الا فى اليومين الاولين لمشاهدة قراءة القرآن والبردة وتارة تكون بتفن والحاصل أن جميع ما يفعل فى ذلك هو من البدع المحرمة لابتداعها فضلا عما تشتمل عليه من الافعال المحرمة لذاتها الا ما كان منها مشروعا كالغسل والكفن والصلاة والدفن واهداء الاكل لاهل الميت أيام موته لا فى السادس وما بعده وما أحق ذلك الموطن باتباع الشرع اذ هو واجب فى كل حال فضلا عن حال هو أول درجة من درجات الآخرة ومن ملحقات ذلك البناء لذات القبر وبناء القباب والرخام والاسرافات فى المقابر وهى أغلبها خارج البلدان الا قليلا فى الحاضرة وهاتيك البدع قليلة فى قبائل العربان لكن فيهم النائحات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

﴿مطلب فى اللغة﴾ لغة جميع أهل القطر هى العربية وهم أفصح من رأيت على العموم بالنطق بجميع الاحرف العربية الا القاف فيبدلها غير الحواضر بكاف أعجمية وقد ورد أنها لغة ويستند بعضهم حتى الى حديث لكنه مروى مناما ومن المعلوم أن مثل ذلك لا يبنى عليه حكم ثم اللسان وان كان عربيا فقد أدخلت فيه كلمات كثيرة بربرية أو أعجمية فمنها ما كان من أصل لغة السكان البربر كلفظ كشطة أى عمامة وقوأى الآن وللا أى سيده ولا زالت لغتهم فى جهات جبال ورغمة من الاعراض وجربة مستعملة فيما بينهم ومنها ما كان من لغة الطليان كالفاظ فيتو أى جيد ومركانتى أى تاجر كبير وكارته أى ورق اللعب ومنها ما كان من لغة الترك كقولهم هم كذا وهم كذا وقولهم فى النسبة قهواجى وبلغاجى وحماجى الى غير ذلك ومنها تحريف للاختصار كقولهم ما نحبش أصلها ما أحب شيأ ولهذا كثر استعمال الشين فى لسانهم حتى كاد أن تكون عندهم كشكلة مع أنهم يتقدون بالساكن والحاصل أن لسانهم عربى محرف وفى الحواضر

لا

لا يذكر الانسان غيره الا بزيادة لفظ سي فيقول سي فلان وكأنها مختصرة من سيدى ثم فى المكاتبات الناس على ثلاث درجات فيكتب الاكفاء لبعضهم سيدى فلان ومن كان دونه بيسير يكتب له السيد فلان ثم الاسفل يكتب له سي فلان واما اذا كان خادمه أو تابعه فيكتب ابننا أو ولدنا فلان وهى اصطلاح خطاب الوالى فى جميع مكاتباته الا للعلماء فيكتب الشيخ سي فلان ثم ان اللقب لابد منه فى الكتابة بحيث لا تجد انسانا بدون لقب والشهودين يدون فى كتابتهم الكنية لكن بالكنية العامة مثلا كل من اسمه على يكنى أبا الحسن وهكذا (واما) البوادى وغالب القرى فمخاطباتهم وكتاباتهم من دون تسييد ولا لقب وانما ينسبون الى الاباء فيقال فلان بن فلان وأغلب البلدان لهم نحلة فى لغتهم يكاد الماهر ان يعلم بها المتكلم من أى بلدة والغريب أن ذلك كائن ولو مع تقارب البلدان فان اريانة التى لا تبعد عن الحاضرة أربعة أميال لغة أهلها فيها نحلة بعيدة عن لغة أهل الحاضرة بل الاغرب أن اليهود الساكنين فى الحاضرة مع أهلها الحسارة جنب الحارة ترى لغتهم فيها تمييز كبير عن لغة المسلمين فى كلمات كثيرة كقولهم الحين بفتح النون أى الآن وبلغة أهل تونس تو وكقلبهم الشئ سينا وغير ذلك وأظن أن العلة فى ذلك هى التربية من الصغر فى الدار فيجرى عليها اللسان ولو بعد الكبر والمخالطة وهذا واقع فى اللغات الاخرى أيضا فأصل اللغة وان كان واحدا لكن النحلة مختلفة كما فى أهل مرسيليا وباريس فى اللغة الفرانساوية وكما فى لغة أهل الاستانة وبقية الاناطولى فى اللغة التركية بل هذا موجود حتى فى أصل اللغة العربية فان قبائلها كل منهم له نحلة ولغة لا تفهم عند غيرهم وقد عد من معجزات نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معرفته بالجميع بل وقيل حتى فى غير اللغات العربية وليس ذلك بغريب ومما ثبت فى الصحيح فى اللغات العربية ما رواه القاضى عياض فى الشفاء حيث قال فصل وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتى جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغاتها ويباريها فى منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى

وطهفة الهندى وقطن بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندى وغيرهم من قبائل حضرموت وملوك اليمن * وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح * وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وفى كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنام بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنام ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال أين هذا من كتابه صلى الله عليه وسلم لانس فى الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط وأكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله عليه السلام فى حديث العامرى حين سأله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل عنك أى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر وأما كلامه المعتاد صلى الله عليه وسلم وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله عليه الصلاة والسلام المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله صلى الله عليه وسلم الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقوله

عليه

عليه الصلاة والسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان أحبكم الى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن الى ان قال وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله عليه الصلاة والسلام حمى الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين الخ كيف لا وقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ومنابع الحكم عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات

﴿فصل في قوة الحكومة الحربية والمالية﴾

نفسا

٠٢٠٠٠ العساكر النظامية العاملة

٠٠٥٠٠ الخيالة غير النظامية العاملة

٠٠٣٠٠ العساكر المعروفين بزواوة العاملين

٠٠٢٠٠ العساكر المعروفين بالحنفية العاملين وكل هذين غير نظامي

١٤٠٠٠ الرديف النظامي

٠٢٠٠٠ الرديف من الخيالة

٠٧٠٠٠ الرديف من الزواوة

٠٤٠٠٠ الرديف من الحنفيه وكل الاعداد على التقريب لان الضبط غير متيسر

٠١٥٠٠ العساكر البحريه

٣١٥٠٠

٠٠٠٠٢ السفن الحربية باخرتان من نوع الكرويت

فرنك

١٤٠٠٠٠٠٠ دخل الحكومة مع انضمام القسم المعطى لاصحاب الديون ودخل الاوقاف

١٤٠٠٠٠٠٠ خرجها الا قليلا من فواضل الاوقاف

٤٠٠٠٠٠٠ قيمة متجر القطر الداخل والخارج

قد انتهى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثانى
بتاريخ أوائل المحرم الحرام سنة ثلاث وثلاثمائة وألف
فى المطبعة الاعلامية لصاحب التأليف الشيخ
محمد بيرم افندى الخامس وتحرر تصحيحه
على يد الفقير اليه تعالى
مصطفى محمد
قشيشه
و يليه الجزء الثالث افتتاحه الباب الثالث فى ايطاليا

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الاعلاميه بمصر سنة ١٣٠٣)

(تنبيه)

يوجد في جدول الاحصاآت بالجزء الاول ميم مفردة وهي علامة على مجهول و (لا) وهي علامة على معدوم أي لا وجود له وقد غفلنا عن اثبات ذلك في محله فأثبتنا هنا التنبيه القارئ

(فهرست الجزء الثاني من صفوة الاعتبار)

صحيفة

صحيفة

صحيفه

﴿تمت﴾

الجزء الثالث من كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿طبعة أولى﴾

﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾

ماشاء الله كان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث في ايطاليا

فصل في سفري اليها وما رأيته بها لما تكاثر بي المرض العصبي في صائفة سنة ١٢٩٢ ودامت معالجته على نحو ما مر ذكره في الباب الاول من المقصد وأشارت علي الاطباء بالسفر الى أوربا عزمت على ذلك في شوال سنة ١٢٩٢ الموافق الى أواخر نوفمبر الافرنجي واستأذنت الحكومة فكتبت لي على عادة المسافرين بطاقة الجواز بالاذن في السفر من مرسى حلق الوادي وهي بطاقة عليها اشارة الحكومة وتكتب تارة بالفرانساوي وتارة بالعربي وذلك على حسب المكان المسافر اليه فان كان بلدة أفرنجية كتبت بالفرانساوي وان كانت اسلامية كتبت بالعربي وهذه العادة بتذاكر الجواز معمول بها في أكثر الممالك وبعض الممالك يتركونها فلا يحتاج الداخل ولا الخارج لاذن وركبت من المرسى المذكورة في التاسع عشر من شوال سنة ١٢٩٢ وكان معي خادمان أحدهما يتكلم باللسان الطلياني والفرانساوي والالماني والعربي وصاحبني في هاته الجهة العالم النحرير المتبحر في علمي المعقول والمنقول الشيخ سالم ابو حاجب أحد أفاضل مدرسي

جامع

جامع الزيتونة حيث كان له مأمورية في ايطاليا مع وزير الاستشارة أمير الامراء حسين في خصومة تتعلق باحد اتباع الحكومة التونسية المسمى بنسيم شمامة الذي كان مكلفا بقبض أموال الحكومة وشراء المهمات لها وخرج من القطر بدون تحرير الحساب معه كما مر في ترجمة الوزير مصطفى خزندار وذلك في حدود سنة ١٢٨٩ وبقي يتردد بين فرانسا وايطاليا الى ان مات في بلد ليفرنو من ايطاليا وطلبت الحكومة من ورثته تحرير الحساب وكاد أن يقع صلح بينهما ثم نوج الورثة كما مر ذكر ذلك في ترجمة الوزير المذكور ولذا لزم الحكومة أن عينت أحد وزرائها وهو امير الامراء حسين ومعه العالم الشيخ سالم لطلب الحساب وتوقيف التركة فذهبا الى هنالك وباشرا النازلة وطالت المدة فرجع الشيخ المشار اليه الى تونس لبعض مصالح ثم عاد الى مأموريته وكان من المنة الالهية التصاحب معه فركبنا باخرة البريد الطلياني المسماة بفوريا ونزلنا في الطبقة الاولى وكان كراء الواحد فيها من تونس الى نابلي مائة وعشرين فرنكا وأما في الطبقة الثانية فثمانون فرنكا وأما في الثالثة فعشرون فرنكا لان الاولى والثانية كلاهما يعطى الاكل والفرش بخلاف الثالثة فانها للحمل فقط مع الاختلاف في المكان والفرش والاكل فكل بحسبه فأقلعنا من المرسى يوم الاربعاء بعد الزوال بخمس ساعات وكان في البحر شيء من الاضطراب فحصل لي شيء من الدوار واشتد الامر لما جاوزنا رأس غار الملح فاضطجعت في فراشي وأوفق الحالات للانسان هي الاضطجاع وهذا الدوار البحري من أشد الامراض لمن يصاب به وبعض من الناس لا يعتريه شيء منه وان لم يكن متعودا وقد كنت قبل الركوب استعملت باشارة الطبيب ثلاثة حقنات في الجلد من العلاج المسكن لكي لا يزيد على ألم البحر الالم العصبي ومن فضل الله لم يه تنضني ذلك الالم مدة الطريق وبقيت الحال كذلك الى ان وصلنا الى جزيرة سردانيا اقرب مرسى كالاري فدخلت الباخرة في جون محاط بالجبال عن بعد فسكن البحر ونشطت وهو من غرائب مرض البحر اذ شدته تقضي ان الانسان يبقى معه التعب وهو بخلاف ذلك لانه اذا انقطع الاضطراب يحصل النشاط الاقليلا ولما نشطت صعدت الى سطح الباخرة فرأيت الجبال محيطة بنا وهي جبال أكثرها صلد لا غابات بها ومنظرها اليس بحسن وأغلبها خال عن العمران لان التمدن لم ينبسط في تلك الجزيرة ولم نزل سائرين في ذلك الجون نحو ثلاث ساعات وكانت الباخرة تسير عشرة أميال في الساعة الى ان أرسينا في مرسى كالاري التي هي تابعة لايطاليا وكان ذلك صبيحة يوم الخميس قبيل الزوال فاذا

بالمرسى مبنية بالرصيف لأمن السفن بحيث تستطيع أعظم سفينة ان تلصق بالبر مع
الامن من اضطراب البحر واللاصقة بالبر ينزل سلمها على ذات البر وفي المرسى كثير من
السفن والبواخر لان موقعها متوسط فيأتيها البريد من جهات و يفرق على بواخر كل
تذهب الى جهة من الممالك المشرقية والمغربية ثم يحمل من الجزيرة في السفن الملح
والغلال والاثمار الى كثير من الجهات ثم نزلنا من البابور في زورق كراؤه فرنك واحد
والزوارق كثيرة تحيط بالبواخر وأصحابها سيؤ الاخلاق مع المسافرين يغرونهم بالركوب
قبل المساومة في الاجر فاذا نزل طلبوا منه أضعاف القيمة و ربما سرقوا ما وجدوه معه ان
امكنهم وذلك ديدنهم في كل المراسى لكننا ساومنا قبل الركوب ودخلنا البلد فاذا هي
بلد غير متمصرة وأغلب طرقها ضيق وأبنيتها على النحو الاروباوى الآتي بيانه ولا
تزيد طبقات دورها على أربعة وهي بلدة متصاعدة في الجبل وطرقها جميعا مبلطة
فالذي تمر فيه العجلات يكون معصبا وغيره محجر بحجارة غير مسواة ولذلك كان منظرها
والمشي بها متعبا وترى الحبال ممتدة بين شبابيك الديار من احدى الجهات الى ما
يقابلها لنشر الثياب المغسولة عليها وفرش الديار مثل الفرش الاروباوية وبأعلى
البلد بستان عمومي متنزه للعامة وتأتيه الموسيقى العسكرية لبسط العامة عشية
الاحد والاعياد وفيه ماء نابع حلو وبه أشجار صغيرة مهيآت للبيع في أوقاتها وفي البلد
منازل للمسافرين منها الحسن ومنها ما هو دونه وبها حوانيت وبطحاآت غير متسعة جدا
وبها قهاوى ويباع بحوانيتها جميع ما يوجد غالبا من الضروريات والحاجيات
والتحسينيات وفيها مستشفى ومدارس للتعليم في مبادى الفنون وبها مطابع أيضا وفيها
صحف يومية نحو الاربعة وهواء البلد ردئ تكثر فيها الحميات في الصيف لمجاورتها
اسجنة وهاته الاسجنة يستخدم فيها أصحاب الجرائم الثقيلة المحكوم عليهم من محاكم
ايطاليا وفيها معمل كبير من البناء لذلك تجلب له المياه في قناة من البناء مجتازة
قرب شاطئ البحر ظاهرة للناظر وبسبب تلك الاسجنة فسد هواء كالارى حتى يقال ان
عدد أهلها كل عام في نقصان وقد شرع في مد طريق حديدية من هاته البلدة التي
موقعها في الجنوب الغربي من الجزيرة التي هي مستطيلة من الجنوب الى الشمال
و ينتهي الطريق في الشمالي الشرقي من الجزيرة غير انه لم يتم الى الآن ولا زال العمل
فيه ثم أهل البلد على قسمين (الاول) الاعيان والوافدون وكلاهما لباسهم مثل لباس
الاروباويين (والثاني) بقية الاهالي ومثلهم بقية سكان البوادي والقرى في الجزيرة

يلبسون

يلبسون جلود الغنم بصوفها فالصوف مما يلى البدن والجلد من أعلى وهيئة اللبس هى
صدرية ومنتان وسراويل نحو السراويل التونسية لكن يجعلون على الساق ألبسة
مربوطة والنعال خشنة ذات مسامير كبيرة وعلى رؤسهم عرارق من الصوف أوقلانس من
الصوف المنسوج طوال مدلاة على أكتافهم والنسوة يلبسن قريبا من نسوة أوربا
لكن على شكل غير نضر وفى أرجل أغلبهن قباقب من خشب ولغتهم طليانية والغالب
هو عدم التمدن والاكل رخيص هنالك فالقهوة لثلاثة منا طلب صاحبها منا ستة صولدى
والفرنك به عشرون صولدى كل صولدى خمسة سانتيم ثم ركبنا باخرة أخرى وهى
التى توصلنا الى نابلى بعد ان أحسنا الى خدمة الطبقة التى كنا فيها وذلك من اللوازم
فى البواخر وكذلك الاحسان لخادمى المطاعم والقهاوى ومقدار الاحسان نحو خمسة
فى المائة مما يدفعه الدافع فان كان أقل نوزع فى ذلك وان زاد شكر ونقلنا رحالنا الى
الثانية فاقلعت قرب الغروب وتوجهنا الى نابلى فلم تزل الباخرة سائرة والبحر ساكن
الى أن خرجنا من الجون والتفتت الباخرة متوجهة الى الشرق وأرخى الظلام سدوله
فنمنا فى مضاجعنا الى الصباح فاستفقنا بكرة وحيث كان البحر فى سكون كان يستطيع
الانسان أداء جميع ضرورياته والوضوء والصلاة على أكمل حال وبعد شروق الشمس
أول ما اكتشفنا قرب نابلى جزيرة اسكا وبها جبل مرتفع وهى تحتوى على قرى كثيرة
ولها منظر جميل من بعد لارتفاع مبانيها وتزويقها من خارج ثم ظهر بركان نابلى
وهو جبل مرتفع متصاعد من قنته دخان ثم وصلنا الى مرسى نابلى والبلد فى سفح الجبل
وهى أكبر مدن ايطاليا وكانت تخت الملك النابلطان وسكانها نحو ثمانمائة ألف نسمة
وهى محيطة بجون فى البحر على شكل هلال والمرسى فى الوسط وهى مرسى صناعية
أكبر من مرسى كالارى غير أن السفن فى وقت وصولنا اليها أقل من الاولى فتعرض لنا
عند ارساء الباخرة أحد المعارف فى زورق لانه بلغه خبر قدومنا بسلك الاشارة من كالارى
فاصطحبنا جميعا ومررنا بوسط الكمرك ونظر المكلفون به رحالنا فلم يجدوا به شيأ يؤدى
الكمرك سوى شئ من النشوق وماء الزهر فاخذوا ما عليهما من الضريبة ثم ركبنا
بكروستين من الكراريس الموجودة فى بطحاء الكمرك مهيآت لمن يريد الركوب
وهى كراريس نظيفة أغلبها يركب راكبين فقط من النوع الذى ينخ سقفه الى خلف
ومثلها موجود فى أغلب الجهات الكثيرة العمران من البلاد وتجرها الخيل وأما عجلات
حمل الاثقال فتجرها الخيل والبغال والبقر وهكذا فى غيرها من البلدان غير ان البقر

لا تستعمل فى الجر فى أعالى ايطاليا وفرانسا ثم نزلنا باحد منازل المسافرين بعد أن رد نا فيه بيوتا على نحو ما يليق بنا وهو منزل كبير ذو خمس طبقات له شبابيك تفتح على نهج واسع يسمى طريق البوسطة وله شبابيك على بطحاء واسعة بها فوارتان للماء العذب المجلوب من الجبل الموزع على البلد وعلى ديارها وسائر ساكنها وكان الكراء لاربعتنا فى اليوم للسكنى والاكل خمسة وعشرين فرنكا سواء أكلنا أم لا وما زاد على ذلك مما يطلبه الانسان يؤتى به اليه لكنه يحسب عليه بثمنه كالورق للكتابة والشمع وغير ذلك بحيث انه كلما يطلبه يجده وانما ينبغى للانسان أن يساوم مدير المنزل قبل الاتيان بالشئ المطلوب والا فانه يحمل عليه باسعار باهظة وأما الاشياء الضرورية فهى داخلة فى اجرة السكن والاكل وهى ان يجد الانسان بيتا ذا فراش للنوم بغطائه ولوازمه وكراسى مكسوة بالحرير ونحزنة وعليها مرآة وساعة وسائر الضروريات ومصباح وشمعة ومائدة لوضع الكتب وآلات الكتابة ومناديل للتنشيف من الماء عند الغسل وهكذا سائر الضروريات الا أبريق للمستراح فينبغى حمله الى جميع جهات أوربا اذ لا يوجد عندهم وليسوا متعودين عليه وهو من العادات اللازمة للسيرة الاسلامية والنظافة كما انهم فى أوربا لا يغسلون أيديهم بعد الاكل أما قبله فمن آدابهم أن يغسل الانسان يديه ووجهه فى بيته ويأتى بيت الطعام بثياب نظيفة غير أن من أراد غسل فمه وأصابعه بعد الاكل فله أن يطلب من الخادم فى بيت الطعام أن يأتيه بما يغسل به فيأتيه بصحن فيه قدح من الزجاج أو الخزف وفيه كاس به ماء حار قليلا مخلوط بشئ من روائح الطيب فيتمضمض به ويمج الماء فى القدح ويدخل أصابعه فى الكاس ويمسح بها شفتيه ثم يتمسح فى منديل ثم ان بيت السكنى مفروش بالزرابى وعلى أبوابه أردية رفيعة وهو فى غاية النظافة وله خادم لتنظيف البيت وتهيئة الفرش وعند الاستيقاظ يدعو الساكن الخادم فيأتيه بالقهوة وما يتفق عليه من الاكل صباحا ثم ينظف الخادم البيت ويغير المناديل واردية الفراش ان كان بها أدنى وسخ وعند الظهر أو قبله بساعة يضرب جرس للتهيئ للاكل ثم بعد خمسة عشرة دقيقة يضرب الجرس مرة اخرى لحضور الساكنين من بيوتهم الى بيت الطعام وهو بيت متسع فيه مائدة كبيرة أو أزيد يجلس عليها الحاضرون فوق كراسى ويفرق عليهم الاكل سواء والاغلب أن يكون أربعة أنواع أو خمسة من اللحوم والطيور والسمك ثم نوع من الجبن ثم فاكهة ثم ينصرفون ومن أراد الاكل فى بيته فله ذلك غير أنه يحسب عليه بزيادة فى الثمن أو يعطى أقل من ألوان

المائدة

المائدة العامة وكذلك وقت العشاء وهو فى الاغلب بعد الفطور بسبع ساعات ولما كان المسافر يريد التفرج فالاولى أن لا يكترى المنزل الا للسكنى وأما الاكل فيحصل له بسوم خاص لكل أكلة ان حضر أكل والا فلا يحسب عليه شئ لكى لا يلزمه الحضور والاكل فى محل واحد أو انه يخصم ثمن الاكل باعطاء ثمن الاكل فى منزل السكنى ثم فى المكان الذى يأكل به واذا خرج المسافر يقفل بيته و يعطى مفتاحه لصاحب الباب لكى يكون رحله فى أمن اذ يعترى السرقة فى البيوت أحيانا سيما فى نابلى ولا يطالب صاحب المنزل بما يسرق الا اذا كانت الاشياء المسروقة ضرورياً وضعها فى البيت كالصندوق وأما المال والمصوغ وشبهه فلا ولذلك ينبغى ان له شئ من ذلك ان يحمله معه أو يضعه فى أحد البنوك لان وضعه عند صاحب المنزل مخطر وان أخذ منه حجة فى ذلك اذ يحتمل افلاسه فتذهب الامانة سدى ولذلك يكون الاوفق للمسافر أن يحمل معه من المال العين شيأ قليلا و بقية ماله يصرفه بتذاكر بانكات معتبرة كبنك فرانسا أو انكلترة و يحملها معه اينما ذهب لخفتها و يستريح ومهما أراده من المال يصرف تذكرة من تلك التذاكر عند أى صراف أراد بل ربما ربح فيها خصوص تذاكر البنك الفرانساوى والانكليزى يرغب فيها أزيد من المال العين ولذلك يؤخذ عليها نصف فى المائة زيادة عن قيمتها بخلاف تذاكر بنوك ايطاليا أو غيرها فانها لا تصرف فى غيرها لكنها وفى ذات مملكتها تعطى الصرف أقل من قيمتها فمثلا التذكرة المسمى بها مائة فرنك من بنك ايطاليا اذا أردت أن تدفع المال وتأخذها فانك تعطى مائة فرنك عينا وتأخذ مائة وثلاثة عشر ورقا وهاته الاوراق هى التى بها الرواج فى ايطاليا بحيث انها هى المعنية عند الاطلاق وفى ايطاليا عدة بنوك لها تذاكر من ذلك النوع فاما تذاكر بنك الدولة فانها تروج فى جميع ايطاليا سواء وأما تذاكر بنوك صيارفة أخر فلا تروج الا فى خصوص البلدان التى فيها البنك فمثلا تذاكر بنك نابلى لا تصرف فى رومة أو غيرها من مدن ايطاليا فضلا عن غيرها فينبغى لمن سافر أن يتنبه لهذا وقد أقمنا بنابلى ثمانية أيام وتفرجنا على أغلب جهاتها وغرائبها وأشهر طرقها الحسنة البهيجة هو طريق توليدو وهو متسع عامر عيناً وشمالا بالقصور الشاهقة وبأسفلها الحوانيت للبضائع والتحف الانيقة ويقرب منه فى المنظر طريق الموسطه وطريق الدوموثم طريق جديد يسمى فوريدو وهو أوسع من غيره وأنزه وعلى حافتيه الاشجار لكن القصور التى حوله لم يكمل انتظامها اذ ذاك وهو فى الجهة العليا من البلاد وبها عدة بطحاآت أشهرها وأكبرها التى أمام قصر

الملك ويحيط بها قهاوى ومحلات للأكل ومن المبانى الشهيرة التى رأيتها فيها قصر الملك الذى فى البلاد وهو قرب شاطئ البحر وأمامه من جهة البحر حصون وأسفله من تلك الجهة مسكن للعسكر وعلى سطحه بستان متسع ذو أشجار ونوابع مياه تطل عليه شبابيك القصر والقصر ذو أربعة طبقات والمعد منها لسكن الملك هى الطبقة الثانية وهو قصر ضخم متقن البناء والتحسين والتزويق يشتمل على كنيسة وعلى ملهى خصوصى للعائلة الملكية ويشتمل أيضا على جميع الاثاث والادوات المحتاج اليها فى السكنى من فرش وأوانى طعام على أنواع حتى من الفضة بحيث انه منتظم كان الملك ساكن فيه والحال أنه لا يأتيه الا أحيانا فى بعض أوقات التنزه أو تفقد المملكة لان مقر الحكومة مدينة رومة لكن لما كانت نابلى سابقا قاعدة مملكة النابلطان وكانت ملوكها مستبدين أشادوا اماشاه وافى قصورهم وبقى التحفظ عليها على ما كانت عليه ولها خدمة ومكلفون حتى ان الملك اذا قدم الى هنالك لا يستحق لجلب شئ معه سوى ملبوسه ويمكن له عقد الولائم الحافلة هنالك كأحسن ما تصنعه الملوك وهكذا فى كل بلد كانت قاعدة الملك فى ايطاليا وبلصق هذا القصر الملهى الكبير المسمى بصان كارلو وله منفذ من القصر الملوكى وهو من أكبر ملاهى أوروبا وأتقنها ضخامة وتزويقا ويحمل من المتفرجين نحو ألف وخمسمائة متفرج وهو ذو ست طبقات فمنها أربع طبقات كل واحدة تشتمل على احدى واثنين بيتا ومنها طبقتان كل واحدة تشتمل على ثمانية وعشرين بيتا وكل بيت تجلس به أربعة أنفس عدا بيت الملك التى فى صدر الطبقة الثانية مواجهة للعب هذا عدا المحل العمومى فى الوسط الذى به مقاعد عددها ستمائة وثلاثون مقعدا وهذا الملهى لم يفتح اذ ذاك منذ سنتين اقتصادا من الحكومة لانه يلزمها فى كل ليلة افتتاحه ان تعين على مصاريفه بألف وخمسمائة فرنك لان دخل المتفرجين لا يكفى مصاريفه ومما شاهدته أيضا قصر الملك الذى خارج البلد فى رأس الجبل ويسمى كابودى منتانى وهو قصر أصغر من السابق يحيط به بستان أنيق ولم يكن بالقصر فرش سوى بعض بيوته بها فرش عتيقة جدا لملوكهم الاقدمين موضوعة هنالك للتفرج عليها وبقية البيوت بها آثار قديمة من السلاح وأدواته حتى كان منها بيت مملوء بصور أجساد آدميين متدرعين بأنواع شتى من الدروع على حسب اختلاف الزمان ومنها صور فرسان بخيلهم مدرعين ومنها صور بعض ملوكهم والدروع كانت حقيقية مستعملة حقيقة فى الحروب وبعضها به آثار الضرب والطعن

حتى

حتى بالرصاص من المكاحل وبقية بيوت القصر خاوية والجميع بناؤه أنيق ثمين وشاهدت أيضا أكبر كنائسها وهى كنيسة صان جيناروا وهى ضخمة ذات أعمدة من المرمر ومن غريب ما فيها صورة صنم من رخام أبيض عليه ثوب كأنه صفيق بحيث يبدو ما تحته والحال انه نحت من ذلك الرخام وشاهدت أيضا أكبر مارستان لهم وهو ❊ ذو بيوت كبيرة كل واحدة بها نحو المائة فراش كل منها بعيد عن الآخر قدر فراشين وكل فراش لمريض واحد عرضه نحو المتر وطوله نحو المترين وربع وهو على سرير من خشب يحتوى على فراش وعليه ازار ووسادة وغطاء من القطن والمريض لابس القميص وعلى رأسه قلنسوة من نوع القميص والكل من منسوج الكتان الابيض وكل بيت يحتوى على نوع واحد من نوع المرض أو متقارب النوع ولكل بيت خدمة بالاجرة يوفون للمرضى بجميع لوازمهم واعطاء الدواء فى أوقاته حسب اشارة الطبيب وزيادة على ذلك كثيرا ما تأتى نسوة من الاعيان وغيرهم لخدمة المرضى والرأفة بهم حنانا منهم ورغبة فى عمل الخير وللمارستان عدة أطباء منهم من هو ذو وظيفة وله أجر عليها ومنهم من يداوى مجانا اما رغبة فى الخير أو لاتمام تعلمه لفن الطب حتى يأخذ الشهادة ممن له الاجازة على قوانين لهم فى ذلك وللمارستان أيضا بيت أدوية ومواعين الجراحة والدواء وفيه قسم للرجال وآخر للنساء المرضى وهكذا كل مارستان غير ان بعضها يداوى مجانا وبعضها له أماكن لمن يريد التطبب من ذوى اليسار فيعطى مقدارا معينا يوميا والمستشفى يقوم بجميع ما يلزمه ويختارون التداوى فى المستشفيات لانها أتقن من مساكنهم سيما فى التحفظ على ما يتعلق بالدواء واداء الخدمة حقها مع مباشرة مشاهير الاطباء الذين يلزم لاتيانهم لمساكن المرضى مصاريف وافرة ومحلات هؤلاء المستأجرين فى المستشفيات أنقى وأنظف وأبهى من المحلات العامة ويمكن لكل مريض أن يسقى فى بيت خاص به صغير وافق فى الهواء بحيث ان جميع حركات المستشفيات وأوضاعها على مقتضى الحكمة الطبية ثم ان مصاريف المستشفيات على أنواع فمنها ما تقوم به الدولة ومنها ما تقوم به المجالس البلدية ومنها ما يقوم به لجنات من الاهالى وهذا فى كل جهات أوروبا سواء ويقبلون الصدقة ممن يريدها ولو من السواح وشاهدت فيها أيضا الدار التى بها ❊ الآثار العتيقة ومنها الاشياء التى استخرجت من بلدة بونباى التى يأتى خبرها وهاته الآثار لو أراد الكاتب استيفاء ما بها اللازم لها مجلد ضخم اذ هى مشتملة على أنواع وأشكال شتى من أقطار مختلفة فمنها ما جلب من مصر المومى وهى ذات انسان ميت مصبرة على

ما كانت عليه منذ عدة آلاف من السنين لم يتغير منها شئ سوى ان اللون اسود وجوفه
متقوبة لانواج جميع احشائه وبقية حاله على ما كان عليه وفي هاته الدار نحو اربعة
أجسام من ذلك النوع منها النساء ومنها الرجال وذواتهم لا تختلف عن ذوات البشر
الموجود الآن لكن ليس فيهم ذو جسامة ولعل ذلك بسبب ان الميت المصبر انما يكون
عزيز قومه ومثل هؤلاء لا يموتون غالبا الا بالامراض والامراض تضعف الاجسام فلذلك
كانت أجسام المومياءات نحافا والاوان التصبير بحفظ الجسم على ما هو عليه ثم ان ذلك
النوع من التصبير قد جهل ومع كثرة البحث عنه من حكماء الاعصار المتأخرة لم يطلع عليه
فهو من العلوم التي فاز بها المتقدمون ودثرت ومن غرائب ما في هاته الدار ايضا قطع من
ثياب منسوج من مادة حجرية وهذا المعدن يسمى اميانت وهو الآن معروف وموجود
لكن كيفية تقديده حتى يصير مغزولا وينسج منه مجهولة الآن وقد كان في الاعصر
السالفة معلوما ومن فوائد تلك الثياب انها لا تحرق واذا توسخت فغسلها بالنار وهي
ثياب لينة تنطوي غير انها خشينة ومن غرائبها ايضا ما وجد من آثار بونباي وهي أشياء
كثيرة من المأكولات وغيرها فرأيت فيها التمر والقمح والزيتون وغير ذلك مما مضى عليه
ألف سنة او ازيد لم يتغير منه شئ سوى اسوداد في اللون وقالوا ان طعمه ايضا لم يتغير
وسمعت انهم زرعوا حبوبا مما وجدوه كالقمح ونبت واثمر مثل الجديد مما يدل على أن
النوع واحد لم يتغير حاله مع طول الزمن وكل هاته الحبوب موضوعة على ترتيب حسن
الى غير ذلك من الآثار القديمة الموضوعة المنضمة في اماكن محفوظة نظيفة وعليها
قيمون وتفتح يوميا لمن يريد التفرج بأجر زهيد وتسمى هاته الدار موزاي ناسيونال ومما
شاهدته في نابلي دار الفنون المسماة أنيفرسيتادي نابلي وهي يعلم بها فنون الطب
والاحكام والسياسة والتجارة والكيمياء والصيدلة والبناء والفلك والجبر والمقابلة
والهندسة والابعاد وجر الاثقال ولكل فن قسم ومدرسون وبها محل لاجسام
الحيوانات فيه أغلب ما يعرف منها من الانسان الى الذباب من الحشرات حتى الحيوانات
البحرية لكنها كلها ميتة محمولة يوا أي منزوعة اللحم وغيره مع التحفظ على هيئة الجلد
ويحشى الجلد هاء وادوية نباتية ويرسم على هيئة أصل الحيوان حيا وتجعل عيناه من زجاج
فيراه الناظر كأنه حي وفيها من تلك الانواع ما لا يكاد يحصى ويوجد كتاب مطبوع
في البلد مشتمل على تلك الحيوانات مع تراجمها وأغرب ما رأيته من حيواناتها ولم اره
في غيرها عصفور في حجم النحلة ملون الريش وذيله ذو ريشتين فقط طويلتين كل منهما
في

فى طول ما يقرب من الشبر لها الوان جميلة وكذلك رأيت فيها تنين البحر أعظم حجما من الفيل لكنه أقصر منه لان جملة هيئته تقرب من هيئة السلحفاة ورأسه أضخم من رأس الفيل وعيناه واسعتان جدا وفمه مفتوح وجلده منكمش وبجملته له منظر بشع منفر ويوجد فى هذا المحل جسم الانسان على جميع أطواره منذ يتكون مضغة الى ان يصير شيخا فانيا ثم يوجد تشريح اعضائه منفردة سواء كانت ظاهرية أو باطنية ذكورية أو أنوثية وجملة جسمه من المجاميع الاصلية كل منها منفرد عن الآخر فتجد جسما ليس فيه الا العظم فقط على نحو خلقته ثم آخر به العظم والعروق فقط وهكذا غير ان بعض هاته الاجسام هو حقيقى وبعضها صورى من الشمع لكنه متقن التصوير واللون حتى كانه هو الاصل لان اللحم بدون جلد لم يمكن لهم تصبيره فى الهواء وكذلك توجد أجسام المولودين على خلاف المعتاد كمن يكون وجهه فى بطنه وآخر ذو ثلاثة رؤس الى غير ذلك وكلها مصبرة فى زجاجات كبيرة مملوءة بمياه روحية لكى تقى الجسم من التعفن وفى هذا المحل يتعلم فن التشريح الذى هو جزء من الطب وفى هذا المحل أيضا خزنة كتب عظيمة بها مائة وثلاثون ألف مجلد كلها طبع الا النادر بخط اليد وبها كتب عربية كثيرة فمما رأيته فيها مصحف كريم مطبوع بالطبع الحجرى ثم كتاب يسمى الكمال المسيحى للراهب الفونس رودريكوس موضوعه تعاليم ديانتهم وهو فى مجلدين ضخمين ثم مجلد آخر يشتمل على توراتهم واناجيلهم مكتوب بلغات ستة وبخطوطها واللغات هى العربية والعبرانية واليونانية واللاتينية وجارتيانو والسريانية بنوعيها ويوجد بهاته الخزنة الكتبية كورتان محيط دائرة كل منهما نحو ثلاثة ميترو احديهما صورة الفلك وأخرى صورة الارض مرسوم بهما خريطات متقنة مكتوب عليهما بالخط العربى الثلثى الجميل قيل انهما من صنائع علماء الاندلس وبقرب نابلى على مسير نحو عشرين دقيقة فى الرتل بلدة بمباى بهاته البلدة كانت منذ الفين سنة مصرا متمصرة وكان أهلها مولعون بالانكباب على الشهوات وقساوة القلب حتى ان من ألعابهم فى الملاهى والمراسح أن يخرجوا الحيوانات المفترسة ويلقون اليها بالناس الذين يريدون عقابهم فتخطفهم الحيوانات وتمزق أجسامهم شر تمزيق والمتفرجون محدقون فى البيوت المرتفعة المحصنة من وصول تلك الحيوانات اليهم وهم يضحكون فرحين ولم يكن ذلك مقصورا على رجالهم بل حتى النساء اللاتى هن أرق طباعا كن يتهورن وينبسطن من مثل تلك المناظر وتمادى تمرد أهل تلك البلاد على جورهم وقهرهم فأرسل

الله عليهم هيجان جبل القز وفيو الذى هو بركانى وهو بقربهم على نحو ثلاثة أميال
فزلزلت بهم الارض وهم على حين غفلة زلزالا شديدا وهرعوا للفرار الى الفضاء خارج
البلد فأدركهم سيل العرم من النار التى قذفها الجبل فاحمر الافق بعد ان أظلم واحلولك
وطاف عليهم طائف من بحر النار فأهلكها وكل من فيها فى بضع دقائق وتراكمت عليها
المادة السيالة النارية حتى صار مكان البلد وما حولها جبلا وامتد الى البحر وسبحان
الملك القهار وتمادى عليها ذلك الحال وتنوسى أمرها الان الواقعة وقعت عليها قبل
التاريخ المسيحى بقليل وصار سطح أرضها بطول الزمان صالحا للزرع والنبات ففى عشرة
الثمانين والمائتين وألف هجرية كان أحد الزراعين هنالك يحرث فنشب محراثه فى
عروة احدى الاوانى التى كانت فى البلاد فبحث عليها فتراءى له ما ظنه كنزا وتبين انه كنز
رفيع وهو البلد الغابرة فعينت دولة ايطاليا مقدارا من المال سنويا وكلفت مهندسين
بالكشف عن تلك البلاد مع التحفظ على هيئة بنائها وجميع ما يوجد بها ولا زال العمل
مستمرا الى الآن وانما كان السير بطيئا فى العمل لان المادة النارية تحجرت وصارت
صلبة مع الاحتراس من افساد الموجود وتعسر الفرق أولا بين ما كان من البناء وبين
ما التصق به من تلك المادة فأخرجوا من البلاد كلما وجد بها اذا ما كشف عليه وجد
كأنه على حالة أصله فأرباب الصناعات والعملات على الهيئة التى أدركهم عليها الغرق
والحرق والردم معا وكل الاجسام التى وجدت بقيت على حالها عند مس الهواء لها سوى
الاجسام الحيوانية فانها عند مس الهواء لها تضمحل فعمل العاملون حيلة لابقاء صور
الاجسام بان جعلوا كلما تفطنوا لمس آلة الحفر لجسم حيوانى أتوا بالجبس وحلوه فى الماء
ورفعوا ذلك آلة الحفر عن المحل الذى لمسته وأبقوا الهواء يماس الجرم الحيوانى من ثقب
آلة الحفر فيتفتت الجسم فى الهواء ويبقى محله فى المادة النارية خاويا فيصب فيه الجبس
وعند جفافه وانعقاده تكسر المادة النارية عنه وتخرج صورة الجسم على ما كان عليه
ورأيت فى بعضها بقية من فقرات الظهر وعظام الاصابع لم تبل ومما يدل على جراءة أولئك
الاقوام فى ذلك العصر وتجبرهم ان وجدت بعض جثثهم على حالة الوقاع حتى كان منها
جنازة رجل وامرأة متداخلى الارجل لكن الرجل لما أدركه الموت انزعج على قفاه وهو
ناعظ وبقيت المراة على حالتها منكبة على وجهها ومقعية على ركبتيها فانظر الى ذلك
التجبر مع بقية الزلزال ولم يؤثر فى شهوتهم حتى أدركهم الهلاك على شهوتهم وأما أبنية
تلك البلدة فالظاهر ان أغلبها انهدم بالزلزال وما بقى منها قائما منه المتصدع والمنشق

ومنها

ومنها القائم على أصله وهيئة بنائهم يجعلون الحائط ضيقا نحو ذراع فما دون والسقوف ✽
من بناء على هيئة قباب نحو نصف كورة أو أقل تكورا وينظمون تقابل الابواب فاذا
دخلت بابا الى دار من الطريق تجد سقيفة مربعة ثم بابا الى وسط الدار وفيه أربعة أبواب
الى كل بيت واحدى البيوت وراءها جنينة وبركة ماء واسرة النوم من بناء كالدكاكين
وجهة الوسادة بناء مرتفع يسيرا على سطح السرير ولا تختلف دور الاغنياء عن غيرهم الا
بالكبر والصغر ولكل بيت طواقى الى وسط الدار وكل الطواقى والابواب متقابلة
والحمام الذى رأيته فى البلاد هو على نحو الحمامات المعروفة الآن فى البلاد الاسلامية
وفيه تصاوير على الجدران بالالوان مثل الحمامات بتونس والمغرب ورأيت محل الحكومة
وتحته السجن وعند مجلس الحاكم عند رجليه طاقة يطل منها على المسجونين أسفله
والسجن مظلم لا يتخلله الهواء ولا الضوء الا من تلك الطاقة ورأيت الملهى فاذا هو على نحو
الملاهى الاروباوية غير ان مربع اللعب هو وسط الدائرة وهو أسفل مكان المتفرجين
والطرق كلها مبلطة بالحجارة الصلبة المنحوتة ومنقسمة على ثلاثة انحاء فوسط الطريق
منخفض عن جانبيه لمرور العجلات ومفروض لها على جانبيه سكة لمرور ذات العجلة فيها
وعن اليمين والشمال محل مرور الماشين وجميع عرض الطريق نحو ثلاثة ميتر وفى محل
مرور العجلات يقسم وسط الطريق بحجارة منحوتة مرتفعة على سطح الطريق بحيث تراها
نابتة على طول الطريق وجميع الطرق مستقيمة لا اعوجاج فيها وتتلاقى على زوايا حادة
غير ان كل طريق لما كانت لا تمر فيها الا عجلة واحدة حسبما هو مفروض للعجلات فيلزم
بالضرورة ان تكون كل طريق لا تمر فيها العجلة الا لجهة واحدة كى لا تتلاقى
وفى محل الادارة لكشف تلك البلاد محل لوضع الاشياء المستخرجة ثم تنقل من هناك الى
نابلى وتوضع فى محل الآثار القديمة كأمر والمادة النارية المتصلبة يصنع منها تحف كثيرة
فى نابلى وفيها سوق نافقة وجميع الاماكن المعدة للتفرج اما أن يدخلها الانسان
بأجر قليل أو تكون له تذكرة الدخول من الدولة والحصول عليها سهل بواسطة أحد
الاعيان أو نواب الدول وقد أعطانا تذاكر الدخول قنسل الترك وقد اجتمعت فى نابلى
بأكبر حكمائها وهما توماسى وكنتانى وكان الثانى يعظم الاول جدا لكبر سنه حيث
أنه بلغ نحو الثمانين ولمشيخته عليه وكانت أجرة كل منهما فى كل زيارة ستون فرنكا
وبقيت فى نابلى ثمانية أيام وكان المسافر فيها يقدر أن يقيم كل يوم متوسط المعيشة
باربعة فرنك يوميا للاكل ويقدر أن يأكل فى المحلات السافلة بنصف فرنك ثمانيا كله

في المحلات العالية بحيرة فرنك في الاكمة الواحدة وقد دعاني هنالك أحد أعيان البلدة
السامرة في داره حيث كان حبيبا الى مصاحبنا من أهل البلد فرأيت كيفية مسامرتهم
ورقصهم وفي آخر يوم من اقامتي بها أعلمت بان الابرة المسماة بالبوصلة اضطربت
علامة على الزلزال ثم ركبنا الرتل بقصد بلد رومة وكان ذلك صباحا ولما وصلنا الى قرية
كزرتا التي هي قريبة بلى مسير نحو ساعتين في الرتل نزلنا هنالك وتغدينا في احدى منازل
المسافرين وأما صناديق حوائجنا فانها ذهبت مع ذلك الرتل الى رومة وتنتظرنا في
الكمرك في محطة الرتل الى ان نقدم الى هنالك ثم ذهبنا الى قصر الملك في بستانه المسمى
بقصر كازرتا فاذا هو أعظم وأتقن قصر رأيته من جهة التأنق في مواد بنائه المتخذة
من الاشياء الباقية كالمرمر والرخام والحجارة الضخمة المنحوتة وان كان غيره أشد تأنقا
من جهة صناعات النقش والتذهيب والتزويق وهو مربع الشكل كل جهة منه في
طول مائتين ميترو وأمام الباب بطحاء عظيمة على جانبيها أماكن للعساكر فاذا دخلت
من الباب تجد القصر منقسما الى أربعة أقسام وكل قسم في زاوية يشتمل على بطحاء
وله مطالع الى القصر والمطلع الكبير المعد للوقت الرسمي يشتمل على مائة واحدى عشرة
درجة من المرمر المورد اللون كل واحدة في قطعة واحدة الا قليلا منها في قطعتين طول
كل درجة ثلاثون قدما وعرضها قدمان وارتفاعها ستة أصابع وبعد ثلث الدرج منفرد
فاذا انتهت الى نصفها رجعت الى قسمين يمينا وشمالا وينتهيان الى ايوان عظيم مرفوع
سقفه على ستة عشرة اسطوانة من المرمر المزرزر كل في قطعة واحدة ارتفاع الواحدة نحو
عشرة أذرع ومحيطها لا يستطيع الانسان الكامل الاحاطة به بذراعيه ومنه يدخل الى
البيوت الفخام المتنافية في أنواع السقوف وكسوة الحيطان والارض بانواع من المرمر أو
الطلي أو الموزاييكو أي القطع الصغيرة من المرمر كل قطعة نحو الانملة من لون مرصفة على
أشكال بديعة أو من المنسوجات الصوفية أو الحريرية من المصانع الشهيرة في العالم
ويحتوي القصر على كنيسة وهو ذو ثلاث طبقات وقد تم منه بالبناء والادوات داخلا
وخارجا ثلثه والثلثان لم يتم منهما الا بناء الحيطان والسقوف وبقيا خاليين من الادوات
وليس في القصر شيء من الفرش ويحيط به بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها وفي
منتهاه جبل تنحدر منه عين ماء عظيمة محمولة على نحو شلالة لانحدارها تشاهد وي واذا
قابله الداخل من باب البستان جهة القصر يظهر له من بعد كانه منارة متصاعدة في الجو من
الزجاج الابيض ثم ينشأ من ذلك الماء نهر وبحيرات بها كثير من الطيور المائية وأنواع
السمك

السمك ويحتوى البستان على مماشى وغياض منقشة ذات أنوار وأزهار كما يحتوى على آجام وغابات وحيوانات للصيد ثم ركبنا قرب الغروب من هناك الرتل وسرنا نحو احدى عشرة ساعة وليس هناك من العمران مثل ما يأتى ذكره بل أكثر الاراضى معطلة والجبال لا منظر جميل بها وانما توجد القرى وما حولها معمورا نسبيا وكانت القرى تبعد عن بعضها فى أكثر الاحوال سير نصف ساعة فى الرتل فوصلنا بلدة رومة التى هى تخت *
المملكة بعد نصف الليل وفتشوا فى الكمرك رحلنا أيضا مع انا قادمون من احدى بلادهم وذلك لان لكل بلد اداء على ما يدخل اليها لمصالحها الخاصة زيادة على ما تأخذه الدولة من الكمرك العمومى ونزلنا فى احدى منازل المسافرين وأخذنا اليه صناديقنا التى وجدناها فى الكمرك غير انا وجدنا قد سرق منها برنس ووقع الخلاف بين مستخدمى المحطات فيمن سرقه فجماعة رومة يتهمون جماعة نابلى وهم يتهمون الآخرين والحاصل ان البرنس ضاع وسببه هو خروج طرف منه من غطاء الصندوق فامكن للسارق جذبه ثم أقمنا برومة ستة أيام واجتمعت بأشهر أطبائها وهو الحكيم باشلى الذى هو أحد اعضاء مجلس النواب واجمال صفة هاته البلدة انها بلدة وسيعة سكانها نحو ثلاثمائة ألف نسمة ولهم حضارة على أهالى نابلى وطرقها كلها مبلطة نظيفة أما الطرق الخارجة عن البلد فهى وان كانت صناعية غير انه يسابها الطين بكثرة وان لم يعطل العجلات وأحسن ما يقصد بالتفرج عليه فى رومة هو كنيستها الكبرى المسماة بسان باولو التى هى أشهر مبانى العالم فى ارتفاع قبتها وضخامة بنائها وهى مستطيلة الشكل ذات قباب كثيرة وسطها هى أعلاها وحيطانها مكسوة بقطع من المرمر منه الخلقى ومنه الصناعى كل قطعة فى طول نحو عشرة أذرع وعرض نحو خمسة أذرع وبعض الحيطان مكسو بقطع من الموزايك ومتقنة التصوير والقباب كلها مكسوة بذلك أيضا والقباب مرفوعة على اسطوانات من المرمر الخلقى وبعضها صناعى وليست مستوية السمك وبعضها فى قامتين أو ثلاثة ومحيط كل واحدة من الخلقية أربعة عشر شبرا وقواعد القباب مبنية بناء ضخما جدا بحيث ان هاته الكنيسة قد أفردت بتأليف خاص من احد حذاقهم لما اشتملت عليه من اتقان البناء وضخامته وبلصقها قصر البابا ويسمى الفاتيكان وهو أكبر القصور الملكية يحتوى على اثنى عشر الف بيت وبه خزانة كتب رفيعة هى احسن خزائن ايطاليا وبها كتب كثيرة باللاطينى منها العتيق ومنها نسخة من الانجيل باللغة العبرية العربية مكتوبة قبل البعثة بنحو مائتين سنة وفيها

نص الآية القرآنية حكاية لقول عيسى عليه السلام وهي قوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وقد اطلع على تلك النسخة أحد الانكليزيين في هذا القصر ورويت ذلك عن ثقة روى عنه وذلك القصر فيه من غرائب المصنوعات والذخائر الثمينة شيء كثير حيث كانت تجبى الى البابا جميع النصارى الكاثوليك وملوكهم من ممالكهم تقربا اليه لملكه الروحاني زيادة عن الملك الجسماني الذي كان له في مملكة رومة وقد زال ذلك باتحاد ايطاليا وآخر بابا كان جامعا بين الملكين هو بيو التاسع وهو الموجود حين مررنا على رومة لكنه منذ افتك منه الملك الحسي بقي منعكفا في قصره وله التصرف في الديانة فقط على سائر الكاثوليك في جميع الممالك سواء وأبقت له دولة ايطاليا جميع ما في قصره وما في الكنيسة من الذخائر واستولت على كل ما عدا ذلك وبعد أن تفرجنا في الكنيسة الكبرى سألنا هل يمكن التفرج في قصر البابا فاجبنا بان ذلك اليوم لا يتيسر بل نعود بعد أيام وكان ذلك بعد استئذان البابا ومن غد اجتمعنا بالمطران درعوني الذي هو من نصارى الشام وله دير في أعالي رومة ومعه كثير من نصارى الشام المتقسسين وهو ذو أخلاق لطيفة فصيح بالعربية وكذلك من حوله وسبب الاجتماع به انه ساكن حذو كنيسة متقنة الشكل والبناء مما يقصد بالتفرج عليه فحصلت المعرفة معه من هناك وكان مما ذكر لنا ان البابا يريد الاجتماع بنا عند الدخول الى قصره وانه كلفه بالحضور وان يكون ترجمانا عنه فاعتذرنا اليه بأننا على سفر ولا يتيسر التأخير لذلك فلم ندخل القصر ولا اجتمعنا بصاحبه اذ لا ملجئ الى تعظيمه مع ان الداخل عليه يلزمه تعظيمه كتعظيم الملوك بل ملوكهم يؤدون اليه مزيد التعظيم كأنه هو مالكهم ولا داعي لذلك الأمر ديني وديانتنا الاسلامية تمنع التعظيم الذي يكون مسببا عن ذلك واعلم انه منذ استولت دولة الصاردو على جميع ممالك ايطاليا واجرت الحرية حتى في الديانات فالداخل للكنائس لا يلزمه تعظيم شعائرها كما كان من قبل بل لا يفعل شيأ يخالف ديانته فكأنه يتفرج في قصر من القصور كما انه ليس له أن يفعل شيأ من الاهانات وحيث ان المسلم يدخل اليهم بامان فليس له التعرض لاذايتهم كما انه ليس له خيانتهم ثم ان أمام كل من قصر البابا والكنيسة الكبرى بطحاء عظيمة وسيعة جدا وبها عدة فوارات واشجار وفوانيس وهكذا كل بلاد تشعل بالفوانيس ليلا ويشق بلد رومة نهر يحمل القوارب واذا طمى ربما اضر بالمجاورين وهو آت من جهة الشمال ذاهب بجهة الجنوب وخارج البلدة الآن الكنيسة القديمة وهي الآن خراب وانما

يوجد

يوجد منها أساسها والطلال من جدرانها وقد علت الارض عليها كثيرا فكشف عنها
وبقيت عبرة للناظرين وهي أوسع من الكنيسة الموجودة الآن الكبرى كما يوجد
بقربها ما هي قديم مثلها في الخراب على نحو ما سبق في صفة مدينة بونباي وقيل انه دار
الندوة اذ ذاك وهو كبير جدا وفي رومة أيضا منتزه عمومي في الجبل ذو مماشي وحدائق
وفورات في أعلى الجبل وهو نزه أما غيرها ذكر فليس في رومة معامل أو اماكن تقصد
للتفرج سوى ما هو خارجها من آثار بنا آت الرومان في القديم وفيها ملاهي كثيرة متقنة
اللعب لشهرة الطليانيين بذلك على غيرهم ودور الاهالي غالبا ليست بمتقنة النظافة
وأسعارها في السكنى والمأكل وغيرهما غالية بالنسبة لبقية ايطاليا وهواء رومة وخم
بسبب أن المرج التي قربها يركد فيها الماء لانخفاضها عما يحول بينها وبين البحر كما أن
الكنائس بها كثيرة ولكل جرس فاذا دق جرس الكنيسة الكبرى دقت الاجراس
من جميع الجهات وصار لها دوي يقلق الساكن ويقرب من ذلك نابلي أيضا ثم انا
قدمنا الى مجلس النواب الذي كان اذ ذاك مفتوحا وهو يشتمل على خمسمائة عضو
فاذا هم أناس يتدبرون في أمرهم ويتشاورون فيه بغاية الاطلاق وصادف في حضورنا
البحث في نازلة مالية وهي أن وزير المال عرض على المجلس أن دخل الدولة غير واف
بمصاريفها ولتعديل ذلك تلزم الزيادة في الدخل وقدرت الدولة ان الانسب في الزيادة
هو زيادة الضريبة على السلاح فوقع نزاع في أصل الزيادة وكان أشد المضادين نواب
جزيرة سيسيليا الى أن قال أحدهم انك أيها الوزير لا تفكر الا في الزيادة في الدخل
بوضع الضرائب على السكان الذين أفقرتموهم لكي تأخذ أنت المرتبات الوافرة من دمائنا
وكذا اذا لم نقل بصرفك الاموال في شهواتك ومخفياتك فنهره رئيس المجلس وألزمه
الادب في الكلام فعاد الى كلامه وقال نعم يأخذون خفية ويحملوننا ما لا نطيق في
اغراضهم وشهواتهم فاسكته الرئيس وأطال عليه اللوم والنكير بعبارات شديدة حتى
وسمه بالوحشية وأنه يضطر الى اسكاته أو اخراجه من المجلس ان لم يلتزم آداب البحث فضج
حزب المتعرض وقالوا ليس لكم منعنا من الدفاع عن حقوقنا وما أتينا الى هذا الا لحفظ
حقوق الامة من التلاعب بها فاجابهم الرئيس بان الحقوق يتوصل اليها مع سلوك الادب
فانقادوا اليه وطال النزاع في النازلة وأبقيت للمفاوضة يوما آخر وكان مكاتبو الصحف
جالسين يحصون جميع ما يقال وما يقع حتى كتبوا نفس حضورنا لانا كنا بلباسنا
التونسي وذلك أوجب التفات الانظار الينا في أي مكان قصدناه حتى ان بعض البلدان

التى ليس لاهاليها تهذيب تام كان يزدحم علينا فى الطريق العوام الى أن يوقفونا
بازدحامهم واكثر ذلك فى أهالى نابلى الى أن التزمت فيها أن لا اخرج فى الطريق
الا راكبا فى عجلة وذلك لعدم تعودهم على رؤية مثل لباسنا

* وصفة هيئة مجلس النواب هو بيت كبير جدا يميل الى الطول أكثر من التربيع وسقفه قبة مرتفعة شاهقة مزوق فى
جدرانه وسقفه وأرضه وفى وسط صدره عرضا سدة ارتفاعها نحو متر وعلى الارض
وفوقها كرسى وامامه مائدة ويصعد الى ذلك المحل بدرج يمينا وشمالا وهذا محل جلوس
الرئيس وحوله كتبة وكراسيهم وموائدهم على الارض وبقربهم فى وسط البيت كراسى
الوزراء وفى وسط البيت كراسى أربعة كتاب مخصوصين بمعرفة كتابة سريعة يتناوبون
اثنين بعد اثنين فى كتابة كل ما يلفظ به متكلم فى المجلس وبقرب الرئيس منبر مرتفع قليلا
يصعده خطباؤهم على التناوب بعد الاذن لهم من الرئيس يتكلمون فى مصالحهم ثم
كراسى منصوبة صفوفا صفا وراء صف على نحو دائرة مستطيلة ينتهى طرفاها حول
الرئيس فالصف الاول كراسيه على الارض والصف الذى وراءه كراسيه على سدة من
خشب أعلى من الذى امامه بدرجة من خشب ثم الذى وراءه أعلى منه وهكذا الى نهاية
الصفوف والدرج التى يصعد منها الى الكراسى مقسمة لتلك الدائرة وكل قسم من
الكراسى امامه مائدة مستطيلة وفيها لكل كرسى محبر ودواة وأقلام لما يحتاجه صاحب
الكرسى وكل كرسى عليه عدد مخصوص مرسوم عليه بلون مخالف للون الكرسى وفى
أعلى البيت محيطا به من جهاته الا الجهة التى بها الرئيس رواقات يجلس بها المتفرجون
ولصاحب الملك بيت بازاء محل المتفرجين يأتيه اذا أراد كما له كرسى فى المجلس واما وظيفة
المجلس فسيأتى الكلام عليها

* ثم رحلنا من رومة وقصدنا ليفورنو راكبين الرتل فاذا
بقرب رومة آجام راكدة فيها المياه وفيها من البقر شئ كثير مسرح هنالك للاهالى
بدون حراس مخصوصين لكل أحد بل على المكان قيمون يؤتى اليهم بالبقر ويستودع
هنالك الى وقت احتياج أصحابه ومنه ما لا مالك له فيتناسل هنالك وتبيع منه الدولة
لمن أراد الشراء ومررنا فى سيرنا على مرسى بيشى تافيكيا التى هى أقرب مرسى طليانية الى
رومة قاعدة المملكة وفى آمال مهندسيهم ان يفتحوا خليجا من تلك الجهات من البحر
ليصل الى حدود بلد رومة لان الارض هنالك منخفضة وبه ينصلح الهواء من تعفن
المروج التى يركد فيها الماء واستمر الرتل سائرا بقرب الشاطئ الى ان وصلنا الى ليفورنو
فى الساعة الثالثة قبل نصف الليل بعد مسير احدى عشرة ساعة وقد توقف الرتل فى

المسير عندما وصلنا الى جسر على أحد الانهر حيث ان فيضان النهر هدم الجسر فنزلنا من الرتل وعبرنا النهر مشاة على أخشاب ضيقة والحال أن النهر عريض والوقت ليل والمطر نازل ثم ركبنا رتلا آخر مهيأ في الناحية الاخرى من النهر الى أن وصلنا الى ليفورنو فاذا هي بلدة واسعة الطرق نظيفتها متقنة التحصيب والتبليط بحجارة منحوتة مستوية وبها قليل من البطحاآت الوسيعة أشهرها ما تسمى بياص دي كافورو كافور هذا وزير ايطاليا الذي جد في وحدتها الاخيرة فرسم تمثاله بتلك البطحاء وسميت به وكذلك البطحاء الكبيرة ويخترقها خندق به ماء البحر وعليه جسور وهذا الخندق كاد ان يكون مخترقا لجميع جهات البلد وذلك لفائدتين الاولى هي ان البلد أرضها سبخة ندية فذلك الخندق تنجذب اليه المياه مما حوله و يحصل جفاف الارض وما أخرج من ترابه الكثير علت به أرض البلاد والثاني أن البلد كانت من أهم مراسي التجارة لاعفائها من الاداء ترغيبا في عمرانها فتكثر فيها السلع وتحمل في القوارب وتسير في تلك الخنادق من السفن الى المخازن اذ ماء البحر بالخندق عميق وبخارجها على الشاطئ منتزه عمومي ممتد نحو ميلين به حدائق الاشجار والانوار ومغاطس من البناء أو الخشب على البحر وقهاوي وملاهي تقصدها الناس زمن الصيف من أهالي البلد وغيرهم والطريق للمارة وسيع جدا وعلى حده قصور شاهقة ذات منظر جميل امامها الطريق ودونها الحدائق ومن ورائها القهاوي والملاعب والمغاطس ومن ورائها البحر وهي في الصيف ليلا ونهارا منتزه مريح و يسمى ذلك المكان البساجاتا وبرت ماري وفي البلد خزنة للماء مسقوفة ببناء ضخم شديدة النظافة حتى يرى الرائي في قعر الماء مع عمقه كتابة على الحجر بينة والماء في غاية الصفاء مع اتساع الخزنة ومحل استقرار الماء منقسم على عدة أقسام فيدخل الماء المجلوب من عين غزيرة الى أحد الاقسام الى أن يمتلئ ثم يخرج منه من أسفل الى قسم آخر ثم منه من أعلى الى قسم آخر وهكذا بحيث ان كل قسم يكون مملوأ ولا يخرج منه الا بقدر ما دخل فيه لتصفية الماء وترويقه حتى لا يخرج الى عموم البلد الا بعد انتهاء ترويقه وهاته البلدة موقعها على البحر وهو غربيها وهي من المراسي الشهيرة للتجارة والحرب وقد بني بها ميناء ما منا السفن ذات حوضين قيل أنفق عليها مائة وعشرون مليونا فرنكا وبها مرفي للسفن ولانشائها ولما وصلنا الى البلد وجدنا الوزير حسين الذي قصدنا البلد لاجله غائبا في فرينسا فمتنا بدار سكناه حيث كان تابعه هنالك ثم وادعت صديقي الشيخ سالم أبو حاجب حيث كانت مأموريته هنالك وركبت بكري ليلة وصولنا

قاصدا الوزير المذكور فى بلد فيرينسا وابقيت غالب رحلى وأحد تابعى هنالك لاحتمال العود فسرنا فى الرتل ثلاث ساعات وكان حول ليفورنو بعض غياض ليست حسنة جدا

ومررنا على بلد بيزة مناخ علم الطب سابقا فاذا هى من مدن ايطاليا الشهيرة ويخترقها نهر وحوله منارة وقد انفردت هاته البلدة بشيئين أولهما أغرب شئ من مبانى العالم وهو الصومعة الوحيدة المائلة فان هاته الصومعة يراها الناظر مائلة ميلا كليا الى جهة الجنوب حتى يخالها انها ساقطة لا محالة وهى ليست بمرتفعة جدا وبناؤها من حجارة منقوشة ومرمر ودرجها كل فى قطعة واحدة من المرمر وهى فى وسط بطحاء قرب كنيسة واسفل قاعدتها مائل أيضا غائر فى الارض من جهة الميلان ومرتفع من مقابله وقد اختلف النقل فى سبب ميلانها فقيل انها بنيت كذلك وهو من مهارة صناعها ومعرفتهم بفن الاتقان وقيل انها بعدما بنيت انخفضت بها الارض من احدى جهاتها فمالت وعلى كل فسبب عدم سقوطها هو عدم خروج قطر محيطها بالميلان عن مركز قطبها والحاصل انها من عجائب المناظر وقيل ان ميلان أعلاها عن مساواة أسفلها أربع ميترات ومثلها فى الميلان صومعة أخرى خارج البلد جهة الشرق لكنها ليست فى اتقان الاولى ولا فى ارتفاعها وقد بنى حولها بناء ملاصق لها لتوقع سقوطها وبقى أثر الميلان ظاهرا وثانى الشيئين الغريبين الكنيسة وهى ليست بكبيرة ولكنها كثيرة التأنق والرونق سيما من ظاهرها وزيادة غرابتها فى الصدى الذى يحصل فيها من الاصوات اذ يدوم فيها الصدى ويعتلى على وجه خارق للمعتاد والسبب فيه شكل البنا وطلى الحيطان وبعد أن جاوزنا بيزة بدلت الارض غير الارض التى عهدنا منظرها فى بلادنا وما مررنا عليه من كيفية العمران واتصاله واتقانه ولا يوفى الوصف والقلم بتصويره وتقريبه وبالجملة فليس ان كل قطعة من العمران لم نعهدها بل عهدنا مثلها ولنا قطع تضاهى أفراد تلك القطع سواء كانت فى البساتين أو فى القصور التى بها أو فى اثارة الارض وتعميرها لكن الذى لم يعهد لنا هو اتصال ذلك العمران وامتداده وتماثله الى ما لا يحيط به البصر مع تحسين جهات الاتصال العامة فانها تحدث من ذلك هيئة اجتماعية لها اعتبار زائد فوق اعتبار قطيعات منفردة وان بلغت من الاتقان ما بلغت

ثم وصلنا الى فيرينسا فاذا موقف الرتل بها جميل انيق واذا بالبلد وسيعة لكن طرقها القديمة ضيقة وأما الجديدة فواسعة شديدة النظافة وتهذيب أخلاق السكان والحضارة ويخترقها نهر على جانبيه رصيف منحوت وفى مجرى الماء

عرضا

عرضاً وارض مبنية بحصر الماء كي يكون عمقه حداً محدوداً ونشأ من ذلك غدير
عظيم له دوى وعلى جانب النهر منتزه عمومي ممتد أزيد من ميل وبه فوارات وحدائق
وأنوار وفي نهاية المنتزه عند ملتقى النهر المذكور بجدول صغير بطحاء ماقبة من رخام صغيرة
بلا حيطان مرفوعة على اسطوانات جيدة رخامية عالية على الارض وبوسطها صورة
مجسمة من الرخام لاحد أمراء الهند الشبان وملونة بلونه ولون ثيابه الرسمي وكان ذلك
الامير سافر الى اوروبا بعد زيارته لملكة الانكليز فتداويا فمات بغير بلاد الاسلام وكان
مجوسياً فأرسلت عائلته مكلفاً انكليزياً برسم صورته في ذلك المحل الذي أحرقت جثته
فيه على عادة المجوس ودفن رماده تحتها وكان من عاداتهم ان مكان الاحراق يكون
في ملتقى نهرين فلذلك فعل به ذلك هنالك وجعل على ذلك المحل قيم ووقف وكان ذلك في
عشرة التسعين والمائتين وألف وفي حدود البلدة من الجنوب منتزه آخر في جبل مرتفع
نزه جداً ذو بساتين وقصور وطرق وسيعة سهلة الصعود بالكراريس وفي منتهى
ارتفاعه بطحاء وسيعة ذات مصاطب ومنازه وبقربها كنيسة قديمة مرصعة الحيطان
من خارج بالرخام الابيض والاسود تقصد بالتفرج وجملة ذلك الجبل منتزه ولما صعدت
الى هنالك أحسست ببرد شديد لارتفاعه وابرد الزمن ومن أحسن ما بالبلد قصر القلارية
الذي به بيت أغلب حيطانه من البلور وهو قصر ضخم وبه من التصاوير المرسومة
في الخرق المنسوجة مع النسج وفي الورق شيء كثير وكذلك المجسدة من الحجر والنحاس
وقال بعضهم أن مجموعها مليون من التصاوير كلها في غاية الاتقان تعتني لها المصورون
من الآفاق لتقليدها وما بها من التصاوير صور الملوك من جميع الآفاق في اعصار
مختلفة ومنها صورة محمد باشا الاول والي تونس ويتصل هذا القصر بقصر سكنى
الملك عند استقراره بالحكومة هنالك وهو قصر كبير ليس بغريب أصله لاحد السكان
فاشترى منه لاستقرار الملك وهو لا زال مشتملاً على جميع المرافق مثل ما تقدم في قصر
نابلي ومن غرائب البلد ارتفاع قبة كنيسة بها مبنية من ظاهرها بالرخام الابيض
والاسود على أتقن صناعة وبها من الاسطوانات الجيدة الملصقة بذلك الرخام ومن
النقش الغريب فيه ما جعلها من أتقن البناآت وارتفاع القبة مائة وسبعة عشر
ميترو وبازائها صومعة جيدة ارتفاعها سبعة وسبعون ميترو وهي في البناء على نحو
الكنيسة وبالجهة الغربية منها صومعة أخرى أعلى منها ومن القبة أيضاً وبالبلدة عدة
ملاهي حسنة وقد اشتد البرد في هاته البلدة بالنسبة لما عندنا وقد أقمت بها ضيفاً

* عند صديق الوزير حسين التونسي وترجمة هذا الوزير باختصار هو رجل من الجراكسة أتى الى تونس وسنه دون العشرة فربي في سراية الوالي حسين باشا وأدخل الى مكتب المهندسين العسكرية فحصل مشاركة جيدة في النحو والادب والفقه ومهارة في الفنون العسكرية واجادة للغة الفرانساوية ثم وظف في عساكر الخيالة بعية أميرلوائها اذذاك خير الدين باشا وسافر معه الى فرانسا في خصام محمود بن عياد في ولاية أحمد باشا ثم ولي رياسة المجلس البلدي بحاضرة تونس وأحدث في الحاضرة اصلاحات عديدة في ولاية محمد باشا ثم عند ولاية الصادق باشا ولي رئاسة مجلس الجنايات ومستشارية الوزارة الكبرى وعضوية المجلس الخاص والمجلس الاكبر ثم استعفى من الجميع عند ايقاف القوانين ورحل الى أوروبا وساح سياحات وسيعة اذ كان قد لا عرف أكثر ممالك أوروبا كالمانيا والدنمرك والسويد وهولاندا والبلجيك وايطاليا وفرانسا وانكلترة والجزائر والاستانة في سفارته منفردا أو مع خير الدين باشا سفيرا عن الوالي المذكور وعند استعفائه المذكور رحل الى المغرب واسبانيا والنمسا والروسيا وأمريكا ومصر والحجاز ثم استدعته الحكومة عند ولاية خير الدين وزيرا مباشرا هو وغيره ممن ابتعدوا عنها فولي مستشارا في القسم الثاني من الوزارة ثم سافر الى ايطاليا لخصام ورثة نسيم في حساب مورثهم مع الحكومة التونسية كما تقدم وأقام بليفورنو حيث مات المورث ولازال في الخصام الى الآن ثم لقب بوزير الاستشارة ومستشار المعارف وهو ذو أخلاق كريمة وصفات عظيمة ومعارف وسيعة وفصاحة مريعة له عدة رسائل في كثير من المسائل وكانت اقامتي عنده في فيريانسا في احدى منازل المسافرين الضخمة قريبا من النهر واجتمعت بأشهر حكماء البلد المسمى شيف وبعد ان استقرأ تقرير المرض واستخبر الجسم أشار الى في مضمون كلامه ان المرض ليس بمخوف كما انه من الامراض المزمنة وانه يدافع بترتيب المعيشة في الاكل والمسكن وارتياح الفكر والبدن والابتعاد من هواء البحر وحسن سكنى الجبال وان كثرة الادوية مضر قليل الجدوى ولقد صدق ثم طلبت تلغرافيا بقية رحلي وتابعي وسافرت قاصدا باريس مارا

* على تورين للاستراحة بها فركبنا الرتل صباحا وسرنا في الوهاد نحو الساعة على ذلك المنظر البديع ثم تصاعدنا في الجبال وكان للرتل حينئذ مزجيتان ومهما ازددنا تقدما في الارتفاع الا وازداد المنظر بهجة ورونقا الى أن انتهينا في الصعود فكان منظرا ترتاح له النفوس ويجلي عن القلوب كل بوس يا له من جمال ويا لله من

بدائع

بدائع صنع تكوينه وبخلقه باعمال الرجال فالقرى البهجة منتشرة على مد الابصار
والاشجار تمد أغصانها لتناول الدرارى من الافلاك تحالها بقايا قد انتثرت
منها من الثمار اذ قد استعوضت عن خضرتها الزبرجدية بالثلوج الياقوتية
والارض والجبال قد بسط عليها بساط الفضة الزلال مع الاتقان فى تنضيد الاشجار
واثارة الارض بالحرث وتدفق المياه من ينابيع العيون وسيول أمياه الثلوج المذابة
المنحدرة فى جداول ثم نهيرات ثم أنهر متفجرة ولا يسير الرتل نصف ساعة الا ويقف على قرية
نضرة وتارة يمر حذور واشن القصور وأخرى حول سطوح الديار وطورا ترى البلدان
تحتك فى أسفل سافلين وهكذا مناظر بديعة مختلفة تتوالى كل لحظة ثلاث ساعات فى
الجبال وعلى الاجمال أن السفر فى جبال أوروبا المتمدنة ذات العمران ليس له من لذة
عندى توازيه سيما مع الركوب فى الرتل فى الطبقة الاولى فى مخدع منفرد للشخص
وأصحابه وعلى الخصوص اذا كان معه صديق يساجله فى سائر المقاصد فان ذلك من نعم
الدنيا الكبرى ومن هنالك حجبت عنا الشمس بكثرة الابخرة المتصاعدة من الجبال
والثلوج ثم نزلنا الى الوهاد بعدان جزنا فى الجبال صعودا ونزولا خمسة وأربعين نفقا فمنها
ما يسير فيه الرتل عشرة دقائق ومنها ما يسير فيه دقيقتين وكل نفق مظلم ويشتد ظلامه ويخف
حسب طوله وبعدان سرنا فى الوهاد نحو ساعة وتكاثر نزول الثلج وصلنا الى بلد بولونيا
وهى بلدة ضخمة لكن أبنيتها وطرقها ليست بجميلة سيما القديم منها وأغلبها على ذلك
النحو ونعم بها منتزهات نزهة وأغلب الطرق يحفها يمينا وشمالا اروقة لشدة حرها صيفا
وشدة بردها وكثرة ثلجها شتاء فتتقى المارة بتلك الرواقات وفيها موقف للرتل عظيم
جدا لانها مناخ للتجارة لتوسطها بين بقية ممالك ايطاليا وسفيسرة وفرانسا والنمسا
والمانيا فترد اليها الارتال من الجميع ونزلنا فى الموقف وتغدينا فى محل الاكل هنالك
وكان وقوف الرتل نصف ساعة ثم سرنا الى تورين فى ذلك المنظر البهيج المنبسط على الوهاد
لكثرة اتقان الزراعة واثارة الارض وتعميرها وكثرة الابنية فى الاراضى الزراعية كل
ذى أرض له فيها بناء مع تحسين شكله وتزيين ظاهره ومع ذلك منظر الجمال فى الجبال
ابهج وعندما أراد الليل أن يسدل حجابه تبدى وجه الغزالة محمرا من برقع السحاب على وجه
الافق فيا له من منظر بديع يشهد للبارى تعالى بحسن الصنيع وما ودعنا نور الشمس
الا بعدما استخلف ضياء البدر المنير اذ كان ذلك أواسط شهر ذى القعدة فنفضض الافق
والنواحى ببريق البدر وكان جمال الليل مزهرا فى تلك المناظر الجميلة مستمرا الى أن

وصلنا الى موقف الرتل بتورين بعد نصف الليل فاذا بذلك الموقف أبهى وأبهج وأضخم من جميع ما رأيناه سابقا واستمر سير الرتل من مبادى متعلقات الموقف الى ان استقر فيه أزيد من عشرة دقائق فكنت ترى فيها الزجيات والمركبات منبثة فى جميع الجهات ماشية لاركابها والرتل وارد وصادر من كل أوب ومحل نزول الركاب هو ساحة عظيمة مرفوع سقفها على أعمدة من الحديد المستطيلة من قضبان من الحديد مرصف فيها الزجاج والفوانيس موقودة بالغاز تضئ كالنهار فاسترحنا فى بيت الجلوس الى ان نزل رحالنا فى الكمرك وفعلوا فى تفتيشه ما فعل فى البلدان السابقة ثم ركبنا أحد الكراريس الكبيرة المعدة لنقل الركاب الى منازل المسافرين لان كل منزل كبير له كراريس كبيرة تسع الواحدة ثمانية من الركاب فما فوق تحملهم من المواقف الى المنزل والعكس وذهبنا الى المنزل فلم نجده لائقا فانتقلت الى منزل آخر حسن وأقمت بهاته البلدة يومين وهى مصر عظيمة ذات اتقان فى الابنية والمساكن والطرق ومن خصائصها أن طرقها تكاد أن تكون كلها متقابلة تتقاطع على التربيع بزوايا مستوية كما أن من مميزاتها ان طرقها تكاد أن تكون كلها محفوفة برواقات يمينا وشمالا قائمة سقوفها على أعمدة من البناء أو الحجارة المنحوتة ولا يمشى الراجل الا تحتها وفوقها أبنية القصور والمساكن واليها تفتح أبواب الحوانيت والديار وغيرها وأواسط الطرق للركاب أو العابر من جهة الى أخرى وأعظم بطاحها البطحاء التى امام قصر الملك وهى متسعة جدا فى صدرها القصر الملكى وعلى جانبيها مساكن للعساكر والجهة الرابعة قبالة القصر فى وسطها طريق كبير وعن يمينه وشماله ديار ومنزل المسافرين الذى نزلنا فيه وفى وسط البطحاء فوارات وأول ما رأيت لترموى فى هاته البلدة وهو مركبة ذات عجلات صغيرة من حديد تجرى فى صفحات من الحديد غائرة فى الارض ممتدة مع الطريق الى نهاية ما يريدون ايصال السير اليه ويجرها اثنان من الخيل ولهم فى كيفية ادارتها عند الوصول الى نهاية الطريق كى ترجع الى المكان الذى ابتدأت منه كيفيات فاحديها ان فى محل الادارة يكون وقوفها على دائرة من الحديد ذات قطب تدور عليه بسهولة فبادارة الدائرة تدور المركبة وثانيتها ان المركبة يكون مقدمها ومؤخرها سواء فعند بلوغ النهاية من الطريق تحل الخيل الجارة من تلك الجهة ثم تربط من الجهة التى كانت مؤخرا وتسير المركبة راجعة الى المكان الذى ابتدأت منه وثالثها أن تكون الصفائح التى تجرى فيها العجلات فى نهاية الطريق مرسومة على نحو

دائرة

دائرة متسعة فتدور بها الخيل الى أن تعود الى الطريق الذى جاءت منه وكل كيفية من
هاته فى طريق خاصة ببلد خاص وسبب اعمال هذه الطرق وتسهيل جر المركبة على
كبرها الذى يركب بها نحو العشرين نسمة فى داخلها وعلى سطحها نحو نصفهم ولا يجرها
سوى فرسين وهى وسيلة كبرى لترخيص أجرة الركوب وسهولة الانتقال فيقف فى
مراكز معلومة كما تقف لكل من يطلب الوقوف للركوب أو النزول ويؤدى الاجرة
زهيدة نحو ثلاثين سانتيم أى ثلاثين من تجزئة الفرنك الى مائة هذا اذا كان المكان
بعيدا وأما اذا كان قريبا فبنصف ذلك المقدار والقرب والبعد على حسب اتساع البلد
وامتداد ذلك الطريق لكن القريب على كل حال لا يقصر عن الميل وهاته البلدة بها نهر
عظيم ومنظره خارج البلد بهيج وبقربه فى احدى تلك الجهات منتزه عمومى كبير نزه وجبل
به أماكن للأكل والقهاوى وقصر الملك حسن جدا وكبير متسع مونق فى تزويقه
بالذهب والالوان وبه جميع فرشه وحوائجه وقد كانت هاته البلدة هى قاعدة مملكة
السارد والذى استولى على جميع ايطاليا واتحدت أخيرا تحت ملكها وبها خزنة للكتب
عظيمة جدا وعند ما دخلتها علمت كبير الفرق بين أهالى هاته البلاد وأهالى نابلى فان
الثانية لما دخلت خزنة كتبها لم أجد الا أفرادا لا يتجاوزون جمع القلة وهاته لما دخلت
الى خزنة كتبها وجدتها مفعمة بمئات من الرجال وقليل من النساء كل منهم منكب على
المطالعة فى كتاب ولا تجد حسا لواحد الا همسا لكى لا يشوشوا على بعضهم فمن مطالع
ومن مقابل ومن ناسخ ومن مفكر والكتاب بين يديه فعلمت ان أهالى هاته البلدة
معارفهم أوسع وسوقها لديهم أروج وذات الخزنة كتبها أكثر مما رأيته سابقا وبها
مصاحف كريمة ذات خطوط أعجمية أنيقة مذهبة ومونقة للغاية القصوى ولها
صناديق وجهها وسقفها من الزجاج مقفولة لحفظها ولا يحلها الا القيم عند ما أكد
فقتحها لى وتشرفت بها ثم رحلنا من هاته البلدة قاصدين باريس فى مرحلة واحدة ولما
كانت المرحلة بعيدة آثرت كراء مخدع فى الرتل ذى فرش ومستراح ولزم لذلك اعلام
مدير الرتل من قبل وقت الركوب لكى يحضره على الصفة التى نريدها ولكى يعلم موقف
الرتل فى حدود فرانسا باحضار مثله فى رتلهم حيث ان الركاب ينتقلون هنالك من الرتل
الطليانى الى الرتل الفرانساوى فركبنا فى الساعة الثامنة بعد الظهر ليلا فى مركبة ذات
مخدع له ثلاث مساطب فرشها حريرية وكل مسطبة تنفتح فتستطيل الى أن تصير فراشا له
وسادة وقد اخترتها بحيث يكون الراكب فيها مواجها الى جهة السيلان وعكسه يورث لى

دوارا وفى وسط المخدع باب يدخل منه الى محل ذى مستراح فى أحد جهتيه ومقابله محل ذو انبوب للماء يفتح و ينغلق يجرى منه الماء وذو اناء ينزل منه الماء المغسول به وبه مرآة بحيث يستطيع الانسان التوضى هناك واصلاح لبس ثيابه وفى المخدع أيضا مرآة ومائدة تنفتح من جهة الحائط الموالى لمحل المرافق حتى ان الانسان يقضى هناك جميع حاجاته بغاية الراحة واغنارفقنا معنا مناديل الوضوء وبيت ابرة لمعرفة القبلة فى صندوق صغير من الجلد فيه بعض الثياب ومناديل الانف واذا حان وقت الصلاة نصلى بلا تعب سوى ان الاتباع ينزوون الى جهة غير القبلة ولمثل هذا الاطلاق يتحرى الانسان فى الركوب مع الرفقاء لكى لايكون عليه حرج فيما يريد كما انه اذا حان وقت الاكل و وقف الرتل فى احدى المواقف على البلدان ننزل الى محل الاكل فنجد فيه الوان الطعام والفواكه فنشترى مانريد ونحمله الى مخدعنا لكى نأكل بالاستراحة اذالاكل فى المواقف يلزم أن يكون عاجلا لخوف سفر الرتل والرتل ولان كان يقف بعد كل نحو نصف ساعة أو ساعة على البلدان غير ان وقوفه لايطول الا بقدر ما ينزل الركاب القاصدين تلك البلدة و يركب منها غيرهم أو أخذ الرجية الماء أو الفحم أو ابدالها بغيرها اذا تمت ساعات نوبتها بحيث ان المدة أطولها عشر دقائق (أما) فى وقتى العشاء والفطور فيقف الرتل نصف ساعة أو أزيد بقليل ويعلم الركاب جميع ذلك من المنادى الذى ينادى عند وقوف الرتل رافعا صوته بقوله بلد كذا و يسمى البلد الذى وقف عليه وكذا دقائق أى يقف كذا دقائق و يفتح الابواب للركاب فينزل من يريد النزول ولو لقضاء ضرورة و يرجعون على عجل واستمر بنا السير الى أن وصلنا الجبال المسنى الشاهقة وطفق الرتل يجرى بين صعود ونفوذ فى انفاق واحدا بعد آخر الى أن جاز فى نفق استمر فى الجرى فيه خمسة وعشرين دقيقة غير أنه دون السير المعتاد وهو أطول نفق فى أروبا وصناعته من عجائب صناعة الهندسة اذ هذا الجبل واقع فى الحد بين فرانسا وايطاليا فناحيته الشرقية الجنوبية الى ايطاليا والشمالية الغربية الى فرانسا ولما أرادوا وصل الطرق الحديديه اتفقوا على خرق الجبل فجعلت عملة كل من الجنسين تشتغل من جهتهم وبعد الاشتغال بضع سنين اتصل العاملون بعضهم ببعض على خط مستقيم والحاصل ان طوله تسعة أميال تقريبا وتنور فيه فوانيس ليلا ونهارا ويقيم به حراس لتفقد الطريق ولهم مساكن منحوتة وأماكن وسيعة لوضع الضروريات التى يحتاج اليها اصلاح الطريق ومراكز لسلك الكهربا والرتل لايدخل الا اذا رأى علامة الحارس بالاذن بالدخول وبينما

كنا

كنا سائرين فيه واذا برتل آخر مقبلا من فرانسا ذاهب الى ايطاليا فمرا منا متكتنين
متحاذيين مع اشتداد دوى العجلات والصدى والظلمة وسرعة السير فكان منظرا هائلا
واشتد البرد هنالك اشتدادا خارقا للعادة حتى أن بخار النفس كان يجمد على شاربي
وزجاج طواقى المخدع كان يجمد عليه بخارنا الى أن يمنع الضوء وينكسر بالتكسير
قطعا كالجليد وأيقظتنى شدة البرد من النوم مع التردى بالثياب الثخينة الصوفية وأحدها
مستبطن بجلد الفراء العالى وفى المخدع قنوات من النحاس ملآنة بالماء الحار جدا
ملفوفة فى خرق من الصوف وعند ما وصلنا الى بلد مودان أول موقف الرتل من جهة
✽ فرانسا نزلنا للانتقال لرتل الفرنساوى وابتدأ الامر فيما شاهدته بفرانسا فلنعد
الآن لبقية الكلام على ايطاليا فانى عدت اليها ١٢٩٨ ه سنة ١٨٨١ م
وزدت معرفة بالبلدان التى سنذكر وهى ابرندزى التى هى أكبر المراسى جهة
شرقى ايطاليا ولها أمن حسن وحصون وبقية البلد ليست الافرية محتوية على
لوازم أهلها وأقمت بها ليلة ثم توجهت الى بارى وهى مرسى أيضا دون الاولى
ولكنها أكبر منها بلادا وأحسن حضارة سيما الابنية الجديدة التى لها اتقان فى
انتظام الطرق وسعتها وأقمت بها ليلة ثم توجهت الى بولونيا وقدم ذكرها وجميع
ما مررنا عليه كان فى غاية العمران والانتظام فى الزراعة وكثرة الشجر من الزيتون المعمر
بجميع تلك الارض مع بعض غلال أخرى شتى وجميعها يسقى بالنواعير من الآبار بادارة
الدواب حميرا وخيلا وبغالا وكذلك القرى كانت كثيرة منتشرة وحيث كان مرورنا وقت
الحصاد صيفا كنا نرى جميع الجهات مشتغلا أهلها فبعضهم بحصاد الزرع حتى الذى
تحت أشجار الزيتون وآخرون يتبعونهم بسقى الارض وفى أثرهم آخرون يثيرون
بالحرث ما جف من الارض وهكذا بحيث لا تبقى الارض مدة بوارا ويزرعون فى بعض
الجهات اذذاك بقولا بحيث يصح أن يقال ان الجهة الشرقية من ايطاليا أعمر من
الغربية وبعد اقامتى ليلة فى بولونيا توجهت الى قرية منتكاتينى التى بها مياه
معدنية عليها حمامات تهرع اليها الاهالى صيفا لنفع المياه وفيها شئ من التحسين
غير أنها شديدة الحر لاكتنافها بالجبال المعمورة بالقرى والاشجار ذات الغلال الصيفية
والحاصل ان الجهات البعيدة عن البحر صيفا فى أوربا هى مساوية أو أشد حرا من
شمال أفريقية ويشتد تعب الراكب فى الرتل من الحر لانه ان فتح الطواقى اسود لونه
وربما أوذيت عيناه من الدخان والغبار بسرعة الرتل وان أغلقها حميت عليه نار لظى

وحالة البلدان فى الحر كما مر ولذلك لم نطل الاقامة هنالك وتوجهت الى ليفورنو التى هى على البحر كما سبق وبقيت بها حتى توجهت منها الى سفيسيرة ثم عدت الى اماراعلى مدينة ميلانو التى أعد فيها اذ ذاك معرض عام لمصنوعات ايطاليا ومخلوقاتها فاذا هى اى ميلانو أجمل بلاد ايطاليا وأكثر حضرية وانفردت بالسوق المسمى الغلارية الذى هو فى غاية الجمال والبهجة ومن غرائبه انه توقد قبته الوسطى بعزجية تمر على طريق حديدية لسرعة الايقاد للبخار الغازى وهى مزجية صغيرة نحو ذراع طولا وأما المعرض فهو انموذج من معرض باريس الآتى ذكره واغلب هذا أصغر بكثير وخاص بمتعلقات ايطاليا وشاهدت فيه تجربة جرار تل بالقوة الكهربائية السارية فى قضبان طريق الحديد لكن التجربة افادت انهم لم يبلغوا المراد لحصول الوقوف احيانا عن غير اختيار لكن بلغنى فيما بعد انه تم أمره فى المانيا وصار مشتغلا به

فصل

(فى تعريف ايطاليا)

(اعلم) ان ايطاليا قسم من أوربا الجنوبية وهى شبه جزيرة فى البحر الابيض تتصل من جهتها الشمالية بالقارة فيحدها شمالا اسفيسره وفى الشمال الشرقى النمسا وفى الشمال الغربى فرانسا وفى الغرب والجنوب البحر الابيض وفى الشرق بحر البنادقة وهى على شكل مستطيل من الشمال الى الجنوب يميل الى الشرق على هيئة تشبه جزمة ذات عقب ومهماز وقبالة منتهى أصابع القدم جزيرة صقلية المسماة الآن بسيسيليا يفصل بينهما خليج ضيق يعرف بخليج مسينا وتبتدئ من الشمال من عرض ستة وأربعين درجة وأربعين دقيقة وتمتد الى الجنوب الى عرض سبعة وثلاثين درجة وخمسين دقيقة من العرض الشمالى وتبتدئ بجهة الطول من باريس من الدرجة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة الى ستة عشرة درجة وخمس دقائق فنهاية طولها نحو الف ميل وذلك من جبل مون بلانه الى رأس سبارتيفينتو وأما عرضها فيختلف جدا ففى جهة الشمال نحو ثلاثمائة وستين ميلا ومن جهة الجنوب نحو مائة وخمسين ميلا وفى بعض الجهات الوسطى نحو أربعين ميلا فقط ولها عدة جزائر أشهرها وأكبرها جزيرة صقلية وجزيرة سردانيا ولها قرب تونس جزيرة بنتلريا فهى ذات شطوط وسيعة جدا وبها كانت دولتها دولة بحرية وأما جبالها ففيها عدة سلاسل فمنها جبال الالبا وجبال البنين

وجبل

وجبل كورنو وهو أعلاها وارتفاعه على سطح البحر ٢٩٥٠ قدما وجبل فيلنيو وفيها عدة جبال بالكانية منها ما انعدم وصار عوضا عن فوهة النار بحيرات مثل بحيرة رسيمين وبرسيانو وبلسنا كلها فى الجبال وأما الباقى منها بالكانا فهو جبل الفوزوفيو قرب نابلى الذى ارتفاعه ١٢٠٠ ميترو وجبل اتنا فى سيسيليا وارتفاعه ٣٣١٣ ميترو والثلج دائم عليه وجبل الترنبل فى جزائر ليبرى ويظن ان بين هاته الثلاثة منافذ تحت الارض وبقرب نابلى عدة جبال تقذف بخارا كبريتيا وتسمى سلفتارو وبقرب ليفورنو جبل يقذف بخارا مائيا ويسمى سوفيونى وأما أنهارها فهى كثيرة لكنها لا تعظم جدا لقربها من البحر واعظمها نهر بو الفاصل بينها وبين النمسا ونهر تيبر الذى يجرى الى رومة ونهر ارنو المار على فيرنسا وبيزة واديج جهة ولاية التيرول التابعة الى النمسا وغيرها وكلها لا تحمل السفن الا القوارب الصغيرة سوى الاول فانه يحمل القوارب الكبيرة وان كان السير فيه صعبا لوجود جزائر رملية به نعم ان نهر اديج يحمل السفن من بلد تيرنتو الى البحر وبها أيضا ترع صغيرة أشهرها الترعة التى بين بيزة وليفورنو تحمل القوارب الصغار وكذلك الترعة الموصلة بين نهرى التيفر وارنو وبها أى ايطاليا عدة بحيرات منها المسماة لاغوما جورى أى الكبرى وكومو وغاردا وليكو ولوغانو وايزيو وأما هواؤها فهو جيد فى كل الجهات الا فى الجهات الوسطى حيث توجد مستنقعات الماء المسماة بونتين فانها يحدث منها امراض عامة فى الصيف لاهالى البلاد ومنها رومية كما تقدم وتوجد تلك المستنقعات أيضا قرب فينسيا وقرب نهر بو وفى ولاية كلابريا الجنوبية ولازالوا مجتهدين فى ازالة تلك العوارض فان بلد ليفورنو كانت من أشد الاماكن وخامة لذلك السبب وكان أهلها قليلين جدا فاجتهدوا فى تنشيف المياه ورغبوا فى عمرانها حتى أعفوا الساكن بها عن كثير من الضرائب وصارت الآن لا بأس بها وانها كثيرة العمران بتقدمها الناس صيفا من كثير الجهات العليا من شمال ايطاليا فانها منتزه جيد وكذلك جهات نابلى وجزيرة صقلية والهواء فيها على الاجمال مائل الى الحر المعتدل والصيف فى جنوبها يطول واذا هبت ريح السموم فعلت بها من المضرة بالجفاف ما تفعله بتونس وأما شمالها فهو الى البرد أميل وأما نباتها فينبت بها الحبوب من القمح والشعير والذرة فى جهاتها كلها والبطاطس ونبات التكروري الذى يصنع منه الحبال والكتان والقطن والقهوة والعنب وتنفرد الجهة الجنوبية بالبردقان والموز والخيل والهندى أى التين الشوكى والتبغ وقصب السكر وان كان النخل لا يثمر التمر وتنفرد

الجهة الشمالية بالارز والزعفران والقطن والحبة الحلوة والجوز كما يعم بها الزيتون
والتفاح والكمثرى والاجاص والتوت والتين واللوز والفزدق وعروق رب السوس وبها
عدة آجام وغابات غير انها في الجهة الجنوبية مهملة وغير منتظمة واشجارها متفرقة
وانواع هاته الاشجار هي الصفصاف والدردار وغيره مما تقدم ذكره في غابات تونس
(واما حيواناتها) ففيها الخيل لكنها قليلة واحسنها في فينيسيا وما حولها ومنها نوع قصير
جدا وحشي يوجد في جزائر سردانيا ومنها البغال واكثرها في الجهات الجنوبيه وكذلك
الحمير ومنها البقر والمعز والضأن بقلة والجاموس والخنزير ودود الحرير والنحل
والسمك بأنواع شتى في الانهر والابحر ومن الحيوانات الوحشية الضبع والثعلب
والذئب والخنزير البري وبقر الوحش والدب (واما الطيور) ففيها أغلب ما في القطر
التونسي وتزيد بالغربان بانواعه واكثره أباقي اللون بين السود والبياض وهو أكثر
ما رأيناه في البراري وهو ثقيل الطيران وجثمه أكبر من الحجل وأصغر من الدجاج وفيه
أنواع حضرية كبيرة ولها الوان جميلة مفضضة ومذهبة كما توجد به الحشرات التي توجد
في الاقاليم الحارة سيما في الجهة الجنوبية غير انها ليست بشديدة الخبث بالنسبه لحشرات
* أفريقيا ومن غريب حيواناتهم نوع من الكلاب يربى عند قسيسين في جبل صان
برنانتو في الجهة الشمالية الدائم فيه الثلج ومن خصائص هاته الكلاب انه اذا اشتد
البرد وحدثت زوابع فالقسيسون يسرحون كلابهم وفي عنق كل واحد اناء صغير معلق
مملوء بشيء من الارواح المسكرة الحادة وله انبوب ينفتح فتذهب تلك الكلاب وترود
الجهات لعلها تجد انسانا على شفا الهلاك من البرد فتقرب منه وتمكنه مما برقبتها لكي
يسخن به فان استطاع بعد ذلك الذهاب معها دلته على محل أصحابها وان رأته لم يتبعها
ذهبت لاصحابها واعلمتهم بهيئة خاصة حتى يتبعونها ويخلصون الانسان من شدة
البرد فتفرق الكلاب على ذلك العدو وتكون سببا لنجاة من تظفر به وهؤلاء
القسيسون لا يبيعون من اناث هذا النوع ليكون خاصا بهم (واما معادنها) فليس
فيها معادن كثيرة ولا غنية سوى شيء من الفحم الحجري في التوسكانه وقرب مسينة من
سيسيليا ونوع من الطين يشعل بعد التجفيف مثل الفحم الحجري وفيها زيت البترول
أي النفط وفيها الحديد بكثرة في عدة جهات منها لمبارديه وسردانيا وسيسيليا وكالابريا
وجزيرة البا وفيها النحاس في جبل لمبارديه وفي فينيسيا والبا وتوسكانا وفيها الرصاص
أيضا في عدة جهات والزارق والزنك ومعدن انتمونيو ومعدن منغنيز والكبريت

واعظمه

وأعظمه فى سيسيليا بالقرب من مدينة قطانيا وهو الذى تشتغل منه جميع أوربا وفيها من معادن الحجارة كثير وغنى فمنه الرخام الابيض الشفاف الذى تصنع منه التحف والمرمر الاحمر والرخام الاسود والبرسلانه والطين الملون والمرمر الرفيع والرخام الابيض المعتاد وفيها سباخ عديدة للملح ومعادن فحمية ومعدن التنكار الذى يشغله الصاغة وفيها مياه معدنيه كثيرة أهمها فى ولاية البيمنت وولاية فينيسيا وولاية التوسكانا وفى نابلى وأشهر الجميع منتيكاتينى فى التوسكانه (وأما مدن) هاته المملكة فقاعدتها رومة التى أحدثت سنة ٧٥٣ قبل التاريخ المسيحى وموقعها كانها متوسطة بين الجنوب والشمال فى المملكة وتقرب الى الشاطئ الغربى وقد تقدمت صفتها وقد انقسمت هاته المملكة الآن باعتبار الادارة الى اثنتى عشرة ولاية كبرى لكل منها عدة أوطان فينقسم جميعها الى تسعة وستين وطنا كل وطن له مركز من المدن ويعرف باسمه

فاما الولايات الكبرى فنذكرها باسمائها ونذكر عدد أقسامها فقط بدون ذكر لاسماء بلدان الاوطان الثانوية لطول الكلام وقلة الجدوى فالاولى من الولايات البيمنت وقاعدتها تورينو وسكانها ٢١٥٠٠٠ وبها أربعة أوطان وثانيها لمبارديه وقاعدتها ميلانو وسكانها ٢٦٣٠٠٠ ولها ستة أوطان وثالثها فينيسيا وقاعدتها مدينة فينيسيا التى أغلب طرقها خلجان بحريه يمرون فيها بالقوارب وسكانها ١٣٠٠٠٠ ولها تسعة أوطان ورابعها ليفوريا وقاعدتها جنوة وسكانها ١٣٠٠٠٠ ولها وطنان وخامسها أميليا وقاعدتها بولونيا وسكانها ١١٦٠٠٠ ولها تسعة أوطان وسادسها توسكانا وقاعدتها فيرينسا وسكانها ١٧٦٠٠٠ ولها سبعة أوطان وما تقدم كله جهة الشمال ثم فى الوسط وسابعها ماركى وقاعدتها انكونة وسكانها ٤٦٠٠٠ ولها أربعة أوطان وثامنها الومبريا وتختها بروزه وسكانها ٥٠٠٠٠ ولها وطن واحد وتاسعها لاتسيو وقاعدتها رومة قاعدة الجميع وسكانها ٢٤٥٠٠٠ ولها وطن واحد ثم فى الجنوب عاشرها نابلى وقاعدتها نابلى وسكانها ٤٠٠٠٠٠ ولها خمسة عشر وطنا وحادى عشرها سيسيليا وقاعدتها بالرمو وسكانها ٢٢٠٠٠٠ ولها سبعة أوطان وثانى عشرها سردانيا وتختها كالارى وسكانها ٣٣٠٠٠ ولها وطنان

(وأما المراسى) هاته المملكة فهى كثيرة فمنها جنوة فى الشاطئ الغربى الشمالى ثم ما يأتى بعدها جنوبا على الترتيب الآتى وهى اسبيسيا ثم ليفورنو ثم شيفى تافيكيا ثم نابلى ثم كستالامارى التى هى أعظم الكل لاشتمالها على معمل كبير للسفن ولو

المدرعة ثم ميسينا وهى فى الجنوب وهى حربية تجارية ثم تارنتو فى شاطئها الشرقى على بحر اليونان ثم مرسى ابرنديزى ثم انكونة ثم فينيسيا وهما على بحر البنادقة فهاته هى المراسى الكبيرة وهناك غيرها كثير (وأما الاهالى) فعددهم على ما تحرر ١٢٩٨ ه سنة ١٨٨١ م تسعة وعشرون مليونا وهم فى الاصل من أبناء الاصليين وهم من الامم الذين ارتحلوا الى هناك من المشرق والشمال فى أوقات مختلفة ولكن صاروا بالآخرة جنسا واحدا بيضا مع سمرة قليلة حسان تامى الخلقة أهل جد فى الشغل وأهل الشمال منهم تقدمت فيهم الحضارة أكثر من أهل الجنوب اذ أهل الجنوب والوسط لا زال فيهم أناس على سذاجة تقرب بهم من التوحش وكلهم على الديانة النصرانية على المذهب الكاتوليكى الا خمسة وثلاثين ألفا فهم على مذهب البروتستنت وثلاثة وعشرون ألفا من اليهود ومن الاهالى ستون ألفا من جنس الارناؤوط

فصل

(فى اجمال تاريخ ايطاليا)

مطلب

(فى تاريخها القديم)

(اعلم) ان أول ما تسمت ايطاليا بهذا الاسم حسبما وجد بتواريخ الرومان الاقدمين فى أواسط الالف الثانية قبل التاريخ المسيحى نسبة الى ملكها أحد العائلة التى أتت من المورة واسمه ايطاليوس وقد كانت من قبل ذلك تسمى ساتورينا وكانت مسكونة بامم أصليين اسمهم أوريجان ثم وفدت عليهم أمم فى أزمان مختلفة من اليونان وأهل الشمال وغيرهم وابتدأ فيهم ملك الرومان العظيم من المائة الثامنة قبل الميلاد وكان منشؤه فى مملكة رومية التى هى قطعة من ايطاليا وامتد شيأ فشيأ وتكاملت أوصاف الفخر فى الرومان تدريجا فى المائة الثانية والثالثة قبل الميلاد ثم اتحد تاريخ ايطاليا بتاريخ الرومان الى أن تسلط الرومان على غالب المعمور المعتبر وفى اذ ذاك تحت تسلط الدولة الجمهورية الرومانية ثم أبطلت الجمهورية وأحدثت الامبراطورية التى يلقب صاحبها بالقيصر قبل الميلاد بثلاثين سنة ودامت سلطنة عظيمة مع التقلبات والحروب الى أن انقسمت فى سنة ٣٩٥ مسيحية الى سلطنة غربية وهى الاصلية وسلطنة شرقية مقرها

فى سوريه وآسيا الصغرى وماوالاها وأصحاب هاته هم المذكورون فى سورة الروم وهم المعنيون بذلك اللقب أى الروم والسلطنة الغربية التى مقرها ايطاليا تخربت وتسلط عليها أمم متعاقبون ثم دخلت تحت سلطنة المشرق ثم انفكت منهم أمة لومبارد لكن بقى للشرقيين الجهات الجنوبية وكانت تسمى السلطنة اليونانية أو الاغريقية أو الرومانية ثم انخرمت أيضا وتأسس تسلط البابا فى رومية من ١٠٤ ه سنة ٧٢٢م لكنها ماسلمت حتى ودعت فاستولى الفرانسيس على قسم من ايطاليا وقوم اللنباردى استولوا على قسم والسلطنة اليونانية على قسم وبقى البابا تحت ولاية الامبراطور شالمان ملك فرانسا وغيرها ثم استقلت ايطاليا وكان لها تاج خاص ووقعت انقلابات وانقسامات الى أن جدد ملك البابا ٤٦٦ ه سنة ١٠٧٣ م وتم ذلك فى ٥٢٦ ه سنة ١١٣١ م حيث تأسست مملكة الصقليتين واضمحلت بقية السلطنة اليونانية وغيرها وصار ملكها جير والاول تابعا للبابا ثم ثارت الثورات فى عدة جهات وانقسمت ايطاليا أقساما بعضها جمهورى وبعضها ملكى وتعاقبوا على رومية مقر سلطنة البابا ونفوه منها وحدث فى الجنوب مملكة صقلية التى كان المسلمون استولوا على جانب كبير منها بعبورهم البحر من تونس واستولى فتح قسم منها القاضى الامام أسد بن الفرات فقد كان جامعا بين علوم السياسة والحرب والشرع وتوفى هنالك رحمه الله ثم بعد مدة تغلب النصارى عليها كما أن الجهة الجنوبية أيضا انتشأ بها مملكة نابلى ثم رجع البابوات الى ايطاليا من نفيهم الى فرانسا سبعين سنة ولم ينجح الاهالى فى ابعاد الاجانب من الاستيلاء عليهم مع الجهد فيه وتعاظمت حروب فرانسا واسبانيا على الاستيلاء على ايطاليا الى ان تم الامر الى اسبانيا ٩١١ ه سنة ١٥٠٥ م ولم يخرج عليها الا البندقية ثم تقهقرت اسبانيا هنالك تدريجا ثم تغير الحال فى حروب نابليون الاول امبراطور الفرانسيس أوائل القرن الحالى هجرى وأولى الامبراطور على ايطاليا أخاه ثم صهره ولم يبق خارجا منها الا صقلية تحت حكم أحد عائلة البربون وكذلك سردانيا تحت حكم أحد عائلة ساقوريا ثم عند سقوط الامبراطور المذكور ١٢٣٠ ه سنة ١٨١٤ م انقسمت ايطاليا الى سبع ممالك كل منها مستقل وهى مملكة رومية تحت حكم البابا الروحى والملكى ومملكة سردانيا تحت حكم عائلة ساقوريا ويتبع الجزيرة قسم من القارة الشمالية الغربية ومملكة اللنباردية تحت ولاية امبراطور النمسا ومملكة بارمة تحت ولاية نسل امرأة نابليون الاول ومملكة مودينا تحت ولاية دوك من عائلة امبراطور

النمسا ومملكة توسكانا تحت ولاية دولة من تلك العائلة أيضا ومملكة نابلى و يتبعها صقلية تحت ولاية أحد عائلة البربون

مطلب

﴿فى تاريخها الجديد﴾

اعلم ان دولة السارد واحدى الممالك المذكورة قد أسست القوانين والحرية الشخصية ومشاركة الامة فى السياسة الحكمية من عهد شارل البرت المتولى ١٢٤٧ هـ سنة ١٨٣١ م وكان من همه استقلال ايطاليا واتحادها تحت علم الحرية لكنه لم يصادف رجالا ذوى همم تعين على المقصود الى أن تنازل عن الملك لولده فكتور امانويل ١٢٦٦ هـ سنة ١٨٤٩ م وكانت دولته لها التقدم من جهة القوة المعنوية لانها ذات قوانين وحرية عادلة وان كانت مملكة نابلى أعظم قوة صورية وأما بقية الاقسام فما كان منها تحت النمسا او معنى فالاهالى نافرون منه وان كان بعضهم له الحرية والقوانين كما أن ما كان تحت البابا كان يجرى فيه الظلم بحسب الشهوات فدام الحال على ذلك الى ١٢٦٩ هـ سنة ١٨٥٢ م حيث وقعت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا وتعاضدت فرانسا وانكلترة على اعانة الدولة العثمانية وكان ملك دولة السارد والمذكور ملكا عاقلا واستوزر وزيرا ذا دهاء وفطنة وهو كافور وكان يأتمنه ويقتادا الى نصائحه كما ان الاهالى لهم اعتماد على صدقه ووفائه بحقوق الوطن وكان فيه من الاهلية ما أعانه على اتحاد ايطاليا بتدبيره وسعيه كما سيتلى عليك فقد عمل الجهد واتفق مع فرانسا على اعانة الدولة العثمانية فى الحرب المذكورة وأرسل عساكره البالغة اثنى عشرة ألفا وسفنه مع قوات الدولة الكبيرة وكان ذلك أول خطوة لايطاليا فى الدخول فى زمرة الدول العظام فى الاعصر الاخيرة ثم بعد وقوع الصلح وقع الاتفاق بين دولة السارد ودولة فرانسا على اخراج ما بيد النمسا من ايطاليا وضمه الى دولة السارد على أن تعطى هاته الى فرانسا وطنى ساقوى ونيس اللذان هما فى حدود فرانسا جهة ايطاليا حول الشاطئ بدعوى أن أصلهما من جنس الفرانسيس وأسس نابليون الثالث ملك فرانسا من ذلك الوقت قاعدة اتحاد الجنسية أى ان كل جنس من البشر له حق الوحدة فى انشائه دولة مستقلة اذا كانت فيه أهلية لذلك وساعده على هذا المقصد كون مملكة فرانسا كلها جنسها متحد فرانساوى فلا يخشى على

مملكته

ممالكته من تلك القاعدة كان مستعمرا تهايدعى ان ليس لاهلها أهلية لدعوى الوحدة وعند حصولها لهم لا ينفعهم من ذلك وعند اشهاره لهاته القاعدة وارادته الاعانة على انفاذها فى العالم كان عقلاء الفرانسيس معارضين له فيها ومن أشهر المضادين له تيرس ذوالشهرة بالتدبير والسياسة وكان يصرح فى مجالس الندوة ان هاتيك القاعدة تؤل بالوبال على فرانسا لا من حيث الخوف من تفرق أهلها لانهم من جنس واحد ولكن من جهة تقوى جيرانها كايطاليا والمانيا فان الجار اذا كان ضعيفا فجاره القوى يكون آمنا منه بل يكون له النفوذ فيه بخلاف الجار القوى فانه يأبى الضيم ويقع معه التشاحن المؤدى الى الحرب التى تحول عاقبتها فضلا عما تستلزمه من الخسائر المحققة فى الدماء والاموال غير أن صراخه لم يثمر شيأ لان دولة فرانسا فى مدة امبراطورية نابليون الثالث ولان كانت قانونية شورية ظاهرا فانها فى الباطن استبدادية فى السياسة العامة وكل الامر بيد الامبراطور يتمم غرضه فيه ولذلك أعانت دولة فرانسا بطلب النمسا أن تسلم فى الولايات الطليانية لدولة السارد وأعلنت الحرب لذلك وتعاضدت فرانسا والسارد على حرب النمسا وحدها وقد كانت أنشئت جمعية أهلية طليانية تسمى جمعية وحدة ايطاليا تحت رياسة رجل منهم شهير بالشجاعة وحب الوطن وهو كاريبالدى وتعسكر تحته كثير من المتطوعين الطليانيين من جميع جهات ايطاليا وأعانوا السارد والفرانسيس واستعرت الحرب وكان ملوك الدول الثلاث فى معسكراتهم وان كان قسم وحدة ايطاليا كله تحت رياسة امبراطور الفرانسيس واتخذلت النمسا ووقع الصلح المسمى بصلح زوريك نسبة للبلد التى امضيت فيها الشروط وبمقتضاها سلم امبراطور النمسا فى مملكة لمباردية الى امبراطور الفرانسيس وهو اعطاها الى ملك سردانيا كما سلم له هذا فى ولايتى نيس وساقو باوذلك ١٢٧٦ ه سنة ١٨٥٩ م وبينما كانت الحرب مستعرة فى ميادين لمباردية واذا ببقية ايطاليا ثارت من جميع الجهات منادية بالوحدة تحت راية كاريبالدى الى ملك السارد وفاما الممالك الشمالية فعقدوا مجامع فى عدة مدن للتدبير فى أمرهم واستقر أمرهم على الاتحاد ورضيت به الامة فاخلع ملوكهم طوعا وسلمت ممالكهم الى ملك السارد و(واما) الجهة الوسطى وهى مملكة رومية فخرج منها ولايتان اتحدتا مع بقية ايطاليا وبقيت مدينة رومة وما تبعها للبابا لان الفرانسيس أبى على السارد اذاية البابا حيث ان الرهبان لهم نفوذ على العائلات العالية فى فرانسا والامبراطورية تتقى جانبهم فالزم السارد والحيادة عن البابا وأرسل الفرانسيس الى رومة لحماية البابا من

ثورة رعاياه فيهما من العساكر الفرانساوية وإسطولا على مرسى شبقى تاويكيا (وأما الجهة) الجنوبية فثار أهاليها أيضا ونادوا بالوحدة تحت راية كاريبالدى ثم وردت لهم عساكر البارد وواشتدت الحرب مع ملك نابلى الى أن قهر وفر هارباوقت وحدة ايطاليا بذلك ١٢٧٧ هـ سنة ١٨٦٠ م وقبل فيكتوريا مانويل الثانى الملقب بملك ايطاليا غير انه بقى خارجا عنها بقية مملكة رومية وولاية فينيسيا التى تحت النمسا الان امبراطور الفرانسيس فى الحرب المار ذكرها استشعر بان الروسيا تريد الاعلان بالحرب ضده اذا طالت المدة فعجل بايقاع شروط الصلح مغتنما بهجة النصر بما أمكن وبذلك وحماية البابا لم تتم منة الفرانسيس على ايطاليا ثم ابتنت على قاعدة الوحدة الجنسية المار ذكرها دعوى المانيا التى كانت اذ ذاك تحت رياسة النمسا الحق فى الاستيلاء على ولايتى الهولستين والشولسويغ اللتين هما من جنس الالمان وولايتهما كانت بالوراثة راجعة الى ملك الدانيمرك وأجرى فيهما قوانين مملكة الدانيمرك فادعت المانيا بلزوم اخراجهما ولحوقهما بالمانيا وأعلنت بسبب ذلك الحرب بين دولة النمسا صاحبة الرياسة ومعها دولة البروسيا التى هى أكبر دول المانيا وبين دولة الدانيمرك الصغيرة واستغاثت هاته بكبار دول أوربا وكانت دولة انكلترة مع مصاهرة عائلتى الملك بينها وبين الدنيمرك مسلمة بالحق للدنيمرك ومتيقنة بان حرب المانيا معها مضر بالآخرة بالموازنة الاوروبية حتى قال اللورد بالمستون كبير وزراء انكلترة اذ ذاك ان هاته شرارة ألقيت فى أوربا لا تلبث أن تشتعل منها نارا غير أنه أحجم عن العمل لان فرانسا كانت مخالفة له ومضية لقاعدة الوحدة فاشتبكت الحرب بين المانيا والدنيمرك وغلبت هاته فى أقرب وقت وأخذت الولايتين منها غير انه اشتد النزاع فيما بعد بين النمسا وبروسيا وذلك أن المانيا كما تقدم فى المقدمة منقسمة الى عدة ممالك وقد كانت الرياسة عليها متداولة بين دولتين النمسا والبروسيا حسب السطوة والاقتدار واستقرت مندة الرياسة بيد النمسا غير أن الدولة البروسيانية حانقة من ذلك ولم تساعفها الاحوال للغرض وقد كان ولى عليها ملك عاقل ذو خبرة وتبصر بالعواقب وهو افريدارك الكبير فاعطى الحرية للاهالى من نفسه ومن ذلك الوقت أخذت بروسيا فى التقدم واتساع المعارف وكان من قوانينها ان الاهالى كلهم تجب عليهم الخدمة العسكرية حتى انهم فى وقت الحرب يكونون كلهم عساكر وبذلك صارت دولة حربية قوية أيضا غير انها مع ذلك لم تساعفها الظروف الحالية لانفاذ مقصدها فى الاستيلاء على الرياسة الالمانية الى أن تولى الملك غليوم الملك الحالى

فاستوزر

فاستوزر رجلا ذا تبحر في السياسة وجد في العمل وهو الامير بزمرك وكان الملك عاملا بأفكاره حتى حصلت له ضدية من بطانة الملك وأهل بيته بل ومن مجلس نواب الامة أيضا عند ما رسم بوجوب الزيادة في القوة العسكرية اذ علم انها الوسيلة لاتمام الامل مع حسن اجراء السياسة في الداخل والخارج لكن الملك لم يقبل فيه قول قائل لسيره لافكاره ومقاصده حتى انه لما خالفه مجلس النواب أمر بحله وانتداب الامة الى انتخاب غيره محافظا على سياسة وزيره وبقي الوزير في خطته وعمل بما رسمه ثم وقعت الواقعة المشار اليها مع الدانيمرك وكانت دولة ابروسيا أوعزت الى فرانسا استحسان قاعدة الامبراطور نابليون الثالث في وحدة الجنسية واطمعتها بفوائد لو تساعدها ولو معنى فقط على ابعاد النمسا من بقية المانيا كما أن بزمرك أوعز الى بقية ممالك المانيا بالتنفير من رياسة النمسا عليهم لانها ليست من جنسهم خاصة بل هي مركبة من أعضاء متعددة وليس الالمان فيها الاجزأ من الاجزاء ودام اغراء صدورهم الى أن أثر فيهم أشد التأثير ثم حصلت المنازعة بين النمسا والبروسيا على الاستيلاء على الولايتين المأخوذتين من الدانيمرك وفي اثناء النزاع أغرت البروسيا دولة ايطاليا بالمعاضدة معها لاخراج بقية ايطاليا من تحت النمسا فاعلنت الحرب بين البروسيا ومعها ايطاليا وبين النمسا فكانت النمسا غالبة لايطاليا لكنها مغلوبة غلبا قطعيا لبروسيا وذلك لان ابروسيا كانت اخترعت نوعا من المكاحل مستغنى من أن تملأ ويثور بارودها باندفاع ابرة من أسفل المكحلة ويسمى هذا النوع المكحلة ذات الابرة وكان أبعد مرمى وأسرع انطلاقا من النوع القديم بكثير فكانت عساكر النمسا يصيبهم رمي عدوهم المتوالي كالمطر الدافق من غير أن يصيب رميهم عدوهم ولو بواحدة وكان صف العساكر يخترميتا دفعة من قبل أن يتمكن من رمي عدوه الى أن ضجت عساكر النمسا ولم يكن لهم من وجه للتخليص الا عقد الصلح بمطالبة ابروسيا ومن العجب أن ذلك السلاح كانت عساكر ابروسيا متقلدة ومحاربة به للدانيمرك عند تعاضدهم مع النمسا ولم يلتفت اليه أحد اذ ذاك ولا تهيأت النمسا لمقابلته فوقع الصلح ١٢٨٣ هـ سنة ١٨٦٦ م على أن البروسيا تتولى تلك الولايتين وتدخل فيها أيضا مملكة الهانوفر والهاس ودوكاتوناسو وبلد فرنكفورت الحرة وان تخرج النمسا عن رياسة العصبة الجرمانية بالمرة وتبقى ممالك جرمانيا الشمالي منها داخل تحت رياسة ابروسيا مستقل بادارته والجنوبي منها له معاضدة مع البروسيا لكن ليس داخلا تحت رياستها تماما الى

أن وقعت الحرب بين فرانسا كما سيأتى فى محله كما تضمنت شروط الصلح أيضا تنازل النمسا عن ولاية فينيسيا الى امبراطور الفرانسيس وهو سلمها الطليان وذلك لانه هو الذى تداخل بالصلح عندما رأى فظاعة تقهقر النمسا ثم لما انهزمت فرانسا فى حربها مع المانيا ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م واضطرت الى اخراج جيشها من رومة تم اتحاد ايطاليا بجعل مدينة رومة تخت المملكة فدخلتها جيوش الملك فيكتور امانويل والثائرون بعد محاربة ضعيفة من عساكر البابا وبقى البابا حاكما روحيا على الكاتوليك واتحد الحكم السياسى لمملكة ايطاليا ولم يبق خارجا عنها سوى صان مرينو التى أهلها نحو سبعة آلاف نسمة فانها مستقلة بنفسها وكذلك صان بيترو وهى كنيسة رومية الكبرى والفاتيكان وهو محل استقرار البابا وبقيت قطعة أخرى على شاطئ البنادقة العليا الحاوية لمرسى ترست تحت يد النمسا وفى نفوس الطليانيين الدعوى باستحقاقهم اياها ثم ان المزية فى ذلك الاتحاد ولئن كانت الى الملك فيكتور امانويل لاجرائه للقوانين فى ممالكه حتى أحبته سائر ايطاليا وفاز بالشهرة بذلك وزيره كافور لمهارته وحزمه فى ادارة السياسة العامة وجلب المساعدة من الخارج وتقديم الاهم فالاهم لكن للامة الطليانية أيضا الحظ الاوفر من ذلك الفخر حيث هيأت نفسها واستعدت لانفاذ ذلك المراد بفتح بصائرها وتمييزها السقيم من المستقيم ومعرفتها بما يؤول لخيرها حتى كانت تعقد لذلك الجمعيات السرية فى أقطار المملكة وتتواصل المخابرات بينهم فى الاستعداد وغرس حب الوطن والنفرة من الضيم ومن تلك الجمعيات الجمعية المسماة بالفرمسيون التى نهاية سعيها نشر الحرية من غير اذاية لاحد على شروط عندهم وتحملت تلك الجمعيات مصاعب كبيرة فى عدة جهات ومع ذلك لم يفتر عزمهم وآثروا النفع العام على حظوظهم الشخصية الى أن وجدوا يد المساعدة من دولة الساردو المستعدة لمسايرتهم ومعونتهم فنادوا بها من جميع أطراف المملكة وكان كاريبالدى مظهر وجود تلك الجمعيات التى كانت تنفق على متطوعيه كانفاق دولة على عساكرها وذلك الزعيم لما تم مقصد ايطاليا رامت الدولة مكافأته بترقيته فى الرتب العالية فاحتسب عمله لفخر بلاده وأبى قبول شئ ما مع احتياجه ومن أهم مساعدات البخت وجود قاعدة نابليون الثالث المار ذكرها ويقال انها مؤسسة منه قصدا لانه يدعى بانه كان من أعضاء الفرمسيون وانه لما كان منفيا بايطاليا وعد جماعته بالمساعدة اذا تولى ملك فرانسا واعانته لها اعتبار عظيم لانها كسرت سورة النمسا ذات الشأن فلولم تقع مساعدة فرانسا لكانت النمسا أول مخضد لشوكة الاتحاد ولو أنها ترى الحرب لاجل ذلك مع غيرها

(كتابلى

(كنا بلى مثلا) لانها تعلم ان المآل بالحضرة لهاحسبما قيل أقسم بحكم فنة فرانسا الا تتكر فى ذلك لان احياء الامة بعد الاندثار وتغلب الدول العظيمة عليها لا يمكن بدون مساعدة دولة ذات شأن واقتدار كما يبينه الاستقرا ومن غرائب ما سمعته من جهة علوم الحدثان هو أن نابليون الثالث زار ايطاليا اثر اعانته لها وفى مسامرة الوليمة التى أعدت له من ملك ايطاليا كانت امرأة عجوز من الاعيان حاضرة فاختلت بالامبراطور ومع بعض الاعيان المقربين اليه وقالت له هل وجدت ما قلته لك صدقا فقال نعم فقالت لكن ما أدرى كيف الحال فى الباقى فسقطها وفض المجلس فسألها أحد الحاضرين عن معنى كلامها فقالت انها تعلم نوعا من الحدثان وانها كانت أخبرت نابليون مدة هروبه بايطاليا قبل ولايته على فرانسا بجميع ما يقع له ومنه أنه يخلع بعد حرب وقد عينت وقتها ولذا قطع الكلام وقد رويت هاته الحكاية عن ثقة قبل حرب فرانسا وبروسيا ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م فلم يطل الزمن حتى كان الامر كما ذكرت والله أعلم بكيفية علمها اذ كان بعض أنواع ذلك الفن لا يتوقف على صلاح ولا على دين بل كالغالب هو صناعة وفى مقدمة ابن خلدون كفاية لبيان ذلك (وأما أسماء ملوك ايطاليا) فان لها الآن ملكان فقط (الاول) فيكتور امانويل الثانى ابنه امبيرتو (وذلك) لقرب العهد بالاتحاد ثم ان الملك الاول كان ملكا على الساردوه وهو من عائلة ساقويا التى لها رسوخ فى الملك والامارة من قديم

مطلب

﴿فى الادارة الداخلية﴾

(أعلم) ان الادارة عندهم منقسمة الى كليتين (الاولى) هى ما يتعلق بالادارة العامة (والثانية) ما يتعلق باجراء الاحكام الشخصية (فكل) منهما ادارة مستقلة عن الاخرى ولا دخل لها فيها وكل من الادارتين راجعة الى رئيس الدولة وهو الملك فدولة ايطاليا دولة ملكية والملك له ادارة السياسة العامة داخلية وخارجية ورياسة القوات الحربية برية كانت أو بحرية وعقد المعاهدات والحرب والصلح ورياسة الاحكام الشخصية وتنفيذها لكنه لا يتصرف فى كل ذلك الا على مقتضى قانون مرتب معلوم وملخص كلياته ان الملك يتصرف فى جميع ما تقدم بواسطة الوزراء وهو ينتخب الوزير الاول أى صاحب رياسة الوزراء ويكلفه بأن ينتخب هو بقية الوزراء ممن توفرت فيهم شروط

الاهلية وبعد اختيارهم يعرضهم على الملك وهو يوظفهم في وزاراتهم وهي وزارة الداخلية والخارجية والمال والاحكام والتجارة والمعارف والنافعة والديانة والحرب والبحر وقد يتقلد رئيس الوزراء احدى تلك الوزارات مع الرياسة وقد يجمع بين صغارها كالتجارة والنافعة والمعارف وكل وزير له حد ورد في ادارته يكون هو المسؤل عنها (وهنالك) مسائل تجتمع فيها المسؤلية على الجميع وما يستقر عليه رأى الوزراء منفردين أو مجتمعين يمضيه الملك وان لم يره يعرضه على المجالس الآتي بيانها فان وافقوا الوزراء امضى الملك وان خالفوهم وأصر الوزراء على رأيهم لزمهم الاستعفاء وينتخب الملك غيرهم كما انه اذا وافق الملك الوزراء وخالفهم المجلس فللملك الخيار ان شاء انتخب وزراء آخرين وان شاء حل المجلس واذن العامة بانتخاب غيره ومن حقوق الوزراء الحضور في مجلس النواب والاعيان للمناضلة عن أعمالهم ثم وراء أعمال الوزراء مجلسان (أحدهما) يسمى مجلس الاعيان ووظيفة أعضائه عمرية وينتخبهم الملك من عموم اهل المملكة كالاعيان وأعيان المتوظفين وجميع أعضاء العائلة الملكية اذا بلغ الرجل منهم احدى وعشرين سنة ولكن ليس له رأى وصوت يقبل الا اذا بلغ خمسا وعشرين سنة ولذلك لم يكن عدد أعضاء المجلس محصورا وكان مقتضى قواعدهم أن يكون من أعضائه كبراء الديانة لكنه لما كان البابا مضادا لملك ايطاليا حيث نزع منه السلطة المملكية كان جميع رؤساء الديانة مضادين للحكومة الطليانية ويرونها عاصية فلا يتداخلون في أمرها بل همهم سعى في ابطالها واعادة سلطة البابا لكن العقلاء منهم الذين يؤثرون نفع الامة عموما على حظوظ نفوسهم يعملون ما ذكر ظاهرا فقط قياما بوظائفهم الدينية وأما باطنهم فهو مع الدولة (ووظيفة) هذا المجلس هو الرأى في الاحتساب على أعمال سائر المتوظفين وفصل النوازل التي يقع فيها الخصام بين المتوظفين مما يرجع الى الوظيف واستحسان أو استقباح ما يرد من مجلس النواب بحيث لا يمضى شئ من ترتيباته الا بعد مصادقة مجلس الاعيان عليه وهو الحاكم في الجنايات السياسية (والمجلس الثاني) هو مجلس النواب وأعضاؤه تنتخبهم الاهالي من عموم المملكة فكل قسم من المملكة ينتخب عددا على قدر عدد سكانه بأن يكون على كل خمسة وثلاثين ألف نسمة عضو واحد بشروط في الذين ينتخبون بأن يكون كل منهم ذكرا طليانيا بالغا من العمر خمسا وعشرين سنة وأن يكون غير محجور عليه وأن يعرف القراءة والكتابة وأن يكون مؤديا للدولة أربعين فرنكا في السنة من أى طريق كان من أنواع الاداء ويستثنى من هذا أقسام لهم

امتياز

امتيازا بالعلم والتجارة فلهم الانتخاب مطلقا كما يشترط فيمن ينتخب لان يكون عضوا أن يكون طليانيا وأن يعرف بالرشد وأن يبلغ ثلاثين سنة وأن لا يكون متوظفا له مرتب من الدولة نعم يغتفر في الشرط الاخير اذا لم يبلغ عدد أهله في المجلس قدر الخمس ووظيفة هذا المجلس هي المحافظة على القوانين الموجودة وتغيير ما يرى تغييره وتحرير ميزان الدخل والخرج وترتيب كيفية توزيع دخل الدولة على الاهالي والاحتساب على جميع أعمال الدولة ويوجد مجلس آخر يسمى مجلس الشورى ينتخب أعضاءه الملك من أعيان المتوظفين ووظيفة هذا المجلس هي اعطاء الرأي فيما يعرضه عليه الوزراء من المسائل وتهذيب القوانين لتعرض على من له قبولها من المجالس ثم ان تنفيذ جميع الاعمال مناط بالوزراء وهم المسؤلون عما يقع من الخلل بمباشرتهم أو بواسطة من يعينونه للمباشرة في الوظائف ومسؤليتهم لمجلس النواب ولمجلس الاعيان فهذا هو ترتيب تصرفات الدولة (وأما) الادارة في الولايات فقد تقدم ان المملكة منقسمة الى اثنتي عشرة ولاية كبرى وكل منها لها أقسام حتى صار مجموعها تسعة وستين ولاية ثم الولايات في ذاتها لها (أقسام) صغرى وهاته تحتها أقسام أصغر منها فلكل ولاية وال معين من الدولة وله مجلس يسميه الملك ومدة وظيفتهم ليست محددة ومأموريتهم هي تنفيذ أوامر الدولة وتنفيذ ما يستقر عليه رأي مجلس الولاية الآتي ذكره ولهم التدبر فيما يصلح بولايتهم وامضائه بعد موافقة المجلس المذكور عليه وفي كل ولاية أيضا مجلس أعضاؤه تنتخبهم الاهالي لمدة خمس سنين ويبدل خمسهم كل عام وعددهم على حسب عدد سكان الولاية لكنهم لا يتجاوزون الستين نفسا فيما اذا كان عدد السكان أزيد من ستمائة ألف وينقصون ان كان عدد السكان أقل ومدة اجتماعه مرة في السنة تدوم على قدر الحاجة ومأموريتهم هي تعيين المقادير اللازمة لمصاريف مصالح الايالة كتمهيد الطرقات وبناء الجسور والمكاتب والمستشفيات وتحصين البلدان وغير ذلك وأول ما يعتبر في مقدار الدخل المقدار الذي يحصل من الاوقاف المعينة لمصالح الولاية ثم ما يزيد عليه من المصاريف يوزع على الاهالي على نسبة ما يدفعونه لمداخيل الدولة ومن وظائفه أيضا تعيين حدود الولايات وتغييرها فيما بينها على حسب ما تقتضيه المصلحة (ويوجد) في كل ولاية (أيضا) مجلس مركب من الاعضاء المنتخبين من تلك الولاية لمجلس النواب العام ومأموريتهم مستمرة ما داموا أعضاء لمجلس النواب وادارتهم هي قبض وصرف المبالغ المعينة من المجلس السابق بواسطة الوالي ومجلسه ولهم الاطلاع على سائر أعمال المجالس

والمصالح المدارة فى ولايتهم ثم ان كل وطن تحت الولاية فيه نائب عن الوالى مأمور بتنه
الاحتساب على أعمال المجالس البلدية الآتى ذكرها وايقاف مايراه من أعمالهم
مخالفا للقوانين وانهاؤه الى الوالى ثم فى كل جهة و بلد مأمور من الدولة وله أعوان مكلف
بحفظ راحة السكان وحراستهم من الجنايات والمشاجرات وهم المعروفون بالضابطيه كما
(يوجد) فى الاوطان أقسام من العساكر ومكلف بكيفية أخذ العساكر من الاهالى على
❊ مقتضى القانون (وكذلك) يوجد فى كل بلد قرية أو مدينة مجلس بلد لا تتجاوز أعضاؤه
الستين نفسا فى البلدان الكبيرة وينقصون فى غيرها على حسب كبرها تنتخبهم أهالى
البلد لمدة خمس سنين كما تقدم فى غيرهم وشروط انتخابهم كشروط مجلس النواب بنقصان
فى شرط مقدار الاداء للحكومة ومأموريتهم ما يتعلق بمصالح بلادهم والاحتساب على
الضابطيه ومدة اجتماعهم مرتان فى السنة أو عند الاقتضاء ثم ينتخبون منهم لجنة لا تزيد
أعضاؤها على ستة ولا ينقصون عن أربعة بحسب عدد سكان البلد تحت رياسة شيخ
البلد لاجراء المصالح المتفق عليها فى بقية السنة ومن حقوق صاحب الملك أن يغلق
جميع المجالس المتقدم ذكرها اذا رأى ما يوجب ذلك بشرط أن ينتخب غيرهم هو وفيما
يرجع الى انتخابه و يدعو الامة الى انتخاب من يرجع الى انتخابها فى مدة لا تتجاوز
الثلاثة أشهر وفى مدة التعطيل يكلف الملك من يجرى المصالح التى ترجع الى المجلس
المعطل وتكون عليه مسؤلية ما يجريه ولا يعزل صاحب وظيفة الا عن ذنب او نقل لغيرها
❊ فهذا كله فى القسم الاول من الادارة وهو الادارة السياسية (وأما) القسم الثانى
وهو الادارة الحكمية فان فى كل بلد مجلسا يحكم فى الحقوق الشخصية ثم فى كل قاعدة
من قواعد الاوطان مجلس لتحقيق الاحكام الصادرة من مجالس أحكام البلدان الراجعة
لتلك القاعدة عندما يطلب الخصم تحقيق الحكم (ويستثنى) من ذلك النوازل الصغيرة
ثم وراء ذلك مجلس آخر لتحرير أحكام مجالس التحقيق اذا طلب الخصم ذلك أيضا فى
نوازل معينة ثم فى كل بلد مجلس للجنايات الخفيفة ومجلس للصلح يدعو الخصوم اليه
وأحكام هاته المجالس يستندون فيها الى قوانين مرتبة عندهم عقلية مستخرجة من
عدة قوانين قديمة للرومان واليونان وغيرهم موصلة الحقوق الى مستحقيها على ما يرونه
وزاجرة عن الجنايات ومراع فيها حالة البلاد وأخلاق الاهالى وعوائدهم واصطلاحهم
ومجلس النواب يغير من قوانين الحكم ما تدعو المصلحة لتغييره بحسب تغير الزمان
❊ والعرف وقوانين الحكم معلنة يتوصل اليها كل أحد ليعرف ماله وما عليه واذا تغير

عندهم حكم مسئلة لا يجرى العمل به الا بعد مدة لكى يكون الناس عالمين به وأحكام مجالس الحكم وسماعهم للدعوى والجواب يكون علنا ولكل من أراد الحضور فى تلك المجالس أن يدخل اليها ويجلس فى مكان معد لذلك ليسمع ويرى لكنه ليس له التداخل فى الشئ من اعمال المجالس نعم اذا رأى شيأ مخالفا للقوانين فانه يرفعه لمن له النظر فى حفظ القوانين أو يكتبه فى الصحف الخبرية ويعلن به وليس فى قوانينهم العقاب بالجلد وانما يعاقبون بالقصاص فى النفس وفى غيرها بالغرم المالى والسجن على حسب الجناية فى درجة عذاب السجن ومدته واحكام المجالس تنشر فى الصحيفة الخبرية المعدة لذلك لكى يعلم الحكم من اراده من العموم ووظيفة أعضاء مجالس الاحكام عمرية لا يعزل صاحبها عزل عقاب ولا تأخير ليكون فى اجراء الاحكام آمنا الا اذا ثبت عليه ذنب بمقتضى القانون فانه يعزل ويعاقب نعم يترقى العضو من مجلس الى غيره ومن بلد الى غيرها وذلك بتدوير الاحكام على قانون لهم فى ذلك ولعموم الاهالى والواردين أيضا الحضور فى مجلس النواب ومجلس الاعيان لسماع مفاوضاتهم ولاصحاب الصحف الخبرية مكاتبون يحضرون فى تلك المجالس لينشروا جميع المفاوضات وكذلك فيها بيت معد لذلك اذا اراد الحضور الغير الرسمى وفيها بيت معد لمن اراد الحضور من أعيان الاهالى والسفراء والوافدين تعطى لهم أوراق الاذن بالدخول اليها من الوزارة كما أن العامة انما يدخلون بورقة الاذن من الرئيس والحصول عليها سهل وانما يلزم الاذن لكى لا يزدحم الحاضرون فى مكان الاجتماع بان يكون عددهم أكثر مما يسعه المحل ولان فى المجالس جلسات سرية يضر افشاء خبرها فلا يسمع عندها بحضور غير الاعضاء بل ربما اعترى ذلك فى وسط الجلسة الجهرية فيؤذن للحاضرين بالانصراف

مطلب

قد تلخص مما تقدم ان دولة ايطاليا هى دولة ملكية قانونية شوروية وللاهالى الحرية الشخصية والسياسية فاما كونها ملكية فلان الرياسة والتصرف العام هو بيد ملك وراثى أعنى أن الملك ينتقل من الاب الى ابنه الاكبر فى عائلة مخصوصة ومن هذا الى ابنه الاكبر وهكذا وبقية العائلة الملكية تستخدم فى الوظائف كسائر أعيان الاهالى على حسب التأهل (وأما) كونها قانونية فلان التصرفات العامة والاحكام الخاصة كلها منضبطة بقواعد عقلية مدونة معروفة (وأما) كونها شوروية فلان تطبيق تلك

القوانين على الحوادث منوطا بآراء متعددة ووراءها أنظار أخر متعددة بحيث لا يمضى شئ الا ما يستقر عليه غالب آراء أهل الحل والعقد (وأما) كون الحرية الشخصية للاهالى فلان كلا منهم له الاطلاق فى التصرف فى نفسه وكسبه داخلا فى دائرة حدود القوانين لا يخشى من مجاوزتها عليه وهى كافلة له بالامن فى دينه ونفسه وماله وعرضه (وأما) كون الاهالى لهم الحرية السياسية فلان كلا منهم اذا توفرت فيه الشروط المؤهلة من صفاته الذاتية فله التداخل فى تدابير المصالح الكلية العائدة لوطنه ولكل منهم نشر أفكاره على العموم بواسطة المجامع أو الكتب والصحف الخبرية على شرط عدم الخروج عن حدود القوانين المراقب لها فى جمهوريتى جنسه

مطلب

﴿فى السياسة الخارجية لايطاليا﴾

(اعلم) أن دولة ايطاليا الآن هى سادسة الدول الاورباوية الكبار وهى المانيا وفرانسا وانكلترة والنمسا والروسيا وايطاليا فهاته الدول بما لهم من القوة واتساع نطاق التمدن صار لهم المداخلات فى كل ما يمس حقوقهم من سياسات العالم وشدة مراقبة بعضهم لبعض لا تترك احديهم تتداخل فى شئ يمكن منه لمس حقوق الآخرين ولو فى الوجاهة والنفوذ ولكنهم عموما يتحمون المداخلات فى أحوال الدول ذات الانتظام لا لمجرد مراعاة الانتظام بل لان الانتظام يشيد حصونا على أبواب المداخلات باستناد أصحابها الى أصولهم وآراء العموم مع جريان سيرتهم على استقامة من القيام بواجباتهم فى أنفسهم والوفاء بحقوق المعاهدات الاجنبية ومع ذلك فالقوة فى الدول الكبيرة تغرى بالتداخل فى أحوال الضعيف كيفما كان الحال لكن الغيرة والتحاسد بين الكبار يوجب ردع بعضهم بعضا فاذا كان المصوب اليه سهام التداخل مستقيما فى نفسه وجد بقية الدول الكبار مستند الردع الجانى منهم على الضعيف اذ اختلاف منافعهم ومباينة مقاصدهم موجبة للاختلاف وعدم الاتحاد على الاضرار بالضعيف حيث ان الاضرار به لا يمكن أن يوفى بأغراض جميعهم فلا يسمح أحدهم برجحان كفة غيره على كفة نفسه ولذلك يجد الضعيف راحة من اختلافهم الذى كانت أعماله باستقامته سببا فيه (أما) اذا كان فى نفسه غير مستقيم تورث سيرته الكوارث التى تقلق جميع الدول الكبيرة فيتحمون تحمل ضياع بعض أغراضهم ليسدوا باب التشاحن من قبيل ارتكاب أخف

الضررين

الضررين وذلك لا ينشأ الا فى الجهات التى تشترك فيها منافع الجميع (أما الجهات) التى تخص بعضا منهم فان المشاحنة انما تقع بين من له تشارك فيها فقط ولذلك كان لدولة ايطاليا مراقبة لاحوال شطوط البحر الابيض وكل الدول المجاورة لها ولم يكن يعنيها ما يقع فى غربى أوربا ولا ما يحصل فى الصين والهند وأمثال ذلك نعم ليست درجة غربى أوربا عندها كدرجة الصين والحاصل ان تداخلها هى أو غيرها على حسب منافعها السياسية والتجارية ولذلك كانت لها معاهدات مع الدول التى لها معها علاقة فى السياسة أو التجارة وهاته الدول هى جميع دول أوروبا والدول التى على شطوط البحور من آسيا وغالب جهات أفريقيا ولها سفراء نواب عنها فى تخوت تلك الممالك وهم على طبقات فى المقام فلها سفراء من الدرجة العليا فى الدول العظيمة التى لها معها خلطة سياسية معتبرة ولها سفراء من الدرجة الثانية فى غيرها من الدول المستقلة التى لها معها معاهدات ولها قناسل وهى رتبة أقل من السفير فى الحكومات الغير المستقلة أو التى هى صغيرة وتارة تكلف بمصالحها نواب بمجرد الشرف بالرتبة من غير مرتب أو تكلف نواب بعض الدول الاخرى كل ذلك فى الممالك التى تقل خلطتها معها ولكل سفير أو مكلف نواب وأعوان ومحل ادارة يسمى بالسفارة كانه وزارة تنفق عليها الاموال فى المرتبات وغيرها وكل دولة فيها سفير من ايطاليا يلزم أن يكون لها هى أيضا سفير فيها على قدر مصالح تلك الدولة وهى قاعدة مطردة فى سائر الدول بالنسبة لسيرتهم فى الخارجية ومنذ سنة ١٢٧١ ﻫ ١٨٥٤ م دخلت ايطاليا فى عقد المعاهدات العامة بين الدول الكبيرة وان كانت اذذاك دخلت بصفة دولة سردانيا حيث انعقد الصلح بين الدولة العلية والروسيا وعقدت له شروط معاهدة باريس التى اجتمع لها نواب الدول الكبار الست الاوروباوية ونواب الدولة العلية ووقع الجميع على المعاهدة وكان منهم نواب سردانيا لدخول دولتهم فى الحرب كما سبقت الاشارة اليه

فصل

(فى بعض عوائد أهالى ايطاليا وبعض صفاتهم)

اعلم ان سكان ايطاليا من أبناء أجناس من الامم الذين وفدوا عليها قديما واتحد الجميع بصفة الطليانيين منذ قديم وديانتهم عموما سعيه على المذهب الكاتوليكى وهو مذهب الدولة وكثير ممن تفننوا فى العلوم الرياضية قادتهم الطبيعيات فصاروا لا يعتقدون شيأ من

الديانات ظننا منهم انها جميعا مردودة بالعقل مثل ما يرون من عقائد ديانة النصارى واليهود لكن عقلاؤهم يقرون بالخالق جل وعلا ولو اطلعوا حقيقة على حقائق الديانة الاسلامية لما وسعهم من الانصاف الا اتباعها لمطابقتها للعقل وسطوع برهانها والمسؤل عن عدم ابلاغ الشريعة اليهم على حقيقتها هم من أناط الله بهم ذلك على ما سيأتى ايضاحه فى الخاتمة ان شاء الله تعالى وسكان ايطاليا هم بعض أقوياء منهم أكثر أهاليها مهذبون

(وأما القرى) والبوادى فهم على الخشونة والاعتقاد التقليدى البحت للقسوس وهم أصحاب جد فى العمل والاشغال وأصحاب الاعمال البدنية يبكرون الى أشغالهم (وأما) ذوو الترف والاحكام فانهم يطلبون السهر ويقيقون من نومهم مؤخرا ولا يبتدئون الاشغال الاقبل الزوال بساعة أو ساعتين أو عند الزوال وكثيرا ما يدعو الاحباء بعضهم بعضا للسهر والرقص فى منازلهم وتارة يستدعونهم للعشاء مع ذلك وتارة يقتصرون على تقدم فواكه وحلويات وخمور وليس من عاداتهم الحياء مثل ما هو عندنا فترى البنت تخاطب زوجها وتقابله أمام والديها بل وتفعل مثل ذلك مع خطيبها وترقص مع الرجال أمامهم هذا فى البنات فكيف بالنسوة وعندهم ان الغناء ليس بعيب من النساء فترى أكبر الاعيان يحتفل فى داره بدعوة عامة وتصير بنته أو زوجته أو احدى النسوة الاعيان المدعوات تغنى فى ذلك الملأ وترقص مع الرجال على اشكال شتى من معانقة ومخاصرة وغيرها ولا تأثيم من ذلك بل يرونه اكراما بحيث أن المسلم الغيور يكاد ينفطر مما يرى (وأما الرجال) الاعيان فالرقص عندهم مع النساء ولو فى الملاعب غير معيب لكن الغناء منهم معيب والنسوة يخرجن مكشوفات الوجوه ويتعاطين من الاشغال مثل الرجال الا الاشغال الشاقة والتعاليم للعلوم العالية ويصاحبن الاجانب عن قرابتهن مثل الرجال ويقول رجالهم ان الذى حمل المسلمين على حجب النساء ما فى طباعهم من الخيانة وشدة الحجب توجب شدة الشوق وحيث انا على خلاف ذلك فالامن على نسائنا محقق والتى لا يحميها عرضها لا يحميها اشتداد ارها هذا مدار كلامهم وهو خطأ فاحش اذ موجب الحجب أمر طبيعى فى سائر البشر بل فى سائر الحيوانات ومن المعلوم ان لكل شئ سببا فرؤية الذات والوجه مكشوفا ثم المكالمة ثم المداعبة ثم الرقص فى حالة شرب الخمر والطرب ثم المخاصرة كلها أسباب تدعو الى الاتفاق طمعا الى ما وراءها بلا شك واثبات ذلك بالوجود أقوى دليل حتى صار من عوائدهم ان البكارة هى التى لم تتزوج صاحبتها من غير نظر الى حقيقتها الاصلية والزيادة على هذا فى الاستدلال خارج عن موضوعنا

ومنصفوهم

✽ ومنصفوهم يقر بذلك لامحالة وقد غلط من ادعى ان ديانة نساء تبيح النظر لوجه المرأة وهو جهل بعدم التفرقة بين كون وجه المرأة ليس بعورة وكذا كفاها وقدماها حتى يجوز لغير محرمها النظر الى تلك الاعضاء وكذلك النسوة أمثالها وبين كون الوجه يجب ستره عن الرجال الاجانب مطلقا لخوف الفتنة بنص الكتاب في قوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن الآية وذلك هو الحق المستقيم والمشاهدة أقوى دليل فكل بلاد حافظت على ذلك قلت فيها الفاحشة حتى كادت أن لا تقع وكل بلاد تساهلت في خروج النساء مكشوفات الوجوه بالبراقع الصفيقة وغض النظر عن مكالمة النسوة للرجال والمزاحمة في الاسواق والجامع فشت فيها الفاحشة واتخذ رجالها عبيرا مسارتهم التكلم بوقاحتهم مع النساء سواء كانت بلدة اسلامية أو افرنجية وقلب الحقائق واخفاء الجهر وعكس الطبائع ليس في الوسع ولا يحاوله ذو انسانية ✽ وأهالي ايطاليا يستعملون الموسيقى ذات آلات النفخ وذات الاوتار وهم برعاء فيها والحانهم هي ألحان الاوروباويين وهي ألحان مخالفة للالحان المعروفة عند المشرقيين والعرب وأهالي أفريقية الشمالية حتى ان هاته الالحان لا يحصل منها ما يحصل من السماع لهؤلاء وبالتعود تصير مؤثرة في النفس ولها نعاليم مخصوصة معتنى بها ولا يدقونها الا على تطبيق لما هو مرسوم في أوراق خاصة على اشكال يتبعوا صوت النغمات بحيث ان كل صاحب آلة تكون أمامه تلك الاوراق ينظر فيها ويدق على نحوها ولا يدقون من محفوظاتهم الا قليلا وأهل البادية وبعض القرى لهم آلات من مزامير بالجلود ينفخونها بلا أوراق وفي كل بلدة مراسح للعب والتلهي على حسب كبر البلدة تفتح ليلا للسهر وتشكل فيها ألعاب على صور تاريخية مرئية أو للغناء والسماع ولهم تقدم وشهرة في ذلك على سائر أهالي أوروبا والاهالي عموما ذوو رجولية في التمسك بالآلات الحربية حتى لا تكاد تجد من لا يحمل السلاح الصغير الخفيف مخفيا ويركبون الخيل رجالا ونساء غير أن المرأة تركب السرج بلا فتح لرجليها بل انها تثني رجلها اليمنى على مقدمة السرج ورجلها اليسرى تضعها في الركاب وعادة الاهالي في السلام عند الملاقاة هي المصافحة مع هز اليد ويقول احدهما للآخر يوم حسن أو ليل حسن واذا قدم مسافر على حبيبه أو قريبه قبله في فمه ولو الولد مع والده أو امرأة مع قريبها لكن النسوة يزدن ان الحبيبات متى اجتمعن قبلن بعضهن في الافواه والرجال لا بد في سلامهم من كشف رؤس بعضهم لبعض والرفيع بالنسبة للوضيع يضع يده على قلنسوته كانه يريد رفعها وفقا واذا دخل وارد على آخر في بيته لا يجلس

الاوهما مكشوفا الرأس وهى عادة جارية فى جلوسهم فى بيوتهم مكشوفى الرؤس الا من كان به أذى من رأسه ومن عاداتهم أن لا يعدوا المشى لتلاقى القادم لكنهم يعدون التشييع ومن الآداب أن يحدث أحدهم كلاما لصاحبه عند الفراق فيتمه فى حالة الوداع ويتصافحون أيضا عند ذلك

مطلب

❀(فى التجارة)❀

الطليانيون لهم مهارة فى التجارة كغيرهم من أهالى أوربا فرادى ومجتمعين والذى وسع تجارتهم هو عقد الشركات فأموال الواحد لا تكفى لمزيد الاتساع فى التجارة ولذلك يعقدون شركات ذات أسهام عديدة ويقيضون للمباشرة بعضا منهم ممن يأتمنونه وتكون لشركاتهم فروع فى الاقطار التى يواصلون معهم التجارة ويعلمون كيفية التجارة والبضاعة وأسعارها وكيفية ايصالها بواسطة الصحف الخبرية وبأوراق وكتب يودعونها مجانا ويرسلون الرسل لاكتشاف تجارات البلدان والاقطار وان بعدت ويشهرون بها تجارتهم ودوامهم تحميهم فى أنفسهم وأموالهم أينما حلوا ولا تقتصر تجارتهم على نتائج بلادهم ثم اذا لم توف أموال الافراد أو الشركات للمقصود من التجارة تراهم يقترضون من ديار الصيارفة وهؤلاء الصيارفة هم ذوو الاموال اما ان تكون لواحد أو لعائلة أو للعموم بان يكون كل من له شئ من المال ولا يريد التعب فى ترويجه والربح منه لعجز أو غيره فانه يدفع ماله لاحدى ديار الصرافين المسماة عندهم بالبنوك ويأخذ منها حجة فى مقدار ما دفع وتاريخه ويأخذ على ذلك ربا فى كل سنة وهو لا يتجاوز ستة على المائة فى السنة ومهما أراد رأس ماله فانه يحاسب على مقدار ما بقى عند الصراف ويأخذ ربحه ورأس ماله حالا وكذلك اذا أراد أخذ البعض من رأس المال فله ذلك وكذلك اذا أراد ارجاع ما أخذ أو أكثر أو أقل فله أن يدفع متى أراد ويأخذ متى أراد ويحاسب متى أراد فسهل بذلك ادارة أموال العاجزين مع أرباحهم ثم ان البنك الذى يأخذ الارباح على النحو المذكور يدفعه لمن يريد الاستقراض بزيادة فى مقدار الربا على ما يعطى هو وهاته الزيادة محدودة لا تتجاوز العشرة على المائة فى السنة وكل من مقدار المدفوع والمأخوذ مختلف بحسب البنوك والبلدان لكنه على كل حال لا يتجاوز الحدود المذكورة لنصه بالقوانين حتى ان من تجاوزها يؤاخذ ثم اعطاء البنوك المال للمستقرضين انما يكون برهن أو لمن له اعتبار

بأتمه

يأتمنه به صاحب البنك ثم ان بعض أصحاب البنوك تجيزهم الدولة على قانون معلوم بان يخرجوا أوراقا تتداولها الناس عوضا عن النقدين بشرط أن لا تتجاوز الضعف مثلا من مقدار رأس المال وبعض تلك البنوك مخصوص بالفلاحة وبعضها اطلاقي وبما تقدم تجد التجارة رائجة بين أيدي السكان بأكثر من أضعاف كسبهم وأهم الوسائط التي يزيدها الحوالات المالية وهي ان التاجر يشتري شيأ أو يأخذ مالا من أحد ويعطيه حوالة يقبض ما يطلب منه على أحد التجار أو البنوك على أن يقبضه على تسعين يوما وهو الاكثر دورانا وتارة يكون أقل أجلا وتارة يكون أكثر وعند بلوغ تلك الحوالة للمحال عليه يوقع عليها بالقبول ليدفع في الاجل وقبل حلول الاجل يرسل المحيل المال اما مما باعه أو بما قبضه من حوالة أخرى بحيث ان المحال عليه يدفع المال في أجله من غير أن يخرج من ماله شيأ مع ربحه لجزء من المال لانه يلزم الاتفاق من قبل بين المحيل والمحال عليه في قبول الاحالة وفي مقدار ما يربحه ولا يتجاوز النصف في المائة وتارة يكون بلا ربح بامارة المصادقة أو معاوضة بمثلها بينهما كما ان المحال عليه يربح بقبض ماله نسيئة أيضا جزأ يسيرا والمحيل يربح لانه يتجر بمال ليس له فيه رأس مال ولكن مع ذلك كثيرا ما يعتري الافلاس تجارهم وبنوكهم لان من أحكامهم انه اذا حان الاجل ولم يدفع المؤجل ما عليه ففي الحال يفلس ولذلك كانت أكثر البنوك بايطاليا التي لها أوراق مالية لا تصرف الا ببخس بالصرف بالعين لاحتمال الافلاس ولا تتداول خارج المملكة بل ولا خارج بلدانها الا بنك الدولة فانه رائج في جميع مملكته فقط وفي كل مدينة محل ضخم للمناداة على المتاجر العالية يسمى بورسه يفتح بضع ساعات عند الزوال اذا دخله الانسان يجده محتبكا بالخلق والضجيج بأصوات السماسرة ينادون على أوراق ديون الدول وأوراق الشركات التجارية الكبيرة ذات الحصص كطرق الحديد وخليج السويس وأشباهها وكثير من التجار يفلسون في تلك المتاجرة لان بعضهم لا يشتري ولا يبيع الا يدا بيد وهؤلاء لا يعتريهم الافلاس الا نادرا لانه اذا انحطت أسعار ما اشترى لا يطالبه أحد بشئ وانما يصبر على خسران نفسه الى ان ترتفع الاسعار وبعضهم يكون ليس له رأس مال لما يشتريه وما يشتريه أيضا ليس بحاضر بل هو مؤجل لرأس الشهر ويعتمد على أن ما يشتريه اليوم يرتفع سعره غدا أو بعد أسبوع فيبيعه ويأخذ الربح ويحيل المشتري على البائع فيما اشترى ويخرج من البين بالربح فكثيرا ما يربحون بذلك أموالا جسيمة وكثيرا ما يفلسون في أموال جسيمة بأن ينحط السعر عما اشترى به ويحل الاجل فيلزمه دفع الثمن

وأخذ المبيع أو دفع مقدار الخسران فقط فيستغرق كسبه في كرة واحدة أو عن كرات وهذا النوع لا يحكم به الحاكم عندهم لأنه يراه من المقامرة لكنه لا يمنع منه فالمفلس يفلس نفسه بغير حكم لكي لا يسقط اعتباره رجاء أن يربح مرة أخرى بمعاملة التجار اليه فما تقدم كله من أسباب الثروة واتساعها وسيأتي في الخاتمة ان شاء الله تعالى ما يجوز اما شرعا عمله وما هو ممنوع ومن أعظم أسباب الثروة واتساع التجارة تسهيل الطرق لنقل البضائع بأجرة يسيرة وزمن قليل وكانت الطرق الحديدية أنفع وسيلة لذلك حسبما تقدم في الكلام على تونس ولكن الطرق الحديدية وحدها غير كافية لأنها انما تمر على الاماكن الأكثر عمرانا فلزم لها طرق فرعية صناعية لجلب البضاعة بسهولة لمراكز
* الطرق الحديدية ولذلك كانت سائر الجهات في ايطاليا لها طرق صناعية ومن أنفع وسائل التجارة والعمران انتظام البريد وهو أن الدولة تجعل أماكن في سائر البلدان لوضع المكاتيب في محل منها ويؤدي صاحب المكتوب أجرة على حمله أجرة زهيدة بالمرة بأن يشتري بطاقة من الورق عليها علامة مخصوصة وظاهرها عليه صمغ فيبل الصمغ ويلصق البطاقة على المكتوب بحسب ثقل المكتوب في زيادة الأجرة ويكتب عنوان المكتوب باسم المرسل اليه وبلده وحارته وعدد منزله فتحمل المكاتيب من كل بلد في الرتل لها مركبة خاصة بها مرافع ذات أقسام ومستخدمون فعندما تأتي المكاتيب الى المركبة في وعاء يسير الرتل ويشتغل المستخدمون في توزيع المكاتيب على أسماء البلدان ويميزون كلا على حدة ومهما وصل الرتل الى بلد أقبلت أتباع البريد عن محل الى تلك المركبة ودفعوا لها ما عندهم وأخذوا منها ما يخص تلك البلدة ثم يسير الرتل وهكذا وكل بلدة أخذت المكاتيب من الرتل يؤتى بها لمحل البريد وتعطى لموزعين يوزعونها على أصحابها حسبما هو معنون عليها واذا وجدوا مكتوبا غير خالص الأجرة يوصلونه للمرسل اليه فان دفع أجرة حمله وهي اذ ذاك مضاعفة سلم اليه المكتوب والا أرجع الى محل البريد وحفظ فيه مدة ثلاثة أشهر فان جاء صاحبه باحثا عنه أدى أجرته وأخذه والا فتح فان وجد به اسم مرسله ومحله أرجع اليه وأخذ منه الأجر مضاعفا والا أحرق وهكذا فيما اذا لم يوجد المرسل اليه بالمرة وكان خالص الأجرة فانه يرجع من غير أجرة واذا كان المكتوب ذا أهمية فلصاحبه تضمينه أي جعل صاحب البريد ضامنا لايصاله بأن يجعل عليه خواتم بالشمع خمسة أو علامة أخرى ويأخذ من صاحب البريد حجة في ايصاله الى صاحبه ويؤدي عليه أجرة ضعفين على المعتاد واذ ذاك لا يسلمه البريد الى صاحبه الا بأخذ حجة منه في الوصول اليه فاذا فرض

ضياعه

ضياعه من صاحب البريد فانه يؤدي للمرسل ستين أو خمسين فرنكا وهكذا سائر الاوراق
المكتوبة على الصور المتقدم غير ان الصحف الخبرية أجرة ايصالها زهيدة بالمرة وكذلك
الكتب وقد جربوا انهم لما رخصوا في الاجرة ازداد الدخل للبريد وما تقدم في
كيفية الحمل للبريد في الاماكن المتصلة في البر أما اذا كانت الاماكن يتوصل لها بحرا ✱
فان الدولة تتفق مع احدى الشركات التي لها بوابور سيارة للتجارة على أن تحمل البريد
بأجرة سنوية على مقدار ما يتفقون عليه من السنين على ان تقلع البوابور في أوقات معينة
وتصل الى أماكنها في أوقات معينة من غير تقديم ولا تأخير واذا تأخرت البابورة عن
ميعادها فلا بد أن تبين بحجة السبب الاضطراري الذي حملها على التأخير والا فتغرم
شركتها أموالا بليغة ضمانا عن التأخير وكذلك الرتل اذا كان لغير الدولة أعني في
الاتفاق معه على حمل البريد أما في تعيين الاوقات وانضباطها فالكل سواء برا أو بحرا
ولذلك تجد السفر مع البريد في غاية الانضباط لانه لا يتخلف عن مواعيده فالمسافر معه
يكون مرتاح البال عالما بيوم سفره وساعته وكذلك بساعة وصوله الا أن يعرض عارض
سماوي ثم ان السفر في بوابور البريد هو أحسن من غيرها من البوابور التجارية لان تلك
أتقن نظافة وأقل ازدحاما وأرفق خدمة بالركاب حتى اذا كان البحر راكدا كان
السفر نزهة ولكن قلما يصفو الحال بسبب اضطراب البحر أما السفر في الرتل فهو على
نحو ما تقدم من الانضباط سواء كان حاملا للبريد أم لا ولكل رتل رقاع مكتوب بها
الاعلام بوقت سفره من كل بلد ووقت وصوله وكم يقف بها من الدقائق و يحفظون
على تلك الاوقات للغاية وعند ما يصل بلدة ترى خدمته يصيحون باسمها وعدد الدقائق
التي يقف بها اعلاما للمسافرين ووقوفه لا يتجاوز نصف ساعة في وقتي الاكل وأما غيرهما
فأكثر وقوفه عشر دقائق الى الدقيقتين و بلدان الوقوف للاكل يجد بها في المواقف
بيوتا ضخمة بها موائد الاكل والمأكولات المطبوخة والفواكه كلها مهيئة فمنهم من
يأكل هنالك ومنهم من يشتري و يحمل مأكله معه والاثمان في تلك الاماكن أغلى من
غيرها كما ان البلدان الاخرى يوجد في محطاتها الاكل لكنه دون ذلك وفي كل محطة
بيوت المستراحات فالركوب في الرتل منتزه على كل حال سيما مع ما أحدث فيه من المخادع
المنفردة حتى يستطيع الانسان أن ينام و يقضي جميع ضرورياته بغاية الراحة وفي أيام
البرد تسخن المخادع بأواني نحاسية مملوءة ماء حارا ويزيد أجرة هاته المخادع على الاعتيادية
نحو عشرة في المائة وقد أحدث نوع من المركبات ذو مقاصير للانفراد وبيت للاجتماع

فيكون الانسان كأنه فى دار مع جيران وهو مسافر ولا يزيد الاجر فى هاته المركبات على المركبات من الطبقة العليا الا نحو الثلث ومن وسائط رواج التجارة ورود الاخبار بالاسلاك الكهربائية فأصحاب الشركات يخبرون أصحابهم كل حين بما يروج عندهم فى الاقطار المختلفة وما يكسد من البضائع فيكونون على بصيرة منه وأعظم ما يكون ذلك فى متاجر محلات البورصة فترى الاخبار تتساقط عليها كالمطر وبذلك ترفع أسعار أوراق الديون وغيرها أو تحط وأعظم ما يؤثر فى ذلك الاخبار السياسية سيما الواردة من قواعد الممالك السبع الكبيرة وهى الاستانة وباريس ولوندره وبرلين وفينا وروما وصان بطرس بورغ اذ هاته الدول هى التى عليها مدار السياسة العامة وقد اتخذ التجار الاخبار السياسية ملعبة للارباح حتى صاروا يختلقون أحيانا أراجيف سياسية تارة بالتصريح وتارة بالتلويح وتتلقفها عنهم صحف الاخبار فينشأ عنها أرباح أو خسائر مبنية على أوهام ولذلك يرى بعضهم ان سهولة قرب الاخبار ونقل البضائع مضر بارباح التجارة وان الارباح انحطت عما كانت عليه فى القديم وهو صواب بالنظر لهيئة التجارة القديمة لكن فى نفس الامر قد ازدادت كمية التجارة وذلك ان التاجر ذا البضاعة من الصوف مثلا كانت لا تأتيه سفينة شراعية بها ألف قنطار من الصوف والمكاتيب المعلمة بالاسعار الا بعد عدة أشهر فيبنى عليها عمل تجارته ويشتهر خبرها ولا يبيع تلك الالف قنطار الا بعد عدة أشهر فيربح فيها فى السنة عشرين فى المائة ان ساعده البخت والآن صار يأتيه فى كل أسبوع نحو ذلك القدر مثلا وتأتيه الاخبار كما تأتى غيره فيبيع صوفه بربح عشرة فى المائة فقط فى شهر ثم الشهر الذى بعده كذلك وهكذا فعوضا عن كونه كان يدير رأس ماله مرة فى السنة ويربح فيه عشرين فى المائة صار يديره اثنتى عشرة مرة ويربح فيها أزيد من الضعف فبالنظر الى كمية الربح كل مرة تجد الارباح القديمة أوفر لكن فى الحقيقة الناتج فى السنة من الارباح الحالية أكثر ولا يظن ان ما قلناه مبالغة بدعوى ان كمية المحتاج اليه من الصوف مثلا فى القطر المجلوبة اليه لم تزدد فما يأتى زائدا لا يباع وبيان فساد ذلك ان الادارات والحركات كلها مرتبط بعضها ببعض فلما سهلت المواصلة سهلت آلات النسج بالمعامل البخارية والبلد التى كانت تنسج ألف قنطار صوفا فى الشهر بآلات اليد صارت تنسج اضعافا اضعافها بآلات البخار وتلك المنسوجات تنفق مهما ازدادت بانحطاط أسعارها فيكثر راغبها فمن لم يكن قديما قادرا على لبس الملف وهو الجوخ لغلوه صار

الآن

الآن يتوصل اليه لرخصه برخص ثمن الصوف بما نقص من أجرة حملها وقلة ربح تجارها وبرخص آلات النسج وبقناعة البائع بالربح اليسير وهكذا وكذلك كثرت سكان الممالك المتمدنة وكثر المتمدنون وكثر اتساع التجارة وايصال البضائع الى الاقطار الشاسعة التي لم تكن تصل اليها من قبل فارتبطت الاشياء بعضها ببعض واتسعت التجارة وازدادت الارباح على نحو ما ذكرناه وأضف الى ذلك ان المنسوجات بالمعامل ليست متينة مثل عمل الايدي فصار أغلبها يبلى ويتمزق بسرعة بالنسبة للمنسوجات المصنوعة باليد ثم ان تجارة ايطاليا أغلبها بيد أهاليها وفيهم كثير من الاجانب وقد كانت سابقا تجارتها أغنى مما رجعت اليه ثم انحطت بتقدم الممالك المجاورة لها وتأخرها عند انقسامها وظلم ولاتها لكنها الآن تراجعت للغنى وأغلب ما يخرج منها الحرير الغير المصنوع والدقيق وانواع العجين المصنوع والحبوب والحيوانات المأكولة والجلود وزيت الزيتون والكبريت وهي كما سبق لها انفرادها به وقد خرج منه في عام واحد مائتان اثنان ألفا وخمسون ألفا قونولاته أي قنطار ٢٥٠٠٠٠ وكذلك يخرج منها المرمر والرخام الابيض والكتان والحشيشة المعروفة بالتكروري والمنسوجات الحريرية والاعطار والتبن المصنوع منه كراسي وغيرها والحجر مثل الحجر المعروف بحجر سيسيليا الذي هو لبن خفيف وبعض المعادن المشار اليها في التعريف بايطاليا وقيمة تجارتها في سنة واحدة وهي سنة ١٨٧٦ مليارادان وسمائة ألف فرنك والمليارد ألف مليون وهاته التجارة مع جميع الممالك المعروفة لكن أكثرها مع النمسا وفرانسا ثم بقية الممالك ويخص من ذلك الزيت وحده ثلاثمائة وخمسون مليونا

مطلب

﴿في الصنائع الفلاحية في ايطاليا﴾

(اعلم) ان هاته الصناعة لها ترق كبير لحسن الموقع واعتدال الهواء ومع ذلك لم تبلغ الى درجة النهاية نعم هي في الجهة الشمالية مناكبة لما جاورها من فرانسا وغيرها اذ لاهلها اعتناء واتقان للزراعة وتربية الاشجار وتنميتها حتى ترى الارض كأنها حديقة متقنة ولا تجد أرضا خالية من الاشجار ولو الاراضي الزراعية بحيث تجدها مقسمة بصفوف من الاشجار وبينها براحات للمزروعات فصاحب الارض ينتفع بغلال الاشجار والحطب والزرع معا وترى الارض مقسمة بتقاسيم لها منظر بهيج ونفع عظيم هذا زيادة على ما

يحصل من الأشجار من السبب فى المطروذلك لان الله بحكمته البالغة جعل عروق الاشجار تمتص الماء من عوامق الارض ثم تنفثه بخارا من أغصانها وأوراقها ويتشأ من البخار السحاب واذا كانت الاشجار مرتفعة جذبت ذلك السحاب لبطئ السير حتى يمطر عليها ويحصل بسبب ذلك كثرة المياه فى الارض فيكثر خصبها وقد بانت سببية ذلك بالتجربة والله الخالق الحكيم ثم ان صناعة الفلاحة لا يأخذونها بمجرد التقليد فى العمليات بل انها علم مخصوص يدرس ويصور بالمشاهدة وله مدارس مخصوصة ويعتمد كثيرا من الكيماويات وحول المدارس أراضى للبيان بالعيان والتجربة والعمل وأراضى الرعى مخصوصة ومن حسن التربية وحراسة الحكم لا يتجاسر أحد بالرعى ولا غيره فى أرض ليست له اما بالملك أو بالكراء حتى انه ليس لبساتينهم طوابى تمنع الداخل ولا تقع عندهم سرقة الغلال الا نادرا وأما بقية الصنائع فلهم كفاية فى كل الصنائع الضرورية والتحسينية لكنهم ليس لهم معامل كثيرة التى هى من أعظم أسباب الثروة والترقى وان كانوا لازالوا مجتهدين فى ترقياتها الى بلوغها المثل درجة الامم البالغة للنهاية فى المعارف والتمدن والحاصلون عليه الآن هو ان لهم معامل للسلاح بأنواعه ومعامل لانشاء السفن والبوانر المدرعة ومعامل للتحليلات الكيماوية وللاعطار وللشمع المتخذ من الشحم وللدباغة للجلود ولصناعة الورق وغزل القطن ونسج الجوخ والشاشية وأنواع المنسوجات الحريرية ومنه النوع الفاخر المسمى بالامبرا والقطيفة ومعامل للطرز كما انه يصنع بالايدى أيضا ولهم معامل للزجاج والفخار والعقيق والزهور الصناعية وآلات المرايا المكبرة وآلات الموسيقى وخصوص أوتار بالدنابلى لها صيت كبير فى جميع الجهات وفى نابلى وميلانو معامل متقنة للكراريس أى عجلات الركوب كما ان فى ايطاليا اتقان لصناعة الاحذية وسائر الانعلة وخياطة الملبوسات وهم فائقون فى صناعة نحت المرمر ونقشه وكذلك صناعة المرجان والصياغة والكهربان والمادة المتجمدة النارية المنقذفة من أفواه البراكين والموزايكو اى القطع المرمرية الواحدة منها قدر الظفر ترصف على أشكال بديعة ويلصق بعضها ببعض بنوع من الطين والجير وقد شاهدت فى معرض ميلانو ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م من تقدم ايطاليا فى سائر الصنائع ما صيرها قادرة على الاستغناء بنفسها فى سائر الحاجات والتحسينات فضلا عن الضروريات حتى ان ملكها لما دخل المعرض مع رجال الامة تعجب مما احتوت عليه المملكة مما لم يكن يخطر بباله ومن جملة ما احتوى عليه هذا

المعرض

المعرض تشخيص سائر أصناف الطاليانيين بصور على ألوانهم وهيئة لبسهم فرأيت أكثر من ثلاثين صنفا كل منهم له سحنة وشارة خاصة وأعظم ترقيهم فى مصنوعات الجلد والطين والعجلات ولهم مشاركة فى سائر المصنوعات

مطلب

﴿فى المعارف﴾

المعارف الدينية المسيحية لماسوق رائحة من القسوس ولهم صوامع ومدارس لكنهم قد منعوا نوع القسوس الجزوويت من التجمع فى المدارس لانهم يخلطون التعاليم الدينية بالتعاليم السياسية ويتخذون المدارس كالقشل للعسكر فمنعوا من ذلك لخوف الدولة من تشويش سياستها المخالفة مشرب الجزوويت لمشرب الدولة فى أصول السياسة (وأما العلوم) الرياضية فقد أخذوا فى التقدم فيها وعلى الاجمال فاهالى الشمال متقدمون على غيرهم فى سائر الفنون والتجارة والفلاحة وعلومهم الاصول ثلاثة (أحدها) علم جر الاثقال (وثانيها) علم الكيمياء أى تحليل الاجزاء وتركيبها (وثالثها) علم الطبيعيات ولكل منها فروع كثيرة ومن فروع الثانى والثالث علم الطب الذى كانت اشتهرت به بلد بيزة قديما والآن لم يبق لها ذلك الاعتبار وعلى العموم ففى ايطاليا الآن مدارس ومكاتب على ثلاث طبقات والمكاتب العليا فيها الى الآن لم تتناسب مكاتب فرانسا والمانيا وفى ايطاليا من أسباب تيسير المعارف كل اللوازم سيما المطابع والصحف الخبرية وخزائن الكتب ففيها ٤٩٣ خزنة كتب تحتوى على ٤ر٣٤٩ر٢٨١ مجلدا من الكتب المطبوعة و ٣٣٠ر٥٧٠ من كتب الخط وفى خصوص مكتبة قصر الفاتيكان ٣٠ر٠٠٠ كتاب وهى أحسن المكاتب من جهة حسن كتب الخط

مطلب

﴿فى هيئة المساكن والطرقات﴾

(اعلم) ان ايطاليا تكاد ان لا تجد بين بلدتين فيها طريقا غير صناعية بل كلها متصلة ببعضها بالطرق المحصبة المتقنة الصناعية غير ان الطرق فى البرية لا تنظف وانما لها قيمون لاصلاح ما يفسد منها كان يكون على كل ثلاثة أميال قيم له مركز يأوى اليه وفيه من آلات الاصلاح الخفيف ما فيه كفاية ويكون هو ملازما يومه متفقدا لما فى

عهدته ومهما وجده مكانا متغيرا بادر لاصلاحه وهكذا فاذا طال الامر على الطريق
واحتاج للتجديد باشره بذلك المكلف من المجالس البلدية وعلى أولئك القيمين متفقدون
فى كل الاوقات كما ان سائر أطراف المملكة متصل بعضها ببعض بالطرق الحديدية
وكذلك تتصل بسائر الممالك المجاورة لها بالطرق الحديدية وتلك الممالك متصلة بغيرها
بذلك أيضا فكانت أوروبا كلها كانها بلد واحد فى سهولة الانتقال والسرعة من مملكة
الى أخرى ومن بلد الى آخر ومع ذلك فلم تزل ايطاليا مجتهدة فى زيادة الفروع للطرق
الحديدية (أما الطرق) فى دواخل البلدان فزيادة على كونها صناعية لها خدمة
ينظفونها مرات فى اليوم ولا تجد فى البلد مزبلة لان خدمة التنظيف يرفعون الازبال
الملقاة من الدور فى آخر الليل ومن طرح الاوساخ من داره فى غير الاوقات المعينة
عوقب على ذلك بالعقوبة المالية بحيث تجد سائر الطرق نظيفة وفى الليل منورة بالبخار
الغازى والفوانيس نظيفة وغاية ما هنالك هو الفرق بين البلدان فى شدة النظافة
والتنوير واتساع الطرقات فقط (أما الاصل) فهو موجود فى الكل ولو فى القرى
والطرقات أغلبها يعرفها بحلقات ومنها ما هو أوسع وفى البلدان القديمة لم تزل طرق ضيقة
لا يعرفها الا الماشى وأما هيئة المساكن فان المدن لا تكاد تجد فيها الديار ذات طبقتين
فقط بل تزيد الى السبعة والثمانية ويكون ظاهرها على الطرقات ملتئما بعضه ببعض
قريب الشبه كله فى الصورة مع التحسين الظاهرى والتنظيف وطول الطرق واتساعها
وجعل البطحاآت فيها والاشجار على أوسعها فكانت مدنهم بذلك ذات منظر بهيج حتى
ان الحكم يوجب على المالك ان يحسن ظاهر بيته على حسب ما يشير به المهندسون من
المجلس البلدى وأما داخل الديار على الاجمال فاذا دخل الانسان من الباب يجد سقيفة
ثم درجا متصلا بعضها ببعض متصاعدة اما على شكل دائرة أو مربعة الى أن تنتهى لاعلى
طبقة ومهما وصلت الدرج الى طبقة تجد فيها فسحة ذات أبواب بقدر ما فى الطبقة من
المساكن فاذا دخلت مسكنا تجد ايوانا مسقفا وبه أبواب للبيوت وباب الى ممر به
بيوت ومطبخ ومستراح وتارة يكون فى احدى البيوت الاخرى مستراح آخر وجميع
الحيوط مطلية والسقوف اما خشب أو بناء مطلية مدهونة وكل البيوت لها طواق
كبار ويعتنون بمقابلة الابواب والطواق والابواب وعواضدها من خشب متقن الصنعة
وسائر الاماكن مبلطة اما بالجليز أى نوع من الآجر المطلى المتقن أو المرمر وكذلك الدرج
ومن اقتصادهم ان كل بلد تقتصر على ما عندها من مواد البنيان ولا تأخذ من بلاد
أخرى

أخرى شيئاً إلا ما لا يمكن الاستغناء عنه عما فيها ولو كان الشيء من بلد في نفس المملكة ثم
البيوت التي بكل دار أكثرها مائل إلى شكل التربيع واحدها بيت للجلوس وآخر
للأكل وهما أكبر البيوت ثم آخر للنوم وكل منها به من الفرش ما يناسب موضوعه
وفرشها مختصرة متقنة مروقة من كراسي كبار وصغار وساعات ومرايا وزرابي وأسرة
يعتنون بنظافتها ويعتنون باتساع الأربع وراحتها وكل مسكن أماثله فتجد الدار
الواحدة يسكنها عدة عائلات كل عائلة منفردة في إحدى المساكن على قدر كبرها
وطبقاتها وأما دور الأعيان والأغنياء المنفردين بديارهم فهي على ذلك النحو أيضاً لكنها
كلها تكون ذات مسكن واحد وطبقاتها لا تزيد على الثلاث أو الأربع وكثير من
أغنيائهم يسكنون في الديار المشتركة من النوع الأول لكنهم يختارونها وسيعة وكل
مسكن يكون بابه مغلقاً وعند الباب الخارجي للدار بيت يسكنه بواب بالأجرة من جميع
أصحاب المساكن للحراسة وكل البلدان لها خنادق تحت الطرق لجريان القذورات
فيها أو لها دهاليز والجميع مغطى ولا يفتح إلا للإصلاح أو التنظيف ليلاً وسطوح الديار
في جميع الجهات الشمالية مسنمة لئلا يتثاقل عليها الثلج وأما الجهات الجنوبية ففيها بعض
من السطوح مبسوطة

مطلب

﴿في اللبس﴾

الرجال يلبسون قميصاً وسروالاً وصدرية تسمى جيلي وسترة أي جبة مفتوحة الطوق
إلى أسفل قصيرة إلى نحو نصف الفخذ ذات يدين ضيقتين وسروالاً آخر طويلاً إلى أسفل
القدم ضيقة الرجلين والمقعدة جداً كأنها لاصقة بالعضو وفي بعض المواكب يلبسون
سترة مقطوعة الذيول من أمام وفي الشتاء يلبسون على جميع ذلك جبة أوسع من الأولى
وأطول وتارة تكون مبطنة بأنواع من الفراء وبعضهم يلبس قمصاناً ضيقة من
الصوف وفي أرجلهم الجوارب من قطن أو صوف وأحذية كالخف الضيق ولهم فيها
أنواع كلها ذات أقدام مرتفعة وعلى رؤوسهم قلانس من قطعة واحدة على أشكال منها ما هو
من الجوخ ومنها ما هو سعف أو تبن ولما كانت ألبستهم ضيقة فلا يجلسون إلا على
الكراسي وما شاكلها ولذلك كانت فرش بيوتهم كلها ملائمة لذلك ثم لهم جبائب
وسيعة ذات ألوان يلبسونها في الأوقات التي لا يخرجون فيها ولا يأتيهم فيها أحد وكل

البستهم غير القمصان والجوارب لونهـا أسود أوماقارب به وأغلبها من الصوف ولا يلبسون
الحرير الا نادرا في بعض الثياب ويلبسون في كفوفهم قفازا اما اسود أوماقاربه وكذلك
في رقابهـم يلبسون روابط ولقمصانهـم رقبات بيض يطلونهـا بالنشا وكذلك أطراف
أكمامها الضيقة وصـدورها ويحفظون على نظافتها ويرسلون شعر رؤسهم لكنه
* لا يتجاوز شحـمة الاذنين ويفرقونه وأما لحـاهم وشوار بهـم فهي لعبة بايديهـم تارة
يحلقون الكل وتارة البعض دون البعض وتارة يبقون الكل فتجد الوجوه على اشكال
* شتى ولكن من يحلق تراه يحلق يوميـا الان ابقاء أثر الشعر عندهم من الوسخ وأما لبس
النسوة فقميص وسراويل وسيعة من كتان وصدرية مضبوطة على الصـدر لهـا عيدان
من شعر سمك البالين لتصغر البطن والخصر وترفع النهود وتعلي الردف وفوقها جبة طويلة
الى الارض ضيقة النصف الاعلى ولهـا أكمام ضيقة الى الرسغ ووسيعة الاسفل من الخصر
الى الارض ذات تكاميش ويتنوعن في هيئتها وقد يطلن ذيلها من ورائه حتى يصـير يجر
على الارض نحو ذراعين أو أزيد من ورائهـا ويلبسن جوارب في أرجلهن وأحـذية ذات
أعقاب عالية وصرن يجعلن العقب قرب نصف القدم ليتراءى للناظر ان قدمها صغـير مع
انه لا يرى لطول ذيولهن واضراره بهن كما يذكره الاطباء من انه يؤذى الرحم لنزول ثقـل
البدن على وسط القدم أى الاخمص وتارة يرتدين فوق اللباس أردية أو معاطف عند الخروج
في الطريق ويسـدلن عـلى وجوههن خمـارا شفافا صفيقا لمجرد التزين ويطوين
شعورهن الحقيقية أو التقليد بهيئات حسـنة على أنفوخهن ويلبسن قلانس ظرافا
ذات أزهار صناعيـة وغيرها ويلبسن القفازين أيضا ويلبسن من الحلي اقراطا وسوارا
وخواتيم وقلائد ومـا سـلك من أنواع الجوهرات على حسب الرفاهية وأكثر ألوان
* لباسهن مائل الى السواد ثم الابيض ثم غيره (وأما) اللباس الرسمى لاصحاب الوظائف من
الرجال فهو على الشكل الذى تقدم غير ان السـترة تكون مطرزة بقصب الذهب أو
الفضة على صدرها وعنقها ويديها وظهرها على حسب الرتب وكذلك يكون للسراويل
شريطان من القصب وعلى القـلانس عـلامات أيضا من القصب ويلبسـون مع ذلك
النياشين أى علامات الفخر ولبس العسكر نظيف جدا متقن من ذلك الشكل غـير ان
سترتهم مقفولة الصدر وتبلغ في الطول الى الخصر فقط الاضباطهم فهى طويلة كغيرهم
مقفولة الصدر

مطلب

(٥٩)

مطلب

﴿في الاكل﴾

هيئة الاكل عندهم هي موائد مرتفعة يجلس حولها على كراسي وتغطى برداء أبيض وكل آكل يجعل أمامه صحن فارغ ويأتي الخادم بإناء الطعام فيأخذ منه الآكل في صحنه مقدار ما يريد ومن اصطلاحاتهم أن تجد حذاء الصحن بطاقة بشكل لطيف مكتوب بها ألوان الطعام الحاضر لتلك الاكلة حتى تأخذ منها ما تشتهيه وهاته العادة هي من المستحبات عندنا كما نص عليها في آداب الضيافة وقررها الغزالي في الاحيا لكن لا بخصوص الكتابة وإنما هي بأي إعلام للضيف بأنواع الطعام ثم كل صحن حوله ملعقة وشوكة وسكين وبعد الفراغ من كل لون يبدل الصحن والسكين والملعقة بغيرها نظيفة وكذلك يوجد حذو الصحن كيسان على قدر أنواع المشروبات التي تكون لتلك المائدة من أنواع الخمر وفي وسط المائدة أواني بالزهور بحيث انها في غاية المنظر الحسن والنظافة ويحفظ الآكلون على النظافة والعادة أن لا يزيدون غالبا على خمسة ألوان الا في الضيافات والمواكب ثم بعدها يؤتى بنوع من الحلويات ثم بجبن ثم بفاكهة من احدى غلال الوقت وطعامهم له أنواع شتى أحسنها أنواع المشوي وأغلب أنواع الطعام مائل الى التجرد عن كثرة الاخلاط والابزرة حتى يضعون على الموائد أواني لطيفة بالملح والفلفل الاسود والخل والزيت لما لعله يطلب منه الآكل اذا وجد الطعام غير لائق به في الملح كما انه يجعل على المائدة أوان ظريفة بالخردل المسحوق المخلوط بالخل وقنينات بالماء وآخر بالخمر المعتاد عندهم للاكل ثم في أثناء الطعام يؤتى بأنواع أخر من الخمر أرفع من المعتاد وفي آخر الطعام يؤتى بنوع منه يسمى شنبانيا اذا صب في الكاس غلى وارتفع واذ ذاك يخطب خطباؤهم في مقاصد تلائم حالة الاجتماع اما قائما أو جالسا ثم في آخر كلامه يقف ويشير بعضهم الى بعض بالكؤوس كناية عن التوادد ويشربونها ولكن هذا لا يقع في منازل المسافرين في الموائد العامة الاجتماع عن غير قصد وانما يقع في الضيافات والمحافل وتارة يصرخ الحاضرون بعيش كذا اما فلان أو مقصد سياسي ومن لا يريد الشرب من الخمر لا يعيبون عليه ذلك بل يعرض له صاحب المحل تعريضا خفيفا بمدح نوع الخمر فان امتنع فلا تثريب عليه ويوجد فيهم افراد لا يشربون كما ان غالب متبصريهم يعلم ان الخمر حرام عند المسلمين والنسوة في الديار المتكلفات

بأحوال الاكل والطباخون يكونون من الرجال ومن النساء ولهم كتب مؤلفة فى تركيب الاكل والطبخ

مطلب

﴿فى المواكب﴾

أما المواكب الرسمية فان الملك له بيت كبير فى القصر الرسمى و بصدره عرش على نحو ما تقدم فى عرش والى تونس وبين يديه بان يكونون على يسار محل جلوس الملك كرسى لزوجه وقبل حضور الملك يحضر المأذونون بالحضور بلابسهم الرسمية و يقفون يمينا وشمالا على حسب رتبهم ولما يحفل الموكب يخرج عليهم الملك لابسا لباسه الرسمى الذى هو على نحو ما تقدمت صفته غيران بعض الملوك يزيد على ذلك بلبس رداء طويل الاذيال واسع جدا ليس له أكمام وانما يوضع على ظهره وكتفيه و يغلق حول العنق بأزرار ثمينة ويرفع أطراف ذيوله من ورائه بعض أبناء الكبراء من العائلة الملكية أومن أقاربهم الى أن يجلس الملك على عرشه وكذلك يكون له تاج مجوهر يضعه على رأسه مع اللباس الرسمى المقصب و يخرج فى المواكب من حجرته ومعه زوجه وأهل بيته و يصعد على كرسيه و يكشف رأسه مسلما بالايماء الى يمنتهم ثم الى ميسرتهم ثم يخاطبهم بخطبة مناسبة لمقتضى الحال مومياً لاحوال السياسة الراهنة وتلك الخطبة تكون قد هيئت من قبل بتدبير الوزراء وتارة يلقيها الملك بنفسه وتارة يلقيها رئيس كتبته و يكون الحاضرون كلهم مكشوفى الرؤس فيحيونه بالدعاء له بطول العمر و ينفض الموكب وهاته المواكب هى فى رأس السنة وهو شهر ينايرالاعجمى وفى عيد ولادة الملك وكذلك يوم فتح مجالس النواب والاعيان من كل سنة و يكون ذلك فى محل المجالس وكذلك تعقد مواكب أخرى على حسب الحوادث (وأما) المواكب الاهلية فهى رأس العام ولا يحتفلون لغيره من الاعياد وانما يكثرون استدعاء بعضهم الى بعض للمسامرة ليلا فيما بين المعارف زيادة على الاجتماعات فى أماكن العموم كالملاهى والمتنزهات و بسبب ذلك يقع التعارف بين الرجال والنساء المريدين للتزوج فتكثر المخالطة بينهم فى حالات مختلفة فاذا حسن عندكل طبع الآخر وسبرته خطب أب الزوج أبا الزوجة فى بنته لابنه فاذا حسن لديه أيضا أجابه واذ ذاك فى الغالب يجمعون خواص أحباب كل من الفريقين فى بيت الزوجة لوليمة من طعام من الحلويات والخمور وان لم تكن الدار لائقة للاجتماع تجعل الوليمة

الوليمة فى احدى منازل المسافرين فيوصى صاحب الوليمة صاحب المنزل على ما يريد ويعين له الوقت وعدد الاشخاص و يتوافقون على الثمن وعند قدوم المدعوين يجدون المحل على أحسن انتظام وكذلك يصنعون فى الولائم فى الديار اذا كان صاحب الدار ليس له عدة الضيافة مع ان داره قابلة فان صاحب منزل المسافرين يأتيه بكل مايكفى من أوان وأطعمة وخدمة وغيرها وليس على صاحب الدار الا دفع الثمن مع الراحة وحسن الانتظام فى سائر أنواع الولائم ثم اذا حان زمن العرس يحضر أبو الزوجة ويدفع للزوج مهر ابنته من مال عين او أملاك و يكتب ذلك على الزوج ويكون أمانة فى يده ثم بعد ذلك يتوجهون الى الكنيسة فيجدون المدعوين هناك ويحضر القسيس ويبارك على كل من الزوجين ويأخذ خاتما من ذهب من أصبع الزوج ويدخله فى أصبع الزوجة ويرش عليهما ماء وتكون العروس اذ ذاك لابسة لاحسن لباسها فى لون البياض ومتحلية بما لها من الحلى ثم يحلق الزوج يده اليمنى على صدره وتدخل الزوجة يدها اليسرى فى ذراعه وينصرفون ويقف آباؤهم معهم فى محل عند باب الكنيسة لقبول الهناء من المدعوين ثم يسافر العروسان حالا الى أى بلد أرادوا مدة ما على حسب الرفاهية والجدة وذلك لامرين أولهما عدم الحياء من معارفهم بالاستراحة من الاشتغال بحركاتهم وسكناتهم وثانيهما تقضى مدة فى الانكباب على لذاتهما من غير تعب وأدنى كلفة مع الاقتصاد فى المصاريف للوليمة لاجل المعارف و ينفقون ما ينفقون فى لذاتهما هذا فى الاغنياء (أما الفقراء) فيستعوضون عن السفر بالخروج لاحدى المتنزهات ثم ان الزوجة لاتكسو فى العرس الا نفسها والزوج هو الذى يكسو بيته وبعد ذلك يكون مصروف الزوجة فى أكلها ولبسها وسكناها على زوجها وذلك المال الذى أعطته مهرا للزوج باق على ذمته وانما يصرفون دخله على كل منهما ومن ولائمهم أيضا وليمة بلوغ البنت فيلبسونها لباسا كله أبيض وبرقعا أبيض صفيقا وتذهب الى الكنيسة ثم تعود لدار أبيها ويصنع لذلك وليمة (واعلم) ان ما ذكرناه من الذهاب الى الكنائس ليس أمرا حتميا بل هو عادى لمجرد التعود عليه عندما كانوا يجرون الاحكام الديانية فى الاحوال المدنية وموكب المأتم عندهم لايجهرون فيه بالبكاء وبعد قدوم القسيس لحضور موت الميت يبقى مدة من الايام لتحقق الموت حيث انهم وجدوا بعض الذوات يظهر عليها الموت وهى فى الحقيقة لم تمت مع تعسر الاطلاع ولو من حذاق الحكماء ويكون هذا بالخصوص فى موت الفجئة وأمثالها وكان هذا الامانع فى ديانتنا منه اذا استحباب

التعجيل بالدفن انما هو عند تحقق الموت بيقين (اما قبله) فيحرم لانه يصير قتلا وقد شوهد ذلك في كثير ممن نبشت قبورهم بعد زمان فيجدونهم في حالة غير التي يوضع عليها الميت ويجدون الاكفان ممزقة وحيوط القبر بها آثار الخدش فيجب التنبه لمثل ذلك وقد قالوا ان ذلك النوع يحصل بكثرة في الامراض المستوبية وقد سمعت بذلك في بلادي مرات متعددة منها في سنة ١٢٨٤ حيث استولى مرض الحمى الخبيثة فكانت عدة جنائز ذاهبين بها فاطلع المارة على حركات في الميت وأوقفوا الجنازة ووجدوه حيا وتارة ينادى هو من نفسه متضجرا من الحالة التي هو فيها ثم ان أهل ايطاليا بعد تحقق الموت يكفنون الميت في لباسه النظيف ويجعلونه في صندوق من خشب ملفوف في رداء اسود عليه شرطان من قصب الفضة وتحمل الجنازة في كروسة معدة لذلك ويركب مشيعوا الجنازة في كراريس معدة للحزن كلها سود وأغنياؤهم يربطون في كروستهم خيلا سودا أيضا وعدتها سوداء ويذهبون بالميت الى المقبرة فيدفن في قبر عميق ويحكم سد التراب والبناء عليه ويجعلون على القبور هيا كل من الرخام ويتأنقون فيها (واما) الفقراء فتجعل جنائزهم في سراديب مع بعضها وقد اتخذ بعضهم ما تدوى في هاته الجهات ولم يبق الا عند بعض الهنود وهو احراق الميت فانهم يجعلونه في فرن من حديد محكم السد لكيلا تخرج الرائحة ويصب عليه زيت النفط ويحرق ثم يأخذ رماده ويخزن في اناء في مكان عزيز في دار أهله و بعض الاغنياء العزيز على أهله تصبر جثته بعد اخراج امعائه ويلبس ثيابه الفاخرة ويجعل واقفا في جهة من البيت في خزنة وجهها زجاج

مطلب

(في اللغة)

لغة عموم الاهالي تسمى طليانية وهي فرع من اللاتينية وما يكتب فيما ينطق به على حسب الحركات المرسومة وهي لغة واسعة مساعدة في النثر والنظم على بحور عندهم معلومة ولذلك تجد أشعارهم بها جيدة المعاني على حسب اصطلاحاتهم فمنها ما يستحسن عند أهل العربية ومنها ما يخالف الاسلوب البلاغي وتلك اللغة وان كانت هي اللغة العامة والرسمية في الكتابة والعلوم وغيرها لكن توجد في أطراف ايطاليا لغات شتى حتى لا يكاد بعضهم يفهم بعضا بالتخاطب اما اذا رجعوا للكتابة فيرجع الكل الى لغة واصطلاح واحد

مطلب

❁(فى القوة المالية والحربية)❁

فرنك

٠١و٤٣٥و٥٨٣و٩٦٥	دخل الدولة سنة ١٨٨١
٠١و٤٢٥و٥٨٣و٩٦٥	خرجها
٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠١	دينها
٠٠٠ر٠٠٠ر٦٠٠ر٣٠	قوة التجارة فى المملكة بين الداخل والخارج من السلع

عساكر

٣٩٥ر٩٠١	تحت السلاح
٤٣٣ر٨٧٦	رديف
٨٢٩ر٨٢٧	
١٠ر٥٠٠	بحرية
٨٠	سفن حربية مدرعة وخشبها مغطى بصفائح من حديد مدرعة تسمى الدوبلو وهى أكبر مدرعة فى البحر
٦٥٥	مدافع
٥و٠٩٨	امتداد سكك الحديد أميال سنة ١٨٨١

الباب الرابع

❁(فى مملكة فرانسا وما رأيته فيها)❁

الفصل الاول

❁(فى سفرى اليها)❁

قد تقدم أنا وصلنا الى بلد مودان التى ينتقل فيها المسافر الى الرتل الفرانساوى وكان وصولنا اليها الساعة واحدة ونصف بعد نصف الليل فوجدنا المحطة منورة والخدمة متدرعين باللباس الثخين للتدثر من الثلج والبرد وبأرجلهم أحذية من الخشب فلما أردنا

الركوب فى الرتل الفرانساوى وجدنا المخدع الذى أوصينا عليه بسلك الاشارة حاضرا فى الرتل وسألنا المكلفون عن ورقة الجواز فلما أخبرناهم أنا من تونس وأردنا احضار الورقة ورأوا لباسنا رحبوا وقالوا لا يلزم اخراج الورقة ولا فتح الصناديق لنظرما بها فركبنا حالا فى غاية الراحة وفصل الرتل ساجحا على الارض بسرعة أزيد من الرتل الطليانى غير أن المخدع كان أقل انتظاما من المخدع السابق فأردنا النوم بقية الليل لكن شدة البرد منعت من استراحة النوم ولم يزل الرتل ساجحا ولما بدا الفجر ظهر منظر الارض والحاصل انه على نوع متشابه مع أعالى ايطاليا غير أن الفرق الذى يرى هو كثرة البلدان والقرى بأرض فرانسا على ايطاليا وكثرة الديار المنفردة فى الحقول والاراضى بايطاليا على فرانسا ثم وصلنا الى باريس فى الساعة السادسة قبل نصف الليل فكانت مدة السير من تورين الى باريس احدى وعشرين ساعة وكانت باريس تظهر من بعد فى الليل كانها سماء زينت بالكواكب واستمر الرتل سائرا من مبدأ علائق المحطة الى أن وقف نحو خمس عشرة دقيقة فاذا هى محطة أضخم وأوسع من جميع ما رأيناه فنزلنا ودخلنا الى الكمرك ولما نظرنا المكلفون قالوا الازم التفتيش رحالكم وأنتم مصدقون هل عندكم من سلعة تؤدى الكمرك فقلنا ليس الا شوق وماء زهر وورد فقالوا هو بمقدار حاجتكم أم للتجارة قلنا بقدر حاجتنا فاذنوا بسراح الرحل بدون تفتيش ولا أداء فركبنا كروسة كبيرة لمنزل المسافرين المسمى أوتيل دى كابوسين الذى هو من المنازل الحسنة الواقعة بأعز طرق باريس وأكثر التونسيين نزولا به فاستمر السير خببا من الخيل نحوا من ساعة من المحطة الى المنزل وكانت الطرق كلها منيرة بالفوانيس نورا زائدا على غيرها وهى طويلة وسيعة أزيد من غيرها بحيث ينتهى النظر فى طول الطريق فأقمنا بذلك المنزل تلك الليلة وتعشينا وفى الصباح أفطرنا فطورا خفيفا وطلبت الحساب حيث لم أساوم قبل النزول فاذا أجرة البيوت ليلة وثمن العشاء والفطور الصباحى الثلاثة أنفس نيف وسبعون فرنكا فخرجنا من هنالك وتلاقينا مع المعارف واكتروا لى منزلا خاصا اذا أربع بيوت بجميع لوازم فرشها وخدامها بثلاثمائة فرنك فى الشهر غير أن الاكل خارج عن ذلك بل يأتون به من احدى أماكن الاكل القريبة هنالك وهى كثيرة اذ كان المنزل على النهج العظيم فى باريس المسمى بالفاردى كابوسين وهو من الاماكن الشهيرة بالعمران فى باريس ثم ان كثرة قرقعة العجلات التى تفوق عن الرعد بذلك الطريق ليلا ونهارا كدرت لى الاستقرار هنالك حيث انها لا يخف دويها الا بعد

نصف

نصف الليل بساعة وما بقى النهار الا وتعودنا كما كانت عليه فانتقلت الى منزل آخر أوسع
من الاول ويحتوى على مطبخ وبيت جلوس وبيت أكل وثلاثة بيوت للنوم بجميع لوازم
ذلك كله مع تغيير الفرش والمناديل بالنظيفة والكراء قدره ثلاثمائة فرنك فى الشهر
وأحضرت طباخا بأربعين فرنكا فى الشهر وخادما بعشرين فرنكا وكان المصروف
اليومى على لوازم الاكل نحو العشرين فرنكا فى اليوم مع الاقتدار على قبول بعض من
الضيوف والارتياح من الاحتراس فى الاكل وكان هذا المحل أيضا باحدى الاماكن
الشهيرة النزهة المسمى بشانزيلزى لكنه لما كان طريقه شديد الاتساع ومحل مرور
العجلات فيه يبعد عن حيطان الديار نحو العشرين مترا وكان تحصيب الطريق بالحصا
المسواة بالرمل بخلاف الاول لانه مبلط بالحجارة الصلبة التى فى قطع الشجر فكانت أذية
الدوى مفقودة فى الثانى مع حصول المنظر الجميل واجتمعت فى باريس بأشهر أطبائها ❋
فى المرض العصبى اذ لكل نوع من الامراض عندهم مشاهير مخصوصون به والحكيم
الشهير فى هذا المرض عندهم هو الحكيم شاركو وأحضرته الى فى بعض الايام اثنين
من مشاهير أطبائهم وكانت أجرة زيارة الواحد فى المرة الواحدة ستين فرنكا واذا زار
الحكيم فى داره يعطى أربعين فرنكا ومما يدل على شهرة هذا الحكيم وغناه بعلمه انه دعى
لمريض فى بلد براين قاعدة مملكة المانيا فذهب عشية الجمعة ورجع عشية الاحد
فى الرتل وأعطى خمسة عشر ألفا فرنكا لاجل تلك الزيارة وعلى ذلك فقس وهو انما
يقبل المرضى فى يومين فقط من الاسبوع وبقية الايام يقرئ فيها درس عالية فى الطب
العصبى وله مستشفى خاص بالامراض العصبية تحت نظارته يحتوى على نحو ثمانية
آلاف مريض ذكر لى يوما الطبيب فيفر والذى هو بمعية الحكيم المشار اليه ومباشر للعلاج
بالكهربا ان ذلك اليوم كان فى المستشفى مرضى أخذوا الاكل سبعة آلاف وثمانمائة
وبقى عدا من لم يستطع الاكل ومن كان ممنوعا منه وذكر ان المستشفى حسب على
الاطباق الزجاجية الموضوعة فى أبواب الطواقى فاذا هى ثمانون ألف طبق وذلك الحكيم
مع سعة معارفه هو بشوش مؤانس حتى صار ودودا الى وله ولزوجه ولوع كبير بالثياب
والمفروشات والاوانى وغيرها الصينية والشرقية والعتيقة من صنائع أوربا حتى كانت
بيوت داره مكسوة بأشياء بديعة ذات قيمة عالية جدا تبلغ اوزيمات آلاف فرنك ومن
مصائب الجهل بالالسن ما حصل لى يوما وهو أن الطبيب أخبرنى بان المسكن الذى تعودت ❋
عليه بالاحتقان تحت الجلد ربما تأنس به البدن فلا يبقى مؤثرا ولذلك يريد أن يعمل

وجها فى ذلك وان الاولى بى ان أنقص من مقدار الاستعمال منه بان أصنع ربع الحقنة فقط هكذا أفهمنى المترجم ثم أتى بالعلاج المسكن من الصيدلانى فتحير على الالم بين العشائين كما هو عادته طروه فى الاغلب فعلت المقدار مثل ما قال الطبيب فلم يسكن وظننت ان الدواء هو المعتاد فزدت نصف حقنة فلم ألبث قدر ثلاث دقائق الاوأيقنت بالموت ووجدت العالم أعهده ولا أقدر على التعبير عنه وانما أقول أظلم الجو فى نظرى وأحسست بنفسى ساقطا فى جب لا قعر له وغاية ما أدركت ان طلبت المصحف الكريم وضممته على صدرى واستشعرت انى أتلو آية القدحاء كم سبعا ولسانى لا يكاد يصحح الحروف ولم أدر ما وراء ذلك فلم يبتدئ شعورى بالوجود الا بعد نصف الليل بثلاث ساعات فرأيت أتباعى ومعارفى حولى يبكون وجميع ما أراه أحمر ثم رجع الاغماء ثم الاستيقاظ ولازال الامر يتدرج فى الخفة الى الصباح وأنا فى غاية الضعف وسألت الطبيب عن السبب فأخبرنى أن العلاج قد غيره بمسكن آخر يسمى الاتر وبينا مضاد لمسكن المرفينا وأقوى منها بأضعاف كثيرة وانه كان شدد الوصاية فى التحذير منه للترجمان اذ ذاك المقدار الذى عملته يكفى لقتل عدة أشخاص وان من لطف الله أن كان فى مزاجى من المرفينا مقدار وافر من استعمالها سابقا حتى كانت مضادة لذلك السم القتال ولله الحمد على لطفه وعفوه وماذاك الا من جهل اللسان واضرار المترجين وقد أقمت بباريس فى هاته السفرة نحو شهر ثم عدت اليها سنة ١٢٩٥ وأقمت بها شهرين ثم عدت سنة ١٢٩٦ وأقمت بها شهرا وها أنا أفرد لصفتها فصلا خاصا

الفصل الثانى

﴿فى باريس وصفاتها﴾

باريس وما أدراك ما باريس هى نزهة الدنيا وبستان العالم الارضى وأعجوبة الزمان ولعمرى انها أحق باسم مملكة من اسم مصر وهى انموذج لغرائب مصنوعات البشر وحق للفرنسا ويين التفاخر بها ومباهاة الامم بمحاسنها وجمالها وغناها ومعارفها ومصانعها فهما فكرت فى احدى هاته الاوقات ان القوم قد انحصرت أعمالهم فيها ثم اذا التفت للاخرى تقول مثل ذلك وهكذا وكأنها فاقت على غيرها باجتماع الكل فيها فصدق عليها المثل كل الصيد فى جوف الفرا ولو أراد الكاتب الاستقصاء فى كل طرف مما احتوت عليه لضاقت عنه المجلدات واضطر الى الاكتفاء بالاشارات وبالجملة

فالواقف

فالواقف عليها يزداد يقيناً فى العلم بقدرة الخالق وان أحوال الآخرة فوق عقولنا كما أخبر به الصادق الامين عليه الصلاة والسلام من وصف الجنان وان فيها ما لا يخطر على قلب بشر فاذا كانت هاته مصر لم يكن يخطر بالفكر تشخص صورتها الا بعد رؤيتها مع انها من مواد معهودة لنا فكيف بعالم نعهد مادته ولا نتصور طبيعته وربك يخلق ما يشاء ويختار وهو على كل شئ قدير فاجمال وصف هاته المصر المتمصرة انها بلد فى سهل بها ربى قليلة الارتفاع يخترقها نهر السين الذى يحمل القوارب والبواخر الصغيرة وعليه فى البلد عشرون جسراً مختلفة الاشكال منها ما هو من قوس واحد من حديد ومنها ما هو من بناء وتمر تحته البواخر ومنها واحدة فى طرف البلد جهة قريبة تبنى عليه جسر آخر مرتفع جداً على حنايا يمر عليها الرتل فى طريق الحديد فترى البواخر جارية فى النهر وعلى الجسر المشاة والفرسان والعجلات ومن فوقهم الرتل كانه سابح فى الهواء وكل جسر مقسوم على ثلاثة طرق فاليمنى والشمالى للمشاة والوسط للركاب والعجلات وفى وسط النهر جزيرة كثيرة بها مبانى وديار ويخرج من هذا النهر ترعة تذهب جهة الشمال الغربى من المملكة الى أن تتصل بنهر المارن وهى فى أغلب البلد مغطاة بالبناء المنعقد وعليها الابنية ويحيط بالبلد سور منخفض شديد العرض عليه حصون فى جميع انحائه وخارجه خندق عريض جداً عميق يملأ بالماء من النهر عند الحاجة وللسور أبواب أنيقة من الحديد ومحيط دائرة السور أربعة وثلاثون ألف متر وتم تقسيم المصر الى عشرين قسماً كل قسم منفرد بادارته كانه بلد مستقل ثم يتحد الجميع فى الادارة العامة فى المجلس البلدى الذى هو أحق باسم دولة اذ دخله مليون ٢٦١ منها من ايراد الغاز ١٨٠ مليون ومصاريفه نحو ذلك منها ٩٩ مليون لفائدة الدين و ٢٢ مليون الى المكاتب والنافعة و١٦ للمحتاجين وما بقى لمصالح المدينة كله يصرف فى مصالح البلد وتحسينها وعلى المجلس من الديون أزيد من ألف مليون صرفت فى التحسين اذ انه لم يزل يشترى حارات ويهدمها ويفتح فيها طرقاً وبطحاآت وما فضل يبيعه أو يبنى فيه مساكن وحوانيت على حسب ما يقتضيه المكان وقد شاهدت فى سفرتى الثانية لهاته المصر أن المجلس البلدى فتح طريقاً مستقيماً متسعاً من بطحاء الاوبرة الكبيرة الى بطحاء بالى اروايال وباع ما فضل من الارض فبلغ ثمن المتر الواحد من الارض على التربيع أربعة آلاف وخمسمائة فرنك وبلغ سعر المتر وحول النهج الموصل الى ابوادى بولونيا الى ثلاثة آلاف فرنك وهكذا ثم ان طرق البلاد عددها أزيد من ثلاثة آلاف طريق وهى

تنقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) يسمى آفنو وهو ما كان وسيعا جدا وحوله أشجار يمينا وشمالا وورآءها قصور (والثانى) يسمى بلفار وهو ما كان أضيق من الاول ويزيد عليه بان يكون تحت القصور حوانيت بهجة (والثالث) يسمى رو وهو بقية الطرقات ومن محاسن طرقها أنه يوجد فيها غالبا سيما الطرق العامة محلات للبول مستورة بشكل ظريف على هيئة قباب فى وسط الطريق والماء بها جار كما توجد محلات الخلاء فى غاية النظافة وهى أيضا كثيرة وذلك من واجبات البلدان الكبيرة لبعد الماشى عن محله وذلك أمر ضرورى وأجل الطرق منظرا هو البلفار الذى يشق البلاد تقريبا من الجنوب الى الشمال وينتهى فى جهة الشمال الى البطحاء المسماة بلاس لاكنكورد فتتصل بها حديقة الشانزيلزى وتنتهى الى البطحاء التى بوسطها اقوس النصر المسمى ارك دى تريونف ويتفرع منها اثنا عشر نهجا وقد كنت فى سفرتى الثانية سنة ١٢٩٥ نزلت بأحد هاته النهوج المسمى قديما افنو الامبراتريس والآن افنو بوا دى بولونيا وكان الوقت صيفا فركبت احدى الليالى مع أحد أصدقائى من منزلى فى كروسة يجرها فرسان وتوجهنا الى جهة البلفار وكان ركوبنا فى الساعة الثامنة بعد الزوال فسرنا نحو ساعة ونصفا ولم نصل لمنتهى البلفار من جهة الجنوب ثم رجعنا وقد قضينا السهر فى الطريق ذهابا وايابا مع المنظر الجميل والبهجة بنور المصابيح وكثرة ازدحام الماشين والعواجل وبالجملة فهذا البلفار هو مما انفردت به باريس على غيرها من المدن الشهيرة وهو فى الليل أبهى منه فى النهار لكثرة ما ينور به الطريق والحوانيت مع حسن وضعها وتزويق ظاهرها وتنميق ما يوضع بها من البضائع وجمال ذاتها وتنضيد ترصيفها وهذا البلفار له عدة أسماء باعتبار جهات منه وقد كان انشاء أصل هذا البلفار سنة ١٥٣٦ وكلما قرب الى المنتهى جهة الجنوب قلت نضارته بالنسبة لنفسه فى الجهات الاخرى والبلد وان كانت تشمل بلفارات أخر كبلفار هسمان وغيره لكن ولا كالبلفار السابق والذى زاد باريس بهجة ضخامة أبنيتها وارتفاعها وتناسقها وتشابهها فى الظاهر ثم فى باريس أماكن أخر أنيقة فمنها بالى رويال بجوار قصر ملكى سمى به وهو عبارة عن مربعين يتصل أحدهما بالآخر يحيط بهما حوانيت تحت سرادقات وفوقها قصور ومطاعم وحمامات ومنازل وفى وسط أحد المربعين حديقة نضرة بوسطها حوض وفوارات وحولها قهاوى ومقاعد والحوانيت تشمل جميع ما يحتاج اليه فترى حانوتا منضدة بترصيف اليواقيت والجواهر وبازائها حانوت أخرى منضدة باللحوم والخضراوات

وتلاصقها قهوة ذات متكئات وهكذا ولا يمل نظرك من تلك المناظر البهيجة ومع تباين أنواع المبيعات تجدها في غاية التناسب لما لها من الرونق والنظافة وتجد المبيعات هنا في غاية الغلاء ومع ذلك فلا تبور سلعهم لان مترفي الاهالي يشترون الشيء لبائعه ومحل بيعه فباقة الزهر مثلا تشترى من هنا أو من البلغار بخمسمائة فرنك يهديها المترف لعزيزته باسم صانع ربطها مع انها تشمل زهرة من أمريكا وأخرى من الجابون وورقة من اواسط أفريقيا وهلم جرا وقد رأيت حانوتا تبيع الزهور في البلغار كراؤها خمسة عشر ألف فرنك في السنة وباع صاحبها باقة في رأس السنة بخمسمائة فرنك وهكذا حوانيت بالي ارواپال وكان أكثر بياعي اليواقيت مركزهم هو هذا المحل فلذلك كان له زيادة في حسن المنظر اذ كل اللآلي واليواقيت ترى مرصفة وراء أطباق الزجاج مكشوفة لكل ناظر وقد كان انشاء هذا المحل سنة ١٦٢٩ ومنها حديقة شانزلزي وهي غيضة في طول ميل تقريبا وفي منتهاها قرب البطحاء تصير كأنها بستان أنيق ذو مماشي وقهاوي ومقاعد وملاهي منها ما يسمى كافي شانتان فان الانسان يقدر أن يتمشى فيها منفردا بأطيب ما يشتهي والموسيقى تعزف واللاعبون في الملاهي يشعوذون ويغنون بالمضحكات وكذلك بها كافي ليباشاد على نحو ذلك وفي أعلى الشانزلزي بطحاء وسيعة يتصل بها اثنا عشر طريقا وبوسطها قوس النصر المسمى ارك دي ترنيوف الذي بناه نابليون الاول ورسم على حيطانه صورة جميع حروبه التي انتصر فيها وهو بناء ضخم جدا شاهق للغاية ذو أربعة أقواس متقابلة متصلة ببعضها يصعد الى أعلاه بدرج داخل احدى زواياه وعدد درجه مائتان واحدى وسبعون درجة ومنها جردان مابيل الذي يفتح ليلا وتخال أوراق أشجاره وزهوره بما يبدعون من الانوار حتى يكون في أرضه وغصونه ما يبلغ عدة آلاف من المصابيح الملونة الزيت كألوان الزهور فيرى أن من له عرض يتحاشى الدخول اليه لكثرة من يدخله من المومسات ويصرن يرقصن هنالك ويعبثن مع الرجال فقد سمعت من أخبار صحيفة الديبا الانكار على الحكم في اطلاق تلك العاهرات حتى عبثوا بالصينيين الذين قدموا المعرض باريس سنة ١٢٩٥ عندما دخلوا الى ذلك البستان للتفرج وسبب كثرتهن هنالك اعفاؤهن من الاداء على الدخول بخلاف الرجال فكل من دخل دفع خمس فرنكات مع حضور آلات الطرب وكثرة المشروبات والحلويات في مقاعد ذلك البستان المنشأ سنة ١٦٧٠ ومنها بالاس لا كنكورد المتصلة بغيضة الشانزلزي السابقة الذكر وبوسطها حوضان كبيران ذوا فوارات محيطها فوانيس وبين الحوضين العمود المسمى بالمسلة

الذى جلب من مصر وعليه كتابة بلسان المصريين القديم وحروفهم التى هى أشكال
حيوانات ونصب هناك سنة ١٨٣٠ وطوله اثنان وسبعون قدما فى قطعة واحدة من
حجر دون القاعدة المنفصلة التى ركز عليها وعرضه من أسفل سبعة أقدام وكلف جلبه
مصاريف عدة ملايين حتى أنشات له سفينة خاصة وقد نورت هذه البطحاء بالنور
الكهربائى الذى هو كنور القمر لونا وطول هاته البطحاء ميترو ٢٤٨ وعرضها ميترو
١٦٩ وتتصل بالنهر وبالباغار ومنها حديقة التولرى المتصلة بالبطحاء المذكورة
أيضا ذات المقاعد والمساطب وهى امام قصر الملك ومنها بلاس فندوم التى بها عمود
نابليون الاول صنع هذا العمود من الف ومائتى مدفع من النحاس غنمها الامبراطور
المذكور فى حروبه ورسم عليه صور المعامع التى انتصر فيها المذكور ووسط العمود به
مائة وستة وسبعون درجة يصعد بها الى أعلاه وفى قمته تمثال نابليون وقد أسقطه
الكمون أى جماعة الاشتراكيين الذين يريدون أن تكون الناس كلهم شركاء فى
جميع الموجودات وذلك فى ثورة سنة ١٨٧٠ فأعادته الجمهورية الى مكانه فى يوم
مشهود وكنت حاضرا سنة ١٢٩٢ ومنها افنودى لوبرة الواصل بين بطحاء الملهى
العجيب المسمى بلوبرة وبين بالى ار وايال وقد نورت بطحاآته وحافاته بالكهربا ومنها
الباساج أى الاسواق المسقفة بالزجاج التى لا يعرفها الا الماشى وهى ذات حوانيت
يمينا وشمالا من أبدع الاشكال والتنميق ومنها غيضة أبوادى بولونيا أى غابة بولونيا
من أبدع الآجام والغابات المشتبكة بالتصنع وفيها بحيرة صناعية وجبال وأنهار وجسور
كلها صناعية وبها ممشى للمواجل وأخرى للفرسان وأخرى للمشاة ومقاعد وشلالات
تنحدر منها المياه وآجام ورياض وقهاوى ومطاعم بأحسن تنظيم وفى البحيرة طيور مائية
وجزر وقوارب يركبها الناس الى الجزر والناس يتتابون هاته الغيضة التى هى خارج
باريس فى الجهة الغربية الشمالية ليلا ونهارا وهى ممشى أهل الترف سيما أيام الاحاد
والاعياد وقد شهدت يوم عرض الجيش ويوم السباق الاكبر سنة ١٢٩٥ ان طرق
الامصار الموصلة لهاته الغيضة قد غصت بالعجلات على كثرة وسعها فان طريق الشانزيلزى
عرضه أزيد من عشر كراريس متحاذيات ومع ذلك لم تستطع المواجل ان تتحرك فيه
وكذلك طرق هاته الغيضة حيث ان الميدان وراءها وهو سهل رحيب نحو ميلين فى
مثلهما وفى جهته الغربية ثلاثة أواوين منفصلة عن بعضها ومتلاصقة مستقبلة برواشنها
ومقاعدها جهة الميدان وأوسطها به بيت اصاحب الملك وجميعها هيئة جهة استقباله

هى

هى ان بعضه أعلى من بعض متعددة وجاو يدخل اليه من ظهره وامام كل منها فسحة بها كراسى ويفصل بينها وبين الميدان درابزين ولا يدخل الى تلك الاواوين الامن كان بيده تذكرة الاستدعامن الدولة وقدحضرموكب السباق سنة ١٢٩٥ من خصوص المدعوين مايزيد عن الخمسة والثلاثين ألفا (أما) مجموع المحيطين بالميدان بين راكب وراجل فهو يتوف عن نصف مليون من الخلائق وحول الغيضة أيضا ميادين أخر لغير السباق الكبير وبها محل للرماية وهاته الغيضة دمرتها عساكر المانيا وعساكر فرانسا سنة ١٢٨٣ حيث كانت مرسحا للحرب ولكنى لما رأيتها سنة ١٢٩٢ كانت كان لم يكن بها شئ وكانت أشجارها نابتة فيها منذ قرن حيث انهم لما أصلحوها نقلوا اليها الاشجار العظيمة من الغابات ولهم فى كيفية نقلها براعة أعان عليها علم جر الاثقال وآلات البخار حتى انهم يحملون الشجرة بأرضها النابتة بها من غيران تمس عروقها ويبقى محلها كانه بئر ومنها غيضة ابوادى فنسن وهى خارج البلد من الجهة المقابلة للغيضة السابقة وهى على نحوها وأشجارها أكبر غيرانها الارونق عليها وكان ذلك لعدم انتداب الاغنياء اليها وانما يتفسح فيها الاواسط والفقراء لبعدها عن حارات الاغنياء ولكن لقها وبها ساحات لالعاب رياضية بدنية با لات كثيرة تستعملها الاهالى وهاته الغيضة يوصل اليها بالعجلات والحوافل المسماة بالامنيبوس وبالترامويى الذى تجره مزجية بخارية وكلا هذين النوعين لايستعمل فى الغيضة السابقة لكثرة واردها مع الغنى والترف ومنها غيضة بارك مونسو قرب الشانزى لزى لها أبواب من حديد مذهب أبهج من أبواب سرايات الملوك المسرفين وهى ليست بكبيرة جدا وفى باريس عدة غيضات على نحوها فى كل قسم منها غيرانها ادون منها تأنيقا ومنها جردان دى كليما تسيون الذى أنشأته جمعية أهلية للنباتات والحيوانات وقد جمع فيه من كلا الامرين كلما يقدر عليه البشر من جميع أقطار العالم ولكل نوع من الحيوانات أو النباتات هيئة وهواء صناعى على نحو ما هو معتاد به فى قطره وقد تيسر بذلك التحفظ على حياة جميعها غيران الاشجار المعالج هواؤها اذا أثمرت لم تكن ثمرتها كاصلها ومن ذلك النخل فان ثمره لم يكن تماثم الحيوانات التى يصعب جلبها اذا مات منها شئ فانه يصبر جسمه لينظر على نحو ما كان عليه مدة حياته أما ما رأيته فيها من الحيوانات البرية والبحرية فيلزمه كتاب حياة الحيوان ليستوفى الكلام عليها وأقول باختصار ان أنواع الكلاب وحدها تزيد على المئات فضلا عن غيرها وكذلك أنواع

البيغا من الطيور بألوانها وتذهيبها البديع ومن الحيوانات الغريبة نوع من
الضأن الكبش منه كالحيوان المسبع غير انه لا يأكل اللحم وانما هو بحرى وحشى
قوى جدا ومن حيوانات البحر أسد البحر وله صوت عال ويخرج الى البر أحيانا ليأكل
ما يلقى اليه وهو سريع الحركة قوى بهاجه داومن حسن تربية الاشجار ان شجرة ترى
قاعدتها على أصل واحد ثم تتفرع وتصير كالكورة ثم تجتمع وتصير أصلا واحدا ثم
تختلف على أشكال عديدة وفى هذا البستان عجلات تجرها خيل صغار جدا لمن يريد
الجولان راكبا وفيه عجلة يجرها أربعة من المعز يركبها الصبيان وأخرى تجرها نعامة
يركبها الصبيان أيضا وهنالك أفيال برخوتها يركبها كل من يريد ذلك وفيه أيضا
محلات للقهوة وأخرى للجلوس وتنتابه الموسيقى فى أيام من الاسبوع وعلى كل داخل
للبستان أن يؤدى فرنكا واحدا أما اذا أراد شيأ آخر غير التفنى والجلوس فيؤدى أجره
وله أن يشترى من كل ما فى البستان من الحيوان والنبات غير انهم اذا كان لهم من النوع
فرد واحد فلا يبيعونه وقد وجدت فيه سنة ١٢٩٦ مأوى مركبا من سودان أفريقية
سموهم بالزولوس لوقوع الحرب بينهم وبين الانكليز فى ذلك التاريخ لكنهم فى الواقع
من سودان مصر كما صرحوا الى أنفسهم بذلك ويتكلمون بالعربية ويصورون حروبا
وغيرها ومنها جردان دى بلانت وهو مثل السابق غير ان بينهما عموما وخصوصا فالاول
أبهى منظرا وأكثر حيوانات والثانى يشتمل على الحيوانات المسبعة التى يمنع
وجودها فى الاول لان الثانى للدولة وفيه كل السباع الا الكركدان فقد كان لهم منه
واحد لكنهم أكلوه عند محاصرة باريس ١٢٨٧ ﻫ سنة ١٨٧٠ م ومن أعجب
ما رأيته من الثعابين ثعبان اسود فى غلظ عقدتين وعيناه حمراوان جدا ويظهر عليه
خبث شديد والزجاج المحيط به مرمدو وراءه اسلاك غليظة من الحديد مشبكة تشبيكا
ضيقا ويقال ان سبب ترميد الزجاج كون شعاع بصر الثعبان مسموما ورأيت فيه
الحيات على أنواع ويلقون اليها أولاد الفار الصغار قبل نبات الشعر بجلدها فتنهشه الحية
وتعرض عنه فيلقى مغشيا عليه يضطرب ثم تعود اليه الى أن يموت فتأكل منه ولعل ذلك
لانها متعودة على أكل مثل ذلك وانظر من هذا المقدار اعتناءهم بتربية كل حيوان
على طبيعته كما ينفرد هذا البستان بكونه فيه دار للتشريح والتاريخ الطبيعى
مجسما فكانت جميع الاجسام من أنواع الحيوان فيه مصبرة ومشرحة والانسان
على جميع أطواره من النطفة الى الشيخ الفانى كما يوجد فيه خزينة للكتب فى الفن
المذكور

المذكور ومنها قصر معرض سنة ١٨٥٧ الذى جعل فيه الآن أنواع الصور والاصنام ❁
ومنها قصر اللوفر الضخم المتقن البناء والتأنيق الملوكى وكان مسكنا للملوك والآن معرضا ❁
للظرف والآثار الدهرية وفيه بيت يشتمل على بعض بدائع ملوكهم ومجوهراتهم
ومما فيه مائدة من المرمر الابيض مرسوم على سطحها خريطة أرضية بالوان المرمر الاخضر
والاحمر وغيرهما بحيث أن كل جهة من الارض بلون خاص وفيه بيت لآثار الصينيين
وآخر لدواخل أفريقية وآخر لاعمال فرديناندى لسبس المسمى باسمه وفيه صورة
خليج السويس مجسمة مع جميع آلات الحفر والاشغال وعدة بيوت لصور تشتمل على
عشرات الآلاف من الصور وأنواع البلدان مجسمة وبحار وسفن ومراسى وجميع
غرائب الاقطار يقضى فيه الانسان مدة أيام ولا يستوفى حصر ما فيه وقد أخذ من هذا
القصر قسم لادارة قسم من مالية الدولة ومنها قصر التولرى الذى وصله نابليون الثالث ❁
بالقصر السابق وخربه الاشتراكيون بالحرق فى ثورة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م
وعينت الدولة قسطاسنو بالترميم على أصوله والعمل جار فيه غير ان ما كان داخله
من الفرش والظرف لا يمكن استعواضها حيث كان مقر الامبراطور و يحتوى على
أنفس بدائع الملوك وامام هذا القصر حديقة بديعة نضرة وبها ملاهى ينتابها الناس نهارا
وليلا ورأيتهم ليلة يتعجبون من أحد العازفين بآلة كل باب كبيرة جدا فى طول الانسان
حيث انه أتقن دقها بدون ان تكون امامه ورقة التعليمات ومنها ملاهى كران او بره ❁
الذى هو أبهى وأنظر من سائر القصور والملاهى واحتوى على الضخامة والتزويق
والتأنيق والاسراف فدرجه المرمرية وشكاؤه ودرابزينها توقف الابصار وهو ذو تسع
طبقات للمتفرجين وايوانين للمستريحين و يحمل خمسة آلاف من النفوس و ينور
بالكهربا وأخبرت انه صرف على انشائه وتنميقه مائة مليون وأربعة عشر مليونا فرنكا ومنها ❁
قصر لكسنبورغ وهو وان لم يلحق نفاسة ما سبق ذكره من القصور لكنه عجيب
وبجانبه دار الرصد العجيبة التى هى فى أرفع ربوة بباريس وفيها من المرايا المكبرة أنواع ❁
شتى منها ما هو فى حجم مدفع كبير وفيه بيت سقفه يدور على عجلات لكى تدور المرآة الى
أى جهة من السماء من غير مانع وترى منه الكواكب ليلا ونهارا فقد شاهدت نهارا
بالمرآة نجم الريفولوس الذى لا يرى ليلا الا بالمرآة وقال المدير ان بعده عن الارض
أربعة وعشرون مليونا ميلا والحاصل ان فى هذا المرصد جميع آلات علم الفلك و به علماء
مثابرون على الرصد والتفتيش على ما يمكن لهم الوصول اليه ومنها قصر معرض سنة ❁

١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م وهذا المعرض البديع الذي جعلت به باريس دار مأدبة لسكان الارض واحتفلت بهم احتفال الكرام هو أبدع من جميع المعارض التي سبقته في جميع البلاد ولا يفهم من قولي احتفال الكرام ان القادمين تقوم بشؤنهم فرانسا بل كل منهم يصرف على نفسه وانما المراد هو التهيؤ لاحضار ما تشتهيه أنفسهم وتلذ به أعينهم من كل ما يدخل تحت قدرة البشر ثم انفاق النفقات الباهظة للمحافل العامة والمآدب التي يضعها كبراء الدولة أحيانا و يدعون اليها أعيان المسافرين والاهالي فان دولة فرانسا قد دعت ملوك أروبا وغيرهم من الامراء والوزراء وكل من له اقتدار من غيرهم فانه يأتي لمشاهدة ما لم يمكن الوصول اليه بسهولة حيث انه يرى أنموذج جميع ما في الارض كله بمحل واحد وقد كان ممن أجاب الدعوة من الملوك شاه ايران ومن غريب التواريخ ما قلته في رحلته تلك وهو قولي مؤرخا (قد زار أروبا الشاه ناصر الدين) ١٢٩٥ لكنه قدم على غير الصورة الرسمية ولذلك سكن بأحد منازل المسافرين وذكرت الصحف انه أفطر يوما ببلد فونتبلو التي حولها غابة ومنتزهات فكانت نفقته في ذلك الفطور أحد عشر ألف فرنك ولا يخفى ان سائر الاشياء كانت في تلك السنة في نهاية الغلاء بباريس لاسيما المأكولات والمشروبات بداخل المعرض لكثرة الواردين من الاقطار حتى قيل ان معدل القادمين من الانكليز كل يوم أربعمائة ألف ومثلهم الراضون فضلا عن غيرهم من سائر الاقطار وقد اجتمعت مدة هذا المعرض بأعيان من العرب وغيرهم فمن أعزة أبناء وطني الحازم النصوح محمد الطاهر الزاوش الذي هو من خيار الاهالي وترقى بنصحه لدى الامير ولي العهد بتونس الى ان ولي مستشاره وأبدى من النصح والنجابة في اسفاره مع مخدومه لسياسة القبائل والعربان ما أقر له به المنصفون وله دراية جيدة بأخلاق الاهالي وله نصح ووفاء عظيم مع الامير وسائر النصحاء وكذلك قدم من ابناء الوطن الوزير حسين والعلامة سالم أبو حاجب وقد تقدمت ترجمتهما واجتمعت بوحيد دهره الناصح للأمة الباذل في الاخلاص اليها نفسه حتى مات شهيدا ألا وهو مدحت باشا الذي ولي صدارة الدولة العثمانية وأنفذ بسعيه القانون الاساسي الذي لو جرى به العمل حقيقة لنجت الدولة مما ألم بها لكن لما كان الحق صعب الاجراء الا على من وفقه الله قد عزل ذلك الوزير الوحيد من الصدارة قبل استقرار العمل بالقانون ثم نفي الى خارج الممالك العثمانية ثم أذن له بالاقامة في جزيرة كريد ثم ولي واليا على الشام ثم نقل واليا على أزمير ثم قبض عليه وحكم عليه بالقتل بدعوى اشتراكه في خلع

السلطان

السلطان عبد العزيز وقتله لكن أكثر دول أوروبا أنكرت الحكم مع العدم جريانه بالحق الصراح فعوض عن القتل بالسجن المؤبد في الطائف من الحجاز ثم أشيعت وفاته شهيدا للحق رحمه الله ونعمه وكذلك اجتمعت بذي الاصالة داود باشا المصري حفيد محمد على باشا الابنت وصهر الخديوي الحالي وكذلك بسفير الفرس بباريس نازار أغا وغيرهم من أعيان الاقطار في الاجتماعات الخصوصية زيادة على الاجتماعات العامة في المآدب التي أشرنا اليها من دولة فرانسا فقد دعيت مدة اقامتي هنالك تلك السنة لمأدبة في وزارة البحر وأخرى في وزارة الخارجية وأخرى في وزارة المال وكل منها كان خارج المحل وداخله على غاية من التنوير والتزيين وجنائنه ملونة الانوار الارضية والفوقية كألوان أزهاره وموائد المآكل والمشروبات والمثلجات مصفوفة والموسيقات عازفة والاعيان من النسوة والرجال يرقصون أو يتفرجون في الملهى المخصص للطربات وصاحب الوزارة المدعو اليها الضيوف يقف في البيت الثاني من المدخل هو وامرأته ويسلمون على الداخل ويتلقونه ثم يكون الداخل على حسب ارادته ولا يلزمه الوداع عند الرواح ويرى الانسان آلافا من المدعوين بأفخر لباسهم وذوي النياشين متقلدين بها ورئيس الجمهورية يؤانس البعض ونساءهم يتنافسن بدلالهن ولباسهن وحليهن فان منهن من تلبس الشفوف المطرز باللؤلؤ النفيس من صدرها الى ذيلها عدا حليها المكللة بالياقوت الملون ولا يكلم بعضهم بعضا في هاته المواكب الا من كان له معرفة بالآخر أو عرفه معرف نعم انهم يتهيئون الى أدنى مناسبة للتعرف بالغريب ويؤانسونه وربما اضطرت المرأة زوجها أو قريبها الى عمل مناسبة للتعرف بالغريب سيما اذا كان لباسه على خلاف معتادهم وقد عينت الدولة لمصاريف تلك المواكب عدة ملايين فضلا عن مصاريف الليلة الحافلة التي أحدوها تذكارا للجمهورية فقد روي أن مصروف الاهالي والمجلس البلدي في التنوير والتحسين والالعاب النارية تجاوز ستة عشر مليونا فرنكا وان ثمن الرايات التي نشرت على طيقان الديار والطرقات تجاوز الاربعة ملايين وكان مركز العاب تلك الليلة هو بركة ابوادي بولونيا وقد اكترى بعضهم طاقة في الطبقة التي فوق من الدار التي نسكنها للفرجة تلك الليلة بسبعمائة فرنك حيث كانت على النهج الكبير الموصل الى محل الالعاب وكان المهندسون والعملة متهيئين لها منذ نصف شهر وعلقت الثريات والفوانيس على الطرقات قائمة على عيدان ومشبكة بالاشجار وما قرب غروب تلك الليلة الا وانتشرت العساكر والخيالة في جميع المراكز حفظا للراحة وخشية من

الاحزاب المضادين للجمهورية وماغربت الشمس الا وناب عنها نور المصابيح ومنعت العجلات من السير فى الطرق مطلقا ومابدت النجوم الا وتصاعدت لها شماريخ البارود ترمى لها باقات ازهار الوانها المختلفة الاشكال وترا كم ازدحام خلق الله عيانا يذكر يوم الحشر الاكبر ودام الحال على ذلك واصوات الموسيقى والبارود تتهادى من كل طرف الى نحو الساعة الثالثة من بعد نصف الليل فرجعت العساكر الواقفون على البركة بخيلهم ورجالهم وبايديهم فوانيس على ميدان والموسيقات تصدح بلحن المرسيلياز وهى قصيدة فى اثارة الحمية لاهل الوطن كانوا اعلنوا بها فى الثورة الكبرى سنة ١٨٣٠ لطلب الحرية وقد كان ترجم هاته القصيدة العلامة رفاعة باشا رحمه الله ونظمها ودونكها بنصها

فهيا يابنى الاوطان هيا * فوقت فخاركم لكم تهيا
أقيموا الراية العظمى سويا * وشنوا غارة الهيجا مليا

عليكم بالسلاح أيا أهالى * ونظم صفوفكم مثل اللآلى
وخوضوا فى دماء أولى الوبال * فهم أعداؤكم فى كل حال
وجودهم غدا فيكم جليا * بشا خوضوا دماء أولى الوبال

أما تصغون أصوات العساكر * كوحش قاطع البيداء كاسر
وخبث طوية الفرق الفواجر * ذبيح بنيكم بظبى البواتر
ولا يبقون فيكم قط حيا

﴿عليكم الى آخر الابيات الثلاث﴾

فماذا تبتغى منا الجنود * وهم همج واخلاط عبيد
كذا أهل الخيانة والوعود * كذلك ملوك بغى لن يسودوا
تعصبهم لنا لم يجد شيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لمن جعلوا السلاسل والقيودا * وأغلالا وأطوقا حديدا
لاهل فرانسا البروا عبيدا * وليس مرامهم هذا جديدا
أما هذا عجيب يا أخيا

﴿عليكم الى آخره﴾

وكيف

وكيف يسوغ ان نرضى رعاعا * من الاغراب يبغون ارتفاعا
ويجري شرعهم فينا شراعا * وانذالا لديهم لا تراعى
رعايا بل تكب على الحيا
﴿عليكم الى آخره﴾

فسلم يا سلام من المذلة * فما نرضى بان نبقى أذلة
ويأسرنا وفتيتنا أجله * فريق بالدراهم قد توله
فكيف وقدرنا أضحى عليا
﴿عليكم الى آخره﴾

الهي كيف يقهرنا ملوك * بسبل العدل ليس لهم سلوك
وأنذال للاستعباد حيكوا * وما في الفخر شركنا شريك
ولا أحد به أبدا حريا
﴿عليكم الى آخره﴾

فقل لهم ايا أهل المظالم * وأرباب الجرائم والمآثم
اما تخشون من تلك المحارم * كذا أهل الخيانة للمكارم
وظلمهم لقد بلغ الثريا
﴿عليكم الى آخره﴾

أحلوا الخوف نحوكم أماما * وخلوا العدل عندكم اماما
ونقضكم لوطنكم ذماما * به تجزون ذلا وانتقاما
وتكتسبون عند القوم خزيا
﴿عليكم الى آخره﴾

فها كم قد تعسكرت الاهالى * وسارت كلها نحو القتال
لنقتحم المهالك لا تبالى * اذا امامات ليث في النزال
تولد أرضنا اشبلا صبيا
﴿عليكم الى آخره﴾

صغير القوم منا والكبير * يحب قتالكم فرحا يطير
نحاربكم وليس لكم نصير * وليس لحربنا أصلا نظير
وحاشا قولنا يلقون عيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنا وطن به همنا غراما * به تقوى عزائمنا دواما
نعانيه ونخشى أن يضاما * ونأخذ ثاره ممن تعامى
وجار وان يكن ملكا عتيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنا حرية فى الكون تسمو * تزيد اذا الدهر وبدت وتنمو
نعانيها من بنيها امامهم * بها ثمرات نصرتهم تتم
على نغم المثانى والمحيا

﴿عليكم الى آخره﴾

نموت عدا تماموتا شنيعا * اذا ما أبصروا عزا منيعا
يحوز جماتها مجدا رفيعا * فويل للذى يبغى الرجوعا
لرق يكتسى خطأ وغيا

﴿عليكم الى آخره﴾

سندخل سلك أرباب الجهاد * كاسلاف لهم طول الايادى
ونقفو نحوهم فى كل ناد * ونقفو فضلهم فى كل واد
ونبلغ فى العلى شأوا قصيا

﴿عليكم الى آخره﴾

نؤمل أن نكون لهم فداء * وكل فتى بفخر النصر باء
وان لا بعدهم نبقى مساء * اذا لم ننتقم لهم العداء
ويأخذ ثارهم من كان حيا

﴿عليكم الى آخره﴾

وهذه القصيدة جعلوا لها لحنا خاصا وكانوا يترغون بها فى ليلة تذكار الجمهورية ولم ينتظم فى تلك الليلة عزان مع أن بعض اضدادا الجمهورية لم يفتح طاقة تلك الليلة ولم ينوز فانوسا وبعضهم رحل عن البلاد بالمرة تلك الليلة ومن الاحتفالات الواقعة لضيوف المعرض الاحتفال الذى صنع بعرض الجيش حول ابوادى بولونيا كما مر ذكر محله فبعد احتباك الموكب بالمتفرجين الذين يجاوزون النصف مليون ومنهم شاه ايران والعماكرى من بعد حول تلك التلال والهضاب واذا بالماريشال مكماهون رئيس الجمهورية

الجمهورية اذ ذاك قادما راكبا على حصان أشهب عربي يقدمه ثمانية فرسان من
العرب سكان الجزائر بلباس العرب وبرانسهم حمر ووجوههم عربية ووراءه وزير
الحرب ثم نحو عشرين فارسا من ضباط العساكر والمعينين وكلهم بالملابس الرسمية فلما
دخل الميدان وسامت وسط الموكب أومأ بالسلام لجهة المتفرجين الجلوس في الايوان
الوسط ثم ركض حصانه وصار يطوف على كراديس العساكر ومهما وصل الى راية
الا وكشف رأسه مومئا بالسلام الى ان طاف على الجميع ثم رجع الى أمام الايوان الوسط
واستقبله ووقف وكان أمير الجيش كله المكلف بذلك الموكب هو أمير جيش باريس
فجاء راكضا وسلم على رئيس الجمهورية ثم انحاز الى جهة الاواوين وأصدر أوامر
الحركات العسكرية فاذا بالجيوش من كل حدب ينسلون وجاء الآلاي الاول
وموسيقته تعزف أمامه فلما حاذت رئيس الجيش وقفت ومر الآلاي ماشيا من الجنوب
الى الشمال بجميع لوازمه وسلاحه الى أن انقضى فجاء غيره ووقفت موسيقته وهكذا الى
ان مرت خمسة وأربعون الفا من العساكر المشاة ثم أقبلت الخيالة المدرعون سربا سربا
يمشون خببا وكل سرب متقارب لون الخيل الى أن مرت خمسة آلاف خيالة ثم أقبلت
الطبجية أي عساكر المدافع بمدافعهم تجرها الخيول ذاهبين خببا الى ان مرت مائة
مدفع وثمانية مدافع وكل فرقة من الجيش يقدمها رئيسها راكبا ويقف بين
يدي الرئيس الى أن تمر فرقته فيتبعها ومهما مرت راية كبيرة أومأت بالسلام للرئيس
وكشف هو لها رأسه ومنذ سلم هو عند دخوله الموكب الى ان انفض الموكب كانت
المدافع تطلق من الحصون وعندما مرت العساكر الاهلية أبناء باريس ضج
الموكب بالتصفيق والتحيات استحسانا لسمتهم ونشاطهم حتى صارت كأصوات الرعد
ووقع لغيرهم قليل من ذلك النوع وكان اليوم حارا والرئيس مستقبل الشمس بلا مظلة
وقد سقط عسكري من حر الشمس ففي الحال حمل في نعش مصابي العساكر وجاءه
الطبيب وأرسل اليه الرئيس مرارا متفقدا وعند خروج الناس للرجوع احتبكت
الطرق واشتبهت الكراريس على أصحابها وكان يوما مشهودا واشتباه الكراريس
انما كان مستغربا لانه من عاداتهم في هاته المواكب اذا حضرت كروسة يتلقاها أحد
صغار المكلفين ولما ينزل الراكب يعطيه بطاقة بها عدد خاص ومثلها السائق
الكروسة ويوقف كروسته في مكان رحيب على ترتيب الاسبق فالاسبق فاذا خرج
الراكب أعلم أحد أولئك المكلفين بعدده فيرفع صوته بها فتأتي العجلة بمجرد سماع

سالمين بعد دخوله من غير أدنى اختلاط ولا تعب لكن فى ذلك اليوم حيث خرجت الناس دفعة مع كثرتهم ومع ازدحام الناس خارجا وقع الاختلاط وعدم التمييز لكثرة الموكب

* ومثل ذلك احتفال يوم السباق فانه لما انتظم الموكب على نحو السابق تهيأت خيل السباق وكان الجعل من الدولة للمجلى مائة ألف فرنك وللمصلى عشرة آلاف ثم ألفان ثم علق فى عمود أسماء الخيول المندفعة أولا وكانت ستة عشر فرسا من عتاق الخيل الجياد العربية وكل منها مسرج بسرج صغير جدا وركابها متساوون فى الوزن حتى اذا كان أحدهم أخف حمل شيأ يستوى به مع أصحابه وكل منهم لابس لباسا لاصقا بالبدن وعليه نحو جبة قصيرة ضيقة من الحرير بأحد الالوان لكل لون خاص وكل منها يمسكه رجل ثم يتصافون سواء من مبدأ الميدان فيضرب جرس اذانا بالركض فاندفعوا راكضين وكان الميدان على هيئة دائرة واسعة تتصل بأخرى أوسع منها ثم أخرى أوسع ولكل فرقة من الخيل حد فأعلاها ما يقطع الدوائر الثلاث ومجموع طولها نحو تسعة أميال وأدناها ما يقطع الاولى فقط فالسرب الاول كان من المتوسط وحاز القصبة حصان أحمر وعلق اسمه واسم صاحبه ثم فرقة أخرى وهكذا ولما خرجت الفرقة العليا تهيأت الناس وكثر اللغط فى المخاطرة كل يدعى ان الفرس الفلانى يغلب وكثيرا ما تربح عشرات الملايين فى مثل ذلك السباق بالمخاطرة بين المتفرجين ثم انصبت الخيل راكضة وكانت ستة فقط وكانوا أولا يحتالون على أيهم يحرز الخط الداخلى من الدائرة ولا يطلقون عنان الخيل وعندما توسطوا الدائرة النهائية أرسلوا الخيل على غايتها فتخلف من تخلف ولم يبق الا ثلاث وعندما بقى الربع من الدائرة تخلف الثالث وتجارى اثنان فكان كل منهما تارة يكون مصليا وتارة مجليا لكن لما قربت قصبة السبق فاز الاحمر الكميت وصار ينط نطا المسارعة من شدة سياط راكبه وكنت تخيلت سبقه من أول الامر لما تفرست فيه من حدة نفسه وتقارب وسرعة حركاته مع ان الكل مستوون فى صفات الجودة غير ان هذا أحدّ وأخف وقد أعطى صاحبه للراكب عشرة آلاف فرنك من الجائزة لان عادتهم ان يكون لمضمار السباق فرسان خاصون أو سواس الفرس أما صاحبها فلا يسابق بنفسه الا نادرا مع أمثاله وليس ذلك لزهدهم فى الفروسية بل أنفة لانهم كثير والركوب للخيل نساء ورجالا ويصرفون على تربيتها وتوليدها أموالا جسيمة حتى يباع الفرس الواحد بأربعين ألفا وأزيد ويكتبون أنسابها متسلسلة وأصلها من العراب وذكر لى ان جد أقدم نسل من خيل انكلاتيره هو حصان تونسى

اشترى

اشترى من جمال ثم اعلم ان المعرض الذى نحن بصدد ذكره موقعه فى الجهة الغربية الشمالية من باريس يقسمه نهر السين الى شطرين فما كان من يمين انحدار السين يسمى التوكادرو وبنى به قصر على شكل بديع وبناء متقن ابقى هنالك مستمرا وهو المشار اليه أولا وأمامه رواق وقدامه بركة ماء واسعة جدا على جهاتها صورة أسد وثور وفرس وخنزير كل صورة ضخمة جدا كلها مذهبة والماء متدفق بهيئة عجيبة ويحيط بالجميع حديقة أنيقة وحول هذا المكان بنا آت لصورة بنا آت الممالك التى أجابت الدعوة فمنها دار أرسلها سلطان المغرب كلها من خشب على هيئة ديار فاس وبها النقش بهيئة حديدة وغيرها مما هو عادتهم وكذلك فرشها ومنها قصر ظريف لشاه ايران على نحو قصور بلاده ومن عجيب ما به سقف بيت كله من البلور المضلع على هيئة عناقيد وهكذا كل مملكة أجابت الدعوى تبنى مكانا على هيئة ابنيتها فى بلادها وحول تلك الابنية مخادع ومقاعد وحوانيت وقتية فى تلك الحدائق والشطر الثانى من المعرض يسمى شان دى مارس وفيه حدائق أيضا وقهاوى ومطاعم وفيه المحل المهم المقصود من المعرض وهو بناء عظيم واسع طوله نحو ميلين فى ذلك العرض كله بناء من قضبان حديد ومقسم على أقسام على حسب الممالك كل مملكة تأتى بانموذج ماعندها من الجمادات والنباتات والحيوانات والمصنوعات قل أو جل حقر أو عظم فكان ذلك المحل حاويا لجميع أنواع ما يعلم فى الدنيا لانه أجابت دعوة فرانسا الى ذلك جميع الممالك ذات الشان الا الدولة العلية لاشتغالها بحرب الروسيا اذ ذاك فالمعرض حينئذ لما فيه عبث اذ يعجز عنه الواصف وانما اذكر أفرادا من المستغربات التى لم تزل عالقة بذهنى فمنها ساعة ذات أربعة أوجه مرفوعة على نحو أسطوانة ارتفاعها أزيد من ستة أذرع ورقاصها صورة كورة أرضية معلقة فى القبة التى فوق الساعة ويحيط بالكورة صورة الشمس والقمر وبقية الكواكب السيارة والغرابة من جهة كون الساعة ليس لها آلة تحركها سوى تلك الكورة وذلك بان اعتبر ثقلها وبعدها عن مركز تعليقها ومنعت من الاستقرار بمركزها باعتراض قائم فى رأس الساعة متصل بآلاتها سهل الدوران فكانت الكورة تطلب المركز وتدفع العارض بثقلها وهو يدورها وهى تدور معه وهكذا وهى من مصنوعات الفرانسيس وقيل ان ثمنها ستون ألف فرنك ومنها مقعد من البلور الرفيع ذو ثلاث درج واثنى عشر ضلعا مرفوعة قبته على أسطوانات من البلور يجلس به اثنا عشر انسانا كله قطعة واحدة من البلور المضلع وهو من صناعة النمسا ومنها مطبعة تطبع بلونين فى آلة

واحدة وتخرج عددا وافرا في كل دقيقة ومنها ارسال الرسائل المكتوبة في قنوات من حديد مفرغة من الهواء فتصل بسرعة كالسلك الكهربائي وقد صار الآن في عدة جهات من باريس ارسال الرسائل بتلك الصورة ومنها الجوهرات والتحف الغريبة التي اهداها ملوك الهند الى ولي عهد انكلاتيرة وهي كثيرة عجيبة جدا ومن أغربها معولان من العاج في طول الذراع ورأساهما على صورة رأس أسد وعيناه ياقوتتان حمراوان لم أر أجمل وأصفى وأخلص منهما الى غير ذلك مما يقصر عنه وصف الواصف من بدائع الصنائع والمخلوقات وأما بقية اماكن وبناءات باريس الشهيرة فهي كثيرة جدا ومن أهمها ﴿ لبزان فاليد وهو محل العاجزين من العساكر وبه آثار الاسلحة القديمة منذ عرف السلاح في الدنيا الى الآن وبه قبر نابليون الاول والرايات التي غنمها وعلى قبره هيكل وتابوت فوقه نيشانه وسيفه ادخلوني اليه واروني جميع جزئيات غرائبه تكرمة منهم وحوله قشلة كبيرة للعاجزين من العساكر بالسن أو الحروب الذين يريدون الاقامة هنالك فزيادة على القيام بجميع ضروريا تهم لهم خدمة وكل من لا يقدر على المشي تجعل له عجلة صغيرة يحركها بنفسه ان قدر والا جرها خادم للتروح في المنزه الذي حول ذلك المكان والمدير لهذا المحل رجل من رتبته أميرآلاي ذو اخلاق حسنة ومعارف جيدة أما ملاهي باريس فهي كثيرة ومختلفة المقاصد اذ لا يقصدون بالملاهي مجرد التلهي بل ظاهرها التلهي وباطنها فائدة من الفوائد كالاعلام بتاريخ غريب لتجتنى محاسنه وتجتنب قبائحه لان الرائي يشاهد النتائج عيانا فتكون أوقع في النفس وكالافادة بفائدة علمية مثلما يحصل في أحد الملاهي من ذكر كروية الارض وان من يقطعها ذاهبا الى جهة ﴿ الغرب في نيف وثمانين يوما فاذا وصل الى المكان الذي خرج منه يجد انه نقص له يوم من أيام الاسبوع مثلا يرى انه وصل في يوم الاحد والحال ان اليوم عند أهالي ذلك المكان هو يوم الاثنين وبعكس ذلك من يقطعها ذاهبا الى الشرق فانه يزداد عنده يوم فيرى انه وصل يوم الثلاثا والحال ان اليوم عند الاهالي هو يوم الاثنين وذلك لان السائر الى جهة الغرب يكون ذاهبا مع الشمس فاليوم بليلته عنده أزيد من أربع وعشرين ساعة فيجتمع في تلك الايام يوم كامل يضيع على المسافر ويزيد عند مقابله مثله لان اليوم بليلته عنده أقل من اربع وعشرين ساعة لذهابه ضد سير الشمس وقد نص القرافي على هاته المسئلة وما هو الحكم الشرعي فيها اما اذا صادف اليوم المختلف فيه يوم الجمعة فان المقيم يعده يوم الجمعة والمسافر الى الغرب يعده الخميس والمسافر الى الشرق يعده

السبت

السبت وغير ذلك من احكام العبادات والمعاملات الموقتة وان الحكم هو الاعتبار بما عند أهل المكان فأولئك اللاعبون يصورون هاته المسئلة اعلية بتشخيصها وصورة السفر براو بحرا وما يعترض من العوائق وثمرة الحيال للتوصل به الى الاغراض الى غير ذلك وهنالك ملاهى لافادة البراعة والبلاغة فى الكلام وأخر لافادة علم الموسيقى الى غير ذلك من الفوائد ولو السياسية فقد كانوا مدة رياسة المارشال مكماهون على الجمهورية طلب مجلس الامة ان تعزل ولاة البلدان ورؤساء العساكر الذين هم من حزب الملكية فامتنعت الوزراء من قبول ذلك وحل الرئيس المجلس واذن بانتخاب اعضاء آخرين ولما انتظم المجلس الجديد أصر على مطالب سلفه فاراد الرئيس حله أيضا فامتنعوا من ذلك اذلا حق له الا فى حله مرة واحدة فى نازلة متحدة وحصل نزاع كاد يفضى الى شغب فكان أحد الملاهى لاعبا واذا باحد اللاعبين يقول ما ترجمته نظما

المارشال مكماهون يخضع * وان أبى من الخضوع يخلع
كذا الولاة من صياصى تدفع * لان ذلك للبلاد أنجع

فدخل الحرس وفتشوا على القائل فلم يقرلهم أحد ولا وجدوا الكلام فى كتاب الحكاية وآل أمر النزاع الى استعفاء المارشال واعلم ان تلك الملاهى يوجد منها ما هو مضيعة ومشغلة لكنه قليل والحاصل ان ملاهيهم لا تخلو عن فائدة معتبرة ومع ذلك فهم غافلون عما فيها من مفسدة مهمة وهى تعليم الشبان والشابات أوجه العشق ومبانيه ووسائله اذقل ان يخلو تشخيص عن مثله ويعتذرون عن ذلك بانه يعلم أيضا شناعة ثمرات العشق وشناعة الفضيحة وايثار الموت على حفظ العرض مما يكون خاتمة تلك التشخيصات وكان ذلك لا يفيد اذ البواعث النفسانية غالبة على عقول الكثير من الناس فتأخذ ما يلائمها وتغفل عما سواه ويؤيد هذا أن الكثير ممن يحضر تلك الملاهى انما يجعلها وسيلة لتمكن من امعان بصره فى اللاعبات والمتفرجات التائهات بدلالهن وجمالهن ولباسهن وترى كلا من الحاضرين بيده مرآة مقربة وهو لا شغل له الا الاشخاص من واحدة الى أخرى ثم يلتمسون الوسائل الى المخالطة بمن يعلقون بها بل وكذلك تفعل الابكار والشابات مع الرجال الا العفيفات وأعظم هاته الملاهى هو كران او بره الذى تقدم ذكره وكان دخله من اكتوبر سنة ١٨٧٩ الى نهاية ينايرسنة ١٨٨١ الذى هو عام وأربعة أشهر ٤ر٧١٥ر٠٠٠ فرنك ومصروفه فى تلك ٤ر٧٤٩ر٥٠٠ المدة فكانت الخسارة أربعة وثلاثين ألفا وخمسمائة فرنك زيادة على ما تعطيه الدولة

اعانة له لانها تعين من دخلها فى كل سنة اعانة للملاهى مبالغ وافرة فكان معين الملهى
المذكور وملهى أوبيره كوميك وملهى تياتر فرانيس وملهى لوديون فى سنة ١٨٨١
١٣٢٤٠٠٠ فرنك عدا بقية الملاهى للفوائد التى مر ذكرها وكراء البيت الواحد
فى هذا الملهى سنة ١٢٩٥ مائة وعشرون فرنكا فى الليلة الواحدة وبه بيت لرئيس
الدولة يحتوى على مرافق وقد أذن لى بالدخول اليه تكرمة من رئيس الجمهورية
اذ ذاك المارشال مكماهون ومن أهم الملاهى البدروم الذى يلعب فيه بالخيول العابا
عجيبة وكذلك ملهى السيرك فترى الخيل تدرك مثل الانسان الحاذق وكذلك غيرها
من الحيوانات ولو السبعية فان الاسود والفيلة وغيرها لها ملاهى خاصة وتطيع آمرها
كالآدمى حتى رأيت الشاة تسطو على الاسد وتركب على ظهره وتدخل رأسها كله فى
فمه وهو منقاد خاضع وحوله فى الحجرة التى هو بها أربعة اسود أخر وأربعة نمورة ومثلها
ضباع ثم ذئاب ثم أربعة من الدب كلها وقوف حول حيطان الحجرة كأصحاب موكب
محتفل وذلك الاسد الكبير فى وسط الحجرة والنعجة تلاعبه وتركب عليه وصاحبها واقف
معها لكى لا يسطو واحد على آخر وتلك النعجة لا تخشى بأس جميع تلك السباع بل كأنهم
هم الخائفون منها فيرانى شاهدت هاته السباع فى تلك الحالة والضبع واقف يرتعد من
الاسود وبوله جار على رجليه ومع ذلك لا يخل بامر صاحبه ومثله الدب فان صاحبه اذا أمره
بالقرب من الاسد الكبير تراه يرتعد ويصيح ولكنه يفعل ما أمر به وكذلك ذلك الاسد
يكفهر ويكره قرب الدب منه ولكنه لا يضره بشئ فالنفرة بين النوعين شديدة بخلاف
الاسد مع النمر فالتالف بينهما قريب ومن غريب ما شاهدته هنالك ثعبان فى غلظ شبرين
وطوله نحو خمسة عشر ميترو يحمله عدة رجال ويمسه كل أحد ولا يضر شيأ وهو من النوع
الذى ذكرناه بجبال الوادرنة بقطر تونس وقلنا انه بين الاهالى مثل القط الاهلى كما لهم ملاهى
للشعوذة يعملون بها اعمالا غريبة وأما معامل باريس للصنائع فهى كثيرة جدا ومما اختصت
به عن غيرها معمل كبلان الذى ينسج به المنسوجات الثخينة كالزرابى التى يضرب بها المثل
وكذلك معمل السيفر الذى يصنع به الاوانى الخزف التى يفضلونها على الخزف الصينى
وقد رأيت به مائدة على ساق واحدة أرفع ما رأيته من ذلك الشكل بالوان وصفاء بديع
ذكروا ان قيمتها ستون ألف فرنك وكذلك معمل التمويه بالفضة والذهب بالجاذب
الكهربائى فترى القناطير المقنطرة من النحاس مصنوعة ساعات وشوكات وملاعق
وغيرها يدخلونها فى برك من مياه الفضة والذهب فتخرج كأنها من ذلك المعدن وأما
منازل المسافرين فتكاد ان لا تحصى وأهمها المنزل الاكبر فى بلفار الطليان فانه من
عجائب المبانى والتنظيم وترى فيه ايوان الاكل العام متساع جدا بقبة واحدة يحيط بها

رواشن

رواشن ويوقد به نحو سبعمائة مصباح وقبته وحيطانه كلها مموهة بالذهب على اشكال
جميلة وبه سبع موائد كل مائدة يجلس عليها خمسون نفسا فترى ثلاثمائة وخمسين نفسا
فى بيت واحد يأكلون جميعا على غاية الراحة والنزهة والابهة ولا تسمع فيها الاغبة والكل
يأكلون سواء والفطور له خمسة الوان والعشاء له سبعة الوان عدا الحلويات والفواكه
وزينة المائدة البديعة وثمن الاكل فيها للواحد ستة فرنك عشاء واربعة فطورا ويحتوى
المنزل على سبعمائة حجرة للسكنى وستين بيتا مقسمة للجلوس ويصعد الى طبقاته العليا بالجلوس
على كراسى تصعدها آلة بخارية وأما حماماتها فهى على نحو ما سيأتى فى الصفات العامة
غير انها اختصت بحمام عربى قرب البلغار وهو فى نهاية التأنيق والتزويق والزخرفة
شبيه بالحمامات العربية فى كونه له بيت كبير حار للاغتسال والعرق وبيت كبير لنزع
الثياب والراحة للمغتسل مستلقى بعد الاغتسال وبين البيتين حوض كبير مملوء بالماء البارد
يتنزل اليه كثير من المغتسلين بعد الغسل ليخرج منه الى بيت الارتياح وعند وصوله الى
الحائط الفاصل بين البيتين يضطر الى ادخال رأسه أيضا فى الماء لان الماء واصل الى
اسفل الحائط وفى الحمام خدمة يكيسون المغتسل وينظفونه على النحو المعتاد فى البلاد
العربية وبعضهم من الجزائر وبعضهم من السودان أما احوال المعارف وترقى العلوم
فالباب فيها واسع جدا ونقول اختصارا ان فى باريس مكاتب للعلوم العالية واولها مجمع
كبار العلماء ثم مكتب فرانسا وهو لنهاية المعلمين ومكتب اركان الحرب ومكتب المعلمين
ومكتب الصيدلانيين ومكتب اتقان علوم الطرق والجسور ومكتب علوم المعادن
ومكتب تعلم التجارة ومكتب الصنائع الظريفة ومكتب علم الموسيقى وعلوم تشغيل
الملاهى وانشائها ومكتب اللغات الشرقية والآثار القديمة ومكتب الصنائع وخمسة
مكاتب ابتدائية للدولة وأما الابتدائية للاهالى فغير محصورة وهى كثيرة جدا ومكتب
للقسيسين عال ومكتب لهم دونه ومكتب للعمى وآخر للصم البكم يعلمونهم بالامس والاحرف
المجسدة والخوارط المجسدة فيصلون الى سائر المدركات كما ان فى باريس ثمانية خزائن
كتب عظيمة للعامة تحوى من المجلدات نحو ثلاثة ملايين مجلدا واكبرها خزانة الكتب
العمومية التى فيها أول ما عرف من آلة طبع الكتب وفيها بعض تحف عتيقة مثل قطع
من الشطرنج الذى كان اهداه هارون الرشيد الى شارلمان وجملة ما فيها من
الكتب أزيد من مليون مجلد منها أزيد من ثمانين ألف مجلد بخط اليد ومن تلك
الكتب الكتب التى أخذها نابليون الاول من مصر ثم الكتب المأخوذة من الجزائر

وقد رأيت فيها كتبا نفيسة عربية ومصاحف كريمة أنيقة ذات أسفار بقطع من الذهب وخطوط جميلة وكان فيها من المطالعين والناسخين نحو خمسمائة نفس نساء ورجالا لكن الرجال أكثر على غاية من الادب والصمت وهاته الخزنة مثل قصر عظيم ذى طبقات ومحل المطالعة واحد ديوان واسع ثم وراءها تلك المكاتب والكتب واعتناء الدولة بواعث أثر الاجتهاد والتقدم فى العلوم وذلك بانعقاد جمعيات للتحريض والاعانة بالمال وسائر الوسائل للوصول الى المقصود فى خصوص باريس فمنها جمعية اللغة الفرانساوية وجمعية سائر العلوم وجمعية علوم الادب وجمعية المعارف الظريفة وجمعية العلوم العقلية وجمعية علوم الطب وجمعية التحريض على الاختراعات وجمعية علم النباتات وجمعية علم طبقات الارض وجمعية معارف آسيا وجمعية الاحصاآت الدنيوية وجمعية الجغرافيا وجمعية علم التاريخ وجمعية المرحمة الانسانية وجمعية الصيدلة وجمعية الفلاحة وجمعية مقدمات الفلاحة وجمعية تربية النبات والحيوان وجمعية الصنائع الفرانساوية وجمعية لتنمية سائر العلوم ومما يلحق بهذا الباب كثرة المطابع فمن أعظمها مطبعة الدولة ورأيت فيها من أنواع أحرف اللغات التى يطبع بها سبعة أنواع منها الاحرف العربية وعدد المستخدمين بها يقرب من ألف نسمة وفيها كتب عتيقة وحديثة فى كثير من اللغات ومنها كتب عربية عتيقة بالخط الكوفى وغيره ومن المطابع المهمة المطبعة المختصة بطرق الحديد لطبع اعلاناتها ودفاترها وجميع ما تحتاج اليه فيها من المستخدمين أزيد من سبعمائة نسمة وتطبع بالحروف وعلى الحجر بخط اليد وهناك مطابع أخر كثيرة للصحف وغيرها فان الصحف لها تأثير كبير فى المعارف حتى انه يوجد ثلاثمائة صحيفة بين يومية وشهرية وأسبوعية فى السياسة أو التجارة أو العلوم ومنها ما يطبع منه يوميا أزيد من خمسمائة ألف نسخة وفى بعض الاحيان لا تجد منه نسخة للبيع اذ قل ان تجد سائق الكروسة ليس له صحيفة يطالعها فضلا عن غيره وأما أماكن المرحمة كالمستشفيات وديار اللقيطين فهى كثيرة ويكفى لعظمتها ما ذكرناه فى المستشفى الذى نظارته الى الحكيم شاركو واللقيط ينفق على تربيته وتعليمه مجانا الى ان يبلغ أشده وهم كثيرون بسبب كثرة الزنى والزانيات المتجاوز عددهم عشرات الآلاف منهن من هن فى ديار مخصوصة لذلك جهرة ولهن أطباء من قبل الحكومة لكى يمنعون المرض بالامراض المعدية ويدخلونها المستشفى ومنهن من هن فى ديارهن أو فى الملاهى أو خادمات الى غير ذلك ومن أماكن المرحمة الدار الرحيبة المتخذة للفقراء الذين لا يجدون ماوى وهم قادرون على

التكسب

التكسب فان هاته الدار تأويهم ليلا وتطعمهم ما يسد الرمق وتعطيهم فراشا بشرط ان يغسلوا ارجلهم قبل دخوله ولا تقبلهم الا فى الساعة الثانية بعد الظهر وفى السهر يسرد عليهم قارئ كتابا فى تهذيب الاخلاق والحث على العمل ولا يقبل الواحد أزيد من ثلاثة أيام ومع كثرة المراحم فكثيرا ما يموت الناس فى الطرق جوعا أو بردا سيما فى سوق الخضر لان من لا يجد مأوى يتقى به من الزمهرير فيجمد بردا (وأما طرق المواصلة) والانتقال من محل الى آخر فى وسط البلد فلهم وسائل كثيرة كالبواخر فى نهر السين تقف على الشطوط يمينا وشمالا من طرف البلد الى طرفها الآخر والركوب فى هاته البواخر اذا لم تكن مزدحمة بالخلائق فيه نزهة جميلة سيما خارج البلد أيام الربيع والصيف ومنها ما يمر على القرى المجاورة للبلد ومن الوسائل الترموى وتجره الخيل فى اغلب الاماكن وفى الطرق القليلة المرور تجره مزجية بالبخار ومنها الامنيبوس وهو مثل سابقه غير ان طريقه ليس حديدا ومنها الرتل يحيط بالبلد مارا حذو السور ولكنه تارة يجرى فى نفق تحت البلد ومنها الكراريس ولها ترتيب منضبط فى باريس أزيد عن غيرها لان التسعير المرسوم لا يزاد عليه ولا ينقص بخلاف غيرها من البلدان ومع ذلك فان سائقى العجلات أظن انهم فى كل بلد هم أسوء أهلها أخلاقا الا ما ندر وفى عام المعرض أكدت عليهم الحكومة التأكيد الزائد وشددت فى الحكم على من يتعدى منهم الحدود ومع ذلك كانوا كثيرا ما يسيئون السيرة ومن الوسائل أيضا الركوب على الخيل لكنه خاص بأصحابها وأما المكثرون فهم أقل استعمالا لها من الكراريس وسائر العجلات وبالجملة فان فى باريس مائة ألف عجلة ومائة وثمانين ألفا من الخيل وهذا كاف فى بيان مقدار الحركة وأما رواج التجارة والسلع فلنكتف بذكر شئ منها وهو قصر البورس الذى تروج فيه كل يوم تجارة تجاوز آلاف ملايين وفى أحوال السلع نقتصر على ذكر مخزن اللوفر الذى هو قصر قدر حارة كبيرة ذو أربع طبقات فيه ستمائة مستخدم وفيه من السلع كل ما يحتاجه الانسان من الملبوس وأثاث المنزل والفرش بل وحتى الكراريس والخيل التى تجرها واذا دخل اليه المشترى تتلقفه الخدمة بالبشاشة واللين ويطلعونه على كل ما يريد فيختار ما شاء ويذكر لهم اسم محله ويذهب وهم يأتون بما اختاره مع صحيفة مبين بها الاثمان ممضاة بالخلاص فاذا وجد شيأ غير الذى اختاره أو سمرا غير الذى سمع به رد ما لا يعجبه وأخذ الباقى وأخذ صك الخلاص بعد دفع الثمن من غير مماكسة فى السعر ولا يخشى المشترى من الغرر لان السلع هنالك أرخص ما يمكن ان توجد لان صاحب

المخزن يأخذها من العامل ويزيد عليها نصفا فى العشرة تجاوكل من دخل المخزن الذى
هو حقيق باسم قصر فله أن يدخل الى ايوان الجلوس ويقرأ فيه ما يشاء من الصحف ويكتب
ما يريد ويشرب شيأ من المشر وبات كل هذا مجانا ولصاحب المخزن دفاتر عديدة مقيد
بها أسماء السلع باعدادها مع أسعارها يعطيها لكل من أراد ومن يريد بعد ذلك شيأ من
السلع ولو من الاقطار البعيدة فليس عليه الا أن يكتب للادارة جريدة بها أسماء ما يريد
باعداده فيأتيه مطلوبه مع البريد ويدفع اذ ذاك الثمن ويأخذ المطلوب أما اذا تعرف
بتجار وجعل معهم حسابا متصلا فان دفع الثمن يكون حسب الاتفاق ومثل هذا المخزن
❊ مخزن بومرشى وهناك مخازن أخر عديدة ولكنها دون هذين ومن غرائب ما رأيته
بباريس القبة الهوائية الكبرى التى تسمى بالبالون وقد سماها علامة اللغة أحمد فارس
بالمنطاد فقد صنعوا واحدة كبيرة جدا ونصبوها فى بطحاء التولرى وربطوها بحبل من
التل تجذبه آلة بخارية وعاقوا بها مركبة تسع أربعة وعشرين نسمة وكل من ركب يدفع
أجرة الركوب عشرين فرنكا ثم يطلقونها تصعد الى ارتفاع ثلاثمائة ميتر فيرى
الصاعد جميع باريس وما حولها كأنه تحته وكان أول اختراع هاته القبة سنة ١٧٨٣
فى فرانسا وهى قبة متخذة من منسوج الحرير مدهون بنوع صمغى كالمسمى بالفرنيز
تملأ بالبخار الغازى الذى هو أخف من الهواء العادى بأربعة وعشرين ضعفا فتصعد
❊ ضرورة فوق الهواء لانها أخف منه وتحمل ما يتصل بها مما لا يعادل ثقله خفة هوائها ومن
محاسن باريس الماء المجلوب اليها من عيون غزيرة وجعلت له خزنة هائلة تقصد للتفرج
عليها زيادة على الماء الذى يرفع من النهر بآلات بخارية فالاول للشرب والثانى
❊ للاستعمال ومن أماكن التفرج الدهاليز الكبيرة التى تحت الارض ويقال انها
❊ كانت لقطع الحجارة ثم جعلت مقبرة لعظام الموتى مرصفة مرتبة وكذلك الخنادق الوسيعة
التى تجرى فيها الفضلات والمياه فانها تسير فيها آلات بخارية تحوّل الزبل لتنظيفها وتقصد
❊ بالتفرج ومن صفات باريس ان أغلب دورها يصله الماء فى قنوات صغيرة كل دار على
قدر استحقاقها وكذلك كل دار لها قنوات للبخار الغازى للتنوير ليلا ولبعض الديار
ساعات تحركها قوة الكهربا فى مكان متحد فى البلد بحيث تكون جميع الساعات
متساوية الوقت على التحرير الصحيح فى المرصد من غير مشقة لاصحاب الديار ولبعض
الديار رأينا قنوات لاتيان الحرارة لتسخين الديار على حسب ارادة صاحبها وما يقسمه
على بيوتها من غير كلفة لايقاد النار ولا خوف من احراقها لان الحرارة الآتية هى حرارة
هوائية

هوائية وليس لصاحب الدار الادفع ثمن ما تيك المرافق شهر بأوسنو بأغيران عمل القسيسين والساعات لم يتكاثر كثيره ولا يلبث أن يعم واتحاد ساعات البلد أمر مهم جدا في كثير من الامور ولهذا كانت أوقات طرق الحديد في كل مملكة معتبرة على قاعدة تلك المملكة فتجد جميع ساعات المحلات متحدة على وقت واحد

الفصل الثالث

﴿في بقية البلدان التي شاهدتها بفرانسا﴾

فاولها بلد فرسال هي غربي باريس تبعد عنها مسير نصف ساعة في الرتل وهي منتزه الملوك وبها قصور أنيقة وبدائع من تحف الملوك وما آثرهم منها الكراريس الرسمية التي تبلغ قيمتها الملايين لما فيها من الذهب والفضة واتقان الصنعة وحول تلك القصور البساتين والحدائق الجميلة ذات المياه الدافقة والبرك الواسعة قد جعل فيها سنة ١٢٩٥ وهي سنة المعرض عدة ليال للزينة واندفاع المياه فرأيت ها تيك الحدائق ملونة بقناديل الانوار المحاكية كثرة النجوم وشماريخ البارود بألوان وأشكال صاعدة وفائضة ودائرة ومنابع المياه طائرة في الهواء كل عمود منها في غلظ نحو نصف ذراع مرتفع عن منبعه نحو أربعين ميترو فكأنها منائر من الزجاج تبرق بسطوع الانوار عليها وكذلك أنواع أخر من المنابع ترمي الى أمامها على استقامة الى أمد بعيد وكل تلك المياه منبعثة من نهر السين بآلات قوية بخارية والمتفرجون عدة مئات الالوف وحول البلاد غابات وممشى جميلة والبلاد واسعة الطرق نظيفة ظريفة والقصور الملوكية ليس بها من المفروشات الا قليلا من آثار الملوك محتفظين عليها على ما كانت عليه وقد رأيت بها كلا من مجلس الاعيان والنواب اذ كانا نقلا الى هنالك بعد حرب المانيا سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م وكان جلوسي في بيت رئيس الجمهورية اكراما منه لي على عادتهم في الاكرام بمثل ذلك فاما مجلس الاعيان فلم يكن به شئ من المسائل المهمة ذلك اليوم اذ هو يوم لتصحيح قانون استقر عليه رأيهم في استقراضات واصلاحات للولايات حتى رأيت الاعضاء كل مشتغل بالحديث مع صاحبه والكاتب يقرأ في القانون ولما كثر اللغط نبههم الرئيس مرارا للاستماع فكأنه لم يخاطب أحدا واضطر للسكوت وذلك لان ذلك القانون قد تباحثوا فيه مرارا واستقر الرأي فيه وطبع ووزع على الاعضاء وعرفوه تفصيلا فكانت قراءة الكاتب اليه قراءة رسمية ليقع الامضاء عليه فقط وأما مجلس

النواب فتذاكروا فيه على مسئلتين أولاهما طلب وزير المال الرخصة فى صرف خمسة آلاف فرنك على جنازة أمير آلاى بلغ السبعين سنة من العمر ومات تحت السلاح فقيرا بعد ان ذكر تاريخ حياته ومآثره وطلب ايرادا سنة آلاف فرنك سنويا لعائلته وان ذلك المطلب استقر عليه رأى الوزراء فلما ختم كلامه الا وارتفعت الاصوات من جهات اليمين منكرين لذلك وردت عليهم أصحاب الشمال واشتد الوطيس بين الفريقين الى أن التزم الرئيس باسكاتهم ورام اتباع القرعة فخرجت الاكثرية بموافقة الوزراء فقالت لرفقائى هل رأيتم ما وقع قالوا نعم لكن ما قصدك قلت ان دخل دولة فرانسا نحو ثلاثة آلاف مليون وقد اتفق وزراؤها ورئيس الدولة على صرف خمسة آلاف فرنك على رجل بذل فى خدمة دولته والدفاع عن أمته مجموع عمره ومع ذلك لم تستطع الدولة ان تنفذ أمرها فى مال الامة الا بعد مشورة أهل الحل والعقد وموافقتهم وبمثل ذلك لا يصرف المال الا فى وجوهه لا على اختيار فرد ولا على مداراته ثم قام وزير الخارجية وذكر ملخصا فى تجديد معاهدة تجارية مع ايطاليا وان شرح النازلة يوفى به أخوه الذى هو أيضا عضو فى المجلس فقام هذا العضو وخطب بما نحو ساعة ذكر ملخص تاريخ التجارة بين المملكتين وان ايطاليا أربح تجارة من فرانسا وطلب تعديل فصول فى المعاهدة السابقة فوافقوه على ذلك (وثانيها) بلاد السيفر وهى قرية على نهر السين قريبة من باريس نحو نصف ساعة فى العجلة وبها معمل السيفر للخزف وبستان أنيق وقصر ملوكى (وثالثها) بلاد سان كلو بقرب السابقة وقريبة من مبانيها والحاصل انك اذا خرجت من باريس راكبا كروسة الى فرسال فانك ترى كأن البلاد الثلاثة المتقدمة متصل بعضها ببعض وينتقل من واحدة الى أخرى بالرتل وبالكروسة وبالترامواى وبالامنيبوس وبالبواخر النهرية سوى فرسال فان النهر لا يحمل السفن الى قربها (ورابعها) بلدة فونتينبلو والتى هى اصغر من فرسال وعلى نحوها لكن ليس بها الا قصر واحد ملكى وبه أثاث لنابليون الاول ومنها مائدة كانت أمامه وقت اعلامه بانكسار جيوشه عند تعصب أوروبا عليه وكان بيده موسى فضرب به المائدة غيظا ولا زال أثره فيها لكن هاته البلدة تفضل غيرها بما حولها من الغابة ذات الاشجار الفائقة ومحيط الغابة نحو أربعين ميلا وفيها من الطرق والمقاعد ما يفرح النفوس وفى وسط الغابة قهاوى ومعامل لخرط تحف من اخشاب الغابة وفيها كثير من الصيد كبقر الوحشى وغيره والغابة متصاعدة فى جبال جميلة بما كساها الله من النبات وفيها صخرة يعتنى بالتفرج عليها

سقطت

سقطت على حجارة صغيرة كانت في الوسط فصارت الصخرة تتحرك كلما حركها أحد مع عظم جرمها وفي الجبال عيون كثيرة ويجري حول البلد نهر فهي من منازه فرانسا المقصودة (وخامسها) بلدة اليون وهي بلدة كبيرة ذات بطحاآت وبناآت انيقة ويخترقها نهران أحدهما يسمى هالرون منحدر بسرعة وتسافر فيه البواخر بقلة وثانيهما نهر السون ثم يجتمع النهران خارجها ويذهبان الى البحر وهي متوسطة بين مارسيليا وباريس ومنظر الجبل الذي حولها جميل بهيج ومنتزهها المطل على النهر الاول ويصنع في مطاعم ذلك المنتزه طعام من سمك النهر الاحمر ويتغالون في ثمنه وعلى النهر عدة جسور في البلد أحسنها الجسر الحديد ذو القوس الواحد المعلق وسطه في اطرافه بسلاسل وأحسن أماكن هاته البلدة هو بطحاؤها الكبرى التي بها قصر البورس وقصر الحاكم واهاليها يظهر عليهم الجد في الصناعة لان هاته البلدة هي أشهر البلاد الفرانساوية بمنسوجات الحرير فكانت السكان قليلوا الجولان في الطرقات اذ أغلبهم معتكف في المعامل وتجارة أهلها شهيرة في المعمور ورأيت فيها النفق في الجبل الذي يصعد فيه الرتل صعودا بيناً حيث كان قسم من البلد في أعلى الجبل وقسم في أسفله فجعلوا طريقا حديديا ولتقريب الطريق واستقامته ثقبوا له الجبل حتى يصعد مستقيما وجعلت فيه حافلة وسيعة تحمل نحو خمسين نسمة ويجذبها للاصعاد حبل من سلوك من الحديد بآلة بخارية الى ان تصل الى أعلى الطريق فينزل الركاب منها ويسمى ذلك بالتونيل واقمت بهاته البلد يوما وليلة وهي ليست الاشغلا للتجارة (وسادسها) بلدة مارسيليا التي هي أعظم مرسى تجارية لفرانسا بل وفي البحر الابيض وهي بلدة كبيرة ذات جمال ونزهة وفيها حركة عظيمة للتجارة الى سائر الاقطار وفيها اخلاط من السكان من سائر الاقطار وأحسن طرقها طريق كانوبيار فيه قهاوي ومقاعد ربما فاقت بجمالها على قهاوي باريس وفيها منتزه يسمى اشانو وفي أعلى مكان بها ومنه ينحدر الماء المجلوب اليها على حنايا ذات بناء متين ومحل انقسام الماء له منظر بديع من حسن البناء وتأنقه وحوله حديقة نزهة وبها حيوانات عديدة من أنواع شتى ومن محلات نزهتها دار الآثار القديمة قرب شاطئ البحر وقرب محل السباق وأنزه قصر بها هو القصر المسمى اوتيل دوديزيرف المتخذ مطعما على ربوة من الجبل المحدق بالبلد يحيط بالقصر من جميع جهاته رواقات على اسطوانات بشكل جميل مع تنميق للبناء وحسن الفرش والأثاث كل يحيط به حديقة ظريفة فهو نزهة للخواطر ولولا ان منظره للبحر عشية تكدره الشمس لانه غربي لكان أجمل

مارأيته من نوعه أماقوة حركة التجارة بهاته البلدة فهى عبرة للمتبصرين وذلك انك تشاهد من حركة العجلات والسفن والقوارب والارتال وكثرة البضائع من أنواع شتى داخلة وخارجة الى الصين وأمريكا وسائر الاقاليم وترى من المخازن التى هى حقيقية باسم قرى لكبرها وكثرة ما فيها من السلع ما يحير الفكر كما ان قصر البورس بها يكاد يناكب بورس باريس والحاصل انها هى ثانى بلد لباريس فيما رأيته بفرانسا وأما مرساها فهى ذات حوضين عظيمين ملآن من السفن وترى فيها من البوانو وغيرها ما يشبه الغابات المشتبكة وقد وردت على هاته البلدة ثلاث مرات فى سفراتى وأقمت بها عدة أيام ذهابا وايابا (وسابعها) بلدة طلون التى هى أول مرسى حربى على البحر الابيض وهى بلدة حربية اذ لا نضارة لها ولا انشراح بالنسبة لغيرها لكن فيها من الحصون والاحواض لانشاء السفن والمدرجات والمعامل لانشاء المدافع والكال والالغام البحرية وغير ذلك من قوات الحرب شئ كثير ورأيت فيها احدى عشر حوضا بكل واحد سفينة مشتغل بانشائها منها ما هو على تمام ومنها ما هو فى البداءة والخلائق منكبون على الاجتهاد كالنمل فى الصيف وقد كان سفرى اليها سنة ١٢٩٠ وكان مصاحبا لى فى الرتل سفير الصين القادم بالاستدعاء للعرض وهو وزير البحر عندهم وهو رجل مسن شعره خفيف على عادة أهل الصين وكل لحيته وشواربه بيض نحيف الجسم ومعه غلمان لا ادرى أهم ابناؤه أم اتباعه ومعهم غيرهم من الاتباع مجموعهم نحو ثلاثة عشر رجلا وكان راكبا فى حافلة منفردة هو واتباعه والحافلة ذات مخادع ومقاصير ومرافق بحيث لم ينزل منها مدة السير الى ان وصلنا الى طلون فنزل هنالك حيث أعدت له دولة فرانسا باخرة حربية ذات طبقتين من المدافع لتوصله الى مرسى بلده فى الصين وكانت الباخرة مباحة ذلك اليوم للمتفرجين والحاصل ان هاته البلدة بلدة حربية تظهر عليها سمات القوة والشارات العسكرية وأقمت بها نحو ستة ساعات (وثامنها) بلدة نيس التى هى على شاطئ البحر وهى مأوى الاغنياء وذوى الترف من الفرانسيس وغيرهم من أهالى الاقطار الباردة فى الشتاء وذلك لان موقعها على جون مستقبل الجنوب ويحيط بها من بقية الجهات سلاسل جبال شاهقة تمنع عنها مرور الرياح الباردة فكانت مأوى فى الشتاء حسنا وكثرت بها القصور والمبانى الجميلة ومنازل المسافرين الرحيبة وجميع ديارها صغيرة لا تزيد على أربع طبقات سوى منازل المسافرين وذلك لان عادة الانكليز فى بناءاتهم على ذلك النحو وهم أكثر القادمين الى هاته البلدة ولان غيرهم أيضا انما يقدم منهم ذوو الترف المتعودين

على

على سكنى الانفراد فلذلك كانت مبانيها جميلة ظريفة وسياج حدائقها من الآجر
أو الحجر مرصوف على أشكال حسنة والبلدة يشقها نهر تجري فيه المياه عند نزول الامطار
فقط وعليه عدة قناطر ولها عدة ملاهي لكن لما قدمت لها صيفا وجدت البلد كانه
خال من السكان لقلة من به بالنسبة لكثرة البساتين والديار المنفردة وليس بها ملهى
مشتغلا سوى الملهى الصيفي على شاطئ البحر ويقرب من هاته البلدة عدة بلدان هكذا
على نحوها ظرافة ونزاهة وأقمت بها ليلة ويوما (وتاسعها) بلدة أياتشو وهي قاعدة جزيرة *
قرسكا وهي مرسى امنيه صناعية ومن عاداتهم في المراسي ان البواخر مهما وصلت تقم
اشغالها الليل والنهار سواء فتحمل السلع وتنزل غيرها وكذلك الركاب بحيث ان ساعاتها
المعينة لا تتأخر عنها وبعد المسافر في المرسى وحولها ضروريات ما يحتاج اليه وهي
منورة وهاته البلدة ظريفة جميلة ذات اشجار كثيرة من النارنج والليمون فكانت
رائقة الزهر عند دخولي اليها في الربيع عابقة وفيها بطحاء وسيعة بوسطها صورة نابليون
الاول والدار التي ولد بها لا زالت على هيئتها وفرشها للتحفظ عليها كالمصالح العامة
لانه من رجال السياسة المعدودين في الدنيا ورقى اسم فرانسا الى درجة عظيمة وهو في
الاصل من عموم أهالي هاته البلدة وأقمت فيها بضع ساعات ولما أوقدت المصابيح ليلا
عند الغروب ثم طلع البدر نقصوا النصف منها اقتصادا فهاته هي البلدان التي دخلتها
واقمت فيها بفرانسا في السفرات الثلاث وعند رجوعي الى الوطن في السفرة الاولى
راكبا من مرسيليا وكان ذلك في ينابر الموافق لمحرم سنة ١٢٩٣ ليلا صادفت هيجانا
عظيما في البحر حتى كادت ان تهلك الباخرة بمن فيها وانكسر منها عمودان من حديد
معلق فيهما قاربا ومات ثلاثة من الخيل وانكسرت رجل أحد الركاب ولم يستطع أحد ولو
من النوتية ان يتحرك من محله وجاء في السفن صباحا بعد هدو البحر مهنيا بالسلامة
وأخبرني انه لم ير مثل تلك الليلة وانه ربط نفسه بحبل مع عمود الباخرة ليستطيع الثبات
في مكانه وما وصلت الباخرة الى جزيرة كرسكا الا بعد ميعادها باثني عشر ساعة ومن غرائب
المرائي اني رأيت في الليلة الثانية في البحران سنة من اسناني سقطت وكان احبائي
سألوني عنها وكنت أسلي نفسي بانها كانت غير ثابتة بل مضطربة ولذلك لم أجد ألما في
نزعها فلما أفقت انقبضت من تلك الرؤيا ولم أعلم ما تشير اليه فلما وصلت الى الوطن ظهر
لي في أوجه الاحباب الملاقين غبارا وفي اثناء الطريق مر دعلى الفاضل محمد السنوسي
هاته الابيات قال

فاشكر المك واذكر النعم التى * ردتك بعد تلاحم الاهوال
فاتيت ارضك سالما واعزما * تلقاهما فوزكم بالآمال
فترى بنيك من السلامة فى حلى * موصوفة منكم بكل كمال
وجميع أهلك والاحبة كلهم * بلقونكم بتساحب الاذيال
هذى هى النعم التى لم نوفها * حق الثناء على الولى المفضال
وهو الذى أبقى اليك الاخت كى * تسمو بعزك فى حلى الاجلال
اذلم تصب فى غير ليلة أمسنا * والآن ترقب منك خير هلال
فاشكر المك صابرا متيقنا * بجزيل فضل الواحد المتعالى

فاعلمنى بوفاة أختى الوحيدة رحمها الله ونعمها وكنت تركتها مريضة بالسل فتوفيت ليلة قدومى بعد تلك الرؤيا بليلتين وحضرت جنازتها ولم أعلم بان رؤيا مثل ذلك تدل على موت الاقارب الابعدان حلت فى الاستانة سنة ١٢٩٧ فذكرمثل فى الوصول الى المقصود بالملاطفة وهو ان أحد الملوك كان رأى ان جميع اسنانه سقطت فأتى بمعبر فقال له سيموت جميع أهلك فبطش به ثم أتى بمعبر آخر فقال له ان الملك أطول عمرا من جميع عائلته فأجازه فتعجبت بتذكر تلك الرؤيا الى ان قال لى المحدث ان أمر هذا مشهور فى علم الرؤيا فقلت نعم ها أنا قد شاهدته فى نفسى لكنى لا اريد معرفة هذا العلم لانه يشوش الفكر ولا يكاد يتوصل اليه الا قليل لان له شروطا فى الاحاطة باحوال الرائى ووقت الرؤيا والاحاطة بالمرئى الى غير ذلك وربما غفل عن شئ منها فيتغير المعنى وأما أصل العلم فلا شك فى ثبوته وما أوتيتم من العلم الا قليلا ويكفى فى ثبوت هذا العلم الاحاديث المروية فى صحيح البخارى ومنها ان الرؤيا الصالحة جزء من ثلاثة وستين جزأ من النبوة وأما سفرتى الثانية الى فرانسا *
سنة ١٢٩٥ فكانت من تونس الى مرسيليا تواعبرورالباخرة البريدية على بلد بونة من اعمال الجزائر وكان البحر فى غاية الهدو حتى رأيت على سطح الماء قطعة من نبات بحرى مثل قطع القطن المنفوش متكاثرة وهى قليلة الظهور وانما ترى عندما يكون الماء فى غاية السكون كما رأيت أعمدة من البحر منبعثة بقوة مثل أعظم الفوالق فاخبرنى انها من نوع سمك يفعل ذلك وان منها العظيم الذى اذا صادف عمله ذلك احدى السفن الصغيرة ربما اغرقها وهو من عجائب المرئيات وكذلك عند رجوعى من هاته السفرة كان البحر مثل ذلك الى ان وصلنا الى بلد الجزائر وكان الوصول اليها صباحا بعيد الشروق لكنا لم نر البر وكان السفن أخبرنا بالوصول لكنه لما لم ير البر مع تيقنه بالحساب للوصول

التزم

التزم الوقوف وذلك لكثرة الضباب المتكاثف ذلك الصباح فما انقشع الضباب بحر الشمس الا ووجدنا البركانة فى مقدم الباخرة والمرسى عن يمينها فكان من لطف الله التدارك بالوقوف والتزمت الباخرة ان ترجع القهقرى الى ان تيسر لها الدوران ودخلت المرسى وسيأتى الكلام على مملكة الجزائر فى باب مخصوص (وأما) السفرة الثالثة فكانت على طريق ايطاليا ومنها الى فرانسا ومنها الى انكلاتيرة وهكذا الرجوع ولم يكن البحر اذ ذاك الا على ما هو معتاد ومما حدث فى الوطن فى سفرتى الاولى وبلغنى خبره وأنا فى باريس ظهور دعوى وقعت لها طنطنة من الشيخ المسن التقى أحمد بن المهدى فى العمل بالسنة حسب ادراك كل من فهمها وترك الاخذ باقوال الائمة المجتهدين واختلفت الروايات فى الواقعة ومدارها تصميمه على رأيه وتعصب العلماء عليه الى ان حكموا بنفيه فارتحل الى مكة المكرمة ومات بها رحمه الله وتحرير الكلام على المسئلة باختصار حسبما وعدنا به فى الكلام على ائمة جزيرة العرب هو ان يقال ان الشيخ المذكور هو من تلامذة الشيخ السنوسى ذى السيط الشهير علما وعملا غير ان هذا التلميذ هو دون شيخه بمراحل فى العلم فالف رسالة اراد ان يذكر فيها طريقة شيخه فلم يوف بها وتغير المعنى المقصود لشيخه اذ مدارها ته الرسالة ان لا يقلد أحد الا المعصوم ولذلك يجب على الامة ان لا يعملوا الا بالكتاب والسنة ويتركوا ما وراءهما ولا يخفى ان ظاهر ذلك يوقع فى افساد الشرع حيث انه لا خلاف فى ان لا اتباع الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما فى الكتاب والسنة لكن اين أهل الفهم منهما واين ادوات ذلك التى كانت فى صدر الاسلام سليقة وصارت على التدريج صناعة وعلوما تتعلم وتدلى الامر حتى لم يبق من يوفيها حقها فاذا سوغنا لكل أحد ان يعمل بما يفهم مع ما هو عليه من الجهل كان ذلك هو عين الفساد ولذلك لزم اتباع الاجماع والاجتهاد من أهله المسلم اليه وقد كانت المجتهدون كثيرين فى الصدر الاول فمنهم من كثرت أتباعه وتسلسل النقل لاقواله الى الآن وهم الائمة الاربعة أبو حنيفة ومالك والشافعى واحمد بن حنبل رضوان الله عليهم ومنهم من انقطع النقل عنه فلا يجوز الآن تقليده لعدم صحة السند فى مذهبه بالنسبة لاهل العصر والافكلهم سواء بالنسبة للمقلد وكل من ليس له ملكة الاطلاع على الادلة ومناطاتها وترجيحها فهو عامى وله ان يقلد من شاء من الائمة المجتهدين لقوله تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وبذلك تحفظ الشريعة لان سند الاجماع هو نص من الشارع وسند القياس هو الاستنباط من نص الشارع أيضا فرجع الامر الى

ان لا عمل الا بالكتاب والسنة والشيخ السنوسى رحمه الله مقرر لذلك فى رسالة له الفها فى المعنى المتقدم واختصرها تلميذه اختصارا مخلا وذلك ان الشيخ السنوسى قرر فى رسالته وجوب الاتباع للشارع والتباعد عن العمل بالرأى والبدع وحث على وجوب اخراج المكلف نفسه من حضيض التقليد الى درجة الاجتهاد والكمال حتى يقتدر ان يفهم كلام الشارع ثم ذكر شروط ذلك وانه اذا ابتلى الانسان بالتقصير فحينئذ يلتجئ الى تقليد ائمة الهدى وعلى الناقل عنهم ان يتثبت فى السند لكى لا ينسب لاحد ما لم يقل به كما يقع كثيرا فى تفريعات بعض المتأخرين فيخطئون فى التخريج ومع ذلك ينسبون القول لاحد الائمة فيما لم يقل به بل نقل عنه انه قال على ما هو عليه من العلم واتساع الباع انى اذا استفتانى مستفت من متبعى مذهب مالك فانى لا أفتيه الا بما نقل عن ذلك الامام ولو كنت مرجحا لغير قوله حسبما اطلعت عليه من الادلة وذلك لان المستفتى انما سألنى عن قول مالك لا على قولى والحاصل انه فى نفسه يرى صحة الاجتهاد له ويرى على كل مكلف ابلاغ نفسه الى تلك الدرجة فان لم تحصل فليقلد المجتهد ورأيت فى تأليف كثير من أهل العصر فى الهند النحو الى هذا المنحى وان من له اطلاع على الادلة ومناطاتها يجب عليه اتباع الدليل وكان هؤلاء العلماء يريدون من هو من طبقة أهل الترجيح المنصوص عليها فى كتب الفقه

الفصل الرابع

﴿فى التعريف بفرانسا﴾

(اعلم) ان فرانسا من ممالك أوروبا الغربية وتبتدئ من عرض درجة ٤٢ ودقيقة ٢٠ شمالى الى درجة ٥١ ودقيقة ٥ من العرض المذكور ومن طول درجة ٦ ودقيقة ٥٠ شرقى الى درجة ٧ ودقيقة ٩ من الطول الغربى لان مبدأ الطول عند كثير من المتأخرين هو باريس التى هى قاعدة هاته المملكة ويحدها جنوبا البحر الابيض واسبانيا وشرقا ايطاليا وسويسره والمانيا والبلجيك وشمالا بحر المانش وخليج كالى الفاصل بينها وبين انكلاتيرة وغربا البحر المحيط الغربى فلذلك كانت ذات موقع جسيم ونفوذ برا وبحرا فى ثلاثة أبحر محيطة بها ويتبعها عدة جزر منها كرسيكا وجزر يارس فى البحر الابيض وجزر رى واوليرون وويسان فى المحيط وفيها جبال كثيرة واعظمها بجهة الشرق كالجورا والالب وتتصل بسلسلة مارة جهة الشمال الى جهة الجنوب الغربى فتتصل

بجبال

بجبال بيرنى الفاصلة بين فرانسا واسبانيا وأعلى جميع جبال فرانسا هو جبل أوروفان ارتفاعه على سطح البحر قدما ٦٢٣٠ وليس بها جبال بركانية وأما انهارها فهى كثيرة وليس بها ما يحمل السفن الكبيرة وانما البعض منها يحمل الصغيرة وأشهر انهرها نهر السين الذى يخترق باريس وطوله ميلا ٤٥٠ ويصب فى المانش ثم نهر اللوار وطوله ميلا ٦٠٠ ويصب فى المحيط الغربى ونهر رون وطوله ميلا ٥٤٠ وهو عميق سريع السير ويصب فى البحر المتوسط ونهر جيرون ويصب فى البحر الغربى الى غير ذلك من الانهر وبها من الترع نحو من تسعين ترعة ولازالوا مجتهدين فى تكثيرها ووصلة الانهر والبلدان بعضها ببعض لنقل الركاب والبضائع زيادة على سقى الاراضى ويبلغ طول هاته الترع جميعا نحو خمسة آلاف ميل وأما بحيراتها فلم اعلم فيها الا ثلاثة (أولاها) بحيرة ديورجى حذو جبل الموزنى حلوة محدق بها منظر جميل ويمر على شاطئها طريق الحديد (وثانيتها) بحيرة دنسى قرب جبل آلاب وكلاهما اجاج يصب فى نهر الرون (وثالثتها) بحيرة آن قان قرب باريس وأما هواؤها فالجهة الشمالية منها باردة والجهة الجنوبية معتدلة وينزل الثلج فيها جميعا شتاء ومع ذلك فهواؤها سليم لائق بالصحة ولا يقع فيها الضباب الا بقلة وهو متعب جدا وقد صادفته فى سنة ١٢٩٣ وذلك انى ذهبت زائرا أحد معارفى قرب الغروب نحو الساعة الرابعة بعد الزوال فخرجت فى الساعة السادسة بعد مضى الغروب بنحو الساعتين فوجدت الطرقات فى غاية الظلمة ولم ادر الى أى جهة الطريق فتعجبت من ذلك وسألت صاحب الباب ما بالهم لم ينوروا الطرقات تلك الليلة فقال كلا ولكن الضباب منع نور الفوانيس من الظهور ومع ما عليه باريس من كثرة التنوير فارسلت ليؤتى لى بكروسة فلم يدر المرسل الطريق واضطررت الى تتبع الناس للحائط مع التحذر من المصادمة وكنا نعلم قرب موقف الكراريس فذهبنا الى جهتها ولم نر نور فوانيسها الا عند الوصول اليها فلما أردنا ركوب احديها امتنع صاحبها وكثر اللغط بينه وبين التابع فجاء أحد الضابطية وألزمه بان يركبنا ويوصلنا الى منزلنا فاجابه بانه غير ممتنع لكن الخيل لا تمشى لانها لا ترى فقال اركبوا الى ان نعمل وجها فلم يكن غير بعيد حتى ظهرت المشاعل على وجه الارض بيد الضابطية وغيرهم مشاعل من حبال غليظة تحرق وتدار باليد فى الهواء على وجه الارض على نحو ما تفعله البوادى فاخذ سائق الكروسة رجلا منهم ومكنه من أحد تلك المشاعل وجعل هو يسوق الخيل وراءه الى ان أوصلنا واعطينا الرجل احسانه وكنا نسمع صهيل الخيل بكثرة فى تلك الليلة مع قلة صهيلها هنالك

على كثرتها وكذلك كثر نباح الكلاب وزاد حسها وضوحا هدو حس العجلات والموصلات
الى البلد فاره على كثرة تنوير حوانيته وقهاويه لم يظهر منها شئ الا اذا الصق الانسان بالفانوس
فانه يرى نوره مقصورا عليه وقد ذكرت تلك الليلة صحف الاخبار وشيدت بشأنها وان مثلها
كثير بانكلترا ليلا ونهارا أما البرد فهم مستعدون له ابدا ومسكنا ولهم عملة لازالة الثلج من
الطرقات وشدة ذلك البرد مع طول مدته أهون من شدة الحر فى الصيف الذى لا تطول
مدته لانه يكاد أن يكون الهواء منقطعا من شدة سكونه وحره وأما نباتات فرانسا فينبت
بها جميع نباتات أراضى الاعتدال والاراضى الباردة بالنظر لجنوبها وشمالها وعلى
الاجمال فالجهة الشمالية منها أجمل منظرا لان فى الجنوب جبالا صخرية واحراشا غير
صالحة للزراعة وأهم نباتاتها العنب سيما جهة بلاد بردو وشمبانيه لكن فى هاته السنين
الاخيرة أصيب بمرض أوجب خسائر بليغة وفيها من الكمثرى أنواع فاخرة لذيذة سيما
فى الشتاء وبطيخها وخوخها حسن لكنهم لا يأكلون البطيخ الاخضر المعروف بالدلاع
أو الحبحب وعندهم أكله مضرة وبقية فواكهها وأشجارها حسنة وفيها آجام وغابات
لاخشاب السفن وغيرها كثيرة جدا وأما حيواناتها ففيها جميع الحيوانات الانسية والنعم
وخيلها على ثلاثة أنواع (فاولها) العراب العتيقة وهى مخصوصة للركوب (وثانيها)
البراذين وهى لجر الاثقال والحوافل الكبيرة للركاب (وثالثها) المختلط من نسل المذكورات
ويستعمل لكلا القسمين لكن أكثره لجر الكراريس ومنه الجيد للغاية القصوى
والبغال بالنسبة الى الخيل قليلة الاستعمال وأقل منها الحمير ورأيت فى باريس ان الحمير
الاناث الوالدات يطاف بها بكرة الصباح على الازقة لحلب من يشترى لبنها وهى نظيفة
حسنة والبقر ضخم جدا يعتنى بتسمينه للاكل ولهم على من يفوز بأكثرية التسمين
جوائز حتى بلغ مرة وزن ثور منها نيفا وأربعين قنطارا وتستعمل للحرث أيضا ولجر الاثقال
بقلة والغنم من النوع الذى له ذيل وذوات الالية قليلة وأما أنواع الحيوانات المسبعة
فالظن انه لا يوجد منها الا الدب والذئب والثعلب والخنزير وأما غيرها فقد انقطع من
هنالك للاعتناء بقطعه مع كثرة العمران نعم يوجد منها مربى فى الامصار كالاسود والنمر
ويتوالد الاسد ويرضع بنيه كلاب كبار لتقليل جرأته ولعدم ضعف والدته وأما الثعابين
والحيات فهى قليلة ولا يزالون مجتهدين فى قطعها فان غابات فنتينبلو مجعول لكل من
أتى بحية منها مقدار من المال أما فى باريس فلم أسمع بوجود عقرب ولا غيرها من الحشرات
ولا خنفسة وكان ذلك لشدة الاعتناء بنظافة الديار والطرقات حتى لا تكاد تجد فى حائط ما

مفروشة بالحصر وكلها متقنة الطلى ظاهرا وباطنا بالجص أو الرمل والجير سواء الظاهر والباطن مع عدم وجود الخراب فى أى جهة ثم فى الجنوب من المملكة يوجد البق والذباب وغيرهما من الحشرات وهى أيضا قليلة فى المدن بالنسبة لما نعرفه فى البلاد التى تشبه تلك البلاد فى الحر وطيورها كثيرة رحالة ومقيمة ولا يصطادونها الا فى أوقات معلومة كما انه ليس لاحد أن يصطاد الا برخصة من الحكومة يؤدى عليها معلوما وليس له ان يصطاد فى غير أرضه المعدة لذلك أو اراضى العامة المعدة لذلك برخصة فيها من الحكومة أو يدخله غيره أرضه برضاه ومن خالف ذلك عوقب وأنواع الصيد كثيرة ونعمها من نوع الفيران كثير (وأما مدن) فرانسا فقاعدتها باريس وقد تقدم ذكرها وهى مائلة الى الشمال من المملكة وبقية المملكة تنقسم الى ستة وثمانين ولاية كل ولاية لها مدينة هى مركزها ويتبعها عدة أوطان لكل وطن مركز ويتبعه عدة أوطان صغار وهاته أيضا الى أصغر منها فمجموع النوع الاول من الاوطان عدده ٣٧٠ والثانى عدده ٢٩٣٨ والثالث عدده ٣٧٥١٠ ولكل منها مدينة أو قرية هى مركزه فهى حينئذ كثيرة جدا ومن أشهرها ما تقدم ذكره منا (وأما معادنها) فليست بكثيرة لكن منها الغنى للغاية فالذهب لا يكاد يستخرج من محله وان وجد لانه لا يوفى بمصاريفه والفضة موجودة بقلة ومثلها النحاس والفحم الحجرى كثير غنى وكذلك قطران الارض وأنواع من الحجر والرخام الابيض ومنه الشفاف وأنواع عديدة من الحجارة كحجر الطبع وأنواع الجص والكبريت ومقاطع الحديد والرصاص كثيرة وبها حجر الزجاج والمياه المعدنية نافعة شهيرة كحمام فيشى وحمام برنى (وأما مراسيها) فكثيرة حربية وتجارية وقد تقدم ذكر بعضها وبقاس عليه ضخامة وحصانة باقيها (وأما سكانها) فاصلهم القديم من قبائل مختلفة وردت الى هنالك من المشرق فى أوقات مختلفة وأشهر القبائل قوم من الكلتيين وقسم منهم عبر المحيط الى انكلتيرة وانضاف معهم فى فرانسا قبائل أتت من جنوب افريقيا يسمون الباسليك ولا زال الى الآن سكان جبال برنى يتكلمون بلغتهم ثم وفد عليهم الرومانيون ثم هجمت عليهم قبيلة الافرنج الآتية من الشرق واستوطنت قبل ذلك فى البلجيك ثم تغلبت على قبائل فرانسا واختلط نسل الجميع واتحد باسم الافرنج ثم حول الى الفرانسيس وصاروا الآن جنسا واحدا وهو الفرانساوى الا أهل نيس وساقويا وقرسكا فهم طليانيون وعدد الجميع ستة وثلاثون مليونا ونصف عدا ما فى مستعمراتها والديانة الغالبة هى النصرانية على المذهب الكاتوليكى وقد كان هو مذهب الدولة الرسمى لكن الآن لم يبق من الدولة

اعتبار لديانة أو مذهب خاص حتى انها أزالت سنة ١٨٨٠ علامات المذهب الملية من الاماكن الرسمية والمكاتب كما وجد فيهم المذهب البرتستانتي وديانة اليهود وتوجد الدهرية بكثرة وقليل موحدون بالعقل أو باتباع لعيسى عليه السلام

و يتبع فرانسا مستعمرات ففي افريقية قهرت الجزائر وادعت بالحماية على تونس واستولت على سانيغال و جزائر غوري وسانت ماري و بورون وعدد سكان هاته المستعمرات نحو الخمسة ملايين منهم مسلمون نحو أربعة ملايين والباقي على مذاهب وديانات شتى و يتبعها في قسم آسيا ارض بوندشيري وكاريكال وماهي ويناون وشاندرنغور كلها في شطوط الهند كما لها أيضا في كوشين الصين وعدد سكان الجميع نحو الثلاثمائة ألف ولها في أمريكا جزائر صان بيير وميكلون ومارتينيك وغوادلوب والغيان الفرانساوية وسكان جميعها نحو الثلاثمائة ألف أيضا ولها في الاقيانوس جزر مركيز وتاييتي وسكانها نحو المائة والخمسة وسبعين ألفا فجميع السكان والملحقات نحو اثنين وأربعين مليونا

الفصل الخامس

﴿في اجمال تاريخ فرانسا﴾

مطلب

في تاريخها القديم

كانت هاته المملكة تسمى قديما غاليا أو غالة و يجهل الحال في تاريخها القديم أعني ماقبل تاريخ الميلاد بألف وستمائة سنة ومن هذا الوقت عرفت أحوالها فكان أهلها شجعانا حاربوا من جاورهم ولم يخضعوا لدولة الرومان الا بعد مشاق ثم استقلت فرانسا عنهم باستيلاء أمة الافرنك في القرن الخامس وذلك انها خضعت لعدة رؤساء متعددين ثم خضع الجميع لملك سنة ٤٢٠ مسيحية وأول عائلة معروفة من ملوكها تسمى الميروفنجيين وفي مبادي القرن السادس تغلب اسم قبيلة الافرنك على جميع الاهالي لانتصارها على جميعهم ثم قلبت الكاف سينا وصارت فرانسا وذلك لقب أطلق عليهم مأخوذ من فرانكس أي شجعان ثم انقسمت الى عدة ممالك واتحدت عدة مرار وكانت شوكة الملوك ضعيفة فيهم والنفوذ الى جمعيات الاعيان التي تجتمع كل سنة وتختار الملك وتعين

السيرة

السيرة في الادارة حتى كان للاهالي حرية تامة بل قد تخرج عن الاعتدال الى التهور فقد
ذكروا انهم كانوا يقتسمون الغنائم ويعطون الملك حصة كآحاد الجيش فلما انتصروا في
احدى الوقائع وقد انتهبوا فيها كنيسة كان من جملة ما فيها اناء من ذهب طلبه الملك
من الجيش برضاهم فبينما هم بصدد اجابته واذا باحدهم تقدم وضرب الاناء بيده
وقال له بأعلى صوته ليس لك أدنى شئ سوى ما يخصك بالقرعة ولا نقر لك بامتياز وأول
تدين ملوكهم بالديانة النصرانية كان في أواخر المائة الخامسة مسيحية وفي أواخر هاته
الدولة أعني سنة ٧٣٢ وقعت الحرب مع العرب الاندلسيين الذين تغلبوا على قسم كبير
من جنوب فرانسا حتى وصلوا الى اليون وخرجت تلك المستملكات واتحدت مع فرانسا
وبقيت فرانسا على نحو ماذكر الى ان استولى عليها كارلوس الكبير ويعرف أيضا
بشارلمان المعاصر للرشيد العباسي وقد ضم الى فرانسا عدة ممالك من أروبا حتى تسمى
بامبراطور المغرب وانتقل تاجه الى فروع من العائلة الى ان بقي الآن في المانيا التي
كانت احدى ممالكه واستقل بها أحد احفاده عندما قسم ابنه ممالكه على أولاده
فملك بكره على جرمانيا والثاني على فرانسا والثالث على ايطاليا وضعف ملوكهم
باسنادهم الامور الى غير أهلها فكانوا يقدمون خدمتهم الى أعلى المناصب والالقاب
بدون جدارة فاستقلوا على ساداتهم وملتهم الامم وتناصروا الى ان خرجت العائلة
واستولت على فرانسا العائلة الكابيتيانية ومن مشاهير ملوكها فليب الثاني الملقب
أوغسطوس الذي اتحد مع ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد على حرب المسلمين المعروفة
بحرب الصليب الثالثة لكنهما لما وصلا الى صقلية تنافرا وافترقا ثم بعد رجوعه من
الشام بوقائع صلاح الدين أثار الحرب على الانكليز واستخلص منهم بعض ما كانوا ملكوه
من فرانسا ومن هاته العائلة صان لويز الذي أسر بمصر ومات بتونس وله تذكار
معروف قرب قرطاجنة وذلك في حدود سنة ١٢٧٠ ومنهم فليب الثالث الذي حدد
للاعيان سلطتهم على العامة بمجلس الشورى لكن اضمحل ذلك بعيد فليب الخامس
الى الاعيان وأشرفت فرانسا على السقوط وتداخلت فيها الدول المجاورة ونشأت مع
الانكليز الحرب المعروفة بحرب المائة سنة وكان مبدؤها سنة ١٣٣٧ وانتصر الانكليز
في كثير من الوقائع وتملكوا كثيرا من الجهات حتى ذات باريس مع التناصر الداخلي
في فرانسا ثم ظهرت بنت لاحد الفلاحين تسمى جان دارك فادعت علم الغيب والتأييد
الالهي لانقاذ فرانسا وساعدها الملك بتأميرها على الجيش وأظهرت شجاعة غريبة

وافتكت من الانكليز عدة جهات وفي حصاره المدينة كميان أخذت أسيرة وحكم عليها بالحرق لانها ساحرة ثم عقد الصلح مع الانكليز سنة ١٤٤٤ ولم يبق بأيديهم الا الجهات البحرية ثم أعيدت الحرب ولم تخلص فرانسا الا سنة ١٤٥٣ فرتب الملك اذ ذاك كارلوس السابع الجيش المستمر تحت السلاح وقد كانت العادة من قبل ان الاعيان المالكين للمملكة بأهاليهم الذين يقدمون العساكر للملك فكسر كارلوس شوكتهم واعتنى بترقية المملكة في المعارف حيث كان معلما عالما وقد نقلت صناعة الطبع الى باريس في أيامه وأنشأ مدرسة خاصة للطب وباستقامة سيرته نال من الفتوحات والترقي ما لم ينله غيره من ملوكهم بالحروب ثم في أيام هنري الثاني سنة ١٥١٠ تعصب به الكاثوليك وأغروا أمه به وقتلوا كل من ظفروا به في فرانسا من أهل مذهب البروتستنت في يوم واحد ويقال ان عددهم اذ ذاك نحو سبعين ألفا وقتل الملك بيده عددا كثيرا وهو واقف متطلا في أحد رواشين قصر اللوفر ثم تعاقب على فرانسا الصعود والهبوط على حسب سطوة الملك واقتداره الى ان عظمت جدا في أيام لويس الرابع عشر الملقب بالكبير المتولي سنة ١٦٤٣ وفي أيامه وأيام والده حدثت الحروب المعروفة بحروب الثلاثين سنة وانتقل لفرانسا النفوذ الذي كان للنمسا في أروبا وظهر فيها عدة مشاهير بالمعارف وهو الذي انشأ قصر فرساي وبساتينه وقصر ليزان فاليد لكنه في آخر أمره فقدت فرانسا ما نالته في الداخل والخارج بأسباب التعدي على الرعايا وضعفهم وبعده فقدت فرانسا المستعمرات الهندية وغيرها وان حازت كرسكا واللورين وكان ذلك باتباع لويس الخامس عشر اشهواته وتحكم النساء فيه والغائه الشورى مع مجلس نواب الامة وآخر الملوك من تلك العائلة هو لويس السادس عشر الذي انتقم من انكلاتيره باعانة أمريكا على استقلالها وحدثت في أيامه الثورة العامة التي قلبت حال التاريخ حيث كان يرجى منه اصلاح ما أفسده أبوه وجده لكنه كان ضعيفا عن الوفاء بذلك فهو خاتمة التاريخ القديم

مطلب

﴿في تاريخ فرانسا الجديد﴾

اعلم ان الفرنسا وين لما انتشرت فيهم المعارف وعلموا ما لهم وما عليهم ونالوا من بعض ملوكهم أحيانا انصافهم واشتهرت بينهم الصحف الخبرية المعلنة بالمحامد والمذام وحدثت

فيهم أخيرا ما أشير اليه من الظلم انعقدت فيهم جمعيات سرية للتدبير والعمل فيما يمكن لهم به حفظ حقوقهم ومملكتهم وتفطن لذلك لويس السادس عشر فكان مرة يميل الى معاضدة الامة فيما تريده ومرة يجنح الى عادات الاعيان والسيرة القديمة حتى خشي على نفسه وفر مع عائلته لكن الاهالي ارجعوه قهرا وخضدت شوكته فخاف بعض ملوك أوروبا من أن يلحقهم ما لحقه بسبب فتح أبصار رعاياهم وقد كانوا اذ ذاك مستبدين فتعاضدوا على ارتباك الفرنسا وبين لاسيما امبراطور النمسا صهر لويس المذكور فانه تولى كبر تلك الحرب غير ان الفرنساويين دافعوا عن حقوقهم بجد وانظم اليهم ملكهم المذكور وأجرى الجمعية الاهلية المسماة بالجمعية الوطنية وذلك سنة ١٢٠٧ هـ ١٧٩٢ م ثم بدا لهم منه الخيانة فقتلوه مع زوجته وطردوا ابنه الى جده امبراطور النمسا وذلك بحكم الحكومة الاجرائية التى حكمت بالغاء الملكية واثبات الجمهورية وأعانت لسائر الامم انها تساعدهم على نحو عملها وتسمت الحكومة جمعية اتفاق الامة وكان من أكبر زعمائها ابولتير الذى لادين له وهو أحد الذين ثاروا وأغاظ الامة بما ينشره من الاقاويل والكتابات ولما استتب أمر الجمعية تجاوزت حدود الاعتدال بمضادة الاديان وقتل رؤساء الكنائس وابدال أغلب العادات حتى الايام والشهور فجعلوا الاسبوع عشرة أيام ومبدأ التاريخ هو عام انتصاب الجمهورية وكذلك أشهروا الحرب على جميع الدول وانتصر الفرانساويون سيما تحت راية نابليون الاول بونابارتي الذى كان أحد أبناء العامة فتعلم الفنون العسكرية وساعده القدر بالانتصار الذى نال به أعظم الشهرة فكان من أعظم رؤساء العساكر ثم عوضوا تلك الحكومة بحكومة الدركتوار أى الحكومات المديرية مؤلفة من خمسة أشخاص وحدثت فى أيامها الحروب العظيمة مع سائر الدول ووافق نابليون البخت فانتصر على الجميع وملك ايطاليا ورتب فيها حكومات عديدة جمهورية ثم استولى على مصر وأراد الشام بقصد التوصل الى الاستيلاء على الهند انتقاما من الانكليز ثم عاضدت انكلتيرا الدولة العثمانية واسترجعوا مصر وما أخذ من الشام وهيجت انكلتيرا دول أوروبا على الاتحاد على فرانسا فاستعدوا الحربها وحاربوها وكانت الحرب سجالا لكن نابليون الاول لما وصل الى باريس بعد ان كاد أن يكون أسيرا فى رجوعه من مصر وجد حكومة الدركتوار على شفا وأوروبا منتصرة فى أغلب الجهات فاستعان بحزبه ورتب حكومة جديدة تسمى بحكومة القنسلات مؤلفة من ثلاثة أشخاص يسمون قناسل وتبوأ هو رياستها وذلك سنة ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م

ثم تسمى قنسلا لمدة حياته وتسلم رياسة الجيش ورجع الانتصار المفقود والتفت عند
ذلك الى لم شعث الداخلية واصلاح الامور فسماه مجلس الاعيان امبراطور سنة
* ١٢١٩ هـ ١٨٠٤ م ونال صيتا عظيما فى الدنيا بانتصاراته على أغلب أوربا
فدخل فينا وبرلين وعقدا الصلح مع دولتيهما كيف شاء وأمست ايطاليا وكثير من
* جرمانيا تابعة لفرانسا وانتصر على الروسيا أيضا وعقد معها صلحا ومعاهدة سرية من
شروطها اقتسام جميع أوروبا بين فرانسا والروسيا عدا الممالك العثمانية وان بلغهما
انهما أيضا فى القسمة حتى اغتاظ السلطان لذلك كما سيأتى فى محله ومن المستثنى من
القسمة أيضا الممالك الانكليزية وكان ذلك سنة ١٢٢١ هـ ١٨٠٦ م وأتم
* تأليف قانون الاحكام الشهير المعروف بكود نابليون سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٨ م
وهو عمدة أحكامهم ونسجت اوروبا فيما بعد على منواله وهو كتاب مقسم على أبواب
المعاملات والجنايات وكل مسئلة من الباب بعقدها فاصل بين حكمها بعبارات بينة
من غير بيان لدليل الحكم ولا محل استخراجه لسهولة التناول وكان معينا لتأليفه جمعية
علمية عولت فى تنظيمه على ما يليق بالعادات من أحكام الشرع الاسلامى وأحكام
الرومان وسنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٢ م عاد لحرب الروسيا لنكثها شروط الصلح
المار ذكرها وانتصر عليها الى أن وصل قاعدتها مدينة موسكو وقد أعدوا له كيدا
باحراق المدينة فلما وصلها وجدها قاعا صفصفا وكان الوقت شديد البرد فهلك عسكره
بردا وجوعا وعاد هو متنكرا الى فرانسا وجهز نفسه لحرب الروسيا والمانيا وبروسيا
والنمسا الذين اتحدوا عليه بسبب انكساره فغلب أخيرا ودخلت العساكر المتحدة
* الى باريس وملكوا على فرانسا لويس الثامن عشر وأسكنوا نابليون جزيرة الاب
على انه ملك عليها وذلك سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٤ م وبعد عشرة أشهر عاد الى
فرانسا وتلقته الاهالى بالرحب لما نالوه من العظمة فى أيامه فهرب لويس الثامن
عشر الى مقره أولا بانكلترة ثم اتحدت الدول ثانيا ومعهم انكلترة وقهروا نابليون
فتنازل عن الملك لابنه الملقب بنابليون الثانى سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٥ م فلم تعترفه
الدول وأعادت لويس الثامن عشر وأما نابليون فطلب الاقامة بانكلترة مستأمنا تحت
أحكامها فقبلته وعند ارادة نزوله من السفينة الحربية الانكليزية الى البر اعلمته
بانه أسير للدول فصبر على ذلك ولم ينفعه ونفى الى جزيرة هيلانة فى الاقيانوس الاتلانتيكى
الى أن مات ونقلت جثته فيما بعد الى ليزانفاليد بباريس وانحصرت اذ ذاك فرانسا

فى

فى حدودها القديمة ثم تولى ملكها كارلوس العاشر أخو ملكها الذى أجلته الدول وفى مدته استولى على الجزائر وأراد أن يحجز من حرية المطابع والقوانين فثاروا عليه وولى لويس فليب سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م فاطلق الحرية وأحبوه ولكنهم أسقطوه أخيرا لامتناعه من اصطلاح قوانين الانتخاب وكانوا يميلون الى الجمهورية والى عائلة بونابارتى فاعادوا الجمهورية ثانية سنة ١٢٦٥ هـ ١٨٤٨ م ورأسوا عليها لويس نابليون ابن أخى نابليون الاول وورث ملكه حيث مات ابنه عن غير عقب وكان ابن أخيه مرسوما فى ولاية العهد وذلك بعد أن نفى مرة الى أمريكا وأخرى الى انكلترة وايطاليا وسجن مرة فى حصن وفر منه بتزييه بزى أحد عملة البناء بعد حلق شاربه وأشهر عدة تآليف تنوه بالحرية والفخر فحلوا له زمام الادارة وأبدى من المصالح الداخلية واستمالة رؤساء الجيش اليه ما اقتدر به على الاعلان بامبراطوريته سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وتلقب بنابليون الثالث وعاضد الدولة العلية وانكلترة على حرب الروسيا سنة ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م لتنال بها اعترافهما بامبراطوريته فى مبدء أمره ولانه داعى السياسة من الخوف من استيلاء الروسيا على الممالك العثمانية وعقد الصلح على معاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م وانتصر الى ايطاليا على النمسا بدعوى القاعدة التى أسسها وهى اتحاد الجنسية كما تقدم فى تاريخ ايطاليا الجديد حتى اتحدت ايطاليا سنة ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م وحارب الصين مع انكلترة سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م وانتصرا عليه وافتتح المكسيك من أمريكا سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م وملك عليها مكسيمليان أخا امبراطور النمسا وكانت اذ ذاك دول أمريكا المتحدة فى حرب شديدة داخلية ولما فصلت حربهم حنقوا على فرانسا من تداخلها فى قارتهم فتسأل نابليون بعساكره وترك المكسيك حتى قتلوا من ملكه عليهم وذهب سعى نابليون سدى ومن ذلك الوقت ابتدأ ميل القلوب عنه لاستبداده باطنا وتصرفه طبق شهواته فى السياسة بعد ان كان أوصل فرانسا الى ذرى المجد حتى عظمتها سائر الدول بعين الوقار وهرعت ملوك الدنيا الى باريس فى دعواته للمعرض وكانوا يفتخرون باستمالته نحوهم حتى فضله كثير من عقلائهم على عمه لكنه لما غره زيادة المجد استبد برأيه باطنا وأسرع الى التداخل فى أمر غيره فقلقت الاهالى من عمله ولما أحس بذلك أعلن بعمل الانتخاب العام له من سائر السكان بحيث لا يختص باصوات الاعالى بل حتى العامة لانهم لهم الحق فى ذلك من حيث ان الممالك انما هو على الفرانسا وبين مطلقا ولما كانت العامة محبين له لعدم اطلاعهم على خفياته أو عدم

تبصرهم مع أنه محسن اليهم بحيث يؤثر نفعهم ويوجد لهم أسباب الانتفاع عند المحل ثم ان حزبه يغريهم بالمال عند الانتخاب اذ كان ينفق فى مثل ذلك من أموال الدولة مقادير ذريعة سرا وترسم فى ميزانية الدولة باسماء أنواع من المصاريف اللازمة فبذلك الوجه حصل أغلبية عظيمة فى ارتضاء الفرانسيس به ملكا عليهم وانشئ اذ ذاك قانون الامبراطورية المؤرخ فى سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م ونص تعريبه (الحكم الاول) لمجلس الاعيان مزية وضع الاحكام والقوانين بالاشتراك مع الامبراطور ومجلس النواب وله أيضا البداءة فى وضع المعروضات واللوائح الا أن الامور المتعلقة بالمالية ينبغى أن تقرر أولا فى مجلس النواب (الحكم الثانى) عدد أعضاء مجلس الاعيان يمكن زيادته حتى يبلغ ثلثى عدد مجلس النواب ماعدا الذين يحضرون فيه بالاستحقاق وليس للامبراطور أن يعين فيه فى كل سنة أكثر من عشرين (الحكم الثالث) قد تعين الغاء المزية التى خص بها المجلس من جهة التشريع المذكور فى الحكم الحادى والثلاثين من القانون الذى تقرر فى ١٤ كانون الثانى أى ينار سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م (الحكم الرابع) التراتيب التى ألحقت بهذا القانون وهى المشمولة فى الاصول العمومية التى استقرت فى ١٤ وفى ٢١ من كانون الاول سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفى ٢١ وفى ٢٢ من الشهر المذكور فى السنة التى بعدها هى أصول المملكة وقوانينها الاساسية (الحكم الخامس) وهذه الاصول والقوانين انما يغيرها سكان المملكة بطلب الامبراطور (الحكم السادس) تعين الغاء الفقرة الثانية من حكم ٢٥ و١٧ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٣ و٣٥ و٤٠ و٥٢ و٥٧ من تلك القوانين وكذا الاحكام المخالفة لهذا القانون (الحكم السابع) يبقى ما تقرر فى قوانين ١٤ من كانون الثانى دجنبر سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفيما بعد ذلك معمولا به اهـ ثم ألحق بهذا القانون علاوة أخرى هذا نص تعريبها

الفصل الاول

الاول قوانين المملكة تعترف وتثبت وتتكفل بالاصول المعظمة التى شهرت فى سنة ١٢٠٤ هـ ١٧٨٩ م وهى أساس شرع الفرانسيس العمومى

الفصل الثانى

﴿فى مزايا الامبراطور وملكه الثانى﴾

المرتبة

المرتبة الامبراطورية التي خصت بلويس نابليون بونابارت وهو نابليون الثالث فوضت اليه بحسب قرار رأى جمهور المملكة وفى ٢١ تشرين الثانى (نفبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وهى مزية متوارثة فى سلالة ذريته الذكور الاول فالاول وباقى منها الاناث وذريتهن الفاء دائما (الثالث) اذا لم يكن للامبراطور المشار اليه وارث فله أن يتخذوا رثا من سلالة اخوة نابليون الاول الذكور وهذا الاتخاذ لا يباح لخلفائه ولا لورثتهم (الرابع) اذا لم يوجد له وارث حقيقى أو متخذ يخلفه فى الملك البرنس نابوليون وورثته الحقيقيون من سلالة الذكور الاول فالاول ويستثنى من ذلك الاناث وذريتهن استثناء دائما (الخامس) اذا لم يوجد وارث شرعى أو متخذ لنابوليون الثالث ولخلفائه فلسكان المملكة أن ينتخبوا امبراطورا ويعينوا من أهله الوارث من الذكور دون الاناث وفى مدة انتخاب الامبراطور وتدار الامور بواسطة الوزراء القائمين بالوظائف بحسب أكثرية الآراء (السادس) افراد عائلة نابوليون الثالث الذين تثبت لهم الوراثة وكذلك سلالتهم ذكورا واناثا هم من العائلة الامبراطورية ولا يمكن لهم أن يتزوجوا الا باذنه واذا تزوجوا من دون اذنه كان ذلك سببا فى حرمانهم من حقوقهم فى الخلافة وفى حرمان ذريتهم أيضا ولكن اذا كان زواجهم عقيما فللبرنس الذى تزوج حق فى الخلافة وللامبراطور أن يعين الفاب الباقى من العائلة ويعين حقوقهم وما يجب عليهم وله عليهم السلطة التامة (السابع) النيابة فى الملك مقررة فى القوانين التى نظمت فى ١٧ تموز (يوليه) من سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م وفى الاحوال المشروحة فى الفقرة الثالثة من الحكم الخامس ينعقد كل من مجلس الاعيان ومجلس النواب ويقرر رأيهم على اقامة من ينوب فى الملك (الثامن) كل من افراد العائلة الامبراطورية الذين تحق لهم الخلافة يسمى برنسا وأكبر أبناء الامبراطور يقال له برنس امبريال (التاسع) كل من يطلق عليه برنس يؤهل لان يكون من أعضاء مجلس الاعيان ومجلس الدولة بحيث يبلغ ثمانى عشرة سنة تامة ولكن جلوسه فى المجلسين متوقف على رضى الامبراطور

الفصل الثالث

﴿فى نوع حكومة الامبراطور﴾

(العاشر) الحكومة للامبراطور بمساعدة الوزراء ومجلس الاعيان ومجلس النواب ومجلس شورى الدولة (الحادى عشر) وضع الاحكام والقوانين يجرى بالاتفاق مع

الامبراطور ومجلس الاعيان ومجلس النواب (الثانى عشر) البداءة فى القوانين منسوبة للامبراطور والمجلسين المذكورين ولكن كل تقرير يرسم فيه بوضع الضرائب ينبغى الاقتراع عليه فى مجلس النواب

الفصل الرابع

﴿فى أحوال الامبراطور﴾

(الثالث عشر) الامبراطور مسؤل لامة الفرانسيس وله الحق فى كل وقت لان يبلغها استدعاءه (الرابع عشر) الامبراطور هو رئيس الدولة وهو يحكم على العساكر البرية والبحرية وله أن يأذن بالحرب و يجرى معاهدات السلم والتجارة والاتفاق والمحالفة و يعين جميع الوظائف ويثبت التراتيب والاحكام اللازمة لتنفيذ الشرع (الخامس عشر) اجراء الاحكام القضائية يكون باسمه (السادس عشر) له الحق فى منح العفو والاعفاء (السابع عشر) وفى ان يقر الاحكام ويشهرها (الثامن عشر) ما يراد بعد الآن من تعديل الاحكام وتعريفات الكمرك و جعل البوسطة على حسب الموافقة مع أمم أخرى لا يكون العمل به واجبا الا بعد أن يقرر رأى المجالس عليه (التاسع عشر) الوزراء مرتبطون بالامبراطور وحده وهم يتذاكرون فى مجلس يكون الامبراطور رئيسه وهم مسؤلون (العشرون) يصح للوزراء ان يكونوا من اعضاء مجلس الاعيان أو مجلس النواب وان يحضروا فى أحدهما ان شاؤا وان ينصت اليهم حين يتكلمون (الحادى والعشرون) يجب على الوزراء وأهل مجلس الاعيان ومجلس النواب وضباط العساكر البرية والبحرية والقضاة وذى المراتب ان يحلفوا هذه اليمين وهى انى أحلف بان أكون خاضعا للقوانين المملكة وامينا للامبراطور (الثانى والعشرون) الحكم الذى صدر فى ١٢ كانون الاول (دجنبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفى ٢٣ من نيسان (ابريل) سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م مما يتعلق بالمرتب المصروف الامبراطور يبقى معمولا به أما فى المستقبل فيكون مرتب صاحب التاج مدة ملكه مقررا برسم من لهم مزية وضع الاحكام عند اجتماعهم وذلك بعد نصبه

الفصل الخامس

﴿فى مجلس الاعيان﴾

(الثالث

(الثالث والعشرون) مجلس الاعيان يؤلف ممن هم فى مرتبة الكردينال والمارشال والاميرال ومن الاهالى الذين يرقيهم الامبراطور الى رتبة سيناتور (الرابع والعشرون) لا يتغيرون ووظيفتهم باقية ماداموا احياء (الخامس والعشرون) يصح ان يبلغ عددهم مقدار ثلثى أهل مجلس النواب ولا يصح للامبراطور ان يعين فيه أكثر من عشرين فى العام (السادس والعشرون) رئيسه ونائب رئيسه يكون تعيينهما من قبل الامبراطور وهو الذى يعقد المجلس ويطيل مدة انعقاده ويكون الجلوس فيه علانية ولكن عند طلب خمسة اعضاء منه يصح ان تجعل الجلسة خفية (السابع والعشرون) مجلس الاعيان يحافظ على الشرط الاصلى الجوهرى وعلى حرية العامة وله ان يتذاكر على التقارير المعروضة ويقترع على الضرائب

الفصل السادس

﴿فى مجلس النواب﴾

(الثامن والعشرون) اساس الانتخاب سكان المملكة (التاسع والعشرون) اعضاء المجلس يكون انتخابهم عاما (الثلاثون) مدة انتخابهم لا تنقص على ثلاث سنين (الحادى والثلاثون) ولهم ان يتذاكروا على القوانين ويقترعوا على الضرائب (الثانى والثلاثون) وان ينتخبوا رئيسهم ونواب رئيسهم وكتاب اسرارهم (الثالث والثلاثون) للامبراطور ان يعقد المجلس ويؤخره أو يطيل مدة انعقاده وان يحله لكنه عند حله يتعين عليه ان يعقد آخر فى مدة ستة أشهر (الرابع والثلاثون) الاجتماع يكون ظاهرا ولكن عند طلب خمسة أعضاء يصح ان يكون خفيا

الفصل السابع

﴿فى مجلس الدولة﴾

(الخامس والثلاثون) مجلس الدولة مكلف على حسب ارشاد الامبراطور بان يرسم التقارير واللوائح والتنظيمات المتعلقة بالادارة الدولية وبان يحل المشاكل الناشئة من معاطاة الامور (السادس والثلاثون) وان يرسم باسم الدولة المذاكرة فى المعروضات واللوائح فى كلا المجلسين (السابع والثلاثون) للوزراء حق فى حضور المجلس والاقتراع فيه اهـ فكان الامبراطور يرى ان هاته القوانين ترضى عنه جميع الاهالى سيما بعد

رجحان انتقائه من الجمهور وقد كانت اذ ذاك المشاحنة بين فرانسا و بروسية فى ازدياد كما
تقدمت الاشارة اليه فى اخبار ايطاليا غيرة من فرانسا على ما نالته بروسية من الشهرة
والانتصار على النمسا مع وعد برو سيا امبراطور فرانسا بانها اذا تم قصدها فانها تساعدها
على تعديل حدودها جهة نهر الرين وتعدو عن حقوقها من وضع العسكر فى
لكزنبورغ وادخالها عضوا فى العصبة الجرمانية مع انها تحت تملك ملك هلاندة ولما
حصلت بروسية قصدها ماطلت تلك الوعود السرية التلويحية فهاجت لذلك فرانسا
وكان من تخمينها انها اذا شهرت الحرب على بروسية تعاضدها النمسا عليها انتقاما مما
حصل لها فى سنة ١٢٨٦ ﻫ ١٨٦٩ م وبينما الامر على ذلك واذا باهالى اسبانيا
خلعوا ملكتهم وطلبوا ان يولى عليهم الامير دوهوهنزولرن احد قرابة ملك بروسيا
فارعدت فرانسا لذلك وابرقت وتداخلت تداخلا كلا نيرة فى طلب ابقاء السلم لكن الامبراطور
نابليون ابى الا الحرب والا فان الامير المطلوب الى الولاية على اسبانيا رفض طلبهم ولم
يقتنع بذلك الامبراطور بل ذهب سفيره فى برلين الى ملك بروسيا فى غير وقت وغير محل
معتاد واغلظ عليه الكلام بان يتعهد هو بان لا يقبل الامير المذكور فى المستقبل
الولاية فألان له الملك الكلام لكنه امتنع من ذلك التعهد وهاجت المانيا جميعا على
ما لحق الملك من الاهانة كما ان فرانسا غلت بطلب اعلان الحرب ولم يخالف الا قليل من
عقلائهم مثل تيرس فانتهزها نابليون فرصة لاشتغال فرانسا بالحرب عن الهيجان عليه
اذ انه وان حصل على اكثرية الانتخاب لكنه كان على يقين من ان حزب النفوذ كاره له
ومنتقد عليه وكان وزير الحرب بفرانسا اعلن للمجلس بان العساكر مستعدة كلها وانها
تجاوز المليون وان الحرب ولو دامت سنين فلا يحتاجون الى زرة لباس وابتدأت فرانسا
باعلان الحرب وتقلد نابليون رياسة العسكر بنفسه واناب زوجه فى الملك فاتحدت المانيا
على الدفاع و بقيت الروسيا معاضدة لالمانيا يعنى لاتفاقها معها سرا فكانت بالمرصاد
من النمسا لكى لا تعين بروسيا مع ما فى نفسها أى النمسا على فرانسا من اعانتها الايطاليا
ومساعدتها من قبل لجرمانيا فلم تتداخل بشئ وما مضت تسعة عشر يوما من ساعة
الاعلان بالحرب حتى وقع نابليون اسيرا بيد عدوه اذ فى نفس الامر لم تكن فرانسا مستعدة
وكانت الاموال المعينة لمصاريف الحرب تصرف فيما يراه الامبراطور حيث كانت
الوزراء مسؤلون له لا لمجلس الامة فيتصرف بهم كيفما أراد وكان يظن انه بسرعة
الهجوم يحصل على بهجة الانتصار و يعجل الى عقد الصلح لكن المانيا كانت لها

جواسيس

جواسيس من اعيانها في جميع دواوين فرانسا وفي قصور رجالها على صورة خدمة وغيرهم مع كمال استعدادها وقرن أهاليها على الحرب اذهي دولة عسكرية من قديم وأهالي فرانسا غلب عليهم الميل الى التنعم فالتقى مركز الجيشين في سيدان من عمل فرانسا وحمي الوطيس الى ان تيقن نابليون بالغلب وقوة قرنه عدة وعددة فكتب الى ملك بروسيا ماتعريبه يا أخي حيث اني لم يتيسر لي ان أموت في مقدمة جيشي فها أنا أضع سيفي لدى قدميك اه ورفع من هنالك اسيرا وسجن الى ان عجزه وملكه وهربت زوجته نابليون واستقرت مع زوجها بلندرة الى ان مات بها وأما العساكر التي معه فطلبت الاستسلام على وجه لايحط بشرفها وحيث كانت المخاطبات الواقعة في هذا الشأن واقعة بين الرؤساء بالسلك البرقي ولها أهمية رأينا اثباتها هنا نقلا عن كتاب ألف وطبع في باريس وهي (من الجنرال) دوومبين الفرانساوي الى الجنرال ملتك رئيس عساكر جرمانيا اريدان أعرف (ماهي) شروط التسليم التي يريدها ملك بروسة ان يوجهها علينا (جواب) الجنرال ملتك شروطنا سهلة فان جميع جيشكم أسرى مع كل ماعندهم من الاسلحة والذخائر ولكن نترك للضباط سيوفهم علامة على اعتبارنا لهم وعلى بسالتهم ولكن يكونون أسرى أيضا كبقية الجيش (الجنرال) دوومبين هذه الشروط شديدة ياجنرال اذ الظاهر ان بسالة عساكر فرانسا تستوجب مراعاة أكثر من هذه أليس من الممكن لجيشي ان يتحصل على شروط على هذه الصورة الآتية وهي ان أسلم لكم سيدان بما فيها من المدافع (وأما) العسكر فتتركوه يخرج بما عنده من الاسلحة والاحمال والرايات بشرط ان لايعود لمحاربة بروسية في هذه الحرب والامبراطور يتعهد بنفسه بهذه الشروط بالمكاتبة وكذا أعيان ضباطه العسكرية ثم ينقل هذا الجيش الى احدى جهات فرانسا التي تعينها بروسية أوان شئت ينقل الى الجزائر الى ان يبرم بيننا الصلح (جواب) الجنرال دوملتك طلبكم هذا لايقارن القبول (الجنرال) دوومبين اني وصلت الى هنا من صحراء افريقية منذ يومين فقط وكان لي الى الآن شهرة عسكرية مرضية والآن فوض الى رئاسة جيش في ميدان القتال فاصبحت مضطرا الى ان أقيد اسمي في الاذعان لمصيبة مثل هذه حتى اضطررت أيضا الى تحمل جميع المسؤلية بدون ان أكون قد أحدثت هذه الوقائع الحربية التي هي سبب في هذا التسليم وحيث انك جنرال مثلي يلزمك ان تشعر بحالي المحزنة ولكن يمكنك تخفيفها باشتراطك على شروطا أهون وأيسر والا فلا يمكنني قبول شروطكم وحينئذ أدعو جيشي الى شرفهم واخترق بهم

صفوفكم والا فابقى فى سيدان متوقعا (جواب) الجنرال ماتك اعتبارى لكم عظيم وشرح حالكم فى محله ولكن أتأسف على انه لا يمكننى فعل شئ مما طلبتموه وأما خرق الصفوف وخروجكم من سيدان فمن المحال وكذلك تحفظكم فيها نعم ان عندكم عساكر عظيمة ولاسيما المشاة فانهم على غاية من المهارة والاقدام وكذا فرسانكم وطوبجيتكم وقد أوقعوا بنا ضررا كبيرا غيران جل عساكركم قد فسدت اطوارهم وعندنا اليوم من اسراهم ازيد من ٣٠٫٠٠٠ نفر غير الجرحى فلم يبق عندكم الآن أزيد من ٨٠٫٠٠٠ نفر فلا يمكنكم اذا خرق صفوف جيشى فيلزم ان تعلم ان من جيشى حولكم ٢٤٠٫٠٠٠ نفر و ٥٠٠ مدفع منها ٣٠٠ على هيئة الاستعداد لاطلاق النار على سيدان والباقى اعنى ٢٠٠ تكون على هيئة الاستعداد فى فجر الغد فان شئت تحقيق ذلك فارسل أحدا من ضباطكم الى والا أرسله الى المواقع المذكورة حتى يشاهد بنفسه ما قلته لكم أما تحفظكم داخل سيدان فمن المستحيل لان المؤنة التى عندكم لا تكفيكم الا ٤٨ ساعة ولم يبق عندكم شئ من الذخائر (جواب) الجنرال الفرانساوى الظاهر ان من مصلحتكم حتى من المصلحة السياسية أيضا ان شروط التسليم لا تكون مخلة بشرفنا الان جيشى يستوجب ذلك ومرادكم عقد الصلح وما أظن الا انكم تريدون عقده بسرعة وأمة فرانسا كريمة أكثر من غيرها ومستعدة للفداء وعلى هذا فهى تقدر مكارمكم التى تصونها بها وتراعى الجميل فان امكنكم ان تشرطوا علينا شروطا من شأنها مداراة خاطر الجيش فان الامة تحسبه أيضا ملائمة لها فيخفف عنها مرارة الانهزام وبت شروط الصلح على هذه الصورة يكون على الدوام (أما) اذا عاملتمونا بالقساوة فلا شك انكم تثيرون الكراهة لكم والبغض فى قلب كل عسكرى وعزة نفس جميع الامة تعود وقد استاءت وبذلك توقظون الاحساس الذميم الذى انامه التمدن وتخاطرون بايقاد حرب لانهاية لها بين فرانسا وبروسية فاجابه البرنس بسمارك قائلا برهانك يظهر بادى بدء انه على الجد وهو فى الحقيقة كلام ظاهر ولكن كما انه لا ينبغى ان يعتقد اعتقادا راسخا بممنونية الانفراد فكذلك لا ينبغى ان نتوقع ممنونية أمة كاملة أو نركن الى ممنونية ملك ومراعاة الجميل منه وان شئت فقل مع أهله أيضا نعم انه فى بعض الاحيان يمكن الركون الى عهد ملك ولكن اكرر لكم انه لا يمكن انتظار مراعاة الجميل من أمة ولو كانت أمة فرانسا مثل بقية الامم ولو كان عندها تنظيمات ومبادى راسخة ولو كانت مثل أمتى تحترم احكامها وتنظيماتها ولو كان عندها ملك جالس على سرير الملك على أصول راسخة

ثابتة

ثابتة لكننا نعتقد بمنونية الامبراطور وابنه أما فرانسا فقد مضى ثمانون سنة وحكومتها قد تغيرت نوعا وجنسا بصورة غير ثابتة فصار من الممكن ان يعتمد عليها فبناء آمالنا على مودة ملك فرانساوى يكون من قبيل بناء فى الهواء فاذا صدقنا ان فرانسا تسامحنا عن ظفرنا بها مع كونكم أمة سريعة الهياج ومجبولة على الحسد والكبر الى النهاية فذلك جنون فانها اعلنت بحرب بروسية منذ مائتى سنة ثلاثين مرة وهذه المرة اعلنتم الحرب معنا حسدا كعادتكم اذ لم يمكنكم ان تسامحونا عن ظفرنا فى واقعة سدوه فهل يمكنكم ان تسامحونا اليوم فى ظفرنا فى ميدان كلا ثم كلا فان عقدنا معكم الصلح الآن فبعد بضع سنين تعودون الى حربنا حين يتيسر لكم ذلك وهى المكافات على الجميل التى ترقبناها (أما) نحن فاخلاقنا مخالفة لاخلاقكم فانا أمة صادقة ساكنة لا نحرص على الفتوحات وانما نحرص على ان نعيش بالسلم وقد كفى اليوم فيلزم ان تتأدب فرانسا على تجبرها ويلزمنا ان نطمئن على سلامة اولادنا ولذا يلزم ان يكون بيننا وبين فرانسا حدود منيعة فلابد لنا من ارض وحصون وحدود لنكون دائما آمنين من هجومها (جواب) الجنرال الفرانساوى قد غلطت يا أيها الذات الموقر فى حكمك على أمة فرانسا فانك انما تتصور فرانسا فى سنة ١٨١٠ وتتصورحالها من ابيات بعض الشعرا ومن كلام بعض الجرنالات وهى اليوم على غير حال فان بهمة الامبراطور صارت افكار أهلها مشغولة بالتجارة والصنائع والعلوم وكل واحد منهم يسعى فى تكثير مكاسبه وينظر الى منافعه وكلهم يحبون الاخاء انظر الى انكلترة مثلا فاين اليوم تلك الكراهة التى طالما أبعدتنا منها أليس ان الانكليز اليوم اعز أحبابنا وكذلك يكون أهل المانيا اذا أظهرتم المكارم معنا (البرنس) بسمارك قف هنا يا جنرال ان فرانسا لم تتغير فانها هى التى اكرهتنا على الحرب ولاجل خداع الامة حرصا على نفع آل الامبراطور نابليون الثالث أعلن بحربنا نعم انا ندرى ان كثيرا من أهل فرانسا وهم العقلاء لم يريدوا الحرب ولكن تلقوا فكر الامبراطور بالقبول والباقى هم الذين تحمسوا للحرب حتى اصحاب الجرنالات أيضا فهؤلاء القوم يلزم تأديبهم ولذلك يلزمنا ان نسير الى باريس ومن ذا الذى يدرى ماذا يقع بعده اذ من المحتمل انه ينشأ عندكم دولة من الذين لا يعفون عن شئ بل يحدثون أحكاما على حسب هواهم ولا يعترفون بشروط تسليم جيشكم فربما ألزموا الضباط نقض عهودهم نعم انا نروم الصلح ولكن الصلح الذى يكون على أساس الثبات والدوام وشروطه صارت معلومة لكم فيلزمنا ان نجعل فرانسا

بصورة بحيث لا يعود يمكننا ان تقاومنا فيما بعد وقد قدر الله ان تكون زهرة عساكركم اسرى عندنا فن الهوس ان نعيدهم اليكم ليعودوا الى محاربتنا وشأن ذلك دوام القتال ومصلحة بلادى تأباه ايها الجنرال مهما يكن من المصالح المختصة بذاتك ومهما يكن من افكارك عن جيشكم فلا يمكنني الاجابة الى مطلوبك او تغيير شئ من الشروط التى ابلغتك اياها (الجنرال) الفرانساوى فلا يمكنني اذا ان اوقع شروط التسليم على هذا المنوال بل يلزمنا ادامة القتال (جواب) الجنرال كستلان من اعيان الامراء الفرانساوية الى البرنس المشار اليه عندى ان الوقت قد حان لابلاغ ما ذكرتم الى الامبراطور (جواب) البرنس بسمارك انا سامعون لكم (الجنرال) كستلان قد كلفنى جناب الامبراطور ان ابلغ مسامع جناب ملك بروسية انه كان بعث اليه بسيفه بدون شرط وسلم نفسه له بلا شرط وانما فعل هكذا املا فى ان الملك يشعر بما يوجبه هذا التسليم فيقع لديه موقع الاعتبار فيتساهل مع جيش فرانسا بتسليم اشرف لهم كما تستحقه بسالتهم (البرنس) بسمارك أهذا كلامكم كله (الجنرال) كستلان نعم (البرنس) بسمارك ما هو السيف الذى سلمه الامبراطور وهل هو سيف فرانسا او سيفه الخاص به فاذا كان سيف فرانسا امكن تعديل الشروط ولكن يكون جوابكم الاخير ذا بال (الجنرال) كستلان السيف الذى سلمه لكم الامبراطور هو سيفه فقط (الجنرال) ملتك فعلى هذا لا يمكن تبديل شئ من الشروط وانما يكون للامبراطور ما يختص به (الجنرال) دوومبين اذا نستأنف الحرب (الجنرال) ملتك المهلة تنقضى فى فجر الغد وفى الساعة الرابعة اشرع فى اطلاق النار عليكم (البرنس) بسمارك نعم ايها الجنرال ان عندكم عساكر شجعانا فلا اشك انهم يظهرون غدا بسالة غريبة ويرزؤن منا ويوقعون بنا الضرر ولكن ما الفائدة من ذلك لانك فى مساء الغد تجد نفسك متقدما اكثر مما تقدمت اليوم ويبقى فى اعناقكم دم عساكركم بل عساكرنا ايضا الذين يسفكون دماءهم لغير فائدة فقد اخبركم الجنرال ملتك ان مقاومتكم لنا هوس (الجنرال) ملتك انى اؤكد لك مرة اخرى ان خرق صفوف عساكرنا لا يمكن ولو كان عسكركم على احسن اهبة لانه فضلا عن كون عسكرنا اكثر عددا من عسكركم فانى مستولى على مواقع تمكننى من احراق سيدان فى بعض ساعات وهذه المواقع متسلطة على جميع الجهات التى يمكنكم المرور منها وهى منيعة فلا يمكنكم حوزها (الجنرال) الفرانساوى ليست مواقعكم قوية كما تذكرون (الجنرال) ملتك انت لا تدرى المواقع حول سيدان وانى افيدك فائدة تبلغ من امتكم المتكبرة وهى انكم عند

افتتاح الحرب بيننا وزعمتم على ضباطكم خرائط كان رسمها وطبعها فى المانيا فلم يمكن لكم حينئذ ان تطلعوا على مواقع بلادكم ذ لم يكن عندكم خرائط لها فأقول لكم الآن ان هذه المواقع فضلا عن كونها منيعة فالاستيلاء عليها ضرب من المحال (الجنرال) الفرانساوى انى اغتنم الفرصة لارسال أحد من ضباطى كما عرضتم على فى مبادى الامر حتى يرى مواقعكم المنيعة وعند رجوعه أجاوبكم (الجنرال) ملتك لاترسل أحدا فان ذلك عبث اذ ليس لكم وقت طويل حتى تتداركوا ما يلزم فعله فالوقت الآن نصف الليل وبعد أربع ساعات تنقضى المهلة ولا يمكننى أن أمهلكم بعدها ولو دقيقة واحدة (الجنرال) الفرانساوى ولكن يلزم ان تعلموا انه لا يمكننى بت الرأى على شئ وحدى فيلزم ان أشاور رفقائى الضباط ولست أدرى أين أجدهم فى سيدان فى هذه الساعة فلا يمكننى أن أعطيكم جوابا فى الساعة الرابعة فمن الضرورة والحالة هذه اطالة المهلة فعند ذلك أسر البرنس بسمارك الى الجنرال ملتك فى اذنه وأشار اليه بتطويل المهلة الى الساعة التاسعة أعنى قبل الظهر بثلاث ساعات فلما حانت سلم الجنرال الفرانساوى جميع عساكر فرانسا الذين فى سيدان على موجب شروط الجنرال ملتك وبذلك يتبين حالة قوة فرانسا اذ ذاك واستعدادها فلذلك انقلب رأى الامة الفرانساويه وحملوا الذنب على نابليون وخلعوه وأعادوا الدولة الجمهورية ثانيا ثم عاندوا المانيا الى ان حاصرت باريس وأخذت مئات آلاف من عساكر فرانسا أسرى منهم مائة وخمسون الفا أو يزيدون سلموا من غير دفاع فى قلعة متس تحت رياسة المارشال بازين ثم عقدوا الصلح على نحو ما طلبت المانيا بأخذها ولاية الالجاس وقسم من ولاية اللورين وغرامة خمسة آلاف مليون فرنك مقسطة على خمس سنين وتتوج ملك بروسيا امبراطورا على المانيا فى قصر فرساى وحضر له ملوك المانيا ودخلت عساكرهم الى باريس على وجه الانتصار بلا حرب ومن ذلك الوقت تغيرت السياسة الاوروباوية وصارت المانيا هى معدلة الميزان لكن فرانسا استولى رياسة جمهوريتها الرجل الشهير تيرس ولم يشغلها بعد حصول حرب أهلية هائلة من جمعية تعرف بالكومون أى الاشتراكيين الذين يريدون ان تكون الناس كلهم شركاء فى جميع ما يمكن ان ينسب الى انسان واضروا بباريس أكثر من اضرار المانيا بها وقد أظهرت فرانسا من الغنى ما لم يكن فى الحسبان ودفعت الغرامة عما قبل ابانها بأزيد من سنتين ولم يؤثر ذلك فى ماليتها أدنى خلل فان المقدر من خسائرها وغرامتها فى ذلك الحرب نحو عشرة آلاف مليون ومع ذلك فانها عند ارادتها

استقراض ثلاثة آلاف مليون لدفع بقية الغرامة هرعت لها أرباب المال من كل فج حتى من المانيا وأحضروا لها ما ينيف عن الخمس ألف مليون وأقبلت على اصلاح داخليتها وعاكرها بما أرجعها الاعتبار هاواوحش غالبها منهم خيفة وقد أحدث الفرانساويون فى حديقة الشانزى لزى محلا حيطانه مرايا مكبرة بحيث يحسبه الداخل بلا حيطان ويرى منه صورة حالة باريس من الحرق والهدم وقت الحرب تذكارا منهم للاحياء أخذ الثار وقد رأيت ذلك المكان وله منظر هائل واستقرت الحكومة الى الآن جمهورية

مطلب

﴿فى السياسة الداخلية فى فرانسا﴾

قد تقررت الحكومة الجمهورية على القانون الآتى ترجمته (البند الاول) ان مجلس الاعيان ومجلس النواب يجتمعان كل عام يوم الاربعاء (الثانى) من كانون الاول بشار الاأن يكون جمعهما قبلا لرئيس الجمهورية فالمجلسان ينبغى أن يعقد جلساتهما أقله فى مدة خمسة أشهر كل سنة وجلستا كليهما تجتمعان وتنتهيان معا وتقام الادعية الجمهورية لله سبحانه فى الكنائس والمعابد لالتماس المعونة منه تعالى فى اعمال المجالس (البند الثانى) ان رئيس الجمهورية يختتم الجلسة وله حق أن يستدعى المجالس للاجتماع فوق العادة وينبغى أن يستدعيها اذا ما صار الطلب فى اثناء الجلسة من أكثرية الاعضاء المؤلفة لكل مجلس على ان رئيس الجمهورية له أن يؤجل اجتماع المجالس انما لايمكن أن يطول هذا التأجيل أكثر من شهر ولايحدث أكثر من دفعتين فى جلسة واحدة بعينها (البند الثالث) وقبل ماينتهى الاجل القانونى لسلطان رئيس الجمهورية أقله بشهر واحد يجب ان تجتمع الاعضاء فى مجلس الامة ليباشر وا انتخاب الرئيس الجديد واذالم يصر استدعاء المجالس للاجتماع فعلى المجالس ان تجتمع من تلقاء ذاتها قبل نهاية سلطة الرئيس بخمسة عشر يوما واذا ماتوفى رئيس الجمهورية أوتنازل عن وظيفته يجتمع المجلسان حالا بسلطانهما الخاص واذا ماوقف مجلس النواب حين مايفرغ مسند الرئاسة الجمهورية تبعا للبند الخامس من قانون ٢٥ شباط فبراير سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٥ م تستدعى المجامع الانتخابية حالا ويجتمع مجلس الاعيان الخاص بمطلق سلطانها (البند الرابع) ان كلا من

مجلس

مجلس النواب والاعيان اذا اجتمع فى غير الوقت المعين للجلسة العمومية يكون باطلا ولغوا مطلقا ما عدا الحادث المنبه عليه فى البند السابق وما عدا ما اذا اجتمعت الاعيان للقضاء فى الدعاوى والعدلية وفى هذا الحادث لا يحق لها الا مباشرة الوظائف القضائية (البند الخامس) ان جلسات الاعيان ومجلس النواب تكون مشتهرة على ان كل مجلس له أن يقيم جمعية سرية فى طلب عدد معلوم من أعضائه معين بالقوانين ثم تقضى بموجب رأى الاكثرية المطلقة اذا ما اقتضى اعادة الجلسة جهارا على نفس المشروع (البند السادس) ان رئيس الجمهورية يتخابر مع المجالس بواسطة رسائل يقرؤها أحد الوزراء ويحق للوزراء الدخول فى المجلسين والتكلم فيما اذا ما طلبوا الاصغاء لاقوالهم ولهم ان يستعينوا بمعتمدين معلومين للبحث فى انشاء قانون معين بحكم رئيس الجمهورية (البند السابع) ان رئيس الجمهورية يبث السنة فى الشهر الذى يلى تسليم السنة المقررة ثم ثانيا للحكومة وعليه أن يبث فى ثلاثة أيام السنن التى حكم كلا المجلسين بوجوب السرعة فى بثها على ان رئيس الجمهورية له فى المهلة المعينة لاذاعة السنن أن يطلب بواسطة رسالية محققة ولا يرفض طلبه اعادة المخابرة فى تقرير القانون والسنة (البند الثامن) لرئيس الجمهورية أن يخابر فى المعاهدات ويقررها ويبلغها المجالس حالما تسمح له بذلك صوالح الدولة وأمنيتها اما المعاهدات المتعلقة بالصلح والتجارة والمعاهدات المرتبطة بمالية الدولة والمنوطة بحالة الاشخاص وبحق الملكية التبعة الدولة الفرنساوية فى الخارج فلا تجزم جزما نهائيا الا بتقرير المجلسين ولا يعطى ولا يبدل شىء من الاراضى الفرانساوية ولا يضاف اليها شىء الا بتقرير قانونى من المجالس (البند التاسع) ولا يحق لرئيس الجمهورية أن يشهر الحرب بدون رضى المجلسين (البند العاشر) ان كلا من المجلسين قاض فى انتخابية أعضائه وفى أحكام قانونية انتخابه وله وحده أن يقبل استعفاء من يعتفى من وظيفته (البند الحادى عشر) ان رؤساء كل من المجلسين ينتخبون كل عام لمدة الجلسة بتمامها ولكل جلسة فوق العادة تصير قبل الجلسة المألوفة فى السنة التالية ومتى اجتمع كلا المجلسين بجلسة مجلس الامة تتألف رؤساؤه من الرئيس ونائب الرئيس وكتبة أسرار الاعيان (البند الثانى عشر) لا تقبل شكوى على رئيس الجمهورية الا من مجلس النواب ولا يحكم عليه الا الاعيان وتقبل الشكوى على الوزراء من مجلس النواب بجناية ارتكبوها أثناء مباشرة وظيفتهم فحينئذ تقام محاكمتهم فى الاعيان ولرئيس الجمهورية ان يقيم على الاعيان مجلس محاكمة بحكم يصدره فى مجلس الوزراء لمحاكمة كل من تقدم عليه شكوى بذنب

يخل بأمنية الدولة واذا ما شرع بالاستعلام فى محكمة العدلية المألوفة فيمكن أن يصدر الحكم باستدعاء الاعيان للاجتماع الى حين استئناف الدعوى اليها ويقام قانونا يعين كيفية سماع الدعوى والاستنطاق والحكم (البند الثالث عشر) لا تقام دعوى على أحد الاعضاء من كلا المجلسين ولا يطالب بشكوى فى شأن رأيه واقتراعه حال كونه فى مباشرة وظيفته (البند الرابع عشر) ولا تقام دعوى على عضو من كلا المجلسين بمادة جنائية أو تأديبية ولا يلقى القبض عليه فى مدة الجلسة الا باذن المجلس الذى هو عضو منه ما لم يؤخذ فى حال فعله ويتوقف ضبط أحد الاعضاء من كلا المجلسين ومحاكمته فى الجلسة وفى كامل مدتها بطلب المجلس اهـ فهذا القانون يبين لك أصول الادارة ورئيس الجمهورية الآن قد عينت له مدة الرياسة خمس سنين وهو الآن البرت اقريفى وأما بقية تفصيل الادارة فهى على نحو ما تقدم فى الكلام على سياسة ايطاليا من انفراد الادارة العامة عن الاحكام الشخصية وتصرف رئيس الدولة بواسطة الوزراء وكون الوزراء مسؤلين لمجلس النواب ومجلس الاعيان بحيث ان الحكومة شورية حقيقة لا يصدر عنها الا ما يوافق عليه غالب الامة بواسطة وكلائهم يجرى ذلك فى حقير الاشياء وعظيمها والوزراء ينتخبون ممن تثق بهم اغلبية المجالس لكى يأمن المجلس بتصرفاتهم لان للمباشرة فى الاجراء دخل عظيم فى نجاح الافكار ولان بعض الامور تفوت بفوات وقتها فهب ان الوزير مسؤل ويجرى عليه العقاب باخلاله لكن منفعة الامة عموما تفوت بفوات الفرصة ولذلك كان انتخاب الوزراء ممن تعتمد المجالس عليهم زيادة على شروط الاهلية الذاتية وهكذا بقية الادارات على نحو ما مر فى ايطاليا غير ان فرانسا لما كانت لها مستعمرات كثيرة فهى تعدهم مثل ولايات فرانسا واوطانها فى كيفية الادارة وكون مصدرها هم الوزراء المعهودون من غير تخصيص بوزير للمستعمرات كما تفعل الدول التى لها مثل ذلك فهى من هاته الجهة تعد مستعمراتها اجزاء منها لكنها تحرمهم مما تحوزه اهل فرانسا من الحقوق والمنح كالحرية وحق ادخال اعضاء فى مجلس النواب وأعضاء فى مجلس الاعيان الى غير ذلك من الامتيازات الحاصل عليها أهل فرانسا فلذلك كانت مستعمراتها أسوء حالا من غيرها لفقدانهم حريتهم الاصلية وعوائدهم واستقلالهم مع حرمانهم مما للفرنساويين من الخصائص (وأما) ادارة الاحكام فهى أيضا على نوع ما تقدم فى ايطاليا ومن أهم ما يذكر فيها وجود حكام الجورى وهم أعداد من مطلق الناس تنتخبهم العامة لمدة من الزمان لاجل مشاركة

مجلس

مجلس الجنايات الشخصية فى النظر بمعنى أنهم يحضرون المجلس المركب من رئيس وعضوين ويعمل المجلس جميع المقدمات بحضرهم ثم يسألهم رئيس المجلس عما يرون فى النازلة هل صاحبها مجرم أم لا ومن أى نوع جريمته فيتفاوضون وما يستقر عليه رأيهم يعملون به المجلس ثم المجلس يطلق المدعى عليه حالا ان رأى الجورى براءته أو يعين العقوبة من القانون ان رأى ذنبه والسبب فى ايجاد الجورى هو زيادة الاحتراس فى الحكام عن ميلهم الى محاباة الامراء والوزراء لان وظيفة الحكام وان كانت عمرية وهم منتخبون بشروط العفة والاهلية ووراءهم احتساب مجلس الاعيان ومجلس الامة ومن ثبت ارتشاؤه يعاقب أشد العقاب ولا تهمل العقوبة بعفو أو شفاعة لكن ربما أغرتهم مع ذلك الدواعى بالترقى الى الرتب العالية التى هى بيد الامراء والوزراء وبتعذر الاحتساب بما يرتب من الحيل فدفع هذا بمشاركة الجورى الذين هم ليسوا بموظفين ولا خوف ولا طمع لهم لكن فى ذلك مفسدة أيضا اذ هؤلاء الجورى كثيرا ما يكونون غير فقهاء ولا دراية لهم بالاحكام ولا بمواقعها ولا بالتحرى فيها فيخبطون خبط عشواء ويضيع الحق بسببهم اذ لا تعقب لما يرونه وبه يعلم مدرك الشرع الاسلامى فى اناطة الحكم بالعلماء أهل العدالة وما أدراك ما العدالة ومشاورة الحكام للعلماء وكون حكمه جهريا ثم وراءه احتساب اهل الحل والعقد الداخل فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن المفاسد الموجودة أيضا عندهم فى انتخاب أعضاء مجلس النواب أو غيرهم ممن تنتخبه الاهالى ان افرادا ممن يعدون أنفسهم للانتخاب يعقدون مواكب ويدعون اليها الاهالى فى أماكن فسيحة ويلقون عليهم خطبا يبينون فيها أفكارهم ومقاصدهم فى سياسة المملكة وجدارتهم للقيام بالمناضلة عنها وتعتنيهم بالسامعين لان يكونوا من حزبهم حتى يقع انتخابهم على الخطيب ومع ذلك يعطون الرشا لمن له صوت فى الانتخاب لكى يحصلوا بذلك أكثرية المنتخبين فكثيرا ما يخيب سعيهم ويحصلون على الوظيفة بذلك الطريق بعد أن تقع غوغاء وتشاتم وسباب بين أحزاب المنتخبين فيدخل بسبب ذلك فى الوظيفة من لا ترتضيه الاهالى حقيقة أو من ليس جديرا بها لكثرة أغراضه وغير ذلك وهذه المفسدة ولان كانوا جعلوا لها علاجا وهو انه بعد التئام المجلس المنتخب ينظر فى المنتخبين هل هم مستكملوا الشروط أم لا ومن كان غير مستكمل يفصل عن المجلس ويعاد انتخاب غيره لكن ذلك لا يفيد فى أغلب الاحوال لان الذى انتخب بحيلته ورشائه قد يكون مستكمل الشروط الرسمية فلا يجد المجلس

سبيلا للقدح فيه لكنه غير مستكمل الشرط الاساسى وهو ارتضاء الامة حقيقة بسلوكه السياسى فلذلك كان ينبغى أن يعتبر ان طالب الولاية والامانة يحرم منها فشرعنا الشريف ولله الحمد من جمع عنا مثل تلك المفسدة وطالب الولاية وان كان عدلا متوفرة فيه شروط وظيفته فانه يحرم منها بحرصه عليها هذا وقد تضمن كتاب اقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك تفصيل ادارة هاته المملكة بما يعز وجوده فى غيره وينبئ عن باع صاحب التأليف وبصارته فى السياسة فمن أراد تحقق الامور وتفصيلها فليرجع اليه

مطلب

﴿فى السياسة الخارجية فى فرانسا﴾

(اعلم) ان فرانسا لما كانت من أعظم الدول الاوروباوية وفى طبيعة أهلها حب الفخر والوجاهة اكثر من غيرهم كانت تحب التداخل فى أمر غيرها أشد من سواها من مجاوريها وكما ذكرناه فى أحوال نابليون الاول والثالث وأسباب حرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م شاهد على ما ذكر ولذلك كانت فرانسا هى مع الايطاليا بما ذكرناه فى سياستها الخارجية وتزيد بتطلب النفوذ فى جميع الجهات اذ جعلت لها مستعمرات كثيرة فى كل مملكة جاورتها ولو فى مستعمراتها تتطلب النفوذ لديها ولو بالاعتبار فيما اذا كان الجار ذا شوكة وشأن (أما) اذا كان ضعيفا فى القوة والادارة فانها لا تنقصه مهما سنحت لها الفرصة شأن طبيعة الدول القوية ودونك ماوقع فى تونس هاته السنة وهى سنة ١٢٩١ هـ مما يوضح هذا المقصد وهو الذيل الذى نبهنا عليه فى الباب الثانى عند الكلام على سياسة تونس الداخلية والخارجية

ذيل

﴿فى تسلط فرانسا على تونس﴾

قد مر فى المطلب الثامن من أحوال الادارة الداخلية فى تونس حالة وزارة وزيرها مصطفى ابن اسماعيل وتصرفاته وماوقع فى نازلة صانسى الفرانساوى التى كانت سببا فى تخوف هذا الوزير من القنصل ورام أن تبدله دولته وتقدم أيضا ماهى مقاصد فرانسا فى تونس وانها تروم نيل الدرجة العليا فيها ولما رأت سيرة الوزير المذكور لم تأمن وقوع ارتباكات مغايرة لما كانت راضية بالبقاء عليه وخشيت ضياع الفرصة من

سهولة

سهولة التوصل على يد ذلك الوزير الى مالم يمكن التوصل به على يد غيره من ذوى العرض والعقل فلذلك بينما كانت مساعى الوزير جارية فى ابدال القنسل واذا بالسعاية اليه قد غيرت مشربه حتى طمع فى ولاية العهد بان يتولى هو الامارة بعد سيده الوالى الحالى الصادق باشا اذا أتم ادخال تونس طوعا تحت فرانسا فركن حينئذ لقنسلها واحكم معه المودة وصارت بطانة الوزير تأتى اليه معلمة بجميع اسرار الحكومة وسائر تصرفاتها واضمر ابن اسمعيل الشمران كان أوعز اليه بان يتشكى من القنسل الى دولته ثم تفطن بذلك التواطؤ السرى ونصحه بانه لا ينتج له شيأ وعلى فرض الوفاء له بالوعد فانه لا يلبث ان ينا له ما نال الوزير العلقمى فى انقراض دولة بنى العباس من بغداد واتفق ذلك الوزير مع القنسل على شروط ادخال تونس تحت فرانسا غير ان الوالى لم يساعف على لائحة تلك الشروط التى قدمت اليه سرا بواسطة الوزير وخشى من الدول ومن الاهالى فى البغى منه على الدولة العثمانية وفى تغيير حالة السياسة وجعل الوالى يسوف العقد من وقت الى آخر وجعل الوزير يسعى فى احداث وجه لتداخل فرانسا وانفاذ أمرها فاكثر من الرسل السرية الى الاستانة متطلبا ان يدعى هو الوالى رسميا أو يرسل بعض الاسطول العثمانى الى مرسى تونس مع اظهار زيادة التشيع الى الدولة العثمانية حتى لا يتفطن الى مساعيه الباطنية فلم يساعف من السلطان الى مطلبه اذ لم يكن له من داع كما انه لم تفد فى الدولة العثمانية الايقاظات الى دسائسه وعزمه حتى تسعى فى سعة لدفع الغوائل المتوقعة اذ من المعلوم ان الدغل السياسى هو كالمرض المزمن الذى لا ينجع فيه العلاج الا تدريجا عند أول حدوثه سيما اذا كانت الدولة المعالجة محتاجة الى استمالة غيرها من الدول القوية الى معاضدتها على قرنها القوى ومع ذلك أيضا قد عكر الوزير ابن اسمعيل حالة المخالطة مع ايطاليا لعلها تعلن على تونس الحرب ومنح للفرانساويين منحا لم يطلبوها مما يزيد فى نفوذهم والتحدنا معهم كما تقدم ذكره فى المطلب الثامن من أحوال تونس ولما لم تنجح جميع تلك المساعى التى كان يمكن لفرانسا الاستناد عليها فى وضع حمايتها على تونس أحدثوا اقاويل فى اهمال حقوق الفرانساويين بتونس وأظهر الوزير المذكور الاستخفاف بقنسل فرانسا ومال عنه كل الميل ظاهرا ورام ان يظهر التعطل فى اجراء المنح التى أنالها الى الفرانسيس باوجه من الاعتذارات حتى اغريت رعايا فرانسا بتونس على ان تكتب تقريرا بالتشكى من ضياع حقوقهم وطلب دولتهم للانتصاف لهم فلم يرع الامم الا ان فرانسا اجلبت بخيلها ورجالها على حدود تونس معلنة

بان قصدها اغناؤه وحفظ حقوقها من جهة الحدود وغيرها واستندت في عملها لما تضمنته لائحة وزير خارجيتها الى سفرائه وهذا نص تعريبها باريس ٩ مايس سنة ١٨٨١ أيها السيد اتشرف بأن نرسل لكم جملة رسائل في شأن تونس ونريد ان نحقق لكم المقصود اجمالا ونخبركم عن سبب ارسال العساكر الآن وعن النتيجة التي نرجو اتمامها فكم من مرة قد عرفت الدولة الجمهورية بدواعيها ومقاصدها وأنتم تتذكرون ذلك خصوصا ما صرح به السيد رئيس الوزراء في المجلس العام وهو لا يمكن ان يكون فيه ادنى شك من جده وصدقه ومع هذا فاني اريد زيادة ايضاح لكم لتنفعكم لدى الدولة التي انتم عندها فنقول ان سياسة فرانسا في تونس ليس لها الا مقصد واحد وهذا القصد الذي يكفي لوضوح موضوع سيرتنا منذ خمسين سنة نحو المملكة هو الواجب علينا لحفظ راحة مستعمراتنا العظمى الجزائرية فمن سنة ١٨٣٠ لم تأت دولة من الدول المتتابعة وتركت هذه المهمة العظيمة وانا لنعمل الواجب علينا لحفظ مستعمراتنا الافريقية التي لا يوجد أحد من أروبا ان ينكر علينا ذلك فهما لحفظها من جارعدو كثير الاراجيف وقد كانت القبائل التونسية مخوفين ومحاربين حتى فيما بينهم وقد فاق على الجميع قبائل وشتاتة والفراشيش وخمير ولا تعرف كمية المحاربين ولا كمية قوتهم فلذلك التزمنا الآن ان نرسل من العساكر عشرين ألفا وهذا مما يدل على قوتهم أي الاعداء المتحصنين في بلاد منيعة تقريبا وكان الداعي الاول لارسال العساكر هو قهر قبائل حدودنا الشرقية ولكن لا فائدة في تقرير الامن والراحة واعداؤنا لازالوا يهددوننا ونحن لا نخاف من الهجوم الكبير المنسوب لباي تونس اذا كان منه وحده لكن النظر القليل في العواقب الزمنا التحري من اتحاد الباي مع غيره وهذه التشويشات يمكن ان يأتي لها وقت وتقلقنا كثيرا في الجزائر وتصل حتى الى فرانسا فيلزمنا بناء على ما ذكر ان يكون لنا عند الباي محبة كبيرة واتفاق قلبي ويلزمنا جار يعوضنا المحبة التي لنا عليه ولا يسمع التشويشات الخارجية لضررنا واستحقار قوتنا الراسخة وقد وضحنا من نحو أربعين سنة بانه يلزمنا لحافظة فرانسا الجزائرية ان نحصل في المملكة على قاعدة راسخة ونحن نحترم بالتدقيق منافع الاجانب وهم يقدرون ان يتوسعوا بثبات مع فوائدنا والدول يتحققون ان مقاصدنا من جهتهم لا تتغير والى هاته المدة الاخيرة اتحادنا مع دولة الباي المفخم مستمر الا ما يحدث احيانا من الاختلاف في دفع تعويضات لقبائلنا المضرورين ثم في الحين يرجع الاتحاد ويزداد ثبوتا بعد هاته الاختلافات

الصغيرة

الصغيرة الاهانة المدة الاخيرة فانه باب من صعب الاطلاع عليها قد تغير ميل الدولة التونسية الينا دفعة واحدة وكانت اذ ذاك الحرب ساكنة ثم لازالت تزداد الى ان وضحت وتقوت ومبناها ضد كل الامتيازات التى حصلت للفرانسا وبين فى تونس مع شدة الارادة الرديئة الى ان وصلت لهذا الحال وهذا هو السبب الثانى لارسال العساكر الذى كنا نود التجنب منه ولكن بسبب السيرة الرديئة التى طالما صبرنا عليها التزمنا بما هو واقع ولو اننا ما ضايقنا الباى فى المطالب الحقانية لاننا نعرف بتونس كمملكة مستقلة وأما الحالة فى الخلطة الآن مع الباب العالى فهى مخالطة محبة وميل طبيعى و بودنا ان لو كنا رأينا ازالة تونس فى منظر آخر غير التى هى عليه الآن ولكن قد بان ما يجب علينا مما ذكرناه سابقا وانّنا نقدر ان نستفهم من الباب اذا كان باى تونس هو وال من قبلهم فلماذا لم يمنعوا سيرته التى فعلها نحو فرانسا منذ عامين ولماذا لم يفتشوا الجمع العسكرى الموجود الآن الذى نحن منذ زمن طويل كنا نسعى فى عدم ابقاعه ويلزم لهذا التدبير الذى نحن مجتهدون فى حصره ان ينتهى بشروط تؤمن حدودنا من الهرج المستمر والتشويش المغرى لمن اراد واما من غيره أو من نفسه فهذان هما المقصدان لارسال العساكر ولا نخفى عندما نقول ان لنا فى أوروبا الرضاء العام فى جميع الجهات عدا الجهات التى بها النظر الفارغ المطمس للعقول وهذه هى أيها السيد التى خيمت حول الباب وحول تونس ومن كلا الطرفين فنحن مشغولون بالمحبة وجميع ما نرجوه من الباى هو ان لا يكون عدوا لنا ولو ان المملكة تنظر لفوائدها فنقدر ان تحصل من اتحادها معنا فوائد لا تحصى أكثر مما تحصله نحن منها ونقدر ان نأتى لها بكل خير من العمران الحاصل عندنا ففى سنة ١٨٤٧ فعلنا فيها البريد وفى ١٨٥٩ وسنة ١٨٦١ فعلنا التلغراف وفى سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ فعلنا الشمندفير الذى طوله ٥٠ فرسخا من حدود الجزائر الى تونس وفى هذا الزمان نفعل لها شمندفيرين جديدين أحدهما يربط تونس بابن زرت من جهة الشمال وطوله ٢٠ فرسخا والآخر يربط تونس بسوسة من جهة الجنوب وسنبتدئ عن قريب فى ابتداء عمل مرسى فى تونس نفسها لتدخل المراكب من الشط ومن حلق الوادى حتى الى ذات القاعدة ودين تونس وان كان رأس ماله مشتركا بين فرانساوى وانكليزى وطليانى لكنه اذا اعتبرت النسبة فيوجد ثلاثة اخماسه لفرانسا وان الحنايا الجميلة لادريان التى تأتى بالمياه العذبة لتونس قد أصلحها أحد المهندسين الفرانساويين ولما ترجع الخلطة الطيبة فانا لانزال

نفعل اشياء حسنة ومنارات على الشطوط وطرقا داخلية توصل بين البلدان العامرة الناجحة ونسقى الارض بالترع الكبيرة فى البلاد التى بها أنهر كثيرة ولكن هاته البلاد أهلها ليسوا معتنين بتلك الانهر وكذلك الغابات وكذلك نعمل استخراج المقاطع الموجود بها كل نوع من المعادن وكذلك ترتيب الفلاحة فى الاراضى الحسنة التى للاجانب فى المملكة والتى للاهالى أيضا وكذلك استعمال المياه المعدنية التى اكتشفها الرومانيون واستعملوها وبالجملة ان مملكة تونس خصبة وغناقرطاجنة القديمة يدل على ذلك وتحت الحماية الفرانساوية يمكن ان تزال جميع الحجب عن المنافع الطبيعية فى هاته البلاد وتنتشر بقوة وبشدة الترتيب الجديد نقدر ان نزيد اشياء أخر وهى انه اذا كان الباى يعتمد علينا فى الترتيب الداخلى فى المملكة فانا نفعل تعديلا لازما قارا وهذا الخير الذى يسهل علينا عمله منه ترتيب كيفية قبض المدخول وترتيب الخروج وترتيب دفاتر الحساب على مقتضى ما نستعمله نحن فى ماليتنا ومنه أيضا خير عظيم وهو ترتيب العدلية على الاصول التى فعلتها الدول فى ترتيب العدلية فى مصر وفائدة هاته التراتيب لا ترجع لفرانسا وحدها بل ان المملكة يرجع لها النفع وكذلك لجميع الدول المتمدنة التى نحن منها ومن غير فتح ولا حرب فلا شئ يمنعنا من عملنا فى تونس مثل الذى فعلناه فى جزائرنا والذى فعلته انكلاتيرة فى الهند اذا نحن جعلنا باى تونس متكفلا بمطالبنا الحقانية فهو دليل على ما نحسبه دائما من ان تونس مملكة مستقلة من غير ان نراعى بعض آثار للتبعية بالاسم فقط لبعض اسيادقد تركوها منذ مدة قرون وقد تظهر تلك التبعية نادرا ولو تحسب المدة التى هى فيها مستقلة لكانت أكثر من مدة التبعية ففى سنة ١٥٣٤ أخذها المشهور بباربوروس خيرالدين أربع أو خمس مرات بانتصاره على الاسبانيول وفى العام الذى بعده أخذها شارل كين وكذلك فى سنة ١٥٥٣ ثم أخذها داى الجزائر سنة ١٥٧٠ ثم أخذها دون جوان النمساوى سنة ١٥٧٣ ثم فى طول القرن السابع عشر كانت تحت ظل الانكشارية من غير حكم ورأساؤهم الموسومون بالدايات كانوا اذ ذاك أربعين فقسموها تقريبا كالمماليك الذين قسموا مصر ثم فى سنة ١٧٠٥ كان أحدهم المسمى بحسين بن على الذى اصله كريكى أوكرسكى صار مسلما وكان هو أحذقهم فعرف كيف يشدهم وقتل جميعهم واشتهر بالباى وبعصبيات العساكر أقام العائلة الحسينية ومن ذلك الوقت لم تزل الامارة فيهم على هيئة السيادة الاسلامية والآن ٢٠٠ سنة تقريبا وهم مستقلون والرابطة الحقيقية بينهم

وبين

وبين الباب العالى هى رابطة دينية وهم يعترفون بالخليفة الا انهم ليسوا تحت السلطان ومما يوضح هذا انهم لا يدفعون له اداء الا انه عند ولاية كل باى يرسل هدية غنية تعظيما لرئيس الديانة القاطن بالقسطنطينية وفى باقى مدة الولاية فلا مسئلة سياسية يمكن ان تذكر غير هاته التحية الودادية فليس لامير المؤمنين حق آخر على باى تونس والمملكة تعقد شروطا كدولة مستقلة مع الدول الاجانب وتعقد معهم اتفاقات ويكون لها قوة وذلك برضاء الباى فقط وعلى هذا النمط وقعت معاهدة مع فرانسا فى سنة ١٧٤٢ وكذلك فى العام الثالث والعام العاشر وفى سنة ١٨٢٤ وهكذا صارت المعاهدة المهمة فى ٨ اغسطوس سنة ١٨٣٠ التى تمنع ملك العبيد والتلصص فى البحر ولا يلزم التكلم على المعاهدات الباقية كالتى فى حق صيد المرجان وان الباب لا يحكم على الولاية الا حكما وقتيا وهو راض باستقلالها ومما يؤيد هذا انه فى القرن الثامن عشر لم يقبل تشكى دول اروبا من التلصص البحرى والسعى البربرى وليس له حكم عليهم وهو ليس مولاهم وهو لم يضمن السرقات التى فعلوها مخلة بتجارة البحر المتوسط وان دول أروبا عملوا الحرب عشرين مرة مع المملكة من غير عقد الحرب مع تركيا وفى سنة ١٨١٩ كانت معاهدة اكس لاشبيل قد حكمت على تونس بمنع التلصص البحرى من غير ان تطلب من الباب التداخل على انه متسيد على تونس وفى سنة ١٨٣٣ فمملكتا سردينيا ونابلى عملا الحرب مع تونس من غير عمله مع الباب لانهم يرون مثل ما نرى أن تونس مستقلة ثم ان علاقة تونس مع فرانسا من وقت أخذها الجزائر على النحو السابق من غير واسطة تركيا ولما قدم الينا أحمد باى فى سنة ١٨٤٣ اقتبل بكل ما يلزم من التعظيم للملوك والباب العالى لم يتوجع اذ ذاك من عملنا التعظيم الملوكى المذكور وكذلك جميع أروبا لم تلم على ذلك لان رأيها موافق لرأى اللورد آبردين الذى يقول فى تسجيله ضد أخذنا الجزائر المكتتب بتاريخ ٢٣ مارث سنة ١٨٣١ ان الدول الاروباوية من مدة طويلة يفعلون المعاهدات مع الدول البربرية مثل الدول المستقلين وخصوصا تونس فانها لا تحسب نفسها الا حرة والدليل الواضح الحق الذى لا ينكره أحد هو عمل القوانين فى تونس المسماة بوبورلدى وحلف عليها الباى الموجود بتونس محمد الصادق لما جلس على الكرسى فى ٢٣ أيلول سنة ١٨٥٩ مثل ما حلف اسلافه فان قانونا واحدا منها وهو المسمى بالقانون النظامى لمملكة تونس قد احتوى على مائة وأربعة عشر مادة وانتشر بالعربى والفرانساوى فى تونس وفى بونة ولم يصرح فيه ولا بكلمة واحدة

تقول السلطان ومع الا يقدران يشك أحد معه فى استقلال الباى ما انشر فى الصحيفة الرابعة من المقدمة فى ذلك القانون ونصه ان الموظفين الكبار التونسيين اختاروه بكلمة واحدة ليكون رئيس الدولة على مقتضى قانون الوراثة المعروف فى المملكة وفى ذلك القانون فصول تامة شرحت الحقوق والواجبات للملك وحالة الامراء من العائلة الحسينية وحقوق وواجبات الرعايا وكيفية خدمة الوزراء وترتيب خدمتهم والمجلس الكبير بالمملكة والمداخيل والحساب ولاشك ان من يطلع عليها يقدران يجد ذلك البيان غريبا اذا اراد ان يقيس على رأينا الاروباوى ومع هذا فهو دليل واضح على استقلال مملكة تونس وانها ليست تحت دولة اجنبية وجميع المعاهدات التى بين الدول الاروباوية ومملكة تونس منذ مدة الثلاثة قرون الاخيرة لم تقل ابدا الا مملكة تونس وملك تونس ومنها خمسة عشر أو عشرون معاهدة امضيت بفرانسا فيها ذلك القول وفى سنة ١٨٦٨ المعاهدة التى وقعت مع ايطاليا مذكور فيها مملكة تونس وتونس أيضا لم تسم نفسها فى قانونها النظامى الا الاسم الذى أطلقته عليها جميع الدنيا وهى ارادت ان توضح المزية التى لها بالاستقلال والقدرة الموافقة له فبناء على ما سبق من الادلة القطعية والمتعددة فالباب العالى لا يقدران يتعجب من انكار فرانسا سيادته على تونس مهما طلب هو ذلك حتى الى الآن ونحن نقر بان الباب شدد فى طلبه منذ خمسين سنة وفى سنة ١٨٣٥ ادخل تحت سيادته طرابلس بعد ما ضبط التحيير الهائل هنالك وأراد ان يعمم سيادته على تونس الا ان قوة فرانسا المضادة له منعته من مقصده وبعد عشر سنين أى فى سنة ١٨٤٥ اتا ما يجى السلطان الى تونس ومعه فرمان ليقلد الباى منصب الولاية الا انه لم يقبل منه ثم مضت عشرون سنة من غير تجربة جديدة ولكن فى أواخر سنة ١٨٦٤ رجعت التخمينات القديمة وانما هاته المرة كانت المملكة بنفسها هى التى طلبت التقليد ولكن هذا كان من الغريب اذ وقع من الامير الذى هو حتى لذلك الوقت بعينه وهو يظهر المدافعة عن استقلاله وهذا انما كان من الاشارات القوية التى خوفت الباى من حالته امام الباب فارسل لذلك أمير الامراء خير الدين الى القسطنطينية ليعرض ويأتى بالفرمان وهاته المرة أيضا فرانسا عارضت فى ذلك وعوضا عن الفرمان السلطانى فالباى ومستشاريه التزموا بالرضاء بمكتوب وزيرى متضمن لما فى الفرمان ثم اغتنموا الفرصة وقت مصيبتنا فى سنة ١٨٧١ وتمموا ما كانوا ممنوعين منه سواء كان فى مدة لوى فليب

الذى

الذى كان غالبا السطوله يمنع الاسطول التركى من القدوم الى تونس أوفى مدة الامبراطور الذى لم يقلل من العزم المشار اليه وفرمان ١٥ تشرين أول سنة ١٨٧١ الذى اتخذوه تحت ظل مصيبتنا اشتهر فى ١٧ تشرين ثانى فى باردو واعلن به خير الدين باسم السلطان وقبله الباى الذى كان طالبه له مع شىء من الغضب وفرانسا على كل حال سجلت بقوة وحسبت الفرمان باطلا أوكانه لم يقع ومن مدة عشر سنين لم تبطل شيأ من عملها عندما يقتضى الحال ومع نجاح الباب هو بنفسه له شك فى اجراء حق فرمانه بتاريخ سنة ١٨٧١ الذى ضرب استقلال مملكة تونس المتقادم وهذا الفرمان انتشر قليلا الا انه عند الغالب لا يعرف ماعدا بعض الدول الذين لهم فوائد نواوفى ترتيب الفرمان المذكور ان تونس تكون جزء تحت الباب مع ان حكم باى تونس باق كما كان يعرف من منذ مائتى سنة غير ان باى تونس صار واليا أى واليا عاما على ايالة تونس وعلى موجب ذلك فالوراثة فى الحقيقة لم تكن مستمرة فى العائلة الحسينية خلافا لما ذكره الفرمان بل الوالى يعزل بارادة السلطان ومن الممكن أن يعرف الباى ضرر ضرر مملكته وحريته وحياته التى هى غلطة كبيرة حسبما أشاروا عليه بها ومحمد الصادق ليس له خوف من جهة فرانسا ولو مع ماعمل من الش بها ومع هذا فهى ليست بضده لا لذريته ولا لذاته ولا لدولته وأما من جهة الباب فهو بالعكس وله الخوف الكبير منه لانه يمكن أن يبدله بحسب الحال انتهت لائحة وزير فرانسا واذا تاملها المتبصر وتدبر معانيها يجدها مخالفة للواقع فى كثير من الامور سيما بعض الاحوال النار يخية كما يتبين من مقابلة كلامه بماذكرناه فى تاريخ تونس وسياستها وصلتها مع الدولة مع المكاتيب الرسمية التى نقلناها حرفيا حتى من متوظفى فرانسا ويؤكد ذلك ماتراه فى لوائح الباب العالى الآتى بيانها فان الحالة لما بلغت الى درجة هجوم العساكر على الحدود تظاهر والى تونس بان أرسل اذ ذاك الى الباب العالى مكاتيب فى التشكى من فعل فرانسا وأرسل الى نواب الدول تفصيلا على ذلك أيضا ولما تحقق الباب العالى الاحوال الرسمية أرسل عدة لوايح الى سفرائه مستنجدا بالدول لمحافظتهم على معاهدة باريس التى أشرنا اليها سابقا وعلى معاهدة برلين ومما يفصح عن مقاصد الباب وحقوق اللائحة التى أرسلها وزير الخارجية بالدولة العثمانية الى سفراء الدولة ونص تعريبها القسطنطينية ١٠ مايس سنة ١٨٨١ ان اعلاماتى المختلفة عرفت فطانتكم الوقائع التى صارت فى المسئلة التونسية وقد نسيت بهجوم بعض القبائل البدو بجهة الجزائر ولهذا الهجوم

فالحكام التونسيون أعلنوا بانهم حاضرون ليضبطوه من غير تراخ فالدولة الفرنساوية حكمت بانه يلزمها ارسال عدد وافر من العساكر الذين قد استولوا على جزء كبير من الولاية ولم يبعدوا عن المركز الا بعض فراسخ فن غير التفات الى ما كنا أكدنا به على حضرة الباشا الى أخذ التدابير اللازمة لتمهيد الراحة فى المواضع الثائرة فدولة الجمهورية لاتريد أن تنظر للمخالطة الاقترانية بتونس مع السلطنة العثمانية التى هى محسوبة جزأمنها للسلطنة المذكورة وأظهرت بانها لاتقبل قولنا للاتفاق الودادى معها القطع الاختلاف الذى وقع وترتيب حقوق الباب العالى مع منافع فرانسا فى ذلك المحل وترتيب الاشياء الموجودة من زمن قديم ولا نقدر أن نزيد فى ايضاحها كما يلزم وهى سيادة السلطان التى ليس فيها اختلاف على هاته الولاية وهى سيادة لاتنكرها ولا دولة عموما وهذا الحق بقى الى الآن صحيحا ولم ينقطع من زمن فتحها وهو اذ ذاك سنة ١٥٣٤ بخير الدين باشا وفى سنة ١٥٧٤ تقليج على باشا وسنان باشا وكانت الدولة العلية أرسلت الى تلك المواضع قوة عظيمة براوبحرا ومن زمن ذلك الفتح فالتأسيسات التى فعلها الباب العالى هى ان جميع ولاة تونس يتوارثون الولاية من ذرية الوالى الاول المسمى من السلطان و يتقلدون الى الآن المنصب منه وفرمانات الولاية تبقى فى خزنة الديوان وكذلك جميع المكاتيب التى تأتى منهم للباب العالى فانها تارة تكون فى شأن مخالطتهم مع الدول الاروباوية وتارة تكون فى شأن أحوالهم الداخلية والتى لهاته المدة الاخيرة فان الباب العالى من استحفاظه على حقوقه زيادة على كونه يسمى الوالى العام فانه يرسل من القسطنطينية الى تونس قاضيا و باش كاتب الولاية ولم يكن الامن ترحم الدولة العلية ان منحت الوالى ان يسمى هو بنفسه هذين الموظفين وأيضا فاتباعا للمذهب وخصوصية سيادة السلطان فان الخطب يذكر فيها اسم جلالته و يضرب على السكة أيضا وفى وقت الحرب ترسل تونس الاعانة الى التخت وعلى حسب العادة القديمة يأتى الى القسطنطينية دائما أناس رسميون ليقدموا تعظيمات الوالى وخضوعه لاعتاب السلطنة وليقبلوا أيضا الاذن اللازم من الباب العالى لامور عظيمة فى الولاية ثم ان الباشا الموجود الآن والاهالى التونسيون طلبوا زيادة فى التفضل واعطى ذلك لحضرته السامية بالفرمان المؤرخ فى سنة ١٨٧١ وتعرف به جميع الدول والآن قد استغاث الوالى بجهده بسيده الحق ليعينه على الحالة الردية التى وقعت فيها تونس الآن وهاته الاشياء التحقيقية لاينكرها أحد فهل تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها بالتاريخ

وبالمكاتبات

و بالمكاتبات الرسمية هو سهل لكن نقتصر على المهم منها لئلا يطول الكلام فى هذا التلغراف ففى المعاهدات القديمة التى بين تركيا وفرانسا تعدد ألقاب الحضرة السلطانيه و يكون منها لقب سلطان تونس (فانظر مثلا) معاهدة ١٠ صفر سنة ١٠٨٤ هـ ١٦٦٨ م وفى هاته المعاهدات أيضا وجد بان كل المعاهدات التى بين الدولتين تجرى أيضا فى تونس وفى نصف القرن السابع عشر أى فى ١٥ صفر سنة ١٠٧٦ أرسل السلطان فرمانا للباى والحاكم الكبير بالولاية فى رضاء الباب العالى بان قنسل فرانسا يجمع خدمات قناسل الدول الذين لم يكن لهم اذ ذاك نواب بالقسطنطينيه كالبرتقال وكتالونى واسبانيا وفينيسيا وفرينسا وغيرهم والقنسل وكالته هى حماية السفن تحت الراية الفرنساوية فى المراسى المشهورة بالولاية والفرمان يمنع تداخل قناسل الانكليز والهولانديز وغيرهم من التداخل فى خدمة نائب فرانسا وذلك سند منع التعدى بين الباب العالى والنمسا المؤرخ فى ٩ رمضان سنة ١١٩٧ هـ المتقرر بمعاهدة ستوفا فى ١٢ ربيع الآخر سنة ١٢٠٠ فانه يأذن حكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب بان يحموا على اسم السلطان السفن المتجرية لسلطنة الرومان الفخيمة وأيضا فان الاتفاق الذى تقدم هذا السند وتم فى ٥ شوال سنة ١١٦١ هـ بالاذن من السلطان وكان هذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة المذكورة فان الوالى العام بتونس وهو اذ ذاك فى رتبة بكلر بيك ونال اسم على باشا يذكر فى مقدمة كل مكتوب يمضى عليه منه هاته الكلمات بعينها وهى (مولانا السلطان الغازى محمود) وعلى ذكر واقعات ذلك الزمان استطرد الحكم الاذن الصادر من الباب العالى فى ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٢٧ م لحكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب فانه يأمرهم أن لا يتداخلوا فى الخلاف الواقع بين سلطنة النمسا ومملكة المغرب وكذلك الاذن الصادر من القسطنطينية لوالى تونس فى ١٤ صفر سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٠ م فانه يأمر بترتيب العسكر النظامى بالولاية على نمط الترتيب العسكرى النظامى العثمانى وأيضا قد أتى مكتوب معين بالطاعة من الباشا التونسى لجلالة السلطان فى سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذى سماه السلطان والباطاما وقد انتشر هذا المكتوب فى جميع صحف أروبا من غير أن يعارض ولا من جهة واحدة ونزيدكم شيأ آخر وهو انه فى سنة ١٨٦٣ فى واقعة القرض التونسى الذى وقع فى باريس من غير رضاء الباب العالى كان رسيو دوار وان دولو يس وزير خارجية

الامبراطورنابليون الثالث قد أعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال انه يلزم اما الباشا بتونس أو الصراف الذى يريد عقد القرض معه أن يطلب رضاء الباب العالى ليصح هذا القرض وللمدافعة عن حقوق الباب العالى فان الوزير الفرانساوى أرسل يقول هذا الكلام للصراف المشار اليه وها نحن نضع بثبات الكلام السابق لدى ميزان العدل والحق الذى للدول الممضين على معاهدة برلين وانا المتحققون بان فكر الدول محيط بدلائل كثيرة فى الواجبات العمومية التى يقتضيها المؤتمر المحترم وانهم بر يدون أن يفصلوا بالعدل قولنا الذى قدمناه وانهم يحفظون على حقوق الباب العالى الاخرى المحفوظة بالمعاهدة المذكورة ويصلحون الحال بين الدولتين فرانسا وتركيا فى علائقهما التى لهما فى هاته الولاية المرؤف بها التونسية المتممة للسلطنة العثمانية والمرغوب من جنابكم ان تتكلم مع وزير الخارجية فى مضمون هذا التلغراف وتشرح له ماتراه نافعا ولكم الاذن بان تعطوا نسخة من هذا لجناب الوزير اذا طلبكم اه (الامضا مصطفى عاصم) ومن تأمل هذه اللائحة مع ماقررناه فى سياسة تونس الخارجية ومقاصد فرانسا فيها لايشك فى أن فرانسا لم تكن تنازع قط فى أن تونس من ممالك الدولة العثمانية واغاية دعواها وان تلك الايالة لها امتيازات جارية تحافظ هى عليها لاجل منافعها ويصدق ذلك تصريح وزير فرانسا دوارون دولويس فى مجمع فيينا اثر حرب القريم لما سأل وزير الروسيا عن تعيين الممالك العثمانية للعهد ببعضها ومثل بتونس وانه يترائ فيها نزاع فأجابه الوزير الفرانساوى بان لاشك ولانزاع فى كون تونس من الممالك العثمانية وان كانت لها امتيازات تخصها وكذلك المعاهدات المعقودة بين فرانسا وتونس حتى التى وقعت بعد الاستيلاء على الجزائر بمدة طويلة يصرح فيها بان سائر المعاهدات المعقودة مع الدولة العثمانية تكون مرعية الاجرا فى تونس ولا يعزب عن عاقل ان ذلك التصريح لاتحاد تونس بالممالك العثمانية ومع هذا كله لم يفد استصراخ الدول لان فرانسا لم تعلن بعملها الا بعد ان لمست أفكار أغلب الدول الكبيرة فوجدتهم غير معارضين اليها لان دولة انكلترة متولى زمامها حزب الاطلاق الذى لايرى نفع دولته فى المحافظة على الدولة العثمانية بعد ان طال تحريهم لها فى الحث على الجرى بان على مقتضى نصائحهم ولكنهم لم يروا العمل ودونك مانشر فى الكتاب الازرق من المخاطبات التى وقعت من الحضرة السلطانية ورئيس وزرائها ومع سفير انكلترة بالاستانة حسبما

أخبر بها وزيره بعدة تلغرافات تأتي بما تقدم فنها تلغراف من موسيو غوشن (سفير انكلترة الى وزير خارجيتها) بتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٨٨١ هاته ترجمته انى وجدت جلالته (أى السلطان) مشغول الفكر بهذه الافعال وبناء على ماعندى من الاذن أعلمت له بان الدولة الانكليزية تريد بقاء الحالة الموجودة فى تونس والنائب الانكليزى بتونس له الاذن ليرشد الباى اذا استشاره بان يعين فرانسا فى تقرير راحة الحدود وانى أرجو ان جلالته يشير على الباى أيضا بذلك فالسلطان سكت بعض دقائق ثم ظهر على وجهه الغضب وقال انه فهم من كلامى ان الدولة البريطانية تريد بقاء الحالة على ماهى عليه فى تونس وطمانع فى ذلك وفهم أيضا انا أشرنا على محمد الصادق بان يعين العساكر الفرنساوية فنبهت عظمته بانى ماقلت ان الدولة الانكليزية تنتفع بابقاء الحالة الموجودة ولكنها تظهر تمنى ذلك فقط على هذه الكيفية ونحن نتأسف كثيرا من فتح مسئلة جديدة فى الشرق وانا لانفتكر انه توجد فوائد خصوصية لانكلترة مربوطة باى كيفية كانت فى أحوال تونس فعند هذا أجاب السلطان بانه لم ير كيف يجمع بين رجائنا فى ابقاء حالة تونس على ماهى عليه ومع ذلك نشير على الباى بان يعين العساكر الفرنساويه فهذان الشيئان لا يتوافقان لانه على رأيه يكون دخول العساكر الفرنساويه الى تونس ناقضا للحالة الموجودة وفى تلغراف آخر من موسيو غوشن أيضا يقول فيه ان الجلسة التى وقعت بينى وبين باش وكيل كان يطلب فيها صحبة انكلترة وقال ان الدولة الانكليزيه تقدر أن تعمل مع الدولة العثمانيه المعروف وان الباب العثمانى يكون ممنونا اذا كانت انكلترة تريد أن تفعل معه ذلك فقلت له ان ما كنت قلته لكم قد وقع والذى كنت تقوله دائما هو انه يأتى زمن تكون فيه تركيا منذكرة بان صحبة انكلترة لها لازمة وقد تكلم على الحاجة الاكيدة الآن وتكلم أيضا على رد مودة انكلترة فتبعته وقلت ماهو دليل المودة الذى أظهرته تركيا لانكلترة منذ بعض سنين وفى أى وقت اتبعتم اشاراتنا وفى أى وقت قبلت استشاراتنا النافعة للسلطنة التركية نعم ان الترك قد عملوا غاية جهدهم ليتركوا المودة التى فى راى العموم فى انكلترة ورجوعها الآن ليس بسهل فحضرته العلية أجابت بان جميع الاشياء الآن تتغير من غير ان يظهر على وجهه الغضب من الكلام الذى قلته له قصدا واستمر فى طلبه الاعانة وانا شرحت له بان نازلة تونس مثل النوازل الاخر الشرقية ولا تقدر انكلترة على اتمامها وحدها ومع هذا فليس لنا فائدة خصوصية وسياستنا متمسكة بالموافقة الاروباوية ولا دولة تريد قسام

عمر جديد قبل ان تتم الاعسار القديمة وكل دولة تكون حازمة اذا كانت تفتش كل
واسطة لحصر النازلة التونسية في حدود ضيقة أقل ما يمكن لئلا تقوم نازلة تدخل فيها
الدول برأي مختلف فجنابه العالي يقدر يفهم من جملة كلامي بان ليس لي اذن لتقرير
الرجاء بان تكون الدول العظام الاوروباويه يظهرون أنفسهم مختلفين على نازلة مخابطة
بين الباب العثماني وتونس والطلب الخصوصي من انكلتره ليس يوافق لحالة الباب
العثماني منذ بعض سنين مع الدولة المشار اليها فهذا الخطاب كاف في بيان الحال مع
انكلتره وهي وان أظهر بعض أهل شوراها التنديد على سياستها وطلب المحافظة على
تونس وابقائها للدولة العثمانية وبين ما ينشأ لانكلتره من المضرة عند استيلاء
فرانسا على مرسى ابن زرت وعلى قربها من خليج السويس وربحان كفتها في البحر
الابيض لكنه لم ينفذ كلامه حيث كان من حزب المحافظين الذي هو مغلوب حينئذ
واحتجت عليه الوزارة بان حزبه هو الذي فتح الباب لفرانسا فان اللورد صالسبري الذي
كان وزير الخارجيه عند عقد مؤتمر برلين لما شاحته وزير فرانسا على استيلاء انكلتره
على قبرص أجابه بانه لا يعارض فرانسا اذا أرادت الاستيلاء على تونس فاذا يكون
استيلاء فرانسا بوعد انكلتره وقد غفل المستند لذلك عن كون الوعد من صالسبري
كان في سياق ان ترضى بذلك الدولة العثمانية صاحبة الملك مع الرضى العام لا اغتيالا
ومع ذلك فلانكلتره مقاصد على تونس مخفية في مصر فرأت ان مساعدة فرانسا على
تونس تلائمها في مقصدها في مصر عند الحاجة اذا ساعدتها فرانسا ولهذا
لم تعترف بالمعاهدة الجديدة مع تونس رسميا حتى ان وزير فرانسا الاوّل اعلن في
مجلس النواب بان انكلتره وافقت على معاهدة ما به استنادا منه لما دار بينهم
من الكلام فيها فاعلن وزير خارجية انكلتره حالا بتكذيب ذلك الادعاء وما ذاك
الا تحفظا على ما يريد لدولته حتى اذا لم تساعفه فرانسا في مصر وآل بينهم الامر
الى المشاحنة الحقيقية كان لانكلتره وجه في نقض ما حصل بتونس وأما دولة الروسيا
فلا اشكال انها يسرها كلما يضعف الدولة العثمانية ولا فائدة لها في مشاحنة
فرانسا ولذلك كان جوابها بمثل محصول جواب سابقتها وأما دولة المانيا فاجابت
خصوصيا بان الاولى للدولة العثمانية الاضراب عن هاته النازلة وانها هي لا تتعرّض
لفرانسا بشيء والباعث لها على ذلك وجوه (أولها) اظهار عدم التجافي عن فرانسا
التي لها عليها حقد أخذ الثار (وثانيها) جذب أعداء ومضادين الى فرانسا كالدولة

العثمانية

العثمانية وايطاليا حتى اذا أعلنت الحرب يوما ما بين المانيا وفرانسا تجد المانيا الظهير على قرنها اعبالذلك القاهر من الباعث الذاتي (وثالثها) اشغال فرانسا بفتوحات جديدة في أراضي فسيحة وخلق كثير في افريقيا ر بما طال اشتغالها بهم حتى يبرد لهيب أخذ الثار (ورابعها) اضعاف قوة فرانسا وقت الحرب اذ الامم الذين تريد التسلط عليهم وان لم يكونوا كفؤا لمحاربة فرانسا لخلوهم عن آلات الحرب والاستعداد لها لكنهم لما كانوا مسلمين وأهل نجدة وشجاعة ومثاقفة للحرب لا يلبثون دائما أن يحدثوا عليها ثورات سيما اذا علموا بوقوع حرب بينها و بين أجنبي فتضطر فرانسا في وقت الحرب الى أن تبقي قسما عظيما من جيشها محافظا على ذلك المستعمر وذلك يفيد المانيا بنقصان قوة جيش خصمها في حربها (وخامسها) تمهيد السبيل اليها فيما تريد المعاوضة به بينها و بين النمسا لان المانيا ليس لها مرسى على البحر الابيض وقد بقي من جنس الالمان تحت النمساوية ملايين حول الجهات التي بقرب مرسى ترست فلو أخذت المانيا ذلك الباقي من الالمان مع تلك المرسى يكون ذلك غاية أمانيها ولكن ذلك لا يحصل الا بحرب مع النمسا وقهرها أو بمعاوضة ذلك لها بشئ يرضيها من ممالك الدولة العثمانية مثل أخذها ولايات مقدونية ومرسى سلانيك الموازي ذلك لما يؤخذ منها حسبما أشيع ذلك مرارا ولذلك كانت المانيا أول من بادر لامرنا ثيها في تونس باتباع سياسة فرانسا فيها وتبعتها على ذلك أيضا النمسا لانها ليس لها سياسة تخصها في تونس وهي لها مع المانيا عقد محالفة اتحاد على الذب والاقدام ثم انها لها مطامح في جهة بحر الجزر لتتمكن فيه بمواقع مهمة لكي تسلم في مرسى ترست الى المانيا حليفتها حيث لم يكن لها مرسى في البحر الابيض كما تقدم ذكره فلا تعارضها فرانسا عند العمل وأما ايطاليا فانها تجرعت من ذلك الغصص وطوت على الضغائن التي لا تزال ولكنها لما كانت غير كفؤ بانفرادها لمعارضة فرانسا واتحادها مع الدولة العثمانية أيضا لا يجدي لاحتياج كل الى المال مع ما في الدولة العثمانية من الحالة الداخلية والخارجية التي أعقبها الحرب الاخيرة فلم يسعها الا السكوت وتحمل عرق القربة مع عظم الضغينة في عموم الاهالي والدولة اذ هي حريصة على ابقاء ما كان على ما كان في تونس وكانت عند ملاحظتها مبادي الشر عرضت بالسعي السياسي مع الدولة العلية فلم يكن من المقدر قبول الانتباه لما أرادت حتى أنكر الوزير العثماني على المأمور الطلياني التكلم معه

فى تونس وقال له انها تابعة لنا ولا دخل فيها لاحد وعند هجوم فرانسا صار يتملق الى ذلك المأمور لكى تمد ايطاليا اليد اليه فقال له مصداق المثل الصيف ضيعت اللبن وبعدما تهددت عبرت عساكر فرانسا حدود تونس معلنة بانها تريد تأديب قبيلة خمير من أعراب الجبال الشمالية عند حدود الجزائر ولم يتعرض لها أحد بالمصادمة لان حكومة تونس قد تقدمت حالتها الباطنية من التوافق مع فرانسا ومع ذلك فليس عندها تحت السلاح ألفا عسكرى ولا اقتدار لها على معارضة فرانسا بالقوة واستندت ظاهرا الى أمر الدولة العلية بارتكاب سبيل الملاينة وأظهر الوزير التونسى اذذاك التزام العمل برأى مجلس الشورى حيث فات الابان مع ان جميع ما يتفاوض فيه يقرره الى تابعه على ابن الزى ليلا وهو يقرره الى نائب فرانسا فكلما غزل المجلس غزلا نقضه لهم من هو بالمرصاد منهم حتى تعجبوا من اطلاعه على جميع أحوالهم وتمكنت عساكر فرانسا من بلاد الكاف وباجة وابن زرت وفى اثناء تلك المدة كانت الحكومة التونسية لاتزال تسجل وتشتكى وانها مستعدة لتربية قبائلها الذين هم فى نفس الامر انما اتخذوا وسيلة فقط ومع ذلك فقد أومز الوزير بواسطة تابعه المشار اليه الى نائب فرانسا بان لا واسطة مفيدة فى الدخول تحت فرانسا الا قدوم شرذمة من العساكر الى قصر الوالى والاحاطة به اذا النسوة لما ترى ذلك تصعق بالخوف فيضطر الوالى الى الامضاء على الشروط و يجد العذر عند الاهالى ومع ذلك أرسل خيرا بالسلك الكهربائى الى الباب العالى يقول انه قد علم ان فرانسا تطلب عقد شروط ولا يعلم ماهى فماذا يعمل فأجيب من الباب بان يحيل كلما يطلب منه على الباب العالى ولا يمضى شيأ وقبل ذلك أشاع أصحاب الاخبار ان فى عزم الدولة ارسال خير الدين باشا الى تونس معتمدا فى حسم النازلة لمعرفته بأحوالها وسياسة الاهالى والاجانب ولكى يكون عونا على ابقاء الحالة المعروفة فأرسل الوالى تلغرافا الى الباب يطلب أن يكون المرسل غير المشار اليه وتعجب كل غافل عن المقاصد الخفية من ذلك الطلب اذ تلك الحالة لاتدع مجالا للشخصيات سيما وقد سبقت من خير الدين الى الوالى المشار اليه المجاملة وعدم الاكتراث بما فعل معه عند حلوله بالاستانة وترقيه فيها لكن المطلع على الباطن زاده ذلك تيقنا فى التواطئ على تلك الاعمال لان وجود مثل خير الدين فى تونس لا يروج عليه ما يروج على غيره ممن لم يتأذن طبائع الشقين ومع مجاراة الباب العالى وتقليله لموانع النزاع قدر الامكان لتأمين الوالى حيث أظهر الميل الى الدولة

فانه

فانه أى الوالى أسرع الى امضاء الشروط مع فرانسا والحال ان مدد الخبر من الباب العالى بنهيه عن الامضاء لم يصف ولم يخبر الباب بعد ذلك بشئ حتى ساله عما شاع من امضائه فاجابه بانه مكره عليه وكما ورد بعد ذلك من الباب سلمه الى نائب فرانسا مدعيا ان الشروط قاضية بذلك (وهذا نص تعريب المعاهدة) ان دولة جمهورية فرانسا ودولة باى تونس أرادوا أن يقطعوا بالمرة التحيير المخرب الذى وقع قريبا فى حدود الدولتين وفى شطوط تونس وأرادوا أن يربطوا مخالطتهم القديمة التى هى مخالطة مودة وجوار حسن فاعتمدوا على ذلك وعقدوا معاهدة فى نفع الجهتين المهمتين فعلى موجب ذلك رئيس الجمهورية الفرانساوية سمى وكيله موسيو الجنرال بريار الذى يتفق مع حضرة الباى السامية على الشروط الآتية (أولا) المعاهدات الصلحية والودادية والتجارية وغيرها الموجودة الآن بين الجمهورية الفرانساوية وحضرة الباى يتحتم تقريرها واستمرارها (ثانيا) ليسهل لدولة الجمهورية اتمام الطرق للتوصل الى المقصود الذى يعنى الجهتين العظيمتين فحضرة الباى ترضى بان الحكم العسكرى الفرانساوى يضع العساكر فى المواضع التى يراها لازمة لتقرر وتقرر جميع الراحة والامان فى الحدود والشطوط وخروج العساكر يكون عندما يتوافق الحكم العسكرى الفرانساوى والتونسى على ان الدولة التونسية تقدر على تقرر الراحة (ثالثا) دولة الجمهورية تتعهد لحضرة الباى بان يستند عليها دائما وهى تدافع عن جميع ما يتخوف منه لضرر ما اما فى نفسه أو فى عائلته أو فيما يعير دولته (رابعا) دولة الجمهورية الفرانساوية تضمن فى اجراء المعاهدات الموجودة الآن بين دولة تونس والدول المختلفة الاروباوية (خامسا) دولة الجمهورية الفرانساوية تحضر نحو حضرة الباى وزيرا مقيما لينظر فى اجراءات المعاهدة وهو يكون واسطة فيما يتعلق بالدولة الفرانساوية وذوى الامر والنهى التونسيين وفى كل الامور المشتركة بين المملكتين (سادسا) ان النواب السياسيين والقناصل الفرانساويين فى الممالك الخارجية يتوكلون ليحموا أشغال تونس وأشغال رعيتها وفى مقابلة هذا فحضرة الباى تتعهد بان لا تعقد معاهدة عمومية من غير أن تعلم بها دولة الجمهورية ومن غير أن يحصل على موافقتها من قبل (سابعا) دولة الجمهورية الفرانساوية ودولة حضرة الباى أبقوا لانفسهم الحق فى أن يوسسوا ترتيبا فى المالية التونسية ليمكن لهما دفع ما يلزم الدين التونسى العام وهذا الترتيب

يضمن فى حقوق أصحاب الدين التونسى (ثامنا) ان غرامة الحرب يغصب عليها القبائل العصاة بالحدود والشطوط وتفعل دولة الجمهورية مع حضرة الباى فيما بعد شروطا على كميتها وكيفية دفعها ودولة حضرة الباى تضمن فى ذلك (تاسعا) للمدافعة على منع ادخال السلاح والآلات الحربية للملكة الجزائرية الفرانساوية فدولة باى تونس تتعهد بان تمنع دخول الاشياء المشار اليها من جزيرة جربة ومرسى قابس وسائر المرسى الجنوبية فى المملكة (عاشرا) ان هاته المعاهدة توضع لدى رضاء دولة الجمهورية الفرانساوية وترجع فى أقرب مدة ممكنة لحضرة الباى السامية حرر فى ١٢ مايس سنة ١٨٨١ بالقصر السعيد الامضا محمد الصادق باى والجنرال بريار والذى يؤكد صدق التواطئ من قبل ان الوالى طلب ظاهرا من نواب فرانسا وهما أمير العساكر والقنصل أن يمهلاه مدة للتأمل من حالة الشروط فاجابه القنصل بانه لا داعى الى ذلك حيث ان الشروط عند وزيرك منذ مدة وتأملتها أنت وهو ولم يبق الا الامضاء ويؤيده أيضا ان رئيس المجلس البلدى السيد محمد العربى زروق أحد أعضاء مجلس الشورى أصر على عدم الموافقة على امضاء الشروط وألح على الوالى بذلك عند جمعه للمجلس وأمير عسكر فرانسا منتظر لابرامها ونصحه بان ما يخشى منه بعدم الامضا سيقع لا محالة بعد الامضاء فالتمسك بالبراءة الاصلية أسلم وأشرف وعورض بانه قد علم ان الوالى اذا لم يمض يولى الفرانسيس عوضه أخاه الثالث (محمد الطيب باى) لانهم أكدوا ان له اتفاقا مع الفرانسيس فاجاب بان جميع الاهالى لا تطيع الوجه المذكور وعلى فرض قهرهم يكون الوالى على شرفه وربما اضطرت الدول الى التداخل بوجه يحسن الحال فلم يلتفت لكلامه وعزل أثر ذلك من جميع وظائفه وجعلت عليه مراقبة فى داره وحجر عليه مخالطة الناس وتحقق مزيد الاضرار به الى ان احتمى بقنسلاتو انكلاتره وسافر عن وطنه وأقام بالاستانة ويشهد صراحة للتواطئ ما صرح به البارون بيلنك الفرانساوى فى تشرين أول سنة ١٨٨١ بما وقع فى هاته المسئلة وانه كانت أرسلته دولته حيث كان أحد مأمورى الوزارة الخارجية لاستقراء أمر تونس وذلك فى كانون ثانى سنة ١٨٨١ وان الوالى أجاب اذ ذاك فرانسا بانه يقبل الشروط اذا كان الواسطة فيها هو فرديناند لسبس لانه كان يؤمل بواسطة المذكور الحصول على شروط أوفق له وان الشروط اذ ذاك كانت غير التى قررت الآن ومع ذلك كله لم تعلم الدولة العلية بشئ وبه يعلم

صدق

صدق الكلام في اضمار الوزير التونسي الشر للدولي بالخصوص حيث دافعت عن
الحق ونصحته بما يقتضيه الدين والامانة ثم كانت فاتحة أعمال نائب فرانسا عند امضاء
المعاهدة أن طلب من الوالي نفي علي ابن الزي حالا لكي لا يبيح بما وقع من الاسرار التي
اطلع عليها فنفي الى حصن قابس ثم توجه الوزير ابن اسماعيل الى باريس في سفينة
فرانساوية حربية شاكرا لانعام فرانسا بتلك المعاهدة ومعلنا لها بانه يصدق في خدمتها
أزيد مما كان يبذله سابقا كذا في عبارته الرسمية عند ملاقاته رئيس الجمهورية
المنشورة في الصحيفة الرسمية فقلدته فرانسا باكبر نيشان لها مع الشريط الكبير
ورجع الى تونس ولم يلبث بضع أشهر حتى ورد الامر على الوالي من وزير فرانسا بعزل
وزيره ابن اسماعيل لان نائب فرانسا بتونس توجه الى باريس وتفاوض مع دولته
فيما يسلكونه في تونس حيث ان الاعراب والجهات الجنوبية أعلنوا بان الوالي لما
بغى على الدولة العثمانية بدخوله تحت حماية فرانسا فهم لا يطيعونه لانهم بايعوا أمير
المؤمنين سلطان الدولة العثمانية قديما وحديثا فلا يحل لهم الخروج عليه وهرب
على الوالي جميع عساكره فاضطرت فرانسا لتعبئة الجيوش لتطويع الاعراب وكان
من جملة التدبير عزل ذلك الوزير الذي توقعوا منه أن يفعل معهم مثل ما فعل مع البلاد التي
وصل فيها الى تلك الدرجة وتحقق الوزير ما ضرب من المثل بوزارة العلقمي وان
كان هذا أي ابن اسماعيل قد احتاز بجميع خزائن أمراء تونس حتى كان آخر ما بقي
للوالي من نفائس الجواهر عقد لؤلؤ منتظم سبحة بها مائة حبة مع حلية زمرد محلاة بها
الياقوت الابيض فاعطاهما اليه عند سفره لباريس بعد العزل المذكور ورام بسفره
ارضاء فرانسا عليه وارجاعه الى الوزارة وبقيت البلاد الى الآن في حيرة واضطراب
ودخلت العساكر الفرانساوية الى قصبة الحاضرة والى منازل العساكر في المدينة وأمام
قنصلاتو فرانسا وسكن رئيس العساكر الفرانساوية بدار المملكة في بطحاء القصبة
وصارت الحكومة لا تتصرف في شيء الا بامر الوزير الفرانساوي سواء كان في الداخلية
أو في الخارجية وتفاقم الضرر بولايات غير الاهل في الوظائف بوسائل غير مرضية وعظم
الكرب على القبائل والبلدان بما حصل فيهم من العساكر الذين أقاموا بالقيروان
وسوسة وهدموا صفاقس وخرجوا من قابس بعد دخولها وعادوا اليها ونسأل الله ان
يتدارك بالطافه ويحسن العاقبة ومما ينبغي التنبيه اليه هنا ان الاحوال السياسية التي
أشرنا اليها مع الدول سيما مقاصد المانيا لا يمكن ان تخفى على أمة عاقلة مثل

الفرانساويين فكيف مع ذلك قدموا على تبوء تونس مع كون الفائدة التي تحصل لهم منها لا توازي ما ذكرناه سيما اذا كانت المعاهدة مع تونس التي ذكرناها تجري حقيقة على ظاهرها فالجواب ان كثيرا من عقلاء الفرانسيس قد نددوا على دولتهم ولا زالوا في الاعتراض عليها لكنها بعد الوقوع في الامر المتسبب عن تهور من بيدهم مقاليد السياسة حتى اتهمهم مضادوهم من نفس الفرانسيس بان لهم في ذلك أرباحا ذاتية من التجارة في الرقاع الدولية وموهوا على العامة بالانتصار لحفظ ناموس فرانسا فبعد ذلك صعب على الدولة اهمال سعيها مع ما خسرته من الاموال المتجاوزة مائة مليون ومن الرجال الذين ماتوا بالحرب مع الاعراب وبالامراض المتجاوزين خمسة وثلاثين الفا فرأت فرانسا التحفظ على ما وقع مع السعي في حسن السلوك الذي يخفف أو يدفع عنها الغوائل المنتظرة ثم وراء ذلك أمر هو مجد الفرانساوهو طمعها في احداث مملكة عظيمة في أفريقية مثل ما للانكليز في الهند فتريد ان تمتد من الجزائر الى ما جاورها شيأ فشيأ الى ان تصل الى دواخل أفريقية والسودان وتصل بين شاطئ افريقية الغربي في سانيغال والشرقي في الجزائر وتونس حتى رسمت جمعية فرانساوية رسما للخط الحديد في ذلك ولو يتم هذا يكون لفرانسا شأن عظيم غير ان القياس على الهند الانكليزي هو قياس مع الفارق لا من جهة سياسة الفرانساويين في مستعمراتهم من حيث قلبها الى عوائد الفرانسيس وانا طتها الادارة في الكليات والجزئيات بباريس ولا من حيث أخلاق الامم المستوطنين بافريقية والمستوطنين بالهند وان شئت الوقوف على برهان ذلك فانظر ما حررناه في أحوال الجزائر وفي أحوال الهند وسياسة كل من الدولتين يتبين لك حقيقة الحال وبما ذكرناه هنا يندفع الاعتراض على ما ذكرناه في سياسة تونس الخارجية من كون فرانسا لا تريد الاستيلاء عليها مع كون أعمالها اقتضت ذلك وشرح الدفع يؤل الى أن الحامل لدولة فرانسا على مخالفة ما سبق من مقاصدها في تونس شيآن أحدهما سياسي ظاهري والآخر خصوصي باطني فالباطني هو المشار اليه بما وقع من التهمة في نفع الافراد الذي يأتي له مزيد شرح في مبحث الاحكام والظاهري هو أن الدول قد تغيرت أفكارهم بالنسبة لمحافظة الدولة العثمانية منذ عقد معاهدة برلين فدلت أعمالهم على ان من ناسبه شئ منها وكانت له قدرة على حوزه بادر اليه وغض عنه النظر بقيتهم اذا كان الحوز أكثر مناسبة بالحائز وقد علمت مقاصد فرانسا في تونس ورأت ان ابطالها الماعن المقاصد والمناسبات ما أزعجها ثم رأت سيرة ابن اسماعيل وانه غير

أمين

أمين فلا يبعد ان يفعل مع ايطاليا أو غيرها من الدول ما فعل معها الخوف أو طمع مع تيسر اجراء الامور بواسطته فانتهزت الفرصة خوفا على درجة نفوذها فبادرت قبل ان تبادر ومن المعلوم ان السياسة تدور مع الاحوال الحاضرة ولله عاقبة الامور

الفصل الخامس

﴿في عوائد أهالي فرانسا وصفاتهم﴾

(اعلم) ان الاهالي أصلهم القديم مجهول غير انهم لما هجمت القبائل الشمالية الشرقية من آسيا على أروبا تسلطت منهم قبيلة الافرنج على فرانسا بعد ان اناخت في البلجيك ولازالت تتقوى الى أن ملكت جميع فرانسا واتحدت القبائل الاخر معها بالنسل والاسم كما تقدمت الاشارة اليه في مبحث التاريخ وكان لهم اذ ذاك شهرة بالشجاعة والتقدم بالحرية حتى كانوا أول من كثرت مخالطتهم من الاروباويين بالعرب وأهل المشرق ولذلك ترى ان اسم الافرنج يطلق على جميع أهل أروبا عند جميع المشرقيين والعرب وذلك بابدال السين جيما لان أصل الاسم افرنك فقلبت الكاف سينا عند نفس الامة ثم حرف في الترجمة في لسان المشرق وصار افرنج وذلك الاشتهار كاف فيما كان لتلك الامة من التقدم وحب الاسفار والتجارة ولازالوا على ذلك الى الآن لكنهم يؤثرون الاقامة في وطنهم عن الاقامة الدائمة بغيره ولهذا تراهم أقل أهالي أروبا استيطانا في سائر الممالك اذ أمريكا التي هي ذات ثروة وأمن وقليلة السكان بالنسبة لاتساع الارض بها جر اليها استوطنها من الانكليز والالمان والطليان وغيرهم خلق كثير يتجاوز مئات الالوف وأقل القليل من المهاجرين هم الفرانساويون بل ان ذلك حاصل ولو في مستعمراتهم في الاقاليم اذ الجزائر الآن تحت سلطتهم نيفا وخمسين سنة ومع ذلك لا يوجد منهم فيها الا نحو مائتي ألف أو ينقصون وانما بلغوا ذلك العدد بعد استيلاء المانيا على الالجاس واللورين فرغبت دولة فرانسا أهالي ذينك الاقليمين للالتحاق بها بان تعطيهم جميع حاجتهم مع الاراضي الخصبة الوسيعة في الجزائر وحيث كان في ذينك الاقليمين كثير ممن لا يريد الانفصال عن فرانسا الى المانيا هاجروا الى الجزائر ومكنتهم الدولة بارزاق العرب الذين استأصلت أموالهم بدعوى الخروج عنها والعصيان عليها ومع هذا الترغيب فانما كان عددهم ما أشير اليه لولوع القوم بوطنهم في السكنى وان كانوا منتشرين في سائر الاقطار للتجارة والسياحة كما انهم لهم ولوع زائد بالتفاخر بمدينة

باريس التي يحق لها الفخر ويسر كل فرانساوى مدحها وان لم يكن من أهلها وهذا الطبع وهو حب التفاخر وان كان طبيعيا فى البشر لكن بعض الامم فيه أزيد من بعض كما هو فى الافراد فالفرانساويون ذوو نخر ونشاط الى الاعمال وسرعة الى تبدل الاراء والافعال حتى أورث ذلك فيهم كثرة الانقسامات فى الاحزاب السياسية وقد ذكرت صحيفة الديبا عدد أحزابهم فى السياسة فاذا هى أربعة عشر حزبا أحد اطرافها حزب الاشتراكيين أى الذين يريدون ان يكون الناس كسائر الحيوانات السائمة مشتركين فى جميع ما بايديهم ولو النساء ولا يستأثر أحد عن أحد بشئ والطرف الثانى الاستعباد التام لشخص ملك يتصرف فيهم تصرفه فى الاثاث والمتاع وما بين ذلك درجات أقواها الآن حزب الجمهورية المضبوطة على نحو ما تقدم فى السياسة الداخلية ويليه حزب المالكية القانونية وان كان فى ذاته له عدة اقسام من اتباع عائلة بونابارتى واتباع عائلة أورليان أو البربون الى غير ذلك ولا تفتر أيها المطالع بكثرة أولئك الاحزاب فى ضعفهم مع من ناواهم من الخارج فانهم اذا رامهم أجنبى يكونون عليه يدا واحدة فاذا انفصلوا منه عادوا الى الشقاق بينهم ولولا هذا الشقاق لزادوا قوة ونفوذا فطباعهم مهذبة ومعارفهم متزايدة وتجارتهم وفلاحتهم متقدمة للغاية حتى أقر لهم بذلك اضدادهم وهم لين الجانب بشوشون فى الملاقاة غير انهم يتجبر قسم منهم على من تسلط ه الفرانساويون عليه وفيهم كثير من المؤتمنين الناصحين العقلاء مثل من رأيناهم قدموا الى بلادنا متوظفين وأحسنوا السيرة والانصاف والنصح الى وطننا ومن الانصاف الوفاء لهم بالذكر الجميل فمن هؤلاء صاحب رتبة الوزارة فيليت الذى قدم الى تونس بصفة محتسب عام مالى عندما انشئ الكومسيون المالى فابدى من نصح الوطن والوقوف على حقوقه ودفع الغوائل عنه ما لم يصله كثير من أعيان ابناء الوطن مع العفة والصدق وسعة المعرفة وعلى قدمه من أتى بعده بتلك الوظيفة وهو ابلان ومثله كابى الذين شهد لهم كل ابناء الوطن بالاستقامة والانصاف بحيث يصح ان يقال ان دولة فرانسا تخير لوظيفة الاحتساب المالى من هو جدير بها ولا مطعن فيه اذ كل من الثلاثة هو من متوظفى دولة فرانسا فى الاحتساب العام المالى وعلى نحو من هؤلاء صاحب رتبة الوزارة فالات الذى قدم الى تونس بوظيفة نائب سياسى سنة ١٢٩٠ فابدى من أوجه الانصاف ومساعدة الحكومة والاهالى على حقوقهم ما لهجت به السن الثناء عليه من جميع أبناء الوطن وقلما يرد مثل هؤلاء الى وطننا لتحاميهم عن المقاصد السيئة

واتباعهم

واتباعهم للانصاف فدولتهم تقتصر بهم على وظائف داخليتها ومن مشاهير رجال
سياستهم فى عصرنا ممن اجتمعت به وله صيت بين الامة الفرانساوية كنبيتا رئيس
مجلس النواب وممن أدركناه أيضا زيادة على نابليون الثالث الرجل الشهير بالسياسة
والمعارف تيرس وقلما تحدث أفراد مثله وان كانت المعارف والتقدم حاصلة الى العموم
ومع ذلك فلا يزال فى فرانسا خلق كثير على السذاجة والجهل ودونك حكاية طريفة
تقيس عليها ما يقرب منها ففى سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م كان أحد أصحاب العمل
باليد مشتغلا بجهة باريس وكان له ابن مشتغل بجهة بردو فلم يوفر الابن من كسبه ما يشترى
به حذاء أفأرسل الى أبيه يشتكى له الفقر ويطلب منه شراء حذاء له فاشتراه له وحمله فى
الطريق وهو مفكر فى كيفية ايصاله اليه فبينما هو ماش اذ مر محاذيا للسلك الكهربائى
فقال هذا أسرع طريق الى أن أحمله الحذاء وهو يوصله لابنى فجاء الى عود السلك وعلق
فيه الحذاء وأسر الى العود بقوله أوصل هذا لابنى فلان فى المكان الفلانى وذهب
مسرورا باطلاعه على مسلك سهل بلا مصروف ثم مر من غد متفقدا ما فعل السلك بالحذاء
فوجد فى ذلك المكان حذاء عتيقا افناه اللبس ففرح وقال ان ابنى لعاقل حيث أرسل
لى الحذاء القديم لاستعين به على ثمن الجديد فانظر لهاته البلاهة التى لو صدرت من أحد
المشرقيين اشنعوا بجميع الجنس بانه وحشى بعيد عن المعارف وتهذيب الاخلاق واعلم
ان مثل ذلك الرجل كثير سيما فى القرى الصغيرة والجبال بل وفى أهل المدن كثير من
يعتقد بالخرافات الباطلة ويعتقد التأثير لاحجار وجمادات ويتشاءم بالاوقات فقد رأيت
فى كثير من بلدانهم وبلدان الطليان وكذلك الانكليز طاقات فى حيطان فيها منارات
توقد ليلا بالزيت أو بالشمع العسلى تقربا الى بعض أوليائهم أو الجن معتقدين حلول
المتقرب اليه بتلك الطاقة ولا ينورونها بغير ما ذكر من الانواع لان القسوس يقولون لهم
ان شمع الشحم أو الغاز من البدع التى لا يتقرب بها وكذلك يطلبون الحظ وقضاء
الحاجات من جمادات أو اماكن لاعتقاد حلول أرواح فيها وقد ذكر من هذا النوع فى
كشف المخبا عن فنون أوروبا ما يتعجب منه السامع مما ترى الاوروباويين ومن تشكل
بشكلهم وتباهى بتقليدهم يحملون عيبه على البلاد الاسلامية وحدها ويجعلونها
مضرية ويتزهون أوروبا عن مثلها مع انها حاوية لشبهها ولاشد منها بل ربما اسند ذلك
الجاهل أو المتجاهل الى ديانتنا الشريفة وحاشا لله ان تؤدى أو ترشد لمثل ذلك بل انها
هى الهادية والمنقذة من غياهب الجهل الى نور المعارف الحاثة على العلم وفتح البصائر وقد

أفردناهذا تأليفا خاصا واعلم انا لانقصد من ذكر ما مر نسبة الجهل بالمعارف الدنياوية الى عموم الفرانساويين أو ترجيح كفتنا على كفتهم كلا بل الحق ان الناس على ثلاثة طبقات فاهل الرفعة وأشراف القوم من ذوى البيوت العالية بالتوارث فى الوظائف أو كثرة المال والترف تجد أغلبهم مقتصرين على معرفة مبادى العلوم ومحبين الى انفاذ الاغراض وزيادة علو الصيت والرعاع من أهالى الجبال والقرى والبوادى أغلبهم أيضا جهلاء ولا فكر لهم الا فيما ينفع كل فرد فى خويصة نفسه والطبقة الوسطى هى محال التمدن والمعارف والصنائع والتقدم وهم أيضا أصحاب الترجيح السياسى فى فرانسا وهاته الطبقة هى المتقدمة بالنسبة لمشابهتها فينا فهى فيهم أرجح ميزانا وأهلها كثيرون بالنسبة لاهلها عندنا وبالنسبة الى نفس أهاليهم أيضا فترى عدد أهل المعارف يزداد ويترقى يوميا وأهل هاته الطبقة عندنا مشاكلون فى الصفات لاهل الطبقتين الآخرتين
* كما ان أهل الطبقة العليا عندهم أوسع تبصرا ومعرفة منها عندنا (وأما بقية) عوائد الاهالى فهى على نحو من عوائد الطليانيين فى السلام والحياء والاجتماع والرماية والفروسية وغير ذلك وقد كانت فيهم تربية حسنة من التواضع بينهم ولين القول لكن منذ سحنت الحكومة الجمهورية تظاهر فيهم التهور شيأ فشيأ حتى انى أدركت ذلك ما بين سنة ١٢٩٣ وسنة ١٢٩٥ فقد رأيت من اخلاق الطبقة السفلى من الناس كالكراسية والحمالين والسائلين ما لم نعرفه منهم فى السنة السابقة وقلت السائلين مع انهم يمنعون السؤال للفقراء لوجود أماكن المرحمة للعاجزين ومن يباح له السؤال تجعل له علامة تؤذن باباحته ولا يكون الا ناقص عضو أو حاسة وغيرهم يتحيلون على السؤال بعزف آلة طرب أو اهداء باقة زهر أو نحو ذلك من غير الحاف فى السؤال حتى اذا رأت الضابطية واحدا الحامنته أو سجنته وفى السنة الثانية رأيت تغاضى الضابطية عن ذلك وعن سوء معاملة الكراسية للركاب حتى يكون بعضهم سكرانا ويتكلم الكلام الفاحش ولا يتعرض له أحد كما رأيت فى هاته السنة عدة مواطن للتشاكم والتلاكم وبعضها وقع فيه الضرب بالحديد ومات فيه المضروب وفى بعض الاوقات يركض الكراسى ركضا زائدا يمكن ان ينشأ منه الضرر بالمارة وكل هاته الاشياء ممنوع ولم نر منه شيأ فى المرة الاولى لكن الدعوى بمزيد الحرية التى تتبع الجمهورية أورثت ذلك الاهمال المفضى الى التهور والخروج عن الاعتدال كيف لا وأحد احزاب الجمهورية يطالب المصير لما عليه الحيوانات العجم من الاشتراك وقد ذكر لى انه كان وقع مثل ذلك

الحزب

الحزب فى احدى مدن أروبا العظيمة وثار على الحكومة واقتحم منازل الناس وكان فى تلك البلاد أحد الاغنياء المشهور بالثروة حاذقا فطنا فأخذ عدة اكياس بالسكة الفضة وجلس عند باب داره وكلما مر عليه انسان أعطاه فرنكا فجاء جمع من الثائرين فقال لهم انى منكم وقد حسبت مالى فاذا هو كذا كذا مليونا وأهل المملكة مساوون الى هذا العدد فيصح لكل واحد فرنكا فكل من أتى أعطيته حصته ولا يسوغ ان أعطى لاحد منابا غيره فلم يسعهم الا الرضا وتخلص من نهب أمواله وتشتيتها ومن قتله بيعض آلاف فرنك دفعها الاولئك الثائرين الى ان قهرتهم الحكومة واضمحل أمرهم ومن تفاخر الاهالى اتقان الاغنياء للكرار يس وبعضهم يجر كروسته أربعة أوثمانية من الخيل بسائق واحد وبعضهم يكون هو السائق بنفسه وتجد بعض هاته الكراريس تركب اثنى عشر راكبا فاربعة داخلها مثل المعتاد وأربعة على سطحها على كراسى لازمة كل اثنين على كرسى مثل الاسفل غير ان ظهورهم لبعضهم واثنان على كرسى السائق واثنان على كرسى الخدمة من وراء وفى قعر الكروسة محل لرفع ما خف من المأكول واللوازم فيركب صاحب الكروسة مع خواص عائلته وأحبابه وما يلزمهم لتنزه يوم ويذهبون لاحد المتنزهات خارج البلاد ومن عاداتهم ايضا انهم يتأنقون فى ظرافة الملبس والاثاث والبناء وتنظيمه وترتيبه وينشئون المتنزهات وأماكن الارتياح ليشترك فى فائدتها الحقير والعظيم وان كان لكل جهة كالقهاوى فما كان منها للعظماء زاد فى سعر ما يعطيه واتقن آلاته حتى لا يزاحم الفقير الغنى لكثرة المصرف من غير تحجير حكمى بحيث يصح ان يقال ان اللاذ والنزهة عند الفرانساويين ينال منها الحقير حظه وهى مشهورة يعرفها الوافد بادنى سهولة مع كثرتها وتهيئها الى قبول كل أحد

مطلب

﴿فى التجارة﴾

(اعلم) ان تجارة فرانسا لها الرتبة الاولى فى سائر أقسام المسكونة ولهم براعة تامة فى ادارة الاشغال ولكن الاصول فى ذلك هى ما قررناه فى ايطاليا غير انها هى فى فرانسا أقوى واروج وتسبب عنها كثرة الثروة والغنى المفرط حتى صارت شركات تجارتهم لا يخلو منها اقليم من العالم وبواخر بريدهم تخترق سائر البحور ودونك أنموذجا على مال الفرانساوين من الغنى فان دولتها اعدات المسكوكات الرائجة فيها سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م

فكانت كما ترى

فرنكات	
٣١٠ر٩٤٧ر١٩٠	صرف قطع فضة بخمسة فرنكات
٩٦٥ر٠٥١ر٣٩٠	صرف قطع ذهبا الواحدة بعشرة فرنكات
٦ر٩٦٤ر٠٨٠ر٣٦٠	صرف قطع ذهبا الواحدة بعشرين فرنكا
٠ر٣٠٤ر٤٢٢ر٣٦٠	صرف قطع ذهبا الواحدة باربعين فرنكا
٠ر٠٤٦ر٥٦٨ر٧٠٠	صرف قطع ذهبا بخمسين فرنكا
٠ر٠٤٤ر٣٤٦ر٤٠٠	صرف قطع ذهبا بمائة فرنك
٥ر٣٦٧ر٤٧٧ر١٩٠	صرف قطع فضة من نصف فرنك وفرنك الى الاربعة فرنكات وقطع نحاس لاتمام الكسور
١٣ر٨٠٣ر٨٩٣ر٤٩٠	

فذلك من عين السكة خاصة عدا آلاف الملايين من قطع الاوراق المعدودة عوضا عن السكة من بنك الدولة وهاته الاوراق لها اعتبار أحسن من السكة لخفة مؤنتها فتزيد في الصرف نصفا في الالف وتروج في سائر الاقطار مرغوبا فيها لدى الصرافين وفي خصوص فرانسا وايطاليا وسفيسرا والبلجيك يرغب فيها حتى غير الصرافين أما غيرهاته من الممالك فانما تعتبر عند الصرافين فقط ويؤيد اعتبار غناها ما ذكرناه في غرامة حربها مع المانيا وكذلك سنة ١٢٩٨ ﻫ ١٨٨١ م طلبت دولة فرانسا استقراض ألف مليون فرنكا فاحضر لها الصرافون وأرباب الاموال ما اكتفت به عما تطلبه باخذها خمسة عشر فقط من كل مائة أحضرت لها وأساس ذلك الغنى هو الامن الذى سوغ للاهالى عقد الشركات باظهار أموالهم وترويجها والشركات هى الاساس الثانى مع حسن الادارة فاورث ذلك ما أشرنا اليه من أنموذج الغنى وتنمية ثروة الدولة التى هى بيت مال الاهالى بعد ان كانت منذ مدة ليست بطويلة فى غاية العسر والفقر من سوء ادارة حكومتها والحروب الاهلية والخارجية فذكر لى ان منذ نحو سبعين سنة كان لرجل منهم من أوراق دين دولتهم ما قدره عشرون مليونا فرنكا واحتاج ان يفطر ولو بيضا وخبزا فلم يجد من يعامله ولو بالعشرين مليونا التى معه مع ان دين الدولة الآن الذى يدفع فائدة خمسة فى المائة تساوى المائة منه مائة وعشرين نقدا فانظر عجيب الفرق بين الحالتين فى المدة القريبة وأحوال البريد هى فى أول درجة من الانتظام فى هاته المملكة

برا

براو بحراوه واصلة الطرق الحديدية والصناعية مع عجلات حمل الاثقال المختلفة الاشكال مع المتانة والحسن زادت التجارة براوبحرا بحيث ان السلع وغيرها لا تحمل الا على العجلات وفي المدن العظيمة لا تجره الا الخيل السابقة او البغال بقلة وسفن البريد تصل الى أقصى ممالك المشرق والمغرب ومما يحسن ايراده عنوانا عما عندهم من الغنى ان الحكومة المصرية مدة ولاية خديويها اسمعيل باشا باعت سهامها من خليج السويس لدولة انكلاتيره بمائة مليون فرنكا فكثر في ذلك القيل والقال من جهة السياسة خوفا من استيلاء انكلاتيره على الخليج المذكور واهتزت لذلك فرانسا أزيد مما سواها فذكرت احدى صحفهم يوما ان روشيلد أحد الصرافين الكبار المشهور بالغنى قد أعطى لصهره اذ ذاك مائة مليون فرنكا وخمسة وعشرين مليونا مهرا بنته ثم ذكرت على وجه التحمس والدعابة بان البائع لو خطب هاته البنت لولده وزوجها به لاخذ مائة مليون بحاجته وزاد بها خمسة وعشرين مليونا مع بقاء السهام على ملكه واراحة العالم من التشويش والاضطراب

مطلب

﴿في الاحكام﴾

(الاحكام) في فرانسا أصولها هي المذكورة في ايطاليا لان القانون الاصلي في ذلك هو قانون نابليون الاول امبراطور الفرانسيس وانما بينهم بعض خلافات مبنية على اختلاف العوائد وادارة الاحكام منفردة عن الادارة السياسية ولا ساطة لها اته عليها بالمرة ودونك مثلا لذلك وهو ان رستان الذي كان قنسلا الفرانسان وسعى في الانقلابات التي حدثت في تونس قد تكلم ضده وضد تصرف دولة فرانسا كثير من رجالهم في المجامع العامة وكذلك تكلمت ضدهم جملة صحف خبرية فرانساوية وغيرها واشد الصحف مضادة الى رستان واعماله صحيفة لانترانسيجان التي يطبع منها يوميا ١٥٠٥٣١ نسخة وصاحبها هو الرجل الشهير رشفور الفرانساوي وقدح في عرض رستان في المال والسياسة وصار لكلامه رنة عظيمة حيث جعل استيلاء فرانسا على تونس كان لفوائد خصوصية مالية لمن سعى في ذلك ولمن أعان وكان رستان أشد تهمة فاراد رستان تبرئة نفسه باقامة الدعوى على صاحب الصحيفة لدى مجلس الحكم وترافعوا وأدلى كل منهما بما توصل اليه من الحجج وكانت عدة رجال من الدولة الفرانساوية في الانتصار الى رستان حتى الوزراء السابقون

في الخارجية شهدوا له بانه منفذ لاوامرهم ولم يتحقق عندهم مايدعى به عليه ومثلهم المنتصبون في الوزارة وحاولوا استطاعوهم في نصرته لكن الحق بدا وغلب واعمل مجلس الحكم لاهواء أحد وحكم على رستان وألزمه بأداء مصاريف التحاكم وبذلك صحت مقالات الصحيفة المشار اليها وخرج صاحبها صادقا منصورا وقد ترجمت جميع جلسات مجلس الحكم المشار اليه وأفردت بالطبع حتى باللسان العربي وبالاطلاع على ذلك الكتاب يتأيد جميع ماذكرناه في الاحوال التونسية وأسباب انقلابها ويتأيد ماذكرناه في السياسة الخارجية لفرانسا وفي السياسة الخارجية لتونس وماذكرناه هنا من انفراد ادارة الاحكام عن ادارة السياسة سيما بعد ارجاع رستان المذكور لوظيفته في تونس بعد تلك المحاكمة مما يشهد لما قلناه في مباحث السياسة من أن سياستهم الخارجية ليست هي كانصافهم فيما بينهم في داخليتهم وهو مما يحقق أن الرجال المنتخبين للاحكام انما يكونون من أعف الموجودين وأنصفهم لاتميل بهم الاهواء عن الاستقامة غير ان هذا هو الاغلب لاسيما في المدن العظيمة وفي المجالس الانتهائية (وأما) غيرهم فالارتشاء بينهم فاحش يكاد أن يكون مثل مايصفون هم به حكام المشرق وطريقة الوصول اليه عندهم أيسر بما لهم من اباحة مخالطة النساء فالمعطى للرشا يجعل الوسائل للتوصل الى احدى النسوة ذات النفوذ لدى الحاكم ويرشيها فتبلغه قصده بنفوذها بسبب قرابة أو وداد أوغير ذلك لدى الحاكم وربما أوصلت اليه حصة من الرشا وعلى تقدير الاكتفاء بما أخذته هي فهو أيضا رشا للحاكم حيث مال بالحكم للجهة التي انتفعت منها من يريد نفعها وبهاته الوسيلة تكون خصلة الرشاء عندهم مستورة نوعا مالان ظهورها يوجب العقاب الشديد بالقوانين مع عدم وجود الشفاعة عندهم ومع ذلك يوجد في هؤلاء أيضا كثير متعففين وقد حضرت يوما في مجلس الحكم لرؤية هيئة الاحكام والحكام في باريس فاذا هو بيت كبير مستطيل له باب يدخل منه المتفرجون وباب للمتوظفين وباب للخصوم وفي صدره مسطبة عالية عليها ثلاث كراسي وأمامها مائدة مستطيلة عليها لكل كرسي دواة وأقلام وورق وعن يمين تلك الكراسي كرسي طويل يجلس عليه أزيد من عشرين شخصا وعن شمالها باب وأمامها في نحو نصف البيت درابزين حائلة بين المتفرجين والخصوم وللمتفرجين كراسي يجلسون عليها وبقرب الكراسي التي في الصدر كراسي سفلية أحدها لرئيس الكتاب والثاني لوكيل الحق العمومي الذي رتبته رتبة محتسب عام على الحقوق وله اعتبار كاعتبار رئيس المجلس وبعد هنيهة من دخول المتفرجين خرج من

الباب

الباب الذى على الشمال رئيس المجلس ومعه عضوان كل منهم لابس جبة طويلة بأكمام واسعة حمراء وعلى أكتافه منديل مقصب بالذهب وعلى رأسه شعر أبيض عارية له ذنب معقود على قذالهم فوقف لهم الحاضرون وأومأ الرئيس بالسلام لهم ثم جلس الرئيس على الكرسى الوسط والعضوان عن يمينه وشماله وجلس كل من وكيل الحقوق والكاتب على مرتبته ولكل منهم أيضا زى خاص يشبه زى الرئيس والاعضاء ثم دخل وكلاء الخصام الذين لهم ذلك الوقت دعوى ولكل منهم مثل ذلك الزى ثم دخل من باب خاص جمع من الناس باللباس المعتاد وجلسوا على ذلك الكرسى الطويل وهم الجورى فتكلم الرئيس بالسؤال عن حضور شاهد فأحضر واقفا خلف أمامهم ثم أدى شهادته وبعد سكوته سار الرئيس والاعضاء ثم خاطبه الرئيس لائما عن عدم حضوره فى اليوم المعين له ومعلما له بما يجب عليه من العقاب عن ذلك فاعتذر بالوحدة وأعلمه بلزوم الحكم فيه فوقف وكيله وقال ان الشاهد مسكنه فى المحل الفلانى وهو غريب وفقير عاجز عن اكراء من يستعين به فوجه الرئيس القول للشاهد مشددا بلزوم الحكم عن مخالفة القانون ثم سار العضو الذى عن يمينه ثم الذى عن شماله ثم أمر الشاهد بالانصراف وانه ان عاد لمثلها أجرى عليه الحكم وانصرف ثم قام الرئيس والاعضاء ودخلوا من ذلك الباب الخاص ولحق بهم وكيل الحق العام وبعد نحو ربع ساعة خرجوا وأحضروا المحكوم عليه مع أحد أعوان الحاكم وقرأ الرئيس ورقة صغيرة بالحكم على الجانى ثم التفت الى الجماعة الجالسين عن يمينه وهم الجورى وسألهم عما ظهر لهم فوافقوه وانصرفوا جميعا وخرج المتفرجون اذ لم يكن ذلك اليوم الا تلك النازلة وقد أفهمنى وكيل الحق العام أن الحكم كان مهيأ من قبل لتمام النصاب بدون ذلك الشاهد غير أنه لما حضر تم شهادته والمحكوم عليه جانى بتزوير السكة وكان جميع من حضر سكوتا بغاية التوقير للمجلس وذلك الشعر الذى يضعونه عارية على رؤسهم الاصل فيه ان الملك لويس الرابع عشر كان ردىء الشعر فاتخذ له عارية وكان اذ ذاك شيخا فاقتدت به أماثل البلاد وسرت منهم الى غيرهم من الامم وان قل استعمالها الآن الا فى المواكب الحافلة والقضاة ومن

أهم ما يذكر فى أحوال الادارة الحكمية تفتيه الضابطية وهم الحارسون للبلدان وشدة تنقيرهم وبحثهم ومراقبتهم حتى يتمكنوا بسهولة على الجناة ومع هاتيك المراقبة والاحتراس الشديد يقع الاحتيال البليغ من الجناة لكى يتوصلوا الى غاياتهم وكثيرا ما يبلغون اليها لكنهم أيضا كثيرا ما تكشف أمرهم الضابطية وتتمكن منهم فقد ذكر أن

أحد الصيارفة الكبار في باريس كان جالسا يوما في محله واذا برئيس ضابطية باريس قد جاءه فاكرم مقدمه ورحب به فاخبره الرئيس انه محتاج لمبلغ وافر من المال لبعض المصالح غير انه لا يريد افشاء ذلك ولهذا أتاه بنفسه ليقرضه لمدة قصيرة اما الضرورة المصلحة عاجلا مع رجوعه المتعلقات وظيفته فاقرضه ذلك المبلغ على نحو القواعد الجارية عندهم وكتب له خط يده فيه وانصرف فمضى الاجل ولم يأت المال لصاحبه فبعد ثالث يوم ذهب الصيرفي بنفسه الى رئيس الضابطية ودخل عليه وبعد السلام انتظره الرئيس فيما يقول لانه من العادات المتأكدة عندهم ان الزائر لا يؤخر الكلام في مقصد زيارته ولا يخوض في الفضول سيما لاصحاب الوظائف لان الزمان مقسم كما انه لا يدخل عليهم اثنان معا ليس بينهما علاقة في نازلة واحدة لكن الصيرفي اعتمد على علم الرئيس فيما هو مطلوب فيه ولم يذكر له شيأ فلما مضت بعض دقائق سأله الرئيس ما هي حاجتك فتعجب الصيرفي وقال انها ذلك المال الذي أتيت اليه بنفسك ولذا لم أرسل لك غيري فاستغرب الرئيس في سره وتلطف في السؤال بقوله ذكرني النازلة لانه علم أن الصيرفي من كبار الاغنياء المعتمدين ولا يقول كلاما مثل ذلك افتراء ويعلم من نفسه انه لم يذهب اليه فعلم أنه لابد للامر من واقعة فبين له الصيرفي ما وقع منه الى ان قال له وكتبت خط يدك ففكر مليا وطلب منه التمهل بعض ايام أخر من غير كشف للسر الى أن يقع الخلاص فخرج الصيرفي أيضا مفكرا فيما رأى من الرئيس وفي نفس الجواب لان ذلك مخالف لمادة الاقراضات ثم ان الرئيس أعمل فكره بان النازلة لابد انها وقع فيها احتيال على الرجل من انسان مشابه للرئيس ثم دعا ضابط مركز الضابطية الذي بقرب دار الصيرفي وسأله هل رأيتني منذ كذا يوما قدمت الى ناحيتكم فقال نعم فقال في أي وقت فبين له الوقت وهيئة الركوب بانها على الوجه الرسمي من الابهة والملابس والعجلة فازداد تحققا لارتكاب الحيلة ثم سأله والى اين ذهبت فاجابه بانه ذهب لدار الصيرفي الفلاني وبقي عنده حصة كذا ثم خرج من عنده متوجها الى الجهة الفلانية فدعا الرئيس ضابط الجهة التي عينها الضابط الاول وأخبره بمثل ذلك وانه ذهب الى جهة كذا فدعا ضابطها أيضا وهكذا تتبع الحال الى ان أخبره الاخير بانك دخلت الدار الفلاني ثم رجعت العجلة خاوية وبقيت أنت هنالك ولم تخرج باللباس الرسمي فدعا بدفتر من سكن تلك الدار لان كل محل سكن فيه انسان لابد وان يقيد اسمه عند صاحب الباب أو عند صاحب منزل المسافرين واحضر الناس الذي سكنوا في الوقت المعين في تلك الدار فوجد بينهم رجلا

يشبه

يشبه الرئيس في الذات والوجه فدخل منفردا وقال له أين المال الذي أخذته باسمي وان لم تظهره بطيب نفس أظهرته منك عن غير ارادتك كما أظهرتك أنت فلم يسعه الا الاقرار به ورجع الرئيس المال الى صاحبه معلما له بانه لم يستقرض منه وانه احتيل عليه في ذلك ولهم من أمثال هاته الاحتيالات في السرقات أمور كثيرة وساعدهم على ذلك تيسر احضار الوسائل مثل ما مر في كون السارق تيسر له لبس مثل لبس رئيس الضابطية ووجد أيضا عجلة ذات أبهة وخدمة مثل عجلة الرئيس الى غير ذلك لان تلك الامور موجودة بسهولة كراء وشراء ولا منع من استعمالها الا ما كان منها من مشارات الحكومة العالية أو غيرها فانه اذا كشف على المزور يعاقب ومع شدة الاحتراس والضبط على نحو ما ذكرناه فانك لا تكاد تجد رجلا بل وكثير من النساء يخرج بدون حمل سلاح صغير خفي كالحديد في وسط عصا الاتكاء وكالطبانجة ذات الطلقات المتعددة موضوعة في الجيب الى غير ذلك وهذا جار حتى في نفس باريس وقد كنت مارا ليلة في عجلة مع أحد الوجوه ومع زوجه ذاهبين لدعوة عند فرديناند لسبس فاتح خليج السويس فسألتني المرأة عن نوع السلاح الذي معي فاجبتها متعجبا باني ليس معي سلاح وما الحاجة اليه وانا في وسط باريس فقالت هي وزوجها لا بد من حمل شئ فان الوقائع في باريس تحير الافكار ولذلك لا يخلو أسبوع بل وأقل منه بدون وجود مقتولين سيما في نهر السين فانهم يجدون في الشبك الموضوع في أسفل النهر خارج باريس كثيرا من جثث المقتولين اما بقتل غيرهم أو بقتل أنفسهم وذلك لان كثيرا من الاهالي من يقتل نفسه لتسخط من أمر دنيوي غير ان هذا الخوف في باريس لا يقع في الطرق الشهيرة كالشانزي لزي والبلفار لكثرة المارة بها ومن عوائد حكومتهم اغضاء النظر عن الزنى بحيث ان المومسات يتبرجن جهرة بلا معارض ولهن ديار تجمع اعدادا وافرة وديار لابناء الزنى الذين تلقيهم امهاتهم وأكثر التجاهر به في باريس ودونك شاهدا على تفاحشه فقد حرر عدد النفوس سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م فكان التزايد في سائر فرانسا ٩٢٠١١٧ مولودا منهم ابناء زنا ٦٨٢٢٠ مولودا

مطلب

(في المعارف)

(اعلم) أن المعارف الدنيوية في فرانسا قد تناهت لاعلى درجة من الاتقان والاجتهاد

وما تقدم فى أحوال باريس وما فيها من المكاتب والكتب وجمعيات الفنون والحث
عليها كاف فى بيان ارتقاء تلك الفنون فى فرانسا حتى أقر لها بذلك سائر الامم فى أوروبا
وصاروا عيالا عليها فى كثير من الفنون ومن ذلك فن الطب ومقدماته فان المعالجة
بالمعادن بمجرد اللمس التى ذكرنا طرفا منها فى الباب الاول عند ذكر معالجة مرضى كان اطلع
عليها أحد الاطباء الكيمياويين من النمساء ولكنه لم تقبل منه حتى قدم الى باريس
واطلع عليها الحكيم شاركو وبعد تجربته لها واعطائه الشهادة والاجازة فيها اشتهر
أمرها وتعاطتها الاطباء فى سائر الاقطار ومن أسباب الترقى فى المعارف عموما صناعة
الطبع وقد تقدم فيها الفرانساويون الى الذروة القصوى وعندهم من الصحف الخبرية
السياسية فقط مما يطبع فى مدينة باريس وحدها يوميا ستة وخمسون صحيفة يخرج
من مجموعها يوميا ١ر٩٤٣ر١١٠ نسخة وهى منقسمة الى أحزاب السياسة فمن صحيفة
واحدة تسمى لبتى جرنال يطبع يوميا ٥٨٣ر٨٢٠ نسخة وما عداها أقل كل على قدر
رواجه ولا تكاد تجد سائق كروسة أو عجلة حمل بدون ان تكون عنده صحيفة يومية يقرأها
وقد أطنب الاطناب الحسن فى بيان تقسيم العلوم وترتيب اقرانها وافادتها العلامة رفاعة
بك رحمه الله ونعمه فمن أراد الوقوف على التفصيل فعليه بمراجعة رحلة المذكور الى أوروبا
❁ والحاصل ان الفرانساويين حصلوا على الدرجة العليا فى المعارف الدنياوية ولهم اعتناء
بسائر الفنون فيترجمون الى لغتهم كل كتاب فى فن غير معروف أو غريب ويدرسون اللغات
الاجنبية واللغات القديمة التى لم يبق من يعرفها وتوصلوا الى معرفة خطوطها
بوسائل جيدة لكن مما ينبغى علمه أن مدرسيهم فى الفنون التى يقصرون فيها
يستعوضون قصورهم عما لهم براعة فيه فترى مدرس العربية مثلا يخرج بادنى مناسبة
لفظية الى علم الجغرافية ثم الى علم الاقتصاد السياسى ثم التاريخ ثم الهندسة ثم الكيميا
ثم وثم الى أن ينقضى الزمان من غير ان يفيد حقيقة المقصود من بلاغة بيت شعر أو مثل مما
هو موضوع البحث وتخرج تلامذته معجبين من براعة شيخهم وانه علامة العربية مع انه
لا يعرف مزية تقديم المسند أو المسند اليه بل معادات الضمائر لا يحسنها فضلا عن
الاعراب وذلك يوجب الجهل باصل الفن والغلط من العموم بظن تحصيلهم حقيقة اللغة
العربية وقل جدا من يحسنها مع أن فيهم المتفاخرين بعلم الترجمة بل والمدعين بالتآليف
فيها ثم ان التعاليم لها مكاتب على طبقات ابتدائية ووسطى وانتهائية وعليا فالطبقة
(الاولى) لا تكاد تجد قرية خالية عنها والثانية والثالثة انما توجد فى المدن
الكبيرة

الكبيرة كمرسيليا (وأما الرابعة) فلا توجد الا فى باريس واليها تأوى التلامذة بعد استكمال معارفهم على ان الاثرين يؤثرون التعليم من البداية فى باريس بل ولا يختص هذا باهل فرانسا فان الكثير من ممالك المشرق وبعض غيرها يرسلون ابناءهم للتعلم بها وفضلا عن الفخر بالعلم يفتخر بالتعلم بها وهى جديرة بذلك لولا طيش فى اخلاق غالب المتعلمين بها من الغرباء سيما المسلمين فانهم يحدث لهم فساد فى اخلاقهم لخروجهم عن الطور والادب الداعى له العرض والدين وكان سبب ذلك رؤيتهم بها كثرة الخلاعة والاطلاق والنفوس مائلة الى الخبائث نسأل الله التوفيق ومن أسباب ترقى المعارف كثرة الكتب وسهولة التوصل اليها ففى فرانسا ٥٠٠ مكتبة تحتوى على ٤٫٥٩٨٫٠٠٠ كتابا من الكتب المطبوعة و ١٣٥٫٠٠٠ من كتب الخط ومكتبة الامة فى باريس هى أكبر الجميع ففيها ٣٫٠٧٨٫٠٠٠ مجلدا

مطلب

﴿فى الصنائع﴾

(الصنائع) فى فرانسا مضاهية لما فيها من المعارف والفلاحة فهى متقدمة للغاية علما وعملا بحيث ان لها مدارس عديدة تأوى اليها التلامذة من الآفاق لاخذ علومها بالتدريس والمشاهدة وكل مدرسة تحوى من آلات العمل وآلات العلوم الآلية للفلاحة كالطبيعيات جميع ما يحتاج اليه وهكذا سائر الصنائع بحيث أن مصنوعاتها متقنة ظريفة للغاية يرغب فيها فى سائر الاقطار لظرفها وتحسينها ورونقها وان كانت بعض الاقطار أمتن صناعة وفرانسا جامعة لكل الصنائع المعروفة فى العالم حتى الخزف الصينى والمنسوجات الكشميرية يقلدعلها فى فرانسا ويؤتى بالمصنوع مشابها للاصل وقد برعوا فى الآلات بانواعها سيما الكهربائية وقد خصوا لها معرضا سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م لامتحان ما أثمرت من الفوائد وقد رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م آلات غريبة كهربائية منها آلة يمكن بها رؤية ما فى داخل المعدة بان تؤخذ قناة جيدة من الاصطيك وطرفها زجاج وتدخل فى الحلق الى ان تصل للمعدة ويجعل فى أعلى الحلق مقابل المعدة مرآة صغيرة ومقابلها على اللسان مثلها ثم يدخل فى القناة سلك معدنى لين الى ان يصل الى الزجاج الذى فى المعدة ثم يوصل بالسلك من خارج آلة الكهرباء المضيئة فيضئ السلك فى المعدة من غير احراق ويرتسم خيال المعدة بما فيها فى المرآة

العليا ويرتسم مثله متى في المرآة التي على اللسان و ينظر الطبيب بالمرآة المكبرة ما يريد وبمثل ذلك ينظر في الرحم وداخل الاذن والحلق ورأيتهم بصدد تجربة نقل الاثقال بالكهربا وارونى آلة صغيرة تغلب قوة الانسان الجهد اذا كان قابضا بيديه تقذفهما والعكس باسرع وقت فلا يبعد ان تطال تلك الآلة على طريق مناسب و ينقل بها الاشياء من مكان الى آخر وان بعد امع تدبير حفظ الجسم من خرق الهواء في السرعة المحرقة وقد رأيت سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م سير رتل صغير للتجربة بالكهربا على وجه آخر كما ذكرنا في أحوال ايطاليا ورأيت في باريس أيضا مساسلك مصورة باشكال حيوانات تحرك أعضاؤها وعيونها بالكهربا مع صغر جرمها حتى يوضع المسالك من الذهب في رأس المرأة والآلة الكهربائية تخفى في الشعر و يرى الحيوان متحركا ومنه صورة فراش بالوانه البديعة من أحجار الزمرد والياقوت الاحمر والابيض وغير ذلك من الاحجار الكريمة المطابقة لالوان أجنحة الفراش وهو يخفق باجنحته الاربع فوق الرأس بالكهربا وهو غريب بديع جدا

مطلب

﴿في هيئة المساكن والطرقات﴾

قد تقدم في ايطاليا الهيئة العامة في المساكن وهاتيك الهيئة بنفسها هي التي عليها العمل في فرانسا غير أن باريس وحدها تزيد رونقا عليها احتوت عليه من كثرة الطرقات المتسعة جدا و بكثرة التنظيف والتنوير في الليل كما انها تختص بان بعض طرقها مستعوض عن تبليطه أو تحصيبه بطليه بنوع صمغي يسمى اسفالت بحيث يكون بعد الجفاف رخوا فاذا مرت عليه العجلات لا تسمع لها الا همسا وتسمع قرع حوافر الخيل على الارض كالتصفيق المخطوط مع مزيد الهدو للركاب حتى كأن العجلة لا تحرك فتلك الطرق مروحة جدا غير انها لم تعم لانها في الصيف تفشو منها رائحة كريهة ولانها في الطرق الكثيرة المرور تعطب فيها العجلات المارة بسبب عدم سماع حركتها وامكان الغفلة من الجائية هذا (وأما) عموم البلاد والقرى فان لكل منها اعتناء بالمبالغة في التحسين والتنوير في الليل بالبخار الغازي أو زيت النفط وهو قليل الاستعمال أو بالكهربا وهي أيضا لم يزل التنوير بها قليلا ولكنك لا تجد قرية غير منورة الطرق أو غير مصنوعة على حسب اقتدار الاهالي فضلا عن المدن والامصار وكل طريق مسمى

باسم

باسم مكتوب على مبدئه وعلى كل باب عدد خاص ثم ان طرق الحديد يوجد منها كثير حتى صارت فرانسا مرتبطة جميع الاطراف والاواسط ببعضها وعلى حافتي الطريق اخشاب شاخصة مربوط بها اسلاك حديدية علامة على حرم الطريق لكي لا يجتازه الناس ولا حيواناتهم ولا زالوا مجتهدين في تكثير هاته الطرق الحديدية ثم ان مما كن الجهات الشمالية أحكم استعدادا للبرد من الجهات الجنوبية وان كان لهاته أيضا نصيب وافر منها بحيث لا تجد بيتا في الجميع بدون موقد اما للحطب أو للفحم المعدني أو البخار الغازي بل وبعضهم يطبخون بهذا البخار وقد مران في باريس اخترعوا التدفئة للديار من مركز عام في البلد ثم ان سائر الديار لا يبلط منها بالرخام أو غيره من الاحجار الا الدرج والمجازات الخارجة (وأما) بقية البيوت والمقاصير فانها مبلطة بالخشب المتين وتحسينه وزخرفته تبع لحالة الدار وكل الطواقي التي هي مثل الابواب في الارتفاع والانتهاء الى الارض لها أبواب من خشب منخور ولها أبواب فوقها ثلثها الاسفل خشب وثلثيها العلويين ذوي أطباق من الزجاج وأكثر الطواقي لها مع ذلك أيضا أبواب من أضلاع الخشب المنجور مقصبة يحرك تقصيبها وكل تلك الابواب ذو دفتين يفتحان يمينا وشمالا (وأما الحمامات) فهي عبارة عن ديار ذات مجازات طويلة بها عدة مقاصير صغيرة كل منها يحتوي على حوض من معدن أو حجر له منفذ من أسفل يخرج منه الماء الوسخ وله أنبوبان للماء الحار والبارد وتحتوي على كرسي ومصطبة ومرآة ومشط وأرضها مفروشة بزرابي والاغتسال انما هو في الحوض وكل الاهالي يعتني بتنظيم مفروشات بيته على قدر سعته والاغنياء لهم ترف زائد في الاثاث والتحف وفي المدن الكبيرة يقيمون اسواقا في يوم خاص من كل اسبوع في الحارات المتطرفة وحوانيته من خشب أو كتان تنصب في الطرق الوسيعة وترفع في يومها يباع بها أنواع الاكل من لحم وبقول وفواكه وبعض تحف وثياب يشتري منها أهل تلك الحارات كما يتهم للاسبوع

مطلب

﴿في اللبس﴾

اللبس في فرانسا وفي ايطاليا سواء عند الرجال والنساء وكذلك اللبس الرسمي والعسكري الا بعض شارات والوان في الملبوسات تختلف بينهم (أما أصل) الهيئة فواحدة وحيث كانت الرفاهية في الفرانساويين أزيد فتجد نساءهم أكثر تبدلا في لون اللباس وشكله

ورفعته على الجملة كما انهن أزيد ايضا فى وضع دقيق أبيض وأدهان أنوع على وجوههن قصد التزين وان كان ذلك يورث فسادا فى البشرة وأكثر ذلك العمل فى نساء باريس وتراهن يتفاخرن بالنحول واصفرار اللون لانه كثيرا ما يحدث من كثرة السهر أو العشق وكلاهما ممدوح عندهم لان السهر ينشأ من اجتماع الاحبة والاجتماع يستدعى المصاريف فهو علامة على الغنى بالوسائط كما ان من علامة الكبرياء ان تكون خدمة البيوتات فى المحافل يذرون على رؤسهم غبارا أبيض والاصل فيه ان بعض المغنين كانوا يغنون فى موسم صان جرمان بخارج باريس وبهم قرع فبيضوا رؤسهم ليضحكوا الناس فتدرجت العادة شيأ فشيأ الى ان فشت سنة ١٦١٤ ثم فى سنة ١٧٩٠ جعلت عليه ضريبة للدولة واستمرت الى الآن

مطلب

﴿فى الاكل﴾

هيئة الاكل فى فرانسا هى الموجودة فى ايطاليا على السواء وكذلك المأكولات سواء غير ان طعام الفرانسيس أكثر أشكالا وألذ طعما لعلهم الابزرة فى الطبخ أحسن من الطاليان ولذلك تجد لطعامهم رائحة لذيذة مثل رائحة طعام العرب (وفى المدن) توجد انواع الخبز على مراتب شتى ولهم نوع يؤكل صباحا مع اللبن والزبدة جيد جدا صنعة وصفاء وطبخا وفى خصوص باريس جميع أنواع الاطعمة المتداولة بين الامم الشهيرة وان كانت باثمان غالية فقد أخبرت فيها بوجود مطبخ خاص باطعمة الترك والعرب وأوتيت منه بصحن كبير عملوا كسكسوا بلحم الدجاج وصحن آخر بالبسامية المعروفة فى تونس بالقناوية وثمنهما مع أجرة الحمل اثنان وأربعون فرنكا وهما يكفيان لشبع ستة أنفس طبخهم الذي على نحو الاصل كما انك تجد فيها جميع الغلال من جميع الاقطار لاى وقت كان بل قد أتوا بعشوش نوع من الخطاف فى الهند والصين يصنع عشه بنبات بحرى ويطبخونه ويأكلونه أعنى ذات العش بما احتوى عليه من زرق افراخ الخطاف ويستلذونه ويمدحونه وأغرب من ذلك انهم يأكلون الضفادع ويستلذونها أيضا بحيث يصح ان يقال انهم يأكلون كل ما يؤكل ولا يكون قتالا أو مضرا عاجلا غير ان الاكل العام هو الدقيق من القمح ولحم البقر وللفقراء لحم الخيل أيضا والضان أقل استعمالا من البقر وفى القرى وشبهها يأكلون الشعير والذرة والبطاطس والفقراء أكثر استعمالا للخنزير

من الاغنياء والاكل فى القرى والبلاد الصغيرة أسلم من المدن والامصار من الغش بالخلط للاشياء المضرة كالقهوة مثلا لا تكاد تجد قهوة فى باريس مطبوخة غير مخلوطة بالسريس وهو نوع من البقول ثم ان أهل المدن لا يصنعون الخبز فى بيوتهم ولا يدخرون الاقوات وكل شئ يشترى من السوق يوميا الا قليلا من السكر ونحوه ويشترى اسبوعيا أو شهريا والللحوم المشوية أو المقلية يجعلون فى نوع منها قطعا صغيرة من شحم الخنزير بحيث يشاهد عيانا كالمسامير فى اللحم وبعض الطيور يشوونها ويجعلون عليها نحو رداء من الشحم المذكور كما يجعلونه أحيانا فى بعض أنواع المرق فى ألوان الطعام الذى يكون مع اللحم شئ من المرق وكيفية الذكاة فى أوروبا عموما حسبما علمت ان البقر بعد ان يربط من قرونه يمينا وشمالا ومن ارجله أيضا حتى لا يستطيع الحراك وهو واقف يضرب على جبهته بمطرقة عظيمة من الحديد ضربة أو اثنتين حتى يغمى عليه فيذبح ويجمع دمه ليعمل منه نوع من الاكل فى المصارين وبعضهم يكتفى بالقتل بالضرب على الرأس لكنه نادر وقد أبطل فى ايطاليا منذ سنة ١٢٩٨ والزم الحكم بالذبح بحيث لا يباع غير المذبوح (وأما الغنم) وشبهها فتذبح ابتداء (وأما الطيور) فالاوز ودجاج الهند وأشباهها مما هو طويل العنق فيذبح ذبحا (وأما الدجاج) فيجذب عنقه الى ان ينقطع النخاع فيموت و ينحصر الدم نحو الدماغ فيجمد ويؤكل على حدة (وأما الحمام) فالاكثر ذبحه وتارة يخنق وتارة يكسر ظهره مع قطع النخاع فيموت واذا تقرر هذا فالنذكر حكم طعامهم شرعا فطعامهم اما ان يكون من الخنزير ومثله الحيوانات المحرمة عندنا كالسباع واما ان يكون من الحيوانات المذكاة أى التى هى حلال عندنا وانما يتوقف أكلها على التذكية واما ان يكون من غير ذلك من المأكولات كالنباتات والمعادن والسمك وكل منها اما ان يتخذ لعادة كسائر المآكل المعتادة أو يتخذ لعبادة كالمتخذ لخصوص أعياد أو يتخذ لخصوص هدية لمسلم فهذه تسع صور حاصلة من ضرب ثلاث فى ثلاث وكل منها اما ان يكون محققا العين أو مشكوكا فيه فتصير ثمانى عشرة صورة وها أنا أذكرها اجمالا مع أحكامها ثم نورد أدلة الحكم

١ الخنزير وشبهه محققا العادة حرام ١ هـ	٢ هو العبادة محققا حرام ٢ هـ	٣ هو الهدية محققا حرام ٣ هـ	٤ مشكوك فيه لعبادة مكروه ١ هـ
٥ مشكوك فيه لهدية مكروه ٢ هـ	٦ مشكوك فيه لعادة مباح ١ ح	٧ المأكولات غير المذكاة محققة للعادة مباحة ٢ ح	٨ هي محققة لهدية مباحة ٣ ح
٩ هي محققة لعبادة مكروهة ٣ هـ	١٠ هي مشكوك فيها العادة مباحة ٤ ح	١١ هي مشكوك فيها الهدية مباحة ٥ ح	١٢ هي مشكوك فيها العبادة مكروهة ٤ هـ
١٣ اللحوم المذكاة محققة للعادة مباحة ٦ ح	١٤ هي محققة لعبادة مكروهة ٥ هـ	١٥ هي محققة لهدية مكروهة ٦ هـ	١٦ هي مشكوكة للعادة مباحة ٧ ح
١ ― م	١٧ هي مشكوكة لعبادة مكروهة ٧ هـ	١٨ هي مشكوكة لهدية مكروهة ٨ هـ	١ ― م

فاما

فأما الدليل على تحريم المسائل الثلاثة الاول فهو واضح لحرمة تلك الاعيان بالنص ولا حاجة الى بسطه لمعلوميته للجميع ولما كانت أحكام الشرع كلها منا طة بحكمة فما ادركناه قلنا انه معقول وما لا قلنا انه تعبدى مع العلم بانه فيه مصلحة لما انه تنزه البارى تعالى عن الاحتياج وانما قصور عقولنا أوجب عدم الادراك ومهما بحثنا ودققنا النظر الازددنا خبرة وبصارة بحكم الشرع فمن ذلك القبيل ما اكتشف بالنظارات المكبرة والتحليلات الكيمياوية من ان فى لحم الخنزير حيوانات مضرة تورث أمراضا معضلة جدا وتلك الحيوانات متزجة فى لحمه لا تموت بالطبخ ولا بغيره فاذا أكل لحم الخنزير سرت تلك الحيوانات فى دم آكله وأضرته وأهالى أوروبا اكتشفوا ذلك واحتمى كثير منهم عن أكله (فنحمد الله) على شرعنا القويم ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (واما دليل) مسائل الكراهة الثمانية وهى ٤ و ٥ و ٩ ✱ و ١٢ و ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٨ فاصل الحلية اما بأصل الاباحة فى غير المذكى أو باباحة طعامهم فى المذكى على ما سيأتى وانما أتت الكراهة من حيث الاشعار بالتعظيم لشعائر الكفر فى المتخذ للاعياد وكلما أشعر بذلك مكروه (أما) اذا قصد التعظيم فينتقل الحكم الى الكفر والعياذ بالله والمشكوك داخل فى ذلك كما سنوضحه والكراهة فى المذكى المتخذ للهدية جاءت من الخلاف فى حليتها حيث قال بعض العلماء ان النص دال على حلية طعامهم وما يتخذ للهدية لمسلم ليس بطعام لاهل الكتاب فلا يشمله النص وهذا القول وان لم يكن هو المعتمد عند غالب العلماء لكن مراعاته توجب كراهة التنزيه على ان لقائل ان يقول ان أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة التى أهدتها اليه يهودية دليل على الاباحة وشمول النص للهدية فتنتفى الكراهة وهو مقتضى اطلاق النصوص الفقهية عندنا كما يأتى (وأما دليل) الاباحة ✱ للمسائل السبعة وهى ٦ و ٧ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٦ فما كان منها من غير مذكى فهو مباح بأصل الاباحة العامة لان كل ما لا تذكية له لا يتوقف على شئ مبيح سواء عدم المضرة والطهارة فهو من المسلم وغيره على السواء والاصل الطهارة حتى يتحقق النجاسة والشك فى كونهم لا يتحرون من النجاسة غير عامل كما كما صرح به شيخ الاسلام بيرم الرابع فى جواب سؤال عن جواز التيمم فى بلاد الحرب للشك فى مياههم وأوانيهم من حيث عدم اتقاء النجاسة فقال بعد ذكر حكم التيمم وهذا كله مبنى على نجاسة مياه أو اوانى القوم وأنى لنا بذلك ومجرد احتمال عدم التوقى غير مقتض

الى الجزم بالنجاسة بل لابد من تحققها أو غلبة الظن بها ومن ثم جاز تناول طعام أهل الكتاب واستعمال أوانيهم ولبس الثياب المجلوبة من بلاد الكفر بل المشتراة منهم بعد لبسهم

❋ لها كل ذلك حملا على الاصل الذى هو الطهارة حتى يثبت ضدها الخ وفى حواشى الدر للسيد ابن عابدين (رضى الله عنه) من كتاب الذبائح ما نصه أقول وفى بلاد الدروز كثير من النصارى فاذا جىء بالقريشة أو الجبن من بلادهم لا يحكم بعدم الحل ما لم يعلم أنها معمولة بأنفحة ذبيحة درزى والافقد تعمل بغير أنفحة وقد يذبح الذبيحة نصرانى تأمل الخ والاصل فى هذا ما صرح به فى قواعد الاشباه من قاعدة اليقين لا يزول بالشك والمتيقن فى أصل الاشياء الطهارة فلا تزول بالشك فى المطعومات التى ليست محل للتذكية ويوافقنا على ذلك مذهب مالك رضى الله عنه فقد نقل عنه أنه سئل عن الجبن الذى يؤتى به من بلاد الروم وقد قيل انه يعمل بأنفحة الخنازير فقال أما أنا فلا أحرم حلالا (وأما) ان كرهه الانسان فى نفسه فلا أرى بذلك بأسا فأنت ترى تصريحه بالحلية وتبريه من التحريم وانما جعل اجتنابه من الورع وهذا فى الذكى فما بالك بغيره ولا يرد على هذا قاعدة اذا اختلط الحرام والحلال غلب الحرام الحلال المذكورة فى الاشباه لان ذلك فيما اذا تيقن وجود الحرام كاختلاط أشياء نجسة بأخرى طاهرة وكل منهما محقق الوجود غير أنه ليس معلوما بعينه واستويا أو كان النجس أكثر فانه تغلب الحرمة للجميع أما اذا كان الطاهر أكثر فيتحرى ويستعمل ما غلب على الظن طهره (وأما) مسئلتنا فان موضوعها كون الذات المعينة التى أصلها الطهارة وقع الشك فيها هل طرأت عليها النجاسة أم لا (وأما ما كان) من مسائل الاباحة مما لا يحل أكله الا بالتذكية (فالدليل) على الحلية فيه ماذكر فى الدر فى كتاب الذبائح حيث قال وشرط كون الذابح مسلما حلالا خارج الحرم ان كان صيدا أو كتابيا ذميا أو حربيا الا اذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح الخ قال محشيه السيد ابن عابدين قوله الا اذا سمع الخ فلو سمع منه ذكر الله تعالى لكنه عنى به المسيح قالوا يؤكل الا اذا نص فقال بسم الله الذى هو ثالث ثلاثة حاشا اه لله هندية وأفاد أنه يؤكل اذا جاءبه مذبوحا عناية كما اذا ذبح بالحضور وذكر اسم الله وحده والذى علمناه من حالهم الآن انهم لا يسمون شيأ بل واللحم يوجد فى بلاد أغلب أهلها متدينون بالنصرانية سيما فقراؤهم كالقصابين وفى مثل ذلك يحمل على حالة الجواز لما قال فى الدر فى آخر الحظر والاباحة من قوله فعلم ان العلم بكون الذابح أهلا للذكاة ليس بشرط الخ ويؤيده تصريح محشيه فيما نقلناه سابقا فى مسئلة القريشة والجبن بل وسيأتى

النقل

النقل بجواز ما لم يسم عليه أو سمى غير الله تعالى اذا كان الذابح كتابيا وفى تنقيح الحامدية أول الذبائح ما نصه سئل فى ذبيحة الذمى الكتابى هل تحل مطلقا أولا (الجواب) تحل ذبيحة الكتابى لان من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم أو دعوى كالكتابى ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله تعالى وتحل مناكحته فصار كالمسلم فى ذلك ولا فرق فى الكتابى بين أن يكون ذميا يهوديا أو نصرانيا وحربيا أو عربيا أو تغلبيا لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمراد بطعامهم مذكاهم (قال البخارى رحمه الله) فى صحيحه (قال ابن عباس) رضى الله عنه ما طعامهم ذبائحهم ولان مطلق الطعام غير المذكى يحل من أى كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصه بالمذكى وهذا اذا لم يسمع من الكتابى أنه سمى غير الله تعالى كالمسيح والعزير وأما لو سمع فلا تحل ذبيحته لقوله تعالى وما أهل به لغير الله وهو كالمسلم فى ذلك وهل يشترط فى اليهودى أن يكون اسرائيليا وفى النصرانى أن لا يعتقد ان المسيح اله مقتضى اطلاق الهداية وغيرها عدم الاشتراط وبه أفتى الجد فى الاسرائيلى وشرط فى المستصفى لحل مناكحتهم عدم اعتقاد النصرانى ذلك وكذا فى المبسوط فانه قال ويجب أن لا يأكلوا ذبائح أهل الكتاب ان اعتقدوا أن المسيح اله أو أن عزيرا اله ولا يتزوجوا نساءهم لكن فى مبسوط شمس الائمة وتحل ذبيحة النصرانى مطلقا سواء قال ثالث ثلاثة أولا ومقتضى الدلائل واطلاق الآية الجواز كما ذكره التمرتاشى فى فتاواه والاولى أن لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم الا لضرورة كما حققه الكمال قال العلامة قاسم فى رسائله قال الامام من دان دين اليهود والنصارى من الصابئة والسامرة أكل ذبيحته وحل نساؤه (وقد حكى) عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه كتب اليه فيهم أو فى أحدهم فكتب مثل ما قلنا فاذا كانوا يعرفون باليهودية والنصرانية فقد علمنا أن النصارى فرق فلا يجوز اذا جمعت النصرانية بينهم أن نزعم أن بعضهم تحل ذبيحته ونساؤه وبعضهم يحرم الا بخبر يلزم ولا نعلم فى هذا خبرا فمن جمعته اليهودية والنصرانية فحكمه حكم واحد اهـ وعلى هذا الخ وما ذكر فى الهندية وغيرها والسند للفقهاء فى هذا الحكم وهو قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والذى رأيته فى الكشاف والبيضاوى وروح البيان وتفسير أبى السعود والرازى يفيد ما ذكر فى تفسير فتح البيان لسلطان بهوبال مع زيادات مفيدة فى هذا فانقتصر على ما ذكر فيه قال والحاصل ان حل الذبيحة تابع لحل المناكحة والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبائح وذهب أكثر أهل العلم الى تخصيصه هنا بالذبائح ورجحه الخازن وفى هذه الآية دليل.

على ان جميع طعام أهل الكتاب من غير فرق بين اللحم وغيره حلال للمسلمين وان كانوا لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم وتكون هاته الآية مخصصة لعموم قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وظاهر هذا ان ذبائح أهل الكتاب حلال وان ذكر اليهودى على ذبيحة اسم العزير واليه ذهب أبو الدرداء وعبادة ابن الصامت وابن عباس والزهرى وربيعة والشعبى ومكحول وقال على وعائشة وابن عمر اذا سمعت الكتابى يسمى غير الله فلا تأكل وهو قول طاوس والحسن وتمسكوا بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ويدل عليه أيضا وما أهل به لغير الله وقال مالك انه يكره ولا يحرم وسئل الشعبى وعطاء عنه فقالا يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون فهذا الخلاف اذا علمنا ان أهل الكتاب ذكروا على ذبائحهم غير اسم الله وأما مع عدم العلم فقد حكى الطبرى وابن كثير الاجماع على حلها لهذه الآية ولما ورد فى السنة من أكله صلى الله عليه وسلم من الشاة المصلية التى أهدتها اليه اليهودية وهو فى الصحيح وكذلك جراب الشحم الذى أخذه بعض الصحابة من خيبر وعلم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الصحيح أيضا وغير ذلك الى ان قال وقال القرطبى وجمهور الائمة ان ذبيحة كل نصرانى حلال سواء كان من بنى تغلب أو غيرهم وكذلك اليهود قال ولا خلاف بين العلماء ان ما لا يحتاج الى الذكاة كالطعام يجوز أكله الخ فتحصل مما مر حلية المسائل السبعة المذكورة من الطعام وان الشك غير مؤثر فيها فان قلت قد ذكرت ان بعض الطيور يخنقونها ويأكلونها بلا ذبح وان بعض الاطعمة يجعل فيها شحم الخنزير فكيف الحكم فى ذلك (فالجواب) أما الطعام الذى يتحقق فيه شحم الخنزير أو لحمه فهو حرام بالنص على نجاسة ذاته كما مر وطريق الوصول الى التحقق اما برؤيته ذاته من الآكل فيما تتبين فيه أو بغلبة الظن فى الالوان التى جرت العادة بوضعه فيها أو باخبار الطابخ أو المناول بان يسأله الآكل هل فى هذا شئ من لحم الخنزير أو شحمه فان أخبره بالوجود امتنع والا حل لان خبره مقبول فى المعاملات وان كان كافرا كما نص على ذلك فى كتاب الحظر والاباحة من دواوين الفقه وصوروها بقول الكافر اشتريت اللحم من كتابى فيحل أو من مجوسى فيحرم وصرحوا بانه وان آل خبره الى ديانة يعمل به بخلاف ما اذا أخبر أولا عن حكم دينى كقوله هذا طاهر أو نجس أو حلال أو حرام لجهله بذلك بخلاف المعاملات وهذا السؤال انما هو على وجه الورع والا فالاصل فيما لم يتحقق فيه شئ من النجاسة هو الطهارة كما مر وينبغى ان يعلم انهم لا يقصدون الآن غش المسلم بأكله المحرم عليه كما يتوهم بعض العامة اذ عندهم الاخبار

بذلك

بذلك كقولهم هو لحم دجاج أو لحم أوز ولا يعنيهم أمر الحرمة والحل عند المسلم بل جمهورهم لا يدرى شيأ من ذلك (وأما) مسئلة الخنق فان كان لمجرد شك فلا تأثير له كما تقدم وان كان لتحقق فلم أر حكم المسئلة مصرحا به عندنا وقياسها على تحقق تسمية غير الله انها محرمة عند الحنفية وأما عند من يرى الحل فى مسئلة التسمية كما هو مذهب جمع عظيم من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فالقياس عليها يفيد الحلية حيث خصصوا آية وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم آية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وآية وما أهل به لغير الله وكذلك تكون مخصصة لآية المنخنقة ويكون حكم الآيتين خاصا بفعل المسلمين والاباحة عامة فى طعام أهل الكتاب اذ لا فرق بين ما أهل به لغير الله وما خنق فاذا أبيح الاول فيما يفعله أهل الكتاب كذلك الثانى وقد كنت رأيت رسالة لاحد أفاضل المالكية نص فيها على الحل وجلب النصوص من مذهبه بما يثلج به الصدر سيما اذا كان عمل الخنق عندهم من قبيل الذكاة كما اخبر به كثير من علمائهم وان المقصود التوصل الى قتل الحيوان بأسهل قتلة للتوصل الى أكله بدون فرق بين طاهر ونجس مستندين فى ذلك لقول الانجيل على زعمهم فلا مرية فى الحلية على هاته المذاهب فان قلت كيف يسوغ تقليد الحنفى لغير مذهبه قلت أما ان كان المقلد من أهل النظر فى الادلة وقلد الحنفى عن ترجيح برهان فهذا ربما يقال انه لا يسوغ له ذلك وأما اذا كان من أهل التقليد البحت كما هو فى أهل زماننا فقد نصوا على جميع الائمة بالنسبة اليه سواء والعامى لا مذهب له وانما مذهبه مذهب مفتيه وقوله انا حنفى أو مالكى كقول الجاهل انا نحوى لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فبأى العلماء اقتدى فهو ناج على ان الكلام وراء ذلك فقد نصوا على الجواز والوقوع بالفعل فى تقليد المجتهد لغيره والكلام مبسوط فى ذلك فى كثير من كتب الفقه وقد حرر المبحث أبو السعود فى شرح الاربعين حديثا النووية وألف فى ذلك رسالة عبد الرحيم المكى فليراجعها من اراد الوقوف على التفصيل فان قيل قد ذكرت ان الخنزير محرم وان كان من طعامهم فلماذا لا يجعل مخصصا بالحلية أيضا بهاته الآية أى آية طعامهم واذا جعلت آية تحريمه محكمة غير منسوخة فكذلك تكون المنخنقة ولماذا تقيسها على مسئلة التسمية ولا تقيسها على مسئلة الخنزير وأى مرجح لذلك (فالجواب) ان المأكولات منها ما حرم لعينه ومنها ما حرم لغيره فالخنزير وما شاكله من الحيوانات محرمة لعينها ولهذا اتفق على تحريمها فى جميع أطوارها وحالاتها (وأما) متروك التسمية أو ما أهل به لغير الله والمنخنقة فان التحريم أتى فيه لعارض وهو ذلك الفعل

ثم أتى نص آخر عام في كل طعام أهل الكتاب وانه حلال فاخرج منه محرم العين ضرورة وبالاجماع أيضا وبقي المحرم لغيره وهو مسئلتان احدهما مسئلة التسمية والثانية مسئلة المخنقة فبقيتا في محل الشك لتجاذب كل من نصي التحريم والاباحة لهما فوجدنا احداهما وهي مسئلة التسمية وقع الخلاف فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم وذهب جمع عظيم منهم الى الاباحة وبقيت مسئلة المخنقة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما لهم مسكوتا عنها فكان قياسها على مسئلة التسمية هو المتعين لاتحاد العلة (وأما قياسها) على مسئلة الخنزير فهو قياس مع الفارق فلا يصح اذ شرط القياس المساواة وانما اطلنا الكلام في هذا المجال لانه مهم في هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق وهو يهدى السبيل

مطلب

﴿في المواكب﴾

(اعلم) ان المواكب الرسمية في أوروبا وما تشابهه وقد تقدم ذكر حالتها في ايطاليا فلاداعي لاعادتها هنا غير انه ربما يشكل على القارى شئ وهو ان فرانسا ليس لها الآن ملك فمن هو منا لـ المواكب الرسمية فاعلم ان دعواهم في الجمهورية انها خالية عن الملك هو أمر وهمى لان وظيفة الملك كانها أمر ضرورى لامندوحة عنه حتى وقع الخلاف بين علماء الكلام هل أن الملك واجب بالعقل أو السمع فقط واحتج القائلون بانه واجب سمعا بانا نجد أمما عاشون على وجه ما من الاستقامة بدون ملك وكل ذلك أمر وهمى ولا محال للخلاف في المسئلة اذ اقامة الملك أمر طبيعى لا تمكن الاستقامة بدونه وماذكره المحتج من وجود أمم الخ هو كاف في الرد عليه لانه معترف بان تلك الامم أو القبائل تنقاد الى رؤسائهم فالخلاف حينئذ انما هو في اللقب وفي تحديد السلطة أو اطلاقها وكذلك حالة الجمهورية في بعض الممالك الآن لان من يقيمونه رئيسا لها ماهو في الحقيقة الاملك عليهم لمدة معينة وتصرفه مقيد بحدود معينة فلامندوحة لهم حينئذ عن الاقرار بوجوب الملك والانقياد اليه وغاية أمرهم هو اختلاف اللقب وزيادة الابهة والعظمة أما أصل التوقير والسمع والطاعة والانقياد له فكله موجود عندهم فرئيس الجمهورية يفعل جميع ما يحتاج فيه الى الملك من مراسم المواكب وغيرها غيرانه أقل أبهة وضخامة من الملوك في اللبس والاعوان وأما بقية المواكب الاعتيادية فهى

كما مر ذكره في ايطاليا وقد دعوني في سنة ١٢٩٢ للفرجة على موكب دفن اثنين من
الجنرالات ماتا سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م في حرب الكومون أي الاشتراكيين في
باريس وكانت جثتهما مصبرة في صناديق بكنيسة ليزان فاليد المدفون بها بونابارتي
الاول واعدوا لهما موكبا حافلا باحضار جم غفير من العساكر المشاة والخيالة والطبجية
بمدافعهم وقوفا في البطحاء الكبيرة أمام الكنيسة وغصت سائر الطرقات والميادين
بالخلائق المتفرجين وامتلأ داخل الكنيسة بالاعيان المدعوين وكانت فوانيسها
موقودة والشموع الكثيرة مسرجة وكبار القسوس حول المعبد يرطنون بالحان
ونغمات عديدة تميل الى الحزن يتغنون واحدا فواحدا ولهم سكتات في الوسط يضج
فيها قوم من صغار القسوس جالسين في رواشن عالية محيطة بداخل الكنيسة
ويلحنون ترطينهم بانغام أيضا شبيهة السابقين وهكذا الى ختام أدعيتهم ثم حملوا
الجنازتين المكسوتابوتهما بلباس أصحابهما الرسمي ووضعتا في عجلات معدة لذلك
مزينة بالازهار وتقصيب الذهب والفضة وسارت العساكر بمدافعهم في المقدمة ومن
ورائهم الجنازتان ومن ورائهما بقية المشيعين ركوبا في كراريس سود وسرج الخيول
أسود والخيل سود ولباس الركاب أسود وذهبوا الى المقبرة وكانت المدافع تطلق بعد
كل خمس دقائق كل ذلك اظهار العناية بمن نفع وطنه منهم ترغيبا لمن يسلك ذلك المسلك
وعلى نحو من ذلك رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م جنازة ملك الهانوفر الذي ✽
أدخلت مملكته دولة البروسيا في مملكتها وفر هو وسكن في باريس وهو شيخ مسن
ولما مات حضرت جنازته امراء و وزراء المانيا وجعلت له دولة فرانسا أبهة على نحو
ما تقدم غير انه أخرج من داره لا من الكنيسة ولقد تذكرت في تلك الكنيسة عند
ما شاهدت حركاتهم وهيئتهم قول نبينا صلى الله عليه وسلم الصادق الامين لتتبعن سنن
من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قلنا اليهود والنصارى
يا رسول الله قال فمن اهـ كما ورد ذلك في الصحيح اذ علمت من ذلك منشأ وجود الكلات في
الجوامع وتغني المؤذنين والمقيمين فيها واجابتهم للائمة بالحان متناسبة وتلحين الخطباء
والائمة في القراءة والدعوات الى غير ذلك من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان وما هي
الا ضلالة وافساد وزيادة ونقصان في العبادة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وحيث كان أعظم المواكب الاعتيادية عندهم هو رأس السنة نذكر ما وقع في باريس
في رأس السنة الاعجمية الموافق لذي القعدة سنة ١٢٩٠ من حالة التزاور عندهم ✽

فيها لانهم يكتفون عن اتعاب الزيارة بارسال أوراق الاسماء فيما بين المعارف وترسل بواسطة البريد أو حمالين معدين لقضاء الحاجات يقفون في الطرق وعلى صدر كل واحد قطعة من نحاس عليها عدد وساما من الحكومة بانه أمين مجازله في تلك الصناعة فوزع بواسطة البريد فقط مليون وخمسمائة وستون ألف ورقة عدا ماوزع بواسطة الحمالين وارسلت الى أهالي باريس مكاتيب تهنئة من الخارج مليون وخمسمائة ألف وكان المرسل منهم في يوم رأس العام من المكاتيب المضمنة في البريد تسعة آلاف مكتوب ونسبتها الغير المضمن نسبة واحد من مائة

مطلب

﴿في اللغة﴾

(اللغة) الفرانساوية فرع من اللغة اللاتينية ولهذا لم يزالوا يراعون في الكتابة أصول تلك اللغة حتى يكتبون أحرفا لا ينطقون بها بل وبعضها لمجرد مراعاة الاصل بدون فائدة أخرى ولا زالت في التهذيب والاعتناء بها ولها جمعيات علمية لتحسينها وضبطها وقد اشتهرت اشتهارا كليا في العالم من وقت ارتقاء نابليون بونابارتي الاول الى امبراطورية فرانسا حتى وقع الاتفاق بين الدول الاروباوية على ان تكون هي اللغة المستعملة في المحاورات والمخاطبات بين الدول وصار من لوازم أهل السياسة معرفة التكلم بها ولذلك وقع الاصطلاح فيها على ألفاظ تؤدي معاني سياسية منضبطة محررة مختصرة تحتاج في غيرها الى تطويل وابهام وذلك الاتفاق على اجرائها في الخطابات السياسية لم يزل جاريا الى الآن حتى ان المانيا لما غلبت فرانسا سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م حاولت نقل هاتيك المزية الى لسانها فلم توافقها الممالك الكبيرة وقالت (اما) ان نبقى على الاصطلاح المتعارف على اللغة الفرانساوية (واما) ان كل دولة تخاطب بلسانها فابقي الوجه الاول لان الثاني فيه من الصعوبة مالا يخفى اذ يلزم رجال السياسة تعلم لسان جميع الدول ذات السياسة ووجود مترجمين في وزاراتهم لتلك اللغات بخلاف الاستقرار على اللغة الفرانساوية التي مر ماوقع فيها من التحرير ومن اعتنائهم بلغتهم اعتناؤهم بالفصاحة فيها وارتجال الخطب المستطيلة أعني الخطب على النحو العربي الاصلي بارتجال الكلام مع فصاحته وانسجامه لا كما يصنع الخطباء الآن من حفظهم لما ينشئونه ان كانت لهم قدرة على الانشاء أو حفظ منشآت غيرهم أو سردها من ورقة اذ هذا خلاف الاسلوب

العربي

العربي الاصلي وانما هو أى الاصلي استحضار معان مرتبة في فكرة الخطيب والقاؤها عند الحاجة بالفاظ منسجمة فصيحة بليغة وذلك هو شأن كل أمة ترقت في مزايا الفخار فالفرانساويون توجهوا لهذا المقصد أيضا وبلغوا فيه على حسب اصطلاح لغتهم الى المبالغ الحسنة فترى خطباءهم يقف أحدهم خطيبا يتكلم ساعتين وثلاثا بدون تلعثم أو مراجعة سوى البطاقة أحيانا مكتوب بها رؤس النوازل التي يريد الخوض فيها أو ينتقل من واحدة الى أخرى بربط المناسبات الى انتهاء مقصوده وقد يعترض له بعض اضداده أفرادا أو مجتمعين بالاستهزاء منه والسخرية من كلامه والرد عليه ولو بالضجيج وهو مثبت في مسلكه ويجيب الراد عليه بالمناسبة لان أغلب ما تكون خطبهم في السياسة مع تنازع الاحزاب فيها سيما في مجالس النواب والاعيان وكثيرا ما يوضع للخطيب فوق المائدة أمام منبره كاس بالماء والسكر والزهر لاءنه يجف لسانه من كثرة الكلام أو الغيظ هنا لكنه لكنى رأيت من يتخذ الشرب منها آلة للتفكر ومهلة للتدبير فيما يقول حتى أكثر من ذلك وصار يشرب كل ثلاث دقائق أو خمس وهو دليل عيه والحاصل ان خطبهم الآن شبه خطب أسلافنا العرب في الصورة وتشبه الدروس المتقنة في اداثها من علمائنا الفحول الآن مثلما أدركت من دروس شيخنا العلامة محمد النيفر الاكبر قدس الله روحه اذ يستطيع الكاتب ان ينقلها من تقريره لفظيا وتصيرتأليفا جيدا وخطباء القوم الآن يحضر مواطنهم كتاب عارفون باصطلاح مختصر في الكتابة حتى يحيطوا بجميع ما يقول الخطيب وأكثر الاسباب في طول خطبهم هو ادماج مسائل من فنون شتى فيها سيما علم التاريخ فبأدنى مناسبة يذكر تاريخ أدنى شئ مبحوث عنه وما وقع فيه من قديم الزمان وحديثه فلذلك كان فن التاريخ ضروريا لاهل السياسة وهو المعقول لان الوقائع الدهرية متشابهة متقاربة فمن أحاط علما بالتاريخ عرف الاسباب والدواعى والنتائج والتخلصات والغلطات فيتبع في الحال الحسن ويجتنب المضر ويحترس بالتشاور واجتماع الآراء وذلك هو مقدور البشر والله يفعل ما يريد وانما اجرى سبحانه عادته بالصلاح اذا اجرى العمل على حسب التدبير والامر الالهى باتخاذ الاسباب على مقتضى حكمته لا رب سواه ومن قواعدهم في اللغة ان يخاطبوا الانسان بدون تلقيبه بالسيادة الا الزوجة مع زوجها أو العكس والمخدوم مع خادمه ومع ابنه الصغير واذا كان المخاطب ذا وظيفة الوزارة يزاد له لفظ بمعنى المرفع أو كان ذا خطة الامارة يزاد له لفظ بمعنى المعظم أو كان ملكا يزاد له لفظ بمعنى صاحب الجلالة بحيث يقصرون في ذا الغاية ويكثرون من

اعادته فى الخطاب مراراوليس هناك استعمالات أخرفى مزيد التملق والخضوع والدقة فى الخطاب والفاظ المكاتبات والتخاطب سواءوغاية الفرق هوالفرق الحاصل بين افراد المتكلمين فى البلاغة كما ان من عاداتهم تلقيب كل انسان بلقب عائلته ولايذكر اسمه الا فى المكاتبات أواذاكان أكبرالعائلة موجودافالصغارمنها يذكراسمهم للتمييزمع ذكر اللقب ولم تزل عندهم عناية بالقاب الشرف وهى (كونت) و (بارون) و (دوك) و (مزكيز) و (ترنس) وغيرها لكنها قل استعمالها منذاستقرار الدولة الجمهورية وصاروا يكتفون بلفظ موسيواى سيدلتسوية الناس فى نظر الجمهور

مطلب

فى القوة الحربية المالية والتجارية فى فرانساسنة ١٨٨٠

فرنك

	بلغ طول سكك الحديدفيها ميلا ١٣٨٧١
٠٠٠ر٠٠٠ر٠٦٢ر٠	دخلها أى ملك السكك
٠٠٠ر٨٣٧ر٩٤٥ر٤ر٠	قيمة الداخل الى فرانسامن السلع سنة ١٨٧٩
٠٠٠ر٠٩٠ر٦٦٣ر٤ر٣	قيمة الخارج منها فى تلك السنة
٢ر٧٥٢ر٧٩٤ر٨٣٠	دخل الدولة سنة ١٨٨١
٢ر٧٠٤ر٤٣٢ر٦٠٠	خرجها فيها
١٩ر٨٦٢ر٠٣٥ر٩٨٣	ماعلى الدولة من الدين
٥٤٠ر٠٠٠	عدد السفن المدرعة العاملة والاحتياطية
٢٢٥ر٠٠٠	حمولتها طونولاتو
١ر٥٠٠ر٠٠٠	عددعساكرها وقت الحرب
١٨٠ر٠٠٠	عدد الفرسان

قدانتهى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثالث بتاريخ أوائل صفر الخير سنة ثلاث وثلثمائة وألف فى المطبعة الاعلامية لمؤلفه الامثل الاكرم الشيخ محمد أفندى بيرم وتحرر تصحيحه على يد الفقير الى الله تعالى مصطفى تشيشة الازهرى
ويليه الجزء الرابع أوله الباب الخامس فى قطر الجزائر

﴿طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣﴾

﴿فهرست الجزء الثالث من صفوة الاعتبار﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾

﴿ طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ ﴾